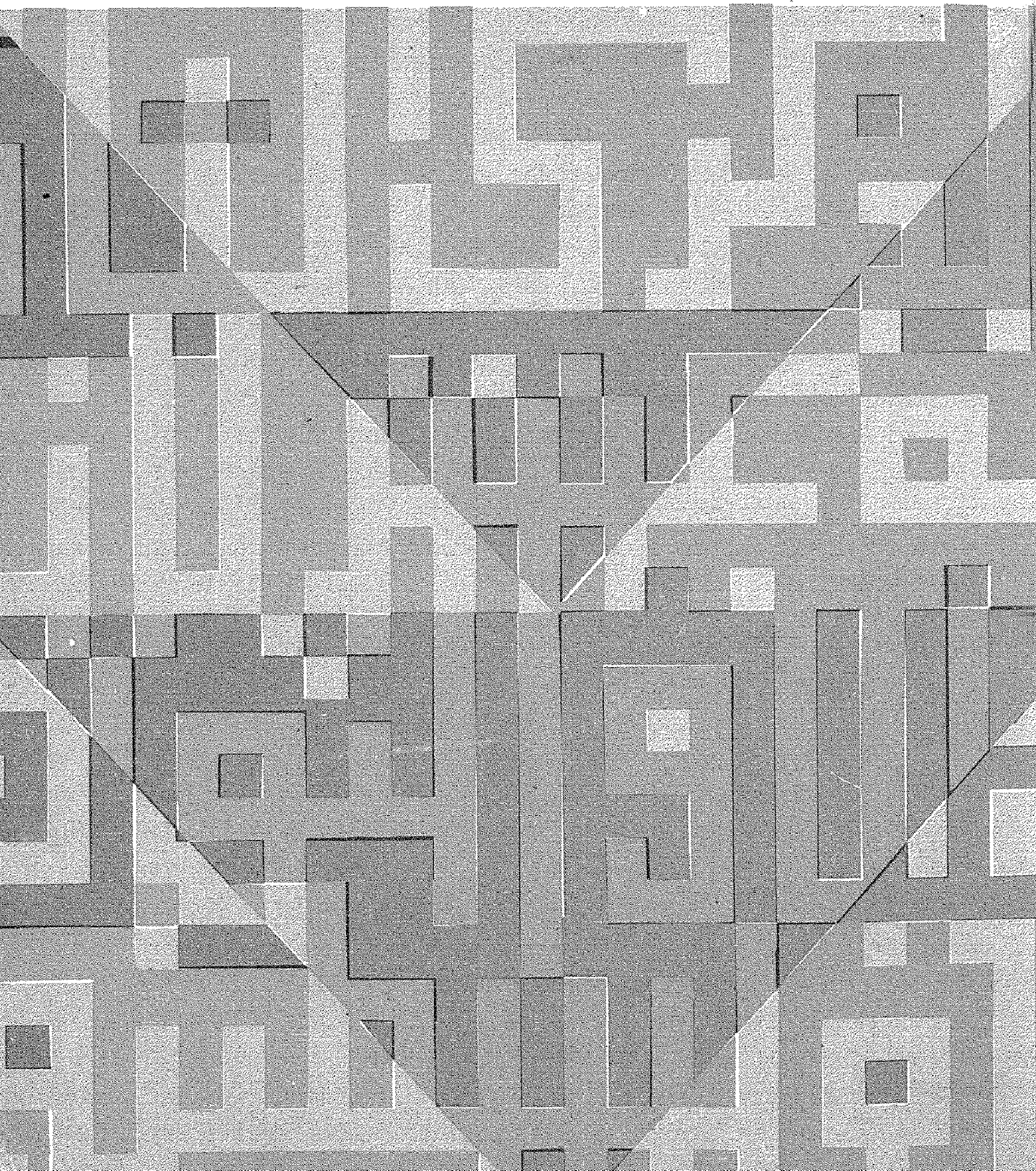
# شؤون فلسطينية

٦٢ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٧



# شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٦٢ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٧

شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

**يشارك في التحرير** : محمود درويش .

**مدير التوزيع** : غازي خورشيد .


جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .


**العنوان** : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني ( متفرع من السادات ) ، رأس بيروت ، بيروت — لبنان ، ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦١ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ، برقيا مرابحاث ، بيروت .


---


ثمن العدد : ٢ ١/٢ ل.ل. في لبنان ، ٤ ل.س. في سوريا ، ٤٥٠ ملسا في الكويت والعراق ، ٨ دراهم في دولة الامارات العربية ، ٤ ١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية .

الاشتراك السنوي ( بريد جوي ) : ٥٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٦٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٨٠ ل.ل. في اوروبا وافريقيا ، ١٠٠ ل.ل. في اميركا واستراليا وآسيا .

الاشتراك السنوي ( بريد عادي ) : ٥٠ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

الغلاف بريشة
الفنان كمال بلاطه

# المحتويات

تقارير :

## رسالة الأخ أبو عمار، القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية في الذكرى الثانية عشرة لانطلاقة الثورة :

# عام العطاء والشموخ الثوري

يا كل اهلي داخل وطننا المحتل وخارجه

يا كل المناضلين الشرفاء في المسيرة الطويلة

يا كل الثوار الاشاوس في الدرب العظيم

انقضى عام التصدي والتحدي بكل عنفه وقسوته ، وبكل آلآمه واحزانه ، بل بكل ما فيه من ملاحم وبطولات سطرتها دماء ابطالنا ، وعززتها تضحيات شهدائنا ، واغناها الصمود الرائع لشعبنا البطل داخل الوطن المحتل وخارجه ٠

انقضى عام ٧٦ بكل ما له وما عليه ، ولكن العبر والتجارب تركت بصماتها قوية وواضحة في المسيرة كلها ، مسيرة الثورة العظيمة المعطاءة دائما ٠

عام ٧٦ لم يكن بالنسبة للثورة والثوار اياما واشهرا ، ولم يكن بالنسبة لشعبنا دورات الفصول والاوقات ، ولكنه كان عام الزخم الثوري ، بكل ما فيه من روائع ستبقى صفحاتها البطولية خالدة في سجل التاريخ لثورتنا العظيمة ، ولشعبنا البطل وتشكل ينابيع دفاقة ستنهل منها الاجيال مناهل الرجولة والكرامة والشجاعة والصمود والصبر والمثابرة ٠

وبقدر ما كان عام التصدي والتحدي قاسيا ومريرا واليما ، كان فيه من الزخم الثوري الشيء الكثير ، زخما للكفاح والبطولة ، وينبوعا للنضال والشجاعة ، ولهذا الشعب العظيم ، تغني مسيرة الحياة الحقة لامتنا العربية كلها ٠ واية حياة ؟ انها حياة العزة والسؤدد والمجد ٠

وليست اية حياة كما يريدها لنا هذا المخطط الاستعماري

الامبريالي الاميركي الصهيوني العميل ·

اما كيف كان الصمود في عام الصمود ؟

وكيف كان التحدي والتصدي في عـام التحدي والتصدي ؟

وكيف كانت المعـانـاة ؟

وكم كانـت التضحيات ؟

وكم كانت الآلام ؟

فتلك قصص ستروى للاجيال القادمة ، لتقص اروع القصص في سجل الخالدين ·

اما عن المخطط الاستعماري الخطير وماذا يستهدف الان ؟

وماذا يروم المخـططون المتآمرون ؟

وكيف نواجه هذا المخـطط الخبيث ؟

وكيف نتصدى لهذه القوى الامبريالية الصهيونية المخـططة ؟

بالمنطق الواعـي والتحليل الدقيق ، والدراسة الشاملة لمجمـل هذا المخـطط ننطلق للمواجهة بكـل ابعـادها وتبعاتها وجبهاتهـا ، لا نضيع في متاهات بعيدة ومتناثرة ، بـل نضع الحقائق والوقائـع بمنتهى الدقة والاناة ، مصحوبة بالصلابـة والايمان الثـوري ·

فمثلا ، لم يكن من نافلة القول ما صرح به كيسنجر امام احد الزعماء الاصدقاء بعـد مؤتمر الرباط سنة ٧٤ ، حول نتائـج هذا المؤتمر التي افقدتـه عـوامل خطتـه الوئيدة ، وخطواته المتأنية للجم المنطقة وتصفية الثـورة الفلسطينية ، فقد قال ان ما حـدث في الرباط قد اربك مخططاته وحساباتـه برمتهـا · ومـن ثـم كان عـليه ان يبدأ بضرب جوهـر الصمـود العربي وبالذات حلفـاء حرب رمضان ، مصر وسوريا والثورة الفلسطينيـة ، ثم تجريـد العرب من سـلاح البترول كعامل مؤثر في المعـركة الحضارية بين امتنا العربية ، وهـذه الهجمة الصهيونية الامبريالية عـليها ، ولا بد ان نعترف ان كيسنجر قد حقق نجاحا ملحوظا في هذا الهجـوم الذي قام بـه ·

ومن هنا لا بد لنـا ان نسجـل اهمية ما وصلنا اليه في مؤتمـري الرياض والقاهرة من وقف لنزيف الدماء في لبنان ، وانهاء للقتـال

الدائر بيننا وبين سوريا ، وعودة العلاقات المصرية ـ السورية ، وبالتالي عودة التلاحم المصري السوري الفلسطيني ، كركيزة اساسية متجددة للصراع العربي ـ الصهيوني ثم بالتالي التحرك باتجاه استخدام البترول كسلاح فعال في المواجهة الحالية ٠

بهذه الاسطر القليلة ، نضع يدنا على الخطوط العريضة لمجمل الصورة في منطقتنا ، وللمؤامرة الكبيرة الجاثمة علينا ، منطلقين من نقطة هامة واساسية ، هي ان المؤامرة الامبريالية الاميركية الصهيونية لم تنته ، بل لا بد ان نعي انها ستزداد ضراوة في المرحلة المقبلة ، ولكن باشكال وصور جديدة ومبتكرة ، وسيزداد التركيز على الثورة الفلسطينية كعامل اساسي ، ورقم جوهري، في الصراع الدائر حاليا في المنطقة وما تمثله هذه الثورة من قوى كامنة فيها ، فالثورة الفلسطينية واسطة العقد ، في هذه المواجهة المحتدمة الان بكل قساوة وشراسة ٠

ولذا كان تركيز هذه القوى الامبريالية الصهيونية المخططة هو تصفية الثورة الفلسطينية ، بوصفها العامل الصعب في مخططها الجهنمي للمنطقة ، فاذا لم تتمكن القوى الامبريالية من تصفية الثورة ، فلا باس من تدجينها او ترويضها او تقليم اظافرها ، لتصبح هذا الكيان المدجن المكبل ، المجرد من هذا السلاح او ذاك العتاد ، الخالي من روحية الكفاح الحي النشط والمقلق لاحلام الاستعماريين والصهاينة ، لتصبح بذلك مقبولة فيما يمكن ان يجري في المنطقة من تغييرات وتبدلا تمرسومة ومخططة من دوائر الامبريالية العالمية ٠

ان ارادة التحدي في امتنا العربية ، فيها من الزاد الزاخر ، وفيها من الوعي الصادق ، وفيها من القوى الكامنة ، ما يمكنها من مواجهة هذه المخططات المرسومة ، هذه الامة العظيمة المعطاء التي مر عليها الكثيرون ، مر عليها تيمورلنك وذهب ، ومر عليها هولاكو وذهب ، ومر عليها ريتشارد الافرنجي وذهب، ومر عليها لويس التاسع وذهب ، ومر عليها ايدن وذهب ، وما مر عليها غاصب او معتد الا ذهب ٠

وبقيت هي تتحدى الزمن والخطوب ، وبقيت في هذه المنطقة تروي من دمائها كل بقعة من بقاعنا الحبيبة وتغذي بارواحها كل موقع من مواقعنا المقدسة ٠

وهكذا ستبقى هذه الارض لنا ولاشبالنا ، ورثناها عن اجدادنـــا لنورثــها لاحفادنا دون تعصب او فاشية او شوفينية ٠

من هذا المنطلق لشمولية الصورة الحية التي امامنا ، تقع على كواهل الثــوار الابطال في ثورتنا مسؤوليات جسام علينا ان نكـــون اهلا لها ، لاننا في هـــذا انما نسجل للتاريخ احقيتنا لهذه الامانـــة التي حملتها اجيالنا بوعي وبصيرة واصرار وفخر واعتزاز امانة النضال وشرف الثــورة ٠

ومسؤولية الكفاح وقدر شعبنا وثوارنا في حملها ٠

فما اعظمها من رسالة يتحملها هذا الجيل من شعبنا وهـــــــذه الجحافل من امتنا ٠

رسالة تستحق ان نناضل من أجلها ٠

رسالة تستحق ان نستشهد في سبيلهـــا ٠

رسالة تستحق ان نضحـــي بكل مرتخص وغـــال دونها ٠

رسالة الجيل للاجيال القادمة ٠

رسالة الجيل للتاريخ المعاصر ٠

رسالة التاريخ المعاصر للاجيال المقبلة ٠

ومكان ثوارنا في هـــذا كله هو القلب وفي الصدارة ،بل هو في الحقيقة وبكل فخـــر واعتزاز في المقدمة ، في ممر الماراثـــــون ، كالجلاميد ثابتة راسخـــة ، قوية عـــزيزة مهابه ، تمـــر عليها السيول والاعاصير لا تهزهـــا ولا تؤثـــر فيها ، مؤمنة بما حملت من قناعات ، وواثقة بما امنت بـــه من مثـــل امام المحـــــن والخـــطوب والالام والمؤامرات والمتآمرين والمخططات والمخططين ٠

نحن كثوار نواجه هذا كله ، بمزيـــد من الصلابة ومزيد مـــــــن الشجاعـــة ومزيد من العطاء الثوري ومزيـــد من التلاحم ، ومزيد من الوحدة الوطنية القوية المتراصة ، ومزيد من التعاضد والاخوة والمحبة ٠

وامام هذا كله يقف شعبنا ، ودماء القلوب في المآقـــي ، مشدودا الى الهدف ، مصمما عـــلى بلوغه ، باذلا بسخـــاء اسطوري كـــــل العـــطاء للوصول اليه ٠

اليس الهدف العظيم بجانبه الشعب العظيم ؟ ٠

اليس الهدف الكبير امامه الثوار الابطال ؟

ومن هذا المنطلق يقوم ، اهلنا داخل الارض المحتلة يصنعون هذه الملاحم وتلك البطولات باظافرهم ، بالحجارة ، بزجاجات المولوتوف ، بصبرهم ، بكبريائهم الرائع ، بتحدياتهم المستمرة يسخرون من عدوهم ، باباثهم الاصيل وشيمهم الراسخة ٠ فهم نفحة السماء عندما يوصفون بانهم قوم جبارون ، تتعانق ارواحهم وعظمتهم مع روعة شعبهم خارج الوطن المحتل ، بتضحياتهم الكبيرة ونضالهم المستمر ، ليشكلوا هذه الاهزوجة الثورية النادرة الصورة والامثولة ٠

وهكذا يمضي الركب بكل ثواره ، بكل شعبنا ، بكل عطائه السخي الدائم في المسيرة الثورية العظيمة ، التي تتخطى الالام والقساوة والمحن ، بارادة فولاذية وعزيمة ومضاء نادرين ، لتخلق منها مواكب ومشاعل على دروب العودة والتحرير ، فهذا قدرنا قد اخترناه بانفسنا ، لاننا نخاطب التاريخ بل ونصنعه ، ومن يصنع التاريخ لا بد ان يكون بمستواه وعلى قدره ٠

وليستمر الركب ولتستمر المسيرة ، ولتكن الحوافز في عامنا المقبل ، عام العطاء والشموخ الثوري ، متفجرة من كوامنها ، لتصنع الملاحم والبطولات لثورتكم العظيمة الخلاقة ، لكي نحمي المسيرة ، ونذود عنها ونغذيها ، وليكن العطاء عظيما بحجم ثورتكم ، وليكن الشموخ متساميا يلامس مكانة شعبكم وامتكم الثورية لكي نقوي اندفاعنا الى الامام ، مع المزيد من الانتصارات في مجالاتها المتعددة : سياسية وعسكرية ، شعبية وثورية ، محلية ودولية ، عربية وفلسطينية ٠

ولازمة علينا في هذه الذكرى ، ذكرى الانطلاقة العظيمة لثورتكم الخلاقة ، ان نذكر بمحبة كبيرة ، وعرفان بالجميل اكبر ، هذا الشعب اللبناني البطل وحركته الوطنية المعطاء الوفية ٠

ولا بد لنا في هذه الذكرى العظيمة في الفاتح من يناير (كانون الثاني ) ان نذكر باجلال واكبار ، هؤلاء الشهداء الابرار في عليبهم ، الذين سقطوا على الدرب الطويل وفاء وعهدا وقسما ٠

وفاء لهم وعهدا لارواحهم الطاهرة الزكية ، وقسما ان نمضي قدما حتى التحرير بعونه تعالى ٠

وانها لثورة حتى النصر

١ـ١ـ١٩٧٧

اخوكم

**ابو عمار**

# حكايات عن الجبل والحرب

جهاد أحمد صالح

– ١ –

الجبل ، الوطن ، الاطفال .

الجبل ، المطر ، الثلج ، الضباب ، حفارو القبور .

على اطراف الجبل ، ينتشر عشرات المقاتلين في انتظار بزوغ الفجر ، في انتظار الطلقة الاولى ، او الاشارة الاولى .

او الامر الاول ، لا فرق ، المهم ان يبدأ الاقتحام .

رجال المدفعية يعدون قذائفهم القليلة ، يجهزونها بالصواعق .

ويرسمون المواقع على خرائطهم ، وينتظرون .

حرارة انفاسهم تبدد البرد الذي يخترق العظام ، وشوقهم طلوع الجبل واعادة خارطة الوطن الواحد ، والقلب الواحد ، والعين الواحدة ...

ابو خالد يعطي الاشارة الاولى .

ولكن لا طلقة اولى ... سيول من الطلقات ، تنخر الثلج المكدس على قمم الجبال ، وتمزق مواقع الاعداء .

القذائف تحفر في الثلج قبورا لحفاري القبور .

دقائق معدودة بعد الاشارة الاولى ، تحول بعدها العمل العسكري الى عملية سباق وتسارع .

بين الاطفال الفقراء وحفاري القبور ،

بين الهروب من رائحة الوطن وبين الشوق لصنع الولادة .

التلفريك يزداد توهجا ودفئا عندما وصله المناضلون ينزعون ما علق به من قذارة .

التلال الغـربية وتلال الزعـرور ترفض بشدة غربتها عـن الوطن ، وتعـانق ابناءها العائدين اليها ·

الفنادق، وقد تحطمت فيهـا كل زجاجات الخـمر ولوحـات السياحة ، تستعـد لاستنشاق رائحـة الحرية ·

المقاتلون ·· يجلسون عـلى الارض ، يكتبون اسماءهم واسماء الشهـداء عـلى صفحـة الثلج البيضاء ·

يوزعون انفسهم ، ويغرسون اسلحتهم في المواقع الجديدة ·

ولاول مرة تشرق الشمس عـلى الجبل ·

★ قال لنا شيخ من قرية مجـدل ترشيش :

منذ ثلاثة شهـور لـم نر الشمس في هـذه المنطقة ، استغرب بزوغ هـذه الشمس الدافئـة في مثـل هـذه الاوقات من السنة ·

المناضلون من بلدة عـينطورة يحضرون · والفرح يتفجر في عيونهم · فرحـة المناضل بلقاء المناضل على ارض الوطن الواحد ·

يحضرون لنا الطعـام والملابس ، ويرشدوننا الى مواقـع الاعـداء ·

في المساء يحضر فلاح من عينطـورة وهو يلهـث · شاهدنـا الرعـب والخوف خلف دموع عينيه · صرخ الفلاح :

ـ لقد ذبح حفـارو القبور الاوغـاد مناضلي عينطورة امام مبنى الكنيسة ، وامام اعـين اطفالهم وامهاتهم وزوجاتهم ، لقد ذبحـوا عشرين مناضلا دفعـة واحـدة ، وغـدا سيذبحون البقية ·

لحظات من الصمت والحزن تملأ مقر القيادة وتصل الى قلوب المقاتلين على التلال ·

جميع العيون الحاقدة الغاضبه تتجه الى حفاري القبور في عينطورة ·
غـدا سيذبح بقية مناضلي البلدة ·
وفي صبيحة الغد ، كان الرصاص ينهمر على عينطورة · والقذائف تتمزق فوق مواقع العـدو ·

المقاتلون يتقدمون بسرعة تفوق سرعة المقاتل فـي المعركـة ، الدفاعـات الاولى تتهاوى ، الدفاعـات الثانية تنهار ·

المقاتلون يتقدمون من كل الاتجاهـات ·

تختلط رائحة اجسادهم برائحة الارض ورائحة الجثث المغدورة ·

وعـندما اصبحت الشمس في منتصف السماء ، كانت عـينطورة قد ودعـت سماع اخـر طلقة ، وتمزق اخـر قذيفـة ،بينما مجموعـة من المناضلين ـ تواري جثث ابناء البلدة المغدورين تحت التراب ·

عـجوز تهتـف والدمـوع فـي عينهـا :

ـ كم كانت امنيتهـم ان يشاهـدوا هـذه البلدة ، وقد عـادت الى الوطـن الام قبل أن يستشهـدوا ·

قال لهـا مقاتـل : ـ

ـ هـل للشهـداء إبناء ·· ؟ ·

ـ نعم لهم ابناء كثيرون !

ـ لا تحزني ، فابناؤهم قد شاهـدوا امنية ابائهم وهـي تتحقق ·



ـ ٢ ـ

كلا انهـا ليست قبوركـم : ـ

مقاتلونا ··· لم يتعودوا عـلى الحفر والتحصين ···

مع العدو الاسرائيلي : اضرب واهـرب ·
مع النظام الاردني : قتال المواقـع المتحـركة ·

مع النظام اللبناني : الانقضاض ·

مع القوى الانعـزالية : التقدم ـ والتطهير ·

مقاتلونا لم يتعـودوا عـلى قتال الدفاع من مواقـع ثابتة ، بل من مواقـع متحـركة ، الدفـاع من خـلال الهجـوم او الهجوم الوقائي ·

التحصين ··· التحصين ··· التحصين ·

الخندقة ··· الخندقة ··· الخندقة ·

تعليمات يومية تصدر من قيادة المنطقة الى كل مقاتـل في الجبل ·عبـر التسلسل العسكري ·

ـ تحصين مواقع الاسلحة ·

– بناء دشم المقاتلين وادامة استمرار قتالهم في اقسى الظروف ·
– خنادق الاتصال بين مختلف المواقع والدشم ·

– الخنادق الفردية لحماية المقاتلين من القصف ·

– مستودعات الذخائر ·

اذن التحصين والخندقة ، لضمان حياة المقاتلين ، وللحفاظ على الاسلحة والذخائر من اجل استمرار المعركة ،

احدى دروس التجربة ، التي صنعها مقاتلو الجبل بعرقهم ··· ودمائهم ·

الجبال الجرداء ، والقصف المتواصل ، والبرد ، والمطر ، تجعل التحصين والخندقة · احدى اهم واجباتنا ·

العادة تولد الكسل ، ومقاتلونا لم يتعودوا الحفر ·

تلك المهمة الصعبة التي على قادة المحاور والمواقع اقناع مقاتليهم بها ···
– هل نحفر قبورنا بايدينا ···؟

– نحن لسنا جبناء ··· ولسنا خائفين من العدو حتى نحفر !

– الهجوم على مواقعهم افضل من حفر مواقعنا!

– نحن رجال حرب الشعب ··· ولسنا جيشا نظاميا ! ·

– لم نتعود على الحفر !

– لن نحفر !

كانت هذه هي تعليقات المقاتلين كلما طلبنا منهم القيام باعمال التحصين··
حضر الى الجبل الفنان هاني جوهريه ، من مؤسسة السينما الفلسطينية، قاطعا المسافة الطويلة والشاقة بين خيال الفنان والواقع ، ومن الواقع الى العمق حيث الرجال يصنعون النصر ·· والصمود · يداعبون اسلحة العدو، والطبيعة القاسية ·

الفنان يريد تصوير فيلم عن الاشتباك ، وذلك لا يكون الا في مواقع الاشتباك، وفي لحظات الاشتباك ·

التصوير سيبدأ من التلال الغربية ، اكثر المواقع سخونة ·

المقاتل الذي يرفض الحفر ، لانه يرفض أن يحفر قبره بيده ، يستعد ، يجلس في حفرة صغيرة ، حفرتها احدى القذائف الثقيلة ·

هاني جوهرية يقترب منه ، يركز الكاميرا ٠

الرائـد ابوعيسى يعـطي التعليمات للمقاتلين ٠

وعـندما اعـلن الفنان عـن بدء العـمل ، كانت قذيفة الهاون ٨١ ملم مـن موقع الاعداء اسرع ٠٠٠

تناثرت شظايا القذيفه مع شظايا الجسد الفنان ٠ مع دماء الرائد ابوعيسى تنزف من جرحه البالغ ٠

بينما الكاميرا تسقط في حضن المقاتل ٠٠ وكانها تبحـث عـن حفرة تحميها٠ وهكذا رحل الفنان هاني جوهرية الى اعـماق الوطن ٠

مثلما كان فنـه يرحـل باستمرار الـى اعـماق القضية والشعـب ٠

وانهالت طلبات ادوات الحفر ، واكياس الرمـل ، والابـواب والجسـور الحديدية من المقاتلين ٠٠٠

وهكـذا فلكـل تجربة ثمـن ٠٠٠

وثمن التحصين ، كان الشهيد هاني جوهرية ٠٠٠



ـ ٣ ـ

الذاهبون الى الولادة :

الشمس تجمع اشعتهـا تستعـد للرحيل خـلف قمم الجبال الشامخـه ٠

البرودة تسري متماوجة في اجساد المقاتلين ٠

الاجراس تقرع فـي بسكنتا ، حـركة غـير عـادية هناك ٠

بعـض الفلاحين من بسكنتا يجتمعـون مع ابوخـالد مطولا ٠

ـ انهـم يجمعـون انفسهم ٠

ـ ضربوا خوري المدينة بعد ان رفض دخولهم الى المدينة ٠

ـ اعتقلوا معـظم المناضلين ، وبعـضهم تمكن من الفرار ٠

ـ احضروا اعـدادا كبيرة من الاليات والافراد ٠

ـ تركناهم مجتمعـين ، يعتقد ان هجومهم سيبدأ غـدا صباحـا ٠

ابو خالد يجتمع بقادة المحاور ويعطيهم التعليمات ٠

التعليمات تصدر من لسانه ومن يديه · ومن عينيه اللتين اصبحنا نفهمهما جيدا ·

الدواب تحمل بالذخائر الى المواقع ، تعزيز بعض المواقع بالمقاتلين الجبل حركة مستمرة الحذر والترقب يملأن كل العيون ··

اجهزة اللاسلكي تصفر بلا توقف ·

صفير الاجهزة مستمر طالما بقيت هذه المواقع بايدينا ·

فجاة ··· اطفات جميع الانوار في مواقع الانعزاليين · الحذر يرتفع والاعين قد شدت بقوة الى مواقعهم ·

اصوات الاليات تهدر عبر الاودية والجبال ·

بعض الاليات تضطر الى الانارة الخاطفة لتحديد مسارها · صرير جنازيرها يمزق الصمت ·

الملاحظات والمشاهدات تمرر من جميع المحاور ، والمراقبات · المقاتلون يلتصقون باسلحتهم ·

خبل الاليات يكاد لا ينقطع ، المقاتلون يعدونها معتمدين على الصوت، والضوء الخافت والخاطف ·

اذن ستكون معركة قاسية في الصباح·

انتابني شعورمن الحزن وانا اتذكر ان قذائف المدفعية لا تكفي لصد هجوم قوي على مواقعنا ·

مدفعيتنا تمزق الصمت · تقصف تجمعات الاليات · الاليات تهرب، وبعضها يختبيء ثم تعاود التحرى · العدو لا يرد على مدفعيتنا ، مدفعيتنا ترمي بمعدل كل ربع ساعة قذيفة·

اتجاه الاليات وتجمعها ، يشير الى ان المعركة ستكون على محور الفنادق تلال الزعرور ·

ابو خالد على الجهاز الرئيسي ، ينادي المواقع باستمرار ·

الوضع جيد ، الجميع في حالة يقظة ، جاهزون لتلقي الضربة الاولى وتحطيمها ·

الفجر يشق طريقه ، والليل ينجلي عن قمم الجبال ·

الساعة الخامسة الا ربعا ، الوقت يمضي ببطيء · الظلام ينجلي متثاقلا

الصمت يلقي ظلاله الثقيلة علـى نفوس المقاتلين • برد الصباح يراقص ابداننا • العيون تصارع النوم بحـدة •

الساعـة الخامسة صباحـا ،

صوت خفيف في بسكنتا ، صفير ، دوي انفجار على موقعنا ،

وتلاحقت الانفجارات : قذائف الهاون من مختلف العـيارات تتساقط بالعشرات عـلى التلال والسفوح والاودية •

الشمس تشرق من فوق القمم • تزداد كثافة القذائف مع تزايد حـــرارة الشمس •

ابو خالد يطلب من جميع المحاور تقدير الموقف •

لا شيء سوى القصف • خـطة العـدو غـير واضحـة حتى الان • القصف عـلى جميع المحـاور ، ولكن عـلى اي محـور سيكون التقدم ؟

هذا غـير واضح • الا أن تقديرنا ما زال كما كان :

سيكون التقدم على محور الفنادق ــ تلال الزعــرور •

القصف يستهدف شل الحـركة •

تلك الفترة القاسية عـلى نفوس المقاتلين ، يلتزمون خنادقهم بلا حـركة حتـى لحـظة ، الاشتباك ، حيث تصبح الحـركة حـرة ••••

الساعـة الثامنة صباحـا •••

الاليات تتقدم تحـت نيران غزيرة الى منطقة الفنادق •

قذائف الـ ار• بي•جي• تدمر رأس حربة التقدم • الهجمة الاولى تتحطـم • معـنويات المقاتلين ترتفـع •

القصف على مواقعنا يزداد شدة وضراوة وغزارة • دمر للعـــدو ثـــلاث اليات ، خسائرنا لا شيء •

وتلتها الهجمة الثانية اكثر ضراوة ، تميزت بالاصرار :

اصرارهم على التقدم ، واصرارنا على الاحتفاظ بمواقعنا •

تلتها الهجمة الثالثة ، والرابعـة ، والخامسة •

ارخى الليـل سدولـه عـلى المنطقة ، واغـرقها فـي بحـر من الظـلام بـلا اقـمار او نجـوم •

فقط رصاصات الرشاشات ، ووهـج انفجار القذائف كان يبدد هذا الظلام ·
المواقـع تزود بالذخـائـر ليلا ، تحـت جنح الظلام ·

ما اصعب المسير في المناطق الجبلية في هذه الفترات المظلمة ·

في نفس الوقت من صبيحـة اليوم التالـي ، سقطت القذيفة الاولى · وتتابـع سقوط القذائف بالعشرات ·

سرية من الاليات ··· وكتيبة من المشاة ، تتقدم باتجاه الفنادق · مقاتلو الفنادق العشرة ، يتصدون للهجـوم ببسالة ·

حماد من السرية الطلابية ··· يرسل تقديرات الموقف عـلى الجهاز ·

المعـركة قاسيه ··· وبمختلف الاسلحـة ···

قذائف ال ار·بي·جي تنهال عـلى اجسام الاليات ···

رشاشات ال ٥٠٠ المتبادلة تاكل الارض · وتمزق الـتحصينات ·

حماد ـ يطلب المدفعية ـ للرماية على ثلاث اليات متقدمة ··

ثم يطلبها للرماية عـلى المشاة عـلى بعـد عشرين مترا منه ·

ثم يطلب بالحاح قصف مكانه بالضبط ···

يتوقف صوت حمـــاد ···

يتوقف صوت حماد ···

ولكن الرشاشات ما زالت متبادلة · الانفجارات تتوالى ·

الاتصال مع مجموعـة الفنادق مقطوع ، القصف عـلى كل المحاور يشتد ·

الشمس الحارقة تنتصف في السماء ، تزيد المواقع سخونه ، الدخـان يتصاعد من ابنية الفنادق ·

ابو فراس ـ قائد محور التلفريك ـ ينعي الشهيد حماد واربعة من رفاقه ·

الرشاشات ما زالت متبادلة ، عدد من مدافعنا يخرج مـن العمـــل ، واذا استمر الوضع هكذا ، ستخـرج بقية المدافـع ، بسبب استنفاد القذائف ·

عبد الفتاح ابو سنينه مع ابو مازن من رماة ال ٥٠٠ ظلا يقاتلان يمزقـان هجمات العدو · حتى نفذت الذخيرة منهما ، اخرجا اسلحتهمـا الفرديـــة ، ظلا يقاومان ، اخترقتهما قذيفة دبابة ·

وهكذا لم نعـد نسمع صوت او رشاشات مجموعـة الفنادق ·

المقاتلون العشرة ، الابطال العشرة · الشهداء العشرة ·

احبوا فلسطين فاعطوها دماؤهم ، واحبوا لبنان فتساوى عندهم مع فلسطين، واحبوا الجبل فاستشهدوا علـى ترابه ·

هل سيتوقف الهجوم عند هذا الحد ام انه سيستمر غدا صباحا ؟

الليل يخيم عـلى التلال والاودية ، مجموعـات زرع الالغـام ، تبذر الارض، امام مواقعـنا ، المواقع تزود بالذخائر ، والتموين الاحتياطـي ، ولكن لا عناصر جديدة ، لا يوجد في الجبل عناصر احتياط ·

المقاتلون ارهقهم التعـب والسهر ورغـم ذلك فحركتهم نشطه ، ··

الفجر يشق طريقه عبر القمم ، السادسة صباحـا ، القذائف تتساقط بغـزارة على التلال الغربية ، اذن هدفهم الجديد ، هـو التلال الغربية ·

القصف اصبح لا يطاق ، جميـع مدافعـنا تخـرج عـن العـمل ، ما عـــدا مدفـــع واحـد ·

المقاتلون لا يستطيعون القيام باي حركة ،

ابو راكز ، عامـل اللاسلكي على التلال الغربية ، رقيق كالنسيم ، صلب كالمـوت ، منـذ ثلاثة ايام لم يـذق طعـم النوم · ينادي عـلى الجهاز ، ويرسل تقديرات الموقف ، يبتسم باستمرار ، ويدخن باستمرار · لـــم يتحرك من خندقه، ولم يغير جلسته منذ بدء الاستنفار ·

اطلب من ابوخـالد بالحاح ثلاثة قذائف مدفعـية ، للتعـامل مـع اليه عـلـى قناة باكيش تسيطر على مواقعنا وترميها بغزارة مؤثرة ·

ابو خالد يعطيني امر المدفعية ··· وثلاث قذائف ، ادقق في الخارطة ، عينت موقع الالية على الخارطة ، لا بد من اصابة الهدف ، بالقذائف الثلاث · ابو راكز بفرح ، يرسل الاحداثيات ·

القذيفة تسقط بالقرب من الالية ·

ـ خمسون مترا ـ يسارا ·

ـ سبعـون مترا ـ اماما ·

ابو راكز يرفع راسه ليشاهد الدخان والغبار المتصاعد الى جانـــب الاليــة اعطيته التصحيح ، ارسله بسرعـة الـى المدفعية ·

ـ خمسون يسار ـ سبعـة امام ·

مدفـع رمـي ـ راقب ··

ـ استلمت ···

وكانت الالية قد ارسلت احدى قذائفها الى الموقع ، قبل ان تصلها قذيفتنا · سمعـت انفجارا خلفه ، لـم التفت اليه اكاد اقفز من المراقبة ، وانا اصرخ :

ـ جيد على نفس المكان طلقة اخرى ارم ولكنني لم اسمع ابو راكز يردد الامـر خلفي ، كعادته ، نظرت خلفي ، كان الغبار ما زال يتصاعد مـن خندقـه ، وقد مزقتـه القذيفة الى قطـع متناثرة ·

الشمس تميل الى الـغروب ، تختفي خـلف الجبل ، الظلام يسيطر عـلى المنطقة من جديد ·

وفي اليوم التالي ، كان الهدوء هو وحده الذي يسيطر على المنطقة · بينمـا عيوننا تتجه الى جثث الشهـداء ،

لا بـد من سحبهـم ···

لا بـد من سحبهـم ···

وهكذا رحلوا ، ليس الـى الموت ، بـل الى الولادة ·

★ ★

ـ ٤ ـ

## السبـاق عـلى صنين : ـ

سألني احد المقاتلين :

ـ لماذا لون التفاح في هذه المنطقة احمر ؟ ·

ولانني لا افهم كثيرا في الزراعة اجبته :

ـ لانه احـمر ليس الا ·

وضعـنا العسكري بدأ يتحسن ، تعزيزات بالرجال ، والقذائف والذخائـر ، والتموين · المحاور اصبحت قادرة على صد اي هجوم ، بل واصبحت قـادرة عـلى القيام بعـمليات محـدودة داخـل مواقع العـدو ·

مقاتلون اكفاء يصلون الجبل ، معـنويات مقاتلي الجبل ترتفع عـندما وصلت كتيبة بيت المقدس التي تحتفظ باسماء شهداء اقسى المعـارك ·

الجبل ، خلية من النحل في حركة مقاتليه ، ومحط الانظار في بعده السياسي ، ومختبر بشري في دروسه وتجاربه ٠

جميع العيون والقلوب والاحاسيس تتجه الى الجبل الابيض ٠ المواطنون في المنطقة : ـ

ـ لا تستطيعون البقاء على المرتفعات اذا اهملتم الاستيلاء على جبل صنين ٠

وصنين شامخ بثوبه الابيض المتوهج ، يعتز بالضباب الذي لا يفارق قممه المرتفعة ٢٥٢٦ م عن سطح البحر ٠

لا بد من الصعود الى صنين ٠ وبدأ العمل المضني لازالة الثلج الذي يبلغ ارتفاعه خمسة امتار في بعض المناطق ، لشق الطريق الى صنين ٠ الجرافات تعمل ليل نهار ٠ ومعاول المقاتلين تزيل الثلج ٠

وصلتنا معلومات ٠ تفيد بان الانعزاليين يشقون الطريق للوصول الى صنين من الناحية الاخرى ٠ اذن لا بد من الوصول الى اعلى القمم قبلهم، وبدأت عملية السباق ٠

بعد عشرة ايام كان المقاتلون يحصنون مواقع اسلحتهم على اعلى قممه، ويبنون من الثلج منازلهم وخنادقهم ٠

مقاتلو كتيبة بيت المقدس ومعهم بعض المناضلين الاخرين ، يتناوبون الخدمة في صنين ، كل يومين دفعة جديدة ، البقاء اكثر من ذلك مستحيل، فدرجة الحرارة اقل من الصفر بكثير ، الماء ليس مشكلة ، ولكن المشكلة هو الوصول الى المواقع ٠ عشر ساعات من المسير فوق الثلج وسط الضباب٠

ورغم كل ذلك ، فلا بد من السيطرة على صنين ، تلك الحقيقة التي يعرفها كل الجبليين ، من مقاتلين ومواطنين واعداء ٠

وبعد فترة اصبح لجبل صنين حكاياته المتداولة بين المقاتلين واصبح له ابطاله ورجاله ٠

وبدأت قذائف الانعزاليين تتساقط بغزارة على المواقع الثلجية وبدأت عملية ذوبان الثلج بفعل حرارة الانفجارات ، وحرارة حركة المناضلين ٠

واصبح لصنين ايضا شهداؤه ٠٠٠ الذين كتبوا اسماءهم على الثلج بدمائهم ٠

قال لي ابوخالد جورج ، قبل استشهاده على صنين :

ـ جميع المشاكل تحـل في زمن الاشتباك ·

كنا في السابق نعـاني من وصـول التموين والذخـائـر ومن قلة البطانيـات والملابس للمقاتلين ، اما الان وقد اصبحوا على مقربة منا ، فلا مشكلة ، عندما يجوع المقاتلون ، يرتبون دورية انقضاض عـلى احـد المواقـع المعـاديـة ، فيحضرون الطعـام الطازج · وعـندما تقـل التجهيزات ، يحضرون التجهيزات والذخائر والاسلحـة ، انهـا تجربة حـرب الشعـب الجبلية ·

وبعـد يومين استشهد ابو خـالد جورج ، تاركا بعض البصمات الخـالـدة عـلى صفحـة الثلج ، وعـلى ملامح التجربة ·

الغريب ان يتساقط الثلج في شهر آب ، والاغرب هذا الضباب الكثيف الى درجة فقدان الرؤيا ·

هكذا هتف ابوعـمار، احـد مواطني بلدة كفرسلوان ·

البرقيات تتدفق عبر اجهزة اللاسلكي من صنين ·

ـ البرد قاس جدا ، البطانيات تعتصر ماء بعد ان تمزقت جميع الخيـام ، حالات من التجمد تصيب خمسة مناضلين · الضباب كثيف · المعنويات عالية· تعليماتكم ·

شعرت بقشعريرة برد تمزق عظامي ، وانا استمع الى البرقية ·

وجاء رد الاخ ابوخـالد ليضعـني بين شعـور عـميق ورغبة في الحـزن والضحـك في ان واحـد ·

ـ المحافظة عـلى مواقعـكم · سنحاول عـمل شيء بعـد ان تخف وطـأة الضباب · استخدموا وسائل التدفئة المتوفرة لديكم ·

استخدمـوا وسائـل التدفئـة المتوفرة لديكم ·

لو توفرت هـذه الوسائـل ، لما حصلت حـالات التجمد · واستمر الضبـاب والبرد وهطلت امطار غزيرة جدا ·

وبلغت حالات التجمد اثنتي عشرة حالة ·

في اليوم التالي زارني الملازم يغمور امر موقع صنين · تعرفـت عليـه بصعوبة · من بين ملابسه التـي تلفه باحكام ما عـدا وجهه · عيناه تشعـان كانهما عينا صقر وقف فوق صخرة كبيرة يحدق في عصفور جميل يحـوم في السماء ·

لفت انتباهي احمرار وجنتيه ، الدم الاحمر يكاد يتفجر منهما خيل الي انني لو لامستهما فسيخرج دمه على اصابعي لقد اصبح وجهه قالبا من الثلج الاحمر ٠

تذكرت سؤال ذلك المقاتل ٠ غمرني شعور ورغبة في الضحك وانا احاول الربط بين احمرار وجنتي الملازم يغمور ، وبين سؤال المقاتل :

لماذا تفاح هذه المنطقة احمر ؟



ـ ٥ ـ

اربع جعب وكلاشنكوف واحد :

المقاتلون يلصقون اذانهم باجهزة الرايو ٠

قادة المحاور يلتصقون باجهزة اللاسلكي ٠

الجبل كله اصبح اذانا صاغية للاخبار ، البلاغات العسكرية تتوارد ، الموسيقى الحماسية والاغاني الثورية تلهب المشاعر ، الحذر ، والترقب يطبقان حصار الصمت ٠

في العيون تنفجر عشرات الاسئلة وعشرات الاحتمالات ٠

صيدا تأكل الدبابات ٠

صوفر تقف حاجزا قويا في وجه الاليات ٠

بيروت اقوى من راجمات الصواريخ ٠

ورغم كل ذلك ، فالضربة قد تكون في الجبل ٠ الجبل هذا الجسر المغلق بالاف البنادق ، والخنادق في وجه مؤامرة تجزئة العين الواحدة ، في المساء ، الوجبة الاولى من راجمات الصواريخ تمشط المنطقة ٠ تبذر المنطقة شظايا ٠ تلطخ صفاء السماء باعمدة الدخان والغبار ٠

يسقط شهيدان ٠ ويجرح اربعة ٠

كثير من الامور والقضايا ترهق القادة ، بينما يتصرف المقاتلون معها ببساطة ومرح رغم ارتباطها الوثيق بمصيرهم ٠ وطموحاتهم الخاصة والعامة ٠

المقاتلون في حركة مستمرة ٠ منهم من يعبيء مخازن سلاحه بالذخائر ،

ومنهم من ينظف سلاحه ، ومنهم من يحزم امتعته ، ومنهم من يودع بعض اصدقائه ٠ الجميع سيكون جاهزا للتحرك بعد ساعة الى المواقع الجديدة الىنصف الدائرة الاخر ٠

يقف بعضهم امام خنادق الاتصال ودشم الاسلحة ٠ وكأنه يودع عزيزا عليه ، الخنادق التي حفروها بعرقهم ودمائهم طوال مدة اقامتهم على هذه التلال ، حتى اصبحت جزءا منهم محفورة في ذاكرتهم ٠ كما هي محفورة في صخور الجبل ٠

النقيب ماهر يشرف على تجهيز عناصره بنفسه ، يتفقد لوازمهم وتجهيزاتهم فردا فردا ٠

يداعبهم يضاحكهم يحاورهم وهم في حالة من الفرح ٠ تلك العلاقة الخفية التي تجمع بين القائد وعناصر في الثورة ٠ القائد يودع عناصره ٠ بحزن عميق ٠ كل واحد قطعة من جسده بينما المقاتلون يندفعون لتحقيق مهمة القائد ٠

ذلك الرباط القوي الذي كان يجمع بين قادة ومقاتلي الجبل والذي حرص الجميع على الحفاظ عليه ، وتقويته ٠

هذا هو دافعنا الى الصمود والنصر ٠

دخلت غرفة النقيب ماهر كان مزيجا غريبا من الحماس والنشاط والحزن٠ قلت مستوضحا : ـ

ـ هل من جديد ؟٠

ـ نعم لقد طلب مني قائد المنطقة ان ارسل فصيلا مجهزا الى نصف الدائرة الاخرى ٠ بالرغم من انني اشكو قلة العناصر في محوري ٠

ـ لقد طلب مني نفس الطلب ، وارسلت له المطلوب ٠ وانت تعلم انني اعاني ما تعانيه ٠

وسيطرت علينا الحيرة ،وكلانا يعرف ما يدور في راس الاخر ٠ وكلانا يعرف ما يدور في رأس القائد ٠

الحسابات العسكرية ـ ترتبط بالقرارات السياسية ، والقرارات السياسية تعتمد على القدرات العسكرية ٠

اننا بحاجة الى قوات عسكرية اضافية الى ذخائر واسلحة وبحاجة الى

معـرفة اي نصف من نصفي الدائـرة اهم من الاخـر ٠٠

في هذه الاثناء دخـل عـلينا مقاتـل يمني يبدو عـليه الاضطراب ٠ يخفي خـلف عـينيه القاسيتين ارادة قوية ، اجعـد الشعـر ، اسمر البشـرة،

وخاطب النقيب ماهر :

ـ اريد ان تصرف لي جعبة جديدة !

نظرت اليـه ، تفحصته من اعـلى راسه الى اخمص قدميه ٠ ضعـيف البنيـه قصير القامة يحمـل جعبتين عـلى جنبيه ، وجعبة ثالثة على صدره ! ٠

كان منظره مثيرا للضحـك وهو يخـاطب النقيب ماهر ٠

قلت مستغربا : ـ

ـ ولكنك تحمل ثلاث جعـب يا ابا الطول ٠

ـ الاولى احضرتها معـي من العـرقوب وهي لمقاتلة اسرائيل ٠

الثانية عندما حضرنا الى عينطورة لتحطيم مؤامرة تقسيم لبنان

والثالثة ٠ لانهـم قالوا ان القوات الانعـزالية طلبت قوات دولية لمقاتلتـنا ٠

اريد جعبة رابعـة لانني ذاهب الى موقعـي الجديد ٠ الى نصف دائرة المؤامرة الاخـر ٠

حضنت المقاتل ، وقبلت رأسه ٠٠

ـ هـل انـت يمنـي ؟

ـ كلا انا فلسطيني رغـم اني ولـدت انا وجميع اجدادي في اليمن ٠

قال لـه النقيب ماهر مازحـا ٠٠٠

ـ هل سمعـت الاخبار يا ابـا الطـول ؟

ـ كلا ٠ هل مـن جديد ؟ ٠

ـ لقد صدرت الاوامر للقوات اليمنية المتواجدة فـي لبنان ، ان تقاتل مـع الانعـزاليين ضدنا ٠

نظر الينا بمرح ثم ضحـك وقال ببراءة :

« اذن اريد جعبة خامسة »٠

★ ★

— ٦ —

**وللمدفعية حكاياتها : ـ**

وصلتنا دفعـة جديدة من الاسلحـة ، بينهـا بعـض مدافع الهاون ودفعـة جديدة من الذخـائـر ، بينهـا كمية من القذائف ٠

كان امر المدفعية مركزيا ، نظرا لقلة عدد المدافع الموجودة في المنطقة وكـان ذلك يحـد من امكانية السرعـة والتلبية ، خاصة بعد ازدياد عـدد المحـاور التي الحقت بالمنطقة والتي استجدت بعد دخول القوات الاخرى طرفا مباشـرا فـي الصراع ٠

فكان اذا ما تعـرض محـور لقصف او لمعـركة ، تطلب رماية المدفعية من قيادة المنطقة ، وقد يحدث قتال عـلى اكثر من محـور وتطلب الرماية عـلى اكثـر مـن هدف ، الامر الذي يجعـل امكانية التلبية اقـلسرعـة وفعـالية ٠

وكان هاجسنا احتمال انفجـار المعـركة عـلى كل المحاور او معظمها بالاضافة الى انخفاض قوة المناورة لدىقائـد المحور فـي المعـركة ، لعـدم سيطرته عـلى الرماية بشكل مباشر ٠

وكان طموح قيادة المنطقة انه يستطيـع كل قائـد محـور ادارة معـركة مستقلة عـلى محورة اذا كانت محـدودة ٠

لذا ، وعـندما توفرت المدافـع الكافية والقذائف الكافية الحـق في كل محور بطاريـة مدفعية ١٢٠ ملم و٨٢ ملم و٨١ ملم ، مـع مستودع مستقل مـن القذائف ٠ مع اهداف محددة للتعامل معها ٠



**( ١ ) سعادات يقصف نفسه**

منذ الصباح ، والانعـزاليون يقصفون التلة الغربية بـمدفع ١٢٠ ملم من موقع جديد غـير مسجـل عندنا ٠ اتصلت بالمواقع الامامية ، لمراقبة مكان المدفـع، وتحديده عـلى الخـارطة ٠ فكان الامر صعبا لان المنطقة التي يقصفون منهـا داخـل بلدة بولونيا والضباب يغـطيها تماما ٠

وفي اليوم التالي ، ذهبت لملاحظة المكان وبدأ المدفع باطلاق القذائف ٠ طلبت رماية المدفعية ، بعد تحديد المكان ٠ القذيفة الثالثة سقطت في نفس المكان ٠ طلبت تسجيل الهدف « باسم سعـادات »٠

وسعـادات هو احـد عناصرنا من رماة المدفعية ٠

ضخم الجثة ، كبير الراس ، املس الشعر ،كبير الفم ،حافي القدمين باستمرار لعدم وجود احذية على قياس قدميه رغم الشوك ومسامير الصناديق والاحجار الصخرية المدببه ٠

يضحك باستمرار وبصوت مرتفع ٠ يضحك لانه يضحك ٠ عندما يتكلم مع شخص الى جانبه ، يبدو وكأنه ينادي عليه عن بعد مئة متر ٠

ولدت زوجته ذكرا وهو في الجبل ٠ ذهب اجازة لمدة يومين وسمى ابنه يعيش ٠ وعندما سألناه لماذا هذا الاسم الغريب قال :

ـ غدا عندما يسأله احد عن اسمه يجيب يعيش سعادات ، اي يعيش انا ٠

وكان سعادات مجازا عندما سجلنا الهدف المعادي باسمه ٠ حضر سعادات وذهب ابو الهيجاء امر البطارية اجازة الى صيدا ٠ وفي اليوم التالي، وبينما افوم بتفقد المواقع ، بدأ العدو بقصف مواقعنا من نفس المكان وبغزارة٠ على جهاز اللاسلكي طلبت من المدفعية التعامل مع الهدف سعادات وكان على جهاز المدفعية يكلمني المناضل سعادات ، سمعت ضحكته على الجهاز ٠ وبانفعال رددت الامر ٠

ـ ثلاث طلقات متتالية على سعادات !

ازداد في الضحك ٠٠٠ صارخا : ـ

ـ هل تكلمني انا ٠٠٠ ام تكلم الكتائب حتى يقصفوا سعادات !

وفي حالة من الاضطراب نتيجة القصف المركز والمؤثر طلبت منه ان يعود الى ورقة تسجيل الاهداف ، وبتعامل ٠

نفذ الامر ٠ وعندما اصبح جاهزا وهو يضحك ايضا ٠٠٠

ـ جاهز ٠

ـ ثلاث طلقات متتالية ارم ٠

ـ ثلاث طلقات على راس سعادات رمى٠ رمى ٠ خمس طلقات بدل الثلاثة٠٠ اسكتت مواقع العدو ، عندها ضحكنا من الاعماق ! ٠



(٢) ابو حديد يتعلم الرماية

في محور عينطورة النقيب ماهر يعاني من مشكلة اسمها أبوحديد ٠

وابو حديد يبلغ من الوزن ثلاثة رجال من الحجم المتوسط ٠

يطلق النار باستمرار رغم العقاب المتواصل ، يحمل مسدسين ويطلق النار من الاثنين علـى الحجارة علـى الاشجار ، علـى اي شيء ... يضعـه فـي الكمائن الامامية فتصبح هذه الكمائن بحاجة الى نهر متدفق من الطلقات .

قال لـه النقيب ماهر : علـى اي سلاح لا تستطيع الرماية .

اجاب : ـ علـى المدفعية .

ـ اذن انت منقول الى بطارية المدفعية .

كانت المدافع موجهة الى الاهداف المعـادية ، كل مدفـع باتجاه هدف وكلمـا صدر امر بالرماية يهرول ابوحديد الى المدفـع ويرمي حسب الاوامر .

في احدى الايام قـام امر البطارية بتنظيف المدافـع ونصبها دون توجيـه حتى تجف . وحـدث ان حصـل اشتباك في نفس اليوم مع العـدو ، فاصدر امر المحـور تعليماته للمدفعية بالتعامـل . هرول ابو حديد دون ان يعـلم ان المدافع غـير موجهة ، واطلق ثلاث قذائف . سقطت بالقرب من النقيب ماهر .

اصدر ماهر امرة بايقاف الرمي فورا . وعـرف ان ابوحديد هو الرامـي فاقترح احد العناصر عليه ، ان ينقله الى الكتائب حتى يستنفذ ذخيـرة العدو .



**(٣) ثلاث قذائف فقط !!!**

ابو حسين هو رجل المدفعية الاول لثلاثةاسباب : ـلانه امر مدافع ال ١٢٢ملم وال ١٣٠ ملم . ـ لانه امهر رام . ـ لانه يهدد ويزمجر ويتوعـد العـدو ، منذ ان ياخـذ امر الرمي وحتى تصل القذيفة الهدف. واذا اخطأت القذيفة الاولـى يشتم ويهددهم بالثانية .

ابو حسين بسيط التعليم ولكنه يتقن كل العلوم المتصلة بالمدفعية .

يقرأ الجرائد والمجلات والكتب باحثا عـن كلمة مدفع او قذيفة .

يقرأ ليعرف تاثير المدفعية وفعاليتها في الحروب فقط .

حضر الى المنطقة اربعـة ضباط مدفعية اقلهم برتبة رائد ، اجتمعـوا مـع ابوحسين لتضبيط المدفعية ، وكان الضباط قد تدربوا في كليات الجيوش العربية. اخرجوا خرائطهم ومساطرهم واجهزتهم .

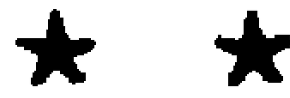
طلب منهم قائـد المنطقة رماية هدف معـاد في احدى قمم صنين .

اطلقوا اكثر من عشرين قذيفة والهدف ما زال قائما كما هي حساباتهم واجهزتهم وخرائطهم قائمة.

ابو حسين لا يتكلم يكتفي بعض شفته السفلى باسنانه. يدخل على ابوخالد منفعلا وبالحاح طلب منه ان يسمح له بالرماية. على الهدف طلب ثلاث قذائف فقط.

رمى القذيفة الاولى وكانت على يمين الهدف بثلاثمائة متر. الثانية امام الهدف بمئتين متر. الثالثة وما ان انفجرت حتى اصبح الهدف دخانا اسود.

وترك مكانه وهو يشتم الهدف ويهدد ويتوعد. بينما احد الضباط يسأل عن رتبة ابوحسين العسكرية. وذهل عندما عرف انه مناضل فقط في الثورة الفلسطينية.



(٤) لن يمروا :

بواسطة جهاز اللاسلكي، ضبطنا المكالمة التالية للقوات الانعزالية :

ـ ساحضر انا والزملاء الثلاثة الان لطرفكم.

ـ كلا لا تحضر.

ـ لماذا ؟

ـ لانهم يلاحقون حتى العصافير بقذائف المدفعية.

ـ اذن ارجو ابلاغي، عندما يتوقفون عن الرماية.

ـ اعتقد انك لن تتمكن من الحضور اليوم، لانهم يلاحقون اية حركة.





الشبل ... يخترق الحصار.

انعكست الازمة التموينية على الجبل وزاد في حدتها بعد احكام الحصار والسيطرة على طريق قبيع من قبل القوات السورية الممر الوحيد الى المنطقة.

مستوى التموين في انخفاض مستمر من حيث الكمية ومن حيث القيمة الغذائية علائم الارهاق والجوع بدأت تظهر على المقاتلين.

قادة المحاور بدأوا يواجهون طلبات ملحة من قبل المقاتلين ومطلوب منهم ان ان يوضحوا لكل مقاتل ماذا يعني وضعنا في حالة حصار تمويني٠

رغيفين من الخبز ــ وعلبة سردين ــ وحبة بندورة او خيار غذاء المقاتل اليومي في مواجهة البرد القاسي والارهاق وحفر الخنادق وتحصين المواقع ومواجهة العدو ٠

في احدى الدشم الرملية جلست مع بعض المقاتلين بعد دورية ناجحة قام بها بعضهم على طريق بسكنتا المروج ٠ وعندما تطرقنا الى الحصار التمويني المفروض حول الثورة كانت تعليقاتهم : ــ

ــ لقد اصبح بطني بركه سردين ٠

ــ في بطني معمل لرب البندورة ٠

ــ قبل الحصار كنت اشكو من وجود الدود في بطني اما الان والحمد لله ولاخواننا في دمشق فقد مات الدود جوعا ٠

ــ صحيح ان الجوع هو ابو الثورات في العالم ٠

ــ لو صدر قرار الهجوم على مواقع الانعزاليين ساطهر المطابخ من التموين ٠

ــ المهم ان يبقى السردين والبندورة والخبز متوفرا ٠

وهكذا تستمر تعليقات المقاتلين المرحه حول الحصار التمويني بينما الجوع يداعب (معدتهم) ٠

لم تكن هذه القضية تشغل بال المقاتلين اكثر مما تشغل قيادة المنطقة ٠وقادة المحاور ٠ كيف نحطم هذا الحصار ؟٠ كيف نوفر المواد الغذائية الاساسية ؟ كيف نستفيد من القيمة الغذائية على حساب الكمية ؟كيف نوفر الطعام المرزوم للمقاتلين ولمدة اسبوع على الاقل في حال نشوب المعركة ؟٠

تمنا بتشغيل فرن مهجور وقد تبرعت بعض النسوة من المنطقة بالعمل فيه ٠

وتقرر تخزين المواد الغذائية ٠

فرغم الجوع ، تجد في الكمائن تموينا مخزونا بانتظار المعركة ٠

المعركة حتمية بعد الحصار ، والحصار يفرض حالة قصوى من الحذر والحذر يجعل تفكير الجميع ينصب على كيفية تحطيم الحصار ٠

مقاتل على سبيل المداعبة يقترح ان نزرع المنطقة قمحا وبندورة ، يقترب منه

مقاتل اخر هامسا في اذنه ان القمح والبندورة لا ينبتان في الثلج ٠

ـ ماذا يزرع في الثلج ؟

ـ لا شيء غـيرنا ٠

احد المقاتلين يقف متحديا ، من فيكم يعـرف لون اللحـم الطازج ؟

جواب : لا احد ، منذ شهر لم نر اللحم الطازج ٠ ربمـا تغيـر لـون اللحم خلال هذا الشهـر ٠ هناك امور كثيرة قد تغيرت وتبدلت خلال هذا الشهر ٠

وانطلق الجميع الى مواقعـهم لاتمام عـمليات التحصين ٠

وفي صبيحة اليوم التالي ،حضر الشبل سعـدالله ،

وسعـدالله ، عـمره لا يتجاوز الرابعـة عشرة ، يضحـك باستمرار يثرثـر باستمرار ، ولكنه يجيد لعبة الموت ٠ اخبرني ان هناك بعضـ رعاة الماعـز يقتربون من مواقعـنا بحجة الرعـي ، واعتقد انهـم يحضرون لاستطلاع هـذه المواقع ٠

فقد شاهدت في الصباح من خـلال المنظار ان احدهـم يحمـل بندقية ام ١٦ عـلى كتفه ومنظارا عـلى صدره ٠

ـ ولماذا لم تطلق النار عـليه الست فدائيا ٠

اطرق الى الارض واجاب هامسا : بلـى انا فدائـي ٠

هل من شيء اخـر ٠٠؟٠

ـ الحيطة والحـذر ؟ ٠

وعندما بدأت الشمس تتهيأ للغوص في رحم الجبل ، والمقاتلون ينطلقـون لمراقباتهم الليلية المتقدمة ، والكمائـن الليلية تستعـد للانطلاق ، انفجـر الصمت فجأة وبشكل عـنيف ٠

اربعـة رشاشات ثقيلة ترسل اربعـة سيول متصلة من طلقات ال ٥٠٠ قذائف الهاون تتساقط على التلة الغربية بشكل مثير ٠

اعتقدت باديء الامر ان هجـوم قد وقـع عـلى التلة ٠

اتصلت بالمراقبات الامامية لا شيء ٠ لا نشاهد سوى الطلقات ، رشاشاتنا ترد عـلى مصادر النيران ٠

مدفعيتنا تقصف مواقـع العـدو قذائف متلاحقة ٠

برقية الى قيادة الجـبل :

«لا شيء عندنا سوى تبادل بالرشاشات والمدفعية» ٠

وبعد نصف ساعة ، عاد الصمت ليخيم على المنطقة ، ويرمي بظلاله الثقيلـة على النفوس الثائرة ٠ انفجار لغم يحدث دويا امام تلة الزعرور اليمنى ٠

وحضر سعد الله ، والضحك يجعلك لا تفهم ماذايقول، ولكن ظهرخلفهشليةمن الماعـز ، اصبح الموقف الان واضحـا ، ونتائج ودوافع الرمايات واضحـة ايضا ، خسائرنا لا شيء وخسائرهم مئة وعـشرون راس ماعـز وعدة الاف مـن الطلقات والقذائف ٠

ماذا حـدث يا سعـداللـه ٠٠

انفجر ضاحكا ، عـندما خرجت من عـندك ، اعـلمت قائد الموقع بانني مكلـف من قبلك بتصفية الراعـي ، لانه ضابط استطلاع للعـدو ٠

كمنت له في المكان الذي يحضر اليه يوميا ، وبعـد ساعـة حضر مع الماعـز ٠ اطلقت عليه النار ، فارديته قتيلا ، وبسرعة جردته من بندقيته ومنظاره ٠

قلت في نفسي ساقدم المنظار لك ، والبندقية لابوخالد ولكن ماذا ساقدم لرفاقي فقررت احضار جميع الماعز وفي الطريق انفجر لغم فقتل سبعة منها ٠

ارسلنا الماعـز الى قيادة المنطقة ٠ وقدم الشبل سعـدالله البندقية لـلاخ ابوخالد ٠ عانقه ابوخالد ـ واهداه مسدس ٧ ملم ٠

وقضينا عشرة ايام ، ونحـن نأكل اللحم الطازج يوميا ٠

# احتمال "الحل السلمي" وموقع المقاومة الفلسطينية منه

د. محمد ربيع
جامعة جورج تاون - الولايات المتحدة

يعتقد الكثيرون من رجال السياسة والمثقفين العرب وغير العرب ان الصراع العربي الاسرائيلي قد اوشك على الانتهاء وان احتمالات حله سلميا تبدو شبه مؤكدة · اذ ان حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ خلقت العديد من الحقائق الجديدة ورسخت بعض الحقائق القديمة والتي اهمها :

١ ـ انتهاء اسطورة التفوق العسكري الاسرائيلي على العرب ومعها اسطورة التخلف العربي ·

٢ ـ عدم امكانية القضاء على اسرائيل ، على الاقل في هذه المرحلة من مراحل الوفاق على الساحة العربية والساحة الدولية ·

٣ ـ رفض المجموعة الدولية لاستمرار اسرائيل في احتلال الاراضي العربية التي استولت عليها في سنة ١٩٦٧ ومعارضتها لاجراءات التهويد في تلك الاراضي ·

ان الاعتقاد بصحة هذه الحقائق وواقعيتها قاد الدول العربية المتصلة مباشرة بالصراع الى اتخاذ مواقف اكثر ايجابية من مشاريع الحلول السلمية المقترحة · ودون الدخول في مناقشة تفاصيل الحلول المقترحة ، وذلك لان التفاصيل تبقى من اختصاص المتفاوضين ، يقوم الحل في اطاره الشامل على الاسس التالية :

١ ـ انسحاب اسرائيل من كافة الاراضي العربية التي احتلتها سنة ١٩٦٧ ·

٢ ـ الاعتراف بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني ·

٣ ـ اقامة دولة فلسطينية مستقلة ذات علاقات خاصة بالاردن في كل من

الضفة الغربية وقطاع غزة ٠

٤ ـ انهاء حالة الحرب مع اسرائيل والاعتراف بها ضمن حدود ما قبل حرب حزيران سنة ١٩٦٧ ٠

٥ ـ الاعتراف الفلسطيني بدولة اسرائيل وبحقها في الوجود ضمن حدود سنة ١٩٦٧ ٠

هذه الاسس تعكس بوجه عام القاسم المشترك الاعظم لاراء المجموعة الدولية ممثلة في قرارات هيئة الامم المتحدة ومواقف وسياسات كل من الاتحاد السوفيتي والمجموعة الاوروبية ، والى حد كبير ، سياسة حكومة الولايات المتحدة الاميركية ٠ كما تحتل في الوقت ذاته الحد الاقصى من التنازلات العربية في مقابل سلام في المنطقة يعيد للفلسطينيين بعضا من حقوقهم المسلوبة ويوفر اجواء مناسبة لنجاح مشاريع التنمية وتحقيق التقدم لمختلف الشعوب العربية ٠

ان السعي من اجل التوصل الى الحل المقترح لا بد وان يأخذ في اعتباره امورا كثيرة اهمها : ماذا لو فشلت جهود السلام ، وكيف نقوي احتمالات نجاحها ونتحاشى الى اكبر حد ممكن نتائجها السلبية على الواقع العربي ؟ لذلك نرى انه من الضروري الاجابة على الاسئلة الثلاثة التالية كأساس لبناء « استراتيجية التفاوض » وابعادها المختلفة ٠

١ ـ هل من الممكن تحقيق الحل المقترح ٠٠٠ اي هل ان القوى الفاعلة عربيا ودوليا قادرة في المرحلة الحالية على فرض هذا الحل وراغبة في تحقيقه ؟٠

٢ ـ واذا كانت الاجابة على السؤال الاول بالايجاب ٠٠ ما هو الاسلوب الافضل الاكثر فعالية للوصول الى ذلك الحل ؟

٣ ـ ما هي الادوار والمسؤوليات التي يجب ان تقوم بها الاطراف العربية المعنية بالحل وذلك من اجل التحضير لمرحلة المفاوضات وتقوية احتمالات نجاحها؟

**امكانية تحقيق الحل المقترح**

ان الجهود السياسية والاعلامية التي تبذلها الدول العربية المعنية بالحل ، وبشكل خاص الحملة الاعلامية التي تقودها جمهورية مصر العربية وردود الفعل عليها بين اوساط رجال السياسة والاعلام والمثقفين الاوروبيين والاميركيين ،تشير الى امكانية نجاح تلك الجهود ٠ اذ بينما تخاطب الحملة الرأي العام العالمي

باسلوب ذكي يفهمه ويتقبله ، تركز على قرارات هيئة الامم المتحدة وتعلن تجاوبها مع المنادين بالسلام ورغبتها في تحقيقه · الا ان نجاح تلك الحملة او عدمه يبقى محصورا ضمن حدود مقدرتها على النفاذ الى صانعي القرار السياسي ، والتاثير في تشكيل ما يصنعونه من قرارات ·

ان محاولة التعرف على مدى فاعلية تلك الجهود ، وبالتالي مدى نجاحها في تحقيق هذف السلام في الشرق الاوسط تستوجب تحديد اطراف النزاع الرئيسيين والقوى التي تملك القدرة على تقرير مصيره · وعلى الرغم من تعدد القوى ذات العلاقة القوية بالصراع العربي الاسرائيلي ، فان القوى الاساسية التي تملك قوة الفعل وبالتالي تحديد مصير جهود السلام الحالية هي :

١ ـ القوة العربية وتشمل الدول العربية الساعية من اجل التوصل الى حل سلمي ، ومن ضمنها غالبية القوى الفلسطينية والدول العربيةالنفطية التي تساند تلك الجهود وتساهم في دعمها ماديا وسياسيا ·

٢ ـ اسرائيل ومن ورائها الحركة الصهيونية العالمية ·

٣ ـ الولايات المتحدة الاميركية ·

٤ ـ الاتحاد السوفياتي ·

وهذه القوى جميعا تبدي رغبتها في تحقيق السلام في الشرق الاوسط وتعلن عن استعدادها للتعاون مع كل الجهود التيترمي الى تحقيق ذلك الهدف· الا ان تباعد وجهات نظر الاطراف المعنية واختلاف اهدافها وتناقضاتها يجعل قضية التوصل للحل المنشود قضية في غاية الصعوبة · وعلى العموم لا يمكن تسوية اية قضية سياسية متنازع عليها الا اذا توفر واحد او اكثر من الاحتمالات التالية :

الاحتمال الاول : توصل الاطراف المعنية اساسا بالنزاع الى حل وسط يقبلون به ويضعون حدا للنزاع على اساسه ·

الاحتمال الثاني : حصول احد الاطراف على القوة الكافية لفرض الحل الذي يريده على الاطراف الاخرى ·

الاحتمال الثالث : قيام قوة ثالثة باستخدام ما لديها من امكانيات الترغيب والاقناع وربما التهديد بفرض حل على الاطراف المعنية اساسا بالنزاع ·

ولما كان العرب والاسرائيليون هم الاطراف المعنية اساسا بالنزاع فان مجريات الامور على الجانبين تشير الى عدم توفر الاحتمال الاول٠اذ ان اسرائيل كحكومة واحزاب سياسية ورأي عام وحركة صهيونية ترفض الحل العربي المقترح وباغلبية كبيرة ٠ كما ان العرب كحكومات وشعوب يرفضون وبشدة الموقف الاسرائيلي من الحلول المقترحةووجهة نظر الاسرائيليين من الحل الممكن٠ اذ ان الموقف الوحيد الذي اعلن بشكل محدد كان يتراوح ما بين مشروع الون الى مشروع رابين بعقد مؤتمر سلام على غرار مؤتمر هلسنكي للامن الاوربي ، وهو المؤتمر الذي اتجه الى ترسيخ الامن في اوروبا على اساس الاعتراف بالامر الواقع والقبول بالحدود التي صنعتها الحرب العالمية الثانية ٠

ان اسرائيل التي تحاول عرقلة مؤتمر جنيف وترفض اعلان مطالبها من الجانب العربي في مقابل السلام تسير في سياسة تهويد ما احتلته من الاراضي العربية في سنة ١٩٦٧ بخطى حثيثة وثابتة ٠ فالى جانب اعلان ضم القدس وتغيير معالمها التاريخية تقوم ببناء المستوطنات في الضفة الغربية والجولان وسيناء وتعمل على توطين اللاجئين الفلسطينيين في قطاع غزة ٠ يضاف الى ذلك ضعف الحكومة الاسرائيلية – اي حكومة رابين– وتعرضها للضغوط والازمات المتكررة السياسية منها والاقتصادية ٠ وبينما تبدو حكومة رابين غير قادرة حتى على تنفيذ قرارها بالغاء مستعمرة كفر قدوم في الضفة الغربية يتصاعد نفوذ الكتلة الدينية وتزداد قوة الاتجاه الديني الذي يرفض الانسحاب من اي جزء من الاراضي العربية المحتلة ٠

واثناء زيارة بيريز وزير الدفاع الاسرائيلي ، للولايات المتحدة الاميركية في شهر ديسمبر سنة ١٩٧٦ ، اي قبل ايام قليلة ، صرح بان هدف اسرائيل من حضور مؤتمر جنيف هو محاولة تحسين سمعة اسرائيل في الخارج واعطاء صورة افضل عن رغبتها في السلام ، وليس من اجل تغيير سياسة اسرائيل او تعديل مواقفها ٠ ولذلك يرى بيرز ان مصير مؤتمر جنيف الفشل ومعه جهود الرئيس السادات في قيادة العرب من اجل السلام في سنة.١٩٧٧ ٠ اما رأيه فيما يقال بان الرئيس الاسد سيقود العرب الى الحرب مع اسرائيل في سنة ١٩٧٨ – اذا لم يتحقق السلام – فانه يتلخص في عدم قدرة العرب على الحرب لانهم لا يملكون التفوق العسكري المطلوب ولا يستطيعون شن حرب مفاجئة اخرى كحرب سنة ١٩٧٣ ٠ ومن اجل تدعيم هذه المواقف يطالب بيرز الولايات المتحدة بتقديم مساعدات عسكرية لاسرائيل للعام ١٩٧٧ قيمتها ١٥٠٠ مليون دولار ومساعدات اقتصادية قيمتها ٨٠٠ مليون دولار ، اي ما مجموعه ٢٣٠٠ مليون دولار لعام ١٩٧٧ فقط ٠ كما طالب الرئيس فورد بالايفاء بوعوده التي اعلنها

اثناء حملة انتخابات الرئاسة الاميركية بالموافقة على اعطاء اسرائيل كل الاسلحة المتقدمة التي طلبتها ومن بينها صواريخ بيرشنج و ٢٥٠ طائرة ف ـ ١٦ وتمويلها ٠ اما رأي بيرز فيما يتعلق بحل قضية الشرق الاوسط ودور امريكا فيها فقد قدمه على شكل نصيحة للرئيس المنتخب كارتر ويتلخص في ان افضل ما تستطيع ان تقوم به امريكا في مجال خدمة قضية السلام في الشرق الاوسط هو في محاولة قيامها باتباع اساليب جديدة وخيالية لاضعاف دور النفط العربي وعدم الخضوع لمطالب وضغوطات شيوخ النفط ، وهم الذين استطاعوا تركيع اوروبا الغربية واذلالها ٠ وهكذا يعلن بيرز ببساطة ـ ولو بشكل غير مباشر ـ عن تمسك اسرائيل باحتلالها للاراضي العربية ، ويأمر الولايات المتحدة بتقديم المساعدات والاسلحة التي تحتاجها حكومته ويدفع كل القوى والدول التي تحاول اتخاذ مواقف معتدلة تنادي بالسلام على اساس الانسحاب الاسرائيلي ، بانه خضوع واذعان للدول العربية المصدرة للنفط ٠

واذا كان من غير الممكن ضمن معطيات الواقع العربي والواقع الاسرائيلي التوصل الى حل مقبول من كلا الطرفين ، فان ملابسات حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ وما تبعها من احداث ومضاعفات اثبتت انه ليس لدى اي طرف من اطراف الصراع الرئيسين القدرة على فرض الحل الذي يريده على الطرف الاخر ٠ وضمن هذا الاطار تأمل اسرائيل باضعاف الجانب العربي على المدى الطويل وادخاله في صراعات داخلية وجانبية تشغله عن قضية الاحتلال وتضمن لاسرائيل فرض سياسة الامر الواقع على الامة العربية ٠

ان توجيه الحملة العربية الاعلامية والدبلوماسية الى امريكا يظهر بوضوح ان احتمال قيام طرف ثالث باستخدام ما لديه من قوة ونفوذ لفرض حل معين على الاطراف المتنازعة هو المدخل الوحيد لاقرار السلام في الشرق الاوسط في رأي اصحاب هذا التوجه ، اذ عندما يقول الرئيس السادات بأن امريكا تملك ٩٩٪ من الاوراق فانه يطالب حكومة الولايات المتحدة في الوقت ذاته باستخدام ما لديها من اوراق لحسم النزاع الى جانب السلام في المنطقة ٠

ولما كان الجانب العربي والاتحاد السوفيتي يقبلان الحل الذي رسمت حدوده المجموعة الدولية ويسعيان لتنفيذه ، فان احتمالات نجاح جهود السلام تتوقف على مدى قدرة ورغبة امريكا في اجبار اسرائيل على قبول ذلك الحل ، اذ ان اعتماد اسرائيل على الدعم المادي والعسكري والدبلوماسي الذي تحصل عليه من الولايات المتحدة الاميركية يجعل مصير اسرائيل كدولة رهنا بارادة الحكومة الاميركية ٠ وبينما تملك الولايات المتحدة الاميركية نظريا المقدرة على حرمان اسرائيل من امكانيات البقاء ومتطلبات الاستمرار ، فهي لا تملك مثل تلك

القدرة او ذلك النفوذ بالنسبة للجانب العربي · وهذا يعني باختصار ان الحل الممكن هو الحل الذي يقبل به العرب ـ ولو بعد ضغوط كبرة ـ وتتبناه امريكا وتقتنع بضرورة فرضه على الجانب الاسرائيلي · فهل تملك الحكومة الاميركية ـ عمليا وليس نظريا ـ القدرة على فرض حل مقبول عربيا على اسرائيل ؟ ·· وهل لديها الرغبة ـ على افتراض انها تملك القدرة ـ في اجبار اسرائيل على القبول بحل عربي او حل متجاوب مع المطالب العربية على تواضعها والمطالب الدولية على اهميتها ؟

ان المراقب لمراحل تطور الصراع العربي الاسرائيلي والمتتبع لمواقف امريكا من طرفي النزاع يلاحظ انحياز امريكا الكامل الى جانب اسرائيل ووقوفها ضد اماني ورغبات الحكومات والشعوب العربية · اذ استطاعت اسرائيل مستخدمة نفوذها داخل امريكا ان تقنع حكومة الولايات المتحدة بتوافق مصالحها فيمنطقة الشرق الاوسط مع مصالح اسرائيل ، وان طريق امريكا من اجل الحفاظ على تلك المصالح ينحصر في الحفاظ على اسرائيل كتواجد بشري واقتصادي وقوة ضغط عسكرية في قلب الوطن العربي · فهل تغيرت السياسة الاميركية ···وهل اصبحت لدى قيادات امريكا صانعة القرار تصورات جديدة لمصالحها في الشرق الاوسط من الممكن ان تشكل اساسا لسياسة اميركية متطورة ، او كما يقولون « متوازنة » تجاه طرفي الصراع ؟

اجيب على التساؤل ، دون الدخول في كثير من التفاصيل « بلا » ، واذكر ما يلي للتدليل على صحة هذه الاجابة ·

١ ـ اضطرار حكومة امريكا الى سحب مشروع روجرز ونسيانه بسبب معارضة اسرائيل ورفضها له ، وهو المشروع الذي تبنته امريكا على لسان وزير خارجيتها روجرز في سنة ١٩٧٠ كاساس لحل النزاع العربي الاسرائيلي · اذ ان قبول العرب بذلك المشروع وابداءهم الاستعداد لحل النزاع على اساسه ، وهو المشروع الاميركي ، لم يكن كافيا لنجاح ذلك المشروع او حتى لاختبار مدى صلاحيته وواقعيته ·

٢ ـ اعلان الرئيس الامريكي فورد ان نصف المساعدات التي تلقتها اسرائيل من امريكا خلال تاريخها على مدى ٢٨ سنة جاء خلال فترة حكم الرئيس فورد نفسه في السنتين الاخيرتين فقط ·

٣ ـ اتجاه الكونجرس في الولايات المتحدة الى تجاوز سلطات الرئيس الامريكي من اجل تقديم المعونات العسكرية والاقتصادية لاسرائيل وتدعيم موقفها

ضد الارادة العربية والارادة الدولية بوجه عام • يؤكد ذلك قيام الكونجرس بايقاف المساعدات الاميركية لمنظمة اليونسكو بسبب قيامها بطرد اسرائيل من المنظمة الدولية واتجاهه الى معارضة المبيعات العسكرية لكل من الاردن والسعودية •

ولقد كان من المتوقع ان يضعف النفوذ الصهيوني والاسرائيلي في امريكا بعد ازمة الطاقة وان يزداد النفوذ العربي وضوحا وفاعلية • الا ان الاحداث ـ مع الاسف ـ اثبتت عكس ذلك • اذ بينما تقوم السعودية ببذل كل الجهود من اجل مساعدة الاقتصاد الغربي وذلك من خلال محاولة تثبيت اسعار النفط وانتاج احتياجات الغرب منه تقاد الحملات في امريكا،خاصة في الكونجرس وعلى لسان الرئيس الاميركي المنتخب من اجل افشال المقاطعة العربية وتشويه سمعة العرب بوجه عام •

ان اسرائيل بما لديها من نفوذ سياسي واقتصادي داخل امريكا استطاعت ان تصبح شريكا في صياغة السياسة الاميركية تجاه الشرق الاوسط والاتحاد السوفياتي • كما استطاعت من خلال خلق وتطوير مراكز القوى داخل امريكا ان تملك حق النقض (الفيتو) بالنسبة لاية سياسة او اي برنامج اميركي شرق اوسطي لا يتجاوب مع اهداف اسرائيل وتطلعاتها •

نستخلص من ذلك كله ان الحل الممكن في المرحلة الحالية ، وهو الحل الذي تستطيع الولايات المتحدة فرضه على اسرائيل ، هو حل تقبل به القوى المساندة لاسرائيل في داخل امريكا • وهذه القوى ، وان كانت تعكس وجهة النظر الاسرائيلية الى حد كبير ، الا انها لا تتبنى الموقف الاسرائيلي برمته • ولذلك اعتقد ان الحل الذي يمكن ان تتبناه امريكا في هذه المرحلة والذي تملك النفوذ والرغبة لفرضه على اسرائيل هو حل يقوم على انسحاب جزئي من الاراضي العربية التي احتلت سنة ١٩٦٧ واعتراف عربي وفلسطيني كامل باسرائيل وبحقها في الوجود ضمن الحدود الجديدة ، وربط المناطق المحررة من الضفة الغربية بالضفة الشرقية في اتحاد فدرالي يحول دون قيام دولة فلسطينية مستقلة وخلق مناطق منزوعة من السلاح حول اسرائيل من ضمنها الضفة الغربية والمناطق المحررة من الجولان وسيناء • اي ان الحل الممكن في ظل الظروف الحالية سوف يكون حلا اسرائيليا في الجوهر وامريكيا في المظهر •

ولما كانت القناعات والمواقف تتبدل تبعا لتبدل المصالح وتتغير تحت وطأة الضغوط الاقتصادية ، فان حصول العرب على حل مرض ومقبول لقضية الصراع

العربي – الاسرائيلي ما زال ضمن الممكن اذا ما توفرت الشروط الضرورية والكافية لتحقيقه ، وذلك لان العرب يملكون القوة الأقتصادية الكافية لخلق ظروف الحل ٠ ولما كانت الاساليب القديمة قد اثبتت عدم فاعليتها فان عليهم ان يعيدوا ترتيب الاولويات وان يحسنوا توجيه الضغوط وتوقيتها ٠ ان غالبية الرأي العام العالمي خارج امريكا وقطاع كبير منه داخل امريكا يشكو من وطأة النفوذ الاسرائيلي وما تسببه له اسرائيل من متاعب اقتصادية وسياسية ٠ ولذلك فانه على استعداد لان يقبل ويوافق على كل ما يمكن العرب ان يأخذوه من اسرائيل في مقابل عودة الامن والطمأنينة التي افتقدها منذ حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ ٠

## صياغة الموقف العربي ودور القوى العربية فيه

يتجه الرأي العام العالمي في غالبيته الى اعتبار المرحلة الحالية للصراع العربي – الاسرائيلي فرصة تاريخية من الممكن ان تعطي ميلادا لحل سلمي يحقق الكثير من مطالب طرفي النزاع وذلك بعد مخاض طويل وتضحيات كبيرة ٠ لذلك كان على الموقف العربي ان لا يكتفي بالتجاوب مع هذا الرأي وما يشتمل عليه من مطالب بليتجاوزه الى حد الضغط المباشر علىالقوى التيتعارض هذاالتوجيه وهي القوة الاسرائيلية والقوة الامريكية ومن ورائهما الصهيونية العالمية والعقلية الاستعمارية ٠ اذ ان امريكا التي اعلنت عن رغبتها في تبني سياسة متوازنة عندما اعلنت مشروع روجرز سنة ١٩٧٠ ، اصبحت في ضوء ملابسات ازمة الطاقة غير ميالة بالالتقاء مع وجهة النظر العربية خوفا من ان يترجم الالتقاء – كما قال بيرز عن اوروبا الغربية – بانه ابتزاز عربي ادى الى تركيع امريكا واذلالها ٠

ان هذا التصور للموقف الامريكي يبدو وكأنه يتناقض مع سياسة امريكا في اعادة بناء جسورها مع كل من مصر وسوريا وبدء عهد جديد شامل من التعاون مع السعودية ٠ الا ان تحليل الدور الاميركي وتفهم اهدافه من الممكن ان يزيل الغموض ويكشف النوايا الحقيقية ٠ اذ ان هدف امريكا من اجراءاتها تلك تتلخص في ثلاث نقاط :

١ – احتواء النفوذ السوفياتي في المنطقة تمهيدا لاخضاع المنطقة للسيطرة الاميركية ٠

٢ – احتواء اهمية النفط المتزايدة ، وبالتالي اعادة تحجيم القوة العربية وترويض جيادها ٠

٣ ـ الحيلولة دون قيام تعاون عربي اوروبي يلغي اعتماد اي من المجموعتين على الولايات المتحدة الاميركية او على الاقل يزيد من احتمالات استقلالها ٠

وعندما نقارن حجم المساعدات الاميركية لكل من مصر وسوريا في ضوء انحسار النفوذ السوفياتي وتحجيم المقاومة الفلسطينية ، سنكتشف نجاح امريكا في تحقيق هدفها الاول ٠ اما بالنسبة للهدف الثاني فان المشوار امام امريكا ما زال طويلا ٠ اذ بينما استطاعت الولايات المتحدة بجهود وزير خارجيتها كيسنجر ان تنهي حظر تصدير النفط العربي دون ان يحقق اهدافه ، فشلت في الحد من النفوذ والثقل العربي المتزايد بالنسبة للدول العربية المصدرة للنفط ٠ وفي مجال التعاون العربي الاوروبي وضعت امريكا «فيتو» على الحوار السياسي بين المجموعتين مما ادى بالحوار العربي الاوروبي الى الجمود ٠

واذا كانت معظم القوى الصديقة في العالم ، وبشكل خاص مجموعة الدول الاشتراكية ودول عدم الانحياز وبعض دول اوروبا الغربية ، تعتبر الحل المقترح اقصى ما يمكن ان يحصل عليه العرب في هذه المرحلة واقرب ما يكون الى العدل ضمن معطيات الواقع الحالية فان اهداف القوى المتحمسة للحل في امريكا تختلف عن ذلك كثيرا ٠ اذ بينما يريد البعض ، ومن بينهم بعض اليهود ، التخلص من وطأة الاعباء الاقتصادية التي فرضها الوجود الاسرائيلي على امريكا ، يريد البعض الآخر ان لا يضيع فرصة عودة النفوذ الاميركي الى المنطقة ٠ اذ ان فشل الحكام المعتدلين في العالم العربي ، من الممكن ـ كما يقولون ـ ان يؤدي الى انتهاء عهد الاعتدال في البلاد العربية وعودة المتطرفين ومعهم النفوذ السوفياتي الى السيطرة على زمام الامور ٠

ولما كان الاتجاه المنادي باغتنام الفرصة هو الاتجاه الاقوى في امريكا ـ على الرغم من انه لا يلتقي مع منطلقات الحل المقترح في تصوره للحل الممكن ـ فان وسائل الاقناع والاعلام الاسرائيلية تحاول اقناع هذا الطرف بخطأ تصوراته ٠ اذ تحاول القوى الصهيونية اقناع الامريكيين المتحمسين للحل بأن من مصلحة امريكا واسرائيل تفويت هذه الفرصة ٠ وعلى الرغم من صعوبة تحديد الاسس التي يقوم عليها المنطق الاسرائيلي في محاولة اقناع الامريكيين بالاتجاه نحو كسب المزيد من الوقت بدلا من التسرع في الرضوخ لمطالب العرب ، فان النقاط التالية تشكل ـ في تقديرنا ـ اهم الاسس والتصورات التي يمكن ان يرتكز عليها المنطق الاسرائيلي ٠

١ ـ لقد اثبتت تجربة الصراع العربي الاسرائيلي على مدى تاريخها الطويل ان ما رفضه العرب في الامس هو اهم ما يطلبونه اليوم ، وان ما يرفضونه

اليوم سوف يشكل مطلبهم الاساسي في المستقبل · ولذلك لا بد من ان يحمل المستقبل مزيدا من المكاسب لاسرائيل على حساب المزيد من التنازلات العربية ·

٢ ـ ان جو المزايدات بين «القابلين» و«الرافضين» في العالم العربي او «المعتدلين» و«المتطرفين» من المؤكد ان يؤدي ـ كما اثبتت احداث لبنان الاخيرة ـ الى مزيد من التصدع العربي ومزيد من التمزق والتشتت الفلسطيني · وهذا من شأنه ان يضعف احتمالات التعاون العربي على الاصعدة السياسية والعسكرية والاقتصادية ويؤدي ـ مع المزيد من التنازلات العربية في المستقبل ـ الى تصغير حجم القوى الفاعلة ضد اسرائيل بوجه خاص ودول الغرب الرأسمالية بوجه عام ·

٣ ـ ان القبول بالحل المقترح ، وهو مطلب عربي الى حد كبير ، من المؤكد ان يقوي الثقة بالنفس لديهم ، وبالتالي من المتوقع ان يزيد قناعاتهم بامكانية التأثير على المواقف والسياسات الاميركية ، وهو امر ـ في ضوء ازمة الطاقة ـ من الممكن ان يقود الى تركيع الولايات المتحدة الاميركية واضطرارها الى الرضوخ لمطالبهم كما هو حادث بالنسبة لمعظم دول اوروبا الغربية ·

٤ ـ ان قبول العرب بالحل الاسرائيلي ،، في المستقبل ، وهو الامر الممكن والمفضل اذا ما فوتت الفرصة الحالية ، سوف يؤدي الى تقوية اسرائيل وترسيخ نفوذ ومكانة الولايات المتحدة في المنطقة · وهذا من شأنه ان يقنع العرب بصلابة الموقف الامريكي ورفضه لكل الضغوط النفطية المحتملة ·

٥ ـ اما بالنسبة للتخوف من احتمالات سيطرة المتطرفين على العالم العربي اذا ما فشلت جهود السلام او تأجلت ، فانه تخوف ليس له مبرر · اذ ان انشغال عرب اليوم ، حكومات وشعوبا وتنظيمات سياسية ، بقضايا التنمية الاقتصادية والاجتماعية افقد قضايا التحرر ومحاربة الاستعمار الكثير من اهميتها · وبذلك اصبحت شرعية الحاكم ومبرر وجود الانظمة تعتمد على قدرتها على الايفاء بالمتطلبات الحياتية للجماهير اكثر من اعتمادها على الالتزام بقضية تحرير فلسطين · يضاف الى هذا ان نضج معظم الانظمة العربية وانشغالها بالقضايا الداخلية ضمن حدودها الاقليمية جعلها اكثر استقرارا واقوى مناعة ضد الانقلابات واقل رغبة ـ معتدلة ومتطرفة على حد سواء ـ في تصدير او استيراد محاولات التغيير عبر الحدود العربية ·

وبناء على ما تقدم ، وضمن هذا التصور لمواقف مختلف الاطراف من قضية الحل السلمي المقترح ، لا بد للزعامة العربية من توضيح مواقفها ووجهة

نظرها كاملة امام الشعوب العربية اولا ومن ثم امام الاصدقاء والاعداء على حد سواء · ان تحديد الموقف واعلان الارادة بكل وضوح وصراحة هما الضمانة الوحيدة لتجاوب الشعوب العربية والرأي العام العالمي مع دعاة الحل السلمي من "الزعماء العرب ، وبالتالي ضمان حد كبير من النجاح للجهود العربية من اجل تحقيق الحل المقترح · واعتقد انه من الممكن تحقيق ذلك اذا ما توفرت الشروط التالية في الموقف العربي :

١ ــ دخول جميع الاطراف العربية المعنية بالحل من الان في مشاورات ونقاش وربما مفاوضات من اجل تحديد وتعريف الحد الاقصى والحد الادنى للمطالب العربية من مفاوضات السلام · ولا يمكن تحقيق ذلك الا من خلال تشكيل لجان عمل متخصصة تزود بكل الوثائق والدراسات المتوفرة وتكلف بتحديد وتعريف تفاصيل كل الامور والقضايا التي ستطرح والتي يمكن ان تطرح للنقاش على طاولة المفاوضات · اذ ان الاتفاق العربي على الخطوط العامة ، كما هو الحال في الوقت الحاضر ، سوف يشكل ــ في تقديرنا ــ كارثة بالنسبة للفريق العربي المفاوض بكل ما تعنيه كلمة كارثة من مضاعفات ·

٢ ــ الالتزام العربي بالتفاوض مع اسرائيل بشكل جماعي ، ومن خلال فريق عربي واحد ممثل لكل الاطراف المعنية بالحل وتخويله سلطة اتخاذ القرارات المناسبة ضمن حدي المطالب العربية الاقصى والادنى بالنسبة لكل قضية من القضايا المطروحة على طاولة المفاوضات · وبذلك يمكن للعرب تحاشي خطر تمزيق الموقف العربي مجددا من خلال محاولة ارضاء او اغراء فريق عربي معين في مقابل تخليه عن الفرقاء الاخرين ·

٣ ــ الالتزام صراحة وتحديدا بأن البديل الوحيد لفشل جهود السلام هو استئناف القتال من اجل تحقيق الحل الذي اجمعت عليه المجموعة الدولية في قرارات هيئة الامم المتحدة ·

٤ ــ اتخاذ موقف عربي فاعل ومتحرك في كل الاتجاهات الممكنة اثناء المفاوضات وفي مراحل التحضير لها · ويمكن صياغة ذلك الموقف من خلال :

ا ــ تصعيد الضغط العربي على اسرائيل ·

ب ــ الاستمرار في كسب المزيد من الاصدقاء في العالم كوسيلة لزيادة الضغط على امريكا وعلى غيرها من القوى القادرة على التاثير في المواقف الاسرائيلية ·

ج ـ المساعدة في اعداد الشعب الفلسطيني لمواجهة احتمالات السلام او الحرب مع اسرائيل ٠

ويمكن تحقيق فاعلية الموقف من خلال تبني مشروع محدد نطلق عليه «ضريبة فلسطين من اجل السلام» ، نقدم فيما يلي شرحا موجزا له :

### ضريبة فلسطين من اجل السلام

لقد تميز تاريخ العرب القديم والحديث بعدم القدرة على ربط قضايا السلام بالحرب ، وبالتالي باللجوء الى فصل العمل السياسي عن العمل العسكري ٠ ولما كان العمل السياسي هو احد الاسلحة التي تملكها الدولة ، وان السلاح والحرب وسيلة للتوصل الى حل سياسي ينهي النزاعات بين الامم والشعوب ، فانه يصبح من الخطأ فصل العمل السياسي عن العمل العسكري ٠ وهذا يعني انه في حالات النزاع تكون كل موارد الامة وامكانياتها العسكرية والسياسية والاقتصادية والبشرية مكملة لبعضها البعض ومتضامنة من اجل تحقيق الهدف المنشود كما تتحمل مجتمعة مسؤولية النجاح والفشل ٠

وانطلاقا من هذا الفهم لضرورة تحمل جميع موارد الدولة او الوطن مسؤولية التعاون والتنسيق من اجل تحقيق اهدافه اقترح اجتماع وزراء المال والنفط العرب الاعضاء في منظمة الاقطار العربية المصدرة للنفط (اوبك) كما اجتمعوا في شهر اكتوبر سنة ١٩٧٣ اكثر من مرة لاتخاذ القرار التالي :

١ ـ فرض ضريبة على البترول العربي الذي يصدر للخارج بنسبة ١٪ فقط من السعر المعلن تودع في صندوق يسمى «صندوق فلسطين من اجل السلام» يشكل له مجلس ادارة مستقل تماما عن الاجهزة الحكومية والمؤسسات العربية الاخرى ، وتحدد نشاطات الصندوق في المجالات الثلاثة التالية :

ا ـ الدعاية في الخارج من اجل كسب المزيد من الاصدقاء لفلسطين وتقليل عدد الاعداء للنفط ، ضمن حدود الرغبة في التوصل الى حل سلمي لمشكلة الصراع العربي ـ الاسرائيلي ٠

ب ـ مساعدة كل اليهود الذين يرغبون الهجرة من اسرائيل وكل اليهود المهاجرين من الاتحاد السوفياتي ويرفضون الهجرة الى فلسطين للاستقرار في اي بلد يريدون ٠

ج ـ اعداد الشعب الفلسطيني علميا واقتصاديا وسياسيا لمواجهة

احتمالات الحرب او السلام التي ستترتب على انتهاء المفاوضات ٠

٢ ـ زيادة نسبة الضريبة بمقدار ½٪ كل عام وحتى يتم ايجاد حل لقضية فلسطين ٠

ولما كانت صادرات دول منظمة الاقطار العربية المصدرة للنفط (أوبك) من المتوقع ان تتجاوز ١٧ مليون برميل في اليوم في عام ١٩٧٧ ، فان ريع تلك الصادرات في ضوء الاسعار الجديدة ستبلغ حوالي ٨٠ مليارا من الدولارات ٠ وبناء على ذلك من المتوقع ان تصل واردات الصندوق لنفس العام حوالي ٨٠٠ مليون دولار ٠

واذا كانت قرارات مؤتمر منظمة الاقطار المصدرة للنفط (اوبك) الاخير قد جعلت امكانية الاجماع العربي بالنسبة لاقرار هذا المشروع صعبة في الوقت الحالي ، فان حقيقة كون اسعار نفط السعودية ودولة الامارات اقل من اسعار غيرها من دول الاوبك الاخرى يوفر فرصة مثالية لقيام المملكة السعودية ودولة الامارات بأخذ زمام المبادرة وفرض الضريبة على بترولها المصدر للخارج ٠ اذ يعتبر مثل هذا القرار الى جانب كونه عملا قوميا وانسانيا مكملا لسياسة الدولتين في ربط اسعار النفط بايجاد حل لقضية الصراع العربي الاسرائيلي ٠ ان البدء بهذا الشكل من المتوقع ان يخفض موارد الصندوق الى ما بين ٥٠٠ ـ ٦٠٠ مليون دولار ، وذلك تبعا لكميات النفط المصدرة من كلتا الدولتين ٠

ان الشعب الفلسطيني الذي عاش لمدة تقارب الثلاثين عاما في مخيمات اللاجئين انتظارا لرغيف العيش تقدمه له وكالة اغاثة اللاجئين الفلسطينيين ، لا زال ينتظر مبادرة الامة العربية ـ وقد اصبحت بعض دولها قادرة ومقتدرة ـ لانتشاله من الفقر والمرض وبؤس حياة المخيمات والكهوف في لبنان وسوريا والاردن والضفة الغربية وقطاع غزة ٠ كما ان سكان المناطق المحتلة منذ سنة ١٩٦٧ ، وقد صمدوا لمدة تقارب العشرة اعوام يقاومون الاحتلال بالاضراب عن الطعام في السجون ويقاتلونه رجالا ونساء ، شيوخا واطفالا ، بالعصي والحجارة اصبحوا اليوم بأمس الحاجة الى معونات العرب ودعمهم ٠ اذ بينما تزداد نسبة البطالة بينهم يوما بعد يوم ، ترتفع اسعار ما يحتاجونه من مواد غذائية بشكل خيالي وتقوم سلطات الاحتلال بمصادرة حرياتهم واموالهم والاستيلاء على ممتلكاتهم ، وذلك في نفس الوقت الذي تقوم فيه تلك السلطات بالعمل على تفريغ الاراضي العربية من شبابها عن طريق الهجرة للعمل في بلاد الخليج العربي او الرحيل الى بلاد المهجر في كل من امريكا الشمالية والجنوبية واستراليا ٠ ان هذا الشعب وقد ادى واجبه في المساهمة في بناء كل الدول

العربية التي احتاجت الى جهوده يتطلع اليوم الى الدول العربية الغنية لتمده بالدعم الكافي لاعداد نفسه لمواجهة احتمالات الحرب او السلام مـع الكيان الصهيوني الذي يسعى الى الغاء وجوده وابتلاع ارضه وادعاء حضارته واخضاع كل البلاد العربية لسيطرته ٠

ان غياب العرب شبه الكلي عن الساحة الاميركية ترك المجال واسعا لانفراد الصهيونية بالرأي العام الامريكي ومراكز القوى في الحكومة وفي الكونجرس مما مكنها ـ كما سبق ايضاحه ـ من امتلاك حق النقض (الفيتو) بالنسبة لكل سياسة اميركية تتعارض مع رغبات اسرائيل واهدافها ٠ ولقد بلـغ النفوذ الصهيوني في امريكا ـ مستخدما اساليب الاقناع والرشوة والتزوير والتشهير ـ حدا اسكت كل قوى المعارضة الجادة لسياسة الدعم غير المحدود لاسرائيل فـي سياستها التوسعية ٠ يدل على ذلـك اضطرار رئيس اركان حرب القـوات العسكرية الاميركية الجنرال «براون» الى الاعتذار العلني والتراجع المخجل عـن موقفه الذي انتقد فيه سياسة بلاده التي ادت في سنة ١٩٧٣ الى تجريد الجيش الامريكي من احتياطي سلاحه المخزون من اجل مساعدة اسرائيل على هزيمة العرب في حربها ضدهم ٠ وفي اوائل شهر ديسمبر ١٩٧٦ عقد اجتماع مغلق لمجموعة منتقاة من رجال السياسة والمال والاقتصاد والفكر الاميركيين وحضره بعض اعضاء الكونجرس وكبار المسؤولين في الحكومة ، ومن بينهم اعضاء في وزارة الرئيس الجديد كارتر وذلك من اجل وضع اسس سياسة امريكا تجاه الحلول المقترحة لانهاء الصراع العربي ـ الاسرائيلي ٠ وعلى الرغم من اهمية ذلك الاجتماع وحاجة الادارة الاميركية الجديدة له ، فقد فشل في التوصـل الى اية نتائج او توصيات محددة ، وذلك بسبب قوة النفوذ الصهيوني وسيطرته على المجتمعين ٠ اذ بينما رفض الموالون للصهيونية اعتبار الحل الذي اقترحته المجموعة الدولية اساسا لسياسة امريكا تجاه قضية النزاع العربي ـ الاسرائيلي، نجحوا ـ كالعادة ـ في اسكات كل الاصوات المعتدلة او المعارضة لموقفهم ٠

ولما كانت امريكا تملك حوالي ٩٩٪ من الاوراق الضرورية لوضع حد للنزاع العربي ـ الاسرائيلي ، فان حل قضية فلسطين عاجلا ام آجلا ، وسواء اكان بالطرق السلمية ام العسكرية ، سوف لن يتحقق دون موافقة امريكا ، او على الاقل عدم معارضتها لما يمكن ان يفرض على اسرائيل من حلول ٠ وهنا تكمن اهمية كسب الرأي العام الامريكي وخلق مراكز نفوذ عربية داخل امريكا لتحييد مراكز النفوذ الصهيونية من جهة وتعريف الامريكيين بمصالحهم بعيدا عـن الارهاب الفكري والنفسي الذي تمارسه قوى الصهيونية ضدهم من جهة اخرى٠

ان سوء الاوضاع الاقتصادية في اسرائيل وتعرض الليرة الاسرائيلية خـلال

السنوات القليلة الماضية الى التخفيض اكثر من عشرة مرات وسيطرة التضخم الذي يبلغ معدله الحالي حوالي ٤٠٪ في السنة يقود اليوم الى خلخلة الاوضاع والعلاقات الاقتصادية والاجتماعية داخل اسرائيل • وبينما بدأ البعض يفقد الامل في امكانية خلق الجنة الموعودة بدأ البعض الاخر يترك البلاد عائدا الى دول الغرب الصناعية او الى بعض البلاد العربية ، كما هو حادث بالنسبة للمغرب بشكل خاص • وبينما كانت نسبة اليهود المهاجرين الى اسرائيل من الاتحاد السوفياتي تزيد عن ٩٠٪ انخفضت في السنة الاخيرة الى اقل من ٥٠٪ وهذا يعني ان اليهود السوفيات – ويمكن مشاهدتهم في مدن اوروبا الغربية رافعين اللافتات التي تعلن رفض الهجرة الى اسرائيل وطلب المساعدة من اجل الاستقرار في مكان آخر – قد فقدوا الرغبة في الهجرة الى إسرائيل • ولقد بلغ حقد القادة الصهاينة على مهاجري الاتحاد السوفياتي الذين يرفضون الهجرة الى اسرائيل حد المطالبة بعدم مساعدتهم في الهجرة الى اي مكان اخر او في محاولات الخروج من الاتحاد السوفياتي •

يتضح مما سبق ان المشروع المقترح «ضريبة فلسطين من اجل السلام» له ما يبرره من كافة النواحي • اذ بينما يساهم في تدعيم المقاومة الفلسطينية وفي اعداد الشعب الفلسطيني ليلعب دورا اكثر فاعلية في مستقبل المنطقة ، سوف يقوم بدور ابراز الوجود العربي على الساحة الاميركية ، وهو الدور الذي فشل العرب في ادائه خلال تاريخ علاقتهم مع القارة الاميركية • وفي الوقت ذاته يساهم في خلخلة الاسس التي تقوم عليها الحركة الصهيونية ويعطي املا كبيرا لكل يهودي يريد التحرر من الفكر الصهيوني وقسوة الحياة في ظلها • ولما كانت الادوار كلها متكاملة وهدفها انساني وغايتها الاسراع في اقرار السلام والاستقرار في المنطقة ، فان مشروع الصندوق المقترح ونشاطاته سوف تلاقي الترحيب من كافة القوى المحبة للسلام في العالم ، في البلاد الراسمالية وخارجها •

وفي نهاية الحديث عن مشروع «ضريبة فلسطين من اجل السلام» نرى من الضروري تسجيل الملاحظات التالية حول هذا المشروع :

١ – ان تنفيذ هذا المشروع سوف لن يحمل الدول العربية اية اعباء مالية وذلك لان موارده تاتي من نسبة ١٪ التي ستفرض كضريبة على النفط المصدر للخارج •

٢ – ان ربط الضريبة باقرار الحل المقترح من هيئة الامم المتحدة ، وهو الحل الذي قبل به العرب ، سوف يفرض على كل مستهلك للطاقة في دول الغرب الصناعية ، ان يصبح جزءا من الحل ليضغط في اتجاه خضوع اسرائيل لارادة المجموعة الدولية •

٣ ـ ان تكاليف المشروع بالنسبة لدول الغرب المستوردة للنفط قليلة جدا ٠ اذ بينما تشكل نسبة ١٪ فقط من ثمن النفط المستورد ، تبلغ تكاليف المشروع بالنسبة للفرد الذي يعيش في دول الغرب الصناعية دولار واحد في العام ٠ ولما كانت معظم اموال الصندوق سيعاد انفاقها في دول الغرب ذاتها لتغطية تكاليف النشاطات الاعلامية ومشاريع توطين غالبية المهاجرين اليهود ، فان مساهمة المواطن الغربي في حل اسوأ نزاع عرفه التاريخ الحديث من خلال مساعدة الشعب الفلسطيني على استعادة جزء قليل من حقوقه الوطنية والانسانية التي حرم منها على مدى ثلاثين عاما ، سوف لن تتجاوز بضعة سنتات قليلة في العام ٠ ثمن بخس يدفعه من اجل استعادة الطمأنينة والاستقرار التي افتقدها مع ازمة الطاقة وتكرر الحروب العربية الاسرائيلية ٠

٤ ـ ان التزام الصندوق بعدم المساهمة في تدعيم اي نشاط عسكري سوف يفقد المعارضة الاسرائيلية والاميركية معظم اسلحتها ، كما انه سوف يقنع الفلسطينيين بضرورة اعطاء جهود السلام فرصة اكبر ووقت اطول دون الكثير من التعقيدات او المشاكل ٠ يضاف الى ذلك قدرته على تشجيع كل القوى المحبة للسلام والاستقرار في دول الغرب الصناعية وخارجها للتعاون مع جهود الصندوق في تأدية رسالته ٠

وبعد تحديد اهم الشروط العربية والاميركية الواجب توفرها لضمان حد من النجاح لجهود السلام ، وذلك ضمن تصورنا للموقف الامريكي والاسرائيلي من تلك الجهود ، لا بد من تحديد موقف المقاومة الفلسطينية من تلك الجهود ودورها فيها ٠

## المقاومة الفلسطينية وموقفها من جهود السلام

يعتقد بعض المؤمنين بحتمية نجاح جهود السلام الحالية بان الموقف الفلسطيني المعارض يشكل العقبة الرئيسية ، وربما الوحيدة ، التي تحول دون انعقاد مؤتمر جنيف لاستكمال تفاصيل الحل واجراءاته ٠ ولذلك تغدو قضية تدجين المقاومة الفلسطينية واعادة تحجيمها من اهم القضايا التي يجب انجازها خلال مرحلة التحضير لمؤتمر جنيف ٠ ولما كان الموقف الفلسطيني من جهود السلام لا زال يشوبه الكثير من الغموض والتردد ، فان امكانية تكرار الصدام الفلسطيني مع القوات السورية واللبنانية ـ وصولا الى هدف تحجيم المقاومة ـ يصبح في حكم المؤكد ٠

واذا كان من غير الممكن ان تقف المقاومة موقف المعارض لجهود السلام الحالية فان المخاوف الفلسطينية من الالتقاء مع تلك الجهود له ما يبرره ايضا · اذ ان تمسك اسرائيل بالاراضي المحتلة والعمل على تهويدها ، وغموض الموقف الامريكي ، والشك في قدرته على وضع الضغوط الكافية لحمل اسرائيل على قبول الارادة الدولية يقود الى قناعات فلسطينية شبه مؤكدة بان الحل المقترح لا تتوفر له امكانيات النجاح في هذه المرحلة من مراحل تطور الصراع العربي ـ الاسرائيلي ·

ان اصرار الاطراف العربية الاخرى على دخول المقاومة الفلسطينية ضمن جهود السلام ينبع من اهميتها في تقرير السلام من عدمه ، ومن كونها المعبر عن الراي والصوت الفلسطيني · اذ تعتبر المقاومة الفلسطينية صاحبة الفضل في احياء قضية فلسطين بعد ان اوشكت على الاندثار ، وفي اعادة بناء الشخصية الفلسطينية بعد ان كاد يدركها التلاشي والذوبان · الا ان تحقيق هذا الهدف الكبير لم يكن بدون مقابل · اذ استنفذت المسيرة الفلسطينية على مدى اثني عشرة عاما ارواح ما لا يقل عن خمسين الفا من الشهداء ·

لقد جاءت بداية العمل الفلسطيني على شكل غارات على المواقع الاسرائيلية داخل ارض فلسطين المحتلة ثم تطور العمل الى صدامات مسلحة وقتال مواجهة مع قوات الجيش الاسرائيلي ادت في مجموعها الى رفع معنويات الجيوش والشعوب العربية وزيادة الامل في امكانية التحرير · الا ان قيام اسرائيل بالرد على غارات الفدائيين بغارات جوية وبرية على البلاد العربية حيث كانت تنطلق المقاومة ، قاد الحكومات العربية الى العمل على تحجيم المقاومة وحصر نشاطاتها لتصبح في وضع لا يسمح لها بتشكيل اي خطر حقيقي على بقاء اسرائيل وامنها ·

واذا كان العمل العسكري الموجه ضد اسرائيل بشكل مباشر قد اصبح في حكم المستحيل في ظل الظروف الراهنة ، فان عمليات الارهاب التي مارستها بعض فصائل المقاومة الفلسطينية كانت قد استنفدت كل اغراضها خلال فترة قصيرة من الزمن لتنقلب فيما بعد الى سلاح مضاد للعمل والهدف الفلسطيني · اذ ان صحوة الضمير العالمي على صوت السلاح الفلسطيني في مختلف عواصم العالم مطالبا اياه بضرورة تفهم عدالة القضية التي يناضل من اجلها ، تطورت تلك الصحوة ـ مع استمرار عمليات العنف وتصاعدها ـ الى رعب دائم اخذ يغذي الشعور بالحقد ضد تلك العمليات ومنفذيها · ولما كان على البلاد العربية ان تتحمل جزءا من مسؤولية تلك العمليات انتقل الرعب تدريجيا الى قلب البلاد العربية مما قاد كل الفرقاء من الحكام العرب وغير العرب الى ادانة عمليات العنف ومقاومة مرتكبيها ·

ان الوضع الحرج غير المتفائل الذي انتهت اليه المقاومة الفلسطينية بعد اثني عشرة سنة من الكفاح والنضال يعتبر ـ في تقديرنا ـ من مسؤوليات الواقع العربي ككل ، وليس من مسؤوليات المقاومة الفلسطينية · اذ بينما كان الواقع العربي غير مؤهل لتحمل مسؤوليات حرب تحرير شعبية طويلة الامد ، لم تنجح المقاومة الفلسطينية في انضاج ذلك الواقع واعداده لتحمل اعباء تلك المسؤولية·

والآن ، وقد اصبحت مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في لبنان آخر معاقل المقاومة الفلسطينية المسلحة ، فان اي صدام جديد مع الجيش السوري ، وقد ركز قواعده حول تلك المخيمات سوف يؤدي ليس فقط الى تصفية آخر قواعد المقاومة وانما ايضا الى التضحية بعشرات الآلاف من الابرياء والعزل من السلاح · ولذلك يعتبر اصرار القيادة الفلسطينية على تجنب اي صدام جديد مع القوات السورية في لبنان موقفا وطنيا وقوميا في وقت واحد ، وذلك لان فيه ضمانة ليس فقط لاستمرار حركة المقاومة ، وانما ايضا للحفاظ على حياة ابناء فلسطين وقدرتهم على التحرك مجددا عندما تسنح الظروف ·

واذا كانت المقاومة الفلسطينية قد مارست اساليب القتال المسلح فقادتها الى وضع محاصر وشبه يائس ، ومارست اساليب العنف فقادتها الى الادانة والملاحقة ، فانه لم يبق امامها الا ممارسة النضال السياسي كما يجب ان يكون عليه ذلك النضال · وعلى الرغم من ان المشاركة في جهود السلام التي تشير معظم الدلائل الى انها ستصل الى طريق مسدود ، من المؤكد ان تفقد المقاومة شرعيتها في حالة فشل تلك الجهود ، فان معارضتها تحمل اخطار تصفية الوجود العسكري الفلسطيني في آخر معاقله في لبنان · ولذلك تبدو المقاومة في موقف لا تحسد عليه وفي وضع خطير وحرج ، لا يسمح لها بالجمود ، او التراجع بل يفرض عليها ان تسير مع التيار وان تبذل كل الجهود مستفيدة من كل العقول والامكانيات الفلسطينية وغير الفلسطينية المتوفرة لضمان امكانية الوصول بالمركب الى بر الامان ·

ومن اجل ضمان امكانية تقليل الاخطار وتعظيم الفوائد التي من الممكن ان ترافق محادثات السلام وتترتب عليها ، كان على الموقف الفلسطيني ان يتبنى من تلك المحادثات موقفا مرنا يتحرك ضمن استراتيجية بعيدة النظر تعي موقع المقاومة الفلسطينية من الصراع العربي ـ الاسرائيلي في مراحل تطوره المختلفة وتستوعب التجربة التاريخية لعلاقاتها بمختلف الحكومات والشعوب العربية · وفي اعتقادنا تشكل النقاط والمنطلقات التالية محاور ارتكاز الموقف الفلسطيني من جهود السلام ودوره فيها :

١ ـ تبني الدعوة لعقد مؤتمر عربي لكافة القوى المعنية بالحل السلمي

وهي مصر وسوريا والاردن كدول مواجهة ، والسعودية والكويت ودولة الامارات وقطر كدولة دعم ومساندة ٠

٢ ـ ان تحاول مع المؤتمرين بلورة الموقف العربي من الحلول المقترحة وان تشارك معهم في رسم استراتيجية العمل من اجل التوصل الى الحل المرضي والذي يحفظ للشعب الفلسطيني حقه في تحقيق حلم الدولة الديمقراطية العلمانية في كل فلسطين ٠

٣ ـ ان تعلن صراحة بان قناعتها بعدم امكانية التوصل الى حل مقبول عربيا لا يمنعها من المشاركة في جهود السلام الحالية وانها ـ اي المقاومة ـ سوف تلتزم بنتائج مؤتمر جنيف وشروط الحل اذا ما نجحت المفاوضات السلمية في تحقيق الحل الذي يتطلع اليه العرب ٠

وفي مقابل الموافقة الفلسطينية على المشاركة في جهود السلام ضمن اطارها العربي الشامل لا بد ان تحصل المقاومة من الدول العربية المذكورة اعلاه على ما يلي :

١ ـ اقرار مشروع «ضريبة فلسطين من اجل السلام» واخراجه الى حيز التنفيذ حالا ٠

٢ ـ الالتزام صراحة باقامة الدولة الديمقراطية العلمانية في فلسطين كبديل لجهود السلام في حالة فشل المباحثات المقبلة ٠

٣ ـ الالتزام ـ في حالة فشل مؤتمر جنيف ـ بدعم المقاومة الفلسطينية ومنحها حرية الحركة على الساحة العربية ٠

٤ ـ تقديم مزيد من الدعم العسكري لدول المواجهة والمقاومة الفلسطينية خلال فترة التحضير للمفاوضات واثنائها وزيادة درجة التنسيق العسكري بين الجيوش العربية المختلفة ٠

ان امكانيات السلام والاستقرار التي ستترتب على نجاح المفاوضات كبيرة، كما ان نتائج ومضاعفات فشلها خطيرة ٠ لذلك كان على العرب المعنيين بالحل السلمي ان يتحملوا مسؤوليات الفشل والنجاح بشكل جماعي بعيدا عن المواقف الانتهازية والاحساس بضرورة البحث عن «كبش الفداء» ٠ ويتحمل المصريون والفلسطينيون مسؤولية خاصة في الحفاظ على وحدة العمل الجماعي وتطوره ٠ اذ بينما تمثل القدرة العسكرية والرغبة المصرية العامل الحاسم الذي يحدد مكان

وزمان اي حرب عربية ضد اسرائيل في المستقبل ، تمثـــل القـدرة والرغبـة الفلسطينية في قبول اي حل للصراع لا يعيد كل فلسطين للفلسطينيين العامـل الحاسم الذي يحدد امكانيات السلام من عدمه في الشرق الاوسط · ولذلك كان على القيادتين المصرية والفلسطينية حيث يتقرر مصير السلام والحرب في المنطقة ان تعملا معا بشكل اندماجي متكامل وان لا تسمحا ابدا بانقطاع الحوار بينهما مهما كانت الاسباب ·

وفي مرحلة التفاوض والتحضير لمؤتمر جنيف والتحاور مع امريكا يبقى على الدول العربية ان تدرك ان المقاومة الفلسطينية هي اقوى الاوراق في معركة المفاوضات ، وان من مصلحة الامة العربية حكومات وشعوبا ان تحافظ على هذه الورقة كقوة حيوية متنامية ·

# لبنان في الثورة الفلسطينية

بشارة مرهج
طارق أحمد

**مقدمة :**

موقع فلسطين الجغرافي والتاريخي والسياسي في الامة العربية هو ذاته موقع ثورتها الراهنة في مسار الثورة العربية المعاصرة ...

وفلسطين ، منذ مطلع هذا القرن ، كما في العصور الغابرة ايام الحروب الصليبية ، لم تكن هدفا لذاتها في عقل المخطط الاستعماري ـ الصهيوني ، بقدر ما كانت هدفا لموقعها الخاص في الامة العربية ... وثورة فلسطين اليوم ليست هي المستهدفة بقدر ما الثورة العربية الشاملة ، باحتمالاتها ، بتطورها ، بركائزها الفكرية والسياسية والمادية ، هي الهدف الاساسي للمؤامرة الكبرى التي نشهد كل يوم فصولا جديدة منها ...

واذا كتب الكثير عن المطامع الصهيونية التوسعية التي اتخذت من فلسطين منطلقا لها ، وعن الاستراتيجية الاستعمارية التي ارادت من اسرائيل حاجزا في وجه الوحدة العربية ، ومخفرا اماميا من مخافر التصدي للتحرر العربي ، فان من الواجب اليوم ان ينصب البحث ، كما الممارسة ، والعمل الفكري ، كما النضالي ، على استجلاء كل جوانب الترابط بين ثورة الامة العربية وثورة شعب فلسطين ..

واذا كانت نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ كاشفا مضيئا لكافة جوانب التخلف العربي ، فلقد اصبح واضحا ايضا ان نهضة الامة العربية بالتالي مرتبطة ايضا بالتحرير ... ذلك ان التحرر العربي الشامل هو قاعدة التقدم الاجتماعي والاقتصادي الحقيقي ، وفي غيابه تصبح كل المحاولات«الحثيثة» للتنمية جهودا ناجحة لصب الطاقات العربية في عجلة النظام الامبريالي العالمي لا يبقى للعرب منه سوى بريق الاستهلاك . وفتات التقدم ...

ومن هنا فقد كان التعامل العربي ، الرسمي والشعبي ، مع فلسطين ينطلق

من هذه الاعتبارات ، فحين تطوق الانظمة العربية الجهد الفلسطيني الثـوري عـلى طريق التحرير لا تفعـل ذلك لانها لا تريـد ان ترى فلسطين عربية حرة، ولا لانهـا فقط ـ كما يقال ـ مجرد ادوات في استراتيجية استعـمارية تريـد ان تضمن لاسرائيل البقاء ، ولكن لان هذه الانظمة اكثر من غيرهـا تـدرك المضمون التغييري الحاسم الذي يمتلكه مثل هذا التوجه الفلسطينـي الثوري، والتفاعـلات الاجتماعية والوطنية الضخـمة التي يطلقها هذا التوجه عـلـى الارض العربية باسرها ...

وبالمقابل حين تتمسك الحركة الشعبية العربية بفلسطين وثورتها وتحريرهـا فلا تفعل ذلك حبا في ارتفاع العلم العربي الحـادي والعشريـن يعلـن استقلال دولة عربية جديدة فحسب ، وانمـا لانهـا تجـد ان مصيرها ومستقبلها مرتبطان بفلسطين وثورتها وتحررها ... وكل انتعاش على طريق هذه الثورة ينعـكس انتعاشا في الوضع الثـوري العربي باسره ، وان اي انتكاس فلسطيني سرعـان ما يولد انتكاسات في الاقطار العربية الاخـرى .

واذا كانت العـقود الماضية قد اظهرت نجاحـا ملحـوظا في قدرة الانظمـة المتخوفة من « الاثار » الثورية الفلسطينية على ضبط هذه الاثـار مرحليـا فـي العديد من اقطارها ، فان الحـركة الشعبية العربية بشكل عـام بالمقابـل لم تكن على القدر ذاته من النجاح في ترجمة تمسكها بفلسطين وثورتها وطريقها الى ممارسات عـملية وصيغ نضالية تعبر عـن الترابط الوثيق بين ثـورة فلسطين وثورة العروبة ...

ولم يكن هذا العـجز الذاتي في واقـع الحركة التقدمية العربية ناجما عـن قصور عملي وتنظيمي ونضالي لبعض فصائلها التي ادركت نظريا الترابط بين قضية فلسطين والقضية العربية عموما (البعث او الحركات الاخرى) بل كان ايضا نتيجة قصور نظري وسياسي لدى بعض الفصائل الوطنية والتقدمية العربيةالتي لم تستطـع ان تستوعـب منذ البدء تلـك العـلاقة المحورية الخاصة بين نضـال فلسطين ونضال العـرب ، وانما بقيت اسيرة التحاليل القطرية المحدودة التـي لم تتعـامل مع الواقع العربي كوحـدة سياسية وتاريخية واقتصادية وقوميـة متكاملة ومترابطة ارتباطا جدليا عـميقا ...

ان هذه الموضوعـات جميعـها نطرحها اليوم للنقاش ، وندعـو كل البراهين والادلة لمناقشتها اما لتاكيدها او لتعديلها وتصحيحها ، او لنفيها بشكل نهائي..

وما محاولتنا اليوم فـي تسليط الاضواء عـلى الاثـار التاريخية لثـورة فلسطين عـلى الاوضاع اللبنانية ، اكثـر من جهـد يستهدف مناقشة هـذه

الموضوعـة عـلى طريق اثبات منطلقاتهـا بشواهـد تعززها التجربة اللبنانية··

واذا كنا سنلاحـق الاثـار والتفاعـلات السياسية والاجتماعية والوطنيـة التي اطلقتها ثـورة فلسطين عـلى الصعـيد اللبناني ، فلكي نظهر عـمق التأثير الفلسطيني في حياة هـذا القطر العربي ، وان هـذا التأثير ، بجوانبه الايجابية والسلبية ، هـو تعبير عـن حقيقة تاريخـية هامة وهـي ان الثورة المسلحة في فلسطين هي طليعـة الثـورة العربية الشاملة ···

فحين كانت تتمسك القيـادات الوطنية الفلسطينية اللبنانية بهـذه النظـرة، وتتصرف عـلى اساسهـا ، كنا نلمس الاثـار الايجابية والانتصارات الكبرى، وحين كان يجري التخلي عنها ، اما نتيجة تعاظم الضغوط الدولية والعربية ، او بسبب قصور فكري وسياسي ، كنا نلمس الاثـار السلبية وما تحمله مـن عثرات وانتكاسات ·

لقد كانت العـلاقة بين الثـورة الفلسطينية والـحركة الوطنية اللبنانية هـي تطور هـام عـلى طريق التطـور الثـوري الفلسطيني ، فحين كانت العـلاقـة بين هذه الثورة والحركة الوطنية الاردنية مثلا علاقة محدودة جدا ، ومعرضة في مرات عـديدة الى الاهتزاز والانتكاس ، تقدمت هذه العـلاقة في لبنان لتحمل العـديد من سمات التحالف الاستراتيجي الذي تنصب كل الجهود لضربه وفك لحمته ··· غـير ان هـذا العـلاقة عـلى نموهـا وتطورها ، وعـلى رغـم ما افرزته من ايجابيات تاريخية ، كان ابرزهـا التلاحـم اللبناني ـ الفلسطينـي طيلة السنتين الماضيتين ، لم ترق الى المستوى المطلوب الذي لا يعتبـر انهـا عـلاقة بين حركتين وطنيتين متحالفتين ، بل انها عـلاقة بين جناحين لحـركة ثـورية واحـدة هي الحـركة العـربية الثـورية المعاصرة ···

كذلك كانت هذه العـلاقة الفلسطينية ـ اللبنانية امتدادا تاريخيا لاحتضـان الجماهير اللبنانية للقضية الفلسطينية منذ العقود الاولى في هذا القرن ، كان من ابرز مظاهرها استقبال استنكاري اعـده اللبنانيون « للورد بلفور » عندمـا زار بيروت في طريقه الى فلسطين عام ١٩٢٦ ، كما كانت مشاركة اللبنانييـن بقيادة القاوقجي ( الطرابلسي الاصل ) في ثـورة ١٩٣٦ ، كما في جيش الانقاذ فيما بعـد ، محطـات هامة عـلى طريق المشاركة اللبنانية فـي الكـفاح الفلسطيني ···

ومن هنا فان لبنان ، قبيل ولادة العـمل الفدائـي او مع ايامه الاولـى، كان من اكثـر الاقطار تحسبا وتحسسا لهـذه الظاهرة الثـورية الجديدة ···

## لبنـــان قبل الثـورة الفلسطينية

تميز الوضع اللبناني في الستينيات بنوع من الاستقرار السياسي الكـاذب اذ ان التركيب العسكري للسلطة اللبنانية ، التي ولـدت بعـد انتفاضة عـــام ١٩٥٨ ، وسيطرة الجيش اللبناني ، عبر الشعبة الثانية، عـلى معـظم مرافـــق الدولة والعديـــد من المؤسســـات والهيئات الشعبية اديا في حقيقة الامـــر الى تقليص وتيرة العمل السياسي الوطني في لبنـان الى المستويات الدنيا · او بالاحرى اديا الى تحديد هذا العمل ضمن اطرضيقة جدا ·

ولم تكن الجبهة النيابية المسماة « الجبهة الديمقراطية البرلمانية » سوى اداة تشريعية وسياسية في السلطة التي كان يتربع على قمتها العسكري اللبناني الاول ومؤسس الجيش الرئيس فؤاد شهـاب ·

وفي الوقت الذي كانت فيه هـذه الجبهة تمثـل الاكثرية النيابية ، فانهـا لـم تكـن تملك اي نوع من انـواع الاكثرية الشعبية · غـير ان ذلك لـم يكن يشكل لهـا اية مشكلة مهمـة اذ كانت السلطة العسكريةهـي التـي تملا هذا الفراغ ·

وعـلى الرغـم من ان الحـرارة السياسية التي كان يتسم بهاالوضع اللبناني سابقا انخفضت الى ادنى درجاتهـا ، الا ان التقاليد الديمقراطية من الناحيـة الشكلية بقيت سائدة وبلغت ذروتها في امتناع الرئيس شهـاب عـن تعديل الدستور ورفضه التجديد لنفسه عـام ١٩٦٤ رغـم امتلاكه للاكثرية النيابيـــة وحماس هـذه الاكثريـة في هـذا الاتجـاه ، بغض النظر عن التفلت الذي اظهـره كامـل الاسعـد رئيس مجلس النواب وكتلته عبر سياسة « الاستئناس» المشهورة ·

وفي الحقيقة فان السياسة الانعـزالية التي اتبعتهـا الشهابية كانت سياســة ذكية جـدا ، اذ انهـا استطاعـت عبرعـلاقاتها العربية وقوتها الداخليـــة، وبالاستناد الى تردي الوضع العربي بعـد انهيـار وحـــدة عـــام ١٩٥٨ ،

استطاعت تحجيم نضال الحركة الوطنية على الصعيد القومي مثلما استطاعت عبر بعض الاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية ، تقليص نضال هذه الحركة على الصعيد الاجتماعي وامتصاص نقمة الطبقات الشعبية ، علما بان الجيش كان يقف دائما بالمرصاد لمواجهة اي تحرك شعبي سواء كان هذا التحرك على الصعيد الوطني ام على اي صعيد اخر ·

ومثلما نجحت الشهابية نجاحا ملموسا في عزل الدولة عن السياسيين واستخدام طبقة التكنوقراط كبديل لهم ، كذلك نجحت في عزل حركة الجماهير عن السياسة عبر هيمنتها على الاحزاب والنقابات والجمعيات والنوادي والمجالس البلدية ·

بيد ان النجاح الاكبر الذي حققته الشهابية كان على صعيد عزل لبنان عن واقعه العربي وعن قضيته القومية عزلا حقيقيا ، بحيث انحصرت المشاكل اللبنانية الظاهرة في ذلك الوقت في الاقتصاد والاجتماع · ولقد تمثل ذلك في الازمة المالية التي تفاقمت وادت في النهاية الى انهيار مصرف انترا وبعض المصارف الاخرى ، الامر الذي ادى الى زيادة درجة السيطرة الرأسمالية الدولية على الاقتصاد اللبناني ، والى زيادة تدخل الدولة في الاقتصاد عبر تشريعات جديدة كان بطلها السيد الياس سركيس حاكم المصرف المركزي انذاك ··· وقد عززت تلك التشريعات من وجود الاقتصاد الرأسمالي اللبناني ودوره كوسيط بين البورجوازية العربية المتخمة والمراكز الرأسمالية الدولية « الجائعة » اما الحركة التقدمية التي كانت بشكل او باخر تتحرك ضمن مظلة النظام الشهابي فقد انحصر نشاطها تقريبا في النضال الاجتماعي ، وخاصة على مستوى النشاط الشعبي لتعديل قانون الايجارات وتحسين وضع العمال وتسويق الانتاج الزراعي ، وبالدرجة الاولى انتاج التفاح الذي بلغ ارقاما قياسية بعد انتشار زراعته في الجبال وسهل البقاع ·

ولقد ساهمت هذه التطورات التي كانت تخفي وراءها قهرا طبقياوقوميا ، ساهمت في تعزيز وجهة نظر الطبقة الحاكمة وفلسفتها الانعزالية · اذ ان هذه الطبقة عزت جميع الانجازات الاقتصادية والاجتماعية الى طبيعة النظام اللبناني نفسه ، وتسلحت بهذه النظرة لتمتين اطاراتها الشعبية ومواجهة حركات التغيير واتهامها شتى الاتهامات وخاصة بانها ضد النظام الذي يؤمن معيشة « لائقة » للبنانيين ، وبأنها ضد الكيان الذي يؤمن وضعا «متفوقا ومتميزا » للبناني بالنسبة للمواطنين العرب الاخرين ·

وفي الواقع يمكن القول ان تركيب النظام اللبناني بمرونته الفائقة قد

مكنه من امتصاص الصدمات السياسية والاجتماعية التي كان يتعرض لها ، في الوقت الذي كان فيه هذا النظام يحاول اللحاق بالعصر عن طريق الالتزام بسياسة اجتماعية متطورة تأخذ بعين الاعتبار ضرورة توسيع اطار الخدمات التي تقوم بها الدولة خلافا للنظرية التقليدية التي كانت ترى انه من واجب الدولة الابتعاد كليا عن تلك النشاطات وخاصة على الصعيد الاقتصادي.

وبفضل ذلك نجح هذا النظام في تفادي الكثير من الازمات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت تخيم على البلاد . غير ان هذا السبب لا يفسر وحده تلك البراعة التي اظهرها النظام في التغلب على التحديات التي كانت مطروحة امامه . ان السبب الحقيقي الذي ساعد النظام على هذا النجاح هو جو التراجع القومي الذي كانت تعيشه الامة العربية بفضل الخلافات التي ذرت قرنها بين قوى الثورة العربية وانهيار التجربة القومية الكبرى من الوحدة ، وبروز الانفصال في سوريا وغيرها من الاقطار العربية كحركة هدفها تعميق التجزئة وتحويلها من حقيقة مصطنعة الى حقيقة قائمة . لقد سمح ذلك كله بتقوية النفوذ الاستعماري ــ القوي اصلا في لبنان ــ وبتحصين النظام الاقطاعي ــ الرأسمالي في وجه رياح التحرر القومي والاجتماعي .

ولقد ظهرت قوة هذا النظام على وجه الخصوص ابان حرب حزيران اذ استطاعت الدولة ان تكرر تجربة حرب السويس ، فبقيت على الحياد في الحرب بين العرب واسرائيل دون ان يؤدي موقفها هذا الى اي احراج خاصة وان الحرب كانت خاطفة واسفرت عن هزيمة محزنة تم توظيفها لصالح النظام وفلسفته وسياسته.

## لبنان مع دخول العمل الفدائي

### الاثار السياسية للعمل الفدائي في لبنان

وكما كان لحرب حزيران وجهها الكالح البشع ، كذلك كان لها وجهها الايجابي المفيد . ذلك ان الوعي القومي الهائل الذي ولدته الهزيمة المرة استطاع ان يتملك نفوس الجماهير الشعبية وان يسيطر على عقول الطلاب والشباب والمثقفين الذين هزتهم الحقائق المروعة وزادت من احتقارهم للنظام اللبناني ودوره في حرب الايام الستة . وفي الواقع كانت هذه الحرب على المدى القصير فرصة ذهبية تلقفها النظام لتعزيز سطوته وسياسته ونفوذه مستفيدا من اجواء ما بعد الحرب التي سيطرت على الامة العربية .

ان صمود المقاومة حول هذه الفرصة الذهبية الى حلم قصير جدا ، اذ ان المعارك البطولية التي بدأت تخوضها القوات الفلسطينية تمكنت من رأب الصدع ووقف الانهيار على الصعيد الشعبي القومي ، وبذلك برز البديل الثوري الذي استقطب الجماهير العربية في كل مكان وعزز ثقتها بنفسها وبامتها وبقدرة هذه الامة على الصمود والتحدي والانتصار ٠

ومن جهة ثانية كان لصمود عبدالناصر في مصر وبدئه حرب الاستنزاف وحدوث تحولات ايجابية عبر تغيير بعض الانظمة العربية ، الاثر الكبير ايضا في تعزيز الصمود القومي للجماهير العربية ومنع الخطة الاستعمارية من تحقيق جميع مآربها في المنطقة العربية ٠

ومما لا شك فيه ان هذه التطورات كان لها الاثر الابرز في لبنان خاصة وان العروبة فيه هي في حرب مستمرة مع اعدائها من جهة ، ولان المقاومة الفلسطينية من جهة اخرى كانت موجودة في البلد ، وتملك تراثا نضاليا فيه طالما تفاعل مع الوعي الوطني والقومي للحركة الشعبية في لبنان ٠

وفي هذا الاطار لا يمكن تجاوز حقيقة الوجود الفدائي في لبنان ٠ فالعمل الفدائي كان منذ نشاته يعتمد دائما على الشعب الفلسطيني في لبنان ٠ وليس من الصدفة مطلقا ان اول بيان لقوات العاصفة والذي صدر في ١ـ١ـ١٩٦٥ نشرته صحيفة بيروتية هي صحيفة « الاحرار » وان ابو عمار كان الفدائي الذي سلم البيان بنفسه الى هيئة التحرير ٠كماانه ليس صدفة ان اول فدائي فلسطيني استشهد على ايدي السلطات العربية انما استشهد على ارض لبنان وعلى يد السلطة اللبنانية ٠ وفي الواقع كان استشهاد جلال كعوش على يد المكتب الثاني الشراره التي اشعلت السهل ٠ وتلك الشراره لم تلهب السهل تحت اقدام الحكم العسكري المقنع فحسب بل اطلقت الحركة الشعبية في الاتجاه القومي واطلقتها في الاتجاه الصحيح ٠

لقد كانت المظاهرة الشعبية التي انطلقت في كانون الثاني ١٩٦٦ استنكارا لمقتل جلال كعوش صغيرة بالقياس الى ما شهدته الساحة اللبنانية لاحقا غير انها كانت في الوقت نفسه البداية الثورية التي شقت الطريق ٠ وصحيح ايضا ان القوى الوطنية التي شاركت فيها كانت محدودة غير ان هذه المظاهرة بقيت تحديا وحافزا امام القوى الوطنية الاخرى كي تصحح موقفها وتنتقل تلك النقلة المطلوبة فتجمع بين النضال الاجتماعي والنضال القومي ٠

ان الاصطدام الحقيقي بين القوى الشعبية اللبنانية والاجهزة العسكرية الديكتاتورية انما حدث في واقع الامر لاسباب فلسطينية ، ذلك ان معظم

الظلامات التي وقعت على كاهل الجماهير اللبنانية بسبب تسلط المكتب الثاني واعوانه لم تؤد الى انضاج اي تحرك شعبي واضح المعالم ( القومية ) ضد النظام ، لكن الجماهير اللبنانية المضطهدة انذاك هبت في اول سانحة لمواجهة الاجهزة وتأييد العمل الفدائي عندما شعرت بان هذا العمل مستهدف من قبل السلطة · واذا كان هذا الاتجاه لم يأخذ شكلا افقيا شاملا عام ١٩٦٦ بسبب مناعة النظام وانغماس اطراف من الحركة الوطنية فيه فانه بدأ يبرز بوضوح كامل بعد حرب حزيران وانطلاق المقاومة الفلسطينية · ولقد تمكن العمل الفدائي في المرحلة الاولى من استقطاب مشاعر اللبنانيين على اختلاف مشاربهم ونزعاتهم باستثناء بعض الدوائر والاوساط المرتبطة بالاجهزة الاستعمارية والصهيونية وانعكس ذلك في الاضراب الشهير الذي تلا الهجوم على المطار في ٢٨ كانون الاول ١٩٦٨ ··· ذلك الاضراب الطلابي الذي استمر ستة اسابيع واشتركت فيه كل الجامعات دون استثناء ·

كما ان الطبيعية الفاشية الكالحة التي كان يتمتع بها النظام اللبناني لم تظهر على حقيقتها الا بسبب المعارك مع المقاومة الفلسطينية وخلالها · ولولا تلك المعارك لاحتفظ هذا النظام بوجهه الضاحك واستمر في ادعاءاته الديمقراطية الفارغة و« تميزه » عن الاوضاع العربية المحيطة ·

ان وجود المقاومة الفلسطينية في لبنان لم يكشف هشاشة وانحطاط النظام اللبناني فحسب بل ساعد الحركة الوطنية – او قليلها بالاحرى – على تبصر حقيقة خصمها والعمل على تغيير نمط نضالها للتكافؤ مع المهمات النضالية التي كانت قد بدأت تطرح نفسها بالحاح شديد على الساحة · من اجل انقاذ نفسه استخدم النظام سلاحه « الاقليمي » فبدأ التهويل بالخطر الفلسطيني من اجل اغتيال عملية التفاعل الايجابي بين الثائر الفلسطيني والوطني اللبناني ·

وفي هذا الاطار اصطدمت السلطة اكثر من مرة بالعمل الفدائي من اجل خلق وتعميق الهوة بين الثورة الفلسطينية والشعب اللبناني ·

وعندما شعرت السلطة بأن تشتيت العمل الفدائي بات امرا مستحيلا رضخت للواقع ووقعت اتفاق القاهرة بعد سبعة اشهر من الازمة السياسية التي امسكت بخناق البلاد اثر مجزرة ٢٣ نيسان ١٩٦٩ أو التاريخ الحقيقي لسقوط النهج واداته العسكرية ·

وتوقيع هذا الاتفاق لم يكن اعترافا من السلطة بشرعية العمل الفدائي وتواجده في لبنان فحسب بل كان يحمل في طياته ايضا اعترافا بأن هنالك

طرفا لبنانيا شريكا في الوطن وشريكا في السلطة يقبل بوجود العمل الفدائي، ومستعد لتحمل تبعات هذا الموقف ٠

ولم تؤد تلك المعارك التي كانت تفتعلها السلطة الى تحقيق الغرض منها اذ انه على الرغم من نشوء هوة بين المقاومة وقسم من الاوساط اللبنانية الا ان المقاومة كانت تخرج مع حلفائها في كلمرة اقوى بكثير مما كانت عليه في بداية المعركة هذا في حين ان السلطة كانت تخرج من تلك المعارك وهي اكثر ضعفا واقل تماسكا بحيث اضطرت هذه السلطة الى التراجع امام هجمات الجناح الاخر في النظام ( الحلف الثلاثي ) وامام التقدم الملموس الذي احرزته الحركة الوطنية ٠ ونتيجة لذلك تشكلت حكومة عبدالله اليافي في اواخر عام ١٩٦٩ كحكومة متوازنة تضم اليمين واليسار ٠ وانتزع كمال جنبلاط القائد الابرز في الحركة الوطنية وزارة الداخلية وتمت عملية الاجهاز على المكتب الثاني والترخيص للاحزاب اليسارية ٠ وبذلك انتهى العهد الشهابي الثاني دون ان يتمكن الياس سركيس مرشح النهج صاحب الاكثرية البرلمانية من الفوز امام سليمان فرنجية ٠

## الاثار الاجتماعية والاقتصادية :

« وقد يقودنا تطور القضية الفلسطينية الى اعادة النظر في الكثير من قيمنا الاقتصادية » ٠

( ميشيل شيحا – لبنان في شخصيته وحضوره ص ٧٥ )

منذ رسوخ التواجد الفدائي في لبنان ، على اثر اتفاقية القاهرة في نهاية عام ١٩٦٩ ، انقسمت الطبقة الحاكمة في مواجهة هذا « الطارىء » الجديد الى رأيين ، لم يكونا بالضرورة متناقضين ، بل كانا في كثير من الاحيان متكاملين ٠٠٠

رأي يعتبر هذا الوجود الفدائي المسلح ، ككل وجود قومي عربي في لبنان ، قوة لحركة التغيير والتقدم في لبنان ، كما يرى بالمقابل ان هذا الوجود يكتسب قوته ويستمد حمايته من وجود شعور واسع بالحرمان والغبن عند فئات ومناطق واسعة من اللبنانيين ،ولهذا يعتبر اصحاب الرأي ان الاطار الصحيح لضبط هذا الوجود يتمثل في بناء دولة عصرية تعنى بشؤون الفئات المحرومة والمناطق المتخلفة حتى لا تبقى نهبا « للافكار الهدامة» و« الايادي الخارجية » تعبث بها ، وتستغل حاجتها ، وتؤجج نقمتها وحقدها ٠٠٠

تمسك بهـذا الراي فريق متنور من البورجوازية اللبنانية ، ليواجه براي مقابل يعتبر ان الطريق الانجع للقضاء عـلى الثـورة الفلسطينية هو طريق المجابهـة القمعية لكل القوى والحركات التغييرية باعتبار ان تصفية هذه القوى هـو تجريد للمقاومة من سياجها اللبناني وبالتالي تسهيل ضربها او تحجيمها الـى ابعـد الحدود ٠٠٠

كان السياسيون الاكثر تخلفا في الصيغـة اللبنانية هم اصحاب الراي المقابل (تصفية اليسار قبل المقاومة ) لا سيما اولئك الزعـماء الذين ترتكز زعاماتهـم عـلى اجواء شعبية متعاطفة مع المقاومة والثـورة الفلسطينية ٠٠٠

ففي حين شهـدت مرحلة ما قبل عـهد فرنجية تركيزا لبنانيا محموما ضـد الثـورة الفلسطينية فلقد شهـدت المرحلة الاولى من عـهد فرنجية ( ١٩٧٠ ــ ١٩٧٣ ) بشكل عـام انتصار وجهة النظر الاخيرة حيث تركز القمع الحكومـي على الحركات اليسارية والمطلبية والنقابية ( قانون الاحـزاب ، قمـع الحركـة الطلابية ، صرف المعـلمين ، اطلاق الرصاص عـلى عـمال غندور ومزارعـي التبغ ) في محاولة منها لتحييد المقاومة الفلسطينية باعتبارها لا تتدخـل فـي « الشؤون الداخلية للاقطار العربية » ٠٠

غير ان انتصار وجهة النظر هـذه لم يمتـع من محـاولة « التيار العصـري» ان يعبر عـن نفسه في جملة من الاجـراءات تهـدف الى تحديث الدولة وبالتالـي تأمين التفاف جماهيري حولها وحـول سياستها ( قانون ١٩٤٣ للحمايـة الجمركية عـلى الصناعـة الوطنية ( الياس سابا ) محاولة تنظيم تجـارة الادوية ( هنري اده )، محـاولة تطويـر وزارة التربية ( غسان تويني )، الضمان الصحـي بعـد الضمان الاجتماعـي ) ٠

واذا كانت هذه المحـاولات تصطـدم بجـدار سميك من الاصرار المتخـلف عـلى عـدم التطوير فبالمقابل اندفعـت داخـل هـذه الفئات ، تيـارات اكثـر «تطرفا»، تبالغ فـي الحديث عـن المحرومين والمقهورين والضعـفاء في لبنـان من دون ان تربـط هـذا الحـرمان بالاسباب السياسية والاجتماعية ، وبالتأكيد من دون ان تربطـه بابعـاده القومية والثـورية ٠٠٠ بل عـلى العـكس من ذلك تحـاول عبثا وضع قضية المحـرومين في وجـه الثـورة الفلسطينية ٠

فحينما كانت اسرائيل تشن هجومهـا الكبير عـلى العـرقوب فـي ١٢ ايار ١٩٧٠ ، مسببة نزوحـا كبيرا بين ابناء القرى الحـدودية ، وكان حـزب الكتائب يقيم في بيروت ( في اليوم ذاتـه) مهرجانا خطابيا يحرض فيه ضـد المقاومة : « لبنان كله يجب ان يتحـرك ٠٠٠ لبنان كله يجب ان يتكلـم ٠٠٠

لبنان كله يجب ان ينهض لاسترداد ارضه وهويته وسيادته وكرامته»٠٠ ( خطاب لرشاد سلامة في الاشرفية في ايار ١٩٧٠ ) ، كان يقوم تحرك رديف على ارض الجنوب هدفه طرح المأساة الجنوبية ( النزوح والتشرد ) على لبنان والعالم ، واعتبار القضية الجنوبية قضية « اهمال وحرمان » من دون اي تعرض لمصدر « الاهمال او الحرمان » ٠ من دون تحديد مسؤولية الدولة في الدفاع عن ارض الجنوب ، على نحو يترك مجالا للتعبئة السرية ضد الوجود الفدائي في الجنوب واضعا قضية « المحرومين » في وجه حق الفلسطينيين في النضال لتحرير ارضهم ٠٠٠ ومن اجل المزيد من الاثارة والفعالة رفع ذلك التحرك شعارات متطرفة اجتماعيا ( احتلال القصور في بيروت ) اذا لم يوضع حد للنزوح من الجنوب ٠٠٠

فالتيار الذي كان يعتقد على الدوام بامكانية فصل النضال القومي ، ممثلا بالكفاح الفلسطيني المسلح ، عن النضال الاجتماعي ، محاولا ان يدفع بشيء من الاصلاحات الاجتماعية الخطر الفلسطيني ، كان تيارا حاضرا باستمرار في دوائر النظام اللبناني مستندا الى التجربة الشهابية في هذا المضمار (اصلاحات اجتماعية + علاقات رسمية عربية = حصر التفاعل القومي والعربي داخل لبنان ) ٠

وبهذا المعنى لعبت المقاومة الفلسطينية ، وما زالت حتى اليوم ، كالتعبير اليومي عن الحضور القومي العربي في لبنان ، دورها الايجابي الاول في « استثارة »همم التطوير ، ونوازع « العصرنة والتحديث » في الدولة اللبنانية لرفعها الى مصاف التحدي الجديد ٠٠

اما الوجه الايجابي الاخر لهذا الحضور الفلسطيني الثوري على ارض لبنان فقد كان في اطلاق مجالات واسعة امام التحركات الجماهيرية ذات الطابع الاجتماعي والتي اخذت في بعض الاحيان اشكال انتفاضات طبقية بالغة الاهمية ٠٠٠

فانتفاضة فلاحي عكار صيف ١٩٧٠ ، وتحركات مزارعي بعض القرى الجنوبية ضد الاقطاع في السنوات السبعينية الاولى ، (حانين ، القنطرة الخ ) بالاضافة الى عشرات التحركات الطلابية والعمالية ، انما تمت جميعها في ظل التوازن الجديد للقوى على الارض اللبنانية بعد رسوخ العمل الفدائي فيها ، رغم حرص قيادات المقاومة الرئيسية الدائم على ابعاد العمل الفدائي عن التدخل المباشر في هذه القضايا ٠٠٠ مراعاة منها للاعتبارات والحساسيات المعروفة لبنانيا وعربيا ٠٠

وكانت ذروة التفاعل بين قضايا النضال الفلسطيني التحريري ، والنضال اللبناني التغييري ، حين تمكنت الحركة الوطنية اللبنانية من طرح بعض القضايا الاجتماعية بهدف حماية الثورة الفلسطينية بعد تشديد الحصار عليها ٠٠ويمكن ايراد مثلين واضحين في هذا المجال :

المثل الاول من الشمال حيث تمكنت (اللجان الشعبية )في طرابلس منتصعيد النضال الاجتماعي ضد احتكار شركة قاديشا للكهرباء واستخدام اساليب نضالية متطورة ( منع الجباة من تحصيل الرسوم من المواطنين الذين قاطعوا الشركة ) مما ادى الى توتر مستمر في طرابلس استمر عدة اشهر منذ خريف ١٩٧٠ ( اي بعد نكسة الثورة الفلسطينية في الاردن ) حتى حزيران ١٩٧١ (حيث اضطرت الدولة القيام بعملية «احتلال» لمدينة طرابلس اثارت نقمة المواطنين وعمقت التناقض بين النظام والجماهير اللبنانية ) ٠٠

المثل الاخر كان في الجنوب ٠٠٠ فعلى اثر العدوان الاسرائيلي على العرقوب والقطاعين الاوسط والغربي في ١٦ ـ ١٧ ايلول ١٩٧٢ ، واعلان حالة الطوارىء في الجنوب ، واخراج القواعد الفدائية من القطاع الاوسط ، بات واضحا ان النظام اللبناني يستثمر الاعتداءات الاسرائيلية في ظل الصمت العربي من اجل فرض المزيد من التنازلات على الثورة الفلسطينية محاولا ، عبر ادواته المختلفة ، تعبئة الجماهير الجنوبية ضد العمل الفدائي محملا اياه مسؤولية كل ما يتحمله الجنوب من عبء العدوان الاسرائيلي ٠٠٠

وفي وجه هذه الخطة وضعت بعض الفصائل الوطنية العاملة في اطار (المؤتمر الوطني لدعم الجنوب )خطة تحرك شعبية في الجنوب تستهدف اعادة تسليط الاضواء على التناقض الحقيقي بين الجنوبي وبين من كانوا مصدر شقائه وبؤسه طيلة العهود الماضية ، وفي مقدمتها احتكار التبغ (الريجي) ٠٠٠ فجرى تنظيم حملة شعبية ونضالية واسعة لمزارعي التبغ افقدت السلطة توازنها واطلقت قواتها المسلحة النار على تظاهرة لمزارعي التبغ في ٢٢ كانون الثاني ١٩٧٣ ادى الى استشهاد مزارعين وجرح عدد اخر ،مما حول الحملة المطلبية الى ما يشبه الانتفاضة الجماهيرية التي لم تحصر اثارها في الجنوب ، وانما شملت لبنان باسره وتمكنت من كسر هيبة الدولة حين تمكنت مجموعة من متظاهري بيروت من الوصول الى ساحة ٢٣ نيسان وتنفيذ القرار الوطني بالتظاهر رغم كل جو الارهاب ـ المنع الذي احاطت به الحكومة تلك التظاهرة ٠٠٠

في الحالتين كان الهدف حماية العمل الفدائي واعادة التناقض بين الجماهير واعدائها ٠٠٠ وفي الحالتين ايضا استطاعت الجماهير ان تحقق

بعض المكاسب وان تفرض على احتكار (قاديشا) ، كما على احتكار (الريجي) بعض التنازلات ٠٠٠

وفي هذا الاطار ايضا يمكن ان نفهم كيف ان الحركة الوطنية اللبنانية ، بعد احداث ايار ١٩٧٣ ، وجدت ان الرد الحقيقي على مؤامرة ايار هو في اعادة طرح القضايا الاجتماعية باوسع اشكالها فكان التحرك ضد الغلاء ، وضد ارتفاع سعر الرغيف ، ومن اجل زيادة الاجور ، ومن اجل تعديل المادة التي تجيز التسريح الكيفي للعمال في قانون العمل ( المادة ٥٠ ) ، فكانت التظاهرات الصاخبة والانتفاضات الطلابية المحدودة ( انتفاضة طلاب الجامعة الاميركية ) تطبع مرحلة ما بعد ايار ١٩٧٣ ، وتتمكن من فرض جملة من التنازلات ذات الطابع الاجتماعي على الحكومة وتوسع من قاعدة الصمود الجماهيري ٠

وبهذا المعنى ايضا كان الوجود الفدائي على ارض لبنان حماية لهذا الجو النضالي الجماهيري ، مثلما كانت مهمة حماية الثورة الفلسطينية مهمازا لطرح وتحريك العديد من القضايا الاجتماعية ٠٠٠

وبهذا المعنى ايضا سقطت كل محاولات وضع القضية الاجتماعية في وجه القضية القومية تماما مثلما ظهر بكل وضوح ان حركة التحرير في فلسطين هي قوة موضوعية الى جانب ارادة التغيير في لبنان ٠

## الاثار الوطنية ( الحرب الخارجية والحرب الداخلية )

لم تطرح ( السياسة الوطنية ) للبنان ، بمعنى التحديات الوطنية في وجه المطامع الصهيونية ، يوما في حياة هذا البلد ، بالقوة والاتساع الذي طرحت به في السنوات التي رافقت نمو العمل الفدائي في لبنان ٠٠٠

لقد كانت السياسة الرسمية اللبنانية في هذا المجال ، والتي قلما كان يجري التصدي لها من قبل الاوساط الشعبية والوطنية ، هي ان « قوة لبنان في ضعفه » وان « الضمانات الخارجية هي سلاح لبنان الاوحد في وجه المطامع الصهيونية ٠٠٠ »

وعلى الرغم من ان منظري الطبقة الحاكمة في لبنان لم ينكروا الخطر الذي يحمله وجود اسرائيل على لبنان : « وهكذا يبدو مستقبل لبنان حيال اسرائيل ، مستقبلا حالك الجوانب ولنا ما يدعو حقا الى المخاوف ، في السلم او في الحرب على السواء» ٠ (ميشيل شيحا، لبنان في شخصيته وحضوره ٠

ص ٤٥) الا ان الساسة اللبنانيين اختاروا اسلوب (النعامة) في مواجهة هذا الخطر مستفيدين الى درجة كبيرة من تردي مستوى الصراع العربي - الاسرائيلي واختيار العديد من انظمة المواجهة لسياسات « لبنانية » بهذا الصدد وبدرجات متفاوتة ··· في هذه الحقيقة و« الامر الواقع » اللبناني جاء الحضور الفلسطيني الثوري تحديا واختراقا ··· فكان على الطبقة الحاكمة ان تختار بين « الحرب الخارجية » مع العدو الاسرائيلي نتيجة القبول ( بالوجود الفدائي ) وبين « الحرب الداخلية » مع المقاومة والوطنيين اللبنانيين ··· اذا ما اختارت طريق رفض الثورة الفلسطينية ···

وكانت الطبقة الحاكمة طيلة السنوات السابقة للاحداث الاخيرة ، تتهرب من الاختيار الحاسم والنهائي ،فتختار حينا طريق « الحرب الداخلية » المحدودة ( نيسان ١٩٦٩ ، تشرين ١٩٦٩ ، اذار ١٩٧٠ ، ايار ١٩٧٣ ) لتفادي « الحرب الخارجية » ، وتستخدم حينا اخر ( الحرب الخارجية )المحدودة ( اعتداءات اسرائيل في ك١ ١٩٦٩ ، ايار ١٩٧٠ ، ، ايلول ١٩٧٠ ، شباط ١٩٧١ ، شباط ١٩٧٢ ، ايلول ١٩٧٢ ، نيسان ١٩٧٣ طريقا لفرض التنازلات التي لم يكن ممكنا تحقيقها ( بالحرب الداخلية ) المحدودة ····

غير انه مع احتدام الصراع العربي ضد اسرائيل ، ومع اتخاذه اشكالا عسكرية محدودة (حرب تشرين )، كانت السياسة الرسمية اللبنانية تتراوح بين مستويات مختلفة ···

فتحت ستار حاجات الدفاع عن الوطن ، اضطر عهد فرنجية في سنواته الاولى الى ان يضع خطة للتسليح قيمتها حوالي (٢٠٠) مليون ليرة كان هدفها الحقيقي ( بسبب نوعية الاسلحة وطبيعتها ) تقوية الجيش اللبناني في وجه المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية ···

واذا كانت هذه السياسة لم تحقق ثمارها المرجوة (بسبب الفساد الاداري ، وعقلية السمسرة والرشوة ، وبسبب امتداد الوعي الوطني الى داخل الجيش ) ، فان سياسة التسليح هذ كانت مضطرة الى التسليم « بضرورة الاعداد لمواجهة العدو الصهيوني » ··· الامر الذي فتح ثغرة في المنطق التقليدي للنظام اللبناني ، تمكنت القوى الوطنية من العمل على توسيعها حتى اضطر لبنان ، وللمرة الاولى ، في تاريخه ، لان يطالب دول الجامعة العربية ببحث تطور اوضاع المجابهة مع العدو على حدوده ، وان يطالب بخطة لتدعيمه عسكريا بالاسلحة والعتاد من الدول العربية ، كما اضطر الى

التسليم بوجود اسلحة متطورة للدفاع عن المخيمات بما فيها الصواريخ المضادة للطائرات ( سام )التي ظهرت لاول مرة في سماء بيروت تلاحق الطائرات الاسرائيلية فيكانون الاول ١٩٧٤ ٠

وهكذا تمكن الحضور الثوري الفلسطيني على ارض لبنان من ان يحقق تطورا ايجابيا هاما على صعيد سياسة النظام الوطنية والدفاعية التي وان كانت في حقيقتها تطمح الى الالتفاف على العمل الفدائي وتحجيمه، الا انها في النهاية قادت النظام الى التظاهر اكثر فاكثر بالالتصاق بمهمات المجابهة مع العدو ٠٠٠ هذه السياسة هي التي تجعل العهد الجديد في لبنان نفسه يقر بأكثر من مناسبة ان لبنان سيصبح دولة مواجهة طبعا بالمفهوم الرسمي العربي للمواجهة ٠

اما الجانب الايجابي الاخر الذي رافق الحضور الثوري الفلسطيني على الصعيد الوطني فهو في المستوى الجديد الذي حاولت بعض الفصائل الوطنية اللبنانية الارتقاء اليه في مسألة المجابهة مع العدو ٠٠٠

لقد انعكس هذا المستوى الجديد في مسألتين :

**الاولى** : طرح مسألة تدعيم الصمود الوطني في الجنوب من النواحي الدفاعية والحياتية ٠٠٠ واذا كانت اطراف الحركة الوطنية بمجملها قد وضعت هذا الشعار في رأس برامجها واطروحاتها ، فان بعضها قد اختط لنفسه طريقا عمليا لترجمته على ارض الجنوب ٠ فباشر المؤتمر الوطني لدعم الجنوب ( وهو اطار شعبي يضم بعض القوى السياسية الوطنية ) بحملة لبناء الملاجيء في القرى الحدودية ( كفركلا ، الطيبة ، تولين ، حاصبيا ، الرفيد، كامد اللوز الخ )٠ كما حاول اعداد مشاريع اجتماعية واقتصادية تساهم في دعم صمود ابناء الجنوب في مناطقهم ( كالمساهمة في بناء بعض المدارس وانشاء بعض التعاونيات )٠

**الثانية** : مسألة بناء قوى شعبية جنوبية مسلحة تتولى عملية الدفاع عن قرى الحدود في وجه الاعتداءات الاسرائيلية وقد شرع اكثر من حزب سياسي في هذا المجال حيث اعطى هذا التحضير ثمارا في عدة قرى ابرزها كفركلا ( التي تصدت للعدو الاسرائيلي عدة مرات) وكفر شوبا ـ الطيبة وغيرها ٠٠٠

وبهذا المعنى كان للعمل الفدائي اثاره الايجابية في المجال الوطني سواء على الصعيد الرسمي او على الصعيد الشعبي ، الامر الذي اثار

مخاوف العدو الذي اعلن اكثر من مرة عبر كبار مسؤوليه انه اذا استمرت الاعتداءات الاسرائيلية على لبنان فان ذلك « سيدفع لبنان اكثر فاكثر الى الارتماء في احضان العرب » ··

وبالتاكيد كانت هذه المخاوف هي احد ابرز الاسباب التي تقف وراء الاصرار الاسرائيلي على تمزيق لبنان وتفجيره داخليا في الحرب الاهلية التي استمرت على مدى العامين الاخيرين ···



ان رصد هذه الاثار السياسية والاجتماعية والوطنية التي رافقت الوجود الفدائي في لبنان ، تظهر بوضوح ان هذا الحضور الثوري الفلسطيني قد ساهم في اخراج الحياة السياسية اللبنانية من رتابتها وكان قوة موضوعية هامة من قوى الديمقراطية والتقدم الاجتماعي والسيادة الوطنية، الامر الذي يؤكد طليعية ثورة فلسطين في الحركة الثورية العربية ··· تلك الطليعية « الموضوعية » التي اذا لم تواكبها طليعية «ذاتية» تتعلق بالبنى والاساليب النضالية للحركة الثورية الفلسطينية والعربية ، فانها تجد نفسها محاصرة بآثار سلبية تضعف من اندفاعها وزخمها وقدرتها ···

## الاثار السلبية للعمل الفدائي

اذا كان العمل الفدائي في لبنان قد ساهم الى درجة كبيرة في كشف الطبيعة الحقيقية للنظام اللبناني فانه كشف وبدرجة اعمق الطبيعة الفاشية العنصرية التي تتميز بها القوى الانعزالية للسيطرة على هذا النظام · غير انه مما لا شك فيه ان هذه القوى استطاعت بسبب وجود المقاومة المجرد من ان تخلق هوة عميقة بين الشعب الفلسطيني وقسم من اللبنانيين ··· هوة تصعب ازالتها في المدى القريب، وبالطبع فان المسؤولية هنا لا تقع مطلقا على المقاومة ·

ان اجواء التسلط والاستغلال والاضطهاد التي كان يعاني منها الانسان الفلسطيني قبل ذلك في لبنان تركت في نفسه جرحا عميقا وعقدة مزمنة تجاه السلطة اللبنانية ومظاهرها ورموزها ··· وما ان تحررت المقاومة بعد ثورة المخيمات حتى شعر الفلسطيني فجأة باجواء الحرية تسود عالمه الصغير مع ما ادى ذلك من قيام وضع جديد اختلطت فيه الاشياء والعلاقات بالمقارنة مع الوضع السابق خاصة وان الحرية المنتزعة كانت مرتبطة بالبندقية ومهددة دائما بالخطر الشديد مما كان يضع هذا الانسان في جو من

الترقب والقلق والحالة العصبية التي كانت تظهر كلما كان هناك اعتداء اسرائيلي على هذا المخيم او ذاك او كلما كان هناك اعتداء من السلطة او الانعزاليين · وبالقدر الذي برز فيه المقاتل الفلسطيني الحقيقي كقدوة وكنموذج للثائر العربي ، فقد برز الى جانبه حامل البندقية الذي لم يستوعب قيمة هذه البندقية وكيف وصلت اليه فجعل منها وسيلة تضر بالثورة اكثر مما تفيدها ، الامر الذي ادى الى ولادة شعور سلبي لدى اللبناني العادي، الذي وان كان يفهم لماذا يحمل الثائر الفلسطيني بندقية ،فقد صعب عليه ان يرى نفسه في بلده محروما من نفس «المتعة »، الى جانب التجاوزات المضرة التي كان بعض افراد المقاومة غير الواعين ينزلقون اليها مثلهم مثل البشر العاديين ، في حين ان اخطاءهم كانت تضخم الى درجة كبيرة لتتحملها المقاومة نفسها · ومما لا ريب فيه ان الكثير من المندسين على العمل الفدائي كانت مهمتهم منحصرة في تشويه سمعة هذا العمل المقدس امام الجماهير والحاق الاذى فيه · ولا مجال هنا للانكار مطلقا في ان مجموع هذه التجاوزات ـ الطبيعي منها والمفتعل ـ مع تراكمها وتنوعها قد ادى الى خلق نفور في بعض الاوساط ، والى حقد في بعض الاوساط الاخرى ، خاصة اذا ربطنا بين ذلك وبين الخطةالدائمة لاشعال المعارك مع المقاومة واظهارها كعنصر عدم استقرار ، اضافة الى الضربات الاسرائيلية الانتقامية التي كانت تستهدف تأليب اللبنانيين على المقاومة وتفسير كل ضرر يلحق بهم على ضوء ذلك·

واذا كانت هذه التجاوزات قد اضرت بالمقاومة وساهمت في انحسار بعض التأييد الشعبي عنها ، فان خطة السلطة في اظهار المقاومة كجيش لفريق من اللبنانيين مقابل جيش الفريق الاخر ، نجحت نجاحا كبيرا خاصة وانها اعتمدت على الاثارة الطائفية الرخيصة · ومما رسخ هذا الاعتقاد في الاذهان ان اتكالية واضحة المعالم استشرت في اوساط الحركة الوطنية والشارع الوطني على وجه العموم ·

فبينما كانت الاحزاب الانعزالية تعد للصدام عبر عمليات التنظيم والتدريب والتسليح ، كانت اطراف من الحركة الوطنية تنام على حرير المقاومة وتحتمي داخل اسوارها وتهدد بسيوفها دون ان تفطن الى النتائج السلبية التي كانت تنتظرها من جراء هذه السياسة الاتكالية وفوق ذلك ولدت هذه الاتكالية ظاهرة اخطر هي ظاهرة الشعور بالتفوق ، اذ كانت الحركة الوطنية تشعر بقوة كبيرة بالمقارنة مع الاحزاب الانعزالية مستفيدة من قوة المقاومة وهيبتها وسطوتها ، الامر الذي ادى الى اهمال الكثير من الجوانب وساهم في تعزيز الثغرات التي تعاني منها هذه الحركة ·

لا يعـود هذا الى التصاق الحـركة الوطنية بالمقاومة الفلسطينية كما يتبـادر الى الذهن للوهلة الاولى ، بل على العكس فان السبب الحقيقي الذي يكمـن وراء ظاهرتي الاتكالية المفرطة والتفوق الوهمي هو في ابتعاد بعضـن فصائل الحركة الوطنية عن جوهر المقاومة الفلسطينية كحركة كفاح مسلح · بعبارة اخـرى ، لم تكن الحـركة الوطنية « فلسطينية » بالقدر المطلوب ، او انهـا لم تكن عـلى مستوى المهمـات القومية التيطرحـت نفسها بقوة وعـنف في تلـك الفترة ·

ومن جهة اخرى فقد ترك الجهل النسبي للاوضـاع اللبنانية الذي كانـت تعـاني منه حركة المقاومة ، الى جانب السياسة التجريبية التي اتبعتها في كثير من الاحيان ··· ترك ذلك كلـه اثـار سلبية ملموسة عـلى صعـيد العلاقات اللبنانية الفلسطينية · واذا كانت الحـركة الوطنية تتحـمل قسطا مـن المسؤولية ، فان القسط الاخـر تتحـمله حـركة المقاومة التي لم تكن حـركة « لبنانية » ـ او حركة قومية ـ بالقدر المطلوب اذ بقيت هذه المقاومـة فلسطينية الجسم والاداة رغم انها عربية القلب والاهداف والتحديات ··

## خاتمـة :

لقد استطاع الحضور الفلسطيني الثـوري ان يشكل في لبنان حـالة نموذجية لنمو الحركة التغييرية في هذا البلد ، بل ولاشعاع التفاعـل الفلسطيني ـ اللبناني على الامة العربية باسرها ···

فقد كشف هذا الحضور الثوري ، بالتحديات التي حملها ، الطبيعة القمعية والاستغلالية والاقليمية للنظام اللبناني ، كماكشف الكثير من التضليل التاريخي الذي تقوم عـليه المرتكزات الفكرية والسياسية لهـذا النظام ···

وفي محاولة النظام للالتفاف على عملية الانكشاف هـذه ، قـام بجملة من الاجراءات ذات الطابـع الاصلاحـي ( نجح بعضها وفشل الاخـر ) ، كما تراجع، عـن جملة من الممارسات (القمعية) والمنطلقات ( السياسية ) سهلت جميعـهـا نموا واسعـا للحـركة الشعبية العربية التي استطاعـت ان تجعـل من لبنـان واحـدا من اخصب الميادين الفكرية والسياسية والنضالية ليس عـلى المستـوى العربي فحسب ، وانما عـلى المستوى العـالمي ايضا ، بل جعلته ، المنبـر القومي الاول في المنطقة العربية وساحة نضالها الرئيسية ضد اعدائها ··
وبحجم الامكانات النضالية الكبرى التي فجرتها ثورة فلسطين على ارض لبنان والتي كان الصمود الاسطوري للشعبين الفلسطيني واللبناني احد مظاهرها ·

كان حجم المؤامرة الكبرى التي تعرض لها لبنان واستنفرت ، فيما استنفرت من قوى عربية ودولية ، ليس فقط اعداء التحرير في فلسطين بل واعداء الحرية والوحدة العربية والتقدم الاجتماعي ٠٠٠

واذا كان المشروع الانعزالي ، الانتحاري التصادمي ، يشهد اليوم نهاية ايامه واحلامه في تصفية الوجود الثوري الفلسطيني لحساب المنطق الكياني والامتيازات الطائفية ، فان مشروعا اخر ، اشد خطورة ، واعمق تأثيرا يطل برأسه عبر خطة « استيعابية التفافية » لا تستهدف تحجيم المقاومة الفلسطينية نفسها بقدر ما تستهدف تحجيم اثارها الثورية والنضالية على المستوى العربي ٠٠

كلمة السر في هذا المشروع الفصل بين ارادة التحرير في فلسطين وارادة التغيير في الوطن العربي ليتسنى ضرب الاثنين معا ٠٠٠

البرنامج العملي لذلك ٠٠ فك التلاحم بين ثورة فلسطين وحركة التقدم الوطني والتحرر العربي في لبنان ٠٠٠

# طبيعة الحرب اللبنانية

المقدم الهيثم الأيوبي

الحرب بمعناها الشامل ، صراع مسلح يندلع بين طرفين تتناقض مصالحهما بشكل حاد وجذري ، عندما يتعذر حل هذا التناقض بالوسائل السلمية ، ويصبح الاحتكام الى السلاح الوسيلة الاخيرة لحسم النزاع لصالح احد الطرفين رغم ارادة الطرف الاخر · ومع تطور العلاقات الدولية ، وظهور منظمات عالمية واقليمية تنظم العلاقات بين الدول والقوى المتنازعة ، وتشابك المصالح العالمية ، تعدل الجزء الاخير من هذا التعريف ، وظهر نوع جديد من الحروب التي تنتهي بتدخل قوة خارجية تمنع الحسم المسلح ، وتمنع بالتالي فرض ارادة احد الطرفين على الطرف الاخر ، وتفرض حلا وسطا يحقق للمتنازعين جزءا من اغراضهم ، ويجبرهم على التخلي عن العنف والعودة الى الحوار لحل التناقض ، او يفرض عليهم ، على الاقل ، تجميد الصراع خوفا من اتساعه وانتقاله من المستوى المحلي الى المستوى العالمي ( النووي ) ·

ورغم انطباق هذا التعريف على جميع الحروب ، فان الحروب لا تدور دائما بالشكل نفسه ، وليس لها بالضرورة الطبيعة ذاتها · واذا كان بالامكان تقسيم الحروب ( اخلاقيا ) الى حروب عادلة واخرى غير عادلة ، فان تقسيمها ( تقنيا ) يفرض تحديد ما اذا كانت الحرب تقليدية ، ام استعمارية ، ام ثورية، ام نووية · وتكون الحرب التقليدية شاملة او محدودة ، خاطفة او استنزافية ، في حين تأخذ الحرب الثورية شكل الثورة ، او الحرب الاهلية ، او الحرب الدينية ··· الخ ·· وهي في الغالب حرب طويلة الامد تطبق فيها تكتيكات الحرب السرية او حرب العصابات الصغيرة او حرب العصابات الكبيرة ··· الخ حسب الوضع وموازين القوى ·

وليست الحواجز بين انواع الحروب ثابتة · فقد تتحول الحرب المحدودة الى حرب شاملة . وتتصعد الحرب التقليدية الى حرب نووية ، وتنقلب الحرب الاستعمارية الى ثورة وطنية اذا بقي المستعمر معزولا عن المواطنين او الى حرب اهلية ـ استعمارية اذا استطاع المستعمر اكتساب جزء من المواطنين وتسليحهم واستغلال التناقضات الداخلية لاستخدامهم ضد ابناء وطنهم· وهناك حالات تحولت فيها الثورة الى حرب اهلية ( الاتحاد السوفياتي واسبانيا)،

كما ان هناك حالات تشابكت فيها الحرب الاهلية مع الحرب الدينية(ايرلندة)، او الحرب الاهلية مع الانتفاضة ( الفاندي ) ٠

ولقد اختلفت الاراء حول تقييم الحرب اللبنانية ، فاعتبرها البعض « ثورة وطنية ـ اجتماعية » ، ورأى البعض الاخر انها « حرب اهلية » ، في حين اعتبرها جانب ثالث « حربا تحريرية لبنانية ضد الفلسطينيين » ٠ ومن المفيد تاريخيا تحديد طبيعة هذه الحرب بدقة ، ووضعها في مكانها الصحيح على منحنى التطور في المنطقة ، وذلك عن طريق دراسة مسارها ، والقوى المشتركة فيها ، والتناقضات التي ادت الى اندلاعها ، والتعبئة النفسية التي سبقتها ورافقتها ٠

## السبب الاستراتيجي لاندلاع الحرب :

ان البحث عن السبب الاستراتيجي يتطلب تحديد جوهر التناقض الاساسي بين المقاومة الفلسطينية والسلطة اللبنانية القديمة ، وسبب عدم حله بالوسائل السلمية ، وكيف ادى تعذر الحل السلمي الى تبني العنف كوسيلة للحل ٠

لقد تبنت المقاومة الفلسطينية منذ انطلاقة الرصاصة الاولى في العام ١٩٦٥ استراتيجية حرب التحرير ٠ وهي استراتيجية هجومية الطابع ، تعتمد على تسديد الضربات الى العدو الصهيوني ، ومتابعة تسخين المنطقة ، والتلاحم مع الجماهير العربية والفلسطينية ، في سبيل وضع الامة العربية بكل ثقلها وكامل طاقاتها في ميزان الصراع مع العدو الصهيوني ، وحمل مشعل النضال وتحمل اعبائه حتى عندما توقف الدول العربية القتال مؤقتا لاسباب خاصة بها٠ وكان للبنان استراتيجية اخرى تبناها منذ هدنة رودس ١٩٤٩ ٠ وهي استراتيجية دفاعية الطابع ، تعتمد على سياسة امنية سداها احترام الوضع الراهن والحفاظ على هدوء خطوط الهدنة ، ولحمتها الضمانات الدولية لسيادة لبنان وسلامة اراضيه ٠ وتعني بالتحليل الاخير عدم ربط الامن الوطني مع الامن القومي ، والاكتفاء بالسلامة الذاتية مقابل عدم المشاركة في الجهد القومي التحريري ٠

ومن المؤكد ان اختلاف الاستراتيجيتين بالجوهر نابع عن اختلاف المنطلقات ٠ فلقد اعتبر الفلسطينيون الهجمة الصهيونية التي توجهت الى فلسطين خطرا قوميا لا على الفلسطينيين وحدهم بل على الامة العربية بأسرها، ورأوا في احتلال فلسطين خطوة لا بد وان تتبعها خطوات تنسجم مع السياسة الصهيونية التوسعية ، واعتبروا ان لهم ، كعرب مشردين ، الحق بالعمل على كل ارض عربية ، وان الواجب القومي والخطر المشترك يفرضان على كل نظام عربي ان يفتح لهم ارضه ، وان يقدم لهم الدعم المادي والمعنوي من اجل متابعة معركة التحرير ٠ في حين كان النظام اللبناني والقوى الداعمة له تعتبر ان

الفلسطينيين ضيوف على ارض لبنان ، وان بوسعهم السعي لتحرير بلادهم شريطة ان لا يؤثر ذلك على الامن اللبناني ·

وكانت السلطة اللبنانية في عامي ١٩٦٧ و ١٩٦٨ قادرة على ضبط الامور وفرض استراتيجيتها · ومع تنامي المقاومة على الارض اللبنانية في العام ١٩٦٩ برزت على الساحة قوتان واستراتيجيتان · ففي الوقت الذي كانت به المقاومة تتصرف كثورة ، وبمنطق وطني ـ قومي ، كانت السلطة اللبنانية تتصرف كدولة ، وبمنطق وطني قطري · وكانت حجة السلطة والقوى المؤيدة لها ، وهي حجة لا يزال اليمين اللبناني يدافع عنها حتى اليوم ( راجع تصريحات بيار الجميل ، النهار ٢٨ و ٢٩ ـ ١١ ـ ١٩٧٦ حول القوة النابعة من الضعف) ان لبنان الضعيف عسكريا حافظ على اراضيه ، ومنع العدو من احتلالها بفضل علاقاته الدولية ، في حين ان الدول العربية الاقوى عسكريا من لبنان لم تستطع الصمود في حرب ١٩٦٧ امام اسرائيل ، ووقع جزء من اراضيها تحت الاحتلال · وان على المقاومة ان تحد من نشاطها ضد اسرائيل حتى لا تتخذ اسرائيل من ذلك ذريعة لتحقيق اطماعها في لبنان ، خاصة وان القوات المسلحة اللبنانية اصغر من ان تستطيع منع الصهاينة من ذلك ، وان تعزيز هذه القوات سيكلف مبالغ طائلة وسيضعف لبنان بدلا من ان يقويه ، لانه سيحوله الى دولة مواجهة وسيضعه في مجابهة قوة لا يستطيع مقاومتها ·

ولم تكن هذه الحجة متماسكة رغم مظهرها المنطقي ، لانها كانت تتجاهل ان الطبيعة التوسعية العنصرية ركن اساسي من اركان الصهيونية ، وان المخطط الصهيوني للقضم المتتابع قد مرحل اغراضه : بناء مستوطنات على الساحل وفي المناطق الحاكمة والتقاط المفتاح ـ هجرة ـ احتلال جزء من فلسطين ـ احتلال النقب والجليل ـ هجرة ـ احتلال بقية الاراضي الفلسطينية وجزء من سوريا ومصر ـ هجرة ـ الاستعداد لاحتلال اراضي جديدة وهجرة جديدة ، حتى يصل الدور الى لبنان · وتجاهل ايضا العلاقة بين الهجرة والتوسع · فبعد كل توسع تاتي مرحلة الاستيعاب ( الهضم ) التي تتطلب مهاجرين جدد يملؤون المناطق المحتلة ويعدون لتوسع جديد يتطلب هجرة جديدة ، حتى يتجمع اكبر عدد من يهود العالم في ارض الميعاد ، وتتشكل دولة الملايين السبعة ·

وتسقط الحجة المسالة القومية لصالح المسالة القطرية ، وهي تدل على ان اصحابها لم يستوعبوا جيدا مغزى تهدئة اسرائيل للجبهة اللبنانية · ولم يفهموا بالضبط ان اسرائيل التي تقاتل على خطوط داخلية ، تفضل انقاص عدد الجبهات ما امكن ، وتقليص عدد دول المواجهة الى الحد الادنى ، حتى تستطيع قهر القوتين الاساسيتين مصر وسوريا · وبعد قهر هاتين القوتين تصبح بقية القوى مشلولة الارادة وخاضعة لارادة الدولة الصهيونية بشكل آلي · وان عدم

تعرض اسرائيل لسلامة لبنان حتى الان ، لا ينبع من الضغط الخارجي وصداقات لبنان الدولية ، بل ينبع اساسا من ان مخططي السياسة الامنية الاسرائيلية يرون ان الوقت لم يحن بعد لتسخين الجبهة اللبنانية ودفع لبنان لان يكون دولة موا[illegible] وان تهدئة الجبهة اللبنانية هو الرشوة التي تقدمها اسرائيل الى السلطة اللبنانية مؤقتا ، مقابل تخلي هذه السلطة عن دورها القومي في مجابهة العدو القومي ٠

ولقد حاول الطرفان ايجاد حل للتناقض بين منطقي الدولة والثورة عن طريق الحوار والاتفاقات ٠ وبذلت في هذا المجال جهود محلية وعربية متعددة ( ومن بينها اتفاق القاهرة ١٩٦٩ ) وكان من الممكن ان يتعايش المنطقان في مناخ « الحوار والصراع » لو ان اسرائيل كانت دولة عادية تدافع عن نفسها على الحدود ، وتكتفي بصد الهجمات الفلسطينية عند الحدود ، ولكن الدعم الاميركي غير المحدود لاسرائيل سياسيا وعسكريا ، اعطى العسكريتاريا الاسرائيلية هامش عمل عريض ، وسمح لها بتطبيق « قاعدة العمل وراء الحدود » ، وهي قاعدة دأبت اسرائيل على تطبيقها منذ الخمسينات ، ثم وسعت حدود التطبيق بعد ان وضع الاميركيون في فيتنام خلال الستينات اسس نظرية عسكرية متكاملة « للعمل وراء الحدود » بغية مطاردة قوات جبهة التحرير الوطنية ( الفيتكونغ ) وضرب قواعدها في فيتنام الشمالية ولاووس وكمبوديا، وطوروا هذا « العمل » واعطوه عمقا اكبر ، واستخدموا فيه القوات البرية والمحمولة جوا والبحرية وسلاح الطيران ٠

وغني عن الذكر ان هامش العمل الاسرائيلي افاد كثيرا من سكون الجبهات العربية بعد توقف حرب الاستنزاف وقبول مشروع روجرز في اواخر العام ١٩٧٠ ، مما ادى الى ظهور مرحلة « العربدة الاسرائيلية » ١٩٧٠ ـ ١٩٧٣ ٠ كما ان تناقص امكانية التنسيق العسكري المصري ـ السوري بعد اتفاق سيناء جعل المنطقة على عتبة مرحلة « عربدة اسرائيلية جديدة » وساعد اسرائيل على الانفراد بالجبهة اللبنانية ، وضرب العمق اللبناني بمختلف الاساليب ، وتهديد السلطة اللبنانية باجتياح الجنوب ، للرد على عمليات المقاومة الفلسطينية ، سواء كانت اغارة حدودية ، ام عملية داخلية ، ام ضربة خارجية ٠

وبفضل عمليات الانتقام الاسرائيلية ، اصبحت كل عملية عسكرية تقوم بها المقاومة ضد الكيان الصهيوني ، تهدد السياسة الامنية اللبنانية بشكل مباشر ، ولهذا اخذ التناقض بين الاستراتيجيتين اللبنانية والفلسطينية شكلا حادا وتوترت العلاقات بين الطرفين اكثر من مرة ، وعجزت السلط اللبنانية وحلفاؤها عن اقناع الفلسطينيين بالتخلي عن العمل ضد العدو لخلق الاثر

التراكمي الذي يؤدي الى قهر ارادته واجباره على قبول الدولة الديمقراطية كصيغة للتعايش على ارض فلسطين ، كما عجزت المقاومة عن اقناع السلطة بضرورة بناء الدرع الواقي ، والتخلي عن فكرة القوة النابعة من الضعف ، وتبني فكرة القوة النابعة من القوة الذاتية المتحالفة مع عرب الحرب · وسار كل طرف على طريقه الاستراتيجي · وبدأت السلطة وحلفاؤها يعدون لفرض استراتيجيتهم بالقوة وتطبيق سياستهم الامنية ، في حين لجأت المقاومة الى تحصين مخيماتها وتدعيم قواها العسكرية وتمتين تحالفاتها لحماية نفسها من ضربة لبنانية على الطريقة الاردنية ، والحفاظ على البقاء لمتابعة المسيرة التحريرية ·

وخلقت تدابير الطرفين جوا من الشك المتبادل الذي رافقه تحريض مكثف، واعداد عسكري واضح المعالم · وكان من الطبيعي ان يؤدي التداخل الجغرافي، والزخم النفسي ، والتعبئة المستمرة ، الى نتائج عملية تمثلت في : التحرشات والتجاوزات والاستفزازات ··· الخ · ومن سوء حظ الشعبين اللبناني والفلسطيني ان الاهتمامتوجه دائما نحو ايجاد الحلول للنتائج ، وتنظيم العلاقات التي تضمن احتواءها او التخفيف من حدتها ، رغم بقاء التناقض الاساسي الاستراتيجي الذي نبعت منه هذه النتائج · لهذا فشلت كل المحاولات والوساطات التي ضاعت في خضم حل الثانويات قبل التوصل الى صيغة الحل الرئيسي الذي جرى الالتفاف حوله لتعذر حله ، طالما ان كل طرف من الطرفين متمسك باستراتيجيته المقتنع بصحتها ، والمؤمن بأنها افضل السبل لتحقيق اغراضه ·

وبتجاهل الاصل ، والتركيز على النتائج ، اصبح حل المعضلات مسألة يومية ، فلا يتم التوصل الى الغاء نتيجة حتى تظهر نتيجة اخرى · واستغلت النتائج كوسيلة للتحريض والتعبئة النفسية المتبادلة ، كما استخدمت في ايار ١٩٧٣ ونيسان ١٩٧٥ كشرارة لاندلاع الصدامين الكبيرين بين المقاومة وحلفائها من جهة والسلطة وحلفائها من جهة اخرى · ولقد ركز الاعلام اليميني طوال ١٩ شهرا على ان النتائج هي سبب الحرب · والحقيقة ان في هذا تجاوز للواقع وتحميل للامور اكثر مما تحمل · وقد تكون النتائج والثانويات الذريعة او الشرارة المباشرة للحرب ، ولكنها لم تكن مطلقا سبب الحرب ، التي لم تندلع الا لوجود قوتين لهما استراتيجيتان متناقضتان على الارض اللبنانية· وتعذر حل هذا التناقض سلميا ، واستحالة تجميده في ظل الردع الديناميكي الاسرائيلي ، ووسط جو التحريض الذي مارسته قوى ودول ، عربية وخارجية، ترى ان من مصلحتها ضرب المقاومة واضعافها ، وخاصة اذا تم الضرب بقوة عربية ·

**تحول النزاع اللبناني ـ الفلسطيني الى حرب اهلية لبنانية :**

ان كل ما تقدم يؤكد مقولة السلطة اللبنانية وحلفائها بان الحرب كانت حربا بين اللبنانيين والفلسطينيين · ولكن حقيقة القوى المشتركة في الصراع تؤكد عكس ذلك ، لان القوى الفاعلة في لبنان لم تقف كلها الى جانب السلطة اللبنانية في حربها مع المقاومة · ولم تبق القوات المسلحة اللبنانية ، بما فيها قوى الامن ، كتلة متماسكة واحدة بيد السلطة ومستعدة لتنفيذ سياستها كما حصل في الاردن في عامي ١٩٧٠ و ١٩٧١ · ولو تم ذلك ووقفت الجماهير اللبنانيةوالقوات المسلحة الى جانب السلطةضد المقاومة الفلسطينية وجماهيرها، لامكن اعتبار الحرب ( من منظور قطري ) حربا لبنانية ـ فلسطينية ، وان كانت في جوهرها ( من منظور قومي ) حربا ضد بين جزئين شمالي وجنوبي من شعب عربي قسمه المستعمرون فيما بينهم منذ العام ١٩١٦ ( معاهدة سايكس ـ بيكو ) ·

وحتى لو نظرنا الى المسألة بمنظار قطري ، فان الحرب فقدت طابعها كحرب لبنانية ـ فلسطينية عندما انقسمت الجماهير والقوات المسلحة اللبنانية الى ٣ اجزاء غير متساوية ، ووقف جزء منها مع المقاومة ، وبقي الجزء الثاني الى جانب السلطة ، في حين راوح الجزء الثالث في مكانه ليبقى على الحياد، في الحالات التي استطاع فيها البقاء محايدا · ومع استمرار القتال انقسم المجتمع اللبناني جغرافيا ونفسيا وعسكريا ، وحمل كل قسم السلاح ضد القسم الاخر وهذه هي السمة الاساسية للحرب الاهلية التي اجمع المنظرون العسكريون على تعريفها بانها « الحرب التي ينقسم فيها الشعب الى قسمين متصارعين ، يقف احدهما الى جانب التغيير ، ويقف الاخر الى جانب النظام القديم ، ويدعي كل واحد منهما انه يمثل الشرعية ويجسد ارادة البلاد · سواء تم الانقسام على اساس وطني او طائفي او ديني او طبقي » · وهذا هو ما حصل بالضبط على الارض اللبنانية ·

ويرجع هذا التحول في الحرب اللبنانية الى طبيعة النظام والمجتمع في لبنان ·

لقد كان النظام قبل الحرب نظام الامتيازات الطائفية · وبما ان الموارنة حصلوا عند الاستقلال على تطمينات وضمانات سياسية ، تحولت مع الزمن الى ميزات اجتماعية ـ اقتصادية ، فقد كان من الطبيعي ان يقفوا الى جانب الوضع الراهن وفيخندق السلطة · ولقد خرج عن هذا الخط مجموعات وشخصيات مارونية كثيرة دفعها وعيها السياسي الى رفض مجتمع الامتيازات والمناداة بالمساواة بين المواطنين · ولكن الكتلة المارونية الاساسية وقفت مع

السلطة والامتيازات بسبب فقرها السياسي ، او الفائدة التي تجنيها من الامتيازات ، او بسبب التعبئة الدينية التي زادت من حدتها المذابح الطائفية وعمليات التهجير المتبادله ٠ وفي الوقت نفسه كان ابناء الطوائف الاخرى يشعرون بالغبن ويطالبون بالغاء الامتيازات ٠ فما ان حملت السلطة السلاح واشتبكت في القتال ، حتى وقف ابناء هذه الطوائف ، بنسب متفاوتة ، الى جانب خصم السلطة التي لم يبق معها من ابناء الطوائف الاخرى سوى المنتفعين من الوضع الراهن ٠

وفي المجتمع اللبناني بشكل عام فئتان : تعتبر اولاهما لبنان البداية والنهاية ، وتؤمن الثانية بلبنان ولكنها تعتبره جزءا لا يتجزأ من الوطن العربي ٠ واذا كانت الفئة الاولى تعتبر نفسها قاعدة غربية متقدمة في المشرق العربي ، وتتطلع حضاريا وسياسيا نحو الغرب ، فان الفئة الثانية تعتبر نفسها امتدادا للمنطقة وجزءا من حضارتها ، وتتطلع دائما نحو الشرق ٠ ولذا وقفت الفئة الاولى مع لبنان المنعزل عن هموم المنطقة ومعضلاتها ، وعلى رأسها المسألة الفلسطينية ، وتبنت استراتيجية السلطة ذات الطابع اللبناني القطري، بينما وقفت الثانية مع لبنان العربي الذي لا بد وان يلعب دوره الحضاري في المنطقة ، وان يشارك دولها في صد الغزوة الصهيونية ، وتبنت بالتالي استراتيجية المقاومة ذات الطابع العربي ٠

وفي المجتمع اللبناني محرومون ومترفون ٠ والمحرومون بالضرورة ضد سلطة المترفين ، والمترفون يقفون عادة مع السلطة التي تؤمن مصالحهم ٠ وعندما اندفعت السلطة الى الحرب ، وجد المحرومون الفرصة المناسبة لتفجير الاوضاع ، وقلب نظام الاحتكارات التي عانوا منها طوال سنوات ٠ وكان من المنتظر ان يرفع جميع المحرومين حرابهم ضد السلطة ، وان يكون جميع المترفين الى جانبها ٠ ولكن التعبئة الطائفية التي تحدثنا عنها ، والخوف على الامتيازات المارونية ، والعقد المترسبة منذ عدة قرون ، جعلت السواد الاعظم من المحرومين المسيحيين (موارنة وغير موارنة) يقفون الى جانب السلطة (عدوهم الطبقي) ، في حين لعب العامل القومي ، والرغبة في المساواة السياسية داخل الوطن (المشاركة مثلا) دورا في دفع العديد من المترفين المسلمين الى العمل ضد السلطة (حليفهم الطبقي) ، والتحالف عضويا او موضوعيا ، بشكل ظاهر او خفي ، مع حلفاء المقاومة من اللبنانيين الراغبين في التغيير ، او التغيير الجذري (اعداؤهم الطبقيون) ٠

وهكذا لعبت العوامل الطائفية والقومية والاجتماعية دورا في شق المجتمع اللبناني ٠ ولكن تشابك العوامل جعل الشقوق متعرجة ، فلم يكن الشرخ عموديا تماما على اساس طائفي او قومي ، كما لم يكن افقيا تماما علي اساس طبقي

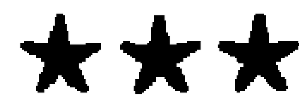
ـ اجتماعي ، بل كان مختلطا ومتداخلا • وزاد من الاختلاط والتداخل العلاقات العشائرية السائدة في لبنان ، والتي كرسها النظام السياسي بعد الاستقلال • وهناك امثلة عديدة ابرزها المثال الدرزي ، والمثال الزغرتاوي ، والمثال الشيعي • وسنكتفي هنا بالمثال الدرزي كنموذج •

فالدروز قوميون اساسا ، ومن الطبيعي ان يقفوا مع الاستراتيجية القومية ضد الاستراتيجية القطرية ، مع المقاومة وحلفائها ضد السلطة وحلفائها • بيد ان انقسام الدروز عشائريا الى جنبلاطيين ويزبكيين ، جعل غالبية الجنبلاطيين تقف مع المقاومة ( وخاصة بعد وقوف كمال جنبلاط وحزبه مع المقاومة) ، منسجمة بذلك مع تطلعها القومي ورغبتها في الغاء الامتيازات السياسية ، وولائها لاسرة جنبلاط ، في حين حملت قلة من اليزبكيين السلاح مع الحركة الوطنية ووقف العديد منهم مع السلطة او على الحياد ، بسبب موقف الامير مجيد ارسلان زعيم اليزبكيين ، مفضلين بذلك الولاء العشائري ، رغم ان موقعهم الطبيعي هو في خندق المقاومة •

ومن هنا نرى ان عوامل الانشقاق الموجودة في رحم المجتمع اللبناني قبل الاستقلال ، وقبل وجود المقاومة ، وقبل بدء الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، والتي كرسها النظام ولم يحاول تخفيفها ، كانت وراء الشرخ المتعرج الذي اصاب هذا المجتمع عندما اصطدمت السلطة مع المقاومة • ولا يمكن القول ان المقاومة سببت الشرخ ، وان كانت عاملا ساعد على كشفه • وكل ما فعلته المقاومة منذ وجودها في لبنان انها وجدت في المجتمع اللبناني قوتين : تقف احداهما مع السلطة الراغبة في ضربها على الطريقة الاردنية بسبب التناقض الاستراتيجي الذي تحدثنا عنه ، وتقف الثانية ضد السلطة وضد تصفية المقاومة، فتحالفت مع الثانية لحماية نفسها وتطبيق استراتيجية « الحفاظ على البقاء »، وعندما قامت السلطة وحلفاؤها بالهجوم في نيسان ١٩٧٥ لحسم التناقض الاستراتيجي ، وقفت القوة الثانية الى جانبها « لتكريس عروبة لبنان وحماية المقاومة واصلاح النظام» ، وتحول الصدام من حرب لبنانية ـ فلسطينية الى حرب اهلية لبنانية ذات دوافع مختلطة (قومية ، اجتماعية ، دينية ، عشائرية) •

ولا ينفي الصفة الاهلية عن الحرب ان السلطة وحلفاءها وجهوها في البداية ضد المقاومة • لان انقسام الشعب اللبناني حول مسألة حماية المقاومة لم يكن سوى تعبير عملي مكثف عن انقسامه حول المسألة القومية • وفي الحرب الاهلية الاميركية (١٨٦١ ـ ١٨٦٥) مثال مشابه • فلقد تحاربت الولايات الشمالية مع الولايات الجنوبية بعد ان اختلفتا حول مسألة تحرير العبيد التي لم تكن سوى تعبير مكثف عن التناقض القائم بين المجتمع الصناعي الرأسمالي في الولايات الشمالية والمجتمع الاقطاعي الزراعي في الولايات الجنوبية •

ولا يبدل طبيعة الحرب الاهلية اشتراك قوى غير لبنانية فيها · فلقد تدخل الفرنسيون بقيادة المركيز لافاييت في الحرب الاهلية الاميركية ، وتدخلت دول عدة في الحرب الاهلية الروسية ، وقامت المانيا النازية وايطاليا موسوليني بدعم احد الطرفين بينما دعمت فرنسا والاتحاد السوفياتي الطرف الاخر في الحرب الاهلية الاسبانية · والحالة مماثلة في انغولا واليونان وقبرص ولبنان · ولا يمكن تصور اي حرب اهلية يقف فيها الجوار موقف المتفرج ، ولا يتدخلون، بشكل او باخر ، لدعم هذا الطرف او ذاك · فالتدخل تعبير عن مصالح ، ومن المستحيل ان تكون مصالح الجوار متطابقة مع مصلحة الطرفين المتنازعين ، لان اندلاع النزاع في حد ذاته دليل على وجود تناقض في مصلحة طرفي الحرب الاهلية ·



ان اندلاع الحرب في لبنان وتحولها الى حرب اهلية دامية اخذت كل سمات الحرب الاهلية : الابادة ، قتل الاسرى والجرحى ، الرهائن ، التدمير المتبادل للممتلكات ··· الخ · مسألة ذات مدلولات هامة · فهي تكشف ان في قلب هذا المجتمع تناقضات متعددة كافية ومؤهلة للانفجار في كل لحظة · واي محاولة لاظهار الحرب وكأنها حرب لبنانية ضد الفلسطينيين عبارة عن التركيز على جزء من التناقض (اللبناني ـ الفلسطيني) واخفاء الجزء الاخر (اللبناني ـ اللبناني) · ولا يفيد اخفاء التناقض وتمويهه سوى اصحاب المصلحة من بقاء النظام القديم الذين يفضلون الحفاظ على الوضع الراهن ، بكل ما فيه من احتمالات صدام مستقبلية تلحق بالشعب اللبناني افدح الخسائر ، وتؤثر على الامن القومي تأثيرا بالغ الضرر ·ـ

# التسليح الايراني والأحلام الامبراطورية

سلمى حداد

تدل الاحصائيات العالمية ان ايران كانت في العام ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ الزبون الاول للسلاح الاميركي ، وان الدولة الصهيونية كانت الزبون الثاني · ولكن الفرق بين الزبونيين لا يكمن فقط في حجم الاسلحة والمعدات الحربية المسلمة الى كل منهما ، بل يكمن ايضا ، وبشكل اساسي ، في ان ايران تدفع ثمن مشترياتها نقدا او نفطا ، في حين تحصل اسرائيل على القسط الاكبر من السلاح كمساعدات مجانية ·

ولقد كان من الممكن فهم هذا التمايز لو ان مصلحة الولايات المتحدة في تقوية اسرائيل اكبر من مصلحتها في تدعيم العسكرية الايرانية ، ولكن الامر مخالف لذلك اذ لا تقل الخدمات التي تقدمها ايران الى المصالح الاميركية عن الخدمات التي تقدمها اسرائيل · ولا تحتل الدولة الصهيونية في مخططات السياسة الخارجية الاميركية موقعا افضل من الموقع الذي تحتله ايران ·

واذا كانت اسرائيل مخفرا لحراسة جزء من الطريق البحري لمرور النفط الى اوروبا ( شمالي البحر الاحمر وشرقي البحر الابيض المتوسط ) ، فان ايران مخفرا لحراسة جزء من الطريق لا يقل عنه اهمية ( الخليج العربي )· واذا كانت اسرائيل ادة الامبريالية لفرض سيطرتها على جزء من الامة العربية ، فالامبراطورية الفارسية اداة مماثلة لفرض السيطرة الامبريالية في منطقة الخليج · وكلتا الدولتان جزء من المعسكر المعاد لحركة التحرر الوطني العربي ، وجزء من القوى العاملة على منع التغلغل السوفياتي في منطقة تهم الولايات المتحدة استراتيجيا واقتصاديا·

وقد يظن البعض ان السبب في هذا التمايز يرجع الى غنى الدولة الايرانية المنتجة للنفط وفقر اسرائيل ، استنادا الى ان الدخل القومي الايراني يعادل ٣٥ر٦ مليار دولار ، في حين ان الدخل القومي الاسرائيلي لايزيد عن ١١ر٧ مليارا · ولكن هذا الظن لا يلبث ان يتبدد اذا عرفنا ان دخل الفرد سنويا في اسرئيل يعادل ٣٤٨٢ دولارا ، في حين انه يعادل في ايران ١٠٧٥ دولارا (الارقام ماخوذة من احصائيات ١٩٧٤ ) وهذا يعني ان مستوى دخل الفرد في اسرائيل يعادل حسابيا ٣٢٣ ٪ من مستوى دخل الفرد الايراني ، مع انه يعادل عمليا اكثر من ذلك نظر التباين عدالة التوزيع في البلدين · ولا يمكن تفسير التصرف الاميركي المتحيز

ازاء اسرائيل الا بتأثير الضغط الصهيوني على الادارة والكنفرس الاميركيين وتفوق الصهاينة على الايرانيين في مجال الابتزاز ·

والحقيقة ان ايران كانت تحصل على السلاح الاميركي في الاربعينات بشروط مناسبة وضمن اطار المساعدات العسكرية التي قدمتها الولايات المتحدة للدول الصديقة بعد الحرب العالمية الثانية · وكانت هذه المساعدات تغطي قيمة الاسلحة والمعدات والتجهيزات ، ونفقات التدريب والصيانة والشحن · ولقد تلقت ايران بموجب برنامج المساعدات ، في الفترة الواقعة بين ١٩٤٩ و١٩٦٠ ، ما تزيد قيمته على مليار دولار ·(١)

وفي مطلع الستينات ، بدأت الولايات المتحدة تقلص مساعداتهاالعسكرية ، وتشجع تجارة الاسلحة مع حلفائها القادرين نسبيا على الدفع ، بغية تعديل الخلل المتزايد في ميزان المدفوعات الاميركي من جراء الحربفي فيتنام· وادى هذا التدبير الى انخفاض المساعدات العسكرية الممنوحة لايران · ومنذ منتصف الستينات ، اصبحت الاسلحةالمشتراة من قبل ايران اكبر من حجم المساعدات ·

وكان بوسع طهران ان تقف عند هذا المنعطف بحزم ، كما وقفت تركيا ، وان تفهم الاميركيين انها لن تشتري الاسلحة من مال الشعب الايراني ، ولن تقتطع من ميزانيات الانماء الضرورية لاخراج ايران من التخلف الموروث ، من اجل تدعيم القوة العسكرية التي لا تخدم الا مصالح اميركا · ولو انها فعلت ذلك لاضطرت الادارة الاميركية للخضوع ولقامت بتسليح ايران مجانا ،تماما كما سلحت دول الحلف المركزي الاخرى ودول حلفجنوبي شرقي آسيا · ولكان السلاح المقدم الى ايران متناسبا مع مصالح اميركا ·

ولكن الامور لم تجر بهذا الشكل ، لان نرجسية شاه ايران واحلامه الامبراطورية ، ورغبته في لعب دور الدولة العظمى في المنطقة ، دفعته الى التفكير ببناء قوة مسلحة تفوق متطلبات المصالح الاميركية ، وتحتاج بالتالي لاسلحة تزيد على ما يمكن ان يقدمه البنتاغون من مساعدات واستغلت واشنطن هذه الثغرة ، فطرحت فكرة البيع ، ودغدغت غرور الشاه بالحديث عن ارتفاع دخل ايران عن مستوى الحد الادنى المتعارف عليه دوليا للدول المتخلفة ، فوقع الشاه في الفخ الذي نصبه لنفسه ، وبدأ يشتري السلاح ، ودارت المصانع الحربية الاميركية بالزيت الايراني ·

وهكذا تزايدت المصروفات العسكرية الايرانية بنسبة تفوق ١٠ ٪ سنويا · وارتفعت الزيادة في العام ١٩٧٠ بما يعادل ٥٠٪ مرة واحدة (٢) · وفي فترة (١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ ) اشترت ايران من الولايات المتحدة اسلحة ومعدات قيمتها ٤ر١٠ مليار دولار · وترجعهذه القفزة المذهلة في الترسانة الايرانية الى رغبة الشاه محمد رضا بهلويباملاء الفراغ الامني المزعوم الناجم عن انسحاب بريطانيا من الخليج في العام ١٩٧١ ، وتأمين الاستقرار في المنطقة · كما يرجع الى وفاة الرئيس جمال عبدالناصر ، واعتقاد الشاه بأنه غدا قادرا على العمل دون منافسة ، وصار بوسعه ادعاء الحق في تامين الاستقرار في المنطقة ·

وساعدت الولايات المتحدة هذا التوجه الجديد الذي يحقق لها خمسة مكاسب :

١ ـ ملء «الفراغ» بقوة حليفة مضمونة ، ٢ـ ضمان تنفيذ هذه المهمة بقوة محلية مبنية بأموال ايرانية ، ٣ـ زيادة بيع الاسلحة والمعدات لايران ٤ـ ايجاد عامل محفزيدفع الدول العربية النفطية لشراء اسلحة اميركية لموازنة التسليح الايراني الامر الذي يؤدي الى امتصاص جزء من الدخل العربي النفطي ، ٥ـ اضطرار ايران الى متابعة الشراء لتدعيم قواتها وموازنة التسليح العربي الجديد ٠

ولقد شدد الرئيس السابق ريتشارد نيكسون على دعمه لمخطط التسليح الايراني وذلك في خطاب القاه في آب ١٩٧٢ ، خلال زيارةالشاه للولايات المتحدة ، وقال فيه انه يتعهد للشاه بمساعدته كليا لملء «فراغ القوة» الذي تركه انسحاب بريطانيا (٣) ٠ وكان ذلك بمثابة الضوء الاخضر للبنتاغون ، وشركات التصنيع الحربي ، والسماسرة ، والوسطاء ٠

وجاء ارتفاع اسعار النفط في اعقاب حرب تشرين ليضع بين يدي الشاه ميزانية ضخمة تساعده على تحقيق احلامه ٠ فلقد كان دخل ايران من النفط قبل هذه الحرب ٥ر٢ مليار دولار ، ووصل في العام ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ الى ٥ر٢١ مليار؛ ٠ ولكن انخفاض الانتاج الايراني بما يعادل ٣ مليارات ، بسبب تناقص الطلب على النفط من جراء ما تعانيه الدول الصناعية من تضخم وبطالة وارتفاع في الاسعار ، دفع الشاه الى المطالبة بزيادة سعر النفط لسد العجز في ميزانيته ، وتأمين النفقات العسكرية التي وصلت في السنة المالية الحالية الى ٢٧ ٪ من الميزانية الايرانية ، واكثر من ١٢٪ من الدخل القومي ٠

وعندما اصطدمت محاولات رفع الاسعار بمعارضة اميركية ـ سعودية ٠ وتعذر الحصول على ميزانية اضافية ، كان من الطبيعي ان يوقف الشاه توسيع قواته المسلحة ، خاصة وانه ليس بحاجة لقوة اكبر مما يملك ، ولا يتعرض لاي خطر جدي من جيرانه ( وسنأتي على توضيح هذه النقطة فيما بعد )، او ان يطالب الولايات المتحدة بسد الثغرة كما تفعل مع اسرائيل وتركيا وباكستان وكوريا الجنوبية ، ولكنه آثر السير على سبيل آخر ، وقرر سد الثغرة على حساب الانماء ، فأعاد النظر في بعض المشاريع الاقتصادية ( الصناعية والزراعية ) واجل تنفيذ البعض الاخر ٠ وقام بزيارة الى الولايات المتحدة في اب ١٩٧٦ ، عقد خلالها اتفاقية عسكرية اقتصادية مدتها ست سنوات ٠

ولقد تعهدت اميركا بموجب هذه الاتفاقية ( الموقعة في ١٩٧٦/٨/٧ ) بان تبيع ايران اسلحة متطورة قيمتها ١٠ مليارات دولار ، بالاضافة الى منتجات غير حربية قيمتها ٢٤ مليارا ٠كما تعهدت ايران بان تبيع الولايات المتحدة بضائع ومنتجات قيمتها ١٦ مليارا ( منها نفط قيمته ١٤ مليارا )، وان تسدد ١٨ مليار دولار نقدا تجمعه من مبيعاتها النفطية للدول الاخرى ٠ولكن الاتفاقية لم تتطرق الى المفاعلات النووية التي ترغب ايران في شرائها بسبعة مليارات دولار٠

وما ان اذيعت انباء هذه الاتفاقية حتى بدأت الاوساط الصحفية والرسمية تتحدث ، بكثير من النقد ، عن ضخامة التسليح الايراني واثره على المنطقة في الظروف الدولية والمحلية القائمة ٠ ورغم اننا ننظر الى التسليح الايراني بكثير من الحذر ، فاننا نعتبر هذا النقد

ظاهرة تسترعي الانتباه · خاصة وان صفقات الاسلحة التي تقدم الى اسرائيل مجانا ، وعلى حساب المكلف الاميركي ومستواه المعاشي ، لا تلاقي اي نقد ، في حين تنصب الانتقادات على ايران مع انها تدفع ثمن ما تحصل عليه ·

ولقد اعدت « لجنة شؤون العلاقات الخارجية » في مجلس الشيوخ تقريرا اكدت فيه ان تسليح ايران غدا « خارج السيطرة » · ويحذر التقرير الادارة الاميركية من النقاط التالية :

اولا : ان السلاح الذي تحصل عليه ايران متطور الى الحد الذي يجعل من الصعب استخدامه دون الاستعانة بخبراء اميركيين · فالطائرة « تومكات فـ ١٤ » ، التي اشترت ايران ٨٠ منها ، متطورة بشكل يجعل البحرية الاميركية تلاقي صعوبة في استخدامها ، والمدمرات الست من طراز « سبروانس» المخصصة لايران ،اشد تعقيدا من المدمرات الاميركية·

ثانيا : ان في ايران عدد من الخبراء الاميركيين سيرتفع مع الصفقة الجديدة الى ٥٠ـ٦٠ الف خبير · وهذه بداية خطرة تشبه بداية التورط في فيتنام ·

ثالثا : ليس هناك ما يسمى « صفقات سلاح غير ملزمة » ، ولذا فان من المتعذر على اميركا البقاء على الحياد في اي نزاع تخوضه ايران ، لان تشغيل الاسلحة وصيانتها يتطلبان وجودا اميركيا يكون بداية التورط ·

رابعا : ان بيع الاسلحة الى ايران واسرائيل والسعودية والاردن ،سيضع اميركا في موقف حرج اذا اندلع القتال في الشرق الاوسط بين اطراف متنازعة تسلحها الولايات المتحدة وترسل اليها الخبراء والمدربين ·

خامسا : ان المعضلة الاساسية التي تواجه اميركا هي كيفية البقاء خارج ساحة الحرب· والمخرج من المعضلة هو ايجاد حل سلمي للنزاع العربي ـ الاسرائيلي ، وايقاف سباق التسلح في الخليج ·

وتختلف وجهة نظر الخارجية الاميركية عما جاء في هذا التقرير · فلقد صرح الدكتور هنري كيسنجر ان بيع الاسلحة الى ايران « لم يخرج من السيطرة » (٤)، وان تسليح ايران يخدم سياسة الولايات المتحدة ومصالحها في الخليج ، كما حددها الرئيس السابق نيكسون عندما اكد بأن السعودية وايران قادرتان على تامين الاستقرار في منطقة الخليج (٥) · واضاف كيسنجر في تصريحه بأن من الامور المتفق عليها ، ان تقدم الولايات المتحدة السلاح للدول الصديقة حتى تدافع عن نفسها ·

ورغم تفسيرات وزارة الخارجية ، ورغم ربط التسليح الايراني بسياسة الولايات المتحدة ومصالحها وهيبتها ، فقد استمرت الانتقادات الصحفية وشبه الرسمية ·ويرجع ذلك باعتقادنا الى عدة اسباب اهمها : ١ ـ حمى الانتخابات الاميركية التي رافقت الانتقادات ، ورغبة الديمقراطيين في تشوية اعمال وانجازات الجمهوريين ، ومن بينها سياسة التسليح الاميركي لايران التي وضع نيكسون ( الجمهوري ) حجرها الاساسي ، ٢ ـ حرص بعض المنتقدين على نظام الشاه ، وخوفهم من ان يؤدي تخفيض المصروفات الداخلية في ايران الى تذمر

شعبي تعقبه انفجارات عنيفة تدمر النظام وتبعد السيطرة الاميركية عن ايران ، خاصة وان تصرفات الامبراطور الشبيهة بتصرفات حكام القرون الوسطى ، وسياسته الداخلية الرجعية، تشكل مناخا ملائما لنمو الحركات التورية ، ٣ ـ الخوف من التورط على الشكل الفيتنامي، ٤ ـ الرغبة في مهاجمة الادارة الاميركية التي تحتكر اتخاذ القرارات في المسائل الامنية وقضايا السياسة الخارجية ، ٥ ـ المطالبة بعدم التساهل عند عقد الصفقات ، واستخدامها كوسيلة للضغط على الشاه ، ومنعه من ترؤس حملة المطالبة برفع اسعار النفط ٠

ولقد رافق الانتقادات المبدئية حول تسليح ايران انتقادات ذات طابع شخصي ٠ ففي جلسة عقدتها لجنة فرعية تابعة لمجلس الشيوخ الاميركي تقوم بالتحقيق في قضية بيع طائرات « تومكات ف ـ ١٤ » الى ايران ، عرض مندوب البنتاغون بان القادة العسكريين نصحوا نيكسون ، قبيل سفره الى ايران في ايار ١٩٧٢ ، بعدم بيع هذه الطائرات لجيش الشاه ، ان نيكسون ضرب بهذه النصيحة عرض الحائط ، الامر الذي ادى الى بيع ٨٠ طائرة بسعر ٢ر٢ مليار دولار ٠ ويذكر ان اللجنة الفرعية لمجلس الشيوخ المكلفة بقضايا الشركات متعددة الجنسيات ، استنتجت من الشهادات التي قدمت امامها « بأن السبب في موافقة نيكسون على بيع هذه الطائرات الحربية الحديثة الى ايران يرجع الى الضغوط التي مارستها شركة غرومان عليه » (٦) ٠ والحقيقة ان شركة غرومان استخدمت عدداً من الوكلاء لمساعدتها على انجاز صفقة طائرات « ف ـ ١٤ » ٠ ولقد انتقد مارتين هوفمان شركتي « غرومان » و « دوغلاس » المشتركتين بانتاج الطائرة « فـ ١٥ » لانغماسهما في منافسات البيع داخل ايران بهدف تسويق منتجاتهما الحربية ٠ وصرح الجنرال الاميركي المتقاعد اليس وليامسون، الذي كان رئيسا لبعثة المستشارين الاميركيين في ايران من ١٩٧١ الى ١٩٧٣ ، ان ايران كانت في مطلع السبعينات « مثل فطيرة طيبة المذاق بالنسبة الى رجال الاعمال » (٧) ، وان ٣٥ من رجال الاعمال الاميركيين على الاقل كانوا يفدون اسبوعيا الى ايران في تلك الحقبة٠

ولقد انتقد الجنرال الايراني حسان توفانيان ، المسؤول الرئيسي عن عقد صفقات شراء الاسلحة للقوات المسلحة الايرانية ، تصرفات شركة غرومان ، واتهمها باعطاء معلومات خاطئة ومضللة عن صفقة طائرات « ف ـ ١٤ » ، وشجب بشدة تصرفات وكلاء الشركة وخاصة « الاخوة ليفي » الذين وصفهم بانهم زمرة من المحتالين ، كما شجب ثلاثة من الايرانيين المقيمين في لونغ آيلند ( هوشانغ ، وبارفيز ، ومنصور ) الذين ادرجتهم الحكومة الايرانية على القائمة السوداء قبل قيام شركة غرومان باستخدامهم (٨) ٠

ومن القضايا التي اثيرت في هذا المجال ، قضية اتلاف السجلات المالية للبعثة العسكرية الاميركية في طهران ( في اب ١٩٧٦ ) ، بغية اخفاء عمليات سمسرة جرت في مشروع العون الاميركي لايران (٩) ٠



هكذا تتضافر الطموحات الشاهنشاهانية ، والمصالح الاميركية ، وضغوطات شركات التصنيع الحربي ، والسمسرات والعمولات في سبيل تدعيم القوة العسكرية الايرانية ٠٠٠كان هذا في عهد نيكسون وفورد ، وسيكون في عهد كارتر الذي لن يقل عن سابقيه اهتماما بامتصاص فائض الدولارات الايرانية ، وتدعيم السيطرة الاميركية على طرق نقل النفط ، وضرب حركة التحرر الوطني العربي ، وموازنة التغلغل السوفياتي في المنطقة اذا تعذر اقتلاعه ٠ وهذا ما يدفعنا الى الاعتقاد بان واشنطن ستتابع السير على سبيل تدعيم القوة العسكرية الايرانية ٠

لقد ذكر هنري كيسنجر ، في معرض الدفاع عن تسليح ايران ، ان الولايات المتحدة تقدم السلاح للدول الصديقة « لكي تدافع عن نفسها » (١٠) · ولكن هذا القول لا ينطبق علىجميع حالات تقديم السلاح · فالولايات المتحدة تزود اسرائيل بالاسلحة في الوقت الذي تحتل فيه الدولة الصهيونية اراضي دول مجاورة ، وتهدد باحتلال اراض اخرى ، وتقف في وضع الدفاع الهجومي ، مع التلويح بالتحول الى الهجوم · وهي تزود ايران بالاسلحة للدفاع · ولكن ضد من ؟

ان القوة الايرانية ، مهما تضخمت ، عاجزة عن الدفاع ضد اي خطر سوفياتي · والاميركيون يعرفون ذلك ، ويعرفون ان اوروبا الغربية كلها عاجزة عن الوقوف بوجه السوفيات لولا المظلة النووية الاميركية · ولا تملك الجارة افغانستان اية نوايا عدوانية ازاء ايران ، كما انها لا تملك سوى ٨٨ الف جندي ، و ٣٥٠ دبابة متوسطة ، و ٤٠ دبابة خفيفة ، و ٤٠٠ عربة مدرعة ، و ٥٠٠ مدفع و ١٦٠ طائرة مقاتلة · وهي قوة لا تذكر امام الجيش الايراني الذي يضم ٢٥٠ الف رجل ، و ١١٦٠ دبابة متوسطة ( بالاضافة الى ١٦٨٠ دبابة متوسطة و ٢٥٠ دبابة خفيفة تحت الطلب ) ، و ٢٠٠٠ عربة مدرعة ، و ٦٥٠ مدفعا ، و ٢٥٢ طائرة مقاتلة ( بالاضافة الى ٤٣٥ طائرة اخرى تحت الطلب ) (١١) · والجارتان تركيا والباكستان داخلتان مع ايران في الحلف المركزي · وليس للهند مطامع في ايران ،وهي تحاول على العكس تحسين علاقاتها معها باستمرار بسبب حاجتها للنفط الايراني ·

ان ايران لا تتعرض لاي خطر من الجوار · وليس لها جيران تتناقض مصالحهم مع مصالحهاسوى الدول‌العربية،التي لم تترك ايران فرصة الا اعتدت بهاعليها(السيطرة على الاهواز او غربستان ، دعم الحركات الانفصالية الكردية ،الاستيلاء على جزر طمب الكبرى وطمب الصغرى وابو موسى في العام ١٩٧١ ، المطالبة بالبحرين في العام ١٩٧٢ ··· الخ)· ولكن ميزان القوى القائم حاليا بين ايران والدول العربية المطلة على الخليج العربي يضمن التوازن حتى دون حساب الاسلحة التي ستصل الى ايران خلال السنوات الست المقبلة · ولا يرجع ذلك الى ان العرب لا يملكون القوة ، بل يرجع الى ان جزءا من قوتهم مكرس لصد الغزوة الصهيونية ·

ومن هنا نرى ان القوة الايرانية لا تعد للدفاع كما يدعي كيسنجر ، بل تعد اساسا للعدوان على الدول العربية ، او للتهديد بالعدوان · ولا يشكل تزايدها وسيلة استقرار وسلام في منطقة الخليج بل يشكل على العكس وسيلة توتر وعدم استقرار ، تكمن وراءها احلام امبراطورية عف عليها الزمن ·


المراجع

١ ـ SIPRI, the Arms trade with the Third World ( Stockholm , Peace Research Institute, Almquist and WickSell, 1973) P.P. 576 - 577

٢ ـ المصدر السابق ص ٥٧٩ ـ راجع ايضا : SIPRI, Yearbook : World Armement and Disarmement , 1972 , P. 103

٣ ـ U.S. Department of State Bulletin , Vol . Lxix No 1782 ( August , 20 , 1973 ) P.P. 275 - 276

٤ ـ واشنطن بوست ، ٨ آب ، ١٩٧٦ ·

٥ ـ حدد نيكسون سياسة الولايات المتحدة في منطقة الخليج في تقرير نشر في :
The Department Of State Bulletin , Vol. Lxiii , No 1771 , June 1973 , P. 788 .

٦ ـ نيويورك تايمز ، ٢٨ ايلول ، ١٩٧٦

٧ ـ المرجع نفسه ٠

٨ ـ نيويورك تايمز ، ١ تشريـن الاول ، ١٩٧٦ ٠

٩ ـ نيويورك تايمز ، ١٦ ايلول ، ١٩٧٦ ٠

١٠ ـ واشنطن بوست ، ٨ اب ، ١٩٧٦ ٠

١١ ـ الارقام الخاصة بالتسليح ماخوذة من المرجع التالي ، ومعدلة من اجل العـــام ١٩٧٦ :

Military Balance 1975 — 1976 . The International Institute For Strategic Studies , London .

# الامبرياليّة والقارة العربيّة

نبيل قاسم

(١) تشكل الرأسمالية في العصر الامبريالي ـ الرأسمال المالي بالمعنى الذي يحدده لينين ـ نظاما عالميا : السلسلة الامبريالية العالمية أو النظام الامبريالي العالمي · ولكننا نستطيع تمييز مناطق وتكتلات ومجموعات اقليمية داخل هذا النظام ، باختصار ، نستطيع تمييز « انظمة تابعة » او « سلاسل تابعة »· وهذه هي حالة القارة العربية · ولكن التماسك الذي يحكم كلية النظام الامبريالي العالمي هو كثير التعقيد ، انه يجيز في غضون ذلك استقلالية نسبية خاصة بشروط كل « سلسلة تابعة » ضمن تحديد النظام الامبريالي العالمي ·

(٢) اخضعت الامبريالية القارة العربية لنظام معقد من الهيمنة نطلق عليه « السلسلة الاقليمية التابعة للامبريالية » هذه الاخيرة تتمفصل على محورين او سلكتين للتبعية·

المحور الاول : السلكة العامة للتبعية الامبريالية ·

المحور الثاني : سلسلة السلكات الخاصة للتبعية ·

هذا المحور المزدوج الذي يعيد انتاج « السلسلة الاقليمية التابعة للامبريالية» ونظام السيطرة الذي يقابلها ، هو محور معاصر ويتبع واحده الاخر ، انه يؤلف كلا متمفصلا ومتمنذجا · بمعنى اخر ، لا يعمل المحور الاول بدون او على جانب او خارج او حتى بطريقة متوازية بالنسبة للمحور الثاني والعكس صحيح ، كل محور من الاثنين هو شرط وجود الاخر ، اي كل واحد منهما يوجد في الاخر · ضمن هذا الشرط يصبح تمييز **الاساسي** محددا بالمحور الاول عن **الرئيسي** محددا بالمحور الثاني له معنى ·

(٣) المحور الاول : السلكة العامة للتبعية الامبريالية ·

**هذا المحور يخص العالم العربي كما هو ، وظيفته الرئيسية اعادة انتاج الشروط العامة للاشكال اللامباشرة للهيمنة الامبريالية · بهذا المعنى نستطيع**

تمييز التناقض الاساسي في الاطار التاريخـي المشترك لمجموع الشعب العربـي، هذا التناقض هو الذي يضع الشعب العربي مقابل اعدائـه الاساسيين ٠ الشعب العربي ـ الامبريالية ـ الصهيونية ـ البورجوازيات العربية ٠

وفي كل مرة يجب ان نشير الى ان هذه « العناصر » الثلاثة (او «الظواهر» بالمعـنى الذي يعـرفها ماو : الظواهر هي التعارضات التي تتواجه وتتقابـل في تناقض ما ) المكونــة للتناقض الاساسي لا تتوجــد على نفس المسطح ونفس الارضية ولا تحـمل نفس الوظيفة ، لان التناقض الاساسي ليس كلا اصيلا وبسيطا ولكنه بنية : اي نموذج مترابط ، متسلسل ومتمفصل ٠

واذا تصرف كل واحـد من « الظواهر » الثلاث ضمن تحديد تاريخيللامبريالية باستقلالية نسبية ، فهـذا لا ينفـي استمـرار العـلاقة الصهيونية ـ الامبريالية كونها مبنية بعـلاقة متميزة ومحـددة بهويتها الطبيعـية ، بالرغـم من ان ظاهرة « بورجوازية عربية » توجـــد على مفصلة المحـــور الاول وفي سياق المحـــور الثاني ٠

(٤) هذا التناقض الاساسي يظهر كأنه لا متغير للحقبة التاريخية الجارية : انه لا ينجز ولا يأخذ طريقه الى النهاية الا عبر ايجاد الحل الصحيح ، والذي يتضمن بالضرورة هزيمة الامبريالية وابادة الكيان الصهيوني وهزيمة البورجوازيـــات العربية ، وهذا لا يتم الا بوضع مشروع الوحدة العربيــة على طريــق الحركة ٠ ان حرب التحرير الشعبية هي التي تستطيع حل التناقض الاساسي ، بشرط فهــم الوحدة التي نتحدث عنها كغاية وليس كنقطة انطلاق ، بهذا الشيء تصبح هــذه الوحدة الهدف واطار التحقق للثورة العربية في المرحلة الديمقراطيــة الوطنية ٠ عندئذ سوف تستعاد في الاساس وحدة الجماهير العربيــة في صراعهـــا ضـــد اعــدائها الاساسيين ، فلا تصبح وحــدة الشعـب العربي هذه عـاملا ايديولوجيا موطدا فقط ، بل تؤلف الشرط المحـدد الذي نرتضيه للتحرر « الحقيقـــي »٠

(٥) المحور الاول الذي يحدد « الاشكال اللامباشرة » للهيمنة الامبريالية ينقسم الى ثلاثة سلكات متمفصلة :

(أ) سلكة «اقليمية »لتقسيم العـمل ٠

(ب) سلكة البلقنة ٠

(ج) سلكة الاخضاع ٠

هذه السلكات الثلاث هي تبادليا سببا ونتيجة كل واحـدة بالنسبة للاخـرى او

كما قال ماركس « تسند بعضها البعــض »٠

(٦) المحور الاول يفترض التحرر «الصريح» اي التحرر الوطني ، انه يفــرض على كل « مجتمع عربي » خاضع موقعا ووظيفة مناسبة لهذا الموقــع في حضــن السلسلة الاقليمية التابعــة للامبريالية ، موقعــا ووظيفة محددين في « التقسيــم الاقليمي للعمل » ، هذا التقسيم هو الذي يحــدد تــوزع الاعمــال ، بحيث ان هذه « المجتمعــات العربية »تتم وتتحقق في « السلسلة الاقليمية التابعــة للامبريالية » بالنسبة للموقع الذي تشغله ( محدد في سلكة البلقنة ) ٠

(٧) هذا المحور الاول يعيد انتاج القارة العربية بــ :

(أ) اسرائيل ـ فلسطين ٠

(ب) الاقطار ٠

(ج) الكيانــات ٠

(٨) اسرائيل ــ فلسطين :

وظيفة الكيان ــ الدولة الاسرائيلية مقصورة بالتكون الوحيد للمحور الاول ، وهي وظيفة **خارج اقتصادية** : اسرائيل لا تستل ولا تنهب العالم العربي٠ اسرائيل تمثل « لحظة العنف الامبريالي » الضرورية لاخضاع (سلكة الاخضاع) الجماهير العربية والبورجوازيات التي بحالة قطيعــة مع الامبريالية ، قطيعة ضروريــة طالما ان المجتمعــات العربية ليست حبلى بالتطور الراسمالــي الــذي لا يهتم باستمرار الداخلة والتوسط الاجنبي ٠

(٩) الاقطار : مصر ــ سوريا ــ العراق ــ الجزائر ٠٠٠ اليمن الديمقراطيــة تؤلف ضمن اطار الاقطار حالة على حدة ؟

لنقل حتى ننتقل الى المهــم ، ان هــذه الاقطار هي « **تشكيــلات اجتماعيــة** » حيث نجحت في تركيز راسمالية منتجة او بشكل عــام « نمط مترسمــل » ( اي بدون عــلاقه مع علاقات الانتاج الاولية ) بالحقيقة خاضع ، ولكن مع ذلك ذاتــي المركز ٠ نظام مترسمــل ذاتي المركز يعــني ان عــناصر الانتاج لرأسمال معــين متصلة بمدى وطني واحد ، بالرغــم من ان عناصر هكذا انتاج هي منخرطــة (بشكل غير مباشر ما بين عــامي١٩٦١ ــ ١٩٧٢ وبشكل مباشر في السنــوات الاخــرى ) بالنظام الامبريالي العــالمي ٠

ان اعـادة انتاج العـلاقات الراسمالية او المترسملة هي جوهريا من الشكـل الاجتماعي نفسه ومن نمط تكراره وتجدده ، وهذا ما نسميه تحكم وسائـل الانتاج الذي يحدد تقسيم الاشكال الاجتماعية الى طبقات متخاصمة ٠

ولكن هذا لا يعني ان تاريخ « الاقطار » ولد بورجوازيـة وطنيـة وبالتالـي راسمالية وطنية ٠ بورجوازية وطنيـة يعني بورجوازية مستقلة وفـي حالـة **قطيعـة اساسية** مع الامبريالية وتصبح عـلى هذا الاساس جزءا مأخـوذا فـي **صراع جذري وغير مرتد** مع الامبريالـ تكون غايته التحرر « الحقيقي » « وثورة وطنية حقيقية » ٠

(١٠) « ثورة حقيقية » لا تكون الا بالعصيان العام للجماهير الشعبية مـرة واحدة وضد الامبريالية وضد الطبقات الملحقة في السلطة ( البرجوازيات الوسيطة ـ الامـراء ٠٠٠ )

«ثورة حقيقية» هي تلك التي ترتب قطيعة اساسية مع الامبريالية وتبني اقتصادا وطنيا ( حالةاليمن الجنوبية ؟)

اننا نرى في غضون ذلك ثورات ولكنها ليست « ثورات حقيقية » وهـذه هـي تحديدا حالة « الاقطار » ، لقد حققت هـذه الاخيرة قطيعـة جزئية مـع الامبريالية ( مصر عبد الناصر ـ سوريا وعـراق البعث ـ الجزائر المستقلـة ـ ليبيا (؟) كل واحدة منها بالشروط الخاصة بتاريخها ) ٠ هذه « الجذريـة السلطوية » الخاصة بالاقطار اوصلت طوال مرحلة من تاريخها الى تغيير ثانوي في العـلاقه مع الامبريالية ، ولكنها لا توصل في النهاية الا الى اعـادة انتـاج الراسمالية او النمط المترسمل تحت اشكال من التبعـية ، جديدة والمتجـددة ٠ يجب ان نعـرف كيف نغـير الاشياء حتى لا تتغـير ٠

هذا النوع من الثورات تقوم بـه « الشرائح البرجوازيـة » ، الضبـاط الصغار للبرجوازية الوطنية ، انها تعمل عمل الاجـزاء الراديكاليـة لبعض « المهن الليبرالية » بقطيعـة ايديولوجية مع الامبريالية وبقطيعـة مع الطبقـات المحلية السائدة ( المثقفين الراديكاليين ) وتعمل بالنهايـة عمـل « الكـوادر العسكرية » ٠

بشكل عـام هـذه الاجزاء الراديكالية هي ضد الامبريالية ولكن ليس بالضرورة ضد الراسمالية وانها تتحـرك في قلب وضعـية ثورية موضوعـيا من اجـل ان تحتكرها لمصلحتها ومنأجل القيام بجملة من التغييرات السياسية والاقتصادية: نمو بورجوازية دولة وراسمالية دولة وتوطين « جعله وطنيا » وانماء القطـاع

الشعبي ، اتاحة التصنيع بشكل كثيف ، احتكار التجارة الخارجية ،اصلاحات زراعية ··· نوع من « الثورة من فوق » او كما يقول انجلز «ثورة على الطريقة البسماركية » من اجل ذاتية المركز كما هي ، هذه الرأسمالية أو هذا النمط المترسمل يبقى اذن في موقع تبعية في مواجهة رأس المال المالي الدولي·

(١١) ان النظم الانتاجية لهذه الاقطار **تبقى مترابطة ، فالسلسلة الاقليمية التابعة للامبريالية تساعد جزئيا سلكة الانتاج الدولية مستعملة قوة العمل الاقل نوعية الاكثر عددا والاقل كلفة في نفس الوقت التي تستمر في الاتجاه نحو السوق العالمي** ( بشكل غير مباشر وباستدارات معقدة ) **حيث تتحقق قيمة الدخول ·**

اذ ذاك وفي الاساس لا يتغير اطلاقا موقع التبعية : انه يتغير ثانويا بمقدار ما يتعلق بالسلكة التكنولوجية لانتاجية العمل وبشبكة معقدة من العلاقات الوكالية ( بالوكالة ) مع الرأسمال العالمي ، بالعمل المالي الخ ·· وبالمقدار التي وحدها السلع الناضجة قد تحققت في السوق العالمية المهيمن عليها بالرأسمال المالي العالمي ·

(١٢) من اجل ان يكون كذلك يصبح « سهلا » نسبيا على الامبريالية مرورا بصراعات شرسة وعينية ان تسترد سياسيا هذه الشرائح البورجوازية الراديكالية· هذا الشيء حصل : بشكل شبكة دقيقة الاجزاء منذ ١٩٦٧ ، وبشكل تظاهري بدون خجل ولا تأنيب منذ اكتوبر ١٩٧٣ ؟ ان توبتهم هذه هي بالنهاية منقوشة بنفس منطق ثورتهم ·

(١٣) الكيانات العربية : لبنان ـ الاردن ـ الدول النفطية ·

لنقل عبر تركيزنا على المهم ان هذه الكيانات لا تؤلف تشكيلات اجتماعية ، انها لم تنجح حتى في توسيع ورقي نظام انتاجي مهيمن في نطاق مداها الوطني ، ذلك ان نوعية التراكم داخلها هو بالاكثر تراكم ثروة اكثر مما هو تراكم رأسمال متصل مباشرة بالنظام الانتاجي العالمي · لهذا فان هذا التراكم هو تراكم خارجي المركز ومرتبط مباشرة بالرأسمال العالمي · خارجي المركز تعني ان عناصر هكذا تراكم ليست متصلة في اطار مدى وطني واحد ولكنها مبعثرة على طول النظام الامبريالي العالمي ، لان تراكم الثروة هذا متأت من بزل (بزل الشيء اي استخراج فائضه « غير النافع » ) فائض القيمة العالمي المنتج داخل النظام الانتاجي العالمي ، انه يأخذ شكل تراكم رأسمال نقدي ·

(١٤) هناك ثلاثة انواع من الكيانات داخل عالم الكيانات العربية الواسع :

● لبنان : هيمنة سلكة رواج راس المال ٠

● الاردن : يحيا او بالاحرى يبقى حيا بالاوامر الصماء للراسمال الاجنبي : الولايات المتحدة الامريكية ـ بريطانيا ـ الدول النفطية ـ المانيا الاتحادية ٠
واذا كانت الامبريالية تحمله على منكبيها فذلك لاسباب سياسية واضحة ٠

● الدول النفطية : هيمنة « عائدات الملكية النفطية » ( الجزائر ، العراق ، وليبيا تقبض ايضا جزءا من « عائدات الملكية النفطية » ولكن في حالة الدولتين الاولين هذه العائدات يعاد تشغيلها في اطار النظام الانتاجي الذاتي المركز ، اما مصير ليبيا فلم يلعب بعد : انها كيان في مرحلة الانتقال الى قطر ) ٠

في حالة الكيانات العربية ليس تحكم وسائل الانتاج هو الذي يحدد تقسيم « المجتمع ـ الكيان » الى طبقات متخاصمة ، ولكن احدى الاواليات المحددة لهيمنة طبقة مبني على قدرة بعض هذه الطبقات على تحيقق تراكم الثروة وتوزيعها ٠

(١٥) اذا كانت الاقطار تؤلف دولا حقيقية اي دولا قوية ، فالكيانات ليست سوى دولا هزيلة وخاضعة في العمق ، انها كيانات معارضة في الداخل وملحقة عضويا بالامبريالية خارجا ، « بالارتهان الكامل » للامبريالية تؤلف هذه الكيانات قوة لنظام الهيمنة الامبريالية ، حتى استقلاليتها ليست واضحة : انها في الحقيقة استقلالية « اسمية » ٠

(١٦) المحور الثاني : نظام السلكات الخاصة للتبعية الامبريالية ٠
المحور الثاني يشتمل مجموعة السلكات الخاصة للتبعية الامبريالية ، وبهذا المعنى فانه لا يخص مباشرة القارة العربية كما هي بل يخص مباشرة كلا من اقطارها وكياناتها ماخوذة بشكل افرادي ٠

ولكن اذا كانت كل واحدة من هذه السلكات تستقل كل منها عن الاخرى فلا يعني هذا انها منفصلة عن بعضها ٠ وبصورة معكوسة فان اسباب ونتائج « السلسلة الاقليمية التابعة للامبريالية » ومجموعة السلكات الخاصة للتبعية الامبريالية تشكل نظاما : لاعادة الانتاج الاقليمي الامبريالي ٠

(١٧) ضمن تحديد المحور الاول او السلكة العامة ، فان وظيفة المحورالثاني هي اعادة انتاج الشروط الداخلية « للاشكال المباشرة » للتبعية الامبريالية داخل كل قطر وكل كيان على حدة ، تحت هذه « الاشكال المباشرة » يتحقق بالشروط الخاصة لكل قطر او كيان شكل تحكم النظام الانتاجي من جهة ( حالة الاقطار وكل

سلكات الانتاج المباشر في الكيانات ) ، وانظمة الرواج من جهة ثانية ( حالة الكيانات ، والاقطار ايضا ) مع ما تفترضه هذه الوضعية المتشابكة من امتزاج ٠ وبالتالي فان هذه «الاشكال المباشرة » تتحقق تحت شكل استثمارات مباشرة لرؤوس الاموال الاجنبية الظاهرة او المنحجبة بشكل رساميل مسماة وطنية ٠ هذه « الاشكال المباشرة » تتحقق بشكل متناسب مع استقلال الجماهير الشعبية البروليتارية في الاطار الخاص للمدى الوطني ٠ باختصار ، هذه « الاشكال المباشرة » تتحقق تحت شكل تحكم مباشر او غير مباشر بسلكة تراكم رأس المال ( حالة الاقطار ) وتراكم الغنى ( حالة الكيانات ) ٠

(١٨) هذه « الاشكال المباشرة » لا تتحقق بالنسبة للقارة العربية في اطار تشكيلة اجتماعية عربية واحدة ، ولا في الاطار « المجرد » للعالم العربي ، ولكن **بطريقة داخلية** في كل من الاقطار والكيانات مأخوذة بذاته وبالشروط الخاصة لكلٌ قطر وكيان ٠

انه جلي للبيان ، ان نمو هكذا نظام معقد من « السيطرة المباشرة » مترافق بالضرورة مع توسع ونمو مقابل للاتكافؤ ، ليس فقط بين مختلف البلاد العربية، ولكن ايضا بين مختلف « القطاعات الاقتصادية » ، وهذا لا يتم دون اعادة ترسيخ سلكة البلقنة ٠

يستتبع هذا ان المحور الثاني هو عكسيا سبب ونتيجة لسلكة البلقنة ، وبصفته هذه يستتبع كشرط ضروري اعادة انتاج الدول العربية على اساس دول عربية « مستقلة » ٠

(١٩) لكي نلخص ما ذكرنا ، وضمن التحديد التاريخي للمحور الاول ، يعرف المحور الثاني لكل قطر وكيان مأخوذ على حدة « نمط التحاق » خاص في «السلسلة الاقليمية التابعة للامبريالية » مندمج « بنمط تمفصل » خاص بالنظام الامبريالي العالمي ٠

كل من هذه العمليات الخاصة تحدد اذن ، لكل قطر او كيان علاقة مميزة عن الامبريالية ، حيث يستقل في داخلها تاريخ متميز لكل قطر وكيان ٠

**اشكالية حركة التحرر العربي :**

(٢٠) التناقض الاساسي هو التناقض الذي بوجوده ونموه يحدد ويشرط وجود ونمو التناقضات الاخرى ومنها التناقض الرئيسي ٠

بهذا المعنى يكون التناقض الاساسي هو « ثابت البنية التاريخية » بمعنى ان جوهر سلكة التاريخ محددة بالتناقض الاساسي وتلك السلكة نفسها لا تتلاشى قبل اتمام السلكة التاريخية بحد ذاتها : هزيمة الامبريالية ، تصفية الدولة الصهيونية وهزيمة البورجوازيات العربية ٠

وكون التناقض الاساسي هو ثابت البنية التاريخية فهو يلعب الدور المحدد ويثبت الموقع المحدد على طول مسيرة السلكة التاريخية٠ ولكن بالرغم من ان جوهر التناقض الاساسي يبقى ثابتا فان « اشكال ظهوره » اي انماط ظهوره تتغير تبعا للظروف ولتشابك الاحداث ٠ بعض الظواهر ( التعارضات التي تتواجه وتتقابل في تناقض ما ) تتشكل وتبرز ، والبعض ينحل او يخف وقتيا او جزئيا والبعض الآخر يولد ويأخذ شكلا ، لهذا نجد عدة حقب او ( مراحل ) في السلكة التاريخية لنمو التناقض الاساسي ٠

(٢١) اما التناقض الرئيسي كلحظة في التقاء الاحداث هو الذي يلعب الدور المهيمن ، هو الذي يحتل موقعا مهيمنا في التقاء الاحداث السياسية او الحقب السياسية المعطاة ، كلحظة في التقاء الاحداث يظهر التناقض الرئيسي **كنمو ظهور** التناقض الاساسي ، بمعنى انه يكثف ( بالمعنى الذي حدده لينين عن ان «السياسة هي تكثيف للاقتصاد » ) مجمل علاقات القوى المحلية والعالمية بمجابهاتها ومعاهداتها في اللحظة المعطاة لتاريخ الشعب العربي في علاقاته المتناقضة مع البورجوازيات في السلطة وبواسطة تناقضاته الداخلية ( الداخلية بالنسبة للبورجوازيات العربية ) ٠

باختصار ، ان التناقض الرئيسي يظهر كمكثف لنظام التناقضات الذي يحكم تاريخ الشعب العربي في لحظة من لحظات نموه ٠

(٢٢) انه لا يشكل اذن ثابتا لتاريخ الشعب العربي ، بل يتغير طوال مسيرة سلكته التاريخية ، بفعل تطور نظام التناقضات تحديدا، وعلاقات القوة التي تشكل قاعدته ٠

ان سلسلة التناقضات الرئيسية هذه تعمل **كنظام تحولات** للتناقض الاساسي ، نظاما يكشف طوال تاريخ نموه الظواهر الجديدة للتناقض الاساسي خلال نموه٠

وهذا هو الحل الصحيح ، في كل مرة من سياق التناقضات الرئيسية مأخوذة كبانية للتناقض الاساسي ينبع في النهاية الحل الصحيح للتناقض الاساسي نفسه، لان هناك بعدا سياسيا عن التاريخ الذي لا نستطيع تجاهله ضمن جهد ان نظل في هامش التاريخ الذي يصنع ٠٠ وايضا وايضا حلول مختلفة معطاة لتناقضات

رئيسية مختلفة ، وشروط من خلالها تحل مختلف هذه التناقضات الرئيسية التابعة ونضج وتسارع الحركة الثورية العربية : باختصار استراتيجية حرب الشعب العربية ٠

(٢٣) في الشكل الواسع للتناقضات الرئيسية نستطيع تمييز ثلاثة ابواب :
ـ الباب الاول : وهو الذي يتجذر بشكل رئيسي في احد الاقطار ، انه يحرك بشكل متفاوت الطبقات الشعبية ضد الطبقة السائدة في السلطة ( مصر ١٩٥٢ ـ سوريا الانقلابات العسكرية ـ عراق ١٩٥٨ ـ اليمن الجنوبية ) انه في داخل هذه الحالات ولدت الشرائح البورجوازية الراديكالية ٠

ـ الباب الثاني : وحقل فعله العالم العربي نفسه ، انه يكبت « مواقع النفوذ » التي تنتج عن الباب الاول ، انه يحرك بشكل متفاوت الطبقات الشعبية للاقطار تحت قيادة الشرائح البورجوازية الراديكالية في وجه البورجوازيات العربية المرتهنة بلا شروط للامبريالية ٠ كمثل على ذلك :

(أ) ـ مصر الناصرية « ومواقع نفوذها » مع لحظة ذروتها سنة ١٩٥٨ : الوحدة المصرية السورية ـ الحرب الاهلية في لبنان ـ الانقلاب العسكري في العراق ـ وبعد ذلك الحرب الاهلية في اليمن والانقلاب العسكري في ليبيا ٠

(ب) ـ حركة المقاومة الفلسطينية و « مواقع نفوذها » ولكن على النمط الدفاعي هذه المرة :

الحرب الاهلية الوقائية في الاردن ( حزيران ١٩٧٠ ـ تموز ١٩٧١ ) ـ الحرب الاهلية الوقائية في لبنان في مختلف اشكالها ( نيسان ١٩٦٩ ـ ايار ١٩٧٣ و ١٩٧٥ و ١٩٧٦ ) ٠

ـ الباب الثالث : حيث التناقض الاساسي يأمر التناقض الرئيسي ، انه يعارض « القارة العربية » بالصهيونية ٠ وفي هذه الحالات ، « ظواهر » ( التعارضات التي تتواجه وتتقابل في تناقض ما ) هذه السلسلة من التناقضات الرئيسية قد تطورت بالشكل التالي :

١٩٥٢ ـ ١٩٧٣ : وضعت هذه الفترة بشروط نمو متفاوتة حركة الجماهير العربية بمجملها تحت قيادة الاقطار ضدالامبريالية والصهيونية و «الحياد الرديء» للمرتهنين كليا ٠

١٩٧٣ : في هذه الفترة يتحرك التناقض الرئيسيبشروط نمو متفاوتة ،والجماهير

العربية في مجملها تحت قيادة عصبوية مجموع البورجوازيات العربية في السلطة ( الاقطار + الكيانات ) ضد الصهيونية ( كمظهر رئيسي للتناقض الاساسي ) والامبريالية ( كمظهر ثانوي للتناقض الاساسي ) في نفس الوقت الذي يضعها ( اي البورجوازيات ) في تناقض مع الجماهير العربية ٠

(٢٤) هذا الترتيب المختصر الذي يحمل فروقات صغيرة ويتضمن مزيجا متنوعا ، لا يجب ان ينسينا ان مجمل هذه الصراعات « الوطنية » هي على نفس الارضية ومحمولة بسلسلة معقدة ومتباينة من الصراعات الداخلية المنتجة بفعل السلسلة المتباينة للمشكلات الخاصة للتبعية الامبريالية التي تقيد كل جزء من الشعب العربي ( اقطارا وكيانات ) ٠

طبعا هذه الصراعات الداخلية السهلة التحقيق والتوحيد في حالة الاقطار، هي سهلة التحقيق تحت « اشكال متغيرة » ، تحت « اشكال متحولة » ، اشكال مشتقة وفاسدة في حالة الكيانات ٠ هذه الصراعات تواجه حسب سلكة تشابه قوي التعقيد ، الطبقات الشعبية وبورجوازيتها في السلطة في الاطار الخاص للمدى الوطني ٠

غير انه ضمن التحديد التاريخي للتناقض الاساسي تتعاظم هذه السلسلة من « التناقضات الداخلية » وضمن هذا التحديد تتناسل في بعض الحالات كتناقضات رئيسية ٠

اذ ذاك وفي اي حال ، هذه السلسلة من « التناقضات الداخلية » لا تجد نهايتها بذاتها : لا تكون اطلاقا في الحقبة الديمقراطية الوطنية محددة ، حتى ولو ارادت ان تتولى ظرفيا « اشكالا مهيمنة » ٠

يجب ان لا نجهل اطلاقا البعد المهم « والاساسي » لكل سلكة من « التناقضات الداخلية » او « الازمة الداخلية » حتى عندما نعرف تناقضا رئيسيا ٠

(٢٥) هذا لا يعني اطلاقا ان حركة التحرر عليها في هذه المرحلة التاريخية ان تقفز سلم « التناقضات الداخلية » بشكل حازم ، او عليها ان تجمد

اذا كان واضحا انه في عملية سلكة التحرر العربي لا يمكن ان نطابق السبق على التحولات الثورية للمجتمع ( خاصة بالمرحلة الاشتراكية ) ، يكون واضحا ايضا انه نستطيع ان نرى في هذه السلكة نفسها وجوها محددة ،بنفس

منطق هذا التقدم الذي يتطلب بذاته تحولا في هيمنة الطبقة وقلبا لعلاقة السلطة السياسية مع ما يستتبعه من تحولات في العلاقات الاجتماعية ( كلحظة هيمنة ـ تحديد ) ، الا ان ضعف الطبقات في السلطة يجعلها غير مؤهلة لدفع سلكة التحرر العربي الى الامام ·

امام هذا الكابح لا بد ان تنشأ حرب اهلية لتعيد مسيرة التحرر العربية الى الامام · الناصرية بين غيرها هي المثال المعبر على ذلك ·

(٢٦) يظهر اذن ان الحرب الاهلية المكونة بامتزاج التناقضات الداخلية التناقضات مع الامبريالية ـ الصهيونية ـ ( المرتهنة ) ، ضمن تحديد هذه التناقضات ، هي مركب هام ، لحظة جوهرية ، مرحلة فاصلة على طريق حرب الشعب العربية التحررية ·

ولم تكن الانقلابات العسكرية التي حقبت مرحلة ١٩٥٢ وحتى ١٩٦٧ـ٧١ تاريخ الاقطار ، لم تكن سوى محاولات ناجحة لنحر امكانيات الحرب الاهلية النابعة عن الوضع في تلك المرحلة المميزة بانهيار الطبقات الحاكمة ؛ كانت الانقلابات العسكرية بمثابة حروب اهلية مجهضة ·

اذا كانت هذه البورجوازية الراديكالية لا تلزم الامبريالية على اتخاذ فعل بقطيعة لا عودة عنها ، واذا لم تعدل على الصعيد الداخلي « الجذر »نفسه لهيمنة البورجوازية ، واذا كانت قد ازعجت الامبريالية منذ سنة ١٩٥٢ وحتى ١٩٦٧ مؤدية لاضعاف الشروط العامة لوضع اليد الامبريالية على الاقطار العربية ومؤدية لاعادة طرح قضية سلكة حركة التحرر العربي في الشروط الواضحة لها ، فان هذه البورجوازية الراديكالية ترتب على الصعيد الداخلي تغييرات تنجح في تعديل « اشكال » الهيمنة البورجوازية والتبعية للامبريالية ·

(٢٧) يظهر اذن ان التناقضات الداخلية التي تجتاز وتحكم سلكة حركة التحرر العربية ، ليست عاملا خارجيا لهذه السلكة نفسها · هذا يقودنا لطرح مشكلة « طبيعة » هذه التناقضات الداخلية في عصر التبعية الواضحة حيث عالمية رأس المال تصبح المظهر المهيمن للاوالية الامبريالية ·

هذه التناقضات الداخلية ليست ناتجة عن نمو الرأسمال الوطني التي تضع وجها لوجه بشكل اساسي طبقة عاملة وبورجوازية وطنية ، هذه التناقضات الداخلية منتجة بالنمو نفسه للرأسمال المالي الدولي (ضرورة توسيع قاعدته الاستغلالية ، تقوية علاقاته الاستغلالية ـ الانتاجية ، توسيع دورته الانتاجية وتراكم رأس المال ··· ) ·

في الحقيقة ، ارادة الهيمنة الامبريالية ، ضرورة توسيع قاعدة استغلالها وسيطرتها دون انقطاع ( شروط رئيسية من اجل دفع التراكم العالمي ) تقضي على الرأسمال العالمي بتضييق تدريجي « لطوق » الاشكال المباشرة لسيطرتها: هدم علاقات الانتاج القديمة ومجمل العلاقات الاجتماعية القديمة ، قل المترسبة، لتضع مكانها علاقات انتاج رأسمالية (الاقطار خصوصا بعد ١٩٧٣ ) او علاقات رأسمالية – رواج – توزيع ، لكي تحفظ جيدا دوران – رواج الرأسمال العالمي ( حالة الكيانات آخذة بعين الاعتبار التمازج الخصوصي الذي تستلزمه وضعية العالم العربي المعقدة ٠

وتتحكم الرأسمالية بجميع هذه الاوضاع بشكل مباشر او غير مباشر مثلما كان الوضع ابان مرحلة انتفاضة البورجوازيات المتجذرة ٠

منذئذ ، الرأسمال المالي العالمي ، وهو يمد اذرعه ، يقيم تدريجيا قوانينه الخاصة وعلاقاته الخاصة ، وهو منهم حتى يحقق مشروعه في –اعادة التحول، – اعادة الدورة – و – اعادة التراتب – ( علاقات تفكك – بقاء ) لمجمل « المجتمعات العربية » التقليدية : يصفي تدريجيا بعض الطبقات واجزاء الطبقات والشرائح ، يصفي تدريجيا بعض العلاقات الاجتماعية القديمة « المترسبة » بكثرة ، لان اعادة انتاج هذه الطبقات وهذه العلاقات الاجتماعية يؤلف عقبة أمام الانتاج الموسع للرأسمال العالمي وامام التراكم العالمي ٠

يصفيها ليقيم مكانها مجموعة طبقية وعلاقات اجتماعية حديثة ، اي مرتبطة مباشرة بتراكم رأس المال على صعيدي الانتاج ( حالة الاقطار ) والرواج ( حالة الكيانات ) او على صعيد استخراج المواد الاولية كوسائل انتاج ( حالة الكيانات – الدول البترولية ) ٠

ولكن هذا الميل التاريخي للامبريالية متصادم بشكل دائم مع مواجهات الطبقات الشعبية المستغلة او التي في طريق التصفية ( اعادة التحول – اعادة الدورة – اعادة التراتب )٠

ميل ، وميل مضاد ينجب سلكة طويلة معقدة من الصراعات والتناقضات الداخلية احيانا بشكل صريح وساطع واحيانا بشكل متخف ومحتجب ٠ اذن فالتناقضات الداخلية التي تعنينا هي تناقضات داخلية خاصة بمرحلتنا ، انها تناقضات داخلية ضد الامبريالية ٠

# حول حرب تشرين

ربيع الأسير

كانت حرب تشرين حدثا من اكثر الاحداث تاثيرا على مجمل الاوضاع في المنطقة العربية ، وفي العالم كله خلال سبعينات القرن العشرين · وعلى الرغم من ان تلك الحرب كانت موضوعا للكثير من الدراسات والكتب التي مثلت وجهات نظر متناقضة ومتفاوتة الاهمية ، فانها تبقى بحاجة الى المزيد من الفهم والدراسة ، خاصة وانها تتعلق بصراع يتوقف عليه مصير منطقتنا العربية ، تلك المنطقة التي تكتسب مزيدا من الاهمية يوما بعد يوم على الصعيد العالمي ·

وسنستعرض فيما يلي حرب تشرين من خلال ما ورد في احد الكتب التينشرت مؤخرا في الولايات المتحدة الاميركية ، ويحمل عنوان « بوتقة الشرق الاوسط » The Middle East Curclible ولقد شارك في تأليف الكتاب مجموعة من الباحثين المتخصصين العرب والاجانب · ولقد حاول الكتاب ان يغطي الحرب من كافة جوانبها · وعلى الرغم من تفاوت مستوى الموضوعات التي يحملها الكتاب ، والتناقضات الواضحة في عدد من دراساته ، فلقد حاولنا ان ننقل جوهر التحليلات التي تضمنها ، دون اشارة الى مواطن الخلل الكامنة في تلك التحليلات ·

## حرب تشرين وآفاق الصراع العربي ـ الاسرائيلي :

اتجهت الكثير من الكتابات التي ظهرت بعد تشرين الاول ، ١٩٧٣ ، الى التأكيد على انالعوامل الاقليمية والدولية تتجه نحو الالتقاء لتفسح المجال امام حل تفاوضي لصراع شكل هاجسا للعالم طوال اكثر من جيل ·

ويشير امراهيم ابو لغد في مقدمة الكتاب الى ان حرب تشرين كانت حدثا ذا دلالات عميقة بالنسبة «لاسرائيل» · اذ لم تكشف تلك الحرب ان اسرائيل لا يمكن ان تسيطر على كل الدول العربية كل الوقت فحسب ، بل وبالامكان تحدي سيطرتها على جزء محدود من المنطقة العربية ايضا · وبمقدار ما تحافظ « اسرائيل » على موقفها المنطلق من فكرة السيطرة المطلقة ، بمقدار ما تضمن تحدي تلك السيطرة ·

ولقد ظهر تطوران هامان على الوضع بالنسبة للمنطقة بعد الحرب بفترة قصيرة · فمن جهة هناك ازدياد الدعم السياسي والدبلوماسي الذي يحصل عليه العرب من المجتمع الدولي ، الامر الذي اظهر لاسرائيل عزلتها المتزايدة في العالم · ومن جهة ثانية هناكاصوات المعارضة داخل اسرائيل ، التي تصر على درجة من التعايش مع الفلسطينيين والدول العربية·

ولقد بدت التغييرات الاقليمية في علاقات القوى ومواقف الاطراف المعادية وكأنها تتجه نحو الالتقاء ، كما تتحرك نحو تعايش يرتكز على التفاوض وليس الصراع ·

ويحدد ابو لغد الموقف التفاوضي لكل الاطراف المعنية ، والتي يمكن ان تشكل ارضية للحل تقبل بها كل الاطراف المشاركة في الصراع العربي الاسرائيلي ·

فبالنسبة للدول العربية المعنية ، يشكل الانسحاب من الاراضي المحتلة موقف التفاوض ، اما الفلسطينيون ، فانهم يرمون الى اعادة ترتيب الوضع بشكل جذري في فلسطين · ومن هنا تأتي الضغوطات عليهم للتخلي عن الدولة الديمقراطية ، والاستعاضة عنها بدولة فلسطينية ·

وينتقل ابو لغد الى تحديد الموقف التفاوضي الاسرائيلي ، فيشير الى ان اسرائيل ترى ان بعض التعديلات على حدود هدنة ١٩٤٩ مطلب اساسي « لمعالجة مخاوفها » الا انه يؤكد ان رفض اسرائيل المطلق للوجود الفلسطيني ومطلب الفلسطينيين المطلق لتغيير كامل يتناول الوجود الاسرائيلي يحتم لجوء الطرفين الى الصراع المسلح ·

ومن ثم يحدد ابو لغد ملامح سياسة الولايات المتحدة في الآونة الاخيرة · فمن جهة اعتمدت الولايات المتحدة على المواجهة كاحدى البدائل التي لجأت اليها : ومن جهة ثانية اعتمدت على تحالفات مختارة مع انظمة «يعتقد بأنها مهددة من القوميين العرب» كسياسة مكملة للبديل الاول · ولقد فشلت هاتين السياستين في منع الصراع العربي – الاسرائيلي من الانفجار عام ١٩٧٣ · كما ان الشعور بالكراهية تجاه الولايات المتحدة تصاعد ·

**الميزان العسكري ، ١٩٦٧ – ١٩٧٣ :**

يعالج احمد الخالدي موضوع الميزان العسكري ، ١٩٦٧ – ١٩٧٣ ، مشيرا في بداية دراسته الى انه « سيتفحص العوامل الكمية والنوعية لميزان الشرق الاوسط العسكري » ·

ويضيف الخالدي انه سيتطرق الى العوامل الخاصة بالمنطقة، ومن «ضمنها دور القوى العظمى » فيها ، بالاضافة الى العوامل الاخرى التي تتطرق اليها عادة دراسات موازين القوى العسكرية لاية مجموعة من الاطراف المتصارعة · كما يشير الى صعوبة التقييم المبني على مقارنة كمية للقوى ·

وبعد استعراض نمو القوة الكمية للاطراف الرئيسية في صراع الشرق الاوسط في الفترة ما بين ١٩٦٨ و ١٩٧٣ ، ينتقل الخالدي الى موضوع صيانة السلاح والتدريب ، مشيرا الى الثغرة التكنولوجية بين مصر واسرائيل في حقل كحقل الطيران الذي يمكن ان يعتبر امتحانا للمتطلبات العالية الضرورية من تدريب وصيانة ، وحيث حافظ الاسرائيليون على مستوى اعلى من الفاعلية من القوى العربية في الفترة ما بين الحربين ·

ومن ثم ينتقل الخالدي الى موضوع الانتشار العسكري ، فيقول انه ليس من الكافي ان يكون لبلد ما مستوى عال من الصيانة والتدريب اذا لم يكن ذلك البلد قادرا على دفع

اعداد القوات اللازمة للمعركة · كما ان الاحصاء العددي لكل من الاطراف المتصارعة قد يكون مضللا جدا · اذ يجب ان تخفض هذه الاعداد بحيث تؤخذ بعين الاعتبار عوامل الصيانة ، والتدريب والانتشار العملياتي ·

وعند مقارنة فاعلية الاسلحة الجوية والمضادة للطائرات ـ اخذا بعين الاعتبار الصعوبات وعدم الدقة الناجمة عن مقارنة كمية بحتة للميزان العسكري ـ يمكن ترجمة التمايز ما بين الاسلحة المختلفة الى اختلافات في القوة النارية التكتيكية ، حيث يجب ان يتم تفحص فاعلية السلاح بحد ذاته ، وايضا عملية تفاعل مختلف الاسلحة ، بمعنى فاعليتها كنظام · وبعد تقديم جدول بميزات الطائرات والاسلحة المضادة لها لدى الطرفين ، يحلل الخالدي ما ورد في الجدول ليستنتج ان الحرب الجوية في الشرق الاوسط قد اختلفت جذريا في العام ١٩٧٣ عما كانت عليه في العام ١٩٦٧ لتصبح مواجهة بين نظامين متكاملين: صواريخ سام ـ مدافع م/ط زد ـ س ـ يو ٢٣ ـ ميغ ضد فانتوم ـ الاجراءات المضادة الالكترونية ـ صواريخ جو ـ ارض ·

وينتقل الخالدي الى المدرعات ، مقدما جدولا بالدبابات والعربات المدرعة المتواجدة لدى الطرفين · ويحلل الخالدي الجدول ليستنتج ان حرب ٧٣ اظهرت قليلا من الحركية التي كانت من مميزات حرب حزيران · ولقد ادى استخدام المصريين والسوريين للاسلحة الموجهة المضادة للدروع الى الحد من فاعلية اعتماد الاسرائيليين التقليدي على الهجمات المدرعة . كما اظهر انه بالامكان استخدام الاسلحة « الدفاعية » تكتيكيا في الهجوم ·

وعند مقارنة الاسلحة المدفعية ودورها يتبين أنه في حين لعبت المدفعية دورا ثانويا في حرب حزيران ، فلقد كانت ذات اهمية حيوية بالنسبة للهجوم العربي · ولقد سدت قاذفات الصواريخ الثغرة في الدعم المدفعي المتحرك الذي كان غائبا في الجانب العربي · اما دور المدفعية الاسرائيلية فلم يكن كبيرا ·

كذلك شهدت حرب ١٩٧٣ ـ اذا ما قورنت بحرب حزيران ـ استخداما اكبر بكثير لصواريخ جو ـ جو ، وجو ـ سطح ، والصواريخ التي تطلق من السفن · الا انه ليس هناك معلومات كافية حول عدد الطائرات التي اسقطت بصواريخ جو ـ جو ، او فاعلية صواريخ جو ـ سطح الاميركية ·

وينتقل الخالدي الى التقييم الكيفي ، بادئا بمعنويات الاطراف المتصارعة ، فيشير الى ان المعنويات ـ على الرغم من صعوبة قياسها ـ تعتمد على مقدار «الدافع» في اي حرب ، والفرق بين النتائج المتوقعة والفعلية في تلك الحرب والحروب التي سبقتها · ولم يحز الاسرائيليون على ارتياح من اي من العاملين في حرب ٧٣ (على عكس ٦٧) ، في حين كانت معنويات العرب عالية في ٧٣ ( على عكس ٦٧ ايضا ) ·

وعند مقارنة المبادىء التكتيكية يتبين ان مبادىء العرب التكتيكية في العام ١٩٦٧ التي كانت تعتمد على المواقع الدفاعية لم تتمكن من ان تتوقع او تتعامل مع مزيج من اعمال خرق مدرعة ذات حركية عالية وتفوق جوي معاد اما في العام ١٩٧٣ ، فلقد كان الانتشار التكتيكي العربي يفتقد للمرونة، وذلك على عكس الاسرائيليين · ويشير الخالدي الى انه

في حين تتطلب المبادىء التكتيكية العربية مزيدا من المرونة ، فان المبادىء الاسرائيلية تتطلب مرونة اقل مما هي عليه الآن ·

وينتقل الخالدي الى النظرة الذاتية للمتصارعين ، مستنتجا ان ميزان القوى الذاتي في الشرق الاوسط يشير الى ان الراي العام العربي في العام ١٩٧٣ كان يتوقع من حرب جديدة ان تقود الى كارثة جديدة ( مع بعض الاستثناءات السياسية والعسكرية ) ، بينما كان الاسرائيليون يعيشون في شعور خاطىء بالامن ، الامر الذي ساهم فيه آراء « الخبراء » الغربيين ·

ولقد اظهرت حرب ١٩٧٣ ان القوى المحلية في الشرق الاوسط ستظل تعتمد بقوة على الامدادات الخارجية من الاسلحة المتطورة ، اذ ان مدة القتال والعمليات العسكرية خلال الحرب كانت تعتمد الى حد كبير على وجود السلاح والمعدات من القوى العظمى ·

ولقد فشل الرادع الاسرائيلي المعتمد على الحدود الطبيعية في منع هجوم عربي ، الا انه جعل من الصعب على العرب ان يحصلوا على مكتسبات كبيرة من حيث الارض ·

ويتطرق الخالدي الى القوة العسكرية الكامنة ، فيعدد ثلاثة عوامل تحدد قدرة بلد ما على خوض الحرب : ١ ـ القدرة الاقتصادية والتكنولوجية ، ٢ ـ القدرات الادارية ، ٣ ـ الاساس السياسي لقوتها العسكرية · ويلحق الخالدي بدراسته جداول تبين الدخل القومي والنفقات الدفاعية في البلدان المتصارعة ·

وينتقل الخالدي الى الثغرة التكنولوجية بين الاطراف المتصارعة ، فيشير الى عدد العلماء ، والى صناعات الاسلحة ، والى الاستثمار في الابحاث العلمية والتطوير · ويؤكد انه على الرغم من محاولات اسرائيل الوصول الى الاكتفاء الذاتي ، فان حرب ١٩٧٣ اظهرت مدى اعتمادها على الولايات المتحدة ، كما ان كلفة حرب ١٩٧٣ وكلفة حرب مقبلة ستكون اكثر تاثيرا على اسرائيل منها على الدول العربية ·

وينهي الخالدي دراسته لعامل الادارة والدعم الشعبي ، مبينا قدرة اسرائيل على التعبئة السريعة ، اما بالنسبة للدعم الشعبي ، فلقد اختلفت ردود الفعل داخل اسرائيل جذريا في حرب ١٩٧٣ عما كانت عليه في حرب ١٩٦٧ · كما ستتضح مسألة الدعم الشعبي في الجانب العربي مع تبلور النتائج السياسية للحرب ·

### استراتيجيات الحملة الرابعة :

يعالج المقدم الهيثم الايوبي موضوع « استراتيجيات الحملة الرابعة » ، بادئا باصول تلك الاستراتيجيات · كان الخط السياسي الاسرائيلي بعد حرب حزيران وحرب الاستنزاف يؤكد على ضرورة المحافظة على الاراضي المحتلة ، مع اطلاق دعوات استفزازية «للسلام» تضمن الرفض العربي لطريق المفاوضات · وكان الاسرائيليون يعتمدون على الفرضيات التالية : اولا : ان القوتين العظيمتين تفضلان الهدوء والاستقرار في الشرق الاوسط ،ثانيا:

ان الولايات المتحدة مقتنعة بان « اسرائيل قوية » هي الاداة المناسبة لحفظ الاستقرار في منطقة غير مستقرة ، ثالثا : ان الولايات المتحدة تدرك انها تحتاج الى اسرائيل قوية لمنع انتشار النفوذ السوفياتي في المنطقة ، رابعا : ان مصر كغيرها من الدول العربية تعاني من صعوبات داخلية وصراعات اقليمية ، وهي واقعة في فخ التناقض بين آمال التحرير والمصادر المالية المحدودة ، خامسا : ان الثورة الفلسطينية التي تنامت في العام ١٩٦٩ اصطدمت بالاستراتيجيات الاقليمية لدول المواجهة العربية في العام ١٩٧٠ ، سادسا : ان اسرائيل مقتنعة بقدرتها على احتواء ابناء الاراضي المحتلة ، واقتلاع ميولهم القومية ، واضعاف مشاعرهم المعادية تجاهها ، سابعا : ان اسرائيل مقتنعة بأن العقل العربي معاد جدا لاسرائيل واليهود ، وان الطريق الوحيد للتعامل مع العرب كان من خلال القوة ، الامر الذي يقود الى مبادىء ثلاثة هي : أ ـ يجب استخدام القوة على الدوام ، ب ـ يجب عدم تقديم اية تنازلات ، ج ـ من غير المجدي التفاوض مع العرب لتحسين صورة اسرائيل امام العالم ، ثامنا : ان دول النفط العربية غير قادرة على استخدام سلاح النفط ضد اسرائيل ، او الضغط على الدول المساندة لاسرائيل · ولقد قرر صانعو السياسة الاسرائيلية المحافظة على حالة اللا حرب واللا سلم اعتمادا على هذه الفرضيات ، تلك الحالة الموجودة تحت مظلة الردع الاسرائيلي والدعم الاميركي المطلق لاسرائيل ·

وينتقل الايوبي بعد ذلك الى تحديد الاخطاء النظرية الاسرائيلية ، فيقول : ان المنظرين الاسرائيليين يبدأون بفكرة ان الجندي العربي غير مقاتل ، وان القادة العرب غير مستعدين لخوض غمار حرب حديثة · وفشل الاسرائيليون كذلك في فهم العامل النفسي القوي الذي جاء نتيجة لهزيمة ١٩٦٧ ، ورغبة العربي في تجاوز ذاته · كما اعتمد الاسرائيليون على التخلف التقني والعلمي العربي ، ولم يفهموا حقيقة تطور القوات المسلحة المصرية والسورية· وتمسكوا بالفكرة العسكرية القائلةان الحدود الآمنة تعني قناة السويس ونهر الاردن ومرتفعات الجولان · الا ان الاخطر من ذلك كان اعتقادهم بقدرة جهاز الاستخبارات الاسرائيلي «الاسطوري» على التحذير المسبق حول اعداد عربي للهجوم · واخيرا اعتقد الاسرائيليون ان سيناء قامت بتوسيع العمق الاستراتيجي الاسرائيلي بشكل كاف ·

ولوضع الخطة الامنية موضع التنفيذ ، بدأ الاسرائيليون بناء استراتيجية جديدة عبر انشاء مواقع محصنة على الحدود التي وصلوا اليها في العام ١٩٦٧ ، وخلق قوة عاملة عسكرية قوية ، يمكن لاسرائيل عبرها الوصول الى الردع غير النووي ·

وينتقل الايوبي الى معالجة الاستراتيجية العربية الدفاعية ، فيقول ان العرب تبنوا استراتيجية دفاعية صرف لمواجهة استراتيجية التدخل الاسرائيلية ، وانهم بالتالي انشأوا جبهات دائمة ومستقرة مشكلة من شريط طويل من المواقع الامامية المحمية بحقول الالغام ، مع نقاط دفاع قوية خلفها · ولقد نبعت جذور الاستراتيجية العربية الدفاعية من ١٩٤٩ حتى ١٩٧٣ من السياسة العربية القاضية بتهدئة الحدود مع « الجارة القوية » · واعتمدت تلك السياسة على الفرضيات التالية :

١ ـ اسرائيل دولة موجودة ومعترف بها دوليا ، ٢ ـ الامبريالية تحمي اسرائيل كدولة ـ قاعدة ورأس جسر يؤمن المصالح الامبريالية ، ٣ ـ الدول العربية الراديكالية غير قادرة على مواجهة الامبريالية وقواعدها العسكرية بشكل مباشر ، كما لا يمكنها الاعتماد على الدعم العسكري الفعلي السوفياتي اذا ما هاجمت اسرائيل ، ٤ ـ المحافظة

على الوضع القائم ومنع اسرائيل من التوسع كان اقصى ما يمكن للدول العربية ان تصل اليه ضمن موازين القوى المحلية والدولية . ٥ ـ مواجهة قاعدة امبريالية متقدمة وصناعيـــــة كاسرائيل لا يمكن ان تتم طالما ان الدول العربية تبقى غير موحدة وغير متطورة تكنولوجيا٠

ويشير الايوبي الى العقلية القطرية التي كانت عاجزة عن فهم العلاقة بين امن القطـــر والامن القومي بالاضافة الى سياسة المحاور وعدم وعي الخطر بالنسبة لكل الـدول العربية، والضغوطات على الدول العربية المرتبطة بالامبريالية ، وخوف الدول التقليدية من تنامي تأثير الدول الراديكالية ٠ كل هذا ساهم في اخفاق الاجراءات الدفاعية العربية ٠

وبسبب الفشل في تحقيق نظام دفاعي عربي ، القي العبء على الدول العربيـــــة المحيطة باسرائيل ، تلك الدول الفقيرة نسبيا ، والتي اضطرت ان تقوي جيوشها على حساب نموها وتطورها الاقتصادي ٠ وهكذا خلقت « الحرب بالوكالة » التـــي كانت بحـــق الاستراتيجية العربية ٠كذلك لم يتمكن العرب من اعتماد استراتيجية انهاك العدو بسبب عدم قدرة الانظمة على تعبئة الجماهير ٠ وادى الفشل في استخدام العوامل الجغرافية والبشريـة العربية الى فقدان العرب لفرص خوض حرب مناسبة لمواجهة التفوق التقني الاسرائيلي ٠

اما التقصير العربي الثاني ، فكان الفشل في فهم موقع الصراع العربي الاسرائيلـــي في المنافسة الكبرى بين الكتلتين الشرقية والغربية ٠ وينتج هذا عن طبيعـــة الانظمـــة العربية وطبيعة الفرق ما بين مصالح السوفيات ومصالح الاميركيين في المنطقة ٠

ولقد ادخلت حرب الـ ٦٧ تغييرا دراماتيكيا في موقف العرب بعد احتلال واسع لاراضيهم كما ان اسرائيل فقدت صورة الدولة الضعيفة المحاصرة ٠ وجاءت النجاحات العربية فـي الميدان السياسي معتمدة على عدة عوامل : ١ ـ دعم الكتلة الاشتراكية في الصـــــراع الدبلوماسي الدولي ، ٢ ـ الولايات المتحدة تضمن وجود اسرائيل ، ولكن ليس توسعهـــا، ٣ ـ اوروبا الغربية رفضت الموقف الاسرائيلي على الرغم من ضمان امن اسرائيل، ٤ ـ فشل جهود القادة الافريقيين لتحقيق تقارب عربي ـ اسرائيلي ، وتأييد العالم الثالث للموقـــف العربي ٠ ولقد تمكنت الجهود الدبلوماسية العربية من تأمين اول شرط مطلوب للانتقـــال من الدفاع الى الهجوم : الرأي العام العالمي الايجابي ٠ وكان الشرط الثاني الاستعـــداد العسكري ، في حين كان الثالث وجود حالة استرخاء عسكري داخل اسرائيل ، والرابـــع هو التعنت الاسرائيلي رغم الاجراءات الدبلوماسية العربية ٠

وفي حين ساهمت نجاحات الجهود الدولية في تمكين العرب من الانتقال من الدفـــاع الى الهجوم ، فانها حددت درجة عنف العمل العسكري الهجومي في الوقت نفسه ٠ فكان على العرب ان يقوموا بعملياتهم العسكرية في ظل الشروط التالية : اولا : عدم التوغل في سيناء ثانيا : عدم ضرب العمق الاسرائيلي ( على الرغم من القصف الجوي الاسرائيلي لاهـــداف مدنية في سوريا ومصر ) ، ثالثا : عدم امكانية افادة المصريين من مبادىء التقرب غيـــر المباشـــر ٠

وينهي المقدم الايوبي مناقشة استراتيجية الجانب العربي بقوله ، ان العرب دخلوا الحرب لاهداف سياسية محدودة ، وانها بالتالي كانت حربا محدودة بالنسبة لهم ، استخدمت خلالها استراتيجية هجومية مباشرة ضمن حدود محددة محليا ودوليا ٠

اما في الجانب الاسرائيلي ، فلقد فوجئت اسرائيل بالحـرب لان قيادتهـا لم تأخـذ عاملين هامين بعين الاعتبار : الاول : ان قوات التحرير الحديثة يمكن ان تتحمل خسائر اولية الى درجة كبيرة ، ومع ذلك تتمكن من اعادة بناء نفسها مع القوة الاشتراكـية من ورائها ، والثاني : أن الحرب في القرن العشرين لم تعد صراعا بين قوتين مسلحتين ، بـل اصبحت صراعا بين شعوب تحركها تيارات ايديولوجية قوية ومعتقـدات متجذرة ٠

وبالاضافة الى ذلك لم يفهم الاسرائيليون التغييرات التي طرأت في المنطقة العربية ٠ وفي حين اعتمدت الاستراتيجية الاسرائيلية على نظام الاستخبارات لجمع المعلومات عـن الجيوش العربية ، فلقد كانت اهم العوامل وراء مجيء الحرب كمفاجاة بالنسبة للاسرائيليين عدم قدرة الاستخبارات الاسرائيلية على تقييم المعلومات بشكل صحيح واعطاء انذار مبكر٠

اما الثغرة الثانية في الاستراتيجية الاسرائيلية فكانت انهيار نظرية الحدود الآمنة التي كانت محاولة للحفاظ على الاراضي المحتلة اكثر منها مبدأ عسكري ٠ والتي طـورت علـى اساسها مبادىء عملياتية تقضي ببنـاء تحصينات (خط بارليف وخط آلون) والقيـام بضربة مضـادة مدرعـة ٠

كذلك اعتمد الاسرائيليون في حرب ١٩٧٣ على «هامش الامن بالمكان » بعد احتلالهـم لمزيد من الارض العربية زادت من العمق الاستراتيجي للكيان الصهيوني٠ وفي حين افادهم ذلك العامل في ابعاد مناطقهم الحيوية عن مخاطر الحرب ، فلقد سبب لهم خللا في تطبيق مبـدأ « القتال على الخطوط الداخلية » ، او حسم المعركة مع احد الخصوم ومن ثم الانتقال للحسم مع الخصم الاخر ٠ ومن جهة ثانية ، لم تتمكن اسرائيل من شن « الهجوم الاجهاضي المسبق» عشية حرب ١٩٧٣ نتيجة لعدم توفر الظروف السياسية والعسكرية اللازمة لتلك الحرب ٠

ويستنتج المقدم الايوبي ان الجانب العربي حقق نجاحا غير كامل فيمـا يتعلـق باستراتيجيته ، في حين كان هناك فشل استراتيجي اسرائيلي غير كامـل ٠ ويشير الى ان الطابع العام لاستراتيجيات الحرب الرابعة كان الصدام المباشر ٠ ولم تظهر الاستراتيجيـة الغير المباشرة الا في الخنق الاستراتيجي المصري عند باب المندب ، وحركة شارون لاغـلاق الطوق حول الجيش الثالث ومدينة السويس ٠ وانتهت الحرب وكل طرف متمسك بجوهـر اغراضه السياسية التي دخل الحرب من اجلها ٠

**الوحدة العربيـة :**

يعالج هاني فارس واسعد عبد الرحمن موضوع الوحدة العربية ٠ فيقولان ان التركـة السياسية خلال ربع القرن الماضي قدمت عدة سبل للوحدة ٠

اما السبيل الاول ، فلقد كان « التعاقدي » ، الذي عبرت عنه تجربة الجامعة العربية ، وبعد عرض وتقييم سريعين للتجربة ، يؤكد فارس وعبد الرحمن ان الجامعة العربيـة تبقى كاكثر المحاولات التي استهدفت توحيد الوطن العربي استمرارية ٠

ولقد تمثل السبيل الثاني « التقدمي » بتجربة الجمهورية العربية المتحـدة ٠ ويقـول الكاتبان ان الانظمة العربية الديناميكية قد اشتقت ذلك السبيل كوجه من سياستهـا

الهجومية في مواجهة الانظمة المحافظة · واتخذت الوحدة في تلك المرحلة مظهرا ايديولوجيا، كما حملت معان تقدمية اجتماعية واقتصادية · كما اتسمت تلك الفترة بتصاعد الـــدور الجماهيري ، الامر الذي اجبر القادة السياسيين العرب من كل الاتجاهات ان يصبحـــوا اكثر استجابة للمثال الجماهيري المتمثل بالوحدة ·

اما السبيل الثالث « الثوري » ، فلقد جاء نتيجة لحرب ١٩٦٧ · عززت تلك الحـــرب ـ على حد تعبير الكاتبين ـ المقولة القائلة ان الاشتراكية شرط ضروري لنجاح الوحدة · كما ان تلك الحرب ادت الى « تغريب » الحركة القومية نهائيا عن الولايات المتحدة، وقادت الـــى « مركسة » القومي ، والى قومية الماركسي · ويضيف الكاتبان ان «ارثوذكسية» اليسار العربي بشكليه القديم والجديد ساهمت في دفع الوحدة الى موقع ثانوي وان الصراع الطبقـــي ودكتاتورية البروليتاريا حازا على مزيد من التركيز على حساب التضامن القومـــي ( ماذا عن صعود المقاومة ؟)

ولقد نجم عن حرب اكتوبر السبيل الرابع « الوظيفي » وسيطرت هذه النظرة الجديدة على الادب السياسي في فترة ما بعد الحرب ، ويستعرض الكاتبان تطور النظرة الجديـدة، فيبدأن بالتطورات التي حصلت في الفترة ما بين ١٩٦٧ و ١٩٧٣ مرحلة «الصراع والتبلور» · ولقد تعرضت معظم الدول العربية الى تغييرات اقتصادية واجتماعية وسياسية بعد حـــرب ١٩٦٧ · وكانت تلك التغييرات بلورة لاتجاهات سابقة ، بالاضافة الى تطورات جديدة تماما· وشهدت المنطقة كذلك تغييرات في القيادات السياسية · كما « شكل اتحـــاد الجمهوريـات العربية » الذي انهار بعد فترة وجيزة · من جهة ثانية تنامى تأثيـــر المقاومة الفلسطينية ، وازداد الالتفاف الجماهيري حولها ، وظهر يسار جديد في المنطقة · وتصاعدت في تلـــك الفترة عدة صراعات اقليمية ، وبشكل خاص بين المقاومة والانظمة · وكذلك بين مختلـــف الانظمة ، وبدت القوى المعادية للقومية العربية وكأنها مسيطرة ، كما بدا المد القومـــي وكأنـــه اخضع ·

وتصاعد الصراع الدولي في المنطقة ابان تلك الفترة ، واستمر التعاون العربـــي السوفياتي حتى وفاة عبد الناصر في ٢٨ ايلول ١٩٧٠ · وجاءت المرحلة الثانية ، فمع رحيل عبد الناصر لم يبق هناك شخصية عربية موحدة ، كما تزايدت عوامل عدم الارتياح والتوتر· فمن جهة كان هناك عدم ارتياح جماهيري لعدم قدرة الانظمة على انهاء الاحتلال الاسرائيلي، ومن جهة اخرى ادى عجز قادة مصر وسوريا والاردن عن تحرير الارض الى انحدار موقعهم السياسي ، وتعرض عدد من القادة العرب الاخرين الى هجمات تدفعهم الى محـو اثـــار عـــدوان ١٩٦٧ ·

من ناحية اخرى ، جاءت فرصة فيصل ليتبوأ القيادة العربية ، ثم اتت حرب تشريـــن لتشكل نقطة تحول تاريخية انشأت حقائق عسكرية وسياسية جديدة · فلقد بدا واضحـــا ان لفيصل دورا خاصا في حرب تشرين ، وبدا لفترة ان التقسيم التقليدي بين التقدمـــي والمحافظ فقد معناه ، وان الهدف القومي اصبح سائدا ·

ويقول المؤلفان ان حرب تشرين شهدت اضعف مشاركة جماهيرية عربية · وفي حين مثلت تلك الحرب وحدة الانظمة ، فلقد مثلت حرب ٦٧ وحدة الدموع ، ومثلت حرب ٥٦ وحدة التطلعات ، ومثلت حرب ٤٨ وحدة الايمان ، ويؤكدان في النهاية ان « العالم العربي علـــى

مفترق طرق » ، وان ثلاثة تيارات تتسابق للسيطرة على هذه البقعة : الرغبة في المحافظة، والرغبة في التغيير الليبرالي ، والرغبة في التثوير ٠

« الجيل العربي الجديد » :

يقدم حليم بركات والين هاغوبيان مقابلة مع عدد من الطلاب الجامعيين تناولت معظم المسائل التي طرحت على اثر حرب تشرين ٠ ويقول بركات في تقديمه للمقابلة ان طلاب الجامعات في لبنان ، والآتين من مختلف الاقطار العربية شكلوا حركة طليعية يمكن ان ينظر اليها كقيادة قوى التغيير في المنطقة ضد قوى المحافظة على الوضع القائم ٠ ويضيف ان الحركات الطلابية ابقت القضايا العربية على قيد الحياة ، ومررتها من جيل الى جيل ٠ ويشير الى ان المسألة الفلسطينية دفعت الطلاب الى المزيد من التفاعل مع الاحزاب والحركات الايديولوجية ، كما ان الطلاب اصبحوا اكثر بعدا عن الغرب وعن مؤسساتهم وثقافتهم التقليدية ، وازداد وعيهم لطبيعة المخططات الامبريالية ٠ ويقول بركات ان هناك انتقالامتزايد من التفسيرات القومية البحتة الى التحليل الاجتماعي الطبقي ، كما يؤكد ان الطلبة الفلسطينيين شكلوا نواة الحركة الطلابية منذ ١٩٦٧ ٠

وتعلق هاغوبيان على المقابلة بقولها ان المسألة التي تهم الجميع هي حق وقدرة كل امة على تقرير مصيرها بالدرجة الممكنة في عالم الدول القومية ٠ ويتطلب ذلك عنصران ،اولهما تنمية اقتصادية حقيقية ، وثانيهما وجود شكل دستوري قادر على الاستمرار ، يستخدم هذه القاعدة الاقتصادية لصالح المواطنين ، ويضمن قدرة الدولة على التفاوض على حقوقها في المجتمع الدولي ٠

وتقدم هاغوبيان عرضا للتطور التاريخي الذي تمكنت من خلاله دول مختلفة من تحقيق هذين الشرطين ٠ وتؤكد في نهاية تحليلها ان حرب تشرين تشكل نقطة تحول في عملية اعادة ترتيب الوضع السياسي والاقتصادي في الشرق الاوسط لصالح العرب ، كما تقول ان الاميركيين استهدفوا من عملية اعادة الترتيب فك ارتباط دول المواجهة بالقضية ٠ الا ان تناقضات المنطقة تحتم فشل الخطة الاميركية ٠

الآثار السياسية على المجتمع الاسرائيلي :

يعالج خليل نخله موضوع آثار حرب تشرين السياسية على المجتمع الاسرائيلي ، فيشير الى انه على الرغم من ان الحرب لم تنتج اي تغيير اجتماعي جذري ، الا انها ادت الى الكثير من التعبيرات الاجتماعية عن فقدان الثقة بقيادة اسرائيل وقدراتها العسكرية ٠ ولقد كانت الحرب اشبه بهزة سياسية شهدت انحدار شعبية القيادات السياسية لفترة ما قبل الحرب وازدياد الخلافات السياسية الاسرائيلية ٠

ويستعرض نخلة التطورات السياسية التي وقعت بعد الحرب ، ومن ضمنها الانتخابات التي اظهرت نتائجها انه بخلاف ظهور عدد كبير من الوجوه الجديدة في الكنيست الثامن، ووجود تفاعلات داخل التحالف الحاكم ادت الىتشكيلحركاتسياسيةجديدة،فانحرباكتوبر تبدو وكانها لم تقدم اي تغيير راديكالي في قوى اسرائيل السياسية الداخلية ٠

ولقد كان للحرب التأثير الكبير على العرب في الارض المحتلة ، اذ اعطتهم الدفـــع لاظهار هويتهم القومية والثقافية . ولقد قاد هذا الدفع الصهاينة الى التفكير بهجمات جديـة في شتى المجالات للقضاء على هذه التفاعلات في صفوف العرب . ويشير نخله الى بـــروز الجبهة الوطنية الفلسطينية والى المقاومة السلبية والايجابية في مختلف المناطق ، والتظاهرات التي رفعت شعارات دعم منظمة التحرير الفلسطينية . كما انه يشير الى تصاعد استخدام مختلف وسائل القمع والمضايقة والترحيل بعد الحرب .

ولقد بدأ الناس على اثر الحرب بالحديث عن فشل الصهيونية . كما لم تقف ازمـــة الثقة عند قيادة البلاد بل تعدتها الى ايديولوجيتها الصهيونية . وكانت الحرب عاملا فـــي الانخفاض الكبير في الهجرة ، وازدياد الهجرة المضادة .

ويستنتج نخله ان حرب تشرين هزت ـ على الاقل لفترة ـ انماط الحياة الاسرائيليـــة المقبولة على مستويي الايديولوجية والممارسة ، واظهرت فيضا من الاسئلة الهامة بين اولئك الذين يكيفون الرأي العام في اسرائيل .

وفي حين ساهمت الحرب في عودة ظهور الهوية القومية بين العرب ، فانها لم تدخـل تغييرا جديا في سياسة اسرائيل تجاه العرب داخلها . وعلى اثر الحرب ، اصبح علـــى اسرائيل مواجهة الهوية القومية العربية الفلسطينية بشكل مباشر .

**حرب تشرين والصحافة الاسرائيلية :**

بدأ الياس شوفاني بحثه حول حرب تشرين والصحافة الاسرائيلية بالاشارة الى كتــاب « المحدال » ( التقصير ) الذي حاول ان يغطي الثغرات الاسرائيلية ابان حرب تشرين ضمن التأكيد على ان اسباب ما حدث خارجية وليست موضوعية ، وانه ليس هناك من حاجة الى اعادة النظر بصحة الفرضيات الاساسية التي يقوم عليها المجتمع الاستيطاني الاسرائيلي . ويتساءل شوفاني فيما لو كان للصحافة الاسرائيلية « محدالها » ؟

ويستعرض شوفاني ما دار في سلسلة ندوات لمجلس الصحافة الاسرائيلية في الفتـرة ما بين ٤ و ١٨ كانون الثاني ١٩٧٤ . ويقول ان معظم المشاركين لم يكونوا مرتاحين لدور الصحافة الاسرائيلية ابان الحرب والفترة التي تلتها ، الا ان الصحافة ايضـــا حاولت ان تصور تقصيراتها وكأنها ناجمة عن عوامل خارجية . ولقد وقع اكثر اللوم على منفذي الرقابة العسكرية والناطق العسكري .

ويشير شوفاني الى ان الصحافة الاسرائيلية تخضع للرقابة منذ انشاء الدولة. وتستخدم الرقابة في كثير من الاحيان كاداة سياسية . ويستشهد شوفاني باحد مؤلفي «المحدال» الذي يقول ان وسائل الاعلام الاسرائيلية يسمح لها بان تتحدث الى الرأي العام الاسرائيلي عـن النجاحات فقط ، الا ان اسرائيل بلد صغير ، وكل عائلة فيها لديها فرد في الجيش ، وهكذا فان الانباء تتسرب وبسهولة .

اما الناطقون العسكريون ، فلقد حملوا قسطا اكبر من المسؤولية . والاعلام العسكري محرم على الاسرائيلي ويأتي هذا كتركة من مرحلة الارهاب السري السابقة . ويتحـــدث

شوفاني عن «نقابة المراسلين» ، مشيرا الى ان الجيش الاسرائيلي يقرر من يكون مراسلا عسكريا لكل صحيفة ، واي مراسل يتجاوز الحد المسموح به يطرد من النقابة لاسباب امنية ، ويقع الاعلام العسكري في اسرائيل تحت ضبط وسيطرة قسم الاستخبارات في الجيش. وهكذا فان الناطق العسكري يكون سابقا من ضباط الاستخبارات الامر الذي يدفعه الى اخفاء المعلومات اكثر من الافضاء بها .

ولقد اجمعت الصحافة الاسرائيلية على ان اسرائيل ربحت الحرب ، الا ان السؤال بقي حول حجم الانتصار وكلفته . ويشير شوفاني الى ان المفاجأة الحقيقية كانت حجم الاندفاع واصرار طرف معاد كان يعتبر عاجزا عن القيام بهجوم بتلك الضخامة وفوق كل هذا ، كانت التجربة الصدمة باكتشاف ان جيش اسرائيل ليس بالقوة التي يدعيها ، بالاضافة الى اكتشاف حدود قوة اسرائيل .

ويتحدث شوفاني عن « اهم تطور على الجبهة الداخلية » المتمثل بفقدان ثقة الاسرائيليين بقيادتهم السياسية ، ثم امتدت ثغرة المصداقية لتشمل القيادة العسكرية ومن ثم المؤسسة العسكرية ككل .

ولقد ساد اسرائيل ابان الحرب شعور بالعزلة ، وان لديها حليفا واحدا هو الولايات المتحدة ، وصديقا مخلصا وحيدا هو اليهود في العالم . وكثرت التهجمات على الاتحاد السوفياتي وعلى القيادات الافريقية .

ويستنتج شوفاني ان الحرب اعادت الاسرائيليين الى مواجهة ضعفهم الذاتي : مجموعة صغيرة تحاول فرض ارادتها على المنطقة المحيطة بها .

**الصحافة الغربية وحرب تشرين :**

تعالج جانيس تيري موضوع الصحافة الغربية وحرب تشرين من خلال تفحص ثلاث صحف اميركية وصحيفتين اوروبيتين ابان تشرين وخلال فترة الاشهر الاربعة التي سبقت الحرب والتي تلتها .

ولقد اختارت تيري « النيويورك تايمس » و « الواشنطن بوست » و « الديترويت فري برس » و« التايمس » و « الموند » ، وحاولت ان تتأكد على نحو « كمي » فيما اذا عدلت وسائل الاعلام الغربية تغطيتها لما يدور في الشرق الاوسط .

وكانت الصحافة الاوروبية اكثر توازنا في تغطيتها الشاملة ، كما شهدت انخفاضا في الموضوعات المساندة لاسرائيل ، وبرز تناقض في الموقفين الاوروبي والاميركي من مسألة النفط .

ووصلت تغطية انباء المنطقة الى القمة خلال الحرب الا ان الفترة التي تلت الحرب شهدت تغطية اوسع من الفترة التي سبقتها . وكان الموضوع الاكثر اهمية موضوع حظر النفط . وتقدم تيري في نهاية موضوعها سلسلة جداول حول مختلف اشكال المقارنة بين الصحف وتغطيتها ومواقفها .

**ما تريده واشنطن :**

يعالج اقبال احمد موضوع « ما تريده واشنطن » ، بادئا بالقـــول انـــه نادرا مـــا اعتبرت حكومة ما التضليل والخداع ادوات رئيسية للسياسة ، الا ان حكومة نيكسون تنتمي الى هذا الاستثناء ·

وينتقل احمد الى مناقشة اتفاقية كانون الثاني لفصل القوات التي اعتبرهـــا متناسبـة مع متطلبات كيسنجر لاتفاقية مستقرة ، اذ انها تبدو كانها حل وسط بين الجانبين ،الا انها اعطت اسرائيل ارباحا اساسية بينما اعطت مصر فوائد ذات اهمية ثانوية ·

ويناقش احمد التبريرات التي اعطيت للاتفاقية ، فيقول بالنسبة لوضع الجيش الثالث انه في حين كان الاسرائيليون في موقـع القوة تكتيكيا ، فان الوضع كان لصالح مصـر استراتيجيا · كذلك كان خط وقف اطلاق النار بالغ الكلفة لاسرائيل ·

وينتقل بعد ذلك الى تعداد الخيارات التي كانت امام اسرائيل والمتمثلة ببدء حـــرب جديدة ، أو التفاوض حول فصل القوات على اساس انسحاب من الاراضي المحتلة ، او الانسحاب من غربي السويس الى خط اكثر مناسبة دفاعيا ( الممرات ) · ولقد ادى فصل القوات في كانون الثاني الى ازالة الاعباء الاستراتيجية والاقتصادية التي لخـــط وقـــف اطلاق النار ، وبالتالي الى منح اسرائيل فرصة عدم الاختيار بين الحرب او السلام عبر التفاوض ·

ويقول احمد ان العرب في الحرب الخامسة ، سيجدون اسرائيل اكثـــر عدوانيـــة وتعبئة وتجهيزا من تشرين ٧٣ · ويضيف ان حرب تشرين كانت اخر حرب مـــن نوعهـــا كحرب ذات اهداف محدودة ·

وينتقل احمد الى استعراض السياسة الاميركية في السبعينات ، فيشير الى ان فيتنام ادت الى اعتماد استراتيجية جديدة· ولقد اعطت واشنطن اهمية قصوى لمنع ازدياد النفوذ السوفياتي في المنطقة العربية ضمن سياسة الوفاق او سياسة التعاون العدائي ، وايضـا لضبط طبيعة العلاقات الاوروبية بها · ويؤكد الكاتب انه في المنطقة العربية يضع الاميركيون علاقاتهم بالسوفيات في النصف العدائي من سياسة الوفاق · ويستهدف الاميركيون بشكل اساسي من وراء الوفاق مع السوفيات عزل الحركات الثورية عن دعم القوى الاشتراكية، حيث تستمر واشنطن في اعتبار تلك الحركات التهديد الاساسي للمصالح الاميركية ·

وترى ان الاستقرار العالمي يعتمد على وجود « شرعية مقبولة بشكل عام » ، كما ان الثوريين لا يهمهم الحوافز المادية ، وانهم يهددون « ميزان القوى النفسي » ، ويصعـــدون من تفاقم مشكلة الشرعية · واذا كان الاستقرار هدف السياسة ، والثورة اهم خطر على الاستقرار ، فيجب احتواء ومواجهة وتدمير الثورة ، وذلك عبر خلق شبكات عسكريـــة اقليمية في العالم الثالث تساندها القوة البحرية والجوية الاميركية ، وخلق احتياطـــي استراتيجي لنواة قوات الدفاع في البلاد « الحساسة » ( ايران ، باكستـــان ، الهنـــد الصينية ) ·

ولقد طور كيسنجر تلك السياسة عبر العمل على تطوير بلدان كالبرازيل وايـــــران واسرائيل واليونان والبرتغال واندونيسيا وافريقيا الجنوبية كحراس للمصالح الاميركية . واعتبر كيسنجر انالدول الاوروبية ،او الحلفاء القدماء ، مشكلةاكبرمن الاعداء،محاولاابقاء اوروبا قوة اطلسية وليس عالمية . وفي السبعينات انتقل مركز الصراع العالمي مــــن الاطلسي والهادي الى المتوسط والهندي . وفي جنوب المتوسط ، ظهر ثلاثة من اشبــــاح كيسنجر : السوفيات ، وقوى التحرر الوطني ، وفقدان ضبط اوروبا واليابان .

ولقد استهدف مخطط كيسنجر الاستراتيجي احتواء السوفيات وخلق ادوات قمـــــع اجتماعي في العالم الثالث ، والالتفاف على حلفائه الاوروبيين ، وخلق تحالف متماسك ، وان كان غير رسمي في المتوسط والهندي .

وحتى منتصف١٩٧٤،برزت الثغرات في المخططالكيسنجري فيالبرتغالواثيوبياواليونان. وكانت الثغرة الواضحة في علاقات اميركا بحلفائها العرب . وعلى الرغم من حرب تشرين، فلقد بقي كيسنجر مقتنعا باهمية اسرائيل كحارس للجناح الغربي ، الا انه ازداد قناعـــة بضرورة دخول السعودية ومصر كشركاء للشاه في حماية الجناح الشرقي .

وينهي احمد دراسته بالتاكيد على ان ذلك المخطط بنيان كيسنجري نموذجي :منطقي وانما خاطىء . ويشير في النهاية الى احتمال تدخل اميركي مباشر في المستقبل .

اوروبا الغربية : من المعاداة الى الحياد .

يستعرض فاروق سنكري تطور العلاقات الاوروبية العربية منذحرب ١٩٥٦ حتى حرب ١٩٦٧ حيث بدأت فرنسا بتعديل موقفها من قضايا المنطقة .

وعلى اثر حرب ١٩٧٣ ، اقترب رد الفعل الاوروبي من مفهوم سياســـــة اوروبيـــة مشتركة ، فلقد اخذت فرنسا وبريطانيا المبادرة في توفير دعم للعرب .

ويشير سنكري الى الخلاف الاوروبي الاميركي حول دور حلف شمال الاطلسي ،حيث يعتبره الاوروبيون اداة للحماية ضد هجوم سوفياتي . ومن ثم يستعرض المواقف العربيـة عبر تصريحات ، واجتماعات قمة ، واقتراحات تعاون طويل المدى مع المنطقة العربية .

ولقد شاركت بريطانيا فرنسا في الرغبة في التنصل من الالتزامات الخارجيـة . الا انهـا لم تكن تعتبر ان بالامكان نمو قوة ثالثة . وكانت ـ كمعظم دول اوروبا الغربية ـ ليست مستعدة لعزل نفسها تماما عن الولايات المتحدة .

ويتطرق سنكري الى العامل الاقتصادي ، حيث لاحظ الازدياد في التجارة والتعامـل المصرفي بين اوروبا والعرب . الا ان النفط كان السلعة الاكثر تأثيرا علـــى تصـــرف وسياسة اوروبا .

ولقد كان هناك عاملان هامان في التأثير على التصرف الاوروبي ، وهما التغييـــر في النظام الدولي ووضع التجارة والطاقة . ويتوقع سنكري مزيدا من التعاون العربـــي

الاوروبي في المستقبل ·

السياسة السوفياتية والشرق الاوسط :

يعالج باري روبن موضوع السياسة السوفياتية والشرق الاوسط ، ملاحظا فـــي البداية ان « الايديولوجية ثانوية » في عملية البحث عن الاصدقاء في العالم المعاصر ، وان التحالفات بشكل عام ليست ثابتة ولا ترتكز على جذور تاريخية بالقدر الذي تبدو عليه·

ولا يرتكز التحالف العربي السوفياتي على حاجات اقتصادية بل على مصالح سياسية في الجانب السوفياتي ، واهداف سياسية عسكرية بالنسبة للجانب العربي ·

ويستعرض روبن تطور العلاقات العربية السوفياتية حتى ١٩٦٧ ، مشيرا الـــى ان الموقف السوفياتي في العام ١٩٤٧ كان يعتبر ان الاولوية هي انشاء دولة ديمقراطية واحدة، اما الخيار الثاني فهو تقسيم فلسطين · وعلى اثر موت ستالين ، والمحاولات الاميركيـة البريطانية لفرض تحالفات معادية للسوفيات في المنطقة تزايد الاهتمام السوفياتي بها·

ويقول روبن ان السوفيات ساهموا في الحرب على الرغم من عدم حماستهم لهـــا وذلك بهدف خلق ازمات دولية لتقوية موقفهم عالميا ، وان عبد الناصر عقد الوضع لينتصر على المشككين · سياسة الهجومية · ولم ينجح الاقتراح السوفياتي بعد الحرب ،والقاضي بادانة اسرائيل وتحقيق انسحاب مباشر ، ودفع تعويض · بل نجح القرار ٢٤٢ ·

وجاءت المرحلة ما بين ١٩٦٨ و ١٩٧١ ، او مرحلة البحث عن حل ، حيث ظهر وكان هناك ثلاثة اختيارات : الحرب ، او اللاحرب واللاسلم ، او الحل السياسي على اساســ « عادل » · ولم يبق للعرب سوى الخيار الاول · وظهر رضى السوفيات عن استراتيجيـة عسكرية تؤدي الى تنازلات اميركية اسرائيلية خلال حرب الاستنزاف ·

ويشير روبن الى ان علاقة السادات بالسوفيات لم تكن كعلاقتهم بعبد الناصر ·ولقد تقرب السادات في العامين ١٩٧٢ و ١٩٧٣ من الاميركيين بطرق مختلفة · ويؤكد روبـــن ان انتقادات السادات للحذر السوفياتي وللطريق المسدود الذي تقود اليه السياسةالسوفياتية دقيق ·

وفي الوقت الذي قرر فيه السادات خوض الحرب ، كان السوفيات يعدلون موقفهـــم تجاه القبول بالخيار العسكري · وعند اندلاع الحرب ، سارع السوفيات الى اعلان دعمهم للعرب ، ذلك الدعم الذي تجلى بشحنات ضخمة من الاسلحة ، وبالنشاط السياسي باتجاه توفير دعم عالمي · ولقد حاول السوفيات المحافظة على تحالف مع مصر وسوريا والجزائر ومعظم منظمة التحرير الفلسطينية ، بالاضافة الى علاقات جيدة مع العراق وليبيا ·

ويشير روبن الى انــه ليس هنــاك ما يبـرر الاعتقاد بأن السوفيات يمكن ان يوقفـــوا التقدم الاميركي في المنطقة ، ملاحـظا المعارضة التقليدية للسوفيات · ومع ذلك مـــن الخـطا تقليل اثـر الجاذب السوفياتي ، حتى مع معارضي التسوية كالعـــراق والجبهـة الشعبية لتحرير فلسطين · وتبدو عـلاقات السوفيات بمنظمة التحرير في الفترة التي تلـت

الحــرب اكثــر اهمية منهــا فــي اي وقت مضى ٠

اما الاحتمالات امام السوفيات فلقد حددهــا كيسنجر ، وهــي اما الابقاء على التوتــر، او التعــاون مع الولايات المتحدة من اجــل ضمان استقرار المنطقة ٠ ويــرى روبن ، ان الاحتمال الثاني هو الارجح ٠

ويستنتج روبن ان قوة الولايات المتحدة الجديدة في المنطقة تدفع السوفيات الى زيادة دعمهم للتغــيير الاجتماعــي العــربي ، وللنضال العربي لاعــادة الاراضي المحتلة ، وللحــــركة الفلسطينية ٠ ويتوقــع استمــرار السياسة السوفياتية تجاه المنطقة دون تغــييرات جدية في ملامحــها العــامة ٠

آسيا والعــرب :

يعالج م٠ س٠ اغواني موضوع «اسيا والعرب» ، بادئا بالقول ان موقف وسياسات الدول الاسيوية تجاه الصراع العربي الاسرائيلي والفلسطيني الصهيوني قد تأثرت بمجموعتي عــوامل : اعتبــارات عــملية ، ومباديء سياسية ٠

ولقد اعطت حرب ١٩٦٧ بعدا متزايد الاهمية للمســـألة الفلسطينية ، وتأثر الموقف الاسيوي بالتطورات التي طرأت ما بعــد تلك الحــرب من طرد للمواطنين العــرب وتهجيــر جماعــي ٠ ويختار اغــواني ثلاث دول اسيوية لعرض العــلاقات العربية الاسيويـــــة وتحليلها ٠

الصين والمشرق الاوسط :

يؤكد اغــواني ان رد الفعــل الصيني عــلى حرب حزيران يجب ان يدرس من خــــلال ايديولوجية البلد ومصالحــه ، مشيرا الى نظرية ماوتسي تونغ في الثورة ، والــــى ان الصينيين اعتبروا فلسطين واليمن من المناطق حيث توجد « اوضاع ثورية ممتازة » فـــي العــالم ٠

وبالمقابل فان عــلاقات بكين ومصالحــها دفعــت باتجاه انتهاج سياسة مرنة وعــمليـــة ، تجلت عبر التجارة والتعــاون الاقتصادي مع عــدد من بلدان المنطقة ٠

من جهة ثانية كانت المنطقة احد ميادين الصراع الصيني ــ السوفياتي ، حيث اتهـــم الصينيون السوفيات مرارا بالخيانة نظرا لمواقفهم تجاه المنطقة ٠

ولقد كانت الصين اول دولة خارج المنطقة العربية تعطــي الدعــم الرسمــي لمنظمـــة التحرير الفلسطينية ٠ ويشير اغــواني الى ان ماوتسي تونغ اعتبر ان الامبريالية تخــاف من الصين والعرب ، كما شبه فورموزا ، باسرائيل كقاعدتين امبرياليتين في اسيا ، ولقــد منحــت الصين منظمة التحــرير صفــة دبلوماسية ، بالاضافة الى تقديم الاسلحة والتدريب٠

**السياسة الباكستانية والهندية :**

يقدم اغواني* عرضا تاريخيا لموقف الباكستان من الوحدة الاسلامية وحلف بغداد وغيره من الاحلاف العسكرية ، والتناقضات التي برزت في ذلك الموقف · ففي حين يفرض الاسلام موقفا باكستانيا من مسائل كالقدس والفدائيين الفلسطينيين ، فلقد اقدمت الباكستان على دعم الاردن ضد الفدائيين في ايلول ١٩٧٠ ·

اما الهند فلقد حدد موقفها اعتبارات معنوية وعملية ، كما تاثرت سياستها بكل من غاندي ونهرو · وكانت الهند قد صوتت ضد قرار التقسيم وضد قبول اسرائيل عضوا في الامم المتحدة · وطورت علاقاتها مع الدول العربية ، كما ساهمت في التحرك مع العالم الثالث ، وبشكل خاص على اثر حرب ١٩٦٧ · ولقد تعرضت تلك العلاقات الى ضغوطات نجمت عن استثناء الهند من القمة الاسلامية في الرباط ·

اعادت الهند تاكيد سياستها بعد حرب ١٩٧٣ ، وذلك على الرغم من ضغوطات المعارضة الداخلية التي اشارت الى ان العرب دعموا الباكستان ابان ازمة بنغلادش في العام ١٩٧١ ·

ويستنتج اغواني ان مواقف كل من الهند والباكستان والصين في محصلتها العامة تبقى اجماعا ايجابيا تجاه القضية العربية ، يعكس مواقف معظم دول اسيا ·

**النفط العربي والاقتصاد العالمي :**

يقول رجائي الملاخ في بداية دراسته عن النفط العربي والاقتصاد العالمي ان حرب اكتوبر قد نتج عنها اول فرض فعال لحظر النفط قام به المنتجون العرب · ادى هذا الحظر الى ضغط سياسي على الدول المستهلكة ، بالاضافة الى انه ساهم في زيادة وتعديل اسعار النفط الخام ، الامر الذي انتج فائض راسمال ضخم قدر بـ٦٠ بليون دولار عند نهاية ١٩٧٤ ·

ويقول الملاخ ان اثر الحظر العربي على الاقتصاد الاميركي كان كبيرا ، وان اعتماد الولايات المتحدة على المنطقة العربية كمصدر للطاقة سيتزايد في المدى المنظور · ويستعرض الملاخ مصادر الطاقة البديلة ليستنتج انها اما غير متواجدة واما غير اقتصادية واما عاجزة عن سد احتياجات العالم المتزايدة للطاقة ·

ويشير الملاخ الى ان منتجي النفط يستحقون الاسعار التي يحصلون عليها اذا ما قورنت الاسعار العالمية باسعار النفط ·

وينتقل الملاخ لبحث القدرة الاستيعابية « للفائض » العربي ، حيث يظهر ان التكامل الاقتصادي العربي اكثر تناسبا مع احتياجات المنطقة وثرواتها · ومن ثم ينتقل للاختيارات المتوفرة ان على صعيد تنمية الزراعة او الصناعة ·

**سلاح النفط :**

يعالج جوستورك موضوع سلاح النفط ، حيث يشير في البداية الى ان العلاقة الوثيقة بين النفط والسياسة من جهة ، وبين الحرب والسياسة من جهة اخرى حتمت ارتباط الحرب بالنفط في منطقة الشرق الاوسط ٠

ويستعرض ستورك اثار استخدام سلاح النفط ، في احداث تغييرات نوعية في بنية الصناعة النفطية العالمية ، تعديل خريطة القوى السياسية بالنسبة للشرق الاوسط ، تعزيز العلاقة التنافسية في المجالين السياسي والاقتصادي بين الولايات المتحدة واوروبا واليابان ٠

وينتقل ستورك الى استعراض التطورات السابقة لحرب تشرين في الجانب العربي، والمتعلقة باستخدام النفط في المعركة ، حيث برزت عدة تناقضات في مواقف الاطراف العربية المختلفة ، واقدمت دول كالسعودية على رفع شعار استخدام النفط كسلاح ايجابي ، نظرا لعلاقاتها بالغرب ٠

ومع اندلاع الحرب ، تصاعدت الدعوات لاستخدام النفط كسلاح ، وظهر تمايز في مواقف الدول العربية ابان الحرب وفي الفترة التي تلتها ٠

ويشير ستورك الى ان الولايات المتحدة كانت اقل تأثرا من الدول الراسمالية الاخرى نتيجة لحظر النفط ٠ ولقد نجم عن الحظر ازدياد اهمية كبار شركات النفط داخل الاقتصاد الاميركي ٠ ويلاحظ ستورك ان علاقة السعودية بالولايات المتحدة ازدادت قوة على اثر حرب تشرين وما رافقها من حظر للنفط ٠

ويستنتج ان الضغوطات الشعبية نفسها التي دفعت السادات لخوض الحرب دفعت فيصل لفرض حظر على النفط ٠ وان نجاح تلك الخطوة او فشلها يرتبط بتقييم مدى نجاح حرب اكتوبر او فشلها في تحقيق اهدافها المعلنة وغير المعلنة ٠ وتنتهي الدراسة بالاشارة الى ان سلاح النفط محطة من محطات الصراع المستمر لاعادة توزيع جذري لثروات الارض٠

**الاهمية الحضارية لحرب تشرين :**

يعالج انور عبد الملك موضوع الاهمية الحضارية « لحرب التحرر الوطني العربية » ٠ حيث يؤكد في مطلع دراسته ان تلك الحرب لا يمكن فهمها الا ضمن الافق الحضاري ٠

ويحدد عبد الملك ثلاث دوائر تشكل اطارا لتحليل مقارن للعمليات الاجتماعية الاساسية: ١ ـ الحضارات ، ٢ ـ المناطق الثقافية ، ٣ ـ الامم ٠ ويمكن تفسير الدائرتين الاولى والثانية باختلاف عالمي الانسان : الشرق والغرب ٠ ولقد تمتعت المنطقة العربية بامتياز التوسط ما بين الشرق والغرب ، بسبب من موقعها الجيو ـ سياسي حول البحر المتوسط ٠

ويتطرق عبدالملك الى ميزان القوى العالمي ، حيث يشير الى ان نهضة الغرب جاءت من خلال تركيز متزايد للعنف ، اولا ضد الطبقات الحاكمة ، وبعد ذلك ، وبشكل اكثر حدة ضد امم وشعوب العالم اللاغربي من الصليبيين وحتى حرب فيتنام ٠

وفي حين كان القرن التاسع عشر عصرا ذهبيا للامبريالية والراسمالية ، فلقد كان ايضا فترة هامة في انتفاضة الشرق · وشهد الربع الاول من القرن العشرين اول موجة استقلال شكلي ، بالاضافة الى اول ثورة اشتراكية في العالم · وتنامت الاشتراكية بسرعة بعد ذلك · وشهد ميزان القوى العالمي تغييرات متسارعة كذلك ·

وبدت مراكز القوى في العالم وكانها الولايات المتحدة ، والاشتراكية الغربية ، واسيا الثورية ، الى جانب قوى صاعدة كاليابان واوروبا الغربية الموحدة ·

يشير عبد الملك الى عاملين هامين برزا في ١٩٧٣ · فمن جهة برز تزايد وعي الطبيعة اللاعقلانية لانماط التطور الصناعي الراسمالي التي قولبت الغرب منذ اواخر القرن السادس عشر · ومن جهة ثانية تصاعد شعور بعدم ارتياح عام ، وبغياب الثقة والوضوح في كل من الولايات المتحدة واوروبا الغربية · ولقد ساهم هذان العاملان في تضخيم اثار قرار تاريخي اتخذه العرب لاخذ المبادرة السياسية المركزية بانفسهم · وكانت النتيجة ان الهجوم العسكري تجاوز اثره الاقليمي وحرك العديد من النتائج ·

ولم تكن حرب اكتوبر ـ على حد تعبير عبد الملك ـ الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة وانما نقطة التحول بين الانحطاط والنهضة في المنطقة العربية · اذ انها كانت نقض النقض وهزيمة الهزيمة ·

ويطالب عبدالملك بتطوير استراتيجية حضارية تهدف الى تعبئة كل الطاقات باتجاه اعادة احياء المجموعة المتناسقة العربية · فيؤكد على اولوية السياسة ، وعلى وجوب تطوير فلسفة عصرية قادرة على الهام الاتجاهات السياسية والمدارس العسكرية ضمن الجبهة القومية ·

وبعد ان يتساءل فيما لو كانت قيادات العالم العربي الحالية مستعدة لمواجهة تحديات التاريخ المعاصر ، يشير عبدالملك الى ان العرب اظهروا قدرة على اخذ المبادرة وفرض القرار السياسي · كما يشير الى ان هناك الكثير من المهارة والخيال والذكاء والطاقات الكامنة بين الشعب ، خاصة في ازمان حركات تحرر وطني سريعة وراديكالية ·

**الاساطير المحطمة :**

يعالج ادوارد سعيد موضوع « الاساطير المحطمة » في اخر فصل من فصول كتاب « بوتقة الشرق الاوسط » · ويتطرق في موضوعه الى « الاساطير » التي تحطمت انبالنسبة لنظرة الغرب ومستشرقيه للعرب وخصائلهم وقدراتهم ، او بالنسبة لنظرة العرب انفسهم الى اسرائيل وما تمثل من تفوق في المنطقة العربية ·

ولقد كانت حرب تشرين الحدث الذي اثبت «اسطورية » تلك المفاهيم وبعدها عن الواقع· كما انها الحدث الذي سيفرض مراجعة عامة ومفاهيم جديدة اكثر دقة وموضوعية تتناسب مع الحقائق التي كشفتها تلك الحرب ·

# شومسكي :
# الحرب والسلام في الشرق الأوسط

فيصل دراج

تشكل الممارسة بمركباتها المختلفة الاساس الموضوعي للوصول الى الحقيقة، فالاطروحة الذهنية لا تبدأ كمطلق ويقين منذ البداية ، فهي اما ان تبدأ كوهم ذاتي او كحقيقة جزئية او كمشروع عام يعمل للاقتراب من الحقيقة، لتجيء بعد ذلك الممارسة فتعيد صياغة الاطروحة او تظهر صحتها وربما تلقي بها احيانا بعيدا اي تظهر مجافاتها للواقع وللشرط التاريخي ·

لكن الانسان لا يبدأ من الصفر ، ولا يجعل من ذاته المصدر الوحيد واليتيم لمساره ، فحقل التاريخ حافل بالمادة العلمية وبتجارب الشعوب التي تشكل قاعدة صلبة لاعطاء مؤشرات تدفع الى الطريق الصحيح ·

ان اية تجربة ثورية مهما بلغت اصالتها وتكثفت خصوصيتها لا تستطيع السير والمسار بالاعتماد فقط على مفهومها الخاص للعالم والتاريخ ، كما انها لا تستطيع تحطيم قانون العام اعتمادا على مفعول قانون الخاص · واية محاولة لكسر وتجاوز التجربة الثورية الكونية محض وهم يتبدد تباعا تحت شمس الحركة التاريخية وخلال عملية الصراع المتجددة · فالاصالة لا تنفي الكونية بل هي اساسها الموضوعي ·

لا تعني الكونية الانفتاح نحو السديم ونحو عالم يعتمد على جوهر الانسان بل تعني دراسة وتمثل ونقد واغناء التجربة الكونية الثورية ببعديها النظري والعملي ، والالتفات الى الافكار والمحاولات الهادفة لدفع التاريخ الى الامام ·

لقد استطاع الشعب الفلسطيني بنضاله ان يضع مشكلته على مسرح العالم، وان يؤثر ويتأثر بالاحداث ، ان يجعل من قضيته محورا للحديث والمناظرة والتحليل ، لكن ذلك لا يجعل من القضية الفلسطينية محورا للعالم ومركزا له ، فنحن نشكل احد بيوت حركة التحرر الوطني في العالم ، وهذا يعني ضرورة ترك نوافذنا مفتوحة على العالم لنراه ونفهمه وننقده ونستفيد

منـــه ٠

ولكن ماذا نعـني عـندما نتحـدث عـن «النوافذ المفتوحـة » عـلى العـالـم الخارجي ؟٠ ليس العـالم الخارجي متسقا ومتجانسا ، انه محـكوم بمنطـــق الصراع ،الثورة والثورة المضادة ٠لهذا فان « النوافذ المفتوحة » المطلقـة السراح لا وجود لها ٠ والنوافذ السائبة تؤدي الى العدم او السديم ، اننا نتجه الـــى نوافذ الثـورة والموضوعـية والواقعية ٠

ان الظروف التي ولدت فيهـا الثـورة الفلسطينية جعـلتها لا تلتفت الى «نوافذ العالم » الديمقراطية بالقدر الكافي ، وعندما نلتفت الى افكار « الاخريـــــن » ونقبل بهـا ، فان ذلك لا ينبـع دائما عـن قناعـة منطقية بها بـل يجـيء عـلـى الاغلب كضرورة لوضع مأزوم ، اي ان الممارسة اليومية التجريبية هي التـــي تدفعـنا الى قبـول منطق الاخـرين والبحـث عـن تحليل جديد يتجاوز ما سبقه٠ ان ذلك يعني التحليل المنسق لوضع ما ، لم يكن عندنا دائما نقطة انطلاق ، وكثيرا ما شكلت نقطة النهاية بداية الانطلاق من جديد ، فالنظرة والنظرية عندنا احيانا تابعتان للممارسة بدل من ان يكونا ادوات ضبط لها ٠

سنحاول هنا تقديم اطروحات ناحوم شومسكي الواردة في كتابه « الحـــرب والسلام في الشرق الاوسط » ٠ Belfond - Paris - 1974 والذي هو جملة مقالات كتبها بين ١٩٦٩ ــ ١٩٧٢ حول الصراع العربي ــ الاسرائيلي بشكـــل عـام والصراع الفلسطيني ــ الاسرائيلي بشكل خاص ٠ اننا لا نتفق هنـا الا مع بعض اطروحاتـــه ونرفض البعض الاخـر ، ورغم هـذا فـــان شومســـكي برهن عـلى رؤية سياسية في منتهـى الصحـو والوضوح ، وقدرة عـلى قراءة المستقبل في الحاضر ٠

## شومسكي واليسار الامريكي :

ناحوم شومسكي عالم لغوي ذائع الصيت في المجالات الاكاديمية في الشرق والغرب ، بل يمكن القول انه احد القلائل الذيـن ارسوا اسس علم اللغـــة الحديث ، يهودي ، ينتمي الى ما يسمى باليسار الامريكي الجديد ، لـه مواقف مشرفة وموضوعية من قضايا التمييز العنصري في امريكا ، نـــدد بـــدور المخابرات المركزية في قمع « العالم الثالث » ونهبه ، وخاصة بدورها الوحشي في اندونيسيا في كتابـه « حـمام الدم » ، شجب دور المثقفين الذين يوظفـون طاقاتهم العـلمية في خـدمة الاحتكارات والامبريالية « المثقفون الجدد » ، وقـد اصدر هذا العام دراسة مشتركة مع جان بيير فيجيه عن ازمة الامبرياليـــة ٠

وصل شومسكي الى تقييم الصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي من خلال نفس المسار الذي سلكه اليسار الامريكي الجديد ، اي انه لم يبدأ من الصراع نفسه ، بل بدأ برؤية وشجب دور امريكا البشع في العالم ، وبالتالي فلقد رأى الصراع اثناء اقتفائه لمفاصل الاخطبوط الامريكي في العالم ،فالوجه الامريكي القبيح هو البداية والنهاية ٠

يتكون اليسار الامريكي الجديد من ثلاثة اتجاهات : السود ، المثقفون البيض والبوهيميون ، وتنتمي هذه الاتجاهات غالبا الى الطبقة الوسطى التي لا ترفض النظام الامريكي كلية بل ترفض فيه بعض الوجوه والقيم وتحلم بمجتمع انساني اخلاقي يحافظ على حرية الفرد ويكرس انسانيته ٠ فبؤرة الاحتجاج وبدؤه هو الفرد المغترب وليس النظام كبنية ٠ بدأ هذا اليسار يحبو في بداية الستينيات وقد شكل الطلاب والمثقفون عموده الاساسي ، ثم نسب اليه العاملون في حركة الحقوق المدنية ، وتجلى نضاله خلال مظاهرات متفرقة او موسمية لشجب احد مظاهر الحياة دون ان يكون لديها فلسفة واضحة او برنامج عمل سياسي . فمحرق الحركة هو الدفاع عن حرية الفرد وانسانية الانسان وحقه في الحياة واتخاذ القرار ، لذلك كانت وما تزال حركة رفض لا تنظيم سياسي محدد الافق والهوية ٠ وقد حدد طبيعة هذا اليسار ، وحلل منطلقاته توم هيدن T. Hayden في كتابه « من الاحتجاج الى الرديكالية»، ورأى انه جيل جديد ينطلق من الليبرالية يرفض الماركسية والدغمائية والجانب الوحشي من الرأسمالية ، ويتمحور في فكره وعمله حول : الانسان عقل وحب وحرية . وعلى الانسان ان يشارك في اتخاذ القرار الجماعي ويعمل مع الجماعة دون ان يفقد فرديته واستقلاله الذاتي ، ولا يمكن ان يتحقق ذلك الا في نظام ديمقراطي يكون نتيجة للحوار والعمل الجماعي المتكافيء لا نتيجة للعنف ، فكل ما يبدأ بالعنف يئد الديمقراطية مسبقا ٠

لعبت جامعة بيركلي دورا كبيرا في تجذير الحركة الطلابية ، ثم جاءت حرب فيتنام والمظاهرات المطالبة بالسلام لتدفع باليسار الجديد الى الامام ولتعطيه اطارا نظريا اكثر وضوحا على الرغم من عدم تجانسه ٠ فجاء كلارك كير C. Kerr وانتقد انسحاق الفرد امام الالة في كتابه « الصناعية والانسان الصناعي » . اي انه طرح غربة الفرد عن المجتمع وانفصام شخصيته وفقدانه لقراره الذاتي ، وتعرض هيدن الى علاقة الحياة الاميركية اليومية بالحرب الفيتنامية . فنقد عسكرة الحياة الاقتصادية ، وتعقد التكنولوجيا كحقل ينمو وينهض ويرتقي لخدمة الحرب ٠ يضاف الى ذلك رايت ميلز وماركوز ٠ وعلى الرغم من ظهور الاطار النظري لليسار الامريكي الجديد فانه بقي عاجزا عن

خلق حركة جماهيرية وبقي محاصرا في دائرة الفرد والحب والجنس والشر والخير · ولقد قاده وضعه هذا الى اتهام البروليتاريا واعتبارها مطيه وديعة للرأسمال مما جعله ينظر لدور المثقفين كحامل وحيد للثورة في القرن العشرين ·

فاليسار الامريكي الجديد ولد معزولا ، بدأ من المثقف ذو الضمير الاخلاقي وراوح عنده ، يبحث عن « الحب والجمال في العالم » دون ان يعي لا الشروط الموضوعية التي خلقت « الشر » ولا الوسائل المشخصة لقتل هذا « الشر » ·

ضمن هذا الاطار الاخلاقي الانساني ولد شومسكي المناهض «للشر » وتعرف الى الصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي ·

ان تأمل وجه امريكا القبيح هو الذي دفع شومسكي واليسار الامريكي الجديد للتعرف على الشرق الاوسط لقد كان الشرق الاوسط حاضرا في الحياة الاعلامية والثقافية ، لكنه حاضر كحقل للبترول ، كجمل في الصحراء كبدائية مفرطة ، كرومانسية صنعها الخيال الكولونيالي ، حاضر كاسرائيل « بلد الحلم والبرتقال» ،اما القضية الفلسطينية فقد كانتغائبة تماما ،ففلسطين لم تكن الا كلمة جغرافية او تاريخية وتعني في نهاية المطاف « اسرائيل ـ ارض الميعاد » وعندما قذفت البندقية الفلسطينية القضية الى العالم واصبح لها جسما وظلا استحال الفلسطيني في امريكا الى مرادف للشر ، بل أن التكلم عن الفلسطينيين ـ وعلى حد قول شومسكي نفسه ـ كاف وحده لاثارة الامريكي وافساد سهرته ·

فما هي اطروحات شومسكي عن « الحرب والسلام في الشرق الاوسط »· وما هي الافاق التي سيبلغها الصراع في الشروط المعطاة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ·وما هو الحل الموائم والقادر على لجم الحرب بشكل موضوعي للوصول الى سلام لا يحمل في احشائه بذور حرب قادمة ؟

ـ ١ ـ

يشكل البترول الرحم الذي انبثق منه الصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي بشكل خاص والعربي ـ الاسرائيلي بشكل عام · لا شك ان هذا الصراع المتمحور حول البترول لم يبدأ بظهور المقاومة الفلسطينية ، فقد كان ابدا صراعا سجالا مشروطا بمد حركة التحرر العربية وجزرها ، وما جعل المقاومة في بؤرة ومحرق هذا الصراع هو وزن المقاومة ابان ظهورها والدور التحريضي لها في الساحة العربية ، فمنذ بدء القرن كان البترول وما يزال منبع الصراع وسببه

واساسه · ويمكن تلخيص ابعاد الصراع بالامبريالية والبترول وحركة التحرر الدافعة عن حقوقها وحقها في الوجود · ولقد كانت « يد البترول السياسية » منذ بدء القرن تقريبا في ساحة الصراع العربية ، تارة تنمو وتارة تتراجع لانها لا تهدف الى حماية البئر البترولي فقط بل حراثة وتدجين جميع المساحات المتاخمة له · فالصراع حول « الابار » يشمل الوطن العربي قاطبة ،وكل ما يدور في العالم العربي من صراع بين قوى التحرر والامبريالية يتضمن البترول واستطالاته السياسية ·

بغية ايضاح ذلك يرجع شومسكي الى التاريخ ، فقد صرح بلفور عشية تصريحه الشهير - المشؤوم « الجوهري هو ان يبقى البترول في متناول ايدينا» · وبعد ذلك بخمسة وعشرين عاما صرح سكرتير الدولة الامريكي كوردل هل Cordell Hull « ينبغي ان نفهم ان بترول العربية السعودية يشكل اكثر رافعات العالم عظمة »، ولذلك عملت الولايات المتحدة الامريكية على ازاحة بريطانيا من الشرق الاوسط وحلت محلها لتضع يدها على المنابع البترولية التي تشكل اهمية لا شك فيها للمجتمعات الصناعية · ومنذئذ والامبريالية الاميركية تعمل بيديها واسنانها لتأييد هيمنتها على المواقع البترولية وجعلها مرفأ مطواعا للشركات البترولية الامريكية ·

لقد كان هذا المنطق هو بوصلة السياسة الامريكية في الشرق الاوسط بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، لكن رفع العرب شعار البترول في وجه امريكا حمل هذه الاخيرة على اجراء « تعديلات طفيفة » في سياستها بحيث تقود الجميع الى قبضتها - اسرائيل والبلاد العربية - دون ان تضير احد الطرفين· ان امريكا لا تسعى من وراء البترول العربي الى الربح فقط ، بل تسعى من خلاله ايضا الى المسك برقاب وتأثر النموالاقتصادي والحركة السياسية في اوربا الغربية واليابان ، خاصة ان امريكا قادرة على الوصول الى اكتفاء بترولي ذاتي على عكس حلفائها · وبذلك يصبح البترول مصدر طاقة وربح هائلين وعصا غليظة لقيادة حلفاء امريكا ·

تعني المقدمات السابقة بالضرورة ان للبترول العربي والصراع المتحلق حوله اهمية محلية واقليمية وعالمية · حيث يكمن في الدائرة الاولى البترول وادارته السياسية المحلية ، في حين تشكل الدائرة الثانية حزاما سياسيا يجب ان يكون واقيا ، اما الدائرة الثالثة فتتحدد بالاثر الاقتصادي والسياسي للبترول على المستوى العالمي · يمكن ان نقول اثر ذلك ان اتباع العرب لسياسة بترولية مستقلة قد يؤدي الى صراع جسيم في قلب النظام الرأسمالي نفسه · فأمريكا دعت وتدعو دائما الى «جبهة مشتركة» ، جبهة سياسية موحدة للدول

المستهلكة للبترول يمكنها السيطرة عليها ، بينما يحاول حلفاؤها الوصول الى علاقات ثنائية مع العالم العربي المنتج للبترول ، اي يحاولون الخروج عن الدائرة الامريكية وكسر ما يسمى بـ« الجبهة المشتركة » التي تدعو اليها امريكا كي تحقق من ورائها ربحا ماليا وسياسيا · لهذا وجدنا ، خلال حرب اوكتوبر ، اليابان وفرنسا وبريطانيا والمانيا الغربية تلهث وراء علاقات ثنائية مع الدول العربية المنتجة للنفط على الرغم من ان مكان الاحتكارات الامريكية كان ما زال صلبا ومتينا وبعيدا عن الاهتزاز ، مما حمل مدير الطاقة الامريكي م · سيمون على التصريح بان امريكا لن تسمح بمساس احتكاراتها النفطية ومليارات الدولارات المستثمرة في هذا المجال ·

فالبترول اذن ليس مصدر طاقة واستثمارات فقط بل اداة هيمنة سياسية ، ولا يمكن الفصل بين الوزن السياسي الفعلي للولايات المتحدة ووزنها النفطي علما بأن الشركات النفطية الامريكية تتحكم بحوالي ٧٠ ٪ من الصناعة النفطية العالمية · ومن هنا ينبع ويقفز الى العين المكان الهام الذي تتصدره العربية السعودية وايران في الاستراتيجية الامريكية ·

ينجم عن ذلك ان امريكا غير مستعدة ابدا للتخلي عن امتيازاتها النفطية ، وهي مستعدة دائما للذود عن حياض امتيازاتها بكل اشكال الصراع الممكنة من الكلمة الدبلوماسية الى المدفع ، وقد عمدت الولايات المتحدة خلال حرب اكتوبر الى البحث عن كل السبل الممكنة لردع العرب ، وجاءت نتيجة الدراسات التي قام بها كلاوس هس ، كلاوس كنور واوسكار مورجنشترون من جامعة برنستون والتي نظمها مكتب الابحاث البحرية Bureau de la Recherche Naval Par Mathamatica .

« ان البلدان الاساسية المصدرة للنفط يمكن ان تخضع للقوة » · كما قال البعض « ان دبلوماسية المدافع لم يندثر زمانها بعد »· وذهب والتر لاكور ابعد من ذلك عندما طالب بـ « تدويل النفط » ليصبح حكرا للبشرية جمعاء لا لشركات نفط معدودة وقال « يمكن ان يصبح تدويل المصادر البترولية في الشرق الاوسط اختيارا اساسيا لسياسة الانفراج » ، وقاده خياله الى « تشجيع مصر للتحكم في حقول البترول الليبية »·

يمكن ان نلخص الاطروحة الاولى اذن بأن الصراع الاساسي في حقل الشرق الاوسط ما يزال يدور حول النفط بجوانبه الاقتصادية والسياسية ، وبوصفه طاقة ، وهو المفتاح الاساسي الذي يقودنا الى فهم طبيعة الصراع في الشرق الاوسط ·

(٢)

تلعب اسرائيل دورا متميزا في حقل الصراع في المنطقة وفي اطار الاستراتيجية الامريكية البترولية ،لكن هـذا الدور لا يتأتى من طبيعـة دولة اسرائيل ولا مـن قاعدتها التاريخية بـل من شكل العـلاقة القائمة بين دولة اسرائيل وجيرانهـا العرب ٠ اي انها لم تولد في كنف الامبريالية بل دفعت اليه بايـد عربيـة ترفض وجـود اسرائيل ٠ فكيف حصل ذلك ؟

يطرح شومسكي امامنا عدة اطروحات ، اطروحات ـ مسلمات :

ا ـ ان الصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي قومي في جوهره ، صراع بيـن قوميتين ، بين حركتي تحرر صادقتين وجديرتين بالحياة ، فالفلسطينيون واليهود يتناحرون على ارض ذات حدود غامضة يعتبرها كل من الطرفين وطنا له ٠

ب ـ الصهيونية حركة تحرر قومي شأن غـيرها من حركات التحرر القومي ٠ وهي في جوهرها نتاج للـ « حضارة » الاوربية ٠ اما القومية الفلسطينيـة المتميزة عـن القومية العربية بشكل عـام ٠ فهي نتاج لنجاح المشروع الصهيوني، اي ان القومية الفلسطينية قد نمت وتشكلت خـلال نضال الشعـب الفلسطينـي ضد المهاجرين اليهود الى فلسطين ، او بشكل ادق فان نموها يوازي نضـال الشعـب الفلسطيني ويزامله ويواكبه ٠

يقول شومسكي منذ البدء وبدون ابهـام بالعـدالة المطلقة للقضية الفلسطينية، لكن عـدالتها لا تنفي ابدا عـدالة « القضية الاسرائيلية »، ثم يعـود بعـد ذلك للتحـدث عـن جوهر الصهيونية كايدولوجيا اشتراكية انسانية تعـمل عـلى تحقيق الذات اليهودية دون ان تضطهد الكيان العربي ، لذلك فان الصهيونيـة لم تطرح في مسارها الاول مشروع اقامة دولة يهودية محضة بل دعـت الـى دولة اشتراكية ثنائية القومية ، وليس مارتن بوبر وجودا مجنس الا احـد الرموز القليلة التي عـملت عـلى الحفاظ عـلى نقاء الصهيونية وتجسيدهـا عـمليا دون اضطهاد الاخرين ٠

يوصل هذا المنطق إلى اطروحة اساسية عـند شومسكي : هناك صهيونيـة انسانية ـ اشتراكية ، وهناك صهيونية رجعـية اظلامية قامـت باضطهـاد الفلسطينيين وتشريدهم ، اي انها صهيونية تحريفية خانت المبادىء الاولـى وادت الى تدهور وانحطاط المثـل الصهيونية الاصلية ودفعتها الى حقل الامبريالية حتى اصبحت اداتها الاكثر فاعـلية في الشرق الاوسط ٠

ان اسرائيل بشكلها الراهن نظام عسكري مسلح حتى الاسنان يتلاحم ويتكافل مع الامبريالية والامريكية منها بشكل خاص ويعمل باتجاه الدفاع عن المصالح الامبريالية ويدفع بالشعب اليهودي والعربي الى الدمار • فاسرائيل منذ وجودها عمدت الى سياسة « التفوق العسكري » ساعدها في ذلك « الجالية اليهودية الامريكية » التي تتسم بعنصرية مترعة وتطرف بلا حدود وتاثير كبير في الادارة الامريكية ، وكي تحقق اسرائيل استراتيجيتها بشكل مستمر كان عليها بالضرورة الارتباط المطلق بالسياسة الامريكية •

ليست اسرائيل الراهنة الا التجسيد التحريفي للمثل الصهيونية ، ويمكن تلخيص الاسباب التي دفعت الى « تحريف » الصهيونية بما يلي :

ا ـ نمو التيار الانعزالي في الحركة الصهيونية وتخليه عن سياسة عدم الهيمنة وصولا الى مطالبته وتجسيده للدولة اليهودية النقية • ان هذا التيار المتطرف القائم على نفي الاخر الجدير بالحياة هو سبب الازمة الراهنة • لذلك ينبغي النضال لدحر هذا التيار واعادة الصهيونية العاملة لمجتمع جديد في فلسطين القديمة يقوم على الاشتراكية وثنائية القومية •

ب ـ التطرف العربي في الثلاثينيات والاربعينيات الذي رفض بدوره الوجود اليهودي ، فما كسر المعادلة وسمح « للاطراف الانعزالية » في الطرفين بعرقلة المعادلة • فلجأت الى العنف بديلا عن الحوار والتعاون •

ج : الظروف التاريخية التي مرت بها الحركة الصهيونية والتي شكلت تربة صالحة لدفع وتشجيع العناصر المتطرفة ، واهم هذه الظروف هي ظهور النازية و « حرب » ١٩٣٦ في فلسطين والحرب العالمية الثانية •

ان جملة الاسباب المذكورة جعلت من اسرائيل منذ البدء اداة للامبريالية وحارسا لمصالحها في الشرق الاوسط وسببا مستمرا لتوتير المنطقة وتأزيمها بما يخدم المصالح الامريكية والامبريالية • ولا يمكن ان ترى اسرائيل بشكلها الراهن الا من خلال المنظور الامبريالي •

(٣)

يوجد الان واقع مشخص لا يمكن نكرانه • هناك دولة اسرائيل وهناك الشعب الفلسطيني الواعي والمنظم والمقاتل والذي يجسد نفسه في حركة المقاومة الفلسطينية التي تناضل من اجل استعادة ارضها ، من اجل حق عادل ،

لكن للاسف ، لا يمكن تحقيق العدالة دائما ، يقود هـذا بالضـرورة الـى المساومة والتنازلات · فالعدالة مفهوم يغمط حقه احيانا ·

اتسم الصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي في رأي شومسكي منذ الثلاثينيـات وحتى اليوم بسمتين :

ا ـ التدمير الذاتي المتبادل ، فكل طرف في سعـيه ونضاله لتدميـر الاخـر يدمر نفسه ايضا ·

ب ـ استراتجية الافلاس : ان عملية التدمير المتبادل مستمـرة ، دفـع الفلسطينيون الكثير كما دفـع اليهـود كذلك ، لكن المشكلة ما تزال قائمـة فالفلسطيني مستعـد للقتـال والاسرائيلي للرد · ولكن ماذا بعد ذلـك ؟ فالفلسطينيون لا يستطيعون تدمير اسرائيل وهـذه الاخيرة عاجـزة عن دحر الفلسطينـيين وتحطيم وعيهم القومي ·ان اسرائيل تستطيع ان تربح مرة ومرتين، لكن ربحـها المستمر هـو موطن نحرها ولن تربح فعـلا الا عـندما تقبـل بواقـع الشعـب الفلسطيني وطموحـاته القومية · يضاف الى ذلك ان حرص اسرائيل عـلى الربح لا يجعـلها اداة امريكية فقط بـل سيقود بالضرورة الى تحطمهـا الداخلـي ـ الذاتـي · فالصـراع الفلسطينـي ـ الاسرائيلي انتحـاري ، ولا تنبـع الصفة الانتحاريـة لهـذا الصـراع مـن الطـرف الفلسطيني فقط بل من التعنت الاسرائيلي ورفضه تقديم اي برنامج سلام يتضمن المصالح الفلسطينية · ان الفلسطينيين لا يستطيعون تحقيق شعاراتهم فـي الظروف الراهنة ولا حتى الديمقراطية منها ، فتربة الشرق الاوسط السياسيـة لا تسمح بذلك ، لذلك ينبغي الرجوع والعودة الى الواقعية في شكلها الاكثر بساطة والعـمل بهـدوء بانتظار ظروف قادمة وموازين قوى جديدة ·

ـ٤ـ

لا يشكل الفلسطينيون عقبة وصداعـا لاسرائيل فقط بـل لجميـع الانظمـة العربية بلا استثناء ، كما يبدون كجسم سياسي متعب وحامل للمشاكل بالنسبة للقوى الكبرى ايضا ، انهم يشكلون جسما غريبا في المنطقة بسبب دورهم فـي دفع حركة اليسار الى الامام وبسبب دورهم التحريضي بين الشعـوب العربية ، لذلك فان كـل الجهـود العسكرية والسياسية التي تنصب في ساحـة الشرق الاوسط تهدف بشكل اساسي لحذف الفلسطينيين من معادلة السلام والتسويـة، بل ان الكثير من البرامج والخـطط قد وضعـت مستهدفة استئصال الوجـود الفلسطيني بشكل اساسي او خلق الشروط السياسية التي تدفع باتجاه تصفية الوجود

الفلسطيني : فمشروع روجرز قد وضع في الاساس ليدفع الدول العربية بتحطيم حركة المقاومة الفلسطينية ، وعندما تم ذلك في الاردن في ايلول ١٩٧٠ طوى النسيان مشروع روجرز وانتهى الحديث عنه لانه قام بدوره وانتهى ، وينبغي ان يعرف الفلسطينيون ان الاردن ليس النظام الوحيد القابل لتصفيتهم بل ان اقرب اقربائهم مستعدون للقيام بنفس العمل ( قال شومسكي هذا في عام ١٩٧٢ ) ٠

ان مأساة الفلسطينيين تكمن في رفض جميع القوى السياسية لهم ، المحلية والاقليمية ، والعالمية ٠ لذلك فهم امام اختيارين فاما الاندراج في اللعبة او النضال من جديد وعلى اسس جديدة ٠ فالحل الحقيقي للمشكلة الفلسطينية في مأزق والمقاومة نفسها في مأزق، واوروبا والقوى الكبرى غير مستعدة ان تناقش بشكل جدي مطالب الفلسطينيين ، والوجود الفلسطيني الراهن عقبة يأمل جميع الاطراف بازالتها ، ازالة يمكن ان تتم بصمت او بصخب ، ازالة مباشرة وبدفعة واحدة او بشكل متدرج لبق ٠

ان السلام الحقيقي والموضوعي في الشرق الاوسط يرتبط بشكل جوهري بقدرة المقاومة الفلسطينية على الصمود وقدرتها على خلق افاق جديدة في الشرق الاوسط ٠ ولن اي سلام يتم على حساب الفلسطينيين لا يمكن ان يكون الا نفيا للسلام ٠ فسلام الفلسطينيين يرتبط اذن بتثوير المنطقة وبالنضال من اجل ميزان قوى جديد يقبل ويناضل من اجل الطموحات القومية الفلسطينية ٠

ان ارتباط الوجود الفلسطيني المسلح بامكانية تثوير المنطقة يدفع بالمقاومة الفلسطينية الى الجدار ، الى سلسلة متصلة من القمع ٠ فاسرائيل لا تريد الفلسطينيين ، كما ان الدول العربية بدورها لا تريدهم ، فعلى الفلسطينيين اذن ان يحاربوا اسرائيل والبلاد العربية ٠ ٠ لكن امكانياتهم الذاتية لا تسمح بذلك ٠ فكيف تنحو اذن الامور ؟

الدول العربية تبحث عن حل لمناطقها المحتلة ، لكن اسرائيل تضع في منتصف الدائرة غياب الفلسطينيين كشرط للحل ، وهو شرط تقبله الدول العربية بلا عناء ٠ ان سياسة اسرائيل منذ حرب ١٩٦٧ لم تكن تهدف فقط الى ابقاء الاراضي العربية تحت الاحتلال بل دفع الدول العربية الى التنكر للوجود الفلسطيني والغائه ٠ فاسرائيل لا تلغي الفلسطينيين من قاموس السياسة فقط بل تصر على الدول العربية ان تفعل الشيء ذاته ، فـ « غولدا مايير » تقول ان الفلسطينيون « لا وجود لهم » ، اما ابا ايبان فقد صرح منذ عام ١٩٦٩ بانه « ليس للفلسطينيين اي دور في تسوية السلام » ٠

ويتفق هذا المنطق المغيب للوجود الفلسطيني مع السياسة الامريكية ، وبالتالي فان اللعبة السياسية تدور بين اسرائيل وامريكا والبلاد والعربية ، اي تدور على ارضية سياسية تتحكم بها الامبريالية الامريكية • في ظل هذه الشروط فان عدد الفلسطينيين سيكون بالضرورة زهيدا، فاما ان يحذفوا كليا من الحل، او يحصلوا على ادارة سياسية تابعة للنظام الاردني ، او يصلوا الى دويلة خاضعة لليد الاسرائيلية الثقيلة •

يمكن ان نلخص ما سبق بالاطروحة التالية :

في ظل الشروط القائمة في الشرق الاوسط يبدو الجسم الفلسطيني هجينا والحل القادم لمشكلتهم سيكون هجينا ايضا •

ـ٥ـ

تهدف امريكا من الغاء الوجود الفلسطيني المسلح الى اعادة ترتيب المنطقة ، فهي لا تكره الفلسطينيين لفلسطينيتهم بل لدورهم المحرض والقادر على توتير المنطقة • فاستئصال المقاومة يعني استئصال احد الاسباب المؤثرة بغية الوصول الى بحيرة امريكية هادئة • فالولايات المتحدة تريد اعادة حكم الشرق الاوسط بشكل كامل وهادىء وهذا يتطلب ما يلي :

١ ـ استئصال القوى المناهضة لها •

٢ ـ الوصول الى حل امريكي للصراع العربي ـ الاسرائيلي •

٣ ـ خلق نقاط رقابة على المنطقة ،او حكومات ـ ثوابت قادرة على « ضبط الهدوء في المنطقة» • والثالوث القادر على لعب هذا الدور هو ايران ـ السعودية ـ اسرائيل • وبذلك تعمل جميع دول المنطقة تحت اشراف امريكي ولخدمة المصالح الامريكية •

ان هذه « المناطق المتجانسة »الخاضعة للرقابة الامريكية لم تكن ممكنة بدون حرب حزيران ١٩٦٧ وبدون الاستثمار السياسي الامريكي لهذه الحرب • وتعتقد امريكا ان سياستها القائمة على الدعم اللامشروط لاسرائيل قد حققت نجاحا كاسحا ، فاسرائيل هي المشرط الذي استعملته اليد الامريكية في جراحتها لجسم الشرق الاوسط •

-٦-

يصل شومسكي بعد ذلك الى الحل الذي يعتقد انه الوحيد والموضوعي لانهاء الصراع الفلسطيني - الاسرائيلي · وهو لذلك يتكلم عن الحل المجرد - الحل المبدئي - وعن السبل الممكنة للوصول اليه ·

يستلهم شومسكي في حله صهيونيته الضائعة او افكاره الانسانية - الليبرالية :

- ربما يكون الحل في فيدرالية ذات منطقتين الاولى يهودية والثانية عربية، ولكل من هاتين المنطقتين ادارة قومية تتمتع بقدر كبير من الاستقلال الذاتي ، بحيث تعمل هاتين الادارتين بشكل مستمر على تقريب الشعبين وخلق روابط جديدة سياسية وايديولوجية بينهما للوصول في النهاية وعلى المدى الطويل الى اندماج كامل ·

اي يعود شومسكي من جديد الى صيغة الدولة الثنائية القومية لكن هذه الدولة لن تكون حصيلة نضال قصير الامد ، امكانية مباشرة ، بل حصيلة جهد طويل يقوده تحالف طبقي غائب الان ويجب العمل من اجله · لكن هذا يستلزم وجود دولة فلسطينية ( منطقة فلسطينية ) يمكن قيامها في الضفة الغربية وغزة او كما يقول شومسكي المناطق التي احتلتها اسرائيل في حرب ٥ حزيران ·

يدعو شومسكي اذن الى دولة فلسطينية من ناحية (تخفف جزئيا الاجحاف الذي لحق بالشعب الفلسطيني ) والى النضال لخلق « يسار جديد » يقود النضال للوصول الى تغيير راديكالي في بنيان المنطقة السياسي ·



هذه هي اطروحات شومسكي الاساسية · وعلى الرغم من الدقة والحذر في منطقه ، والواقعية والموضوعية ، فان مقاله السياسي يحمل الكثير من النقاط الغائمة والمتناقضة ·

- يتكلم شومسكي عن الصهيونية كحركة تحرر قومي ويجعل من اليهودية قومية وبذلك يقفز فوق معايير القومية والحقيقة التاريخية ويردد اصواتا صهيونية كلاسيكية · فالصهيونية ليست حركة تحرر قومي بل

ايدولوجيا كولونيالية مرتبطة بطبقة تواءمت مصالحـها مع مصالح الامبريالية او شكلت احد رافعات هذه الامبريالية نفسها • فالتحرر القومي يعني دفاع شعب ذي عمق تاريخي عن ارضه التي احتلها اخر ، فأين هي ارض الصهيونية ، الا اذا اراد شومسكي ان ينسى الارض الصلبة ويحل محلها أرض الاساطير الدينية ، واين هو العمق التاريخي المشخص لـغة وثقافة «الشعب اليهودي » ، واين هو نمط الانتاج الموحد الذي يجمع اليهود ويجعل منهم بنيانا اجتماعيا ذا مفاصل اجتماعية وايديولوجية وسياسية موحدة ؟• ان شومسكي يضيع مقاله العلمي ويسقط في اللاهوت• فاذا اخذنا الشق الاخر من المشكلة : تحرر قومي ممن وكيف ؟ يقول الصهيونيون في رواياتهم وافلامهم انهم ناضلوا ضد الكولونيالية البريطانية • لكن التاريخ يقول شيئا اخر • فنسبة السكان اليهود في اول القرن لم تكن تتجاوز ٥٪ ثم جاء وعد بلفور ودفعها الى الامام ، ثم سهل لها القمع النازي والكولونيالية البريطانية الوصول الىفلسطين لتصبحنسبة اليهود من السكانفي نهاية الحرب العالمية الثانية ٣٥٪ • فهل جاء اليهودي البولوني من وارسو ليمارس تحرره القومي في فلسطين ؟ وهل جاء ليدافع عن ارضه ؟ • مما لا شك فيه انه من الصعب والمستحيل اعتبار هذا التراكم البشري اللامتجانس شعبا ذا شخصية قومية ويدافع عن ارض اغتصبها من غيره • ان المهاجرين اليهود الى فلسطين ليسوا الا نسخة اخرى مضللة او صاحية من المستوطنين الكولونياليين الذين قذفتهم الرأسمالية والامبريالية الى « العالم الثالث » • ان شومسكي هنا يقفز عن التاريخ او ينساه او يقرأه بشكل صهيوني ، قراءة متناقضة بين الصهيوني واليساري تكون الغلبة فيها للصهيوني • فاذا رجعنا الى التاريخ من جديد لوجدنا صفحا اخر لمنطق شومسكي • فالكولونيالية البريطانية كانت العتبة – الحليف للكولونيالية الصهيونية ، مستعمر يتكامل مع اخر • اضف الى ذلك ان الصهيونية لم تحارب « المستعمرين البريطانيين » بل حاربت وكأي كولونيالية اخرى سكان البلادالاصليين ، وقامت « كتائب الليل » التي شكلها الصهاينة بـ« بدور فعال » في النضال ضد الفلسطينيين خلال ثورة ١٩٣٦ •

ويمكن ان نقول ان الكولونيالية البريطانية والكولونيالية بشكل عام شكلت الرحم الذي قذف بالكولونيالية الصهيونية الى الوجود ثم حماه ورعاه حتى اصبح قادرا على « رعاية نفسه »• ان الشخصية القومية تكونت لدى شعوب العالم المناهضة للكولونيالية خلال نضالها من اجل التحرر والاستقلال، لكنها كانت شعوبا قائمة ، موجودة ، وليست جمعا من «المهاجرين » •

يمكن هنا ان نضيف احتمالا اخر ، هو ان شومسكي يعتقد ان«اليهودية» قومية وهذا ايضا يعيد حجة صهيونية كلاسيكية ، فاليهودية دين لا اكثر اي حزمة معتقدات مثالية تحدد جزئيا مفهوم الانسان للعالم تحديدا يتفاوت من بلد لاخر تبعا لتطور نمط الانتاج والبنى الاجتماعية ٠ لكن شومسكي يؤمن بالعلم لا بالدين !٠ هنا نلمس مازقا اخر لمقولة اليساري ـ الصهيوني ٠ اي ان وحدة اليساري ـ الصهيوني متناقضة في جوهرها وتتضمن تحطيم احد عنصريها وانحناءه للاخر ، ومحصلة القوى هنا ( نمو الصهيونية وانتصار اسرائيل ) تجعل العنصر اليساري يتراجع باستمرار ، والميثولوجيا تخضع الواقع لمنطقها وتكسر منطق الواقع ٠

منطق شومسكي عن القوميتين الصحيحتين ـ القومية اليهودية والقومية الفلسطينية ـ يطرح علينا سؤالا جديدا ؟

كيف يمكن ان تتواجد قوميتان صادقتان على ارض بعينها ؟ وكيف يمكن ان يطالب فريقان بوطن واحد وارض واحدة ويكون كل منهما صادقا ؟٠ مأزق اخر لشومسكي لا يحله بالعوده الى التاريخ والارقام والمنطق ( وهو عالم لغة ! ) بل بمنطق العواطف والاخلاق والنزعة الانسانية المؤرقة ، الا اذا افترضنا ان منطق التاريخ والحركة التاريخية اخطأ ، مرة في اسرائيل ومرة في روديسيا !!

مما لا شك فيه ان شومسكي ينطلق من الان ، من الواقع الراهن ، من حرب حزيران وواقع الشعب الفلسطيني ، ويقوده حسه الاخلاقي الى البحث عن الحل فيصل الى واقعية يمكن مناقشتها لو اقتصرت على الواقع الراهن وموازين القوى فيه ، لكن شومسكي يأخذ واقعيته الراهنة ويكسر عنقها ، اي يطبق معايير الحاضر على الماضي ، لذلك فهو واقعي عندما يتحدث عن الحاضر ، ايديولوجي ميتولوجي عندما يتحدث عن الماضي الذي يود ان يعالجه بـ « واقعية » ايضا ٠

يطرح علينا هنا شومسكي سؤالا اخر ٠ هل هناك قومية اسرائيلية ؟ ٠ ليس مجال هذا المقال الرد على هذا السؤال ، لكن يمكن ان نلخص وجهة نظرنا بالشكل الاتي :

ـ من الصعب جدا التحدث عن قومية اسرائيلية منجزة كما يدعي الصهاينة الذين عندما تعوزهم المعايير الموضوعية المحددة للقومية يتحدثون عن « المجتمع الايديولوجي » ، اي ان الاسرائيليين على اختلاف لونهم

وثقافتهم ولغتهم يتملكون مفهوما واحدا للعالم : الدفاع عن اسرائيل ومحاربة العرب · وتحدد القومية هنا ـ صهيونيا ـ بواسطة مقولتي الحب والكراهية والدفاع عن الانا · وهو منطق هجين تبريري مضلل ·

ـ بعد مرور اكثر من ربع قرن على وجود المجتمع الصهيوني لا يمكن التحدث عنهم كـ « يهود » او « صهاينة » او « اسرائيليين » فقط ، فمثل هذه المحاكمة تعني فقدان المحاكمة ، وهذا لا يمثل جوابا على سؤال بل هروبا منه ، فاسرائيل الان ـ وهي مجتمع كولونيالي صهيوني توسعي عرقي ـ تمثل اكثر من تراكم بشر . او تراكم «يهود» · لا يعني هذا اطلاقا انهم يحملون ملامح قومية متميزة · لكن الامر مع ذلك يحتاج الى دراسة واجابة تتجاوز الاجابة ـ الكلمات ·

يتحدث بعض المنظرين اليساريين ـ اندريه جسلبرشت ـ عن اسرائيل كقومية في طور التكوين · وهي اجابة لا تزال البرهنة عليها غائبة او ناقصة·

وهذه الفرضية الاخيرة على الرغم من اعتمادها على مفهوم الطبقات والتمايز الطبقي والصراع الطبقي( الموجود بالضرورة في مجتمعمتميز الملامح)، تنسى ديناميكية الهجرة من اسرائيل واليها ، كما لا تلتفت الى التفاوت الثقافي بين زمر الاسرائيليين المختلفة ، اضف الى ذلك انه ينبغي التمييز في هذا المجال بين يهود ما قبل ١٩٤٨ ويهود ما بعد ١٩٤٨ ·

ان كل ذلك ـ اي جملة الاعتراضات السابقة ـ يعني وجوب دراسة المجتمع الاسرائيلي في هذا المجال دراسة جدية لتحديد نمط تواجده ، لانه ليس تجمعا دينيا او ديموغرافيا فقط ·

ـ يعتبر شومسكي الصهيونية الاولى حركة اشتراكية ـ انسانية ، وهذا تهويم صهيوني او انكار للحقيقية ، فاذا كان يقصد بصهيونية موسى هس فهي صهيونية لا يمكن ان تقف على قدميها لانها مزيج هجين من فلسفة التنوير والاشتراكية والرومانسية ، اما اذا قصد بذلك الصهيونية الكلاسيكية ( هرتزل ـ نارداو ـ بنسكر ) فهذا اعطاء صك غفران للصهيونية وتجميل لها · اذ ان الصهيونية بشكلها الكلاسيكي ليست الا انعكاسا للايديولوجيا الكولونيالية·

ـ يعتبر شومسكي ان اسرائيل اصبحت عدوانية لانها انحرفت عن صراط الصهيونية المستقيم ، علما بان الصهيونية بشكلها الايديولوجي وادارتها السياسية لا يمكن الا ان تقود الى مجتمع عسكري ، عنصري ، مرتبط

بالامبريالية ٠

ـ يتكلم شومسكي عن المصالح التقليدية للامبريالية في الشرق الاوسط ، بل يبدأ بوعد بلفور ، اي‌انه يضع على الطاولة علاقة المشروع الصهيوني بالسياسة الامبريالية ، لكنه لا يلبث ان يفصل بينهما معتبرا ان اسرائيل تجسيد لحركة تحرر قومي ، فصل يتضمن بالضرورة جهلا لتاريخ فلسطين وتراثها وثقافتها وتاريخها ومنجزاتها الحضارية ، حيث ان المعرفة الموضوعية لتكوين الشخصية التاريخية للشعب الفلسطيني تؤدي الى نفي ورفض المنطق الصهيوني ـ الكولونيالي ـ الميثولوجي ٠

ـ يكثر شومسكي من الحديث عن التعاون السوفيتي ـ الامريكي الموجه ضد الفلسطينيين ، وبذلك يتناقض مع نفسه عندما يقول ان امريكا تريد ادارة مستقرة للمنطقة بعد تصفية كل اثار التواجد السوفيتي ٠ وهذا ينتج بالطبع من تبنيه لمقولة القوى الكبرى التي تستهدف اساسا النيل من الاتحاد السوفيتي ٠

ان هذا النقد لا يقلل على الاطلاق من قدر شومسكي وقيمته كمثقف ليبرالي يكرس جزءا كبيرا من امكانياته للتنديد بالامبريالية الامريكية والسياسية الاسرائيلية ٠ فهو في تحليله ينطلق من الامر الواقع . من الان ، من الامكانية الموضوعية ، لا من المثل واليوتوبيا ٠ فالعدالة كما يقول مفهوم مجرد لا يمكن تحقيقه دائما ٠ والعدل والسلام والحق مفاهيم مجردة تكتسب مضمونها خلال موازين قوى محددة ، فاحقاق الحق احيانا هو نكران له ، وتحقيق السلام تهيئة موضوعية للحرب ٠

يطرح شومسكي القضية الفلسطينية والصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي بكل الوضوح الممكن ، بل يمكن القول انه يطرحه ببصيرة مثيرة للدهشة ، فكتابه هذا هو جملة مقالات تعود الى ما قبل١٩٧٣ ، مع ذلك فهو يقرر جملة مواقف جديرة بالاهتمام والاحترام ٠ فاذا وضعنا جانبا تقييمه للصهيونية واسرائيل ونظرنا الى مقاله عن الفلسطينيين لوجدنا ما يلي :

ـ المقاومة الفلسطينية حركة تحرر قومي جديرة بالحياة وبوطن ٠

ـ المقاومة الفلسطينية قوة دينامية في تثوير المنطقة ٠

ـ السلام الموضوعي هو سلام المقاومة الفلسطينية ٠

ـ لا القومية ولا الدين يشفعان للمقاومة وجودهـا ، فهـي عنصـر ثـوري ـ هجين ـ فـي دائرة رجعـية ، لذلك يطاردها كل الرجعـيين مـن امريكان وعرب واسرائيليـين ٠

ـ ان طموح امريكا هو منطقة متجانسة بين العـرب واسرائيل ٠

ـ ان حل المشكلة الفلسطينية السليم يتطلب تعـاونا بين كل القوى الديمقراطية فـي المنطقة ٠

ان افضل ما قدمـه شومسكي في تقديري ، هـو قدرته على قراءة تطـور الاحداث ، قدرته على قراءة المستقبل في الحاضر انطلاقا من فهـم عميـق للشروط الموضوعـية في الحاضر ، ويظهـر تطـور الاحـداث الراهن مصداقية جزء كبير من تحليل شومسكي ، حيث تحـاول اليد الامريكية والاسرائيليـة والرجعـية خنق الانسان الفلسطيني وخنق حقوقه ٠

# لا مرثية الولد الفلسطيني

أحمد دحبور

**الى كامل دحبور : شقيقا ·· وشهيدا**

ينتهي الان شهر العسل
يسترد الهدية اصحابها ،
والفنادق ابوابها تتغالق ،
تعرى يد ،
ثم ينهمر الدائنون –
على طرف القلب ، من جهة العشب ، صبارة ،
والمعزون في جهة الدمع ،
هل هي كفارة ؟
ام يطيب البكاء على الوضع ؟
تعرى يد وتصفق ،
لكن واحدة لا تصفق ،
يا من يعير يدا لليد ؟
يهجم الشمع احمر ،
والدمع يفرزه الشمع اصفر ،
ان التدابير محكمة ،
والفواتير جاهزة للمعزين –
لكنهم اغفلوا نقطة :
انني لم امت·
نقطة:
لم امت

فالجنازة باطلة ،
والوراثة باطلة ،
ثم باطلة كل هذي المراثي التي ترتجل
لم امت –
غير اني ضبطت الجنازة منذ الزفاف الى موعدي :
ينتهي الان شهر العسل
وانا ابتدي
لو قلت : ان يد الفلسطيني مشركة لكفرني الجليل ،
يمر سهل الغيم فوق السهل ،
والفقراء يكتشفون خيالا وحصادين في السهل الملبد ،
يطلبون يدا فتأتي الريح ،
كيف تبعثر الخيال في الافق المؤبد ؟
كيف غابت في سواد السهل كوكبة الحصاد ؟
ويحلمون : لعل غيما شكلته الريح جيشا من ملائك –
او فدائيين –
يهطل او يخوض لنا المعارك ،
يحلمون : لعل غيما في الغد
ورسمت بالقلم الرصاص خريطة فوجدت عاصمتي عليها ،
كنت اكبر تحت سهل الغيم ،
اخرج من سراب اليوم ،
وانعطف الهبوب الى الحكومة فاحتكمت الى يديها ،
– غلطة ، ويدان ضارعتان للسقف المقوض انت ،
لبلاب ، وعباد لغير الشمس انت ،
وانت –

بايعني الجياع الخارجون على الحكومة فاحتكمت الى يديها ،
هكذا ضمرت يدي
ورفعت رأسي ،
كان قرص الشمس اوسع من مدى عيني ،
دخت ،
رايت خيالي وحصادي في المطر المياوم ،
لم تكن ارضي لدي فكيف ارويها ؟
ولي مطر تسطره الدعاوة ،
حين تطرده البداوة من فيافيها الى بحر الهزائم ،
ـ هل ركبت سفينة من قبل ؟
ـ كنت اراقب الملاح مشغولا بصيد القرش ،
وهي تعوم باسم الله مجريها ومرسيها ـ
على طرق موزعة على غرق ـ
يصدر اطيب الشهداء بالكفيار ،
فليضمن فحولته سليل الجود والابار :
نفط في الزحام ،
وفي الطعام ،
وفي سرير الليل نفط ،
في المزاج ،
وفي الروائح والمدائح والاهاجي ،
في المعارك والهبات ،
ويرسل المطر الفلسطيني قطرته فتمنع في الجمارك ،
ـ رتبوا الدعوات للمطر الفلسطيني والكلمات :
فليسعده جود النفط ،

وليبعده عن امن العواصم ،
للولائم دورتان : العرس والموت الجميل
واخي بلا عرس
واخي دم لا يستحيل
طبقا من اليأس
ليكن وليمتهم اذن ، لا بأس ،
ان ارومة السم السقطري استوت ـ
في عشب تل الزعتر المرقوق لحم اخي عليه ،
سيقصفون ويأكلون ،
.. وكان يهري حيث يسري ،
قيل : في عينيه فاضحة السواد ،
واشرقت عيناه فانكشفت حقول النفط ،
بين مشيئة العلم المخطط والجراد ،
وهكذا اطلقت نارك باسم كانون المخيم ،
قيل : يوم تشققت شفتاك من عطش تركت الماء للاطفال ،
قيل : تورمت قدماك من برد الليالي ،
قيل : حين جرحت لم تسقط ،
وحين ..
وكنت اسمع ما يقال وانتخي
لكنني ، بيني وبينك ، لم اوفر دمعتين ،
كويت قلبي يا اخي
للحزن حصته من البيت الفلسطيني ،
فليذهب ، الى البوق ، المزايد ،
غير ان الحزن وردة من يكابد عتمة ويعاند العتمات ،

في التل افتقدت يدي ،
وفي التل اكتشفت يدي ،
[illegible] هي ترسل الكلمات من رأسي الى الطلقات ، بالخط الجميل :
لو قلت ان يد الفلسطيني مشركة لكفرني الجليل
هذا زمان الشد فاشتدي
ما بين قابلة وجلاد
وترقبي لحدي
ما بين معتد ومرتد
فاذا بدا ٠٠ فعليك ميلادي
وعليك تسمية الرهان ،
سيوقعونك مرتين ، وتنهضين الى بدايات الزمان ،
سيلبسونك في مناسبة الجلوس ، او الوسام ، او الختان ،
ويعصرونك في الزريبة ،
فليكن ٠
فرس الممرات العصيبة وحده يرث الطريق ،
وها انا اتسقط الاخبار ،
بين مناقع الدم اشهد الابار وهي تطوع الجبل العتيق
واشهد العلم المخطط يصنع الاعلام ،
اشهد كيف يختلفون باسم دمي ،
فاكفل صلحهم بدمي ليتفقوا علي ،
ـ خطيئة ، ويدان دون يدين انت ،
وانت لبلاب ، وعباد لغير الشمس ،
لكني احاول ،
اتقي يأسي وترفعني المعاول ،

ايها الفقراء لو نلتف حول خلية عربية ،
وعلي تسمية الرهان
هرب الزمان من المكان
لا شكل غير النفط ، والعلم المخطط ، للهوية
لا ارض تصلح للامان
لا ارض تصلح للامان
قبل الرصاصة والخليه
سأقول :نحن ودائع الزمن العصيب ،
تثور قنبلة من الاشواق في دمنا ،
وتنهمر الشظايا اسئلة :
لا ارض تصلح للامان فهل ستكفي القنبلة ؟
ونقول : هل يكفي الامان ؟
ونقول : فليمت الجبان
لن نرفع القمصان بيضا ،
نحن تلبسنا الخلية ،
عذبتنا البندقية وامتلكناها ،
ونعرف ان للفرس الفلسطيني حصته من العاهات ،
نعرف كيف نطرحها بسيخ الكي ،
فوق الموقد العربي ،
نعرف قبل هذا ان للفرس الفلسطيني همته ،
وان عليه ان يتفرس الساحات ،
لا قمصاننا بيض فنرفعها ،
ولا اعناقنا جفلت فنقطعها ،
ولكنا نقوم الى بدايات الزمان .
وقلنا دمنا يعوم على الصهيل
لو قلت . ان يد الفلسطيني مشركة لكفرني الجليل ٠

# الكنيسة
## (قصة)

الياس خوري

**المشهد الاول**

التاسعة ليلا ·مطر خفيف واصوات طلقات تقترب كلما اقتربنا · ونحن نركض حذرين ، البندقية بيد والحلم بيد اخرى · نقفز وسط شارع طويل اسمه شارع فرنسا ، لنصل في نهايته الى موقعنا الجديد : الكنيسة · صوت امر الفصيل حازم وناشف، ادخلوا بحذر· لا نطلقوا النار الا عند الحاجة القصوى وعلى عدو مرئي ·معلومات استطلاعنا انهم اخلوا الكنيسة واقاموا تحصيناتهم في شارع الحويك · ونحن نركض وسط شارع فرنسا · الكنيسة نراها امامنا، لكننا لا نرى شيئا · ظلام كثيف لا يبدده الا لمعات الدوشكا في الاعلى قرب السماء ، حيث يخرس برج المر فندق الهوليداي ان ويحول وادي ابو جميل الى منطقة لا تصلها نيران الانعزاليين من الاعلى · عليهم اذا ارادوا القتال ان يحاربوا في الشارع ، فالبناية العالية الامينة لم تعد تستطيع التحرك· نحن اسياد الطرقات يقول سمير · وانا اركض ، والمطر الخفيف ينزلق بين يدي واخمص البندقية · ارى الكنيسة ولا اراها · الاحلام وسط الشارع ، والقذائف تطير وترتطم بالابنية الصغيرة الواطئة · وعاطف يرحب بنا · والرفاق المقاتلون من مختلف المنظمات والاحزاب ينتشرون وسط الابنية وبين الحجارة ، واصوات الاشتباك ترتفع ·

امر الفصيل في المقدمة · يقودنا الى الشرق · والكنيسة في الشرق ·

بين اسلاك الكهرباء المرمية وبرك الماء وبنايات الرمل، نتقدم من الخلف· نخترق كلية الفنون ، حيث نرى نارا يشعلها الفدائيون امام فراشهم الموضوع على خشبة كانت مسرحا · نتقدم من الخلف نركض وسط شارع عريض ينفجر الرصاص في هوائه وعلى جانب ارصفته · ــ انتشروا ، ننتشر · تقفز المجموعة الاولى من النافذة · خمس دقائق من الصمت حيث تنقطع الانفاس ويتشنج الاصبع على الزناد · المجموعة الثانية تقفز · ظلام · ننتشر · ثم يتقدم

الجميع · يوزع امر الفصيل المجموعــات · نغــلق المداخــل · ننظر مـــمــن النافذة : ظلام ، طلقات ولا احد ·

توزع نوبات الحراسة ، وتؤمن الكمائن ·

بطرس يمشي ، يبحث عــن الكنيسة ·

ـ نحن في الكنيسة يا بطرس ·

ـ لكنني لا ارى شيئا ·

يأخــذ بطرس شمعــة رفيعــة ، يضيئها فــي زاوية الكنيسة · ضوء شاحب يرتجف · سالم يقف ، بشعــره القصير وقامتــه الطويلة ، وكأنه بائــع السجاد الذي رأيته في طفولتي يحمل الشوارع عــلى كتفيه · سالم يحمل قاذف الـ ب ٧ عــلى كتفه ، ويضحــك تلك الضحــكة الطرية التي ترن وسط الجدران · ما هذا! هذه ليست كنيسة ·

المسيح على الارض · تمثال المسيح ينحني ، خــده الايمن على الارض ويــده اليسرى مفتوحة الى الاعــلى تبحث عن يده اليمنى المكسورة · وصورة العذراء شبه محطمة ، والمــاء في كل مكان · المطر يدخــل من النوافذ ، والمسيح يمــد يده اليسرى قرب النافذة يلتقط المطر ، فينساب من بين اصابعــه ولا يبقــى فــي اليد سوى رطوبة تذكر بالمطــر · ما هــذا يصرخ سالــــم · هــذه كنيـــــسة محطمة ·

ـ اسكتــوا !

سمير على الغرينوف يعزف تقاسيمه ، والقذائف من كل الانواع تنهال علينا· انها المعــركة الاولى في الكنيسة · نندفع كالسهام ، جلبة واصوات ثم يهــــدأ كل شيء · تتسلل مجموعاتنا ، تضرب في العــمق · سمير عــلى الغرينــوف، وجابر يطلق كمن يعــانق المطر · اكتملت الذبيحــة · تعرفنا عــلى الكنيســة حجرا حجرا وزاوية زاوية وجسدا محطما اثر جسد محطم ، ونحــن نقفز ، نتقدم وننتصر · لقد اسكتناهم · الكنيسة موقع اسناد يقول امر الفصيل · غدا نتقدم الى مواقــع جديدة كي نسيطر عــلى مثلث باب ادريس · خسائرنا لا شيء ، سوى اصابة احمد بجرح طفيف · استريحوا الان وكونوا حذرين ·

بطرس في الزاوية ، يضيء شمعته النحيلة ، يدندن الحانا منخفضة · اتقدم واجلس الى جانبه · ضوء شاحب يرتجف عـلى ايقاع الريح ، والاشكال تتمدد عـلى مساحـة مستطيلة فارغـة الا من بعض المقاعـد المحطمـة ، والاوانـي المرمية والتماثيل المنحنية · ينهض بطرس ويبدأ في البحـث · يمسك بيـد المسيح ، ينهضه ، نتعـاون · يقف المسيح بيد واحدة ممدودة · يمشي فأسيـر الى جانبه · يلتقط ثوب كاهن بني اللون ، مرمي في زاوية معتمة · انظـروا يصرخ · ننظر · والاشياء ترتجف عـلى الحيطان والمساحات تمتد·

امام الهيكل يقف وفي يده اليمنى قاذف الـ ب٧ وقد تحول الى عصـا الكاهن · يدندن بصوت منخفض لحنا لاتينيا ، ثم تدريجيا ، يرتفع الصوت · كل العيون تلتفت الى حيث يقف كاهن بثوبه البني وعصاه ، وبلحيته التي ترتسم دوائـر لا تنتهي · ثم يرتفع الصوت · اللحن يدخـل الحيطان والكلمات كالحصى تحت اقدامنا · العيون تكبر والكاهن يستطيل عـلى الحائط ، ثم يتقدم تدريجيـا ، يترنح · وبين النغـم والنغـم بضع قذائف وطلقات حمراء وخضراء ·

ـ ما هذا يا بطرس ؟·

هذا هو العيد · الوان في الفضاء واصوات وايقاع· بدأ القداس · والجميع يشارك كل على طريقتـه · جابر يطلق النار ، وسمير يحاول ان يتكلم فتسكتـه عصا الكاهن ، وامر الفصيل ينام ·

ـ ما هـذا يا بطرس ؟

تقفز الطفولة ·كنيسة دير الحرف ،قبل ان تلبس جدرانها الالوان الرومانيـة والايقونات البيزنطية ، كانت عـارية مثل الفدائيين · وكان الاب مرقص يرتفـع بيديه المصلوبتين وصوته الخفيض الى مدخـل الهيكل ، حيث يقف فتى يرتجف بالفرح والدهشة ·

الابتهالات اللاتينية والترتيل البيزنطي والكاهن يدخـل العـيون · النافذة، تضيء بالوان الطلقات · وبطرس يتابع ·

ـ الا تسمعـون يقـول سالـم ؟

ـ ماذا ؟

ـ اسمع وقـع اقـدام فوق ·انتبهـوا ·

بطرس يتابع ، وثلاثة يقتربون منه ·خدام الهيكل ،بمعاطفهم يقفون مشدوهين، يستمتعـون باللعبة ويتعجبون ·

ـ الا تسمعـــون ؟

اصوات الاقدام ترتفع ٠يصمت بطرس ٠ ثم فجاة يخلع لباسه الكهنوتـــي ، يمسك سلاحه جيدا ٠ننتشر ٠ يقفز امر الفصيل ٠ يتقدم ٠ يصعد السلالم وخلفه ثلاثة رفاق ٠ الحذر ٠ معركة داخـل الكنيسة ؟ لا بد وانهـــا ستكـون معركة غـير عــادية ٠

الاربــعة يعودون ٠ لا شيء ٠كاهنا الكنيسة لا يزالان هنا ، ويشير الـــى فوق ٠ اعتقدا اول الامر اننا كتائبيون ،ثم عـندما عـلما هويتنا خافا كثيـــرا٠ طمانتهما ٠ وطابت اليهما عدم اشعال النار ، والبقاء فـــي الكنيسة حتــــى الصباح عــلى الاقل ٠

اصوات قذائف قريبة ، والطلقات تقترب ٠ المسيح يسقط مرة ثانيـــة علـــى الارض ٠ ينهضه بطرس ، لكنه يعــاود السقوط ٠

ـ مستحيل ، لقد انكسرت قاعــدة التمثـــال ٠

ـ لكنه سيقف ٠

ـ حتى اذا وقف فسيقسط غــدا ٠المعــــركة غــدا يا بطـــرس ٠

المشهد الثاني :

ـ ما هو الفرق بين الحـــرب والحـــرب الاهلية ؟

في المسافة الصغيرة التي تفصل بين الطلقة والطلقة ، كان سالم يجد وقتـــا لطرح الاسئلة ٠ يطرح السؤال ولا ينتظر الجواب ٠دائما كان يقول ، ليـــس الجواب مهما ٠ فالجواب ياتي مكان اي جواب اخـر ٠ المهم هو ان نطـــرح الاسئلة ٠ وبين السؤال والسؤال كانت العضلات تتلون والوجوه ترتفع عـــن الرمل والركام ، تبحث عـن الطرقات الضيقة الموصلة الىالبحر ٠

الهدف هو البحر يقول امر الفصيل ٠ عـندما نسيطر عــلى مثلث بــــاب ادريس نفتح امامنا طريق البحر ٠ ربيع البحار القديم الذي اصبح مقاتلا ، يعرف طعــم البحر وطريق البحر ٠ لذلك ينحني كالسهم ٠

ـ انا اتقن الاجوبة ٠

لكن سالم لا يزال يسأل : ما هو الفرق بين الحرب والحرب الاهلية؟

الطرقات الضيقة تتلوى وتميل ، وعلى جانبيها يرتطم الحجر بالحجر . اصوات القذائف ترتطم بالاجساد . الى اليمين حرائق ، والى اليسار بناية منخفضة تسقط كعجوز بعد ان كسرت القذائف مفاصلها . بين الرؤية والبحر بنايات وحيطان وحديد . وبين القذيفة والصرخة تتساقط الحجارة وتعود لتلامس نفسها .

الشارع الضيق ، يطول الى ما لا نهاية . بين بدايته والمواقع ، اصوات الاقدام وصيحات مجموعات المقاتلين وضحكاتهم . الشارع الضيق يضيق . الركام مكان حواجز الرمال والرمل بين الطرقات والبنايات . بين اليد التي تطلق والقدم التي تقفز ، هناك جسد ينحني ، يقف ، يزحف . وحين يصل لا يمسك بغير البحر .

ـ ماذا تريد الحرب ؟

ـ الحرب لا تريد شيئا . لكنها تقول ان الاسفلت يتدرج من الشارع الى الشارع المقابل . وان في الشارع المقابل مجموعة مسامير تصلح ان تكون مقبرة .

ـ الاسمنت المسلح يقاوم . لكن حجارة الرمل السميكة اكثر قدرة على اعطاء الشعور بالامان . الطرقات تتشابك . لكن النيران تستطيع ان تفتح ثغرات في الشبكة ، ويحتل السمك البحر .

كانت الرابعة صباحا عندما بدانا . اصوات الاشتباك ترتفع وتقترب بعد هدوء دام حوالي ساعتين . نبيل يمسك بادواته جيدا . وتبدأ الحيطان تخترق . العبوة الناسفة على الحائط ، ثم تاتي الايدي والمطارق لتوسع الثغرة. ننتقل من ثغرة الى ثغرة ، وحولنا الغبار والركام والاصوات . الجسد يميل بين الثغرات ونتقدم . اصوات الاشتباك ترتفع وتغطي اصواتنا واصوات اختراقنا للحيطان . المسافات الجديدة هي الحائط . معاطفنا الزرقاء بدأت تميل الى البياض ، وايدينا تمتلىء بالغبار الرطب الذي ينبعث من الحائط . وبين الحائط والحائط نختصر شارعا ونتقدم .

هذه هي بيروت الحقيقية يقول طلال ، والغبار يلفه من شعره حتى قدميه . يضحك برنة كبرياء . لقد تعلمنا الحرب واخترعنا قوانين جديدة .
لم نخترع شيئا يقول ربيع . نخترع عندما نصل الى البحر .

اما نبيل ، فكان بجسده المنحني على العبوات الناسفة يفتح ثغرة جديدة.

الجميع يغلقون اذانهم ، وامر الفصيل يتنقل بين دهاليز الحرب والكنيسة ، ليطمئن الى عمل مجموعات الاسناد · بين الغبار كانت الاصوات ترتفع ، والاجساد تتسلق ·

ـ متى نصل ؟

يبتسم طلال وهو يخبرني عن قصة مونتي كريستو · لقد كتبوا عنه رواية لانه فتح ثغرة واحدة في حائط السجن · ونحن كم من الروايات سيكتب عنا، لاننا فتحنا عشرين ثغرة في عشرين حائط ·

ليسقط الادب يصرخ نبيل · انتبهوا · هذه هي الثغرة الاخيرة · وبعدها نصل ونفاجئهم · تقاسيم الوجوه نتلون بالسمرة الخمرية رغم الغبار · المجموعات تتهيأ · الجميع ينظرون الى اسلحتهم ، يودعونها الاسرار الاخيرة، ويعلنون الثقة بها من جديد ·

بين الغبار الاخير وغبار القذائف ، كانت اللحظات قصيرة والطلقات ترنر الفضاء · نركض ، نصل الى اول موقع ، نتقدم · موج الغبار والاصوات يلفنا ونحن نمسك البناية ونتركها ، نمسك رصيف الشارع ونكسره · كانت مجموعة من اللحظات ، اختلط فيها الله اكبر بخشخشة الثياب على الاجساد · وبعد فترة توقف كل شيء · نحن في مثلث باب ادريس · استشهد خالد واصيب ثلاثة رفاق · لم يكن الحزن ، لكنه كان شيئا اخر ·

عندما اجتمعنا في اليوم التالي من اجل تقييم المعركة · كان جابر يقول: معركة ممتازة · لا اذكر كثيرا ، لكنني اطلقت حتى جفت البندقية · كنا كالبرق · اما طلال فلا يزال مشدوها · مثل الفيلم ، مثل السينما · في المرة المقبلة سوف اصور فيلما ·

كنا ننتشر على البنايات والارصفة ·الاقدام مبللة بالماء والجسد ينزلق· والمطر الخفيف ياتي ويذهب · اتينا باكياس الرمل من الكمين المقابل الذي غادره الكتائبيون · بنينا متاريسنا وجلسنا ناكل · كنا جائعين ، لكننا ناكل بغير شهية ·

بعد الظهر حصلت المفاجاة ·المواقع هادئة ولا نسمع سوى طلقات بعيدة· البنادق ترتاح ونحن الى جانبها نرتاح بحذر ·ننظر الى البعيد ، الى حيث مواقع الاعداء ، نخبر ذكريات بعضها صحيح وبعضها غير صحيح عن

المعـركة ، حين رأينا اعـدادا هائلة من الناس تتقدم · اطفال ، نساء ، ثيـاب ملونة وسراويل ، قمصان بيضاء · اطفال ، برؤوس حليقة ورؤوس غـيـــر حليقة · حول الكمائـن كانوا ، يبحـثون بين الركام والمحلات عن الاشياء · بشر من جميع الاجناس : اكراد ، عـرب ··· كانوا هنا بنسائهم واطفالهم·

مستحيل اصرخ · نحن ضد السرقات · نحـن هنا لحماية الشعب وليـس للسرقة ·

المستحيل هو ان نمنعهم يجيبني طلال · ويصرخ بهم بأن يذهبوا ، ثم يطلق رصاصات قليلة في الفضاء ·

لكنهم لا يذهبون · ما هذا ؟ الوان واشكال منحنية ·هذه ليست سرقة · هذا فولكلور · هذا عـيد · هده هي الثورة · كل الثورات هكذا · جميلةومرعبة و··

في غمرة دهشتنا وصراخ الجميع في محاولة منعـهم ، كانوا يتكاثـرون · يهربون من صيحاتنا وطلقاتنا ويعـودون · ثم بدا اللـون الكاكي يختلـــط بالالوان الاخـرى · ـ ما هذا يا رفاق ؟ مجموعـات اتت · عـرفت ان النقطة سقطت · فأتت لتقاتل وتصادر وتعيش ·

ـ ماذا يريدون ؟

ـ هذا هو البحر · ما هو الفرق بين الناس والبحر ؟ ما هو الفرق بين البحر والاسماك ؟·

لم يكن البحر هـو المفاجاة الوحيدة ·فالحرب حين تتسع تصبح مليئـــة بالمفاجات ·وبعـد سقوط المسلخ والكرنتينا في ايدي الفاشيين ، تحـولـــت الحرب الى مفاجاة · اعـداد هائلة من المقاتلين والميليشيا ، بأسلحتهم واحذيتهـم وثيابهم يملأون شوارع وادي ابو جميل ، في محاولات لا تنتهي مـــن اجـــل الوصول الى البحر · ولم يكن التنسيق ممكنا على المستوى العملي · قـــوات مشتركة وغير مشتركة ، من مختلف المناطق ، تأتي وتقاتل · امـر الفصيـــل ينتقل من موقـع الى اخـر في محاولة للتنسيق · لكن هذا ليس سهلا ·ونحن نقاتل من موقـع الى اخـر ، من حـائط الى حائط والغبار يملا الفضاء ·

يأتي بطرس من الكنيسة مسرعـا · يلهث وهو يخبرنا · المقاعـد الخشبية صودر بعضها · جاء كثيرون وملاوا حيطان الكنيسة بالشعارات · والراهبـان

منزعجان جـدا · ( بالمناسبة نسيت ان اذكر ، ان الراهبين بقيا في الكنيسـة واقاما صداقة متينة مع طلال ) ·

ـ ماذا نفعل ؟
ـ لا شيء · نحافظ عـلى الكنيسة ، وعـلى الراهبين ·

وكانت الطلقات والانفجارات في كل مكان · المقاتلون يطلقون النار ،يأخذون بعض الامتعـة · يتنافسون مع الاطفال على الاشياء الصـغيرة · وكانـت بيننا مجموعـة جديدة ، تقاتل بضراوة وسط الشارع · تبحث عـن الحـرب بين الصيحـات والبرد ·

وحين رأيتهم يتراكضون وسط الشارع وهم يصرخـون لم افهم · تبعتهم · كان الغضب ينشر بين اصابعهم واسنانهم · لم افهم · وصلوا الـى مخزن لبيع الالات الموسيقية ، خلعـوا الابواب · امسكوا الابواق والطبول والصنوج، وبدأت مسيرتهم الموسيقية ، وسط شارع فرنسا بين الايقاع والصراخ واطـلاق النار · شهيد جديد · وكانت الطرقات تفسح لهم مكانا ، والحرب تفتح لدموعهم ابوابهـا ·

وصلت الى الكنيسة · تابعتهم من النافذة ·كان بطرس يجلس في زاويـة منعـزلة وهـو يدندن لحنه اللاتيني · جلست الى جانبه ، وسمعـت في الاعلى اصوات اقدام الراهبين تتقدم صوب النافذة وتنظر ·
بدأ صوتي يرتفع · وبطرس الى جانبي ، يصحح لي ايقاع اللحن الجنائزي·

المشهـد الثالث

الراهبان الكبوشيان لا يزالان هنا · الاب مرسيل عـمره حوالي ثمانين عاما وزميله الذي لـم استطع ان احفظ اسمه او ان اقدر عمره ، لان الكهولـة تتسرب من بين اصابعـه كالماء · بقيا في غرفتهما فوق الكنيسة ، لا يحتكان بالرفاق· وكنت اعرف ان علاقتهما بنا مليئة بالشك والرهبة · نحن نشك في دوافعهمـا للبقاء ، وهما يخـافان منـا ومن نوايانا · لذلك فوجئت عـندما طلب منـي امر الفصيل ان اذهب واشتري لهما بعـض المـواد الغذائية : حليب ، جبنة، معلبات ، لحم ، قهـوة ··· ذهبت ، اشتريت الاغراض ، وفي طريق عودتـي جلبت عـن طريق احد الاصدقاء قنينة من النبيذ الفرنسي · قلتنحتفل بها مـع الكاهنين · فرحـا بالهدية ، لكنهما اعترضا عـلى الجبنة ·

ـ نريد اجبانا فرنسية ٠

ـ هذا مستحيل يا ابونا ٠ جميع المحلات مغلقة او منهوبة ٠

لكنني ذهبت ، واشتريت لهما جبنا فرنسيا رديئا ، كانت امـي تجبرني عـلى اكله ، ولم استطع ان افهم ان له طعما ، وهو متوفر في الاسواق ٠

صعدنا الى غرفتهما بالجبنة انا وبطرس وطلال ٠ كانا ياكلان ٠

ـ لماذا لا تتذوقان النبيذ ؟

ـ انا بانتظارك اجابني الاب مرسيل ٠ سوف نحتفل بهذا النبيذ سويا ٠

نزلنا الدرج ٠ كان الاب مرسيل مشدوها ، يرتجف بالحزن والاسف ٠

ـ ما هذا ؟ ما هذا ؟ هذه حرب متوحشة ٠

ـ كل الحروب هكذا يا ابونـا ٠ بسيطة ٠

ـ لا لا ٠ليست كل الحروب هكذا ٠ انا شاركت في الحرب ٠كنت ضابطا فـي الجيش الفرنسي خـلال الحرب العـالمية الاولى ٠ ولمتكنالحرب هكذا ٠ كنـا نحترم اماكن العبادة ولا نؤذي المدنيين ٠

ـ لكنها حـرب اهلية ٠ المدنيون هم الذين يحاربون ٠

مشينا سويا ٠ كان الاب مرسيل ينحني بصمت ورهبة على التماثيل المرميـة في الارض ٠ يمسك الركام بين يديه ويتمتم بكلمات لم استطع ان اميز مضمونها ، هل هي صلوات او شتائم او مزيج منهما ٠ انظروا يقول الاب مرسيـل ٠ الكنيسة سفينة ٠ انظروا الى الهندسة : هندسة الكنيسة تشبه السفينة ٠ الكنيسة هـي سفينة تطفو فوق العـالم ٠ هي في العـالم وليست منه ٠ انا لست حزينـا ٠ هذه حرب همجية ، وعـلى سفينتنا هبت الرياح فتحطمت ٠لكننا سنعـيد البناء٠

ـ انا اخاف ان تغـرق السفينة يا ابونـا ٠ قـال بطرس بخبـث ٠
ـ لا ٠ لا ٠ السفينة لا تغرق في العالم ٠ هي فيه وليست منه ٠ تتحطم ، هذا ممكن ٠ لكنها لا تغرق ٠

التفت الى الاب مرسيل ، فرأيت وجهه يتمدد على مساحة شعـره الابيض ٠ وبين يديه كانت السفينة المحطمة والاحزان ٠ هذا رجل مليء بالذكريات ٠ اخر

لحظاته الراهنة تحولت الى ذكريات · مسكين الاب مرسيل ·

ـ لكن يا ابونا ، هذا المفهوم الديني حول الكنيسة ، هل هو مشترك بينكم وبين المسيحيين الشرقيين ؟

ـ طبعا يا ابني · هذا مفهوم قديم · تكرس قبل الخلافات وقبل الحروب الدينية ·

الكنيسة سفينة والعالم بحر هائج · هذا مفهوم لا يختلف عليه اثنان ·
ـ اذا ما هو الفرق ؟ يسأل طلال ·

ـ هذه قضية معقدة جدا · لكن مبدئيا ، استطيع ان اقول ان الفرق يتعلق بالنظرة الاساسية الى علاقة الدين بالحياة · نحن عمليون وعقلانيون · الدين ينظم علاقة الحياة بالله ، وهو دين عقلاني ، مراتبي ، ينظم الاشياء · اما الشرقيون فهم صوفيون · لم يفهموا في الماضي علاقة الدين بالدولة · وتحولوا اليوم الى غطاء للشيوعية والالحاد ·

تابع الاب مرسيل جولته · كان مقوسا بالحزن · وجهه يختلط بفضاء الكنيسة الخالي من كل شيء ، ما عدا الحطام وبقايا الهيكل · يمشي والاصوات ترتفع من ارتطام حذائه بالارض ، والقش وبقايا القذائف تتطاير من حول ثوبه البني · وكانت الشمس النحيلة تتلون بزجاج الكنيسة ، تعكس الوانها على الثوب البني فيتموج ·

لنصعد الان قال الاب مرسيل · ولنشرب نخب صداقتي للفدائيين ·
فتح الاب مرسيل قنينة النبيذ كجندي محترف · صب الكؤوس وشرب نخب صداقتنا الجديدة · كان فرحا بالنبيذ كالطفل ، لكنه يشرب كالجندي ·

ـ لماذا فعلتم هكذا بالكنيسة · هذه ليست كنيسة عادية · هذه كاتدرائية· هل تعلم ما هي الكاتدرائية ؟

هززت كتفي الى الاعلى ·

ـ الكاتدرائية هي الكنيسة المركزية · الكنيسة الكبيرة · كنيسة الجميع · ومع ذلك اتيتم ودمرتموها ·

ـ انت ترى يا ابونا · نحن لسنا وحدنا هنا ·هناك الكثير من المقاتلين ·عدا

اننا حين دخلنا الكنيسة كانت شبه مدمرة • وانت تعرف اننا كنا مجبرين على احتلالها : فهي موقع استراتيجي ، كما انها كانت تستعمل من قبل العدو للرماية علينا •

جلسنا حول مائدة صغيرة ، عليها الجبنة والنبيذ وشربنا • كان الكاهن الاخر يجلس الى جانبنا ، يشرب ويأكل ، ولا يلتفت • اعتقد انه كان ينظر الينا من خلال ثنايا عينيه شبه المغمضتين نظرة كراهية وحقد •

بدأ الاب مرسيل يخبرنا : اتيت الى لبنان ، قال ، بعد الحرب العالمية الاولى • كنت ملازما في الجيش الفرنسي • ثم تعرفت على هذا البلد واحببته • احببت فيه امران . التجارة والانفتاح على الغرب • هذا بلد مذهل وشعبه مذهل • اردت ان ابقى فبقيت • اما كيف تحولت الى راهب فتلك قصة طريفة • كنت ككل الجنود الفرنسيين ارى اننا نحمل رسالة حضارية الى شعوب الشرق المستعبدة • اتينا وكلنا احلام • نحن قادمون الى البلاد الساحرة • الى بلد لامارتين ، منْ اجل انقاذها من العبودية • ثم بعد المعارك التي فرض على الجيش الفرنسي خوضها في هذه البلاد ، اكتشفت ان الطريق الوحيد الى قلوب اهلها ليس السيف بل الثقافة • اذا درسوا في مدارسنا سوف يتعلمون لغتنا ، وبعد ذلك يوثقون علاقاتهم الاقتصادية بنا ، ويتعلمون الحضارة • اردت في باديء الامر ان اعمل مدرسا في احدى المدارس الكاثوليكية • ثم قادني التدريس الى الله • فانا اتيت الى الدين عن طريق الحضارة ، وليس كما يجري عادة ، تنتقل الحضارة الى بلادكم عن طريق الدين •

طلال ينفث دخان سيجارته في الهواء ، وينظر الى الكاهن بعينيه الواسعتين نظرة شك •لكن يا ابونا انتم لم تدخلوا الحضارة الى بلادنا • انتم مجرد مستعمرين ، تأتون بالوصايا العشر • تعطونا الوصايا وتأخذون الارض •

ـ هذا ليس صحيحا • هكذا يتكلم الشيوعيون عادة • لا يا ابني نحن لم نأخذ شيئا • خسرنا افضل شبابنا من اجل رسالتنا الحضارية • ثم خرجنا عن طيب خاطر •

ـ لا اعتقد انكم خرجتم عن طيب خاطر •خرجتم مرغمين •

ابونا مرسيل يتبرم بالنقاش الايديولوجي •هو لا يحب الايديولوجيا • الايديولوجيا هي وسيلة هذا العصر المادي لاستجلاب الشباب • تقود حتما الى

عبادة الانسان للمادة • فيصبح متعصبا وغير مستعد للحوار •

ـ طيب ، كنت يا ابونا ملازما في الجيش الفرنسي عندما دخل بلادنا • فلا بد انك شاركت في معركة ميسلون •

ـ ميسلون ، لا لم اشارك فيها • انما شاركت في معارك كثيرة غيرها • شاركت في معارك جبل الدروز وغوطة دمشق • واذكر اننا كنا مثال الفروسية والانضباط ، ولم نؤذ احدا •

ـ لكن يا ابونا ، اخبار المذابح والاجتياح في معارك الغوطة والجبل لا تخفى على احد • انا قرأت كتاب الجنرال اندريا عن هذه المعارك • وهو يكتب بلذة عن الاحتلال وتهجير الدروز ، وقتل العصابات في الغوطة •

ـ الجنرال اندريا ؟ صديقي • مسكين الجنرال اندريا ، كان حازما ورومنطيقيا وكل طموحه ان يصبح مارشال الجيش الفرنسي ، لكنه مات بالسكتة القلبية • مسكين اندريا • اسمع جيدا •( اصبح صوت الكاهن حازما ) الحرب هي الحرب• لا تستطيع ان تحارب الاعداء • ولا تستطيع ردع المخربين والجواسيس واعداء الحضارة دون ان تعدم بعضهم • مصير الحضارة باسرها • مصير تاريخ فرنسا كان معلقا على نتائج معارك الجبل والغوطة • لم يكن التساهل ممكنا • كان لا بد من الحزم والسرعة •

ـ ما هو الفرق بين الكاهن والبوليس يا ابونا اندريا ؟

كان يلبس ثوب ضابط فرنسي ، البندقية في يده اليمنى وكاس النبيذ في اليد الثانية • يروي نكاتا بذيئة عن القتلى العرب الذين تركوا بثيابهم السوداء في عراء الارض ، ولا من يدفنهم • نحن اقوياء يقول الضابط • وحوله جنود سنغاليون وشركس ، يتكلمون الفرنسية بلكنة غريبة ويتحدثون عن البطولة والحضارة والنساء •

ـ ما هو الفرق بين الكاهن والبوليس يا ابونا ؟

الكنيسة سفينة ، لكن الدفة تحطمت •الكنيسة لا تغرق • وفي الاعلى يعيش كاهنان كهلان • الذكريات والاحزان •

ـ لماذا يهزم الذين يحبون الحضارة الغربية ؟

اما نحن فكنا نبحث عــن البحر ٠

٠ لقد اصبحت الكنيسة موقع اسناد ٠طلقات الغرينوف تلعلع في الفضـــــاء، ورشاش جابر يسكت ثم يتكلم ٠ والانقاض حولنا ٠ ومعـنا الاب مرسيــــل وزميله وذكريات عــن فرنسا ٠

ـ كيف تقيم القداس يا ابونا !٠

ـ القداس الصامت اجابني ٠نحن نبحث عــن الصمت ، وسط هذا الـــــدوي الهائل ٠ نريد ان يعــود الصمت سيدا ٠ فالصمت وحده هو باب التأمل ٠

سمير لا يتوقف عن الكلام ورواية النكات ، وبطرس يدندن لحنه ، وطلال يفكـر بفيلمه الجديد ٠ والبنادق لا تسكت ٠

المشهـد الرابــع :

بين الكنيسة المحطمة وساحــة باب ادريس حيث المواقع الامامية ، كانـــت اللحظات تتداخــل ٠تحولت الكنيسة الى موقــع ثانوي ، لكننا بقينا فيهــــا، واصبحت مكان نومنا المفضل ٠ساحة كبيرة ، جدران سميكة ٠برد وذكريات ٠ وفي النهارات الطويلة ، نجلس بين جدرانها ، او حول النوافذ ، نطرح الاسئلة ونجيب على الاسئلة ٠

لكن لماذا لم تقتلوني ؟ يقول الاب مرسيل ٠
ـ لا يا ابونا ٠ لماذا نقتلك ٠ نحن نتفق معك او نختلف ٠ لكننا لا نقتلك ٠
ـ لكن الحرب مليئة بالقتل ٠

ـ لا يا ابونا ٠الحرب شيء ، وقتلك شيء اخــر ٠

الموت هنا ، هو مسافة ٠ مجرد لحظة حب او لحظة حقد ٠ الموت لحظة ندخل اليها ، ننتظرها ٠ كان طلال يحدثني دائما عــن الموت ٠ ما هو المـــــوت ؟ لا لا تشعــر بشيء ٠ هكذا فجاة لا تشعــر بشيء ٠ تفتح الباب ثم تدخـل ثــــم لا شيء ٠ انظر الى العــيون فأراها تتسع ٠ ما عــلاقة الموت بالعــيــــــون الفسيحة ؟٠

كانت المعــارك مدرسة ٠ لكن المــوت شيء اخر ٠ حملته على كتفـــي ، كان

يرتجف كالعصفور · الموت عصفور يقول بطرس · لكننا نحارب من اجل ان ننتصر لا من اجل ان نموت يهتف جابر · نموت من اجل الملصق اجبتهم · الصورة الملونة وتحتها كتابة ملونة وخلفها عيون الصبايا الدامعة ·
ـ لا يا ابونا · لن نقتلك يا ابونا ·

والاسير ، ماذا نفعل بالاسير ، يسأل احمد ·

ـ نقتله فورا · هذه حرب لا تحتمل اسرى · هم يقتلونك بلا مبرر · يقتلونك لان اسمك هكذا وليس اسما اخر · يسحلون قتلانا ويقتلون الجرحى · هذه حرب لا تحتمل اسرى · الاسير يقتل فورا ·

العصفور يرتجف على كتفي · وجهي يتبلل بالدم الحار ، وجسده يمتد من يدي الى نهاية العالم · العصفور يئن انينه الاخير وحوله البحر والمطر · كنت اركض بين القذائف والانفجارات · ثم وضعته الى جانبي · جلست وتكلمت معه · كان دافئا كالكستناء وطريا كشعر امي · طفل يداعب وجهه الريح ولا يبكي · حملته ثانية · وحين وصلت الى المستشفى قال لي الطبيب انه مات · لم افهم شيئا · عدت الى رفاقي ، وتابعنا اطلاق النار والتقدم وضحكنا واخبرنا النكات ·

ـ لا ، لن نقتل الاسير · نأخذه ونضعه داخل عباءة الاب مرسيل البنية ·
يقفز بطرس الى عباءته ، يلبسها ، يرفع يده ويأمرنا بالصمت يدندن لحنه اللاتيني · لكننا لا نهتم · نتركه وحيدا مع طقوسه واحلامه ·

امشي في باحة كاتدرائية القديس لويس · هذه كنيسة قديمة ، قديمة جدا · ربما بنيت في عهد الارساليات · ربما بناها اول تاجر حرير قدم من ليون الى بيروت وفاء لنذوره في سبيل نجاح تجارته · الحقيقة انني نسيت ان اسأل الكاهن عن تاريخ الكنيسة ، وكيف بنيت ، ومتى كان في بلادنا طائفة اسمها اللاتين · المهم هو الارغن · كان الارغن على الارض مكسرا ، يئن دون ان يصدر صوته الموسيقي الجميل · وحوله بقايا البلاط المحطم والماء القادم مع المطر · الجدران السميكة بيضاء ، لكنها مثقوبة وعليها كتابات بكل الالوان ، الاسود ، الاحمر ، الاخضر · وبين تمثال مقدس وايقونة قديمة تقرأ عبارات : الله اكبر ، فتح مرت من هنا · وحولنا اصوات ايقاع وصدى · لم اكن افهم ما هو الصدى · كنا ونحن صغارا نذهب الى الوادي المطل على نهر بيروت ونصرخ ، فيعود صوتنا مترددا · اما هنا

فالصدى له ايقاع اخر · تتحول القذيفة الـى معـركة · يمتـزج الصـدى باصوات الزجاج وخشخشة المبخرة وايقاع اقدام الراهبين ·
ـ لقد تحطمت السفينة يا ابونا ·

تحولت الكنيسة الى ما يشبه البيت المهجور · البطانيات عـلى الارض ، والرصاصات الفارغـة ، وايقاع اقدامنا · في الوسط حيث الدفة والمائـدة ، كانت اكياس الرمل تنقل الـى البنايات المجاورة ، وكان الصدى هـو سيد الكنيسة ·

ـ الحرب تدمر كل شيء ·لكن ماذا سنفعـل بالنصر ؟

ـ سنأخذه الى نهر الاردن · تخيلوا النصر · النصر يعني ان الفقراء والالوان يصبحـون اسيادا ، والاسياد القدماء يبقون اسيادا ولكن من دون خـدم · الارغـن ، سيعـزف اللحـن الشرقي ، والعـلم يتحـول الى بصماتنا · ناخـذ النصر الى نهـر الاردن ، يأتي رأس يوحنـا عـلى صينية الذهب ويتكلم معه، ثم ينزلان سويا الى نهـر الاردن · يوحنا يعمد النصر ، والنصر يحـمل رأس يوحنا بين يديه ·

ـ صحيح ، اذا انتصرنا هنا في لبنان ماذا سيجري ؟

ـ تأتي اسرائيل ، وبعد ان نهزمها تأتي اميركا ·

ـ وبعـد ان نهزم اميركا ، من يأتي ؟

ـ عندما نهزم اميركا يذهب الجميع · نكون قد كتبنا قصـة اطول الحـروب واجملهـا ·

ـ ولكن مـاذا ؟

طلال لا يوافق · ليس المهم ان ننتصر · المهم شيء اخر · المهم هـو ان نعيش الحياة كما هـي ، نأخذها كما هي ، نقاتل ، ونموت على قمة الجبل ·

الكنيسة تهتز مع القذائف · جسد المسيح لايزال منحنيا علـى الارض · والمبخرة الطويلة تنتظر اليد التي تمسكها ، لكن اليد لا تاتي · كل شيء تحطم· الاواني النحاسية ، والملاعـق الفضية الصغيـرة ، واثواب الحرير مرمية عـلى الارض · واخيرا اكتشف جهاد الكنز · شموع لا تحصى · شموع رفيعـة

مصقولة موضوعة في ادراج خاصة · اخذها جهاد ورماها · ركضنا ، التقطناها عن الارض · هذه ثروة · في المساء إضأنا الثروة بأسرها · مئة شمعة صغيرة اوقفناها على الارض فالتمعت في الليل · بين ايقاع المطر وايقاع المبخرة · كانت تضيء مثل وهج لم نعرفه من قبل ، وحولها بدت اجسادنا نحيلة وحركاتنا غير قادرة على التحول الى ظلال · مئة شمعة ترتجف وسط كنيسة مهدمة · نحن في سفينة حقيقية · كانت السفينة تتلألأ وسط البحر ، وفي داخلها بحارة غرباء يبحثون عن ثيابهم الجديدة ·نحن وسط البحر ، المطر الخفيف يصل الى قرميد الكنيسة ثم ينحدر على جانبيه، وحولنا الموج والكهنة ورصاص القراصنة ·

ياتي الاب مرسيل راكضا · وعندما يرى الشموع يبتسم · اعتقدت ان الكنيسة تحترق · لا بأس ، لا بأس ، افعلوا ما تشاؤون ·

ـ شكرا يا ابونا ·

قبيلة حول نار القبيلة ·الاضواء ترقص لكننا لا نرقص حول النار · ننفث دخان سجائرنا في الفضاء الواسع ونبحث عن البحر ·

ـ ما رأيك يا ابونا · لماذا لا تغرق السفينة في البحر ؟

الاب مرسيل لا يجاوب · يذهب الى ذكرياته · يخبرنا قصص القديسين ثم يعود ليسأل من جديد : لماذا لم تقتلوني ؟

ـ ولماذا نقتلك يا ابونا · نحن معا ، نعيش قرب البحر في سفينة محطمة ، وعندما نصل الى البحر ، سوف تغرق السفينة وتنتهي قصتنا ·

الهدف هو البحر يقول امر الفيصل · ونحن ننتظر البحر · سوف نصل اليه ، نرمي شباكنا ، نخلع ثيابنا ونشم رائحة الاسماك جلس جهاد قرب النار وبدأ يغني · اصواتنا ترتفع · ووسط هذه الجوقة يرتفع صوت احمد ، متوترا ، يئن وهو يرسم المستقبل على الحائط المهدم امامه·

**المشهد الخامس :**

البحر في عيوننا · بين احزمة النار وملوحة المياه سقط جابر · سقط كالسهم على قمة الجبل ، فاختلط الثلج بالبحر ، والمطر بالملوحة القادمة من فوهة البندقية · كانت معركة البحر اقسى المعارك ، وفيها ، كانت الطرقات تمتد وتتعرج الى ما لا نهاية · لم نفاجئهم لكننا لم نفاجأ سوى حين

وصلنا الى الشاطيء • كان مطر القذائف يختلط بمطرالسماء والرياح تحمل البندقية كما نحملها نحن ، والاشتباك ينحدر من شرفة الى شرفة ومن دشمة الى اخرى • كان البحر بعيدا ، لذلك فوجئت به • الظلام ، والاصوات ، وحركة القدمين ، وليونة الجسد ، والخوف على الرفاق . كلها امور جبرناها في السابق • لكننا اليوم نختبر المفاجأة • كنا نركض ، والظلام الكثيف لم يعد يسمح بالرؤية • نرى النار والحركة ، نطلق عليهما ونتقدم، وعلى المساحة كان الاخرون يطلقرن ويتقدمون •

قفزت رائحة الملح والاسماك الى انفي •لقد وصلنا صرخت •امسكت ثيابي ، لم اكن مصدقا • ساعات الالم تختفي • لكنني لا ارى البحر ، ولا اسمع سوى صوت امواجه ، واشم رائحته • رائحة البحر تنتشر على مسام الجسد ، تتغلغل في المفاصل التي شربت عفونة المستنقعات واحتضنت الرمل والغبار ، وهي تبحث عن القوس الذي يمتد من صنين الى الشاطيء• يدخل البحر في العيون • تلفح رائحة الملح المغطاة باشياء الاسماك العيون وتدخل اليها • ونحن نتقدم والبحر بين ايدينا •

خلع طلال ثيابه وارتمى عاريا بين الامواج •

ـ لكننا لا نزال وسط المعركة !

ـ هذه هي المعركة •

كان يسبح كمن ينام مع امرأة • يطفو ويغوص •يمسك بالماء ويرميه الى الاعلى • يحتضن البرد والمطر الخفيف والملح • وعندما خرج من الماء كان يرتجف كالعصفور •

ـ سوف تمرض وتخرج من المعركة •

لكن طلال لم يمرض ولم يخرج من المعركة • حمل المعركة على كتفيه ، من سفينة محطمة الى سفينة محطمة ، وحين اوصل الامانة الى البحر مات على قمة الجبل •

سقط جابر ، قال سمير • كان الى جانبي ، وعندما اصيب في راسه انحنى فقط •حملته وركضت به الى الخلف •اخذه رفاق اخرون • والان جاءوا واخبروني انه استشهد •

ـ الموت عصفور يقول جابر •يحلق فوق البحر بحثا عن الاسماك ، ثم يسقط فتاكله الاسماك •

ـ الموت عـلامة ، فراشات واحصنة · الموت نحن ، يسكت بطرس · ينزف البحر في عينيه ملحـا ولا يبكي ·

كان مسجى ، غطوا رأسه بكوفيته الحمراء · عيناه نصف مغمضتين ،وثيابه ملطخة بالـدم والوحـل · جابر ، الجميل كالرمح ، يسقط بين قمة الكنيسـة وقمة الجبل · كان هناك ، مغـطى ،وحوله العـلم الفلسطيني والاصوات · كان يعـلم انه سيموت ، لذلك كانت ضحكته ترتفع مع الطلقات · يمسك البندقيـة جيدا ، يطلق ويضحـك مثـل الاطفال حين يمسكون بالعابهم ·

ـ سوف نلفه بالعـلم الفلسطيني ·

ـ هذا ليس العـلم الفلسطيني ·فلسطين ليست وطنا حتى يكون لها عـلـم· فلسطين حالة · كل عربي هو فلسطيني · كل فقير يحمل بندقية هو فلسطيني· فلسطين حالتنا جميعـا ·

كانت فلسطين خارطة ، لكنها اصبحت البحر · غدا ساصور فلما عـن البحر يقول طلال · سوف اجعـل البحر لباسا ، وجابـر يحمله هدية الى امـه

كان مسجى ، حولـه الاصوات ، في رأسه طلقة واحدة ، وضحكاتـه تـرن فـي القاعـة · ونحن نحـمل نعـشا فارغـا ، نضعـه في النعـش ونمشـي · محمولا على الاكف المرتفعـة والاصوات التي تهدر والبنادق التي لا تنحني · النعـش الخشبي المستطيل ، فـي داخـله فتىينام مستسلما للايدي التي تحمله·

انظر يشير بطرس · النعـش يشبه السفينة · سفينة مستطيلة من الخشب تطفو فوق البحر · كانت السفينة تتهادى عـلى الايـدي المرتفعـة · فـي المقدمة ، عـلى السارية ، عـلم طويل · وفي الخـلف ، كان الناس والمقاتـلون والرفاق الذين جاءوا يحملون السفينة الى البحر · وجابر في الداخـل ،يمارس دور القبطان للمرة الاخيرة ، يقودنا بين الشوارع الفارغـة في رحلته البحرية الجديدة ·

وقف الكاهن · وضعـنا السفينة امام الهيكل ، وكان النحيب الخافت ،ينبعث من المقاعـد الخشبية ، مثـل صوت البحـر قبل هبوب العاصفة ·
هذه كنيسة حقيقية همس سالم ·

وقف الكاهن ، بيده المبخـرة ، يردد لحنه البيزنطي ·وكان النهار مشمسا ، والاضواء تنعكس ملونة على ثيابه السوداء الطويلة ولحيتـه التـي تضـيء · وجابر داخـل سفينته لا يجد الكلمات ·

يرتفع صوت المرتل الوحيد في كنيسة راس بيروت الى جانب ثوب الكاهن. ونحن نقف امام الايقونات الواسعة العيون ، نستمع الى الصلاة ، نراقب حركات الكاهن وهو يتكلم بصوت مرتفع عن معنى الاستشهاد .

الكنيسة سفينة ، وجابر داخل سفينته ، ونحن داخل السفينة الواسعة. في الخارج ، كانت اصوات الطلقات ترتفع ، والحركة تتقدم .

حملناه مرة ثانية ومشينا . كانت خطواتنا على الاسفلت ، تشبه مجاديف البحارة القدماء وهم يقودون سفينتهم الى الشاطيء . الاصوات تنخفض ، والشمس تشرق ، والايدي المرتفعة تمسك بالخشب المستطيل ، والسفينة تتهادى .

امام الحفرة الواسعة وقفنا .اخذنا السفينة ووضعناها داخل الرمل والتراب .

ـ لقد غرقت السفينة .

ـ لا لم تغرق .

تدخل السفينة التراب ، ترتاح ، بين طلقاتنا والهتاف المرتفع ، وصوت الكاهن وهو يردد الكلمات الاخيرة : من التراب والى التراب تعود .

نظرت الى سالم ، كان يخفي حزنه خلف وجهه المستطيل وابتسامته الشاحبة .سالني عن الحرب ، كيف ستنتهي الحرب ؟

لن تنتهي هذه الحرب اجاب سمير ، لقد بدأ الموت وبدأت الحرب .

كان الصمت والبحر والسفينة ، لكن سفينة الاب مرسيل لا تغرق ، تتحطم فقط .وجابر في سفينته التي تتهادى كاميرة .ثم تسقط ، لحظة ، لحظة ،حتى يصل التراب الى مستوى الارض من جديد ، ولا يبقى سوى كتابات واصوات وطلقات.

ـ ما هو الفرق بين الكاهن والبوليس يا ابونا اندريا ؟

ـ لماذا لم تقتلوني ، يسال الاب مرسيل ؟

ـ ما هو الفرق بين الحرب والحرب الاهلية ؟ يقول سالم .

الموت عصفور يقول جابر . وطلال يحلم ببحر طويل كشعر حبيبته .يحمل الكاميرا والبندقية ويقفز بين الموج .

# الصمت - الشعر
# الثورة وضرورة انحلال الدائرة في "الأرض"

سميح سماره

لقد تجاوزت ضرورة الحديث عن الجدل بين الفن والثورة ( اي بين حالتي المستقبل)حالة الالحاح الترقيالتي كانت تشملها قبل سنوات · ان دائرةالصراع في بلادنا ، حيث اشتبكت بها وتداخلت عناصر الارتهان الى الواقع ، وعناصر ضرورات التدمير الحي له ، قد تجاوزت تلك الحالة من المراوحة الميتة التي عمرت ما يزيد عن الربع قرن ·

ان ما ينتشر الآن ، وبزخم تام وكامل ، في دائرة الوطن العربي كله ، هو هذا الاغلاق التاريخي لابواب القوى المراوحة ، التي كتبت على راياتها كلمات الثورة دون ان تقتحمها · ان هذا بحد ذاته يزخم دائرة الوطن كله بوهج التهيؤ للنار والثورة · لقد انتهى التطور التاريخي حد انفجار « التابوت الممدد حتى شواطيء الاطلسي » ★

وهكذا يكون الحديث ، بدءا من الآن ، عن الجدل بين الفن الثورة ، طبيعة مختلفة ، جديدة ، ومنسجمة مع هول الانفجار الشامل ، ان لم تتقدمه ، معضرورة التأكيد على ان تتقدمه ·

ان الثورة فعل صمت يسكن عروق الارض ، وعروق البشر ، وعروق المستقبل ، انها سكونية اللحظة الكونية حين تمتزج بضرورات التحقق ، وحتمية الحضور في الواقع · فيجلدهاتقبعملايينالمظالم والقهر والجوع الى الخير،وهو ذات الجلد الذي يحمل الامتداد الى الماء والثورة ·

ولا تجوز الثورة مع الاحادية وبؤس التحقق وزيفه ، لا تجوز الا مع جوع البشر الى الحرية ، الا مع الشبق ، الا مع لحظة التداخل الخارقة ، ومع الحنو ·

ان الجنس · ان انفجار الجسدين وتناثرهما ، هو فعل تحطيم مباشر ،

---

★ محمد الماغوط ، قصيدة « بعد تفكير طويل »

يشمله الصمت والشعر واللذة ، لاختناقات الاحتشام والتورم والظلم وتبديد « قوة العمل » ، انه بذاته حالة الفن ، حالة التلاقي مع الثورة ، والانخراط في حلم الناس·

الكبت والثورة ، تشبه كثيرا قرف بؤس المفجوعين مع العاهرة · كما الكبت والفن · كما الكبت والجنس · وفي ذات اللحظة ، ليست الثورة والفن واحدا ، ليست كلا ، ليست اغلاقا لخصوصية التحقق في الواقع ·

ولا شك ان الشعر ( الفن ) ليس ترجمة للواقع ( تبطل ضرورته حينذاك ) ، انه اختراق شواغل الواقع ، والتواجد الخاص في شموليته ، والتحقق فيه وخارجه اي في حالة الحضور المباشر ، وحالة التجاوز الى الامتداد والتمادي · ان عملية الامتزاج المحتدم القريبة جدا من لغة الكسر الجنسي الفادح بين الذكر والانثى هي الشعر ·

وليس الشعر « شكلا للواقع » · ان الثورة ذاتها تقف في الطريق الممتد بين الواقع والحلم ، اي بين الحضور الراهن والشوق الانساني · الثورة منحيث هي تحقيق لفقرة من الشوق · ولا شك ان الشعر هو الثورة في اطلاقها ، انه الضد المطلق لكل عسف ·

ولا تجوز المصالحة ابدا بين الشعر وبين الثورة ، حيث تتشكل العلاقة بينهما انطلاقا من حالة التوتر بين الحضور والحلم · وبؤس الشعر الكلي التبعية للحضور هو البؤس المكثف للواقع ، هو الشعر المضاد للثورة ، للجماهير ، للحلم·

جدل هي العلاقة بين الفن وبين الثورة · « وحدة في التناقضات ، وحدة تناحرية » ★



في بلادنا ، كانت الثلاثون عاما التي مضت خالية من الشعر · كان الشعر مقموعا بالمسلمات ، عاجزا عن اجتياز الحواجز الملفقة ، عن تكسير اقانيم القوى المضادة ، والقوى المراوحة · كان الشعر خارج جموح الثورة ، وبعيدا عن انشطارات الجنس · كان الشعر مسكينا ومملا وضيقا وحزينا كارملة منكسرة ·

كانت هذه هي القاعدة · اما حالات الاستثناء المشتتة هنا وهناك ، فكانت تقف ــ في واقع الامر ــ العتبة ، على حد الدائرة ·

---

★ هربرت مركوز ــ الثورة والثورة المضادة ــ ص ١٢٣

لماذا لم ينفلت الشعر الى الدائرة ؟ فلنحدد ما يلي :

١ ـ درجة الصراع :

منذ الاستيطان الامبريالي في فلسطين ، بدأت حركة الصراع في بلادنا تتفاعل كي تتمكن من بلورة حكم البرجوازية وكان موقع هذه البرجوازية في منتصف العصا بين معاداة الامبريالية بحكم التناقض الموضوعي معها من جهة، والتناقض الذاتي كذلك ، وبين الاستحالة الموضوعية لاستقلال هذه البرجوازية بحكم تبعية نشوئها · كان هذا الموقع هوالذي يقبض على زمام التغييرفيبلادنا·

من هنا فان هذه الدرجة من التناقض سوف تفرز درجة مماثلة لها من الصراع · والذي كان ملموسا ان حركة التعبير الفني الناتجة عن هذه الدرجة من التناقض والصراع مع القوى المضادة ، كانت مماثلة كذلك ·

لقد التزم شعر بلادنا ، طوال هذه الفترة ، بمهام درجة التطور هذه · ومن هنا كانت واسعة المسافة بينه وبين الثورة ، أي بينه وبين التضاد الكامل للقهر ، للامبريالية ·

كان شعر عداء البرجوازية للامبريالية · وبموت هذا العداء راهنا ، نشهد الآن موت هذا الشعر ·

٢ ـ القطرية :

رغم توفر بعض حالات الاشادة الصاخبة ، او حالات النقد الصاخبة ايضا لواقع حركة الصراع في مستواها القومي ، وفي دائرة الوطن ككل ، الا ان جذر كل حالات التعبير في بلادنا كانت متينة الصلة بالأساس القطري الراهن ·

لم يتمكن الشعر في بلادنا من حدس العلاقة بين التجزئة والعنف الامبريالي، وظل ـ بالتالي ـ نتيجة لواقع ، او تعبيرا عن واقع مفروض بواسطة العنف الامبريالي · من هنا كان ضيقه وانحساره ، وكانت استحالة ارتباطه بالثورة ·

ان التعبير الفني بمجموعه ، والشعر على رأسه ، لم يستطع لمس ضرورة العلاقة بين الثورة وبين الجماهير العربية كلها · لقد اضاع طريقه الوحيد الى الثورة ، والى الشعر · اما قصائد « رفع العتب » عن بور سعيد او الجزائر او فلسطين ، فهذه تشبه كثيرا قصائد « التضامن الاممي » الميتة والمفتقدة الى الاساس الموضوعي للتلاحم الاممي · ورغم الانضمام المعلن الى جبهة الجماهير

في هذا الشعر ، الا انه كان انضماما بلا جدوى ، عجزعناكتشاف قوانينالثورة، وقوانيـن الجـدل معهـا ٠

ومع ان هذه ليست مسؤولية الشعر وحده ، الا انها مسؤوليته من حيـث هو شعر ٠

٣ ـ افتقاد اداة الثورة :

لا يشكل غياب الحزب الثوري ـ قيادة الثورة واداتها ـ عاملا مخففـا لمسؤولية الشعر في عجزه عن تلمس الطريق الى الثورة ، والا نكون بذلك قـد غيبنا علاقة الجدل بين الشعر والثورة ٠

ولا شك ان حضور قيادة الجماهير في الثورة يفتح الباب واسعـا وعريضا امام اكتشاف الدلالات واكتشاف الواقع ، ومواقع القوى ٠ لكن ذلك لا يعني انـه ليس امام الشعر غير الانتظار ٠ ان امتلاكه لادواته الخاصة الحادة والصارمـة في علاقتها مع المستقبل هو وحده كفيل بتحقيق ذهابه راسا الى الثورة ، دونمـا حاجة الى حالة التخثر الكريهة التي انغمس بها الشعر ٠

● الشعر بين الخارج والداخـل :

حين يشار الى ضرورة ان تكون ارادة الشاعر « كلها مجبولة من الصمت وان عليه ان يخرس في داخله جميع اصوات الاراء المسبقة ، وان ينسـى ، ينسى ، ان يصمت ، ان يكون محض صدى » ★ يكون ذلك اشارة الى حالـة الشعر ذاتها ٠ الى حالـة الاختراق المتبادل بين طرفي المعادلة المنتجة للشعر ٠

انها مسألـة تخص الشاعر وحده ، ونحن نشكل الان حالـة اعتداء علـى خصوصيته ٠ فـي الجوف يكبـر الصمـت ، ويتضخم ، وينسكب الخـارج بصلافته ، ورويدا رويدا تنمو في الداخل احتمالات عديدة ، تجري جميعهـا في مسار متحد نحو المستقبل ، هذا المستقبل الذي هو ليس الا انفجـارات الصراع الطبقي الحاضرة ، حيث تتكثف في دائرة ، تكون هـي الثـورة ، وتكون هـي الشعر ٠ فالشعر اذن هو حالـة التبلور والكون ، هو الديالكتيك الجنسي الخالق للذة الفادحة ٠

وهكذا يكون ٠ بان من يلثغ بالخارج ، بالصراع الطبقي ، بالموقف السياسي ـ الاجتماعي ، لثغا شديد الشبه بالبصاق يكون كمن يضاجع نفسه ويهتـرىء

★ من كلمات ليزان اوردها هربرت مركوز في « الثـورة والثورة المضادة » ٠

عليها · ليس الشعر نفاقا للخارج ، وليس نقدا للخارج ، وليس انسكابا عليه · انه كون كلي القدرة ، يكون هو الثورة ، ويكون هو ذاته ·

ومؤكدا ان الجماهير ليست بانتظاره · ان الجماهير كون آخر كلي القدرة · وفي حالة التمازج يكون فعل الثورة ــ الجماهير ، ويكون فعل الشعر ــ الشاعر ·

هكذا اذن ، فان كثيرا من الحديث عن العلاقة بين شكل الشعر ومضمونه يشبه مضغ الماء ·

بائسة هي محاولة البحث عن التناقضات بين حدي اي معادلة · فالى متى سيبقى صغار البرجوازيين اولئك ، الذين يتمتعون بقسط لا يحد من ضيق الافق ، ومن المراوحة في المكان ، في محاولاتهم المقرفة لتمييع الوضوح ، وشغل وقت الناس بالكذب والسفسطه ؟ !

ان كل حركة ابداع انساني لا بد ان يجيء تشكيلها من انفجار التناقضات والتعبير عنها ، ولا يكون التعبير ابدا الا من حضور كلي في الداخل · داخل التناقضات ، وداخل انفجارها ، وداخل التعبير عنها · فلا وجود لشكل يجيء الى الداخل كالزيارة · يكون ذلك فقط حين تتآمر القوى الطبقية المضادة على الثورة لتفتيتها ، ويكون « شكل » الشعر حينذاك ، ويكون البرجوازيون الصغار ودعاراتهم احدى ادواتها ·

وفي بلادنا ، حيث يحتل البرجوازيون الصغار مقدمة حركة التطور.يقضون ايامهم الاخيرة ، لكي تشرع البوابات كلها بعد ذلك امام تحالف الكادحين ، فان هناك ضرورة ملحة لاجراء مراجعة شاملة لمجمل المفاهيم والموضوعات والنعوت ، لان ثلاثين عاما من التسفيل قد مرت عليها ·

**في بلادنا تجلس الامة الان على حوضها ، مشرعة فخذيها للريح والولادة، مشرعة جوف رحمها ·**

**اذن فان حركة نقد شاملة وصارمة ، وموجهة اساسا ضد التعهير الشائع هي المهمة الراهنة ·**

**● فلسطنة الشعر والموت :**

اذا كانت حالة القهر الطبقي ــ القومي للجماهير الفلسطينية تشكل في ذاتها

حـالة القهـر المكثف فـي شموليته ، فهي في واقعـها تشكل ايضا صورة مكثفة عن حالة القهر الشامل للجماهير العربية في كل وطـن • ولا شـك فـي صلاحية تعميمها ، حيث ان صـور الاقتلاع وتدمير البنى ونسف اسس حـياة الجماهير هي الحالة العامة ، والمسار الثابت للقوى العدوة •

وقد كانت الحـالة المكثفة قد انتجت صياغـات من « الشعـر » كانت انعكاسـا لهـا •

كانت حالة من النواح المستطرد المفتقد تماما الى كينونته ، لا يجـد لـه طريقا الا لدى تلاميذ المدارس التي هي فـيذاتهـا احدى ادوات التدمير في يـد القوى العدوة •

ماذا حقق هـذا «الشعـر» ؟ لقد ساهـم فعـلا ، وان دون وعـي احيانـا ،في تكريس الاستكانة للظلـم • فـي فرج ما جرى فـي فلسطين بقدرية خارقة لا ترد، في تثبيت ابدية المخـيم الفلسطيني •وكدنا نغرق في ثبوتية اللجوء •

كان حزنا اسود كريهـا مفجعـا ممتلئا بالحسد ويفرغ الحقد كل يـوم • كان تأليها للهزيمة •

وكان هـذا الشعـر كاذبا :

لا يقف الشعـر عـند الحـزن ، لانـه يتورم حينذاك وتنتشر الدمامل عـلـى جسده • يخترق الشعـر الجماهير ، ويخترق الثورة •

والقهر ليس حالة نادره ، انه الصـورة العـامة • وليس الفلسطينيون حالـة نادرة • اذن ما هـو معـنى اعتبار قهرنا في فلسطين حالة نادرة وغريبة ، لـم تحدث من قبل ولن يحـدث مثلها ؟ ما معـنى غـناء اطلالنا ؟ ما معنى محـاولات لحس فقرنا ؟ انه الفقر ، وانـهالعسف الطبقي ، وانه جوع الجماهير وتدميرهـا وتحطيم كيانهـا ، وهـو الحالة العـامة •

انه الكذب الفادح • وحتى الشعـراء ـ الخـدم والمداحون اشبعـوا فلسطين نواحـا •

ونكاد ان نقول ان هذه الفلسطنة قد شكلت ولونت دائرة الشعـر العربـي المعاصر في معـظمه • كان لها المجال الرحب بسيطرة القوى المضادة ، واصبحت هي الحـالة العـامة في الشعـر ، هـي الشعـر • لقد تم تعميمها على ساحـة الوطن كله ، فساهمت بفعـالية في تدميـر وعـي الجماهيروتبديد اختلاجـات الثـورة فيها •

وحين انشطر المخيم ، وانفجر ثورة · وحين اصبح السلاح في يد الجماهير كالزهور ، لم يجد الشعر في معظمه طريقة للفكاك من هذا « التراث » ، فاستبدل الخيمة بالبندقية واستبدل وصف الجوع بوصف عجائبية الفدائي ·

كان مقذعا هذا « الشعر » ومقززا ·

لقد جاءت الحداثة الى الشعر العربي من خارجه ، لانه كان خارج الواقع · وكانت الحداثة تشتتا في الحداثة القادمة من اماكن اخرى ، خلقتها صراعاتمن طبيعتها · لقد تكفلت اسماء كثيرة بالتقليد والتشويه وتزوير الضرورات التي افرزت قوانين الشعر والثورة في الغرب·تكفلت بذلك وماتت · كانت هي المهمة·

اما حين انتجت حالة المواجهة اليومية للجماهير في الارض المحتلة ، حالة من الشعر مماثلة ، وجاء شعر يتلمس الطريق الى نفسه ، والى الواقع والجماهير والثورة ، قام التسفيلالنقدي البرجوازيالصغير ليلعب دوره ،ولميقصرفيذلك·

اذن ، فان مثل هذه الفلسطنة ، وبهذا المفهوم ، تشكل مرضا حقيقيا يجب اجتثاثه من جسد الشعر ، فلسطين ليست حالة نادرة ، فالقهر يشمل الجماهير العربيةكلها·

كان هذا هو العام · وكانت الاستثناءات نادرة ·

### ● الدائرة بين الانحلال والنمو :

اذن فان الشعر ( الفن ) يكون بقدر تعبيره عن الشمول التاريخي للواقع المعطى· وفي واقعنا الراهن حيث تصل البرجوازية العربية القطرية الى حالة الاقفال النهائي في وجهها ، فلا تجد في طريقها غير القبر ، اين يكون الشعر ؟

ان المسألة لا تشير الى سباق بين الشعر وبين حركة التطور ذاتها من اجل صياغة قوانين الشمول التاريخي للواقع المعطى · لكن القانون الاساسي الذي يشمل الشعر ويؤسسه هو هذا **الانفجار في الشمول** ·

ان مسار الثورة العربية الذي اخذ يتضح الان يتجه راسا نحو تحطيم تلك الدوائر الصغيرة القطرية الضيقة التي فرضها العنف الامبريالي ، بحيث تكون الثورة فعل تحقق شاسع ينتشر على جسد كل الوطن ، في توهج اممي خارق ·

ان هذا التحقق التاريخي للشمول الخلاق هو الشعر ذاته ، هو الخلقالانساني العظيم ، هو الفداحة ذاتها في حلم الشعب ، هو الانتصار والتبعثر في الاستشهاد·

اين يكون الشعر ؟

بائس هو التخثر في الراهن · ورجعي · وليس شعرا ·

ولا يكون الشعر الا مع الفداحة · الا مع الانذهال في الحلم · الا مع صونالحلم

وسوف تكون جهنم في ارضنا · وسوف يكون الخير كله

فأين يكون الشعـــر ؟

« الارض » ـ المزاج : ★

يصير « التداعي » مزاجا ونقطة ارتكاز ومشيا غنيا وانذهالا في القلب الكوني للقصيدة ·

يصير « التداعي » طريقا ، وصعبا ، الى الشعر ·

في « الارض » تصير العلاقة بين الشعر ، بين الشاعر ، وبين الثـورة والارض واللغة والتشكل والجنس والناس والحلم ولذة التفتت في المستقبل ، تصير العلاقة كسرا للغرف المغلقة ، ضما للتشرذم ، مشاركة في الشروع البشري للثورة ·

يهبط الناس كل يوم من نتوءات القهر الفادح ، يهزجون بالنشيد ، ويقتلـــون البعوض المتكاثر في جنح الليل · وتهبط « الارض » معهم ، غارقة ، في حلمهـــم ، وتلمع سكاكينهم ·

والفرق بين التداعي وبين التداعي هو الفرق بين الجنس وبين التشيؤ · فليس الموقف هو من التداعي كطريق الى الشعر ، لكن الموقف هو في موقع التداعي من الثورة ، ومن الحلم ·

ويقف تداعي«الارض » على قاعدة الثورة والجماهير والانخراط الجهنمي بينهما·

الثورة هي المزاج الجماهيري المطلق ، والشعر الذي لا يراه ، لا يكون·وليست مهمة الشعر اكتشاف قوانينه او بلورة مساربه · مهمته هي الانخراط فيه · الغرق في انفجاره الحتمي ، اليومي ، المطلق ·

---

★ « قصيدة الارض » ـ محموددرويش ، شؤون فلسطينية ، ٥٧

الثورة فعل انذهال ٠

الجماهير فعل انذهال ٠

الشعــر فعل انذهال ٠

في «التداعي» يقبض الشاعر على نفسه، وعلى الشعر ، وعلى الثورة والجماهير من لم ير الفقراء وهم يمارسون التداعي كل لحظة لا يرى الشعر ٠

« للموج ان يحبس الموج ٠ ان يتموج ٠٠ ان يتزوج ٠٠ او يتضرج بالقطن »٠

كيف يصير التداعي شعرا ؟ هذا سؤال لا يجاب عليه ٠ لان الشعر اكتنـــــاه للقادم ، لغزارة المطر ، واختراقات البحر ٠ لان الشعر انعتاق ٠ لان الشعرصهيل امرأة اخترقها الجنس فاستحالت هجوما على الوحش ٠ لان القبض على الذكورية في زمن التعهر مسالة خارج الوصف ، خارج التقرير ٠

« رأيت فتاة على شاطيء البحر قبل ثلاثين عاما وقلـــــت : انا المـــوج ٠ فابتعـدت في التداعـــي ٠ رأيت شهيدين يستمعـــان الى البحر ٠ عـــكا تجـــيء مع الموج ٠ عـــكا تروح مع الموج ٠ وابتعـــدا في التداعـــي ٠ ومالت خديجـــة نحـــو الندى ـ فاحترقت ٠»

في التداعي تخرج « الارض » من الضرورات الراهنة الى الخارج ٠ تكـــون مع الحرية ، ولا تكون قسرا مع الضرورة ٠ الحلم لا يقصر عن البحـــــر ٠ و « الارض » لا تقصر عن الحلم ، تتطاول كي تصل عنق الدالية وتعود مع الريح المحمل بانفاس الناس ، بوجع الفقراء ٠

لكنها « الارض » تسيطر عـــلى الفداحة فيها ٠ فليس التداعي خــــــارج القوانين ايضا ، والا لكان ثرثرة وهـــارب الفقراء ٠

يصير التداعـــي ، حين يكون الشعر في لجـــة البحر ٠

وكانت « الارض » في لجة البحر ٠

« الارض » : الشعــر ٠ الجنس ٠ والتشكل ٠

« في شهر اذار ينتفض الجنس في شجر الساحـــل العربي »٠ هنا تماما تقـــع

المسألة · الثورة · الجنس · الشجر · ومحيطية الثورة · ان التناقض بين القابضين « على طرف المستحيل » وبين « شجر الساحل العربي » هي المسألة · وكما ان الانتفاض لا يكون في الرفة الملقة ، فالثورة لا تكون في القطر المحكم الاغلاق · تتجانس الثورة في المحيط العربي ، فينفجر الجنس، وتستقطب الثورة نقاواتها ، ويعبق الانذهال ، فيكون التداعي · ويكون الشعر·

عبث كل ما يقع خارج هذه الدائرة ـ المحيط · عبث وقبض الريح ·

« تستيقظ الخيل » فهذا « خروج المسيح من الجرح والجرح اخضر » « وهذا صعود الفتى العربي الى الحلم والقدس » هنا تماما تقع المسألة ·

بخشية وانفجار يلمس درويش المسألة · وكان قد تساءل : ماذا نفعل بهذه الطاقات على مستوى الارض العربية ؟ وكان قد اجاب : وهل نرد على انفسنا بغير التفجير ·

وهو يبدأ الان · يبدأ محملا بتراكم هائل من الخطأ والمغالطة · ويجرؤ هذا التراكم على ان يجر نفسه حتى الى « الارض »، التي تتداخل احيانا بتراث التراكم ، لكنها تخرج منه · « سنطردهم عن اناء الزهور وحبل الغسيل · سنطردهم عن حجارة هذا الطريق الطويل الطويل سنطردهم عن اذان الجوامع · نطردهم عن بخور الكنائس· نطردهم عن غبار الشوارع· نطردهم عن سطوح المدارس · نطردهم عن دوالي الخليل وصبار سخنين »·

انه تواجد في الدائرة الاولى · في الدائرة المغلقة · هذه اجواؤها ، رائحتها ·

ان الانتفاضة قناة صغيرة تتصل بقنوات العنف والثورة في المحيط · ليست الانتفاضة بحرا · يجب ان نراها في اتصالها بالبحر ، بغير ذلك تخسر الانتفاضة ، ويخسر الشعر ، وتخسر الثورة ·

وحين تبدأ الارض تنتشر فينا «مواعيد واحتفالا بسيطا · ونكتشف البحر تحت النوافذ ، والقمر الليلكي على السرو » يكون التحول قد بدأ ·

وفي « الارض » ينتشر التحول ، ويستطرد في المقاطع ، رغم ارتداده الخفي احيانا ·

وكان الشاعر قد دخل الى الحلم وحده « فضعت وضاع بي الحلم »

وتضاءلت الثورة ·

« قلت : تكاثر ! تر النهر يمشي اليك »·

وهنا تماما تقع المسالة · يكتشف الشاعــر القانون ، فيكتشف الثورة ،ويكتشف الشعــر ·

يمتزج الشاعـر بالمحيط ، يمتزج الشاعر بالبحر · وتستيقظ الخيل فيه ·

ولا بد ان « يمشي التراب دمـا طازجا فيالظهيرة » لان بلادي تحيا « مـــن الصفــرحتى الجليل » ولان الجنس ينتفض « في شجر الساحل العربي » ·

فعــلا وواقعا ، اي سيف سيعبر بين الشهيق وبين الزفير ولا يتكسر !

انه اكتشاف القوانين ·

« هذا عناقي المزراعــي في ذروة الحب »·

« هــذا نمــو التداعــي » ·

« هذا انطلاقي الى العمر » ·

« سوف تنفجر الارض حين احقق هذا الصراع المكبل بالري والخجل القروي»

« فيا وطن الانبياء ·· تكامل !

ويا وطن الزارعين ·· تكامل !

ويا وطن الشهداء ·· تكامل ·

ويا وطن العائدين ·· تكامل » ·

ويكون اكتشاف القوانين · ويكون الشعر ·

من النقطة ، للتكامــل ، للبحر ، للثــورة ·من الجنس للجنس · حرام هـــو القفز في الدائرة المغلقة · وضروري هو اجتثاب التراكم ، كــي لا ينسحـــب احيانا ويغــطي بعــض المقاطع في « الارض »·

في التداعي تتفتق اللغة ، ويتفتق الشكل ، لانك لا تغتسل بمــاء الثــورة مرتين · لان الشعر والثورة والجنس انفجار ابدي التطــاول ، وغير محــدود التمادي

في « الارض » تنبجس اللغة في ذروة المستحيل بجيش الشعــر · وعلــى عتبة المستحيل تقع « الارض »·

« فيا وطن الانبياء ·· تكامل !» وياشعــر الارض تكامل ·

« هذا نمو التداعي » ·



# حرب الفدائيين في قطاع غزة

(٢٨ شباط ١٩٥٥ ـ ٢٩ ت٢ ١٩٥٦)

حسين أبو النمل

عام ١٩٥٥ في التاريخ العربي عموما وتاريخ القضية الفلسطينية خصوصا عام بالغ الدقة والاهمية · فهو العام الذي بلغت به مشاريع الاحلاف الاستعمارية ومشاريع توطين اللاجئين ·· ومن ثم مقترحات الصلح مع اسرائيل الذروة · في ذلك العام ، انتقلت قيادة الثورة المصرية ، وبعد ان اقصي اللواء نجيب ، من مرحلة المناورة الى مرحلة المعارضة النشطة والفعالة لمشاريع الاحلاف ، ولعبت الحكومة المصرية الدور الرئيسي في محاولة حمل مجلس جامعة الدول العربية على طرد عراق نوري السعيد الذي كان قد دخل في حلف بغداد·

·· كالعادة ·· تحركت الاداة الضاربة الاسرائيلية « لتاديب » مصر ، فشنت اسرائيل ليل ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٥ غارة بربرية على قطاع غزة ·· لهدف سياسي واضح ، تركيع ثورة مصر ودفعها للقبول بمشاريع الاحلاف كي تحمي نفسها ·· حسب ما كان قد اشار به عليها نوري السعيد ·· ولتركيع جماهير القطاع ·· ودفعها للقبول بالتوطين والصلح ··

·· وكالعادة ·· انتصرت ارادة التحدي والصمود ، وانفجر قطاع غزة ·· كل قطاع غزة ، منددا بالعدوان ، مطالبا بالسلاح ·· ولم يكن صعبا على جماهير القطاع ادراك الوجه الاخر للعدوان ، الا وهو ، الصلح والاسكان ·· ولذا كان شعار الثورة المدنية التي عاشها القطاع ، « لا صلح ولا اسكان يا عملاء الاميركان » ·

وسقط ، التوطين ، والصلح ، والاحلاف ·· وفتحت بداية مرحلة جديدة هي موضوع بحثنا والذي يشكل الفصل الخامس من الدراسة المطولة عن قطاع غزة بين ١٩٤٧ ـ ١٩٦٧· ويغطي هذا الفصل الفترة بين الغارة الاسرائيلية في ٢٨ شباط سنة ١٩٥٥ و ٢٩ تشرين ثاني سنة ١٩٥٦ تاريخ العدوان الثلاثي على مصر وقطاع غزة ·

★★★

١٩٥٥ ـ ١٩٥٦

الغارة الاسرائيلية على قطاع غزة في ٢٨ فبراير ١٩٥٥ ، ومن ثم انتفاضة اول مارس ١٩٥٥ التي قامت بها جماهير قطاع غزة ، كانت حدثا بالغ الاهمية في تاريخ قطاع غزة ، وتاريخ الثورة المصرية وتاريخ المنطقة عموما · فقد كانت النقطة الفاصلة بين مرحلتين سياسيتين عاشتهما الثورة · وانتهت مرحلة التردد وحزمت الثورة امرها ، بعد ان اوضحت الغارة ، ومن ثم الانتفاضة ، استحالة اعتبار قضية فلسطين من القضايا المؤجلة ، وان خطر اسرائيل ، امر غير وارد في تلك المرحلة وان المواجهة معها شأنا يقبل التأجيل ·

لقد قيل الكثير في وصف تأثيرات غارة غزة ، ولعل ابلغ ما قيل واكثره تعبيرا كلام كينيث لوف عن«ان غارة غزة كانت بذور غيمة عاصفة مطرية··وانها كانت الفعل،وماتلاها كان ردة الفعل » (١) · وقد نقل عن الرئيس عبد الناصر قوله : « انها كانت نقطة تحـول وان العدوان كان جرس انذار (٢)» · خصوصا وان مؤثرات غارة غزة لم تقتصر على قطــاع غزة،بل تعدته الى مصر،باعتبار ان غالبية الضحايا من الجنود المصريين مما زادمن اثار الغارة على الرأي العام المصري (٣)» كما ان ردة الفعل قد شملت الجنود المرابطين في قطاع غزة والذين كان « عبد الناصر في زيارتهم قبل الغارة بفترة قصيرة ، واكد لهم شخصيــا انه ليس هنا خطر وقوع معركة هناك (٤)»· الامر الذي اعتبره عبـد الناصـر اهانــة شخصية له اضافة الى احساسه بالمسؤولية الرسمية تجاه جنوده وحاجتهم للسلاح « ولـم يعد بامكان ناصر اخبار زائريه ·· انه ليس على استعداد لتكرار خطأ اسرائيل في صرف ٦٠٪ من الميزانية على التسليح (٥)» ·وحصلت نقطة الاستدارة بعد غارة غزة،وقال عبـد الناصر كلمته الشهيرة « سوف نعتمد على قوتنا الذاتية لا على مجلس الامن وقراراته ·· واعطيت التعليمات لقادة القوات المسلحة بالرد على العدوان بالعدوان (٦) » ·

لقد تمثلت السياسة الجديدة بتحولات في سياسة مصر على الصعيدين العربـي والدولـي وعلى صعيد مواجهة اسرائيل · فقد صعدت حكومة الثورة من حربها على الاحلاف ·وفي مواجهة المحور الهاشمي ، والذي كان احد اطرافه ( العراق ) قد وقع معاهدة للدفــاع المشترك مع تركيا،في مواجهة هذا الحلف عملت حكومة الثورة على تشكيل محور من مصر وسورية والسعودية · وبرغم هشاشة الاساس الذي يمكن ان يقوم عليه مثل هذا الحلف ، باعتبار ان العربية السعودية هي احد اطرافه ، فان هذا لا يلغي معنى محاولة مصــر هذه لمواجهة الحلف الهاشمي عمليا ·

على الصعيد الدولي تجسدت سياسة حكومة الثورة بصفقة الاسلحة التشيكية التي اعلن عنها عبد الناصر في خطبة له القاها يوم ٢٧ ايلول ١٩٥٥ حيث كانت « اهـم خطبــه على الاطلاق »··و·· احدثت اهم فرقعة في تاريخ المنطقة » (٧) وتشير بعض المصادر الى ان « قرار عبد الناصر ·· بترميم قواته قد اخذ خلال الليلة المضطربة التي قضاها بدون نوم ، انها ليلة الغارة » ·· وان طلب عبد الناصر لسلاح شرقي كان منذ يوم ١٨ مايو ١٩٥٥عندما فاتح السفير السوفياتي بمصر بهذا الموضوع (٨)· وبقدر ما كانت تلك الصفقة عسكرية، كانت ذات ابعاد سياسية · فلاول مرة تقوم حكومة مصرية بخرق حاجز « عقـــدة العـداء للشيوعية » · وتقيم علاقات مباشرة مع دولة شيوعية · وبهذا كانت مصر تنهي مرحلـــة ارسال الوفود الباحثة بلا جدوى عن سلاح في الدول الغربية · وقد بررت صفقـــة الاسلحة تلك ، « لان مصر ادركت نيات اسرائيل العدوانية ولئلا تتكرر مأساة فلسطين»(٩)· وبهذا دخلت مصر في مجال دولي جديد وفتحت امامها افاقا عديدة واخرجت نهائيا من مدارالدول الغربية التي كانت تسعى لضمها الى الاحلاف الاستعمارية ·

توقيع صفقة الاسلحة التشيكية وحضور مصر مؤتمر باندونغ لدول عدم الانحيــاز كان حدثا بالغ الاهمية لانه اخرج مصر نهائيا الى مدار سياسي جديـد ، وبهـــذا كانت الحكومة المصرية منسجمة مع المواقف السياسية التي اتخذتها سابقا تجاه موضوع الاحلاف·
مقابل الانقلاب في سياسة مصر الدولية والعربية ، لم يطرأ تبدل جوهري فـي سياستهـا المحلية سواءعلى صعيد مصر او على صعيدقطاع غزة · فبرغم الاقرار،وبالتالي الاستجابة

للاهداف السياسية لانتفاضة جماهير قطاع غزة ، قامت الحكومة المصرية بممارسات قمعية تجاه من اعتبرتهم مسؤولين عن الانتفاضة · فبعد مضي يوم واحد على توقف المظاهرات الاحتجاجية في قطاع غزة ، قامت قوات الامن باعتقال من اعتبرتهم محـــركي المظاهرات ، وقد شملت الاعتقالات اشخاصا من كافة انحاء القطاع ، وكـــان بالامكان اعتبار هـذه الاعتقالات تدبيرا احترازيا تحسبا لقيام مظاهرات جديدة ، ولكن نمط معاملة السجنـــاء كانت تعني ان الاعتقالات هي اجراءات تأديبية ، فقد قدم المعتقلون لسجانيهم باعتبارهـــم جواسيس ومورست بالتالي تجاههم ابشع صنوف التعذيب (١٠) ·

وباعتبار ان المعتقلين الغزيين كانوا اما من الاخوان المسلميـــن او الشيوعيين او اصدقائهم ، فقد انعكس عليهم موقف الثورة من الشيوعيين والاخوان المسلمين المصرييـــن والذين زج بهم في السجون وخصوصا الاخوان المسلمين بعد قيام الجبهة الوطنية التـي اشترك كلا الحزبين بها ، والتي كانت تتعاطف مع موقف محمد نجيب ، انتهاء بمحاولـة الاخوان اغتيال عبد الناصر · واستمرت الاوضاع السيئة لمعتقلي غزة الى حين توقيع صفقة الاسلحة التشيكيةوحضور عبد الناصر لمؤتمر باندونغ حيثانفرجت العلاقة بين الشيوعيين والسلطـــة ( ١١) ·

## الاجراءات البوليسية في قطاع غـــزة :

على هامش انتفاضة مارس ، سنت الادارة المصرية في قطاع غزة سلسلة من القوانين والاجراءات القمعية التي يمكن اعتبارها مكملة لحملة الاعتقالات الواسعة التي جرت ·ففي يوم ١٤ مارس ١٩٥٥ اي بعد مرور اقل من ٣ أيام على استجابة الادارة المصريـــة لطلبـات انتفاضة مارس ، اصدر الحاكم الاداري العام القرار التالي :

« بمناسبة الاضطرابات التي حدثت يوم اول مارس سنة ١٩٥٥ بغزة ودير البلـــح اثـر السادسة صباحا من الايام التالية »

**المادة الاولى :** ممنوع التجول منعاً باتا لاي شخص بالمناطق الواقعة تحت ادارة حاكم غزة وحاكم اداري دير البلح فيما بين الساعة الثامنة من مساء اول مارس سنـــة ١٩٥٥ والساعة التاسعة من صباح ٢ مارس ١٩٥٥ وفيما بين الساعة السابعة مساء والساعـــة السادسة صباحا من الايام التالية » (١٢) ·

علما بان هذا القرار لم يكن قرارا مؤقتا القصد منه مواجهة ايام الاضطرابات فقط ، بل استمر بعد ذلك بكثير كما هو واضح من نص القرار الصادر في ١٥ مايو ١٩٥٥،والذي يقول : « يباح التجول داخل المدن والقرى ومعسكرات اللاجئين فقط في المنطقة الواقعـــة تحت رقابة القوات المصرية بفلسطين وذلك خلال ايام شهر رمضان المعظم وايام عيدالفطر المبـــارك ( ١٣ ) ·

والواضح من نص القرار ان حق التجول مشروط على صعيدي الزمان والمكان ، فمدة سريان مفعول القرار هي فترة شهر رمضان فقط وايام عيد الفطر · واما على صعيد المكان فالقرار يشترط بان يكون التجول ( داخل ) المدن والقرى والمخيمات ·

**حل نقابة معلمي مدارس اللاجئين :**

من المعروف ان هذه النقابة واجهة علنية لحزبي الاخوان المسلمين والشيوعيين اللذين كانا يمارسان نشاطهما السياسي والتعبوي من خلالها . وقد ادت النقابة من خلال هيئتها الادارية دورا هاما في محاربة مشاريع التوطنين وفي انتفاضة مارس ، ولذا فقد شملتها الاجراءات القمعية واصدر الحاكم الاداري العام بشأنها القرار التالي :

مادة ١ : توقف اجراءات تسجيل نقابة معلمي مدارس اللاجئين .

مادة ٢ : تحل النقابة المذكورة فوراً .

مادة ٣ : يتولى حاكم اداري غزة اتخاذ اجراءات الحل والتحفظ على اموال هذه النقابة وموجوداتها وتصفية اعمالها وحصر صافي الاموال للتصرف في شأنها بقرار منا ، ويخول في سبيل القيام بمهمته جميع السلطات اللازمة لذلك (١٤) .

ولم يكن ممكنا التحايل على هذا القرار لانه كان معطوفا على قرار صادر في ١٥ نوفمبر ١٩٥٤ بمناسبة الغاء تصاريح عمل النوادي التي كانت تابعة للاحزاب الممنوعة ، حيث اعطى القرار المذكور الحاكم الاداري حق الغاء اي ناد « اذا كان قد انشيء بقصد احياء ناد اخر سبق اغلاقه او بقصد اتخاذه ستارا لذلك » (١٥) .

كما صدر قرار ثالث في التاريخ نفسه وعن الجهة نفسها يلغي حق الاضراب والتظاهر وقد وسعت احدى فقرات قرار سابق بحيث اصبحت كما يلي :

« التحريض على الاضراب او الاعتصام باي شكل او وسيلة او الحض على تقديم الشكايات الجماعية او الوقوف موقفا عدائيا من الهيئات المعترف بها في هذه المنطقة ، او العمل باي شكل او وسيلة على بث الدعوة للتظاهر او الاخلال بالامن او احداث شغب او استعمال العنف » .

المادة الثانية : يضاف للمادة (٢٠) فقرة جديدة بعد الفقرة الرابعة نصها كالاتي :

« يجوز للحاكم الاداري العام اغلاق النادي بقرار منه عند مخالفة احكام الفقرات الاولى والثانية والرابعة من المادة (٢٠) على ان يعين في هذه الحالة الجهة التي ستؤول اليها اموال النادي بعد تصفيتها (١٦) » .

**الموقف الجماهيري :**

برغم الاجراءات القمعية التي واجهت بها الادارة المصرية انتفاضة مارس ، بدءا بالاعتقال . مرورا بحل الجمعيات والنوادي ، انتهاء بالغاء حق التظاهر والاضراب ، اضافة الى حظر التجول ، برغم كل هذه الاجراءات فقد كان الموقف الجماهيري ملتفا حول اهداف

الانتفاضة ، ولم تستطع الحكومة المصرية ان تتراجع عن الالتزامات التي قطعتها على نفسها، وعلى عكس المرات السابقة حيث كانت الجماهير تتخذ موقفا سلبيا ولامباليـــا تجـاه الاعتقالات التي كانت تقوم بها الادارة المصرية تجاه قوى المعارضة ، حظي موضـــوع المعتقلين هذه المرة باهتمام وعطف كبيرين تمثل في المحاولات التي جرت لاطلاق ســراح المعتقلين • ولم تتحرج جهات عدة ، ومنها ما هو موظـــف رسمي لدى الحكومة المصرية ، ومنها ما هو من القيادات التقليدية ، من المطالبة بالافراج عن المعتقلين • وكانت تحـرص على زيارتهم والاعتناء بشؤونهم ، غير مبالية بالاجراءات التي يمكن ان تتخذهـا الادارة المصرية ضدهم • ويذكرنا هذا الوضع بالموقف أبان الاعتقالات في الخمسينات حيث لـم تشهد غزة اي تحرك للمطالبة بالافراج عن المعتقلين • وقد كان مقدرا لحركة المطالبـــة بالافراج عن السجناء السياسيين ان تصل الى حدود مواجهة جديدة بين اهالي القطاع وبين الادارة المصرية لولا طغيان ظروف سياسية جديدة ساهمت بتبديل الاساس السياسي للموقف المصري الامر الذي عكس نفسه على موقف جماهير غزة تجاه الادارة المصرية ، والمعنـــي بذلك سياسة مصر الدولية من ناحية واطلاقها لحرب الفدائيين من ناحية ثانية •

## التوتر يعود على الحدود ، والامم المتحدة تتحرك :

اثر غارة فبراير ارتفعت حرارة الحوادث على حدود غزة ونشطت الامم المتحـــدة لتخفيف التوتر •وقد سبق للامم المتحدة ان ادانت الهجوم الاسرائيلي على غزة في١٨فبراير ١٩٥٥ ، بالقرار رقم ١٠٦ الصادر عن مجلس الامن بتاريخ ٢٩ اذار ١٩٥٥ • يقول القـرار الذي اتخذ باجماع الاصوات ما يلي :

« ان مجلس الامن وقد استمع الى تقرير كبير مراقبي هيئة رقابة الهدنة التابعة للامم المتحدة في فلسطين والى تصريحات ادلى بها ممثلا مصر واسرائيل ، وقد لاحظ ان لجنـة الهدنة المشتركة المصرية ـ الاسرائيلية اعتبرت في ٦ اذار (مارس) ١٩٥٥ ان «هجومامدبرا ومخططا له امرت به السلطات الاسرائيلية » وقامت به قوات الجيش النظامية الاسرائيليـة ضد قوات الجيش النظامية المصرية في قطاع غزة يوم ٢٨ شباط ( فبراير ) ١٩٥٥ :

١ ـ يدين هذا الهجوم كانتهاك لنصوص وقف اطلاق النار الصادر عن قرار مجلس الامن رقم ٥٤ (١٩٤٨) وكعمل يتناقض مع التزامات الاطراف بموجب اتفاقية الهدنة العامـة بين مصر واسرائيل (٣١٤) وبموجب ميثاق الامم المتحدة •

٢ ـ يدعو اسرائيل مجددا ان تتخذ جميع الاجراءات الضرورية لمنع هذه الاعمـــال•

٣ ـ يعرب عن ايمانه بان المحافظة على اتفاقية الهدنة العامة يهددها قيام اي مـن الاطراف بانتهاك تلك الاتفاقية عمدا ، وانه من غير المستطاع تحقيق تقدم نحو عودة السلام الدائم في فلسطين الا اذا اذعنت الاطراف بصورة قطعية لالتزاماتها بموجب اتفاقية الهدنة العامة ونصوص قراره بوقف اطلاق النار رقم ٥٤ ( ١٩٤٨ ) » ( ١٧ ) •

وفي اليوم التالي ، اي بتاريخ ٣٠ آذار ١٩٥٥ اصدر مجلس الامن قرارا جديدا تحت رقم ١٠٧ يقول القرار : « ان مجلس الامن ، اذ يحيط علما بتلك الاجزاء من تقرير كبيـــر

مراقبي هيئة رقابة الهدنة التابعة للامم المتحدة في فلسطين ، التي تعالج الاوضاع العامة على خط الهدنة الفاصل بين مصر واسرائيل ٠

١ ـ يطلب الى كبير المراقبين ان يواصل مشاوراته مع حكومتي مصر واسرائيل بقصد اتخاذ اجراءات عملية لذلك الغرض ٠

٢ ـ يلاحظ أن كبير المراقبين قد تقدم فعلا ببعض الاقتراحات الملموسة في هذا الصدد٠

٣ ـ يدعو حكومتي مصر واسرائيل الى التعاون مع كبير المراقبين بشأن اقتراحاته، مع الاخذ بعين الاعتبار انه ، حسب رأي كبير المراقبين ، يمكن تقليص التسلل الى عمليات ازعاج متقطعة ،اذا ما تم الوصول الى اتفاق بين الطرفين على أساس الخطوط التي اقترحها٠

٤ ـ يطلب الى كبير المراقبين ان يبقى المجلس على علم بتقدم محادثاته » (١٨) ٠

قرار مجلس الامن هذا كان فاتحة نشاط محموم قام به كبير مراقبي هيئة رقابة الهدنة بين مصر واسرائيل بهدف التوصل الى اتفاق مشترك بينهما لـ « حل مشاكل الحدود والامن في قطاع غزة » ٠

واما الاقتراحات التي كان قد تقدم بها كبير مراقبي الهدنة واشار اليها قرار مجلس الامن رقم ١٠٧ لعام ١٩٥٥ فهي :

١ ـ دوريات حدود مشتركة على طول المناطق الحساسة للحدود المشتركة ٠

٢ ـ اتفاقية بشأن قيادة محلية ٠

٣ ـ حقل الغام على طول اقسام معينة من الحدود المشتركة ٠

٤ ـ دوريات ، ونقاط محددة تقاد من خلال وحدات اسرائيلية ومصرية نظامية،(١٩)٠

وقد اوضح الجنرال بيرنز اهداف مقترحاته الاربعة بقوله : « ان هدف الاقتراح الاول كان واضحا ٠ اذا كان المصريون والاسرائيليون يقومون بالحراسة بشكل مشترك على طول خط الهدنة،فان هذه الدوريات لن تكون عرضة لاطلاق الرصاص عليها من ايمن الجانبين، ولن تكون تحت تاثير فكرة الوقوع في الكمائن ٠٠»واما بشأن الاقتراح الثاني ، فيشير الجنرال بيرنز الى التجربة على الحدود الاردنية ـ الاسرائيلية و « كيف ان الفكرة وراء الاتفاقية كانت لحل مشاكل اجتياز الحدود العادية ، وتبادل السجناء الذين لم يرتكبوا اي جريمة سوى تجاوز حدود بشكل خطأ ٠ والى اخره من الحوادث التي يمكن ان تحل من خلال لقاءات القادة المحليين » ٠ ويعود لتفسير مقترحه هذا فيقول : « لقدبدت لي هذه الفكرة كحل عملي لمعالجة المشاكل الصغيرة بدون الاجراءات الشكلية والقانونية المفترض ان تقوم بها هيئة الهدنة المشتركة ٠٠ وهدف الاقتراح الثالث للتأكد من ان كلا الطرفين يريد وقف التسلل » ٠ واما عن هدف الاقتراح الرابع فيقول الجنرال بيرنز : « كان الاقتراح الاخير بأن تحرس كافة النقاط المشتركة والمخافر على كلا الجانبين من قبل قوات نظامية لان معرفة الاحتياطيين والحراس الاهليين بطبيعة الاشياء أقل من معرفة القوات النظامية ٠٠٠ ولانه

غالبا ما تكون القوات غير النظامية اكثر عداء تجاه الجانب الاخر ، وربما بسبب تأثيرات حوادث جرت في الفترات الماضية ، الامر الذي يجعلهم نحت رغبة دائمة في اطلاق الرصاص على العدو الذي يثير كراهيتهم · خاصة اذا ما اتيحت لهم فرصة طيبة ليفعلوا هذا بدون أن يكتشفوا من قبل ضابط اعلى » (٢٠) ·

ويشير كبير مراقبي الامم المتحدة الى انه ناقش هذه المقترحات مع كلا الجانبين ·· ولكنه لم يحرز الا نجاحا ضئيلا ·· ويشير الى انه « بالاضافة الى الحوادث على حدود قطاع غزة ، فقد اثرت سلبا على نجاح مقترحاته حادثة السفينة الاسرائيلية بيت جاليم التي احتجزها المصريون في قناة السويس وحادثة اكتشاف خلية تجسس وتخريب فيمصر عناصرها من اليهود ، حيث اعدم معظمهم » · (٢١) ·

أتت حوادث الحدود وفي رأسها حادثة ٢٨ فبراير لتدفع بالمقترحات التي تقدم بها الجنرال بيرنز دفعات واسعة الى الامام ،وفي المقابل نشطتاسرائيل لتوظيف قرارت الامم المتحدة ومقترحاتها في خدمة مخططاتها السياسية ، مستغلة الى ابعد مدى جو التوترالذي خلفته بعدوانها على غزة كوسيلة ضغط للوصول الى اتفاق مع مصر · ويقول الجنرال بيرنز في وصف الحالة على طول حدود غزة ـ اسرائيل في الفترة التي تلت عدوان ٢٨ فبراير ( شباط ) ١٩٥٥،«عندما عدت من نيويورك بعد اجتماع مجلس الامن الخاص بمناقشة حادث غزة السابق ، وجدت ان الوضع على حدود غزة في منتهى السوء وقد كتبت لمجلس الامن تقريرا عنه · فمنذ حوادث ٢٨ فبراير كان هناك كل يوم تقريبا تبادل اطلاق النار عبر خط الهدنة من قبل المصريين والاسرائيليين على السواء اضافة الى حوادث اجتياز للحدود من قبل زمر من الرجال المسلحين ·

ان هذه الحوادث معرضة للتزايد بدرجة خطيرة ·· واذا لم تمنع مصر عمليات أطلاق النار والعبور بحزم واسرائيل لم توقف عبور دورياتها المسلحة فان الوضع سيصبح اكثر سوءا ·· ويبدو لي ان المصريين في القيادة غير راغبين في المتاعب ، ولكن الصعوبة هي في العسكريين المصريين من ذوي الرتب الدنيا ، وكذلك الفلسطينيين الذين يشغلون الان مواقع على خط الهدنة ، هؤلاء لا يحترمون تلك الرغبات واعتقد انهم لن يترددوا باطلاق النار على اي اسرائيلي يعتقدون انهم قادرون على صيده » · (٢٢) ·

### اسرائيل تستغل الوضع لاحضار المصريين الى طاولة المفاوضات :

في ظل هذا الوضع المتفجر الذي صوره تقرير كبير مراقبي هيئة الامم المتحدة ، تقدمت اسرائيل بجملة اقتراحات ذات هدف مزدوج ، حل مشكلة الامن على حدود قطاع غزة وبالمقابل محاولة انجاز بعض الاهداف السياسية الهامة · ففي منتصف ابريل وتحت وطأة أحداث ٢٨ فبراير التأديبية وتحت وطأة معرفة القادة الاسرائيليين بأن « الجيش المصري حقيقة لم يكن بجاهز للصراع مع اسرائيل في معركة مكشوفة ، قدموا مقترحات لعقد مؤتمر على ( مستويات عليا ) بينهم وبين المصريين لمناقشة موضوع الامن في منطقة قطاع غزة · وسيكون السيد والتر اتيان من وزارة الخارجية الاسرائيلية هو ممثل اسرائيل ، اذا ما قام المصريون بتعيين شخص مقابل من المستوى نفسه » (٢٣) · وتتحدث المصادر الاسرائيلية عن الجانب العملي للاقتراحات الاسرائيلية فتقول : « ودارت مناقشات لاسابيع طويلة مع القاهرة عن طريق رئيس مراقبي الامم المتحدة بشأن طلب اسرائيل عقد اجتماع

على مستوى عال لتخفيف حدة التوتر واقرار الهدوء على الحدود ، وقد اقترحت اسرائيل وضع منطقة للامن على شكل شريط يزرع بالالغام عرضه ١٠٠ متر وتوضع الاسلاك على كلا جانبيه ، كما اقترحت اجتماعا للقادة واقامة اتصال تلفوني مباشر ، وقد أيدت الدول الغربية هذا الاقتراح مطالبة بعقد اجتماع على مستوى عال · وقامت بالضغط على مصر لكي توافق على هذه الخطة ، ولكنها ـ اي مصر ـ ظلت تتهرب عن طريق المناورات والمساومات المختلفة لمنع تسوية فعلية » (٢٤) وقد « تحدث سفير الولايات المتحدة الاميركية بالقاهرة الى الدكتور محمود فوزي وزير الخارجية المصرية ، ولم يبد الارتياح على الدكتور فوزي ولكنه ابقى الباب مفتوحا » (٢٥) · وقد قدر الجنرال بيرنز موقف المصريين بانه نابع من شكوك المصريين بان الاسرائيليين يريدونهم ( على نفس الطاولة ) وبعد ذلك يحولون المحادثات الى نقاش حول السلام الشامل » · وقد اكد الجنرال بيرنز شكوك المصريين هذه بقوله : « لقد كان عند الاسرائيليين فكرة ثابتة ، الا وهي انه اذا ما استطاعوا احضار المصريين او اي عرب الى الجلوس معهم فانهم يستطيعون ان يقودوهم باتجاه صناعة السلام (٢٦) » وقد رفض المصريون المقترحات الاسرائيلية ، وبالذات ما يتعلق بموضوع اجتماع على مستوى عال · وكان أن فشلت المقترحات التي قدمت ، ففي الوقت الذي كان كبير مراقبي الهدنة ، يسعى فيه لجمع الطرفين ، كانت وجهة النظر الاسرائيلية والمصرية تلتقي عند نقطة عدم الاكتراث لمثل هذه المقترحات ، « فالاسرائيليون لا يريدون الاجتماع بالمصريين الا اذا كانوا ممثلين على مستوى عال لان هذا الامر قد يقودهم باتجاه مناقشة موضوع السلام · والا فالاسرائيليون يفضلون الاستمرار بلعبة التهديد بالقوة ·· واما المصريون فقد ارادوا تجنب اظهار انفسهم في اعين غيرهم من الدول العربية بمظهر المتنازل امام اسرائيل » (٢٧) ·

وفي نهاية مايو وقع على الحدود « حادث خطير بدأ باطلاق النار من قبل المصريين على سيارة جيب اسرائيلية ·· وقد رد الاسرائيليون على النار ، وبدأ باطلاق النار على امتداد مساحة طويلة ، وقد قتل بهذه الحوادث جندي مصري وجرح أربعة ، واما على الجانب الاسرائيلي فقد قتل جندي واحد ومدني واحد ، وجرح ثمانية منهم اربعة جنود واربعة مدنيين ·· كما قصفت كيبوتسات عين هاشيلوشا ـ كيسوفيم وبزيم · وقد وقعت هذه الحوادث في وقت كانت فيه قوات مراقبي الهدنة في وضع يمكنهم من معرفة البادىء باطلاق النار · وقد كانوا متاكدين بان المصريين هم البادئون » ( ٢٨ ) ·

دور مصر من وجهة نظر اسرائيل ، جندي لحراسة حدودها :

في هذا الوقت كان وزير الخارجية الاسرائيلية يدلي بحديث صحفي لمجلة نيوزويك الاميركية يقول به : « ان مصر قد فقدت حقها في ادارة قطاع غزة لانها فشلت في تطبيق نصوص اتفاقية الهدنة (٢٩) » ·

ويشير كبير مراقبي الامم المتحدة الى ان « السيد والتر ايتان من وزارة الخارجية الاسرائيلية اقترح عليه ابان اجتماعه به خلال هذه الفترة ، السفر الى مصر وشرح أثر خطورة الوضع الحاضر لرئيس وزراء مصر·· وخلال نفس المقابلة قدم له ايتان تهديدا محددا بان اسرائيل سوف تستعمل القوات المسلحة فيما لو لم تتوقف اعمال الحدود في قطاع غزة (٣٠) » ·

وقد سافر الجنرال بيرنز الى القاهرة وقدم صورة عن الوضع للرئيس عبد الناصر وقدم له « اقتراحات لضبط الوضع بشكل افضل ، ومنها ، ابعاد العناصر التي لايعتمدعليها من بين القوات النظامية اوتجمعات المدنيين ،تعيين خطوط الهدنة ببراميل حيث يمكنرؤيتها من مسافات بعيدة ، تعيين مزيد من الضباط في المخافر الحدودية ، مزيد من التعاون مع قوات الهدنة »(٣١) وحسب ما اوردالجنرالبيرنزفقدكان رأي الرئيس عبد الناصر « تراجع المخافر والدوريات المسلحة لكلا الطرفين كيلومترا عن خط الهدنة ،ولكنه لا يستطيعانيصدر اوامر صريحة بهدف فرض اتجاهات تراجعية وسلبية على القوات في قطاع غزة ، لان مثل هذه الاوامر الموجهة الى رجال خارجين من غارة غزة سوف تحطم معنوياتهم » (٣٢) ٠

الاقتراح المدهش الذي قدمه الجانب المصري ، حسب وصف جان لاكوتير ، لم يكن اقتراحا بريئا ، بل كان يخفي « خدعة حربية » ، اذ يكون من جراء موافقة تل ابيب ـ على الاقتراح ـ اخلاء الاسرائيليين لعدد من مستعمرات الحدود ٠٠ (و) يكون باستطاعة الفدائيين عدم الالتزام بهذا الاتفاق » (٣٣) ٠

ويصف الجنرال بيرنز المرحلة التي تلت لقاءه بالرئيس عبد الناصر بقوله : « في الحقيقة ان الامور قد بدأت تتجه للاحسن من ذلك الوقت والى ثلاث شهور قادمة ٠٠انبعض الاوامر الحازمة قد صدرت الى القادة المحليين ، ولم تحدث اي حوادث خطيرة ٠ وبدأنا بترتيب مناقشة الاجراءات التي أقترحتها لتخفيف درجة التأزم » ٠ (٣٤) ٠

وبالفعل فقد ساد حدود قطاع غزة هدوء نسبي وتشددت الحكومة المصرية في مراقبة حوادث عبور الحدود واتخذت جملة اجراءات في رأسها قرار حظر التجول الذي اصدره الحاكم الاداري العام لقطاع غزة يقول القرار :

المادة الاولى : ممنوع التجول منعا باتا لاي شخص من المنطقة الواقعة تحت رقابة القوات المصرية بفلسطين فيما بين الساعة الثانية عشر مساء والساعة الرابعة صباحا مع مراعاة احكام المادة الثانية من هذا الامر ٠

المادة الثانية : ممنوع منعا باتا تواجد اي شخص ما بين مواقع القوات المسلحة شرقخط السكة الحديدوبين خط الهدنة من الساعةالسادسة مساء حتى الساعة السادسة صباحا ما عدا الطريق الرئيسي الموصل بين قريتي جباليا وبيت حانون الواقع شرق خط السكة الحديدية فيكون منع التواجد عليه من الساعة الخامسة مساء حتى الخامسة صباحا ٠

المادة الثالثة : يستثنى من احكام هذا الامر قوات الامن والجيش وكل من تصرح له السلطات المختصة بذلك (٣٥) ٠

وكما سبق لكبير مراقبي الامم المتحدة ان اشار ، فقد نشطت المحاولات بهدف الوصول الى اتفاق بين الطرفين ٠ وعاد الحديث عن مقترحات اسرائيل السابقة ووجهة النظر المصرية المعروفة ، « فقد اصر الاسرائيليون على موضوع التلفون المباشر بين القادة المحليين لمصر واسرائيل ٠ وكان موقف المصريين الرفض ٠ كما أن الاسرائيليين كانوا معنيين بان تتضمن الاتفاقية نصا يسمح باجتماع القادة المحليين للطرفين مباشرة بدون اي حضور من منظمة الامم المتحدة (٣٦) » ٠

وهنا يستطرد كبير مراقبي الهدنة قائلا : « ان السعي بقوة لتنظيم مفاوضات مباشرة حتى في الامور الاقل اهمية بدت وكأنها أصبحت سياسة ثابتة لاسرائيل تتابعها بقدر كبير من المثابرة ·· كما اصر الاسرائيليون على موضوع التلفون المباشر بين القادة المحليين ·· وكان موقف المصريين الرفض (٣٧) » ·

وبهذه الطريقةكان المصريون يقطعون الطريق على محاولات الاسرائيليين جر موضوع الامن في حدود قطاع غزة كي يصبح مدخلاً لمناقشة امور ذات طابع سياسي ·

لقد تداخلت قضايا الحدود بقضايا اوسع من ذلك بكثير · فاسرائيل لم تكن معنية بموضوع الامن فقط ، ففي ذلك الحين كانت انتخابات الكنيست قد جرت · ورئيس الحكومة الجديد كان قد وعد ناخبيه « ان مصر تقلق حرية الملاحة في البحر الاحمر ويجب ان توقف هذا الاجراء الذي يتضمن حربا معلنة من جانب واحد ، ان المفاوضات يجب ان تتبع اولا مع المصريين ·· واذا فشلت فان القوة سوف تستعمل » (٣٨) ·

اوضح تصريح بن غوريون بجلاء ان القضية في ذهن الاسرائيليين هي ابعد منقضية الامن على حدود غزة · كما ان المصريين من ناحيتهم كانوا يحاولون كسب الوقت ، يتسلحون ، ويوثقون علاقاتهم الدولية · واستمرت جهود قوات الطوارىء بهدف بعث الحياة في مقترحاته التي كان قد تقدم بها سابقا · وبدلا من ان تحرز جهوده اي نجاح بدات كلمة فدائيين تدخل القاموس السياسي في قطاع غزة ، ويقول عن هذه المسألة « بدأنا ترتيبات لندفع بالمحادثات باتجاه الامام ، ولكن قبل ان تدخل الى حيز التنفيذ سمعنا لاول مرة تعبير ( فدائيين ) العائدة للفلسطينيين الذين كانوا يرسلون الى اسرائيل لمهاجمة المدنيين وتخريب المنشآت » (٣٩) ·

وبهذا انتهت مرحلة المخاض ·· وسياسة كسب الوقت التي بدأت منذ غارة ٢٨ شباط ( فبراير ) ١٩٥٥ وبدأ الرد بحرب الفدائيين ·

●

**حرب الفدائيين :**

من المحطات البارزة في تاريخ قطاع غزة تجربة العمل الفدائي التي امتدت بين الربع الاخير من عام ١٩٥٥ الى حرب السويس في ١٩٥٦ · وقد اتت تلك التجربة لتشكل اندفاعة جديدة في مستوى الصراع مع العدو الصهيوني ، كنتيجة طبيعية لتطورات الامور على جبهة غزة ، والتي كانت مسرحا للممارسة العملية للصراع العربي ـ الصهيوني · برغم انالمشكلة كانت اكبر من ذلك بكثير · فعلى البقعة الجغرافية المسماة غزة ، مورست سياسة عض الاصابع المتبادل بين العرب واسرائيل · كي يصرخ احد الطرفين اولا وبالتالي يستجيب لمطالب الفريق الاخر · ومما لا شك فيه ان اسرائيل قد توسعت في ممارسة هذه السياسة تحت وطأة رغبتها المحمومة بدفع العرب للاستجابة الى طلباتها السياسية التي طالما غطيت بطلبات امنية تعززها العمليات العسكرية على الحدود ، الهادفة لابقاء الجبهة السياسية ساخنة · وقد كانت مراهنات اسرائيل تقوم دائما على ان العرب ضعفاء عسكريا وفي النهاية لا بد وان يرضخوا · ومعتزايدالاعتداءات العسكرية وبالتالي الصفعات السياسية، كان الخيار امام العرب يتحدد اكثر فاكثر ، بعد ان اسقط نهائيا الخيار الثالث ، الا وهو

( تأجيل ) الموضوع · كان الضغط الدائم لاسرائيل يضع العرب امام خيار المجابهة العسكرية او الاستسلام لشروط اسرائيل السياسية والتي كانت تبدأ بالمفاوضات المباشرة انتهاء بالمرور في قناة السويس ومضايق تيران لفتح خليج العقبة امام الملاحة الاسرائيلية · ويعبر عن هذه السياسةخير تعبير تصريح موشي شاريت في ٢ ـ ٣ ـ ١٩٥٥ عن«ان العرب امام خيارين ، اما مخاطر الوضع القائم ، واما التقدم نحو السلام » (٤٠) ·

وفي هذا الوضع اخذت غزة حجما بحجم القضية برمتها ، وكانت ساحة الصدام باعتبارها تشكل الحدود المشتركة بين مصر واسرائيل وعلى ارضها كانت تمارس سياسة عض الاصابع ·· اسرائيل طيلة الفترة بين ١٩٤٩ ـ ١٩٥٥ كانت تعتدي بهدف انتزاع مكاسب سياسية ، والعرب بدورهم يردون العدوان لاجهاض اهداف العدو ولاثبات ان سياسة التلويح بالقوة ليست حكرا على طرف وحده ، وبهذا كانت غزة تحمل وزر القضية برمتها ·

**حرب الفدائيين : المقدمات :**

حرب الفدائيين التي بلغت ذروتها خلال الفترة بين شهر ايلول سنة ١٩٥٥ وعدوان ١٩٥٦ ، بدأت قبل ذلك بكثير ، وان كانت كلمة (فدائيين) قد دخلت القاموس السياسي لقطاع غزة خلال تلك الفترة فقط · فعبور الحدود باتجاه الارض المحتلة لم ينقطع منذ هزيمة ١٩٤٨ ، وتجربة ٥٥/٥٦ لم تكن سوى الذروة فقط · ولم يكن ممكنا لهذه التجربة ان تبلغ المستوى الذي بلغته لولا مقدماتها الطويلة · فهنالك المؤثرات العامة لحرب ١٩٤٨ ولتجربة الفدائيين المصريين في قناة السويس خلال العام ١٩٥١/١٩٥٢ وما ترتب على هاتين التجربتين من رواج لمفاهيم سياسية تدعو لشن حرب عصابات كوسيلة لمجابهة العدو الاسرائيلي · ونموذجها وجهة النظر القائلة بان كل تأخير في مكافحة اليهود يكون في مصلحتهم ويتيح لهم الفرص لمواصلة الاعداد ، ويدفعهم للتوسع على حساب العرب · واذن فلا بد من وسيلة يكون من شأنها عرقلة الاستعداد اليهودي وتعطيل حركة الانشاء القائمة في اسرائيل ·· ولن يتأتى ذلك الا بوسيلتين تسيران جنبا الى جنب · وهما الحصار الاقتصادي وحرب العصابات (٤١) ، علما بأن هذه ليست وجهة نظر فردية بقدر ما هي وجهة نظر حزبية تمثل حزبا له امتداداته الجماهيرية ·

كما ان عمليات العبور الفردية باتجاه الارض المحتلة من قطاع غزةلمتنقطع منذ النكبة · ويصف صبحي ياسين هذه البدايات بقوله :

« وبعد النكبة باشهر بدأ الغزو الفردي للارض المحتلة ، مجاهد جائع يحمل قطعة سلاح ، ويدخل الى قريته يستعيد بقرة من ابقاره او شاة من اغنامه· مجاهد اخر يقتل يهوديا ، ويستولي على سلاحه ، ومجاهد ثالث يسترجع امواله المدفونة تحت التراب في حوش بيته السليب · مجموعة من المجاهدين تستولي على قطيع ماشية للعدو وتسوقه الى الاراضي العربية لتشبع اللاجئين لحما طريا · مجموعة من المجاهدين تهاجم مخفرا للعدو وتستولي على نقود اليهود واسلحتهم ··· الخ · وبذلك اخذت تتكشف اسطورة اسرائيل الوهمية ، وصار الناس في جلسات سرية خاصة يتحدثون عن بطولات المجاهدين الذين يجتازون الحدود ، ويسلبون ويقتلون ويعودون

بالغنائم (٤٢)·

وبرغم عدم وضوح الافق السياسي لعمليات الغزو الفردي هذه ، الا انها كانت متداخلة الى ابعد الحدود مع المشكلة الاقتصادية والاجتماعية التي كان يعانيها القطاع · خصوصا وان الخلفية السياسية للوضعية الاقتصادية لم تكن صعبة الادراك على اي مواطن بسيط · « وارضهم هناك على مرمى البصر فاللاجئون يستطيعون النظر باتجاه الشرق ويرون الحقول الفسيحة والتي كانت يوما ما ارضا عربية ، وبرغم اتساعها تحرث من قبل عدد قليل من اليهود ، وهنالك حزام من الكيبوتسات تحرس المرتفعات والمنطقة المحيطة ·· وليس بالامر الغريب انهم ـ اي اللاجئون ـ ينظرون بحقد لاولئك الذين طردوهم » (٤٣) · والامر الذي كان يجعل من عمليات التسلل امرا سهلا، هو المعرفة الدقيقة بطبيعة الارض ، اضافة الى ضعف الحراسة باعتبار ان دولة العدو لم تكن قد نظمت امورها بالشكل الكافي بعد ، ولذا فقد شهدت الحدود خلال هذه الفترة حوادث تسلل يومية ، ولم يفلح في منعها تشدد السلطات المصرية بمنع التسلل ، برغم انها كانت تلقي تهمة التجسس على كل من يعبر الحدود ، وقد اشار لهذه المسألة بيان صادر عن الهيئة العربية العليا بعد الحملة التي شنتها مجلة المصور القاهرية على الوضع في قطاع غزة · فقد ورد في البيان ما يلي : « ان بعض الصحف والمجلات قد التبست عليها حقيقة امر بعض الاشخاص الذين يتسللون من قطاع غزة ، فاعتبرتهم من الجواسيس ، مع ان هؤلاء ليسوا جواسيس لكنهم مغامرون ممن يضيق بهم سبل العيش في القطاع المذكور فيحاولون التسلل لكسب القوت وسعيا وراء الرزق » ( ٤٤ ) · وكثيرا ما كان لاجئو غزة يعبرون الاراضي المحتلة باتجاه الضفة الغربية والعودة للقطاع عن نفس الطريق · وكثيرا ما دفع المتسللون للارض المحتلة حياتهم للقمة العيش التي كانوا يحاولون الحصول عليها · ولم تشهد الحدود عمليات عسكرية الا ما كان يحدث عرضا على هامش محاولة المتسللين تحقيق غرضهم من التسلل ·

ان عدم وضوح الافق السياسي لعمليات العبور هذه ، لا يلغي الدلالات السياسية لعملية العبور بحد ذاتها ، فالارض المحتلة كانت وحدها هي الهدف الذي يتوجه اليها المتسللون ، وليس اي مكان اخر ، اذ تحدث عمليات نهب داخل القطاع بل كانت موجهة كلها الى المناطق المحتلة ·

وبعد قيام الثورة المصرية بدأت عمليات التسلل للارض المحتلة تأخذ طابعا اكثر تنظيما واختلف نوعا ما المغرض من التسلل · وبدأ بتوظيف عمليات التسلل لغرض الاستطلاع وجمع المعلومات عن العدو الاسرائيلي ، وفي هذا الصدد نشير الى ما اورده مصدر اسرائيلي عن « توغل جماعة مسلحة تابعة لمؤسسة حكومية الى القرب من مستعمرة ريشون لتسيون بسبعين كيلومترا او اكثر من قطاع غزة واخرجت وثائق رسمية هامة (٤٥) » ، كما يشير في مكان اخر « الى اصطدام عصابة عند عودتها الى قاعدتها في قطاع غزة بدورية اسرائيلية فقتلت احد افراد العصابة وقد وجدت في جيبه تقارير عن حركة مرور عربات النقل الاسرائيلية في طريق الجنوب » (٤٦) ·

كما اشار قائد قوات الطوارىء الدولية ايضا الى ان « الادارة المصرية في قطاع غزة قد نظمت بعض الوحدات التي اسمتها الجيش الفلسطيني وبعضها مقاد من قبل

ضباط مصريين ·· والاخرون دربوا بهدف القيام باعمال الجاسوسية داخل اسرائيل· فهم يعرفون البلد او بعض مناطق منها · لانها كانت ارضهم · ولذا فقد كان بامكانهم التسلل ·· واحضار المعلومات ·· ولدى قيادة قوات مراقبي الهدنة معلومات دقيقة مؤكدة عن نوع المعلومات التي تقدم الى المصريين بواسطة هؤلاء · الذين كانوا يكلفوا بالذهاب الى المناطق المحتلة وملاحظة حركة السير على طرق معينة · ويسجلون حركة المركبات التي تمر عليها وقد اسر من قبل الاسرائيليين كثير من الجواسيس المبتدئين مع قوائمهم (٤٧) » وقد اكد الرئيس عبدالناصر حديث بيرنز بقوله : « الفدائيون تنظيم قديم منذ حرب ١٩٤٨ ولكنهم لم يكونوا فدائيين حينذاك ، كانوا فلسطينيين نظموا للحصول على المعلومات ، وليس للقتال ، وكانوا باعداد قليلة (٤٨) »·

هذه العمليات كانت تجري في الوقت الذي استمرت فيه عمليات التسلل العادية وان كان بدرجة اقل ، بسبب ملاحقة السلطات المصرية للمتسللين ، وكذلك نتيجة لتحسن وسائل المراقبة لدى العدو ، اضافة الى تبدل نسبي في الوضع الاقتصادي جعل من المجازفة بالنفس ثمنا باهظا للحصول على لقمة العيش ·

هذه هي مقدمات حرب الفدائيين مضافا اليها الظروف السياسية التي استجدت والتي سبق لنا الاشارة اليها وبالذات بعد غارة غزة والشهور التي تلتها حيث كانت بداية لحوادث حدود متقطعة تمثلت بغارات متبادلة كان يقوم بها الجنود النظاميون لكلا الطرفين ، والتي مهدت الجو اكثر فاكثر لانطلاق حرب الفدائيين والتبني الرسمي لعملهم · وقد اشار الرئيس عبدالناصر الى قرار السلطات المصرية باعلان حرب الفدائيين والاعداد لها بقوله : « بعد غارة غزة كان لدينا لقاء وقررنا زيادة عدد الفدائيين ·· وطبقا للظروف التي تمت فيها الغارة ·· استقر رأينا على ان احسن وسيلة لمجابهة اسرائيل هي ان يكون لدينا فدائيون منظمون على اساس الوحدات الصغيرة »(٤٩) ولم يشر الرئيس عبد الناصر الى تاريخ القرار او عدد الفدائيين ، ولكن موشي ديان « معتمدا على تقارير المخابرات الاسرائيلية اشار الى ان القرار قد اتخذ في ابريل ١٩٥٥ اي بعد مرور شهر على غارة غزة ·· و ·· ان الفدائيين لم يبدأوا العمل الفعلي حتى ٢٥ اغسطس ١٩٥٥ » · ( ٥٠)

تبني السلطات المصرية رسميا لنشاط الفدائيين كان تبنيا لشيء موجود وقائم · فقد افرزت التجربة مجموعة من العناصر المعروفة المدربة ، والشجاعة والتي تعرف الارض المحتلة وما طرأ عليها من تبدلات بعد الاحتلال واماكن المستعمرات ومواقع الحراسة ·· الامر الذي جعل التجربة تبدأ من مراحل متقدمة نسبيا ، وتقترن بنتائج واسعة وفورية ·

لقد اوكلت السلطات المصرية امر تنظيم الفدائيين في قطاع غزة الى المقدم مصطفى حافظ احد ضباط المخابرات المصرية الذي كان يعمل منذ فترة في قطاع غزة ، وثمة اجماع على ان هذا الضابط قد قام بمهمته ، في حدود صلاحياته ، والسياسة المرسومة له ، خير قيام · فقد قام بتجميع العناصر الصالحة للمهمة المطلوبة واخرج من المعتقلات كافة العناصر التي كانت متهمة بالتسلل للاراضي المحتلة ، وبحكم مسؤوليته الرسمية ، وفر حلولا لمشاكلها الخاصة ، وفرغها كليا لمهمتها الجديدة · ولا يوجد رقم دقيق لعدد الرجال الذين كانوا يعملون تحت امرة مصطفى حافظ ، ولكن ثمة رقم

تقريبي متداول الا وهو حوالي الف فدائي ، ويقدر موشي دايان عددهم بـ٧٠٠ فدائي (٥١)٠

وقد قامت السلطات المصرية خلال هذه الفترة بالاستجابة العملية للمطلب الجماهيري الدائم في قطاع غزة ، واعلنت عن فتح باب التطوع في الكتائب الفلسطينية ، ومن ملاحظة الشروط التي طلب توفرها في المتطوعين يلاحظ ان الهدف من وراء تشكيل هذه الكتائب كان رفد العمل الفدائي بالاشخاص القادرين ٠ ومن هذه الشروط :

١ ـ يفضل من لهم دراية بالاراضي والمسالك الفلسطينية ٠ ٢ ـ يفضل من لهم خدمة عسكرية سابقة ٠ ٣ ـ الملمون بالقراءة والكتابة او باحدى الصناعات او الملمون باحدى اللغات وخاصة العبرية (٥٢) ٠

وبهذا القرار كانت الادارة المصرية تلبي رغبة جماهيرية في قطاع غزة تدعو لانشاء جيش تحرير فلسطيني ، وقد سبق أن قدمت مذكرة للسلطات المصرية بهذا الشأن ٠ هذا وقد وضعت الادارة المصرية هذا القرار موضع التطبيق العملي ، وكان للمتطوعين دورهم في حرب ١٩٥٦ ، وفي مراحل لاحقة وبعد قيام منظمة التحرير الفلسطينية كانوا عماد جيش التحرير الفلسطيني في قطاع غزة ٠

وبالاضافة لهذا فقد صدرت عدة قرارات وقوانين عن الحاكم الاداري العام لقطاع غزة وتحسبا لردة فعل العدو ، صدر (قانون الدفاع الجوي السلبي والمدني ) والذي نستطيع اعتباره الوجه ( الدفاعي ) للقانون السابق وقد حددت اهداف القانون المذكور بـ :

أ ـ وقاية المدنيين والمرافق العامة والمنشات ذات المنفعة العامة والمنشات الصناعية العمومية ، ويقوم باعداد المشروعات الخاصة باعمال الدفاع المدني وتدبير المهمات والادوات اللازمة لهذه الاعمال ودراسة احدث وسائلها ونشر تعاليمها بين الجمهور وبحث التعويضات عن حوادث الغارات واعمال التخريب ٠

ب ) مناقشة المسائل التالية ووضعها موضع التنفيذ :

١ ـ المراقبة والانذار ٠ ٢ ـ وسائل الوقاية ٠ ٣ ـ الهجرة واخلاء المدن ٠
٤ ـ تنظيم وسائل اطفاء الحريق وازالة القنابل ٠ ٥ ـ الاسعاف والخدمات الطبية ٠
٦ ـ الانقاذ وازالة الانقاض ٠ ٧ ـ تأمين المرافق العامة وصيانتها ٠ ٨ ـ تعليم المدنيين وسائل الدفاع المدني وتمرينهم عليها (٥٣) ٠

وفي وقت لاحق صدر قانون الحرس الاهلي الفلسطيني ونص القرار :

« تؤلف في المنطقة الواقعة تحت رقابة القوات المصرية بفلسطين قوة تعرف بقوة الحرس الاهلي الفلسطيني تكون مهمتها الحراسة ليلا لمعسكرات اللاجئين المواجهة لخطوط الهدنة ضد اي عدوان يهودي والقيام بأية اعمال اخرى تكلف بها من قبل السلطات المختصة (٥٤) » ٠

## النشاط العملي للفدائيين

يقسم صبحي ياسين عمل الفدائيين في هذه المرحلة الى الموجات الكبيرة التالية :

الاولى بين ٢٩-٨- و٥-٩-١٩٥٥ والثانية بين ٦-٤ و١٢-٤-١٩٥٦ · والثالثة طوال شهر نوفمبر سنة ١٩٥٦ · ويعدد بعد ذلك عمليات الفدائيين فاذا بها تتجه لضرب « الاهداف التي تؤثر على العدو من النواحي المعنوية والاقتصادية والعسكرية » · وتتسع لضرب سيارات نقل عسكرية وقتل ركابها ، وزرع الغام ارضية ، ومهاجمة مستعمرات وثكنات عسكرية ، وتتوغل احيانا لتضرب سيارة عسكرية على بعد حوالي اربعين ميلا في قلب الارض المحتلة ، وفي بعض الاحيان كانت تقوم اكثر من مجموعة فدائية بأمرة قائد واحد لعملياتها داخل الارض المحتلة · وعملياتها كانت تشمل نسف محطة الاتصال اللاسلكي بين اسرائيل والخارج ومحطات المياه والكهرباء وزرع الطرقات بالالغام ، وقد كانت ساحة عمليات الموجة الاولى ٩٠ ميلا مربعا · واكبر مجموعة فدائية دخلت الارض المحتلة في يوم واحد بلغ عددها ٣٠٠ فدائي ، وكانت تلك الموجة في اعقاب قصف اسرائيل لمستشفى مدينة غزة بالمدفعية الثقيلة في ١٥ ابريل سنة ١٩٥٦ · (٥٥) ·

## عمليات الفدائيين من وجهة نظر اسرائيل

معظم العمليات التي اشار اليها صبحي ياسين اعترفت بها اسرائيل مضافا لذلك حوادث اطلاق النار المتبادلة بين العدو الاسرائيلي وبين القوات النظامية العربية المرتكزة خلف الحدود · ويقول عنها كتاب حروب اسرائيل والذي يحتوي ملفا كاملا للحوادث التي وقعت ، « قام العرب بتشكيل عصابات من السفاحين الانتحاريين اطلقوا عليها اسم الفدائيين وارسلوها الى داخل اسرائيل ، فكان عدد ضحايا حرب العصابات كبيرا ، ولم يقتصر مسرح اعمال هذه العصابات على الاراضي الصحراوية والمقفرة ، فلم تكن عملياتهم قاصرة على النقب وعربة ، ولكنها امتدت الى داخل اسرائيل ، فاغاروا على السكان اعتداء وتجريحا وقتلا ، كما قاموا باعمال السلب والتخريب » (٥٦) · وقد وصفهم بمكان اخر فقال : « كانوا يتسللون داخل المستعمرات الاسرائيلية للقتل والتخريب والتدمير والاستيلاء على كل ما تقع عليه ايديهم » ·

وقد اكدت تقارير الامم المتحدة الحوادث التي قام بها الفدائيون كما وردت على لسان المصادر العربية والاسرائيلية ، سواء من ناحية عدد العمليات او طبيعتها او العمق الذي وصل اليه الفدائيون · فقد اشار الجنرال بيرنز الى « ان الاسرائيليين قد عددوا ١٨٠ عملية (اعتداء) ضد اسرائيل خلال الثلاثة شهور بين ٥ ديسمبر ومارس» (٥٨) ، وفي مكان اخر يشير الى انه « في حوالي الساعة العاشرة من ليل ٧ ابريل بدأ وصول الرسائل التي تفيد بشأن الحوادث التي وقعت خلال ذلك اليوم ضد المركبات على طريق بئر السبع - تل ابيب · وفي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل كانت قد وصلت تقارير بسبعة حوادث ، تشمل حوادث القاء قنابل ونسف · وبدا واضحا ان عمليات الفدائيين قد بدأت على نطاق واسع» (٥٩) وعن العمق الذي وصل اليه الفدائيون يقول

الجنرال بيرنز عن عملية « ليست بعيدة عن مستعمرة ريشون لتسيون وتبعد مسافة ٤٧ كلم عن الحدود ، وتبعد حوالي ١٥ كلم فقط عن مدينة تل ابيب » كما يشير الى عملية اخرى «وقعت قرب مستعمرة رخبوت التي تبعد ٤٣ كلم عن خط الهدنة» (٦٠) • كما يشير الى نمط العمليات فاذا بها تتسع لـ « تفجير مركبات اسرائيلية ، هجمات ليلية ضد المركبات العسكرية والمدنية الاسرائيلية ، تفجير المنشآت المائية ، وبرج اذاعي ،اضافة لهجمات ضد المدنيين» (٦١) • ويقدم بيرنز تفسيرا من عنده للقسوة التي كانت تتميز بها ضربات الفدائيين • وخصوصا تلك الضربات التي كانت تتم مباشرة بعد ضرب اسرائيل للمدنيين كحادثة قصف مستشفى غزة وقتل وجرح حوالي مائة شخص معظمهم من المرضى • يقول بيرنز « ان بعض الفدائيين عرفوا بوصفهم قاطعي رقاب وفي الغالب ان هذا القول صحيح ، لان معظم الفلسطينيين العرب يحملون حسا دقيقا بعدم العدالة والظلم الذي عانوه على يد الاسرائيليين» (٦٢) • وعن مستوى تدريبهم يعترف بيرنز بتقرير له قائلا « ان عدد وطبيعة حوادث العنف التي جرت في المنطقة الاسرائيلية تشير الى انها من فعل اشخاص منظمين وحسني الاعداد والتدريب•» (٦٣)

يتضح اثر نشاط الفدائيين من حجم ردود الفعل الاسرائيلية سواء من ناحية غاراتها الوحشية التي شنتها ضد قطاع غزة ، او عدد الشكاوى التي قدمتها الى هيئة مراقبة الهدنة ، والحملة الاعلامية التي كانت تشنها ، لدرجة ان اعمال الفدائيين قد « اصبحت المادة الرئيسية لاجهزة الاعلام الاسرائيلية» (٦٤) •

وبرغم تحفظنا الشديد على الارقام التي تعلنها اسرائيل كعدد لقتلاها ، يمكننا الاستدلال على اثر حوادث الحدود ، وفي رأسها غارات الفدائيين على اسرائيل ، من خلال مقارنة قتلى اسرائيل نتيجة لهذه الحوادث قياسا بقتلاها في حروبها الثلاث والفترات الفاصلة بينها • فقد اورد كتاب حروب اسرائيل الارقام التالية عن خسائر الجيش الاسرائيلي :

| | |
|---|---|
| ١ ـ حرب الاستقلال ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩ | ٤٨٧ر٤ |
| ٢ ـ منذ توقيع معاهدات وقف اطلاق النار في مارس | |
| ١٩٤٩ حتى حملة قودش ( حرب ) ١٩٥٦ | ١٧٦ر١ |
| ٣ ـ حملة قودش ( اكتوبر ١٩٥٦ ) | ١٩١ |
| ٤ ـ من حملة قودش حتى حرب الايام الستة | ٧٩٥ |
| ٥ ـ حرب الايام الستة ٥ ـ ١٠ يونيه ١٩٦٧ | ٧٩٥ |
| ٦ ـ من حرب الايام الستة حتى ٣ـ٥ـ١٩٦٩ | ٣٨٢ |

خسائر اسرائيل نتيجة لحرب الفدائيين شملت الجانب الاقتصادي ايضا سواء تلك

الناتجة عن التخريب المباشر للمؤسسات والمرافق الاقتصادية ، او الناتجة عن التخريب غير المباشر ، والذي هو نتاج طبيعي لتزايد الاعباء الامنية ، فاسرائيل « كانت تستطيع الخروج الى ميدان الاستقلال الاقتصادي ، لولا العبء الثقيل في نفقات الدفاع» (٦٦) ٠ خصوصا ان اسرائيل كانت تعيش خلال تلك الفترة وضعا اقتصاديا دقيقا للغاية وكانت تحاول المستحيل لتوفير الظروف المناسبة لتنمية اقتصادها لمواجهة اعباء ومتطلبات المهاجرين الجدد ٠

ان اثر ضربات الفدائيين في العمق لم يقتصر على جسم المؤسسة العسكرية ، بل تعداه الى جسم المجتمع ككل ٠ فقد كان برنامجها لتعمير صحراء النقب مهددا بالشلل ، وقد عبر عنه خطاب بن غوريون في بئر السبع يوم ٩ يوليو ١٩٥٥ حينما قال بضرورة « احضار الماء والشباب من الشمال الى النقب » (٦٧ ) ٠ وبقدر ما كانت هذه المسالة تعكس موقفا رسميا لبن غوريون ، فانها تعكس موقفا شخصيا لبن غوريون الذي استوطن مستعمرة سدى بوكر في النقب طيلة اعتزاله الحياة السياسية في الخمسينات٠ والنقب الذي دعا بن غوريون لاستيطانه كان من اكثر المناطق التي كانت تتعرض اصبحت خطرا على سياسة الاستيطان ايضا ٠ ولذا لم يكن غريبا ان تحتل قضية بجلب الشباب من الشمال الى النقب ، ولهذا لم تعد غارات الفدائيين خطرا امنيا ، بل اصبحت خطرا على سياسة الاستيطان ايضا ٠ ولذا لم يكن غريبا ان تحتل قضية الفدائيين الحجم الذي احتلته ، واضحى المطلب الاسرائيلي بايقافها قاسما مشتركا في كل المقترحات التي تقدمت بها او سعت لتحقيقها ، وكانت توضع جنبا الى جنب مع مطلبها الملح في تلك الفترة كي تمر سفنها بقناة السويس وان تفتح مضايق تيران امام ملاحتها البحرية ، ويتضح جليا اثر غارات الفدائيين في ذهنية الاسرائيليين من ملاحظة « شبح الفدائي الذي كان يلاحق الجنود الاسرائيليين ابان احتلال قطاع غزة في العام ١٩٥٦ ، وهاجس الفدائيين الذي يلاحق الاسرائيليين ، عند مناقشة مستقبل قطاع غزة بعد انسحاب القوات الاسرائيلية منه» ٠٠ وسوف نناقش هذه المسالة تفصيليا في وقت لاحق ٠٠

**ردود الفعل الاسرائيلية :**

خلال الفترة بين نهاية شهر اغسطس ١٩٥٥ وتاريخ العدوان الثلاثي على مصر وقطاع غزة ، وهي الفترة التي نشط بها الفدائيون الفلسطينيون ، توتر الوضع على الحدود كما تنوعت ردود الفعل الاسرائيلية بحيث شملت مجالات عدة ٠ ولا جدال في دور عمليات الفدائيين في تصعيد درجة التوتر وردود الفعل ، ولكن لا يجوز على الاطلاق تحميل عمليات الفدائيين مسؤولية هذا التوتر بشكل كامل ٠ فمواقف اسرائيل لا تحدد في ضوء منطق الفعل ورد الفعل ، بل تقوم على منطق التلويح بالقوة وممارستها اذا لزم الامر لتحقيق اغراضها السياسية ، وقد سبق لنا الاشارة الى المحرك الحقيقي لغارة اسرائيل على مواقع داخل مدينة غزة في ٢٨ فبراير ١٩٥٥ ، وعلى مواقع في مدينة خان يونس في ٣١ ايار ( مايو ) ١٩٥٥ ، حيث اسفرت تلك الغارة عن استشهاد اثنين وعشرين وجرح عشرين اخرين ( ٦٨ ) ٠ وقد كان واضحا كل الوضوح ان هاتين

الغارتين هما بالدرجة الاساسية غارتان سياسيتان مرتبطتان بظروف سياسية محـــددة سبق لنا شرحها ، تلك الظروف التي كانت منفصلة تماما عن مشاكل قطاع غزة ،خصوصا وان حوادث الحدود التي كانت تقع ، هي دون الحجم الذي بلغته غارتا اسرائيل علـــى غزة وخان يونس ٠

وبرغم استظلال اسرائيل بمبررات هنا وهناك لتغطية عدوانها ، لكن هذا الاستظـلال لا يلغي الخلفية الحقيقية لعدوان اسرائيل كوسيلة ضغط وابتزاز سياسي لدفع الطـرف العربي للاستسلام للشروط السياسية الاسرائيلية ٠

ان ما تقدم هو بهدف توضيح المعنى المجازي لكلمة ردود فعل ، لان الترابط الزمنـي بين حوادث معينة لا يعني بالضرورة ان العلاقة بينهما هي علاقة السبب بالنتيجـــة ، باعتبار ان المحرك لموقف اسرائيل هو اكثر اتساعا من حوادث الحدود التي كانت تقع، برغم الطريقة البارعة التي استغلت بها اسرائيل حوادث الحدود هذه واتخاذها ذريعـــة لممارسة لعبتها المفضلة ، لعبة القوة ٠

نشاطات اسرائيل خلال هذه الفترة اخذت ثلاثة اتجاهات ، عسـكرية ، سياسيـة واعلامية ٠

### النشاط العسكري الاسرائيلي :

تصاعدت النشاطات العدوانية العادية لاسرائيل على طول حدود غزة وفي المنطقـة المجردة من السلاح خلال هذه الفترة ٠ واضافة لهذا شهد قطاع غزة هجومين اسرائيليين واسعين ، ضد مدينة خان يونس ومدينة غزة ٠ وخلال ليلة ٣١ اغسطس تقدمت وحـدة اسرائيلية خفيفة محمولة بسيارات نصف الية الى حوالي ستة كيلومترات داخل منطقة غزة ووصلت الى مركز البوليس في خان يونس وهناك فتحوا نارا كثيفة من البنـــادق الالية ومدافع المورتر على ابواب وشبابيك الموقع ، وبعد ذلك شقت طريقها الى الطابـق الارضي حيث فجرت معظم المبنى بعبوات ناسفة قوية دافنة تحت الانقاض عددا لا بأســ به من الحامية ٠ وقد مرت القوة الاسرائيلية المهاجمة عبر قريةبني سهيلا ،ولمنع المواطنين من الاشتباك معهم ، بدأوا باطلاق النار من الاسلحة الالية ذات اليمين وذات اليسار ولكن لم يقع اكثر من جريح واحد او اثنين ٠ كما ان النقطة الدفاعية المصرية بالقرب مـــن عبسان ، وهي قرية مجاورة ، هوجمـ تفي نفس الوقت من قبل الاسرائيليين وذلك تغطيـة للهجوم الرئيسي ٠ وقد افادت تقارير المصريين عن سقوط ستة وثلاثين قتيلا ، وثـلاثين جريحا من الجنود ورجال البوليس والمدنيين ٠ وقد واجهت قوات مراقبة الهدنة صعوبـة في تحديد الرقم الدقيق لعدد الضحايا ٠ وقد اعلنت اسرائيل عبر تقارير صحفية عـــن الهجوم ان اختيار مركز بوليس خان يونس كهدف للهجوم ، انما كان بسبب ان عمليـات الفدائيين كانت تقاد منه ٠ ولكن لم تقدم اية ادلة لتاكيد هذا (٦٩) ٠

وقد اكدت المصادر العربية تفاصيل الحادثة كما اوردها كبير مراقبي الهدنة وحددت بدقة موعد العملية والتي بدأت في الساعة التاسعة وخمس دقائق مساء ،وانتهت في الحادية عشر والنصف مساء وعدد الضحايا حسب المصادر العربية ستة واربعون قتيلا وخمسون جريحا (٧٠) واما المصادر الاسرائيلية فقد اصرت عند اشارتها للعملية على حشر المصريين في كل تفاصيل العملية فالغارة كانت (على معسكر مصري) ٠ وقالت ان الضحايا ستون قتيلا واصيب عشرات بجراح (٧١) ٠

وقد اعادت اسرائيل مجزرة خان يونس وبشكل ابشع في يوم ١٥ ابريل ١٩٥٦ حيث قامت « باطلاق النار من مدافع مورتر عيار ١٢٠ ملم على مدينة غزة ٠ وقد ركز القصف على وسط المدينة المكتظ بالسكان المدنيين الذين كانوا يمارسون أعمالهم المعتادة ٠ وقد قتل ستة وخمسون وجرح مئة وثلاثة اشخاص بين رجل وامرأة وطفل ( ٧٢ ) وقد توفي في وقت لاحق بعض الجرحى فارتفع رقم القتلى الى ستين قتيلا من المدنيين ، منهم ٢٧ سيدة و ٢٩ رجلا و ٤ اطفال ( ٧٣ ) واما المصادر الاسرائيلية فاشارت للحادثة بالشكل التالي : « انزل جيش الدفاع الاسرائيلي في ٥ – ٤ – ٥٦ ضربة قاصمة بنيران المدفعية شملت كل قطاع غزة وخان يونس ودير البلح ، فقتل عشرات من العرب وجرح اخرون(٧٤) وقد حاولت اسرائيل القاء اللوم على القائد المحلي الذي اصدر الامر ، ومن ناحية ثانية حاولت الادعاء ان المدفعية الاسرائيلية قد اطلقت قذائفها على اهداف عسكرية(٧٥) وهنا يكذب الجنرال بيرنز الادعاء الاسرائيلي فيقول : « ولكن لسوء حظ هذا الادعاء فان مراقبي الامم المتحدة كانوا قادرين على استطلاع المنطقة قبل ان تتوقف قذائف المورتر عن التساقط ٠٠ وقد تبين ان المنطقة حيث حدث الضرب تقع في وسط المدينة ، وفي الميدان الرئيسي حيث تبعد عن مواقع مدافع المصريين حوالي كيلومترين في مكان ما قرب منطقة المنطار ، وقد ادعت اسرائيل في وقت لاحق بان هدف الغارة كان مقر القيادة. ولكننا لم نجد اي دليل على وجود مركز للقيادة٠ كما ان المقر المعروف جيدا لقيادة البوليس والذي قدم من قبل اسرائيل باعتباره الهدف المنشود ، كان يبعد حوالي ١٥٠٠ متر عن المكان الذي ضرب ٠ ولكن سرعان ما توقف الجدل حول هذه المسالة فبعد ايام قليلة بدأ بارسال الفدائيين للاخذ بالثأر» (٧٦) ٠ ★

بالاضافة الى حوادث الحدود اليومية ، وغارات اسرائيل على مدينتي غزة وخان يونس فقد لجأت الى اسلوب الاغتيال الفردي بواسطة الطرود المتفجرة ، وقد استشهد من جراءها المقدم مصطفى حافظ الذي كان المسؤول الاول عن تنظيم نشاط الفدائيين وقد وقع الحادث يوم ١٢ يوليو ١٩٥٦ حيث انفجرت به «قنبلة كانت قد ارسلت اليه بشكل طرد» (٧٧) وفي اليوم التالي لاستشهاد المقدم مصطفى حافظ اي ١٤ يوليو ١٩٥٦ انفجر

---

★ ومن المفيد الاشارة بهذا الصدد الى لجوء اسرائيل الى سياسة القصف المدفعي للمدينة كرد انتقامي على غارات الفدائيين ، في وقت كانت تتم عملياتها سابقا بواسطة وحدات منقولة او راجلة كانت تقوم بعمليات النسف والتدمير كما في غارتي غزة وخان يونس في ٢٨ و٣١–٨–٥٥ على التوالي وبالتاكيد فان وجود الفدائيين والسلاح بيد الناس قد ساهم في اجبار اسرائيل على تبديل اساليبها ، رغم ان الاسلوب كان يحقق لها ميزات عدة بالاضافة الى الميزة العسكرية ٠

طرد مشابه بالملحق العسكري المصري في عمان المقدم صلاح مصطفى والذي اصيب بعدة جروح خطيرة · وما لبث ان توفي بعد ايام قليلة متأثرا بجراحه (٧٨) ·

ولم تورد المصادر العربية معلومات وافية عن هذين الحادثين واشير الى حادثة المقدم مصطفى حافظ بانه « قد استشهد اثناء تأدية الواجب » ( ٧٦ ) ·

ومن المفيد بهذا الصدد الاشارة الى الطريقة التي وصل اليها الطرد الى الشهيد مصطفى حافظ بشكل عام وهي الرواية التي تطابقت فيها الاراء بين شهود عيان وبين الرواية التي ذكرها كينيث لوف في كتابه سالف الذكر · فقد كان هنالك بعض الفدائيين الذين كانوا (مكلفين) بالعمل مع العدو بطريقة العميل المزدوج وعلاقتهم مباشرة مع المقدم مصطفى حافظ وذلك لاهداف معينة كانت تبتغيها قيادة الفدائيين ، وقد ظنت قيادة الفدائيين ، خطأ ، ان هذا الفدائي غير مكشوف لاسرائيل ، التي كانت تعرف حقيقته ·· وحاولت بدورها ان تستغله من حيث لا يدري ، ولذا فقد استمرت بالتعامل معه باعتباره احد عملائها بدون ان تكشف شيئا عما تعرفه عنه ، ولمزيد من الثقة فقد كانت تسهل له عملية الحصول على بعض ما يريده من معلومات وما تعتقد انه مهم بالنسبة لقيادة الفدائيين · وفي احد الايام كلفته بنقل ( طرد ) الى احد كبار ضباط المباحث في قطاع غزة بوصفه احد عملاءها · وقد كانت اسرائيل تعرف ان الفدائي الذي كلف بمهمة نقل الطرد يقوم بتسليم الطرد الى قيادته اي الى مصطفى حافظ ، لانها تعرف مسبقا حقيقة ولاء ذلك الفدائي · وهذا ما حدث فعلا ، فقد وصل الفدائي الى قطاع غزة حوالي الساعة الثانية صباحا وذهب مباشرة الى مقر القيادة حيث طلب مقابلة المقدم مصطفى حافظ الذي لم يكن حينها موجودا في مقره وقد حضر بالفعل حيث اعلمه الفدائي بالتعليمات التي تلقاها من الاسرائيليين ، وقد قام مصطفى حافظ بفتح الطرد وبحضور الفدائي الذي كان يقف الى جانبه وعدد اخر من المسؤولين · وكانت المفاجأة غير المتوقعة ، حيث انفجر الطرد واصيب المقدم مصطفى حافظ اصابة قاتلة ، واما الفدائي فقد اصيب اصابة افقدته بصره · وباستشهاد مصطفى حافظ فقد الفدائيون في قطاع غزة رجلهم الاول · وكان لهذا الحدث اثره السلبي على مجمل نشاط الفدائيين وسنناقش هذه المسألة لاحقا عند تقييمنا لتجربة الفدائيين ·

مجلس الامن ·· لا ردود فعل

لم يتخذ مجلس امن اي قرار بادانة اسرائيل لعدوانها على غزة وخان يونس ، رغم ان حيثيات الادانة واضحة ، وابرز دليل ادعاءات اسرائيل بانها كانت تقصف اهدافا عسكرية عندما ضربت قلب مدينة غزة بالمورتر · وحيث اشار قائد قوات الطوارىء الدولية الى ان اقرب موقع يحمل صفة عسكرية يبعد ١٥٠٠ متر عن المكان الذي استهدفته قنابل الاسرائيليين ·

بدلا من ادانة اسرائيل تبنى مجلس الامن قرارا مقدما من الولايات المتحدة ، بريطانيا ، فرنسا « يدعو الطرفان المعنيان لاتخاذ كافة الخطوات الضرورية لاعادة النظام والهدوء للمنطقة ··· كما دعا الطرفان لفصل قواتهما المسلحة بشكل مؤثر وطالبا من كلا الفريقين ان يلتقي مندوبهما مع كبير مراقبي الهدنة وان يتعاونا معه بشكل كامل» (٨١)·

ويعلل كبير مراقبي الهدنة عدم قيام مجلس الامن بادانة اسرائيل « لان المصريين يلامون بنفس درجة لوم الاسرائيليين ان لم يكن اكثر لانهم هم الذين اوقفوا المحادثات التي كانت قد بدأت طبقا لقرار مجلس الامن الصادر في ٢٨ مارس ١٩٥٥» (٨٢) ٠ واما بالنسبة نقصف اسرائيل لمدينة غزة في ٥ ابريل ١٩٥٦ فلم يصدر عن مجلس الامن اي قرار كان ٠

النشاط السياسي الاسرائيلي

شهدت المنطقة ابان حرب الفدائيين نشاطا سياسيا مكثفا من قبل اسرائيل والتي حاولت الاستفادة من التوتر على الحدود لطرح جملة المشاكل السياسية العالقة ٠ مستغلة غارات الفدائيين للتوسع في لعبتها المفضلة الا وهي ممارسة العدوان كوسيلة ضغط سياسي بهدف ابتزاز مكاسب سياسية ولوضع الطرف العربي في موضع العاجز تمهيدا لاستسلامه لطلبات اسرائيل ٠

اتى نشاطها السياسي خلال هذه الفترة منسجما مع تحركها السياسي التقليدي فقد كانت تنطلق منقضايا الحدود لمناقشة القضايا السياسية العالقةبرمتها بدلا منحصر النقاش في اطار قضايا الحدود ذات الطابع العسكري « محض » كما كان الطرف العربي يريد ٠

واستطرادا لسياسة اسرائيل الثابتة بشأن (المفاوضات المباشرة ، مع العرب ، ووسط درجة التوتر العالية على الحدود ، عرض بن غوريون استعداده للقاء الرئيس عبد الناصر حيث « كان بن غوريون مستعدا للقاء ناصر في اي وقت لمناقشة موضوع السلام او للبحث في العلاقات بين البلدين » ٠ (٨٣)

وحول طبيعة المسائل التي كانت ستطرح ، فان موضوع «وقف كامل لاطلاق النار بما في ذلك نشاط الفدائيين» (٨٤) لم يكن المطلب الوحيد بل هنالك « مشكلة عدم سماح مصر للسفن الاسرائيلية بعبور قناة السويس او استعمال ميناء ايلات» (٨٥)٠ وهذا حسب رأي اسرائيل مخالفة لقوانين الامم المتحدة ٠ وبهذا كانت تنطلق سياسة اسرائيل مما هو قائم ، في الوقت الذي كانت فيه وجهة نظر المصريين « لن تخفف القيود على ملاحظة اسرائيل طالما ان اسرائيل ترفض بشكل حاسم اي بحث بتطبيق قرارات الجمعية العامة القاضية بعودة اللاجئين الى منازلهم السابقة ٠٠» (٨٦) ٠

وعلى هامش تحركات اسرائيل السياسية وشكاواها الدائمة التي كانت تتقدم بها لى الهيئات الدولية المعنية بهدف جذب الانتباه وخلق جو دولي ضاغط ، بدأ حديث في نوفمبر ١٩٥٥ عن احضار قوات مسلحة تعمل تحت راية الامم المتحدة لخلق نوع من المنطقة المعازلة في المناطق الحساسة بين المصريين والاسرائيليين ، وبهذا تمنع الاشتباكات الخطيرة والتي قد تقود الى الحرب ( ٨٧ ) ٠

ويشير بيرنز الى ان سلوين لويد وزير خارجية بريطانيا قد طرح معه هذا الموضوع في ١٣ مارس ١٩٥٦ وذلك ابان زيارة الاخير الى اسرائيل ٠ كما يشير الى ان داع

همورشولد الامين العام للامم المتحدة قد اعاد طرح الموضوع عليه في فترة قريبة لاحقة، وان دراسة قد اعدت بشأن العناصر العسكرية اللازمة (٨٨) ٠

ويبدو من خلال حديث الجنرال بيرنز ان القوات المقترحة ستكون من قوات بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة ، وكانت المراهنة على دور هذه القوات في منع الحوادث على الحدود تقوم « على ان اي جانب سيكون متأكداً من عدم حدوث عمليات غزو لمنطقتــه بدون الاصطدام بقوات الدول الثلاث » وقد حددت مناطق رفح والعوجا لتواجد القــوة المقترحة ، لان نجاح أي غزو من اي من الطرفين يجب ان يمر اما من منطقة العوجا او منطقة رفح ٠٠ (٨٩) ٠ واما القدرات التسليحية للفرقة التي ستوجد « فهي قوة جوية كافية جاهزة تحت الطلب في رفح وبقية الاسلحة في منطقة العوجا ، وكتيبة مع اسلحتها فــي منطقة العوجا » (٩٠) ٠

ورفض هذا الاقتراح من قبل المصريين والاسرائيليين على السواء ، لانه سيجمــد الوضع عــلى الحدود وسيجعل اسرائيل عاجزة عن ممارسة (لعبة) القوة ٠ اضافة الــى ان هذا الاقتراح يحول المشكلة القائمة الى مشكلة حدود ، وقضية اشتباكات ، بينما تحرص اسرائيل على اعطاء الطابع السياسي لاي خطوة مقترحة حتى ولو كانت قضية عاديــة جدا ، اذ كانت تصر على لقاء بين المندوبين المصري والاسرائيلي ، وطالما اقترحت ان يتم ذلك اللقاء بدون حضور مندوب عن قوات الطوارئ ٠

« واما المصريون فلم يوافقوا بدورهم على الفكرة وهم الذين كانوا متلهفين للتخلص من الحامية البريطانية في قناة السويس » (٩١) ٠

ويبدو واضحــا من ذلك الاقتراح ان بريطانيا كانت تحاول العودة الى المنطقة مــــن الباب الخلفي بعــد ان اخرجت من قناة السويس ولكن هذه المرة باسم الحرص على السلام وللمحافظة عليه ٠

**النشاط الاعلامي الاسرائيلي**

كان نشاط الفدائيين الفلسطينيين محور حملة اعلامية مكثفة قامت بها اسرائيــل، وعلى عكس حملتها السياسية حيث كان مطلبها ايقاف نشاط الفدائيين واحدامن عـــدة مطالب اساسية كانت لها الاولوية على موضوع الفدائيين ٠ الشق الاول مــن حملتهــا الاعلامية كان موجها للخارج حيث حاولت ان تجعل من « كلمة فدائيين مرادفة لكلمــة غزو ، وقتل ، وقطع الاعناق» (٩٢) وكان «كتابها وصحافتها عند تركيزهم عــلى اعمال الفدائيين يتجاهلون عمدا ذكر القتلى والجرحى من المدنيين العرب في غزة» (٩٣) وكانت اسرائيل تحاول اظهار نفسها بمظهر الضحية واظهار بربرية اعمال الفدائيين ٠ وقد كان هنالك جهد اعلامي واضح لاظهار الطرف المصري على انه الطرف الاصيل في الصراع، فقد كانت تتجنب ذكر الفلسطينيين ٠ فالمواقع مصرية ، والضباط مصريون ، والفدائيون عرب ، والقتلى والجرحى عرب ٠ فاللوم يقع على المصريين بشكل دائم ، وكانت في اثــر اعتقالها لاي فدائي جريح تنتزع منه اعترافا بمسؤولية المصريين عن اعمال الفدائيين، كما حدث عند اعتقالها لفدائي قرب مجدل عسقلان ، « ولكن الاسرائيليين الذين ادعوا انهــم حصلوا على مثل هذه المعلومات من خلال استجوابهم للسجناء ، لم يكونوا ليسمحــوا

مطلقا بحضور اي من مندوبي قوات مراقبة الهدنة عمليات الاستجواب » (٩٤) ٠

النشاط الاعلامي الاسرائيلي الموجه للعرب كان يهدف لبث الفرقة بين المصريين والفلسطينيين اذ صورت الفلسطينيين وكانهم غير راضين عن سياسة مصر بتنظيم حرب عصابات ضد اسرائيل ، « حيث تحدثت احدى وسائل الاعلام الاسرائيلية عن الشعور بالمرارة بين اللاجئين ضد تزايد عمليات تدريب وارسال الفدائيين من قبل المصريين، والذين يقتلوا او يأسروا من قبل قوات الامن الاسرائيلية في الوقت الذي يقبع فيه المصريون في الخلف وبمنجاة من سقوط ضحايا منهم» (٩٥) ٠ وكان لحملة اسرائيل هذه هدف مصري – فلسطيني مزدوج ، ولم تتورع عن محاولة توظيف حادث استشهاد المقدم مصطفى حافظ في خدمة هذه السياسة الاعلامية ٠ فقد فبركت جريدة الجيروزاليم بوست رواية تدعي ان المقدم مصطفى حافظ كان ضحية عملية ثار قام بها اللاجئون الذين كانوا متضايقين من لجوءه لسياسة الذراع القوية في تجنيد الفدائيين ، حيث ان كثيرين من الشبان الصغار الذين جندوا بهذه الطريقة ، كانوا عرضة للاسر او للقتل من قبل الاسرائيليين» (٩٦) وبهذا كانت اسرائيل تحاول اثارة الرأي العام المصري الذي لا بد وان يتضايق من قيام الفلسطينيين بقتل الرجل الذي يعمل على مساعدتهم ، ومحاولة اثارة النقمة لدى الفلسطينيين بتنشيط المشاعر الذاتية الضيقة لدى اهل الشهداء الذين كانوا يسقطون اثناء قيامهم بواجبهم ، هذا بالاضافة الى تصوير نشاط الفدائيين وكأنه من صنع فرد واحد يقوم بتجنيد الشباب قسرا ، وبهذا تشويه للدافع الاساسي لعمل الفدائيين ، والذي بدأ بفترة طويلة قبل قيام الادارة المصرية بتبنيه ، وكان انعكاسا لجو النقمة السائد بين صفوفهم على الاوضاع البائسة التي كانوا يعيشونها ، في الوقت الذي تحتل ارضهم اسرائيل وتقوم على استغلالها ، ولا يفصلهم عنها سوى خط الهدنة٠

## سلاح الاشاعة

سلاح الاشاعة كان من اكثر اسلحة اسرائيل تأثيرا ، اذ احسنت اسرائيل استغلال بعض الاخطاء الذي كانت تحدث للنفاذ منها بهدف تفتيت الجبهة الداخلية ، وزعزعة الثقة بين المواطنين والمسؤولين ٠ وقد تزايدت حملة الاشاعات بعد استشهاد المقدم مصطفى حافظ ، الذي ترك اثرا سلبيا على نشاط الفدائيين ٠ فالقيادة الجديدة كانت اقل كفاءة من القيادة السابقة ، اضافة الى ان مرور مدة طويلة على نشاط الفدائيين ساهم في زيادة اليقظة والتنبه لدى العدو الذي زاد من قدراته الدفاعية لمواجهة الفدائيين ،فقد اصبحت المداخل والمخارج التي يعبرها الفدائيون معروفة للعدو الذي كثف دورياته عليها، كل هذا زاد من حجم الضحايا التي كانت تسقط بين الفدائيين ٠ في ظل هذا الوضع بدأت اسرائيل نشاطها في مجال الاشاعات ، منطلقة من حادث استشهاد مصطفى حافظ الذي قتل من قبل احد الجواسيس ٠ وبعد ذلك كان يعزى اي فشل للجواسيس الموجودين في قيادة الفدائيين ، وبدأت تسري اشاعات عن المعلومات المسبقة لدى العدو ، وعن العدو الذي يعرف بتحرك الدوريات قبل انطلاقها ، وعن فلان من الفدائيين الذي استشهد او اسر ، والذي وجد دورية اسرائيلية تنتظره في منتصف الطريق او قبل وصوله للهدف ، وتنادي عليه باسمه الصحيح من خلال مكبرات الصوت تدعوه للاستسلام !!

وقد حظيتهذه الاشاعات بدرجة كبيرة من النجاح حيث فقد الفدائيون ثقتهم بالقيادة

التي تولت امورهم بعد استشهاد مصطفى حافظ ٠ وتحكمت بهم فكرة تقول « ان اسرائيل تعلم مسبقا بطريق عبورهم للارض المحتلة ، ومن يريد ان يذهب ويعود بسلام ويحقق اهدافه ، عليه ان يسلك طريقا غير الطريق الذي تحدده له القيادة» ومثل هذه الفكرة ضاعفت من الاثر السلبي لسلاح الاشاعة ، فقد كانت الدوريات تسلك طرقا غير الطرق المرسومة لها ، حيث تتواجد معلومات مسبقة !! الامر الذي جعل الفدائيين يلجأون الى وسائل عشوائية كانت تزيد من خسائرهم لتشكل وقودا جديدة لسلاح الاشاعة ، الذي استشرى في القطاع ، واستنفد جهدا كبيرا من نشاط الفدائيين والمسؤولين ، واثر سلبا على مجمل النشاط داخل الاراضي المحتلة ٠

## تقييم حرب الفدائيين :

حرب العصابات التي تمثلت بغارات الفدائيين على اسرائيل كانت محطة رئيسية في تاريخ الصراع مع العدو الصهيوني عامة وفي تاريخ قطاع غزة خاصة ٠ وبرغم قصر الفترة التي استمرت بها والتي لم تتجاوز العام ، شكلت نقلة واسعة في مستوى الصراع مع العدو الصهيوني وساهمت في زعزعة مجموعة اسس كانت تتحكم في مجرى الصراع حيث كان زمام المبادرة دائما في يد اسرائيل ٠ فقد شكلت الفترة التي نشط فيها العمل الفدائي ، قضية يومية لاسرائيل ، عكست نفسها على مجالات عدة فيها ، اذ تحول الصراع من حوادث حدود لا يحس بها المواطن الاسرائيلي ، الى قضية داخلية محضة يعيش تحت وطأتها المواطن الاسرائيلي ويلاحقه شبح الفدائي في كل لحظة ، الامر الذي جعل مسألة ايقاف نشاط الفدائيين بالنسبة لاسرائيل امرا يرتقي الى مستوى القضايا السياسية الاستراتيجية التي كانت تطالب بها دائما ، كقضايا السلام والمفاوضات المباشرة ٠٠ويدلنا على ذلك درجة الوحشية التي طبعت غاراتها على غـزة ابان نشاط الفدائيين ، بالقياس الى غاراتها في الفترة السابقة لانطلاق حرب الفدائيين ٠ ومع تأكيدنا الجازم على ان هدف غاراتها هو هدف سياسي يتحرك في ضوء قرار سياسي يقوم على التلويح المستمر بالقوة الضاربة الاسرائيلية لابقاء الوضع على الحدود متوترا ولجعل موضوع المفاوضات المباشرة والسلام موضوعا ملحا ومطلبا يوميا ، وبرغم ان هذا هو دافع اسرائيل الاول ، ولكن هذا لا يلغي الطابع الثاري لغاراتها الوحشية التي وصلت لدرجة قصف المدنيين لمدة ساعات متواصلة بمدافع المورتر ٠ اضافة لهذا فقد اتضح اثر نشاط الفدائيين في الذهنية الاسرائيلية ، حيث كان الفدائيون هاجسا يلاحق القادة والجنود الاسرائيليين ابان احتلال قطاع غزة في الفترة اللاحقة ، وقد انعكس ذلك بشكل تصرفات هستيرية ومجنونة بمجرد سماع كلمة فدائي ٠ كما ان مصير قطاع غزة في الفترة اللاحقة كان هاجس الاسرائيليين كيلا يعود القطاع قاعدة للفدائيين كما كان قبل الاحتلال في العام ١٩٥٦ ٠

اتى نشاط الفدائيين ليشكل عملية تصعيد جديدة للحالة الجماهيرية في قطاع غزة ، فقد بدد من خلال الممارسة ، الفكرة التي حاولت اسرائيل والقوى المعادية ان تزرعها في عقول اللاجئين ، والتي تقول بان مسالة العودة هي امر مستحيل وان الخيار الوحيد المفتوح امام اللاجئين هو القبول بمشاريع التوطين او الموت جوعا في معسكرات التجميع٠ وحيث كانت تغذي هذه الفكرة الغطرسة الاسرائيلية ممثلة بضرباتها المستمرة لقطاع غزة لتاكيد قوة اسرائيل واستحالة قهرها ، وان المصريين ليسوا عاجزين عن اقتحام حدودها فحسب ، بل عاجزون حتى عن حماية انفسهم ايضا ، وبالتالي فلا خيار سوى

التسليم . واتت حرب الفدائيين لتبدد هذه الفكرة ولتزرع مكانها الفكرة القائلة بـان العودة امر ممكن وان قهر اسرائيل ليس بالامر الصعب ، ولهذه المسألة دور اساسي في مقدار التماسك السياسي لجماهير القطاع .

كما انها ادت الى نتيجة سياسية هامة لم يعد ممكنا لاي طرف معني ان يتجاهلها الا وهي النظرة الى اللاجئين الفلسطينيين والى مشكلتهم . فاللاجئون الذين يعيشون حياة الخمول وينتظرون مساعدات الامم المتحدة ، والشعب الذي تأثر (بحياة اللاجيء) (٩٧) هذه الصورة التي كانت تصورها تقارير الامم المتحدة وتقارير اللجان المنبثقة عنها ، تحولت على ايدي الفدائيين الى صورة مناقضة كليا . بحيث اكدت ان القضية هي قضية سياسية بالدرجة الاولى وليست قضية لاجئين ، وهم ليسوا اناسا خاملين بل على استعداد لدفع حياتهم ثمنا لقضيتهم .

ان غارات الفدائيين ، واستمرار نشاطهم برغم عدوان اسرائيل على قطاع غزة ، كان نقطة فاصلة في تاريخ الصراع العربي – الاسرائيلي . فللمرة الاولى منذ ١٩٤٨ ، كان القرار بيد العرب وهم الذين طالما كانوا في موقع الدفاع ، وباطلاق حرب الفدائيين اخذت القيادات العربية وللمرة الاولى قرارا هجوميا برغم محدودية افاقه . وكان فاتحة قرارات اخرى في مجالات عدة بحيث نقلت مسار الامور واتجاه التفكير السائد نقلة نوعية ، اذ انتقلت السياسة العربية برمتها ، من موقع (التنازل) العربي عن الحق العربي في فلسطين الى موقع استرداد هذا الحق ، وهي المسألة التي تحكمت بالتفكير العربي طيلة المرحلة اللاحقة والتي ، وان لم تأخذ مظهرا عسكريا ، ولكنها طبعت جملة النشاط السياسي العربي لدرجة ان اعتى عتاة العملاء للاستعمار لم يكن ليملك الشجاعة حتى على مناقشة مبدأ المساومة على الحق العربي في فلسطين .

ان حرب الفدائيين التي اتت في فترة توتر عالية بين التيار الجماهيري في قطاع غزة وبين الثورة المصرية ، والذي تمثل بانتفاضة مارس والتي بلغت درجة تشبه (حالة طرد ) للادارة المصرية من القطاع ، حيث كانت هوة عدم الثقة تتزايد يوميا بعد يوم مع اعتداءات اسرائيل من ناحية ، واستمرار مؤامرات التوطين من ناحية اخرى ، واتت حرب الفدائيين لتشكل عامل لحمة بين ( الثورة ) والجماهير ، وكانت المرة الاولى التي تلمس بها جماهير قطاع غزة الهوية الفلسطينية الواضحة لثورة ٢٣ يوليو ، بعد ان كان قد مضى على قيامها حوالي الثلاثة اعوام . ونتيجة لهذا بدأت مرحلة جديدة من العلاقة بين الادارة المصرية وبين جماهير قطاع غزة ، وهو الامر الذي انعكس على موقف هذه الجماهير من مسألة عودة الادارة المصرية لقطاع غزة بعد عدوان ١٩٥٦ . حيث كانت محاولات فصل القطاع عن مصر تجري على قدم وساق . وحيث كان لموقف الجماهير اثر حاسم في تحديد مستقبل العلاقة بين مصر والقطاع ، واعيد تحديد الاساس الذي (ضم) بناء عليه قطاع غزة لمصر في العام ١٩٤٩ وبدلا من القرار الالحاقي اصبح القرار جماهيريا وطوعيا .

ان تبدل نظرة الجماهير للادارة المصرية وتزايد التفافها حولها انعكس داخليا بشكل قدرة كبيرة على الصمود والتحمل ، ففي الوقت الذي شهدت به غزة ثورة مدنية في اثر مذبحة المحطة في ٢٨ فبراير ١٩٥٥ ، فان غزة لم تشهد اي تحرك مشابه

اثر غـارة خان يونس او غـارةغـزة الثانية ، وبهذا كانت جماهير غـزة تؤكد الحقيقـة القائلة باستعـداد الجماهير العـالي للعـطاء عـندمـا يكون للعـطاء ما يبرره ٠

ان حـرب الفدائيين في ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦ والتي اتت في سياق احـداث سياسية بالغـــة الخـطورة كانت تعيشها المنطقة ، قد تركت اثارها الايجابية في اطار تكاملها مع غـيرها من التطورات ، ولقد رافق تلك التجربة وجـه سلبيلا يجوز اهماله ، كان لـه اثـــره الكبير عـلى نشاط الفدائيين والمجرى السياسي لذلك النشاط ٠

فبرغـم ان حرب الفدائيين هي احـد اشكال حـرب الشعـب ، ولم يكن ممكنا لهاالنجاح الذي حققته لولا العنصر البشري الفلسطيني الـــذي توفرت لديـه درجة عـاليـة مـــن الاستعـداد للتضحية ، وهو النتاج الطبيعـي للظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي عاشها ، هـذه المادة البشرية قادتهـا ( ادارة رسمية ) وعكست عـليها كل سلبيـــات العـمل الرسمي ٠ برغـم التسهيلات التي قدمت للفدائيين بوضع امكانيات الادارة فـــي خدمتهـم ، وهـي المظهر الايجابي لعـملية التبني تلـك ٠

ان تركيز الجهد عـلى نشاط الفدائيين فحسب وبطريقة عسكرية محضة كان ذا اثـــر سلبي عـلى صعـيد الجبهة الداخلية التي لم تمس تقريبا ولم يبذل جهد يذكر لتطويـــر اوضاعـها بهدف التناسب والمرحلة الجديدة التي وصل اليهـا الفدائيون ، خصوصـا وان الحالة الجماهيرية كانت مستنفرة بشكل كامل ، كما اتضح من خـلال موقفها اثر غـــارة غـزة ١٩٥٥ ، هـذه الحالة الجماهيرية بعـد ان قمعـت قيادتها ، تحولت وظيفتها الـــى دور المتلقي لاخبار الفدائيين ونجاحاتهم والتصفيق لاعمالهم ، وسادت القطاع حالة مـــن الاسترخـاء سرعـان ما استغلتهـا اسرائيل جيدا ، ونجحت غـاراتها التي شنتها عـلـى القطاع ، ولا ندعـي أن مزيدا من الجهـد في تعبئة الجماهير كان سيمنع اسرائيل مـــن شن غاراتها ، ولكنه على الاقل كان سيحجم النجاحات التي حققتهـا اسرائيل ، وكـــان سيسهم في ضبط ردود الفعل الاسرائيلية بدرجة كبيرة ، ويقلل عدد ضحايا الغارات الاسرائيلية ٠ وللدلالة على ذلك يكفينا الوقوف امام الغارة الاسرائيلية على خان يونس والكيفية التي تمت بها الغـارة :

(أ) الغـارة وقعت عـلى مركز البوليس الواقع في منتصف المدينة ٠(ب) سارت القوات الاسرائيلية داخل الحدود ستة كيلومترات ٠ (ج) كما ان القوات الاسرائيلية لم تتسلـــل بالخفاء ، بل اشتبكت مع مواقع اخـرى قبل وصولها مدينة خـان يونس وذلك في موقعي بني سهيلا وعبسان وهمـا قريتان تقعـان في المنطقة الواقعة بين مديـــنة خـان يونس والحدود (د) الغـارة لم تكن غـارة مفاجئة بل استغرقت كما اشار تقرير الجامعـــة العربية من الساعـة التاسعـة وخمس دقائق الى الساعـة الحادية عـشر والنصف ٠وهي مدة كافية لوصول اية نجدات من اي موقع اخـر ٠ (هـ) قامت القوات الاسرائيلية بنسف المبنى وكان بداخـله عـدد من الجنود حيث قضوا تحت الانقاض كما اشار لذلك تقريـــر الامم المتحـدة وتقرير الجامعـة العربية ٠(و) الغـارة الاسرائيلية ليست غـير متوقعـة ، واختيار الهدف ايضا متوقع ، بدليل ان اسرائيل كانت قد شنت قبل ذلك غـارة مشابهـــة عـلى هدف مشابه في مدينة غـزة وذلك في ١٩٥٥/٢/٢٨ والذي عـرف بمذبحة المحطة ٠٠

ان هذه الوقائع تؤكد ان درجة اليقظة والتنبه للغـارات الاسرائيلية كانت معـدومـــة

تقريبا ، ولم تتوفر لقطاع غـزة عناصر الدفاع الضرورية بالطريقة التي وفرت بها عناصر الهجوم · وبكلمة اخـرى فلم يتم اي انجاز على صعـيد الجبهة الداخلية بمستوى نشاط الفدائيين داخـل جبهة العـدو ·

ان نجاح غـارات اسرائيل وبالطريقة التي كانت تتم بهـا قد اسهم في تعطيل كثير من الاثار الايجابية لنشاط الفدائيين عـلى صعـيد غـزة وعـلى صعـيد العدو ·

**لا محدودية العـطاء ومحدودية القرار السياسي :**

لقد كان نشاط الفدائيين محكوما بالقرار السياسي للحكومة المصرية وحـدود استعداداتها لدفع الصراع مع العـدو الاسرائيلي ، وكان عـمل الفدائيين عرضة للمساومة او للتوقف في ظل اي استعداد اسرائيلي جدي لتجميد الوضع على الحدود ، وبكلمة اخرى كـان نشاط الفدائيين من وجهة النظر المصرية ورقة تكتيكية في اطار سياسة الفعـل ورد الفعـل التي طبعـت العـلاقة بين مصر واسرائيل في تلك الفترة والفترة التي سبقتهـا · والواضح من خـلال مراقبة التطورات السياسية التي سبقت حـرب ١٩٥٦ ان الحكومة المصريـة كانت عـلى استعـداد لوقف كامل لاطلاق النار لولا موقف اسرائيل التي كانت تشتـرط اعـطاء مثـل ذلك الاتفاق مضمونا سياسيا وان يكون جزءا من حـل شامل لجملـة القضايا السياسية العـالقة بينهما· وقد تأكد هذا الامر جليا ابان عـدوان ١٩٥٦ وبعـده، حيث اوقف نشاط الفدائيين كليا وكان جزءا من الترتيبات السياسية التي تمخضت عـن عـدوان ١٩٥٦ ·

ان تولي ضابط مخابرات هو المقدم مصطفى حافظ قيادة الفدائيين ، برغـم كفاءتـه العسكرية ، قد سحب الفدائيين موضوعـيا من قلب الكتلة الجماهيرية التي كانوا يعملون بها الى اشبه ما يكون بقطعـة عسكرية تقليدية ، ليس لهـا من مهمة سوى القتال، واتبعت في مجال تعبئتها وتحريضها وسائـل بدائية . ولم يعـط لها القدر المطلوب من الاهتمـام السياسي · اضافة لذلك فقد كانت قيادتها تمارس بطريقة مركزية شديدة للغـاية · محورها الاول والاخير تقريبا مصطفى حافظ ، الامر الذي حول عـلاقة الفدائيين بقائدهم الـى علاقة اقرب ما تكون الى العـلاقة الابوية او الشخصية . وهـذا الامر قد تـرك اثـارا ايجابية عـلى شخصيات المقاتلين ونسج درجة عـالية جدا من الثقة بينهم وبين مسئولهـم والذي كان يلـم حتى بادق تفاصيل حياتهم وهمومهم اليومية · ولكن هذه الايجابية سرعان ما انقلبت الى نقيضها وكان لها اثر مدمر عـلى نشاط الفدائيين بعد استشهاد مصطفى حافظ حيث لم تنجح ولم يكن سهلا عـلى القيادة الجديدة ان تنجح في قيادتهم · الامـر الـذي ادخـل العـلاقة بين الفدائيين والقيادة الجديدة في مـازق ، وسـاد الفدائيين جـو من عـدم الثقـة واللا انضباط · وتدنـي بالتالـي مستـوى عملهـم الامر الـذي ادى الى نجاح سلاح الاشاعة التـي لجـا اليها العـدو كمـا سبـق لنا الاشارة · ولعل من اكثر الامور دلالة على مركزية القيادة في فترة الشهيد مصطفـى حافظ ، هو استدعاءه لفتح الطرد الذي كان قد احضرمـن اسرائيل ، ولعله ليـس مـن الغريب ان تكون المخابرات الاسرائيلية قد درست شخصية الشهيد مصطفى حافظ قبل ان ترسل اليه الطرد · اذ انها كانت متاكدة بان الشهيد نفسه سيقوم بفتح الطـرد لما عرف عنه مـن مركزية شديدة ·

عرف قطاع غزة فـــي الفترة السابقة لنشاط الفدائيين حياة سياسية نشطة ، وبدايات احزاب سياسية منظمة تمكنت من قيادة التيار الجماهيري فـــي قطاع غزة في واحدةمن اخطر المراحل التـــي مـر بها ، خصوصا معاركة ضد مشاريع التوطين والتي انتهـــت بالاسقاط النهائي لذلك المشروع ٠

ان الحياة السياسية والتي قمعت بقسوة مـــن قـبل الادارة المصرية ، كانت مرشحة للتنامي مرة اخرى وتناميها كان كفيلا بتبديل الكثير مـن المفاهيم الرائجة فـي قطـاع غزة ، من خلال اسهامها في انضاج الحالة الفكرية والثقافية فـــي القطاع ، وكانـــت الكتلة الجماهيرية العريضة في قطاعغزة تتحرك فـــي اطار تلك التنظيمات ٠ وقد اتـــت حرب الفدائيين لتشكل البديل السياسي لدى الجماهيرالغزية والتي لم تعرف مـــن الاحزاب القائمة الا النشاط السياسي ، وبهذا فقد سحبت الكتلة الجماهيرية الى موقع المؤيد والملتف حـول نشاط الفدائيين ، وبالتالي حـول الادارة المصرية ، وفقدت الاحزاب نتيجة لهـــذا الوضع المادة البشرية الضرورية لنشاطها ، وتحولت الى حلقات ضيقة من الاعضـــــاء والانصار ٠ وبدأ قطاع غـزة يشهد ضمورا في الحياة الحزبية المنظمة ، وقد ظهر اثـــر هذا الوضع جليا في فترة الاحتلال الاسرائيلي لقطاع غـزة عـام ١٩٥٦ ، حيث تأثر نشاط الاحزاب خـلال هذه الفترة بالوضع المشار اليه ٠ وفي الوقت نفسه تحول الفدائيـــون ، الذين وجدوا انفسهم في قطاع غـزة بلا قيادة ، بعـد ان غادرت قيادتهم القطاع بعـد وقوع العـدوان مباشرة ، من قوة ( مجمعـة ) و( ضارية ) الى مجرد افراد لا تربط بينهـــم ايـــة صلة ٠

**الحواشـــي**

١ كينيث لووف ، السويس ـ الحـــرب التي اشتعلت مرتين ـ نيويورك ـ ١٩٦٩ ص ٤ ٠
٢ كينيث لووف ، المصدر نفسه ، ص٨٣
٣ كينيث لووف ، المصدر نفسه ، ص٦١٠
٤ كينيث لووف ، المصدر نفسه ، ص ١٥ ٠
٥ كينيث لووف ، المصدر نفسه ، ص ٨٣٠
٦ كينيث لووف ، المصدر نفسه، ص ٨٧٠
٧ فؤاد مطر ، **بصراحة عن عبد الناصر** ـ دار القضايا ـ تاريخ المقدمة ١٩٧٥ ، ص ٨٤ ٠
٨ كينيث لووف ، مصـــدر ســـابق ، ص ٢٢٥ ٠
٩ فؤاد مطر ، مصدر سابق ص ٨١ ،
١٠ من مقابلة مع معين بسيسو ٠
١١ المصدر السابق
١٢ الوقائع الفلسطينية ، عدد ٤٥ ، تاريخ ١٥ مارس ١٩٥٥ ٠
١٣ الوقائع الفلسطينية ، عـدد ٤٧ ، تاريخ ١٥ مايو ١٩٥٥ ٠
١٤ الوقائع الفلسطينية ، عـــدد ٤٥ ، تاريخ ١٥ مارس ١٩٥٥ ٠
١٥ الوقائع الفلسطينية ، عدد ١٤ ، تاريخ ١٥ نوفمبر ١٩٥٤ ٠
١٦ الوقائع الفلسطينية ، عـدد ٤٥ ، تاريخ ١٥ مارس ١٩٥٥
١٧ مؤسسة الدراسات الفلسطينية ـ **قرارات الامم المتحـدة حـول فلسطيـــن** ٤٧ ـ ٧٤ سنة ١٩٧٥ ٠ قـرار مجلس الامن رقم ١٠٦ و١٨٨ ٠
١٨ المصدر نفسه ٠
١٩ الجنـرال بيرنز ـ بيـن العـــرب واسرائيل ، هاراب ، لندن ٠ تاريـــــخ المقدمة ١٩٦٢ ٠ ص٧١ ٠
٢٠ المصدر نفسه ، ص ٧١ و٧٢ و٧٣ ٠
٢١ المصدر نفسه : ص ٧٣ ٠

٢٢ المصدر نفسه ، ص ٧٥
٢٣ المصدر نفسه ، ص٧٦
٢٤ ـ انرايم تلمي ـ **حروب اسرائيـــل** ـ داردانار ـ تل أبيب ١٩٦٩ ـ ترجمـــة سعيد حرب الجزء الاول ـ مخطوطة محفوظة في مركز الابحـاث · ص ١٦
٢٥ بيرنز ، مصدر سابق ، ص ٧٧ ·
٢٦ المصدر نفسه ، ص ٧٧ ·
٢٧ المصدر نفسه ، ص ٧٧ ·
٢٨ المصدر نفسه ، ص ٧٨ ·
٢٩ المصدر نفسه ص ٩ ٧
٣٠ المصدر نفسه ، ص ٧٩ ·
٣١ المصدر نفسه ، ص ٧٩ ·
٣٢ بيرنز · مصدر سابق · ص ٧٩ ـ ٨٠
٣٣ جان لاكويتر ، **عبد الناصر** ، ترجمة واصدار دار النهار · ١٩٧١ ، ص ١٧٩
٣٤ بيرنز · مصدر سابق · ص ٨٠
٣٥ الوقائع الفلسطينية · العدد ٩٠ ، تاريخ ١٥ يوليو ١٩٥٥ ·
٣٦ بيرنز · مصدر سابق · ص ٨٠ ·
٣٧ المصدر نفسه ، ص ٨١ ·
٣٨ المصدر نفسه ، ص ٨٢ · لمزيد من التفاصيل راجع : دافيد بن غوريـــون ـ لتهاني هلسه · أصدار مركز الابحـاث ص ١٢٣ـ١٣٢ ·
٣٩ بيرنز · مصدر سابق ، ص ٨٤ ·
٤٠ كينيث لووف · مصدر سابـــق ، ص ٨٧ ·
٤١ كامل الشريف ، الاخوان المسلمـون في حرب فلسطين ـ مكتبة وهبة القاهرة · ص ١٢ و١٣ ·
٤٢ صبحي ياسين · حرب العصابـات في فلسطين ـ دار الكاتب العربـــي ـ ١٩٦٧ ـ القاهرة ، ص ١٧٧ ،
٤٣ بيرنز · مصدر سابق ، ص ٧٠ · كينيث لووف · مصدر سابق · ص ٤٣ ·
٤٤ بيان الهيئة العربية العليا · مصدر سابق · محفوظات مركز الابحـــــاث ·
٤٥ حروب اسرائيل · مصدر سابق . الجزء الاول ، ص ١٤ ·
٤٦ المصدر نفسه ، ص ١٤ ·
٤٧ بيرنز · مصدر سابق ، ص ٨٦ ·
٨ كينيث لووف · مصدر سابق ، ص٨٤ ·
٤٩ المصدر نفسه ، ص ٨٥ ·
٥٠ المصدر نفسه ، ص ٨٦ ، نقلا عن مذكرات حملة سيناء لموشي ديان ·
٥١ موشي ديان ، **مذكرات حملة سيناء** ـ ودنفيلد ونيكولوسون · لندن ١٩٦٦ ، ص٥ ·
٥٢ الوقائع الفلسطينية · العـدد ٥٥، تاريخ ١٥ ديسمبر ١٩٥٥ ·
٥٣ الوقائع الفلسطينية · العدد ٥٦ ، تاريخ ١ يناير ١٩٥٦ ·
٥٤ الوقائع الفلسطينية ، العدد ٥٨ ، تاريخ ١٥ يناير ١٩٥٦ ·
٥٥ صبحي ياسين ، حرب العصابات· مصدر سابق ، ص ١٨٢ ـ ١٩٠ ·
٥٦ حروب اسرائيل · الجزء الاول · مصدر سابق ، ص٥ ·
٥٧ المصدر نفسه ، ص ١٢٤·
٥٨ بيرنز · مصدر سابق ، ص ١٣٩ ·
٥٩ المصدر نفسه ، ص ١٤١ ·
٦٠ المصدر نفسه ، ص ٨٨ ·
٦١ المصدر نفسه ، ص ٨٥ ·
٦٢ المصدر نفسه ، ص ٨٩ ·
٦٣ المصدر نفسه ، ص ٨٨ ·
٦٤ المصدر نفسه ، ص ٨٩ ·
٦٥ حروب اسرائيل ـ الجزء الثاني ـ مصدر سابق ، ص ٧٨ ·
٦٦ المصدر نفسه الجزء الاول · ص٣٠·
٦٧ بيرنز · مصدر سابق ، ص ٨٢ ·
٦٨ جامعة الدول العربيـــة ـ ادارة فلسطين ـ اعتداءات اسرائيل عـلى قطاع غزة وسيناء قبل ٥٦/١٠/٢٩ · طبعـــة ثانية ١٩٦٥ ص ١١٠ ·
٦٩ بيرنز · مصدر سابق ، ص ٩١ ·
٧٠ جامعة الدول العربية · مصـــدر سابق ، ص ١١٧ـ١١٨ ·
٧١ حروب اسرائيل · الجزء الاول · مصدر سابق ، ص ١٧ ·
٧٢ بيرنز · مصدر سابق · ص ١٤٠

٧٣ الجامعة العربية ـ مصدر سابق ، ص ١٦٣ ·
٧٤ حروب اسرائيل ، الجزء الاول مصدر سابق ص ٢٢ ·
٧٥ بيرنز · مصدر سابق ، ص ١٤٠ ـ ١٤١ ·
٧٦ المصدر نفسه ، ص ١٤١
٧٧ المصدر نفسه ، ص ١٦٤ ·
٧٨ المصدر نفسه ·
٧٩ صبحي ياسين · حرب العصابات · مصدر سابق ، ص ١٩٠ ·
٨٠ تطابقت روايات شهود العيان مع الرواية التي اوردها كينيث لووف في كتابه سالف الذكر ص ١٢٤ ·
٨١ مؤسسة الدراسات الفلسطينية ـ قرارات الامم المتحدة ٤٧ـ٧٤ مصدرسابق. ص ١٨٩ ·
٨٢ بيرنز · مصدر سابق ، ص ٩١ ·
٨٣ المصدر نفسه ، ص ١٠٤·
٨٤ المصدر نفسه ، ص ١٠٦ ·
٨٥ المصدر نفسه ، ص ١٤٦ ·
٨٦ المصدر نفسه ، ص ١٤٦ ·
٨٧ المصدر نفسه ، ص ١٣٦ ·
٨٨ المصدر نفسه ، ص ١٣٦ ·
٨٩ بيرنز · مصدر سابق ، ص ١٣٦ ـ ١٣٧ ·
٩٠ المصدر نفسه ، ص ١٣٧ ·
٩١ المصدر نفسه ، ص ١٣٧ ·
٩٢ المصدر نفسه ، ص ٨٥
٩٣ المصدر نفسه ، ص ١٤١
٩٤ المصدر نفسه ، ص ٨٧
٩٥ المصدر نفسه ، ص ٨٦ ·
٩٦ المصدر نفسه ، ص ١٦٤ ·
٩٧ تقرير حول مشروع شمال غرب سيناء · اعداد المجلس الدائم لتنمية الانتاج القومي ـ جمهورية مصر ووكالة اغاثة وتشغيل لاجئي فلسطين ـ هيئة الامم المتحدة · تاريخ المقدمة ٢٨ يوليو سنة ١٩٥٥ ، ص ١٤٣ ·

# موضوعات حول نضال المرأة

منير شفيق

ما هي قضية المرأة في بلادنا ؟

لقد ثارت مناقشات كثيرة في ثورتنا وبلادنا حول موضوع قضية المرأة · ولم تكن هذه المناقشات جديدة · فقد كانت تبرز على السطح كلما ارتفع المد الثوري وكانت البلاد تمر في منعطف تاريخي ترتفع فيه المشاركة الجماهيرية الواسعة في النضال · وهذا امر طبيعي تماما لان المرأة تشكل نصف المجتمع· ومن ثم فان للدور الذي تقوم به تاثيرا كبيرا على الثورة سلبا او ايجابا · ولهذا فان ثورة الاسلام في التاريخ العربي عالجتموضوع دور المرأة·فاشركها الاسلام ، بشكل او باخر في الجهاد وحثها على اعتناق الاسلام والدعوة له · وقد نجح الاسلام في الارتقاء بدورها فنقلها من وضع الى وضع ارقى · او ما عرف في تاريخنا بالانتقال من الجاهلية الى الاسلام ، ولم تكن المرأة بعيدة عن المساهمة في عملية هذا الانتقال التاريخي العظيم ·

وكانت هذه المسالة ، وعلى التحديد ، مسالة مشاركة المرأة في الجهاد والنضال تبرز كلما تعرضت بلادنا الى اجتياح الغزاة او واجهت منعطفات تاريخية صحبتها مشاركة جماهيرية واسعة · هذا ما حدث في مرحلة النضال ضد التتار وضد الصليبيين ، وضد الاستعمار القديم ·وما زالت صورالمشاركة الجماهيرية النسائية ، بشكل او باخر ، عالقة في اذهان اجدادنا وابائنا في العصر الحديث · لقد عرفت كل البلاد العربية مشاركة المرأة في النضال في كل الثورات والانتفاضات الشعبية منذ اوائل القرن العشرين حتى الان ·

ان الحقيقة التي يجب ان نعرفها هي ان افكار النساء في بلادنا كانت دائما هي افكار الرجال · ومن ثم كانت جماهير النساء تأخذ المواقف نفسها التي كانت تأخذها جماهير الرجال · فالموقف من الاستعمار وضرورة النضال ضده كانا عامين يشملان جماهير النساء كما يشملان جماهير الرجال · فحين كانت الجماهير تهب للنضال ، كانت النساء يقتنعن بهذا النضال ويساعدن به بطرق شتى وفقا للظروف والاوضاع الخاصة بهن والعامة في البلاد · ويمكن

القول ان الوطنية في بلادنا لم تقتصر يوما عـلى الرجال وحدهم · وانما كانت سمة عـامة للنساء في بلادنا · وكذلك كل نضا لخاضه الشعـب وكل تضحيـة قدمها الشعـب ، كانت حصة المراة فيهـا حصة كبيرة سواء بصورة مباشرة او غير مباشرة · وذلك بحكم ارتباطها العضوي بالاب والزوج والابن والاخ،وبحكم كونها جزءا من الشعـب تواجه كل ما يواجهه الشعـب حين يتعرض الوطن لغـزو او احتلال او طغـيان او تقسيم او كوارث · ولهذا ، فان افكارها بالنسبـة للقضايا القومية الكبرى هي افكار الرجال من ابناء الشعـب · ولا يمكن ان يقل ارتباطها بقضية الشعـب والوطن عـن ارتباط الرجال · واذا كان وضعها بالنسبة للحياة العـامة ياخـذ شكل البقاء فـي البيت لا تختلط بالرجال خارج بيتهـا او المشاركة في العـمل في الحقل ولكن دون مشاركة في الحياة العـامة · الا ان ذلك يجب الا يجعـلنا نتصور انها لم تكن ، وهي في تلك الظروف ، تتابع اخبـار وطنها وتشارك زوجهـا وابنهـا واباها كل ما كان يشغـل بالهم وتاخذ موقفهم· وتسهم بقدر ما تتيحه لها ظروفها · ابتداء من التعاطف العام والتاييد والتشجيع ومرورا بالمساهمة المحدودة داخل البيت وانتهاء الى خروجها من البيت للمشاركة الانشط عندما يرتفع موج النضال الى مستوى الانتفاضات والثورات ·

من هنا يمكن ان نقول ان النســـاء في بلادنا لـــم يحملـــن قضيـــة خاصة بهن · وانما كن دائما يحملن قضية الشعـب كله · فقضية الشعـب كله والثورة والوطن هي القضية التي كانت تشغل بالهن وكانت تدفعـهن للنضال · وان كان هنالك من صراع جاء حول قضية المراة سواء فيما بين الرجـــال ، او فيما بين النساء ، او فيما بين النساء والرجال ، فقد كان يتركز دائما فـــي موضوع مساهمة النساء في النضال العـام او عـدم ضرورة مساهمتهن · ولـم تكن هنالك قضية خاصة بالمراة بمعنى حل التناقض بينها وبين الرجال · ولهذا، فان كل طرح لقضية المراة خـارج عـن موضوع ضرورة مساهمتها في الثـــورة وفي النضال من اجـل قضية الشعـب والوطن هو طرح لا يمسك بجوهر التطـور التاريخـي في بلادنا من جهـة ، كما انه لا يمسك بالقضية التي لها الاولوية فـي المرحلة التاريخية الراهنة من جهة اخـرى · ومن ثـم فانه ينقل التناقضـــات الثانوية الى مستوى التناقض الرئيسي ، ويرفع الى مستـــوى الاولويـــة قضايـــا ليســـت فـــي موضـــع الاولوية · فتكون النتيجـــة الغرق في صراعات لا طائل من ورائها ولا مكان لهـا · وقد كتب لهـا الفشل سلفا ، لان النجاح لا يكون الا للقضية ذات ـالاولوية · القضية التي تهم الشعب كله · هذا اذا لم نقل ان معـاملة ما هو ثانوي معاملة الرئيسي ومعاملة ما هو اقل اهمية معاملة الاهم يبدد الجهود ويقسمها ويشتتها ولا يسمح بتركيز القـــوى والجهود لحـل القضية المركزية · القضية ذات الاولوية ·

ان الاتجاه الذي يطرح قضية المرأة على اعتبار انها قضية التناقض مع الرجل فيصبح موضوع تحقيق المساواة حصول المرأة على حريتها هما الشعاران الرئيسيان في تحريض النساء للنضال ، يشكل خطا سياسيا خاطئا ٠ لانه لا يرى ان القضية القومية ، قضية الثورة والشعب والوطن هي القضية التي تهم جماهير النساء باعتبارهن جزءا عضويا لا يتجزأ من الشعب كله ٠ وما يواجه الشعب يواجههن ٠ وما يحقق الخلاص للوطن يحقق الخلاص لهن ٠ ان هذا الاتجاه يتصور ان لا علاقة للمرأة بالاستعمار وعملائه والكيان الصهيوني في بلادنا ، وان علاقتها مقصورة على علاقتها بالرجل ٠ او يعتبر النضال ضد الاستعمار والعملاء والصهيونية لا يشكل القضية الاولى بالنسبة لجماهير النساء في بلادنا ٠ وانما يعتبر ان النضال ضد هيمنة الرجل والتقاليد هو الذي يشكل القضية الاولى بالنسبة لجماهير النساء او انهما يسيران جنبا الى جنب، وعلى قدم المساواة ، اي ان الاولوية في النضال موزعة بينهما ٠ ولكن لا يلاحظ انه حين يضع الاولوية للقضيتين في ان واحد ، يرفع تناقض النساء مع الرجال الى مستوى التناقض مع الاستعمار والعملاء والصهيونية ٠ فهل هذا صحيح ؟ والى اين يؤدي ؟ انه قطعا غير صحيح ٠ ويؤدي الى تقسيم الشعب ٠ والى عدم توحيد قوى الشعب رجالا ونساء ضد الاستعمار والعملاء والصهيونية ٠

هنا ايضا صراع بينخطين سياسيين ولابد من خوض هذا الصراع ٠

**لماذا قضيه الثورة هي قضيه جماهير النساء ؟**

ان الاهداف التي تناضل الثورة الفلسطينية والثورة العربية في سبيلها هي اهداف كل الجماهير العربية ٠ وتلتف حول راية هذه الاهداف مجموعة الطبقات التي لها مصلحة :

١ ــ في التحرير الكامل من الامبريالية والهيمنة ، من اجل تحقيق الاستقلال التام ٠

٢ ــ في تحرير فلسطين من الكيان الصهيوني ٠

٣ ــ في توحيد الامة العربية والوطن العربي٠

٤ ــ في تحقيق الثورة الديمقراطية التي تصفي المصالح الامبريالية والاحتكار وتؤممها وتقوم بالاصلاح الزراعي وتبني الاقتصاد الوطني المستقل ، وتحقق الوحدة الاقتصادية على المستوى القومي العربي ٠

٥ ــ في تحقيق الثورة الاشتراكية الذي يشكل على المستوى القومي هدف الثورة العربية الابعد ٠

ان الاهداف الاربعة الاولى تشكل اهداف المرحلة التاريخية للثورة العربية والتي بدأت تاريخيا منذ اواخر القرن التاسع عشر ،ولم تنجز حتى الان ٠ وان كان النضال العربي تقدم اشواطا على هذا الطريق ٠ فقضى على الهيمنة العثمانية ٠ وقضى على الاستعمار الاوروبي المباشر (بريطانيا ، فرنسا ،اسبانيا، ايطاليا )٠ وصفى طبقات الاقطاع وفئات من الاحتكاريين في عدد من البلدان العربية ٠وسدد ضربات قوية الى الامبريالية الامريكية والكيان الصهيوني ٠وما زال النضال العربي العام متأججا ضد الكيان الصهيوني والامبريالية الامريكية٠ ويسير بخطوات حثيثة من اجل حماية الاستقلال الوطني ٠ كما ان النضال من اجل الوحدة العربية تجرأ على بعض المحاولات المجيدة ، وفي مقدمتها تجربة ـ الجمهورية العربية المتحدة ٠ وعلى الرغم من ان قطع هذه الاشواط تعرض لكثير من النكسات وسار على طريق متعرج الا ان المسار العام ظل باتجاه التقدم ٠ واذا كان من الصحيح الادراك ان حدوث نكسات او السير على طريق متعرج في اثناء التقدم قانون موضوعي لكل نضال ثوري ٠ الا ان من الضروري ان نلاحظ ان هنالك عاملين حاسمين يعود لهما هذا التباطوء في التقدم وحدوث نكسات كان من الممكن تجنبها وهما :

١ ـ سبب موضوعي يرجع الى طبيعة التجزئة في الوطن العربي حيث كانت التجزئة وما زالت تشكل عاملا سلبيا في توحيد النضال الجماهيري العربي وفي توحيد كل طبقة على المستوى العربي ٠ ولا تسمح ببروز قيادات على مستوى الامة العربية (باستثناء قيادة عبد الناصر ولكنها لم تتحول الى قيادة فعلية على مستوى كل الاقطار ) ٠ المقصود هنا ان التجزئة كانت وما زالت تولد مستويات قطرية ضيقة وهي مستويات ادنى من المستوى الذي يتطلبه النضال العربي العام ٠

٢ ـ سبب ذاتي يرجع اساسا الى الطبيعة البرجوازية الوطنية للطبقات التي قادت النضال العربي على المستوى القطري ٠ وكانت على رأس حركة الجماهير الثورية ٠ ويؤدي هذا السبب ايضا الى ملاحظة حرمان حركة النضال العربي من قيادة من طراز جديد تمثل حقيقة جماهير الشعب الكادحة وخاصة العمال والفلاحين الفقراء ٠ ولكن المسؤولية عن هذا الحرمان لا يجوز ان تلقى على عاتق القيادات الوطنية البرجوازية ( الكبيرة والمتوسطة والصغيرة ) لان من الطبيعي جدا ولا يمكن ان يكون الامر عكس ذلك ، ان تسعى هذه القيادات لتكون هي قائدة النضال وتمنع بروز القيادة التي هي من طراز جديد ٠ ولهذا ان المسؤولية يجب ان تقع اولا واخرا على عاتق الطلائع التي حاولت ان تكون ممثل للعمال والفلاحين الفقراء ٠ ولكنها لم تستطع ان توفر الشروط التي تسمح لها بتقدم الصفوف ولعب الدور القيادي ٠

ان هذين العـاملين انعكسا ايضا عـلى وضع جماهير النساء وتقدمهن فـي المشاركة في المجالات الجماهيرية وطبعـا دور النساء بطابعـهما ٠ وهذا مـا يجعـلنا نرى ان الاتجـاه العـام لمشاركة جماهير النساء في النضال الجماهيري كان يتقدم الى امام ٠ الا انه بدوره كان يصاب بنكسات ويسير عـلى طريـق متعـرج ٠ هذا من ناحية اما من الناحية الاخـرى فيمكن القول ان هذا التقـدم كان ابطأ ممـا كان من الممكن ان يدفع به زخـم المشاركة الجماهيرية النسائية٠ وكان هنالك نكسات كان من الممكن تجنبها ٠ وكانت هنالك تعرجات كان من الممكن التعلم منها ، بصورة افضل ، مما يسمح بتقدم اقوى واشد زخما ٠ وهنا يأتي دور العاملين الحاسمين المذكورين اعـلاه في تبطيء هذا التقدم وفي حـدوث بعض النكسات وفي عـدم التعـلم جيدا من التعرجات ٠

ان الاتجاهات الفكرية والخـطوط السياسية التي عـالجت موضوع قضيـة مشاركة جماهير النساء فـي الثورة ، او تلك التي فصلت القضيـة العـامة للشعب كله عـن قضية المرأة واعتبرت ان للمرأة قضية قائمة بذاتها هي حـل التناقض بينها وبين الرجل ٠ او تلك التي عاملت القضيتين عـلى قدم المساواة وقسمت اولوية النضال بينهمابالتساوي ٠ان كل هذه الاتجاهات الفكريـة والخطوط السياسية التي سادت كانت تتراوح بين المحافظة والدفع باتجاه تبطيء تقدم جماهير النساء في النضال العـام ، وبين الاتجاهات «المتحررة او التقدمية» المنسلخة عن خط الجماهير سواء الذي تناولت الموضـوع تحت شعـارات يسارية طفولية ٠ فمحورت الصراع ضد التقاليد او ضد الديـن او ضـد المؤمنين ومن يحملون هذه التقاليد ٠ اي ضد غالبية الشعـب ٠ ولهذا ، فـان الاتجاهات المحافظة ادت الى تبطيء التقدم الجماهيري العفوي الفعلي لجماهيـر النساء عـلى طريق النضال ٠ كما ادت الاتجاهات «المتحررة »او « التقدميـة» الى سلخ الطليعـة (النسائية والرجالية ) عـن جماهير الشعـب نساء ورجـالا بالنسبة لهـذا الموضوع ٠ ولم تسهم في التقدم المطلوب بل ولدت صراعات لا طائل من ورائها وضربت اسوأ مثل للجماهير في معـالجة « موضوع المرأة » ٠ بتحويل القضية عمليا الى صراع من اجل الحرية الفردية والانفلات من قيـود الروابط العائلية واتهـام نساء الشعـب ورجاله بالتخلف والتأخر والعـقـل الرجعـي ٠ فالبعـض قلد الاتجاهات المنحـرفة لدى « اليسار » الاوروبـي ٠ والبعض قلد العصرية الاوروبية وغـرق في الفسق والفجور والتهتك او بالمظاهر السطحية لمدنية برجوازية استعمارية زائفة ٠

ان هذه الموضوعات تعيدنا الى موضوع اهداف الثورة العربية باعتبارهـا اهداف كل الجماهير العربية ٠ ومن ثم فهي اهداف جماهير النساء العربية لان

جماهير النساء يشكلن نصف الشعب وهن يواجهن كل ما يواجهه الشعب من اضطهاد استعماري ونهب استعماري ونفوذ امبريالي ووجود للكيان الصهيوني على ارض فلسطين · ويواجهن كل ما يواجهه الشعب من نضالات ضد التجزئة وضد الاحتكار والاقطاع · واذا كان هذا هو الواقع الموضوعي لجماهير النساء في بلادنا وكان هذا هو الذي يجعل قضية الثورة هي قضية هذه الجماهير النسائية·فان الحركة العفوية للمشاركة الجماهيرية النسائية ارتبطت دوما في بلادنا بهذه القضية ·وكانت تتصاعد او تنتكس ، تتقدم او تتعرج ، تبعا لما يحدث للثورة في تقدمها وتعرجها ، وفي تصاعدها وانتكاستها· وكان ذلك يتم بالمبادرة الجماهيرية الشبعية العفوية للشعب كله · اما الحركات النسائية او السياسيةالتي كانت تطرحقضية المرأة كتناقضمع الرجال او كتناقض مع الدين او التقاليد · فكانت على هامش النضالات الجماهيرية النسائية القومية والثورية المندمجة بالحركات الجماهيرية القومية والثورية للشعب كله · والمنطلقة لتحقيق الاهداف السياسية نفسها التي يناضل كل الشعب في سبيلها ·

ان التحليل الموضوعي الملموسللوضع فيبلادنا واستخلاص الدروس الصحيحة من الحركة العفوية الجماهيرية لجماهير النساء في الانتفاضات والثورات، يسلحنا بالنظرية الصحيحة في فهم علاقة جماهير النساء في بلادنا بالقضايا القومية الكبرى ·ومن ثم يجعلنا نخرج بالموضوعة المركزية في بلادنا وهي ان قضية الشعب والثورة والوطن هي الاولى الاساسية لجماهيرالنساءفي بلادنا · وليس التناقض مع هيمنة الرجل او مع التقاليد والدين ·

ولهذا ، فان كل نضال بين جماهير النساء يذهب شططا اذا لم يقم على اساس تلك النظرية الصحيحة وهذه الموضوعة المركزية · الامر الذي يضع بدوره الاساس في الصراع بين الخط الصحيح سياسيا وفكريا ونظريا ومنهجيا وبين الخطوط الخاطئة علىاختلاف انواعها · ومن ثم فان انتصار هذا الخط الصحيح هو الذي سيتيح اشراك اوسع الجماهير النسائية في النضال · ويتقدم بنضالاتهن وبوضعهن الى الامام في كل المجالات ·

**لماذا يجب ان تشارك المرأة في النضال**

لا بد في الثورة ، وفي حرب الشعب ، وفي كل نضال جماهيري ، من تعبئة كل طاقات الشعب وتوحيدها من اجل التمكن من هزيمة العدو وتحقيق الانتصار · بل من اجل التمكن من انجاز المهمات القومية والثورية الكبرى·

وعـندما نقول كل طاقات الشعـب ، فهـذا يعـني طاقات جماهير النساء ايضا لانهن يشكلن نصف الشعب • وقد اثبتت تجربة الثورة الفلسطينية وتجربة الحرب الاهلية في لبنان ، وتجارب عشرات الانتفاضاتوالثورات في تاريخنا العربـي القديم والمعاصر ان جماهير النساء يمتلكن طاقات جبارة في النضال والجهاد • ويمكنهن المساهمة الفعـلية في مساندة نضال الرجال من ابناء الشعب واعطائـه زخما كبيرا • وفي الواقع ، ان هذه التجارب لم تقتصر عـلى مجال معـين من مجالات العـطاء وانما عـلى اغلبـها ان لم يكن كلها • ان مجرد تكوين قناعة لدى جماهير النساء باهمية القضية التي يناضل من اجلها الشعـب وبضـرورة التضحية في سبيلها تسهم مساهمة كبرى في اعـطاء زخـم كبير في النضـال • حيث يمكن ان يلعبن دورا مهمـا في تشجيع الزوج والابن والاخوالاب على خوض النضال وعـدم الخـوف من التضحية • هذا فضلا عـن المساهمات الفعـلية في تلبية الكثير من حاجات النضال كالمشاركة في تأمين الاكل للمقاتلين ، وفـي ممارسة اعـمال انتاجية في المنزل وفي الحقل وفـي المشغـل او في القيام باعمال الاسعـاف والتموين • الى مشاركة في التظاهرات والانتفاضات والكفاح المسلح، او الصراع ضد جنود العـدو وشرطته •

من هنا ندرك ان الدفع باتجاه اشراك اوسع جماهير النساء في الثورة وفـي النضال ، واستنهاضهن لمشاركة كل الشعب من اجل تحقيق قضية الشعـب والثورة والوطن مسالة ضرورية ، يجب ان تكون المهمة المركزية المباشرة للنضال النسائي عـلى مستوى الطليعـة والثـورة • وان وضع اية مهمة اخـرى او اية قضية اخـرى فوق هذه القضية وهـذه المهمة المركزية او في موازاتهـا يتناقض مع استراتيجية وتكتيك تعبئة كل طاقات الشعـب وتوحيدها من اجـل التمكن من هزيمة العـدو وتحقيق الانتصار • بل من اجل التمكن من انجـاز المهمات القومية والثورية الكبرى •

واذا كنا قد ناقشنا الاتجاهات التي تضع للمرأة قضية قائمة بذاتهـا او توازي بينها وبين القضايا التي يناضل الشعـب كله في سبيلها • فان مـن الضروري هنا مناقشة اتجاه فكري اخر يجنح الى الاشفـاق عـلى المرأة من تحمـل المشاق والتضحية في النضال وكأن من الممكن ان تنجو المرأة بجلدها عندما يكون الشعـب يخوض غـمار النضال والصراعـات الكبرى • علينا هنا ان نلاحظ ان عـدم تعريض جماهير النساء لتحمل المشاق والتضحية في النضال امر غـير ممكن اطلاقا ما دام الزوج والاب والابن والاخ يناضلون • لان كـل تضحية يقدم عليها اولئك تصيب المرأة مباشرة • ان استشهاد الـزوج والاب والابن والاخ تعـني تحملها التضحية الكبرى • وعـندما يتعرض اولئك للمطاردة

او السجن او الاضطهاد فهي في قلب هذه التضحية وفي صميمها ٠ وعندما يتلقى رجال الشعب صنوفا من نكال الغزاة والطغاة ويتعرضون للبطش والبطالة والبؤس ، ويرزحون تحت الاعباء المعيشية الثقيلة فهذا يعني الام والزوجة والاخت والابنة ويضعهن في قلب هذا الظرف ٠ ومن هنا فهي في الخندق نفسه ٠ فالوطن وطنهن كما هو وطن الرجال من ابناء الشعب ٠ فلماذا لا يتحملن اعباء النضال وتضحياته ما دام اعداء الشعب قد فرضوا على الشعب كله تحمل هذه الاعباء والتضحيات ٠ فكما لا نفكر ، وبالهرب بجلودنا من اجل قضية الشعب والثورة والوطن فيجب ان تحمل امهاتنا وزوجاتنا واخواتنا وبناتنا ما يحمله الوطن من اعباء وتضحيات ٠ انهن يحملن ذلك ، على اية حال ، ولو قلنا لهن لا علاقة لكن بما يجري وذلك ما دمنا نخوض النضال ٠ ولهذا ما دام الامر كذلك ، فتأتي مشاركتهن الانشط في النضال ولو تعرضن الى تضحيات اكبر ، هي الطريق الذي لا بد من سلوكه لانقاذ الوطن والشعب من براثن العدو ٠ ان هذه النظرة يجب ان ترد ايضا على الاتجاهات التي تطالب الرجال بالتخلي عن طريق النضال والثورة اشفاقا على الام والاب والاخوات والبنات والابناء والزوجات ٠ ان الوطن وطنهن كما هو وطننا وان الشعب شعبهن كما هو شعبنا ٠ ان القضية قضية الجميع ٠ وسيف العدو على رقبة الجميع ٠ فلنتحمل جميعا اعباء النضال والتضحيات ٠

ان في القضاء على الكيان الصهيوني ، وان في تحرير الوطن العربي واستقلاله وتوحيده ، فان لجماهير النساء في انتصار الثورة التي يقوم بها الشعب ، مصلحة حقيقية كما لجماهير الرجال من ابناء الشعب ٠ ولا يمكن ان تحل المشاكل الخاصة التي تعاني منها جماهير النساء الا بعد ان تحل القضايا القومية الكبرى ٠ كما ان حل هذه المشاكل لا يمكن ان يتم بالنضالات المعزولة وانما عبر استنهاض اوسع جماهير النساء في بلادنا للنضال مع الشعب كله من اجل انتصار قضايانا القومية الكبرى ٠

**المنطلقات الاساسية لمعالجة موضوع المراة في بلادنا :**

**اولا :** تشارك جماهير النساء في بلادنا جماهير الرجال كل القضايا الرئيسية التي تواجه الشعب ككل ٠ وهذا يعني انها تشارك وضع الرجل فيما يتعلق بكلما يواجه الشعب والوطن من كيان صهيوني ، استعمار ، اضطهاد ، استغلال ، تجزئة ، مظالم الخ ٠ ويترتب على هذه السمة ما ورد في الموضوعات السابقة من ضرورة المشاركة في النضالات العامة التي يخوضها الشعب باعتبار ان

قضايا الشعب الكبرى هي قضاياها المركزية ذات الاولوية ولهذا فان المهمة المركزية للنضال بين جماهير النساء هي استنهاضهن للمشاركة في النضالات التي يخوضها الشعب تحت الاهداف نفسها وتحت الشعارات السياسية نفسها وضمن الخط السياسي والخط الفكري نفسهما ٠ هذه هي السمة الرئيسية ٠

ثانيا : ان المرأة في بلادنا محكومة للرجال وتابعة اقتصاديا ٠ وهذا مكون تاريخي٠ وان هذا التناقض بالنسبة لجماهير النساء يشكل تناقضا ثانويا بالقياس للتناقض بينهن ومعهن جماهير الرجال وبين اعداء الشعب من كيان صهيوني وامبريالية وعملاء ٠

ان الصراع في هذا التناقض الثانوي لا يأخذ في هذه المرحلة التاريخية هدفا له يتمحور حول تحقيق المساواة والتحرر من هيمنة الرجل والتبعية الاقتصادية ٠ وانما يأخذ شكل الصراع حول ضرورة اشراك اوسع جماهير النساء في الثورة والنضال القومي وهو امر يهم الشعب ككل ، ويهم جماهير الرجال ٠ ولهذا فان خوض هذا الصراع ضمن خط صحيح في معالجته وضمن اشتقاق صيغ مناسبة من تجربة الحركة العفوية الجماهيرية لاشراك اوسع الجماهير النسائية واستنهاضها ٠ وذلك باتجاه توحيد اوسع جماهير النساء والرجال حول هذا الموضوع الذي سيؤدي الى النجاح في هذا الصراع لتحقيق المهمة المركزية المذكورة اعلاه ٠

ثالثا : تشكلت في بلادنا تاريخيا مجموعة من التقاليد والقيم والافكار بالنسبة للمرأة وسلوكها ودورها ٠وان هذه التقاليد والقيم والافكار يحملها الرجال والنساء على حد سواء ٠ وان بعض تلك التقاليد والقيم والافكار يحمل طابعا شديد السلبية في مواجهة عملية استنهاض جماهير النساء للمشاركة في نضال الشعب ٠ وقد جاء هذا البعض من عصور الانحطاط ومن الغزاة والمستعمرين كاحتقار المرأة ومعاملتها بمهانة وهو غريب عن التقاليد والقيم والافكار التي طرحها الاسلام ٠ ولهذا يجب ان نفرق بين ما هو غريب مستورد وسلبي وبين ما هو ايجابي في تقاليدنا وقيمنا وافكارنا ٠ كما ان احترام تقاليد الشعب وقيمه وافكاره مسالة اساسية في النجاح بمهمة استنهاض جماهير النساء للنضال ٠ لان من غير الممكن ان يفرض على الشعب شيء او ان يعامل الشعب بتحد وتعاد ٠ فالشعب هو الذي اذا اقتنع غير ، لانه هو الذي يصنع الثورة وهو الذي يحقق الانتصارات ٠ اما الاتجاهات التي تربط بين مشاركة المرأة في النضال وبين محاربة التقاليد انما تحكم منذ البداية على اجهاض عمل المرأة ٠ فالمطلوب ليس محاربة التقاليد انما المطلوب هو استنهاض جماهير النساء للمشاركة في النضال من اجل القضايا التي يناضل

الشعب في سبيلها ٠

ولهذا فان فهم هذه السمة مسألة ضرورية لفهم كيفية استنهاض جماهير النساء للنضال ٠

**رابعا** : ان المرأة في بلادنا مسؤولة عن عمل البيت وتربية الاطفال وعليها اعباء كبيرة بما في ذلكجماهير الفلاحات العاملاتفي الحقول وجماهير العاملات٠ وان هذا الوضع يتطلب ان يراعي جيدا اثناء ايجاد الصيغ لاستنهاض النساء للنضال العام ٠ حيث من غير الممكن الطلب من جماهير النساء ، في ظروف بلادنا ، التخلي عن هذه المسؤولية او استنهاضهن خارجا عن استمرار قيامهن بهذه المسؤولية ٠ وان اي تفكير يحاول ان يقفز عن هذا الواقع الموضوعي بالطلب من جماهير النساء التخلي عن هذه المسؤولية او الاهمال بها او اقتسامها مع الرجل لن يؤدي الى استنهاض جماهير النساء للنضال فضلا عن انه تفكير الفئات البرجوازية التي لا تعرف عن واقع الشعب شيئا ٠

**خامسا** : ان نسبة الاميات بين جماهير النساء عالية جدا كما ان هناك تخلفا نسبيا فيما يتعلق بمشاركتهن في شؤون النشاط الاجتماعي والسياسي العام ٠ الا ان جماهير النساء في بلادنا لسن بعيدات عن الاهتمام بالمسائل الوطنية والسياسية العامة خاصة في ظروف النهوض النضالي العام ٠ ويشكل هذا الامر مرتكزا للانطلاق منه على طريق العمل السياسي معهن واستنهاضهن للنضال ٠ وهنا يجب ان نلاحظ ضرورة التفريق بين الامية وبين الفهم والمعرفة٠ ومن ثم يجب الا يتصور احد انهن لا يختزن معارف وتجارب وافكار مهمة اكثر تقدما مما لدى كثير من المتعلمات او المثقفات او ان العمل السياسي والفكري يبدا معهن من الصفر ٠

سادسا : ان المرأة بحكم تبعيتها الاقتصادية للرجل تنتسب للطبقة التي ينتسب اليها رجلها (ابوها ، زوجها )٠ كما ان النساء اللواتي لهن وضع في عملية الانتاج كالفلاحات والعاملات والموظفات ،فهن ينتسبن الى الفلاحين والعمال والبرجوازية الصغيرة على التوالي ٠ ومن هنا فان طرح موضوع المرأة كشيء خارج عن هذا الوضع واعتبار ان النساء جميعا يشكلن «طبقة » واحدة هو طرح خاطيء تماما ٠ الامر الذي يتطلب عند الحديث عن استنهاض جماهير النساء في بلادنا ان نحدد لمن نتوجه والتوجه هنا يسير متوازيا مع التوجه بالنسبة لجماهير الرجال ، بما في ذلك، موضوع الجبهة المتحدة بين جماهير النساء ٠

ان اعتبار المرأة جزءا من طبقة سواء من خلال ارتباطها بالرجل او من خلال علاقتها المباشرة في عملية الانتاج · يتطلب اعتبار وضعها وافكارها وموقفها السياسي ذات طبيعة طبقية · وليس معاملتها كامور خارج الطبقات·

سابعا : تطور وضع المرأة مرتبط بتطور وضع الشعب والثورة · فعلى الرغم من ان هنالك فروقا بينها وبين من يوازيها من الرجال · وذلك بسبب الدور الاقتصادي والسياسي والفكري الذي يلعبه الرجال على مستوى مختلف الطبقات · الا ان هذه الفروق لا تعني ان وضع المرأة تجمد عند نقطة محددة وتوقف عن التطور بينما اخذ الرجال من مختلف الطبقات يتقدمون ويتطورون · في الواقع ، كان يحصل هنالك تقدم مماثل مع بقاء نسبة الفروق سائمة · ولهذا فان ملاحظة القانون ارتباط تطور وضع المرأة بتطور وضع الشعب ، يفترض الانتباه الى نقطتين الاولى ربط عملية استنهاض جماهير النساء للنضال بالمستوى الذي استنهض فيه جماهير الرجال ، ومن ثم ، لا بد من بقاء فروق نسبية الى امد طويل وهذه مسالة موضوعية ويجب ان تتعالج بدقة · والثانية الدور الراجع لاستنهاض جماهير النساء للنضال على وضع الشعب والثورة ، وما يمكن ان يقدمه من زخم · ولهذا من العبث طرح مشاريع لتطوير وضع جماهير النساء لا تأخذ بعين الاعتبار مستوى التطور في وضع الشعب والثورة ·

ثامنا : ان كل خطوة يتم التقدم بها على طريق استنهاض جماهير النساء للنضال مع جماهير الشعب في الثورة تتطلب السير خطوة مماثلة في مجال الوعي لدى جماهير الرجال لكي تعزز تلك الخطوة بتأييد عام وتدعم الوحدة العريضة بين اوسع الجماهير رجالا ونساء · ولهذا فان مسالة استنهاض جماهير النساء في بلادنا ليست مسألة نسائية خاصة وانما هي مسألة تهم الشعب كله · الامر الذي يتطلب ان تتبنى جماهير الرجال هذه المسألة وتسهم بنشاط في انجازها · واذا ما تحقق ذلك فهذا سيؤدي الى النجاح في هذه المهمة المركزية · اي ان التعبئة السياسية لاستنهاض جماهيز النساء للنضال من اجل القضايا التي تهم الشعب كله يجب الا تقتصر على عمل المناضلات الطليعيات بين جماهير النساء وانما يجب ان تكون تعبئة سياسية عامة على نطاق الشعب كله يشارك بها الجميع وتطرح امام الجميع · وهنا يمكن ان نلاحظ ان هذه المسالة ممكنة فقط حين تكون قضية الشعب كله هي القضية المركزية في نضال جماهير النساء ·

تاسعا : عندما يطرح البعض ما يسمى به قضية المرأة » في بلادنا علينا ان نفكر بالفلاحات والعاملات ونساء العمال واللاجئات والنساء في الاحياء الشعبية · ويجب ان يكون التوجه الاساسي هو لهذه الجماهير التي تشكل

الاغلبية العظمى من النساء في بلادنا · ان التفكير في وضع هذه الجماهيــــر ومعــرفة ظروفها واكتشاف خـطها (خـط الجماهير ) هو الذي يتيح امكانيـــة تجنب الانحراف عـندما يطرح البعـض المسائـل المتعلقة بما يسمى « قضيـــــة المرأة » ·

على ان هذا التوجه لهـذه الجماهير النسائية لايعـني اهمال العـمل السياسي لاجتذاب جماهير الطالبات والنساء المثقفات او نساء الطبقات والفئات البرجوازية الوطنية الى النضال الوطني العام · وذلك ما دام الرجال الموازين لهن من الفتيات والطبقات نفسها مدعوين للنضال الوطني العـام · اي ان التركيز في التوجه نحو جماهير النساء الكادحات يجب ان يتم ضمن الدعـوة للجبهة المتحـدة رجالا ونساء · وما دام نضال جماهير النساء مرتبط باهداف النضال الوطنـي العـام ·

عاشرا : ان بحث «قضية المرأة » وكيفية معالجتها وما يرتبط بـها من مسائل تتعلق بالسياسة والشعـارات واشكال النضال ، تحمل طبيعـة طبقية سياسيـــا وفكريا ومنهجيا ولهـذا فان كل طبقة تنظر الى هذا الموضوع من وجهة نظـــر محددة · ومن ثـم تطرح سياسات وشعـارات واشكال نضال وافكارا ومنهجـا ينبع من طبيعتها الطبقية ومن افكارها وسياستها العـامة ومنهجها العـام ومـــن وضعـها الاقتصادي والاجتماعـي العـام · ولهـذا فان كل صراع بين خطين في هــذا المجال هــو صراع يحمـل طبيعـة طبقية محددة · ويجب ان ينظر اليه كذلك · ولا يجوز ان نترك الاتجاهات فوق « اليسارية » في هذا المجال تفلـــت وتجيء طبيعتها البرجوازية وراء الادعـاءات والشعـارات « اليساريـــــة » و« التقدمية » ·وذلك من خـلال استخـدام معـيار محدد في هــذا الحــكم · اظهار جانب المغامرة ، اظهار جانب النظرة الذاتية لا الموضوعية ، اظهــــار محاولة القفز عن الواقع الملموس والقوانين الموضوعية ، اظهار سياسة تقسيم صفوف الشعب ، اظهار جانب رفع التناقضات الثانوية الى مستوى التناقض الرئيسي ·

حادي عشر : ان استنهاض جماهير النساء لخوض النضال العام مع الشعـب كله هو وحده الذي يتيح الامكانية لتطوير دورهن في النشاط السياسي والفكري والاجتماعي والاقتصادي العام ويسمح لهن بالنضال من اجل حقوقهـن الشرعية· اما اعطاء الاولوية للمطالب الخاصة ، او النضالات الاقتصادية ، او القانونيـة والدستورية ، او تحقيق خدمات معينة فان ذلك يشكل خطـا « اصلاحيـــا » لا يستنهض جماهير النساء استنهاضا ثوريا · ولا يسمح بتطوير دورهن في النشاط السياسي والفكري والاجتماعي والاقتصادي العام · انه بالنضال « الاصلاحي »

بين جماهير العمال والفلاحين الفقراء حين تعطي الاولوية للمطالب الخاصة ، والنضالات الاقتصادية او القانونية والدستورية ، او تحقيق خدمات معينة ( تأمينات ، ضمانات ، الخ ) ٠ ان هذا النوع من النضالات يجب الا يحظى على الاولوية ، وانما يجب ان يخضع للقضايا القومية الكبرى :٠ للقيام بالثورة٠ان الاتجاهات التي تلجأ الى ذلك الطراز من النضالات « الاصلاحية » هي التي لا تجرؤ على مواجهة جوهر القضية ، والتصدي للاعداء الرئيسيين ٠

**ثاني عشر** : ان الوضع المتخلف الذي تعيشه جماهير النساء شأنه شأن الوضع المتخلف الذي تعيشه جماهير العمال والفلاحين الفقراء ، هو نتاج تاريخ طويل يمتد الى آلاف السنين ٠ ومن ثم فان الخلاص منه يتطلب عملية تاريخية جبارة ستحتاج الى تحقيقها عشرات السنين ولا بد لها من المرور بعدة مراحل ثورية تاريخية اي لا يمكن ان ينتقل المبعدون عن تقرير شؤون السياسة والاقتصاد والفكر والادارة الاف السنين الى امتلاكالقدرة على التحكمفيمصائرهمومصائر بلادهم وسياستها واقتصادها وفكرها وادارتها بضربة واحدة او بثورة واحدة ٠ ان تحول جماهير النساء والرجال الكادحين الى مستوى يسمح لهم بتفجير طاقاتهم وتقرير مصير كل شيء يشترط في بلادنا ان نحقق اولا الثورة القومية الوحدوية الديمقراطية ٠ ثم الثورة الاشتراكية ٠ بل بعد انتصار الثورة الاشتراكية ستحتاج هذه العملية لعشرات السنين ولعدة ثورات ثقافية ٠ ولكن في كل ثورة من هذه الثورات تتحقق خطوات مهمة الى الامام ٠

ان الذين يحصرون اسباب تأخر المرأة في بلادنا الى التقاليد والدين والى اللامساواة القانونية ولتبعيتها للرجل اقتصاديا لا يدركون ان العقبة الاساسية في بلادنا التي تقف امام كل تقدم للشعب نساءا ورجالا انما هو النفوذ الامبريالي والكيان الصهيوني والعملاء ٠ هذا هو جوهر المعضلة الان وهو ما يجب التصدي له ٠ وان الامساك بهذا الجوهر والتصميم على التصدي للاعداء الرئيسيين هو الذي يفتحالباب واسعا امام توحيد بلادنا واستقلالها وانجاز الثورتين الديمقراطية ثم الاشتراكية ٠

**التوجه لجماهير النساء سياسيا :**

يترتب على اعتبار قضية الشعب والثورة والوطن هي قضية جماهير النساء ٠ ضرورة التوجه لهن سياسيا ٠ وهذا بالضبط هو الذي يلبي تحقيق المهمة المركزية وهي استنهاض جماهير النساء للمساهمة في الثورة ، والنضال العام الذي يخوضه الشعب ٠ كما ان التاكيد على ضرورة التوجه السياسي لجماهير النساء كما نتوجه سياسيا لجماهير الرجال وتحت الشعارات نفسها والمقولات نفسها ،

ينبع من تحليل دقيق لخاصية وضع جماهير النساء في بلادنـــا • لقد لاحظنا في المنطلقات الاساسية ان وضع المرأة في بلادنا مرتبط بوضع الرجل ومن ثم فـــان القضايا الكبرى التي تشغل جماهير الرجال تشغل جماهير النساء • فهن شركاء في البيت وفي الوطن ، في الوضع الاقتصادي وفي الوضع السياسي • او كما يقـال هن شركاء في « الغرم والغنم » • فما يحدث لجماهير الرجال وللوضع في بلادنا يصيبهن مباشرة ، ويعنيهن مباشرة • كما لاحظنا في المنطلقات الاساسية ان تطـور وضع جماهير النساء وتطورهن مرتبط بتطور وضع جماهير الرجال ونطورهم • ولاحظنا ايضا ان جماهير النساء في بلادنا لسن جاهلات حتى ولو كانت الاميـة منتشرة في صفوفهن ، وانما يختزن معارف ومفاهيم وتجارب كثيرة • ولسـن بعيدات الا بصورة نسبية عما تختزنه جماهير الرجالمن معارف ومفاهيم وتجارب• وان العمل لن يبدأ من الصفر سياسيا بينهن • ولهذا كله فان الخط الصحيح فـي التوجه لجماهير النساء هو الخط الذي يعطي العمل السياسي المباشر الاولوية • فالتوجه لا بد من ان يرتبط بمناقشة اهم المسائل السياسية المطروحـة علـــى الشعب كلـــه •

اما الاتجاهات التي تضع في الاولوية تحريض جماهير النساء انطلاقا مـــن وضعهن في البيت ومع ازواجهن • او من دقائق حياتهن الخاصـــة وصعوباتها • فتطرح مشاكل تعليم جماهير النساء قواعد « النظافة والصحة والعنايـــــة بالاولاد » • او تحرض على الاعمال النقابية والمطالبات الجزئية والخدماتية •وذلك باعتبار هذا التوجه هو الذي يمكن ان « يتدرج » بالنساء لادراك القضايا السياسية والفكرية والنظرية • ان هذه الاتجاهات تتصور ان المسائل السياسية الكبـرى المطروحة على الشعب كله هي فوق مستوى استيعاب جماهيـــر النساء • وان استيعابها يحتاج الى مستوى من « التعليم » و « الثقافة » عال كذلك الذي يتمتع به اصحاب نلك الاتجاهات • انها نزعة الاستذة على الشعب والنظـرة العليائية الى جماهير الشعب • انها نظرة البرجوازية الى الجماهير الكادحة •

لقد دلت التجارب التاريخية في ثورتنا الفلسطينية وفي الثورات والانتفاضات الشعبية في كل بلادنا العربية على مر العصور ، وخاصة في العصر الحديث ، ان استنهاض جماهير النساء كان يرتبط بالقضايا القومية والطبقية المركزية الكبرى• اي القضايا نفسها التي تحرك جماهير الشعب للقيام بالثورة والانتفاضات • ان هذا الدرس هو ما يجب ان نتعلمه في تحديد اولوية التوجه السياسي لجماهيـر النساء في بلادنا •

هنا ايضا يخاض الصراع بين الخطين في السياسة والافكار والمنهج •
اما من ناحية اخرى • فان هذا الخط في تحديد اهداف النضال المركزية لنضال

جماهير النساء · اي اهداف الشعب كله · وان هذا الخط الذي يجعل مهمته المركزية هي استنهاض اوسع جماهير النساء ، للمشاركة في الثورة وفي النضال العام الذي يخوضه الشعب · وان يجعل الاولوية في العمل بين جماهير النساء للتوجه السياسي المباشر الذي يتناول المسائل السياسية الكبرى المطروحة على الشعب كله · ان هذا الخط يحتاج الى طليعة نسائية تشارك الطليعة الرجالية في قيادة هذا الخط بين جماهير النساء · ولكن هذه الطليعة يجب ان تتبنى خطا سياسيا صحيحا وخطا فكريا صحيحا وتأتي ممارستها تكريسا لهذين الخطين لكي يكون بمقدورها ان تسهم في استنهاض جماهير النساء للمشاركة في الثورة ،وفي النضال العام الذي يخوضه الشعب · ان هذا الخط يتطلب طليعة تختلف عن ذلك النمط من المناضلات البرجوازيات الوطنيات ــ وان كان من الضروري ان تتحد معهن في جبهة عريضة، وتختلف عن ذلك النمط من اليسراويات ــ البرجوازيات ــ اللواتي ينفرن الشعب ويعزلن انفسهن عن جماهير النساء ــ وان كان من الضروري خوض صراع سياسي وفكري معهن لاعادتهم لتبني الخط الصحيح ·

ان تكون طليعة سياسية وفكرية نسائية عملية تاريخية يجب ان تصقل بتجربة حركة فتح وبالتجربة العامة للثورة الفلسطينية والحرب الاهلية في لبنان · وبالتعلم من تجارب الجماهير العربية في كل البلاد العربية · ولا يمكنها التقدم الا عبر الممارسة مع جماهير النساء في الثورة وعبر الصراع السياسي والفكري على مختلف المستويات ·

ان المناضلات الطليعيات في ثورتنا الفلسطينية وفي حركة جماهيرنا العربية بحاجة لان يلتقطن بعمق الخط السياسي الصحيح والخط الفكري الصحيح على نطاق الشعب كله وعلى نطاق العمل بين جماهير النساء · وعليهن ان يعدن صياغة انفسهن على الاسس نفسها التي يعيد المناضلون الطليعيون صياغة انفسهم وفقا لها · ولا يمكن ان تخاض هذه العملية الثورية الكبرى الا عبر الصراع بين الخطين · ودحض الخطوط الخاطئة ·

### مجموعة اخطاء وانحرافات يجب دحضها :

اذا كنا قد تعلمنا الكثير من التجربة العفوية الجماهيرية لمشاركة جماهير النساء في الانتفاضات والثورات في بلادنا · فان هنالك تجارب اخرى لحركات نسائية غير جماهيرية يمكن ان نتعلم منها كدروس من المعلم السلبي · وذلك لكي نتجنب تكرارها وندحض خط من يحاول تكرارها · وهنا يمكن تناول مجموعة من هذه الدروس السلبية استقيت من ظواهر عرفتها بلادنا ·

### اولا : ظاهرة « الطليعة » النسائية « المتحررة » :

برز اتجاه لدى بعض الحركات السياسية طرح « قضية المرأة » في بلادنا باعتبارها قضية تحرير المرأة من هيمنة الرجل ومن التقاليد ودعا لمساواتها مع الرجال · وقد ترجم ذلك بان تقوم « الطلائع » النسائية في تلك الحركات بتطبيق هذه المقولات على انفسهن · فتحولت العملية من موضوع يمس جماهير النساء الى موضوع ضيق يخص فئة « الطليعيات » دون غيرهن · فراحت اولئك « الطليعيات » ، وبتشجيع من زملائهن « الطليعيين » ، « بتحرير » انفسهن كافراد· وكافحن لكي يحققن هن المساواة في علاقتهن بالرجال · وذهبن بهذا السبيل الى الاقتداء بكل ما يعمله زملاؤهن ، وبصورة خاصة ، العادات السيئة والسلبيات على انواعها · وهكذا تحولت « قضية المرأة » الى قضية شخصية ضيقة تشمل بضع عشرات من الفتيات · اما جماهير النساء فهن « متخلفات » ، « محافظات» ، « رجعيات » لانهن يسرن على هذا المنهج · ولا يقبلن به ، بل ويستنكرنه اشد الاستنكار · ان الجذور الفكرية والسياسية لهذا الخط تلتقي مع خط النساء البرجوازيات المقلدات للحضارة الاوروبية حين يعلن « تحرير » انفسهن بعد ان يطلعن على الثقافة الغربية الرأسمالية وينخرطن في العمل الاقتصادي · ان الفرق بين هذين الاتجاهين هو ان الاتجاه الاول قد سيس الاتجاه الثاني والبسه لبوسا « ثوريا » و « يساريا » · اما من الناحية الثانية فان هذا الاتجاه من حيث منطلقاته الاساسية في النظر الى « قضية المرأة » لا بد من ان يقود الى ذلك المصير ! « التحرر » كافراد ، والعزلة عن الشعب وجماهير النساء ·

ان الخط الثوري الصحيح هو الذي يطرح قضايا الشعب كله كقضايا مركزية لنضال المرأة · ويعتبر ان مهمته المركزية هي استنهاض جماهير النساء للمشاركة في الثورة، او في النضال العام الذي يخوضه الشعب· ولهذا فهو لا يحول المسالة الى قضية خاصة لبضع عشرات من النساء · اي ان « يحررن » انفسهن ويحققن المساواة بايديهن مع زملائهن · ان المسالة دائما هي مسالة الجماهير · وليست مسالة « طليعة » · فان تحرر بضعة افراد لا يعني شيئا ولا قيمة له · ولهذا فان العمل الطليعي الحقيقي هو الذي يجعل قضية الشعب قضيته · فاذا لم تستنهض جماهير النساء للنضال مع الشعب كله فلن يتغير شيء ولن يتحقق شيء· ولهذا فهو يخضع كل سياساته ونضالاته وافكاره وممارساته لخدمة هذه المسألة· لا لخدمة نفسه · فعلى سبيل المثال ما قيمة ان يبحث كادح ما عن حلول خاصة للخلاص من وضعه · فهل يكون قد « تحرر » · وما قيمة خلاصه ما دامت عشرات الملايين من الكادحين ترزح تحت وطاة ذلك الوضع · ان المناضل الثوري الحقيقي لا يستطيع ان يفكر على هذه الصورة او يمارس على هذه الطريقة · انه يربط

قضيته بقضية عشرات الملايين ولا يجد الحل الا في استنهاض عشرات الملايين للقيام بالثورة ٠ ومن هنا فان الخط الصحيح بالنسبة للمناضلات الطليعيات لا ان يفكرن «بخلاصهن» الفردي او «بتحررهن» الفردي ، كما يطرح لدى الاتجاه الخاطىء ، وانما ان يربط قضيتهن بقضية عشرات الملايين من جماهير النساء العربيات ٠ ولا يبحثن عن الحل الا باستنهاض جماهير النساء للنضال مع الشعب كله ٠ وهذا يتطلب منهن الا يبحثن عن الهرب بجلدهن عن اخواتهن جماهير النساء ، او ان يرفضن العيش مثل هذه الجماهير ، ويتحملن الصعوبات التي تتحملها ٠ اما بالنسبة لعلاقتهن بازواجهن وآبائهن واخوتهن فهذه يجب ان تحل بصورة عامة ضمن الحدود المعقولة وبالتفاهم وضمن خط الجماهير مع الاصرار على ضرورة المشاركة في خدمة الشعب والثورة والوطن ٠ وان كان لا بد من حل كل قضية خاصة حلا مناسبا لها ٠ ولكن الخط العام هو عدم تحويل «قضية المراة» الى مسالة فردية ، والتركيز على القضية التي تهم الشعب كله٠ وعلى استنهاض جماهير النساء للنضال العام ٠ وان الطليعة التي يصبح هذا همها سوف تعرف كيف تتصرف لانها عندئذ ستمتلك معيارا هو هل يخدم هذا التصرف او ذاك مسالة استنهاض جماهير النساء للنضال العام ام لا ؟٠ ومن ثم يصبح راي الجماهير مسالة حاسمة تراعى جيدا ٠ هنا ايضا صراع بين الخطين ٠

**ثانيا : اتجاه اثبات الذات :**

برز اتجاه لدى بعض الاخوات في الحرب الاهلية في لبنان جنح الى الاثبات بانهن قادرات على فعل ما يفعله الرجال ٠ اي ان يثبتن بان المراة قادرة على القتال ٠ وكأن هذه مسالة بحاجة الى اثبات ٠ سواء في الماضي او في الحاضر وفي الحقيقة كان جوهر هذا الاتجاه هو ان تثبت هذه الاخت او تلك انها قادرة على ان تقاتل ٠ واصبح هذا الاتجاه غاية بحد ذاته يحكم كل افكارها وتصرفاتها ٠ اي تحولت المسالة الى مسالة شخصية ايضا ٠ ونسيت ان المهمة المركزية هي النضال لاستنهاض جماهير النساء للمشاركة في الحرب الاهلية ٠ وليس مجرد ان تشارك هي ٠ اما عدا ذلك فهو امر غير مهم ٠ صحيح ان المشاركة في القتال ليست مقصورة على الرجال ٠ وانما لا بد من ان تسهم بها المناضلات الطليعيات ومعهن جماهير النساء ٠ ويكفي ان نتذكر المجاهدات المقاتلات في معركة احد وفي العديد من معارك الاسلام امثال السيدة عائشة ، وام سلمة ، والربيع بنت معوذ ، وام عطية الانصارية ، ونسيبة بنت كعب ، وخولة الكندية وغيرهن المئات ، حتى ندرك بان مشاركة المراة في القتال تقليد عربي اسلامي منذ امد بعيد ٠ ولكن معارضة هذا الاتجاه لا تنطلق من معارضة روح المشاركة في القتال٠ وانما ان تكون المشاركة في القتال غاية لاثبات القدرة الشخصية ٠ وترك الاهتمام بكل ما عدا ذلك ٠

ان الخط الصحيح هنا هو ابقاء المهمة المركزية حاضرة باستمرار • اي استنهاض جماهير النساء للمشاركة في الثورة والحرب الاهلية • دون ان تحصر مشاركة في ممارسة القتال على خط النار ، دون ان تقتصر المشاركة على بضع طليعيات • كما ان المشاركة في القتال لا بد من ان تخدم عملية هذا الاستنهاض لا ان تكون عملا فرديا معزولا • واذا كانت ستعود ببعض الفائدة ، باضافتها بضعة افراد جدد الى المقاتلين ، فانها بلا فائدة بالنسبة لاستنهاض جماهير النساء اذا جاءت الممارسة بشكل لا يشجع الاخريات ولا يراعي مجموعة تقاليد في اثناء ممارستها • هنا ايضا يجب ان نمسك بالمعيار : هل يخدم هذا التصرف استنهاض جماهير النساء للمشاركة في الثورة ام لا ؟ •

ان التحدي الحقيقي بالنسبة للطليعيات ليس ان يثبتن قدرتهن الفردية وانما ان يثبتن قدرتهن على استنهاض جماهير النساء الىالنضال العامكمايفعل الطليعيون من الرجال • المطلوب هو التحرك مع جماهير النساء وليس التحرك بمضلات الطليعة • هنا ايضا صراع بين الخطين •

### ثالثا : الاتجاه الخاطىء في رفض التقاليد وتحديها :

برزت اتجاهات عند بعض « الطلائع » من الفتيات والنساء دعت الى رفض التقاليد وتحديها • وعمدت الى ان تأتي ممارساتها في هذا الاتجاه بما في ذلك العلاقات مع الرجال • وقد انحرفت بعضها الى حد التهتك والابتذال • ولا شك في ان هنالك بعض « الطليعيين » من الرجال وراء هذا الاتجاه وشجعوا عليه • ونالوا من ورائه « الغنائم » • ولا شك في ان الجذر الطبقي لهذا الاتجاه يشكل الوجه الاخر لعملة البراجوزيين المتفرنجين • ولكن بعد « تسييسه » و « تنظيره » بمقولات « ثورية » و « يسارية » • ان منطلق هذا الاتجاه في « التنظير » يستند الى التناول التجريدي لموضوع الاخلاق والتقاليد والعلاقات بين الرجل والمرأة • وذلك من خلال القيام بعملية عزل تعسفية بين هذه كلها وبين الشعب • انهم لا يبالون بارتباط الشعب بهذه التقاليد والاخلاق والعلاقات • ومن ثم لا يهمهم ان ينعزلوا عن الشعب والثورة • او ان يعلنوا الحرب على الشعب • ولكن المناضلين الطليعيين رجالا ونساء يتناولون موضوعات الاخلاق والتقاليد والعلاقات بين الرجل والمرأة ليس تجريديا ، وانما من خلال ارتباطها بالشعب • فهم يريدون ان يحاربوا مع الشعب الاعداء الحقيقيين للشعب والوطن ، لذلك فهم يحترمونتقاليد الشعب واخلاقه ويتمسكون بالتقاليد الايجابية والاخلاق الحميدة التي تخدم النضال ، ولا يجعلون العلاقات بين الرجل والمرأة تخرج عنحدود العرفوالتقاليد السائدة التي يقبلها الشعب ، وبالاساس القوى الحيوية الثورية في الشعب • واذا دخلوا في صراع ضد تقليد معين او ضد اخلاق معينة او ( افكار معينة ، فذلك يتم

من خلال اقناع الشعب وبالارتباط بضرورة هذا الصراع من اجل استنهاض الجماهير للقيام بالثورة ، وبضرورته لكسب الحرب ضد العدو · ولكن ذلك لا يتم عبر معادلة منطقية باخذ قرار ذاتي بان هذا التقليد او ذاك يضر بالنضال في حين لا يكون الشعب قد احس بهذه الضرورة · او حين لا يكون عامل التغيير قد اخذ يتحرك في قلب حركة الجماهير · واصبح من الضروري انتقاطه والدفع باتجاهه وهذا يعني اننا لا نفرض افكارنا المبنية على تصوراتنا الذاتية او المأخوذة من دراساتنا النظرية على الشعب او نقبل على ممارستها بعيدا عن الشعب · فالثوريون الحقيقيون هم الذن يولدون الثورة الموجودة في احشاء الشعب · وليس ثورة موجود في عقولهم ، لا علاقة لها بالثورة الفعلية على ارض بلادهم · بل يجعلون الثورة الموجودة في احشاء الشعب هي التي في عقولهم ·

ان هذا الخط هو الذي يعلم الثوريين الحقيقيين كيف يحترمون تقاليد الشعب وكيف يفرقون بين ما هو جوهري وبين ما هو ثانوي في النضال ، وبين ما يجب ان يتراجعوا عنه بافكارهم وبين ما يجب ان يتمسكوا به · ان المعيار هنا هو ان نستبعد كلما لا يشجع اوسع الجماهير رجالا ونساء على الانخراط بالثورة · ونتمسك بكل ما من شانه ان يساعد على استنهاضهم للقيام بالثورة · وذلك بغض النظر عن رغباتنا الخاصة وافكارنا الذاتية ، وعما يمكن ان نقدم عليه من «تراجعات» في هذا المجال · ان المعيار واضح : هو ان نخدم الشعب · ان نفهمه وان نجعله يفهمنا · ومن ثم لا يجوز للطليعة ان تأتي بتصرفات او تقيم علاقات او تتبنى اخلاقا يرفضها الشعب ولا يفهمها ، بل يرى فيها خطرا عليه · نعم، على الطليعة ان تقرر هي تناضل من اجل من · هل تناضل من اجل نفسها ام تناضل من اجل الشعب · هل يمكن ان تتحقق الثورة بعضلاتها ام بعضلات الشعب · هل تريد ان تعيش في عالم خاص بها ولها ، ام تعيش في عالم الشعب وللشعب · هل المطلوب ان تصنع فردوسها ام تسعى مع الشعب لصنع مستقبله المشرف · ان الاجابة الصحيحة على هذه الاسئلة هي تعلمنا الاجابة الصحيحة عن عدد كبير من المسائل المطروحة ·

هنا صراع بين الخطين في ميادين السياسة والافكار والنظرية والمنهج ·

### رابعا : اتجاه التمسك بالشكل وبالجزئيات لا بالجوهر :

ثمة اتجاه ترعرع لدى بعض المناضلات في الحرب الاهلية في لبنان اولع بالجوانب الشكلية والمظهرية في النضال ، وليس بالجوانب الاساسية والجوهرية · وذلك مثل الوقوف وراء الدوشكا في سيارات المقاتلين والسير بالشوارع للاستعراض · ولم تكن مثل هذه التصرفات مشجعة للشعب ليدفع ببناته ونسائه للانخراط في عمل الثورة · كما لم تكن هذه القفزة مشجعة لجماهير النساء ، فضلا عن انها

لا تؤدي الى بناء المناضلة الطليعية الحقيقية • انها الوجه الاخر لعملة ذلك المنظر المشابه قبل الحرب في سيارات « السبور» المكشوفة• ولكن في هذه المرة سيس المنظر واخذ شكلا عسكريا • طبعا ان هذا الاتجاه يحمل بصمات بعض المناضلين،ولا تقع مسؤوليته الكلية على اولئك المناضلات • انه اتجاه فكري وسياسي لم يأخذ بعين الاعتبار خط الجماهير •

اما المظهر الاخر للاتجاه الخاطىء فهو الغرق بالجوانب الجزئية في العمل النضالي دون الاهتمام معه بالجوهر في النضال • لذلك برز اتجاه لدى بعض الاخوات نشط جدا في القيام بالعمل ( مستوصفات ، خدمات ، نشاطات تعليمية ومهنية ) • ولكنه لا يهتم بالسياسة ، ولا بالنظرية ، ولا يعمل على اعادة صياغة نفسه فكريا ، ولا يهتم بالعمل السياسي العام بين الجماهير • ان الاهتمام بالسياسة والنظرية والنضال الفكري هو الذي يمسك بالجوهر في عملية بناء المناضلة الطليعية الثورية وفي امتلاك القدرة على استنهاض جماهير النساء ، وذلك حين يكون مصحوبا بالممارسة • اما الممارسة الجزئية لوحدها فهي لا تبني المناضلات مهما كن نشطات ومهما كان عملهن مهما • ولا تستنهض جماهير النساء للنضال العام•

لقد اثبتت تجربتنا في فتح وفي الثورة الفلسطينية وفي الحرب الاهلية في لبنان ان الممارسة لوحدها ــ وهذا ينطبق على المناضلين والمناضلات ــ لا تبني المناضل الطليعي ، ولا تؤدي الى النتائج المرجوة ، إذا لم يصحبها عمل سياسي، وتنظير لها ، وتعلم منها • وخوض الصراع الفكري بين الخط الصحيح وبين الخط الخاطىء في معالجة المشاكل المتولدة عن الممارسة وفي مجرى للنضال • ان المناضل والمناضلة يصادفان في اثناء الممارسة عددا لا يحصى من السلبيات والنواقص والمشاكل والصعوبات • فكثيرا ما تأتي النتيجة يأسا ، او انحرافا ، او هروبا ، او تخبطا في ارتكاب الاخطاء ، ومن ثم لا يتطوران ، بل يرجعان للخلف •

ان الخط الصحيح هو الذي يمسك بالجوهر في عملية بناء المناضل والمناضلة ولا يهمله من خلال الولع بالشكلي والمظهري او بالغرق في العمل الجزئي • ولهذا فانه لا بد من ان يخوض الصراع ضد نزعة الاهتمام بالمظهري والشكلي ، وضد نزعة الاهتمام بالممارسة الجزئية فيكرس الجمع الحي بين الممارسة وبين العمل السياسي والنظري والفكري • وهو ما يؤدي الى بناء طليعة ثورية حقيقية جادة تصبح قادرة على استنهاض جماهير النساء للمشاركة في الثورة •

### خامسا : النظرة العليائية الى جماهير النساء :

برزت اتجاهات خاطئة لدى بعض الطليعيات بعد ان اصبن بعضا من المعارف

السياسية والنظرية وانخرطن في العمل مع الطليعيين ، حيث فقدن اللغةالمشتركة مع النساء العاديات واصبحن يضقن ذرعا من معاشرتهن او التحدث معهن بما في ذلك امهاتهن وقريباتهن وجاراتهن · وربما تطرف هذا الاتجاه الى حد يفقد القدرة على معاشرة الزميلات الطليعيات والعمل معهن مؤثرا العمل مع الرجال · ان هذا الاتجاه يمليء غرورا في تقدير نفسه ومعارفه ، ولهذا فهو بعليائـــه الـــى جماهير النساء ويراهن جاهلات ، لا يفقهن شيئا ، ولا يهتممن الا « بالصغائر » ·· واذا عمل بين جماهير النساء ، فينزع الى الاستذة ·

السؤال الان : اذا كان التطور السياسي والنظري والفكري والتحول الىكادر واع يقود الى مثل هذه النتائج · فاي تطور سياسي ونظري وفكري هو هـــذا ؟ واي وعي هو هذا ؟ انه يعني ان هذا الطراز منالوعي السياسي والنظري والفكري خاطيء من اساسه ، ولا جدوى منه · ويجب ان يخاض الصراع ضده سياسيا ونظريا وفكريا · وذلك انطلاقا من اعتبار ان خطه السياسي خاطيء ، وخطــه النظري خاطيء ، وخطه الفكري خاطيء · ان الخط السياسي والنظري والفكري الصحيح هو الذي يسمح بايجاد اللغة المشتركةبين الطليعة وبين جماهيرالنساء، ويطور العمل مع الزميلات المناضلات · ويجعله عملا مثمرا منتجا ومريحـــا · ويضرب النظرة العليائية الى الشعب ، ويقاوم نزعة الاستذة على الجماهير · انه الخط الذي يعلم المناضلين والمناضلات كيف يحبون الشعب ليس كمقولة تجريدية وانما كممارســة فعليـــــة مـــــع الافــــراد · ويعلـــــم التواضع فعلا ويرسخ خـــــط التعلـــــم مــــن الشعــــب حتـــى يصبح بالامكان ان يتعلم الشعب من المناضلين · انه الخط الذي لا يسمح للمناضل ان يشعر انه ينزل الى الشعب ليمارس معه ، وانما يكون لديه القناعة والشعور بانه يطلع لعند الشعب حين يمارس معه ، لانه سيذهب حيث توجد الممارسة الغنية والتجارب الكبيرة والافكار السديدة · وهذا ينطبق علىجماهير النساء كما ينطبق على جماهير الرجال · ولهذا عندما نسأل كيف يمكن ان تتحقق المهمة المركزيـــة وهي استنهاض جماهير النساء للمشاركة في الثورة ، اوفي النضال السياسي السلمي ؟ فان الجواب موجود عند جماهير الشعب رجالا ونساء ، وليس في اي مكان اخر ·

هنا ايضا لا بد من انتصار الخط الصحيح ودحض تلك الاتجاهاتالخاطئة·

سادسا : اتجاه العمل مع الرجال :

برز اتجاه يفضل العمل مع الرجال ومشاركتهم نضالاتهم ومهماتهم ولكنليس من منطلق النظرة العليائية ، وانما من منطلق اخر وهو الهروب من الحساسيات التي تنشأ بين المناضلات ، وهروب من صعوبة شق طريق جديد فـي العمـــل

مع الجماهير النسائية ، واستسهال الذهاب للعمل حيث توجد تقاليدفي الممارسة ويوجد تحديد اوضح للمهمات • كما ان العمل هنا يحتاج من المناضلات التي تحمل مسؤوليات قيادية او اشغال فكرهن في حل المعضلات وتطبيق مبدأ الاعتماد على النفس ، اذ ان الامور جاهزة والمطلوب ايجاد مكان للمشاركة • ان هذا الاتجاه في الواقع يضعهن في موقع التبعية ويكرسها من حيث توهمن انهن حققن « المساواة » و « تحررن » •وبكلمة انه اتجاه يجعل من عمل المناضلات عملا ملحقا لعمل المناضلين • وان اقصى ما يمكن ان يعمله هو ان يزيد المناضلين عددا ، ولكنه لا يسهم في استنهاض جماهير النساء للمشاركة في الثورة •

ان الخط الصحيح في هذا المجال هو مقاومة الهروب من الحساسيات التي تنشأ بين المناضلات ، وانما بالعكس التجرؤ على خوض الصراع الفكري ضدجذورها الفكرية والعمل على اعادة صياغة النفس بالافكار الثورية الصحيحة وبناء علاقات من طراز جديد بين المناضلات• ان هذا يطرح مهمة محاربة النظرة الانانية الفردية ومقاومة روح الغيرة والمنافسة الشكلية ، كما يطرح اهمية ترسيخ خط سياسي صحيح وخط فكري صحيح ، وتبني منهج الاهتمام بالجوهر وبما هو حقيقي وليس بما هو ظاهري وسطحي •

ان الخط الصحيح في هذا المجال يتطلب مقاومة الهروب من صعوبة شق طريق جديد في العمل مع جماهير النساء ، واستسهال الذهاب للعمل حيث توجد تقاليد في الممارسة ويوجد تحديد اوضح للمهمات ، وانما بالعكس التجرؤ على شق الطريق الجديد وتحمل المسؤوليات وتذليل الصعاب ، واعمال الفكر في حل المشاكل والاعتماد على النفس • والا فليكف كل حديث عن استنهاض جماهير النساء للمشاركة في الثورة • وليستبدل بشعار مشاركة عدد ضئيل جدا من الطليعيات في الثورة •

ان الخط الصحيح هنا لا يكون بهذا النوع من الهروب وانما بمواجهة المهمة المركزية وهي استنهاض جماهير النساء للمشاركة في الثورة • الامر الذي يتطلب مجالا يلحق عمل الطليعيات بتنفيذ المهمات اليومية للمناضلين ، وانما يشق طريقه الخاص في العمل بين جماهير النساء ، ويقوده • ومن خلال هذا الطريق تطلق الطاقات ويتطور الكادر ويرتفع مستواه • وتعبأ الجهود ، بما في ذلك انشاء فصائل مسلحة ، وتصب جميعا في المجرى العام لنضال الشعب كله • وذلك مادام العمل بين جماهير النساء يقوم على اساس النضال من اجل قضية الشعب الثورة والوطن ذاتها ، وعلى اساس استراتيجية الثورة وتكتيكها ذاتهما •

ان هذا الصراع بين الخطين يحمل طبيعة فكرية وسياسية ونظرية •

## سابعا : ضد النزعة الخدماتية والاقتصادية في التوجه لجماهير النساء :

نشات نزعة في العمل بين جماهير النساء تعتمد على تقديم الخدمات، والتحريض الاقتصادي ٠ واعتبر ان المدخل للعمل الثوري بين النساء هو التحدث عن مشاكلهن الخاصة ، ومحاولة تقديم الخدمات ومساعدـهن لحن مشاكلهن الاقتصادية،وهنا قامت عمليات التحريض للعمل في المستوصفات ، واقامة المشاغل لتعليم الفتيات مهنا مختلفة ـ طباعة ، حياكة ، تفصيل ـ ولهذا كان التوجه يأخذ طابع الخدمات والممارسة من خلال الخدمات ٠ وطابع التحريض الاقتصادي ، والمساعدة على حل مشاكل اقتصادية ذات طابع فردي او فئوي ضيق ٠

تنبع هذه النزعة من سيطرة افكار خاطئة حول النساءفي بلادنا،فمن جهة تركز على الفتيات من خلال اغرائهن بتعلم مهنة ما تضمن « مستقبلهن » ٠ ومن جهـــة ثانية تعتبر ان النساء لا يتحملن العمل معهن سياسيا ، وبصورة مباشرة ٠ وانما هن بحاجة الى ان يتدرجن معهن رويدا لبينما يصبح بالامكان طرح القضايـــا السياسية عليهن ٠ انه الاتجاه الذي ينظر الى الشعب وكانه مجرد معدة جائعة، وانه من غير الممكن الوصول اليه الا عبر التحريض الاقتصادي وهو اتجاه يجنح الى ان ينمي لدى الافراد التفكير بالبحث عن مصلحتهم الخاصة وسبل تاميـــن مستقبلهم ٠

ان الخط الصحيح هو التوجه الى جماهير النساء من خلال العمل السياســي المباشر الذي يتناول القضايا القومية الكبرى التي تهم الشعب ككل ، اي اعطاء الاولوية في النشاط العملي الجماهيري الى القضايا السياسية ٠ بل يجب ان يكون واضحا ان كل نضال اقتصادي وخدماتي لن يحل مشكلة الشعب والوطن،وانما يكمن الحل في معالجة القضايا السياسية المركزية ٠ ولهذا فان ممارسة بعـــض الاشكال الخدماتية والاقتصادية في النضال يجب ان تكون مصحوبة بنشر الوعي السياسي وبالادراك انها لا تحل مشكلة وانها مجرد اشكال مساعدة مؤقتة ويجب الا تعطي اهمية مبالغا فيها ، او تصبح الشغل الشاغل للافراد ٠لان تنمية نزعة تدبير المستقبل الفردي لدى الافراد يؤدي الى الابتعاد عن القضايا السياسيـــة الكبرى ٠ ان التوجه السياسي لجماهير النساء كما لجماهير الرجـــال يجب أن يتناول مسالة القيام بالثورة وشن النضال العام ٠ ويخطىء كل من يظن ان الشعب مجرد معدة جائعة وانه لا يتحرك الا من خلال مخاطبته بالاشارة الى معدته ٠ ان مسالة النفوذ الاستعماري والاحتلال الصهيوني ، والوضع السياسي العـــام، ومسائل كرامة الوطن واستقلاله ، ومسالة الجبهة المتحدة من اجل تحقيـــق اهداف الشعب والثورة والوطن بما في ذلك الثورة الاقتصادية والاجتماعية ٠٠٠

هي المسائل التي تحظى بالاولوية لدى الشعب ، ويمكنها ان تستنهضه · امـــا المطالب الاقتصادية الجزئية · والخدمات الجزئية · فهي محدودة الاثر · واذا كان لا بد من استخدامها في بعض الاحيان فيجب الا تحظى على الاولويـــة ويجب ان تخضع لاولوية النضال السياسي وتخدمه · ولنتذكر ان السياسة هي « الاقتصاد المكثف » ، وهي التي تكثف كل مشاكل الشعب ، وهي المفتاح لحل تلك المشاكل · فبدون النضال السياسي وبدون الثورة للامساك بالسلطة السياسية فلن يحـــــل شـــيء ·

ان تجربتنا دللت على ان الشعب ــ رجالا ونساء ــ يهتم بالسياسة ولديـــــه اهتمام عظيم بالقضايا القومية الكبرى · ومن ثم فان العمل السياسي المباشـــر معه يشكل المدخل الاساسي · ولعل تجربة حركتنا فتح تعطي دليلا ســاطعا على هـــذه الموضوعـــة ·

هنا صراع بين الخطين ايضـــا ·

**ثامنا : نزعة رفض العمل المنزلي والتافف من تربية الاطفال :**

برزت نزعة رفض العمل المنزلي والتأفف من تربية الاولاد لدى عددمن المناضلات الطليعيات المتعلمات · لقد ظهرت افكار خاطئة لدى بعض « الطلائع » النسائيـــة جنحت الى احتقار العمل المنزلي ــ الطبخ ، الغسل ، المسح ، الكنس ، الجلـــي ، رعاية الاولاد ــ · فهي تريد ان تعمل خارج البيت ، وهي تريد ان تعملبالسياسة· ولهذا فان شغل البيت ليس شغلها ، وتربية الاولاد تشكل عبئا ثقيلا لا يجــوز ان تضيع عمرها فيه · ان المسائل الاولى التي يجب ان نلاحظها هنا هي : هل يمكن ان تفكر جماهير النساء في بلادنا وضمن ظروفنا الراهنةعلى هذه الصورة ، وهل يمكن ان تفكر جماهير الفلاحات والعاملات التي يعملن خارج البيت ايضاعلىهذه الصورة ؟ وهل ينبع هذا التفكير من خط الجماهير في بلادنا ام من الفئات الميسورة التي تحل هذه المشاكل عن طريق استئجار الخدمات ــ يفضل التي تعرف انتطبخ ــ وكذلك بالنسبة للنظر الى تربية الاطفال ، وضرورة التحكم بعددهم ، واحد او اثنين على الاكثر لكي يمكن تامين حياة ودراسة ومستقبل جيد له او لهما · هـــل ينبع هذا التفكير من خط الجماهير ؟ طبعا لا بد من ان نسمع النقد اللاذع لجماهير لشعب بسبب انجاب عدد كبير من الاولاد والبنات ، ودون ان «تفكر» بمستقبلهم ، وبتامين حياة ودراسة ومستقبل جيد لهم · ولهذا يجب ان تعرف عقلية من هـــي تلك العقلية التي تاخذ هذا الموقف من شغل البيت ومن تربية الاولاد والانجاب، ويجب الا تهرب الجذور الطبقية لهذه العقلية حين تسيس وتغطي بثوب «يساري» ·

ان الشعب واقعي وعملي وذكي ، ولا يحاول الافلات من الحقائق الماديةبقفزات في الهواء • ان الذين يفكرون « بالافلات » هم المثقفون البرجوازيون الخياليون • ان الشعب يدرك ان شغل البيت مسالة ضرورية في ظروفنا ولا بد من القيام به، ولا فائدة من نزعة التذمر والتأفف او من محاولة الهروب ، ويدرك ان تربية الاولاد والاكثار منهم مسالة ضرورية ليستطيع مواجهة الصراع الذي يخوضه • لقد اثبتت تجربة الثورة الفلسطينية والحرب الاهلية في لبنان كم شعبنا ذكي وواقعي حين يكثر من انجاب الاولاد • وكم هم اغبياء اولئك الذين يظنون انهم « متعلمون » •

اذا كان النمط الخاطيء من التفكير هو الذي سيسود بين « الطليعيات»،فكيف يمكن ان تطرح على الشعب مسالة القيام بالثورة • فهل يمكن للشعب ان يحمل هذا النمط من التفكير ، حين يكون هذا هو التفكير المناسب لمن يخوض النضال ؟ ان الطليعة الثورية يجب الا تشذ عن جماهير الشعب في علاقتها بالبيت والاولاد • وفي الواقع ، ان هذه المشكلة لا تطرح عندما تنبع الطليعة من قلب الجماهير الكادحة ، انها تطرح حين تأتي الطليعة من الفئات الميسورة •

قد تثار في هذا المجال حجتان : الاولى مسالة الوقت ، بمعنى ان شغل البيت وتربية الاولاد والانجاب يعوق عمل المناضلة ، ولا يجعلها تعطي الوقت الكافي لممارسة مهماتها • ولكن الا يثار الشيء نفسه بالنسبة لجماهير العمال والفلاحين الذين يكدحون في بلادنا اكثر من عشر ساعات لكل يوم ، فهل يمكن ان يطرح عليهم ان يصبحوا مناضلين بينما يستمرون في القيام بعملهم الذي يعيشون منه؟ ان الشيء الطبيعي ان يعالج الوضع ضمن هذه الحالة لا الهروب منها • اما الحجة الثانية فهي رتابة شغل البيت وما يولده من خمول فكري • هذا صحيح ولكن هل معنى ذلك ان نتجه لرفضه بصورة خيالية لا تأخذ بعين الاعتبارالحقائق المادية الملموسة لظروفنا ؟ وكيف يمكن ان نشرع في معالجة هذه المسالة ولم تحقق بلادنا تحررها الكامل من الامبريالية ، ولم تحرر فلسطين ، ولم توحد وطنهاولم تنجز ثورتها القومية الديمقراطية ؟

هنا ايضا خطان فكريان وسياستان ومنهجان ، ولا بد من ان يتصارعا•

## تاسعا : النظرة السطحية للانسان والحياة :

ثمة اتجاه سائد لدى المناضلين حين يفكرون بالزواج هو البحث عن الشكل في الفتاة التي سيختارونها • وثمة اتجاهات سائدة اخرى لدى الفتيات هي البحثعن الشكل ايضا ، وعن الاستقرار ، وتأمين اثاث جميل للبيت • بل ان الثقافةالسائدة

فيما بين الفتيات انفسهن حين ينظرن الى بعضهن البعض تقوم على اساس ملاحظة الشكل بدرجة عالية من الاهتمام ·

انها النظرة التي تعطي الاولوية لما هو ظاهري وسطحي وليس لما هو جوهري وحقيقي في الانسان · وانها ولا شك نظرة تنبع من افكار ومفاهيم الطبقات الميسورة المستغلة تاريخيا · فالعبيد في المجتمع العبودي لا يملكون ان يفكروا بهذه الطريقة· انها نظرة الاسياد المرفهين · وكذلك الحال بالنسبة للاقنان والاقطاعيين ولجماهير العمال والفلاحين الفقراء من جهة وللرأسماليين والميسورين من جهة اخرى · ولكن هذه النظرة ، بحكم سيطرة الاسياد ، والاقطاعيين والراسماليين ، على السلطة السياسية والاقتصادية والثقافية اصبحت النظرة السائدة اجتماعيا · وهذا يفسر لماذا يفكر بعض فئات من ابناء الشعب الكادح على هذه الطريقة · وهذا يفسر لماذا يحمل المناضلون والمناضلات الامزجة والافكار النابعة من هذه النظرة ، وذلك على الرغم من انهم يكافحون ضد مفاهيم وافكار ونظرات هذه الطبقات · فهم في الوقت الذي يرون ان عليهم وضع قضية الثورة في المقدمة ،وضع خدمة الشعب في المقدمة يظلون غير متنبهين ، او غير قادرين ، على جعل قضية الثورة وخدمة الشعب هي المعيار في الحكم على الانسان والحياة ، وذلك بحيث يرون ان ما هو جوهري وحقيقي في الانسان ومن ثم ما هو جميل ورائع حقا ، انما هو ارتباطه بقضية الثورة وخدمة الشعب ومدى ما قطع عمقا وعرضا بافكاره وممارسته ومزاجه ونفسيته في السير على هذا الطريق · فلا تعود المظاهر الخارجية و « البراقة » هي التي تسترعي انتباهه وتستحق اهتمامه وتشد اعجابه، وتجتذب عواطفه · ان هذه المسالة هي مسالة خط فكري بكل ما تحمل الكلمة من معنى ·

اذا كان مقياس ما هو جميل وما هو قبيح يرتبط بالشكل الخارجي بتقاسيم الوجه ، ونعومة البشرة ونقائها ، ورشاقة القد ، وبالثياب والاناقة والنظافة والاثاث الفخم ، فهل علينا ان نرى فلاحي صعيد مصر او اهوار العراق او غور الاردن الذين يغوصون في الطين وقد تشققت ارجلهم وجعد لفح الشمس وجوههم ودمل المحراب والرفش ايديهم ،فهل علينا ان نراهم قبيحين ونرى الموسرين متألقين فتأنف من اولئك ونلهث وراء هؤلاء ؟ ام علينا ان نرى الجمال في اليد التي تحرث وهي مشققة لا باليد الكسولة وهي ناعمة ؟ وهل تذهب عواطفنا الى هنا ام الى هناك؟
ثم هل نرى الجمال والروعة في الانسان المناضل الذي يكرس حياته للشعب ويتمتع بالمزايا الثورية بغض النظر عن شكله ومظهره وما تملك يداه من متاع زائف · ام نرى الجمال والروعة في الشكل والمظهر والمتاع البراق · والى اين يجب ان تذهب عواطفنا ؟ هل نترك لامزجتنا التي كونتها الثقافة السائدة أن تمضي

بلا عمال ، ام علينا ان نعيد صياغتها بالثقافة الثورية والافكار الصحيحة ٠

انها مسالة صراع فكري ، ولكنه في هذه المرة يحتاج الى جهد مضاعف ٠

**القيام بالتحقيقات بين جماهير النساء :**

ان الانتقال بنشاط الطليعة النسائية من الخط الخاطىء الى الخط الصحيح، وذلك من خلال جعل قضية الثورة والشعب والوطن هي القضية الاساسية بالنسبة لنضال المرأة ، ومن خلال جعل المهمة المركزية للطليعيات ليس «تحرير» انفسهن، وانما استنهاض جماهير النساء للمشاركة في الثورة ومن خلال اعطاء الاولوية للعمل السياسي المباشر لا للاقتصادية والخدمتية ٠

ان عملية الانتقال هذه تتطلب من المناضلين والمناضلات الطليعيات في حركتنا فتح وفي الثورة الفلسطينية وفي القوى الوطنية والثورية العربية ، القيام بسلسلة تحقيقات من اجل فهم شعبنا وجماهير نسائه ، واستخلاص الافكار السديدة عبر هذه التحقيقات من اجل ان يصبح بالامكان القيام بالمهمة المركزية المذكورة ٠

هنا يمكن ان نتذكر دائما الموضوعة التالية : « من الافضل ان تتقدم الف امرأة شبرا نحو الثورة من ان تتقدم عشرة طليعيات الف متر » ، ان ادراك هذه الموضوعة يجعل من الممكن الا تنعزل الطليعة عن جماهير النساء ، من الممكن ان توجه التحقيقات بشكل يسمح باستنهاض جماهير النساء للمشاركة في الثورة باشكال متعددة ، بما في ذلك ، في ظروف عدم امكانية خروجهن من البيوت للعمل في المستوصفات او الكمائن ، او حضور الاجتماعات الموسعة ٠ اما الاتجاه الذي لا يتعب نفسه باجراء التحقيقات الضرورية ، ويطرح اشكالا معدة سلفا لنضال جماهير النساء ، فسوف يرتطم بواقع بلادنا ، وينكفىء على نفسه يائسا من استنهاض جماهير النساء ما دمن لا يستطعن الخروج من البيت كما يفعل هو ٠

ان الخط الصحيح الذي يقوم بالتحقيقات الضرورية لالتقاط خط الجماهير رجالا ونساء ، ولكي يتعلم كيف يسلك ، وكيف يفكر ، كيف يمارس ويتصرف ، اي قرارات يرفع ، ما هي اشكال النضال المناسبة ، وكيف يمكن ان تشارك جماهير النساء في الثورة ضمن ظروفهن المحددة في بلادنا ٠

هنا ايضا صراع بين خطين ٠

**التصلب كمناضلات حقيقيات :**

ان تبني الخط السياسي الصحيح والخط الفكري الصحيح من جهة ، وتبني

الموضوعات المذكورة حول خط العمل بين جماهير النساء . من جهة اخـــــرى سوف يؤدي بالطليعة النسائية في حركتنا فتح وثورتنا الفلسطينية والعربية الـــى الصلب كمناضلات جادات حقيقيات يتصفن بالمبدئية والعقائدية . فلا تصبــح المشاركة في الثورة بالنسبة لهن عملا سطحيا او شكليا . ولا تصبح علاقتهــن بالنضال مرورا عابرا ،وانما تصبح رحلة عمر باسرد . وتصبح الثورة اهم شيء في حياتهن،ويصبح النضال بين صفوف الجماهير لنيل ما يستحق ان يعيش المرء من اجله ، فلا يغريهن شيء من بهرج الحياة عن النضال . ولايخيفهن اية تضحية .

ويؤدي ذلك ايضا الى ان يعتمدن على تحمل المشاق ، والتجرؤ على خوض النضال الشاق ، ويصبحن مستعدات لاعادة صياغة انفسهن فيفرضن احترامهن على الجميع ليس بمسلكهن وجديتهن فحسب ، وانما ايضا ، بتطور افكارهــن وقدراتهن المبدعة في النضال وفي استنهاض جماهير النساء للمشاركة في الثورة .

ولكن السير على هذا الطريق سوف يتطلب خوض الصراع ضد الافكار الخاطئة التي تولد ممارسات مائعة ، وغير مسؤولة ، وبعيدة عن الاخلاق الثورية،والتي تولد عادة الاغتياب ، ونفسية الحسد ، والنظرة المظهرية والذاتيـــة والجزئية ، والجنوح الاناني ، ورفض قبول بروز مسؤولات وقائدات بين صفوفهن ، والتي تولد العليائية والاستذة في النظر الى جماهير النساء ومعاملتهن ، وتولد عقلية العزلة ، والشلة ، واليأس من العمل بين النساء ، وتولد الاستعداد لاقامة علاقات مائعة مع الشباب ، وتسمح لهم ان يعاملوهن بلا جدية وبلا احترام حقيقي .

انها اذن عملية صراع طويلة ولكن لا بد من خوضها بمبدئية وشجاعة ، حتى ينتصر الخط الصحيح وينهزم الخط الخاطيء والمنحرف .

انهن حين يفعلن ذلك يصبحن جديرات باسم الطليعة ، وبشعبهن ووطنهــن ويصبحن جديرات بان يكن حفيدات نسيبة بنت حرب ، وام سليم الانصارية وخولة الكنديـــة .

## تقـــريـــر

# الأرض المحتـــلة : انتفاضـــة مستمرّة

تعيش الارض المحتلة انتفاضة شبـــه مستمرة منذ مايزيد عـلى سنتين ، اي منذ انتفاضة تشرين الثاني « نوفمبـر » ١٩٧٤ حتى الان . ولم تتميز هذه الانتفاضـــة بقدرتها على الاستمرار هـذه الفترة غيـر القصيرة فقط ، بل تميزت بعـدة ميـــزات اخـرى منهـا ، شمولها عـــرب الارض المحتلة في العام ١٩٤٨ واكتسابها المزيـد من الزخـم والفعـالية يوما بعـد يوم . لقد اسقطت انتفاضة شعبنا فـــي الارض المحتلة مراهنات العـديد من القوى العربية والدولية التي كانت تراهن عـلى وضـــع عـرب الداخـل في مواجهة منظمة التحرير الفلسطينية ، بتنمية مطامع ذاتية لقيـادات محلية معـروفة بارتباطاتها مع بعـــض الانظمة العربية . لقد اسقطت الجماهيـــر بانتفاضتها الكثير من الرموز السياسيـــة التي حاولت ان تستعيد مواقعها المنهـارة بعـد الضربة التي تلقتها حـركة المقاومة الفلسطينية في الاردن في ايلول « سبتمبـر » ١٩٧٠ . والان وامام تجدد محاولات هذه الرموز العـميلة استعـادة مواقعهـــا مجددا بعـد النتائج التي اسفرت عـنهـا الحرب الاهلية الوطنية في لبنان ، تقـــف جماهيرنا في الارض المحتلة بقوة في وجـه هذه المحاولات مؤكدة عـلى ان منظمـــة التحرير الفلسطينية هي الممثـل الشرعـــي والوحيد للشعـب الفلسطيني .

عندما اندلعـت الانتفاضة في تشريـــن الثاني « نوفمبر » ١٩٧٤ ظن البعـض ان هـــذه الانتفاضـــة لـــن تتعـــدى كونها طفرة سياسية ، ونوعـا من المشاركة في التظاهرة السياسية التي رافقت الحضور الفلسطيني في الامم المتحـدة . ولكـــن تتالي الاحداث خـطأ حسابات هـــذا البعض ، فاستمرت الانتفاضة ليس كطفرة سياسية او كحـركة احتجاج ضدالسلطات الاسرائيلية المحتلة ، بل كتعبير واع عـــن الارادة الشعبية لجماهيرنا فـــي الارض المحتلة ضد كل السياسات التي تستهـــدف اغتيال نضالات شعبنا وفرض الحـــلول القسرية اللاوطنية للمسالة الفلسطينية .

لقد استمر التحرك الجماهيري فـــي الارض المحتلة بعـد انتفاضة تشريـــن الثاني « نوفمبر » عبر اشكال متعـــددة : مسيرات، تظاهرات، منشورات ، اعتصامات نسائية في المجالس البلدية والجوامـــع، اضافة الى الاعمال العسكرية التـــي اكتسبت زخـما وقوة خـلال النصـــف الاول من العـام ١٩٧٥ . لقد شكـــل التحرك الجماهيري هذا مقدمات للانتفاضة الثانية الكبرى بعـد حرب تشريـــن ، والتي بدات في اواخـر العـــام ١٩٧٥ كحركة احتجاج ضد الاستيطان الصهيوني، ثم بلغـت ذروتها خـلال شهري اذارونيسان من العـام ١٩٧٦ بالتحرك السياسي النشط لعـرب المثلث والجليل ضد محاولات العدو الاسرائيلي الاستيلاء عـلى مساحة كبيـرة

من اراضي عرب الجليل ·

امتازت هذه الانتفاضة بعنفها وبتطور ورقي اشكال النضال الجماهيرية ، كما امتازت بتحريكها السياسي لاوسع الجماهير من جميع الطبقات الوطنية في الارض المحتلة ، اضافة الى شمولها معظم الارض الفلسطينية ( انظر مقالنا، دروس الانتفاضة ، شؤون فلسطينية ، العدد ٥٧ ) ·

لقد برهنت هذه الانتفاضة ان قدرة جماهيرنا في الارض المحتلة على التحرك تفوق كل التقديرات ، وان هذه القدرة تكتسب المزيد من الفعالية والزخم يوما بعد يوم · وهذا ما اكدته الاحداث التي تلت هذه الانتفاضة ، وتحديدا احداث الانتفاضة الثالثة بعد حرب تشرين ١٩٧٣ ·

## الانتفاضة الكبرى الثالثة

لقد بلغت الانتفاضة الثانية ذروتها خلال شهري اذار ونيسان الماضيين ، ولم تتوقف بعد ذلك ، بل استمرت باشكال من النضال مختلفة حتى كانت الانتفاضة الثالثة التي بلغت ذروتها خلال شهر كانون الاول « ديسمبر » ١٩٧٦ ، وتتالي الاحداث يجعل من الصعب الفصل – زمنيا – بين الانتفاضتين الثانية والثالثة · ولذا فان الفصل هنا لا يتعدى تمييز وصول التحرك الجماهيري الى الذروة واكتسابه سمات معينة · فالانتفاضة الثانية كانت تعبيرا عن مقاومة اوسع جماهيرنا للاستيطان الصهيوني اضافة الى اشكال التعبير السياسية الاخرى مثل تاكيد الولاء لمنظمة التحرير الفلسطينية ورفض مشاريع الحلول اللا وطنية للمسالة الفلسطينية ·

اما الانتفاضة الحالية فقد كانت تجميعا لعوامل عدة انفجرت دفعة واحدة في انتفاضة عمت كل مدن وقرى الضفة الغربية وشاركت فيها اوسع الجماهير · فاضافة الى ان هذه الانتفاضة كانت في احد مظاهرها تعبيرا عن استمرار التحرك الجماهيري العام ضد السلطات المحتلة فانها كانت فياهم مظاهرها تعبيرا عنرفض الجماهير لسياسات هذه السلطات على الصعيد الاقتصادي وخاصة ضريبة القيمة الاضافية ، اضافةالىتاكيد استمرار المقاومة الجماهيرية للاستيطان الصهيوني وللنيل من شرعية تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية للشعب الفلسطيني ·

كان العامل الذي دفع بالانتفاضة الى ذروتها اصرار السلطات الاسرائيلية المحتلة على تطبيق قانون ضريبة القيمة الاضافية اعتبارا من ١–١٢–١٩٧٦ · لقد اقرت السلطات الاسرائيلية المحتلة فرض هذه الضريبة والبالغة ٨٪ اعتبارا من ١–٧–١٩٧٦ ، الا انها اضطرت الى ارجاء تطبيقها اكثر من مرة بسبب المعارضة الجماهيرية الواسعة لها · فارجاتها اول مرة الى الاول من اب « اغسطس » الماضي ثم الى الاول من ايلول «سبتمبر» الماضي ، وظلت تؤجلها حتى الاول من كانون الاول « ديسمبر » ١٩٧٦ ، وذلك على امل ان يساعد تأجيلها في الحد من التظاهرات التي كانت تعم الارض المحتلة· غير ان التظاهرات لم تتوقف ، لان اسباب التظاهر كانت ابعد من موضوع ضريبة القيمة الاضافية ، ولهذا وامام فشل سياسة التأجيل في الحد من التحرك الجماهيري اصرت السلطات الاسرائيلية المحتلة على تطبيقها ورفضت النداء الذي وجهه الياس فريج ، رئيس بلدية بيت لحم والتاجر الكبير ، الى السلطات العسكرية الاسرائيلية بارجاء جمع الضريبة الى شهر نيسان « ابريل » القادم ( المحرر ٤–١٢–١٩٧٦ ) · وعليه فقد اقرت الغرف التجارية في الضفة الغربية الدعوة الى

اضراب عام مفتوح في كل مدن وقرى الضفة الغربية اعتبارا من ٦ـ١٢ـ١٩٧٦ احتجاجا على فرض ضريبة القيمة الاضافية · وصباح يوم ٦ـ١٢ عم الاضراب معظم مدن وقرى الضفة الغربية فكان شاملا مدن الخليل ونابلس ورام الله وجنين وطولكرم اضافة الى عددمن القرى· وفي نابلس اغلقت المدارس وجرت تظاهرة كبيرة في المدينة · قام خلالها المتظاهرون باحراق اطارات السيارات لاغلاق الطرق، كما قاموا برشق الجنود الاسرائيليين بالحجارة وهتفوا مؤيدين لنطمة التحرير الفلسطينية ·

وفي ٧ـ١٢ استمر الاضراب لليوم التاني . وازدادت التظاهرات حدة وعنفا ولا سيما في مدينة نابلس ، حيث اعلنت السلطات الاسرائيلية حظر التجول في الحي القديم من المدينة · ومما زاد من حدة التظاهرات وعنفها في مدينة نابلس مصادرة الجيش الاسرائيلي لارض تبلغ مساحتها ٢٠٠ دونما تقع في خراج قرية طلوزة · وكانت السلطات الاسرائيلية قد صادرت ايضا قطعة اخرى من الارض فوق هضبة تشرف على بيت جالا خلال الشهر الماضي من اجل بناء حي يهوديهناك وقد احتج اهالي بيت لحم على هذا الاجراء في حينه · وفي ٨ـ١٢ بعث رئيس بلدية بيت جالا بمذكرة الى كورت فالدهايم طالبه فيها بالتدخل لوقف الاجراء الاسرائيلي ·

وفي ٩ـ١٢ ، استمر الاضراب لليوم الرابع على التوالي في معظم المدن والقرى وجرت تظاهرات في عدة مدن ، وكانت اعنف هذه التظاهرات في مدينة نابلس ، حيث اقام المتظاهرون حواجز على الطرق ورجموا السيارات الاسرائيلية بالحجارة · وفي رام الله جرت تظاهرة عنيفة اقام المتظاهرون خلالها الحواجز على الطرق ورشقوا السيارات الاسرائيلية بالحجارة ·

وفي ١١ـ١٢ فرضت السلطات الاسرائيلية حظر التجول على مدينة نابلس باكملها وشنت حملة اعتقالات واسعة · وفي ١٢ـ١٢ ، كان الاضراب شاملا وعم جميع مدن وقرى الضفة الغربية بلا استثناء · وكانت قد جرت امس محاولة من بعض التجار لفتح متاجرهم الا ان المتظاهرين اجبروهم على اقفال متاجرهم بالقوة · » السفير ١٣ـ١٢ «ومع الاضراب الشامل عمت التظاهرات من جديد معظم المدن، وذكرت وكالة الصحافة الفرنسية في القدس » ان عوامل عدة تنذر بتصاعد العنف من جديد ، من بين هذه العوامل ، استيلاء السلطات العسكرية الاسرائيلية على مساحات جديدة من الاراضي في الضفة الغربية والتصويت في الامم المتحدة علىاشتراك منظمة التحرير اللفسطينية في مؤتمر جنيف ورغبة الشبان في تأكيد تأييدهم للمنظمة » ( السفير ١٣ـ١٢) ·

واضافت الوكالة » ان شبانا من نابلس انتشروا منذ الصباح في شوارع المدينة القديمة وهم يرددون شعارات مناهضة لاسرائيل · واقاموا المتاريس في الشوارع واحرقوا اطارات السيارات كما تصدوا بالحجارة للسيارات والقوات الاسرائيلية » · وقد جرى تعزيز القوات الاسرائيلية في مدن وقرى الضفة الغربية لمواجهة الوضع المتفجر ·

في ١٣ـ١٢ استمر الاضراب والتظاهر وشملا مدينة القدس، حيث جرت تظاهرةعلى طريق رام الله بالقرب من قلندية ·

وقد اقيم في قيادة الشرطة الاسرائيلية بالقدس مركز عمليات خاص ، لمواجهة التطورات (ر٠١٠٠ العدد ١١٠٠ ) ·

في ١٤ـ١٢ اتسعت الانتفاضة وكانت شاملة كل المدن والقرى · وحيال ذلك شددت السلطات العسكرية الاسرائيلية اجراءاتها وارسلت تعزيزات كبيرة الى

المدن الرئيسية حتى تلك التي لم تصلهـا التظاهرات بعد ، فيما منعت هذه السلطات مراسلي الصحف وشبكات التلفزيون الاجنبية من دخول مناطق الاضطراب ( السفير ١٥_١٢ ) • وذكر راديواسرائيل ان اعمال شغب كبيرة وقعت صباح اليوم في رام الله حيث اقام المتظاهرون الحواجز وقذفوا السيارات بالحجارة • واضـاف الراديو ، «ان اعمال الشغب التي يقوم بها الطلبة تلقى تشجيعا من جانب اعضـاء مجلس البلدية وغرفة التجارة » • وفـي القدس جرت تظاهرة كبيرة ووصف راديو اسرائيل الوضع في القدس بقوله : « هكذا بدت الصورة صباح اليوم في مـدارس القدس القديمة ، مجموعات من الطلبـة تجمعت في البوابات وكأنهم جمعـوا قبل يوم ، بعضهم يحمل اطارات السيارات الى الشوارع، وتحت غطاء نيران الاطارات تتطاير الحجارة في كل الاتجاهات وخاصة باتجاه السيارات ، واليوم ظهرت ادوات جديدة للاستعمال في اعمال الشغب •• فقد وضعت صناديق القمامة فيعدة اماكن وتم افراغها في الشارع ثم احراقهاليكون هناك خليط من نار الاطارات ونـار القمامة » • واضاف الراديو « انه تـم اعتقال خمسة طلبة اضافة الى فتاة كانت تحرض الشباب » •

بالاضافة الى صناديق القمامة ، لجـأ المتظاهرون الى اسلوب اخر لعرقلة السير على الطرقات • وذلك بالقاء الوقـود المزوج بالزيوت على الطرقات ثم اشعالها وقد ادى هذا الاسلوب الى حوادث تصادم واسعة على الطرق وخاصة على طريـق القدس _ رام الله •

في ١٥_ ١٢ كان يوم الاضراب الكبيـر والعام ، حيث شمل الاضراب جميع مـدن وقرى الضفة الغربية مما ادى الى توقف المواصلات واصابة المدارس والنشاطـات التجارية بشلل تام • واضطرت سلطـات الاحتلال الى دفع عدد كبير من قواتها الى رام الله لتفريق التظاهرات فيها والتـي بلغت حدا من العنف لم تعرفه منذ بدايـة الانتفاضة الجديدة • وقد فرض حظـر التجول في وسط المدينة وفي مخيم قلندية• واستخدمت القوات الاسرائيلية الرصاص وقنابل الغاز لتفريق المتظاهرين •

وذكرت وكالات الانباء ان النسـاء والفتيات وقفن على سطوح المنـازل ونوافذها لابلاغ المتظاهرين الاتجاه الذي تسير فيه القوات الاسرائيلية التـي راحت تشن حملات مطاردة سريعة فـي مدينة لا شوارع ضيقة فيها تتيح للمتظاهرين امكان الاختفاء والكر والفر السريعين « النهار ١٦_١٢ » •

لقد عمت التظاهرات اليوم معظم مدن وقرى الضفة الغربية ، وكان الوضع كمـا وصفته المصادر الاسرائيلية « غاية فـي التفجر والغليان » • وقد قامت السلطـات الاسرائيلية باعتقال عدد كبير من الشبان والفتيات بتهمة اشتراكهم بالتظاهرات •

١٦_١٢ استمر اليوم الاضراب الشامل في الضفة الغربية واستمرت التظاهرات في معظم المدن والقرى • وقد عقدت الغرفـة التجارية في غزة والضفة الغربية اجتماعا اليوم لتقرير خطواتها المقبلة ضد ضريبـة القيمة الاضافية • وكان الامر البارز فـي احداث اليوم ، هو الاجراءات التياتخذتها السلطات الاردنية • فقد اصدرت وزارة الزراعة الاردنية تعليمات يسمح بمقتضاها ادخال منتجات الضفة الغربية ولكـن لا يسمح بنقلها بعد ذلك الى دول عربيةاخرى وبصفة خاصة الى دول الخليـج العربي• وواضح ان هذه الاجراءات الاردنيـة تستهدف الضغط على الاهالي في الضفـة الغربية لايقاف اضرابهـم وعدم معارضـة السياسات الاردنية •

## الانتفاضة ميزات وابعاد

يتضح من سرد يوميات الانتفاضة ، والتي لم تتوقف بعد ، انها كانت شاملة لجميع مدن وقرى الضفة الغربية ، وانها امتازت بعنفها وبابتكار اساليب جديدة وفعالة لمواجهة القوات الاسرائيلية واساليبها القمعية ، كما امتازت ايضا باشتراك المرأة الواسع والنشط فيها .

ومن حيث ابعاد الانتفاضة ، فعلى الرغم من ان ضريبة القيمة الاضافية شكلت احد اهم عناوين الانتفاضة وحركت الاطار الواسع من التجار لاول مرة ، فان الطابع السياسي للانتفاضة كان طاغيا . فقد اكدت وكالات «الانباء» ان الاضراب الشامل اعطى حركة الاحتجاج ضد الوجود العسكري الاسرائيلي طابعا سياسيا واضحا . واعترفت الصحف الاسرائيلية « ان سبب الاضرابات التي تعم المناطق المحتلة منذ اسبوعين سياسي اكثر منه اقتصادي » . ويتضح هذا الطابع السياسي للانتفاضة من الشعارات التي كان يرفعها المتظاهرون ، فالشعارات كانت تركز على استنكارها لتحركات النظام الاردني وتأييدها لمنظمة التحرير الفلسطينية .وقد ظهرت هذه الشعارات مكتوبة على الجدران في اكثر من مدينة وقرية وتصدرت معظم المناشير التي وزعت خلال الانتفاضة ، اضافة الى ذلك فقد حرص رؤساء المجالس البلدية الذين ادلوا بتصريحات خلال الانتفاضة على ابراز هذا الموقف . فقد اكد رؤساء المجالس البلدية في تصريحاتهم على رفض اقتراح يتسحاق رابين تشكيل وفد منهم ينضم الى الوفد الاردني في جنيف . واكد فهد قواسمة وكريم خلف وحلمي حنون رؤساء بلديات الخليل ورام الله وطولكرم ، ان منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني .

لقد كانت الانتفاضة ايضا تعبيرا عن مقاومة الجماهير لتحركات عملاء النظام الاردني في الضفة الغربية الذين نشطوا مؤخرا مروجين لسياسات النظام الاردني وقد نددت صحيفة الشعب بهؤلاء العملاء « وبنشاطاتهم » وقالت ان هؤلاء « ينسون ان منظمة التحرير الفلسطينية قد حصلت على مركز مهم في جميع انحاء العالم وان لها ما يشبه الان السفارات في دول عديدة ومراقبين لدى الامم المتحدة » .

وهكذا في الوقت الذي تجري فيه محاولات عديدة لاغتيال القرار الوطني الفلسطيني ، فان جماهيرنا داخل الارض المحتلة تقف بقوة تدعم الموقف الوطني الفلسطيني . مؤكدة على ولائها وتأييدها التام والشامل للسياسات الوطنية لمنظمة التحرير الفلسطينية .ولقد جاءت الانتفاضات المتتالية لشعبنا هناك لتسقط مراهنات كل القوى التي كانت تبني اوهاما واحلاما على فصل الثورة داخل الارض المحتلة عنها خارجها ، ولتؤكد ان ثورة شعبنا في الداخل والخارج واحدة وتصب في مجرى واحد، هو المجرى الوطني الفلسطيني . وكما قال احد القادمين مؤخرا من الارض المحتلة « ان الداخل يتحرك بشكل يفوق اية تقديرات سابقة ، وما يجري الان داخل الارض المحتلة ، ليس مجرد طفرة سياسية او حركة احتجاج كما قد يتراءى للبعض انه امر اعمق من ذلك بكثير ، انه انتفاضة شارك وتشارك فيها اوسع الجماهير وتكتسب المزيد من الزخم والعمق والفعالية يوما بعد يوم ، وهي انتفاضة قد تقلب الكثير من معادلات التسوية التي يجري اختبار تنفيذها الان » .

غازي الخليلي

## تقـريـر

# حول الرّد عـلى الجيب الانعزالي في الجنوب

اتسم الوضع في جنوبي لبنان خلال القسم الاول من الحرب الاهلية اللبنانية من نيسان الى كانون الاول ١٩٧٥ بهدوء نسبي • فلقد خفف الجيش تواجده في المناطق الحدودية وسحب عددا من الوحدات ليكثف قواته في المدن والنقاط الحساسة ، بعد ان تحول الى قوة رديفة لقوى الامن وتوزع على شكل مجموعات مبعثرة في مختلف ارجاء البلاد • وادى هذا الهدوء في كثير من الحالات الى هجرة معاكسة ، قامت بها العائلات الجنوبية التي نزحت في السنوات الماضية من قراها تحت ضغط الردع الاسرائيلي وسوء الحالة الاقتصادية وتدهور مستوى الخدمات في الجنوب لتشكل حزام البؤس حول العاصمة ، اذ بدأت هذه العائلات بترك الأحياء الشعبية المعرضة للقصف ، واعادة النساء والاطفال والشيوخ وبعض الشباب الى قراهم الاصلية ، رغم بقاء المسلحين في مواقعهم لممارسة دورهم القتالي داخل الحركة الوطنية •

ولم تقم القوى اليمينية بأي محاولة لتسخين الجنوب طوال هذه الفترة • فلقد كانت تعرف ان ميزان القوى مائل ضدها• وان المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية تسيطران على الجنوب ، وتحظيان بدعم جماهيري واسع• وقبلت المقاومة والحركة الوطنية صيغة التعايش ، وغدت القرى المسيحية في الجنوب اشد امنا من العاصمة وضواحيها ، الامر الذي جعل الكثير من المسيحيين القاطنين في بيروت، والمنحدرين اصلا من هذه القرى ، يعودون الى قراهم بانتظار انتهاء الحرب • ولقد استمر هذا الوضع حتى بعد سقوط الجية والدامور ، وما رافقه من ذعر استغله اليمين لتأجيج المسألة الطائفية واستثارة مخاوف المسيحيين •

وظهرت البؤرة الانعزالية الاولى في الجنوب بعد سقوط ثكنات الجيش بيد جيش لبنان العربي في الاشهر الاولى من العام ١٩٧٦ • فلقد انسحب الجنود المسيحيون من هذه الثكنات في اذار مع اسلحتهم وعدد من الملالات ، وتجمعوا في القليعة ، خاصة وان هذه القرية مسلحة اساسا ، وينحدر منها عدد كبير من الجنود • والتف حول الجنود المتجمعين مجموعات من المسلحين القرويين المعبأين طائفيا ، والمنسجمين عاطفيا وفكريا مع السلطة والمجموعات الانعزالية المتحالفة معها •

وبقيت القليعة في وضع الدفاع وشكلت نوعا من «الغيتو» المسلح حتى حزيران ١٩٧٦ ، وبدأ الصدام بين دمشق من جهة والمقاومة وجيش لبنان العربي والحركة الوطنية • وعندما انسحبت اعداد من الفدائيين ومقاتلي الاحزاب الوطنيةوجيش

لبنان العربي من الجنوب لدعم الجبهات الاخرى ، اختل ميزان القوى في الجنوب، وبدات القليعة عملياتها التعرضية، وظهرت جيوب انعزالية اخرى في القرى المسيحية (علما الشعب ، رميش ، دبل ، عين ابل ... الخ.) . وايدت اسرائيل هذا التحرك الذي يشغل المقاومة والحركة الوطنية من جهة ، ويخلق حزاما امنيا على حدودها من جهة اخرى ، ثم انتقلت من التأييد الخفي الى التأييد العلني وسياسة «السياج المفتوح» (انظر الدور الاسرائيلي في احداث لبنان ، عدد ٦٠ شؤون فلسطينية) مستندة في ذلك على مرتكزات مادية تتمثل بالقرى الانعزالية المسلحة التي امكن دعمها فيما بعد بمقاتلين انعزاليين سحبوا من الجبهات الاخرى ، ودفعوا الى الجنوب عبر اسرائيل التي سلحتهم ورفعت مستواهم التدريبي لتحقيق اغراضها الامنية الخاصة (انظر ثمانية مكاسب اسرائيلية من الحرب الاهلية في لبنان ، عدد ٦٠ شؤون فلسطينية) .

وهكذا استغلت اسرائيل الفراغ الامني النسبي للتسلل العسكري غير المباشر الى الجنوب (الذي تحول بعد ذلك الى تدخل مباشر) ، كما استغلت الاوضاع التموينية والصحية والادارية المتدهورة للتسلل النفسي عن طريق تقديم المحروقات والمواد الغذائية وشراء المحاصيل واستقبال المرضى وتنظيم البريد . واصبح الجنوب منطقة صدام ساخنة بعد ان طرحت جبهة الكفور فكرة «تحرير الاراضي اللبنانية من الجنوب» .

وتصدت المقاومة والحركة الوطنية وجيش لبنان العربي لهذا الوضع ، فقامت على الصعيد العسكري بمحاصرة الجيب الانعزالي ، ولكن ميزان القوى القائم آنذاك ، وانشغالها في معارك الجبل وبيروت وجزين جعلها تكتفي بالدفاع ازاء الهجمات اليمينية المتكررة التي ادت الى سيطرة الانعزاليين على الطرق الواصلة بين القرى المسيحية ، وتهديد القرى الاخرى .

امـا علـى الصعيد الاقتصادي ـ الاجتماعي ـ الطبي ، فقد اخذ التصدي شكل تدابير وقائية لتدعيم صمود قرى الجنوب ، مع الاستناد الى المقولة الوطنية التي تؤكد ان اسرائيل عدو وطني وقومي، وان التعامل معه ـ مهما كانت الاحوال ـ خيانة عظمى تعرض مرتكبها للمسؤولية الجرمية . وان افتعال الاحداث من قبل اليمين هو الذي ادى الى توتر الموقف ، وعرض حياة سكان القرى المسيحية للخطر ، وليس العكس .

ففي ٢٦ـ٨ـ٧٦ صادرت قوات الامن الشعبي في مرجعيون كميات من البصل والبطاطا والفراريج والصابون والسمون والزيتون والبرش والسكر وسواها . وقد احرقت هذه المواد في ساحة مرجعيون وفي ١٢ـ٩ـ٧٦ سجل مكتب الامن الشعبي في مرجعيون اسماء بعض التجار الذين يتعاملون مع العدو ، وصادر بعض المواد من مخازنهم اضافة الى مصادرة كميات من النقود الاسرائيلية .

ونتيجة للتوعية التي قامت بها كوادر المقاومة والحركة الوطنية اللبنانية ، والحوار الذي اجرته مع مواطني الجنوب، وعى هؤلاء المواطنين خفايا سياسة العدو الاسرائيلي وقاموا بمحاربتها ، ففي ١٢ـ٩ـ٧٦ انشأ اهالي كفر كلا والعديسة ودير ميماس تعاونيـة استهلاكية تؤمنهم بمعظم المواد بأسعار معقولة .

وقـد تجلى وعي المواطنين الجنوبيين لخفايا سياسة الخـداع التي يمارسها العدو ، عندمـا رفض اهالي كفرشوبا

«العرض الاسرائيلي لبناء قريتهم وتعبيد طرقاتها ، وانشاء مستوصف فيها ، وتزويدها بالماء والكهرباء» · (السفير ١٧_٩_٧٦) ·

وكثفت المقاومة والحركة الوطنية جهود كوادرها في منطقة الجنوب لمواجهة الحرب النفسية التي شنتها اجهزة الاعلام الصهيونية والانعزالية ، وبذلك فوتت الفرصة على الخصم ، ومنعته من توسيع نطاق حربه النفسية · وعندما روج الانعزاليون الاشاعات بأن قواتهم ستقتحم بنت جبيل ، ساعين من وراء ذلك لخلق البلبلة واليأس في صفوف الجماهير الوطنية وتهجيرها عن قراها ، قامت المقاومة والحركة الوطنية «بتطبيق قرار منع الهجرة من القرى الحدودية » · (السفير ، ٣٠_١٠_٧٦) ·

وحرصت المقاومة والحركة الوطنية على تأمين كل مقومات الصمود لتقطع الطريق على العدو الصهيوني الذي يتسلل الىالجنوب عبر السلع الاستهلاكية وقطرة الماء وجرعة الدواء · فشكلت اللجان التموينية لتؤمن للاهالي المواد الغذائية (طحين ، سكر ، حبوب) · وفي ١٨_٧_٧٦ وزعت اللجان التموينية ٤٠٠ طن من الطحين لكافة القرى الحدودية · وقام مكتب المحروقات ، الذي شكل لتأمين حاجات المنطقة من هذه المادة وتنظيم توزيعها ، بوضع ١٦ الف ليتر من البنزين في خدمة القرى الحدودية · كما وزع مادة المازوت على جميع المستهلكين في القرى الجنوبية ، وخصص اربعة صهاريج لنقل المياه لخدمة القرى الامامية · وبدىء بتصليح مضخة المياه في رأس العين ·

وزود بعض المستشفيات والمستوصفات في قرى الحدود بالادوية وارسل عدد من الاطباء للاقامة هناك · كما خصصت قيادة جيش لبنان العربي لمنطقة الجنوب الحدودية مستوصفا نقالا لخدمة ابنائها وزودته بالعدد اللازم من الاطباء والممرضات والادوية · وفي ٥_٨_٧٦ شكل عدد من الشخصيات السياسية في قرى قضاء بنت جبيل وممثلون عن الاحزاب والمقاومة الفلسطينية « لجنة صحية» » ، وقامت هذه اللجنة بجمع التبرعات منالتجار والمغتربين والميسورين في قرى القضاء · وقد قررت «اللجنة الصحية» تسمية بعثتين منها للتوجه الى دول الخليج العربي والمهاجر للغرض نفسه · واصدرت بيانا تدعو فيه الى «دعمها لانجاح مهمتها وتفويت المؤامرة على العدو وضرب مشاريعه» ·

ووصل عدد المستشفيات التي تم الاتفاق على اعادة فتحها وتنشيطها الى ٢٧ مستوصفا ، اضافة الى ٦ مستشفيات موزعة بين مرجعيون وصيدا مرورا بشبعا والنبطية وصور وتبنين وبنت جبيل وغيرها · وفي ١_٩_٧٦ تلقت هذه المستوصفات اول دفعة من الادوية من الصليب الاحمر الدولي والهلال الاحمر الفلسطيني ، واخذ المواطنون الذين يحتاجون الى خدمات صحية يترددونعلى هذه المستوصفات الوطنية ·

وفي الاجتماع الذي تم بين رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ووفد «التجمع الاسلامي الشيعي» ، قرر الاخ ابو عمار «انشاء عدة مستوصفات في القرى الحدودية بأقصى سرعة ممكنة. وتعزيز ودعم المستشفيات والمستوصفات العاملة في الجنوب بكل ما هو مطلوب للعمل» · (المحرر ، ١٠_١٠_٧٦) ·

وفي ١١_١١_٧٦ وخلال جولة تفقدية قام بها وفد من «التجمع الوطني» لبعض القرى الحدودية في قضاء بنت جبيل وصور ، قدم الوفد كمية من الادوية لكل من مستشفى تبنين ومستوصف جويا

ومؤسسة دار الحضانة في صور ·

ومن اجل مشكلة تسويق محصول التبغ، الذي يشكل ٩٠٪ تقريبا من الانتـــــاج الزراعي لاهل الجنوب ، شكلت بتاريــخ ١ــ٦ــ٧٦ «اللجنة العليا» المؤلفة من جيش لبنان العربي ، والحزب السوري القومي الاجتماعي ، والاتحاد الاشتراكي العربي· ووضعت اللجنة «اسسا جديدة وكاملـــة ومنظمة لعملية استلام التبغ والدفع · ونبهت مزارعي التبغ الى خطر التعامل مع العدو ووضعتهم امام مسؤولياتهم الوطنية والجرمية ، اضافة الى حرمانهم من رخصة الزراعة» (السفير ، ٨ـ٨ـ٧٦) ، كما قامت اللجنة بالمشاورات مع حكومة الجمهورية العربية الليبية التي اخذت على عاتقهـــا شراء محصول التبغ بكامله ·

ورغم جميع التدابير التي تزيل الى حد ما ، وضمن حـــدود الامكانات المتاحة ، عددا من الشكاوى الاقتصادية ـ الصحية، ورغم التأكيدات والتطمينات التي قدمتهـا المقاومة والحركة الوطنية الى القـــرى المسيحية ، ورغم تجربة التعايش الاخوي التي كانت قائمة قبـل افتعـــال الجيب الانعزالي فـــي الجنوب ، فقـــد تابـــع الانعزاليون عملياتهم التعرضية، بتحريض من «جبهة الكفور» وبدعم من اسرائيل · ففـــي ٤ـ٩ـ٧٦ تحـركت ٨ مجنـــزرات اسرائيلية من مواقعها داخل الارض المحتلة باتجاه بلدتي عين ابل ورميش لتعزيـــز المتاريس والحواجز المسلحة الانعزاليـــة داخل هاتين البلدين · وبعد ثلاثة ايام ركز العدو مدافع ثقيلة ورشاشات ٥٠٠ وســـط بلدة رميش فيمـــا كان يقصف بمدفعيته قرب قضاء صور من الناقورة الى بلدة رامية ، مرورا بمارون الرأس قرب قضاء بنت جبيل ، فكفركلا بقضـاء مرجعيون · وقامت العناصر الانعزالية في ٧ـ١٠ـ٧٦ بقطع الطريق بين النبطيـــة ومرجعيون بغية فرض الحصار على القرى الوطنية في مرجعيون · وفي ١٠ـ١٠ فتح انعزاليو «القليعة» النار عـــلى القوات الوطنية في مرجعيون والخيام وارنون ودير ميماس وكفرتبنيت · وكانت الاشتباكات والقصف المتبادل تتم بشكل شبه يومي ·

وعندما كان مؤتمر القمة السداسـي منعقدا في الرياض (من ١٦ـ١٨ تشرين الأول) قام الانعزاليون بمهاجمة قريـــة حانين الوطنية ، فاحتلوها في ١٧ـ١٠ وارتكبوا فيها المجازر ، ثم تابعوا ضغطهم على مرجعيون التي احتلوا ثكنتها في ١٨ ـ١٠ واحتلوا المدينة نفسها في ٢٠ـ١٠ وساندتهم خلال كل هذه العمليات مدفعية العـــدو المتمركزة في مستعمرات الارض المحتلة · ولقد حاولت القوى الانعزالية في قرية العيشية استفزاز القوى الوطنية، وخلق جيب جديد يهدد منطقة الريحـــان من الخلف ويشكل حلقة اتصال بين القليعة وجزين ، متجاهلة تبدل ميزان القوى بعد انسحاب المقاومة وتوجهها نحو الجنوب، بناء على اتفاق القاهرة وتنفيذا لمقررات مؤتمر القمة المذكور ، وتكثيف القـوات الوطنية وقوات جيش لبنان العربي فـــي المنطقة ، عندها سددت «القوات المشتركة» اليها ضربة رادعة واحتلتها في ٢٠ـ١٠ ـ٧٦ ، واحبطت مخططاتها ·

وعاد الوضع في الجنوب بعد ذلك الى مستوى التوازن العسكري · وخفت حـدة الصدامات بعد تطبيق الخطة الامنية في القطر اللبناني وانتشار «قوات الـــردع العربية» في العاصمة والضواحي عـــدا منطقة الجنوب · واختفت مقولة «تحرير لبنان من الجنوب» لتحل محلها مقولـــة «احلال قوات لبنانية محل النطاق العازل الذي شكلته القرى الانعزالية على طول الحدود اللبنانية ـ الاسرائيلية» · واذا كان احد القاتلين الانعزاليين قد صـــرح لمندوب اذاعة اسرائيل «اننـــا سنعمـــل المستحيل من اجل منع مهاجمة مستوطنات

اصدقائنا الاسرائيليين» (ر١٠١٠ ، ١٢ـ١١ ـ٧٦) ، فان السعي يجري اليوم في ظل الـــردع الاسرائيلي والضغط الاميركـي لحماية المستوطنات بشكل اخر ٠ والمهم هو تحقيق امن اسرائيل ٠

ولا يزال التعامل الاقتصادي ـ الطبي قائما بين القرى الانعزالية والاسرائيليين حتى بعد استتباب السلام في لبنان ، وهو تعامل مع العدو ، ومسألة لايمكن السكوت عنها ، وقد تشكل مدخلا لتوتر الوضـع في الجنوب من جديد ، الامر الذي يمكن ان يؤدي الى انهيار وقف اطلاق النار ٠ واذا كانت المقاومة والحركة الوطنيـــة وجيش لبنان العربي قد استطاعت عسكريا تطويق الجيب الانعزالي وتحديد حركتـه واجباره على العودة الى الدفـاع ، فان امامها في المرحلة التالية مهمة كبـرى تتمثل في متابعة الجهود السابقة لتطويق هذا الجيب سياسيا وعسكريا ، واحبـــاط المخطط الاسرائيلي الرامي الى تحقيق الخرق النفسي ، وذلك عن طريق تكثيف الجهود الاقتصادية والسياسية والصحية ،واعادة الجنوب كما كان ، قلعة في وجه التوسع الاسرائيلي ، سواء كان هذا التوسع ماديا ام نفسيا ٠

عبدالله سكران

## تقـــريـــر

# حول قوات الأمن العربيّة في لبنان

ادى الصدام العنيف في حزيران ١٩٧٦ بين القوات السورية ومنظمة الصاعقة من جهة ، والمقاومة وجيش لبنان العربي والحركة الوطنية من جهة اخرى ، على جبهات صيدا والجبل وبيروت والشمال، الى تصعيد كبير جعل القتال يأخذ ابعادا لم تعرفها الحرب الاهلية اللبنانية قبل ذلك ٠

ولقد ادى الصدام العنيف الى تكثيف التحرك العربي الذي بدأ منذ دخول القوات السورية لبنان ، وشاركت فيه بشكل فعال مصر والجزائر وليبيا ودول الخليج العربي ٠ وساعد على هذا التكثيف الجولة التي بدأها الاخ ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية منذ مطلع ايار في العواصم العربية ، وشرح خلالها الموقف في لبنان ، والمخاطر التي يمكن ان تنجم عن التدخل السوري٠ ويبلغ التحرك ذروته عندما بعث عرفات في ٦ـ٦ـ٧٦ رسالة مستعجلة الى الملوك والرؤساء العرب ابلغهم فيها بالهجوم السوري طالبا منهم التدخل «لوقف المذبحة الجديدة التي تتعرض لها المقاومة الفلسطينية والشعبان الفلسطيني واللبناني» ٠ كما طلب عرفات في رسالته المبادرة الى عقد مؤتمر قمة عربي لمعالجة الموقف ٠ ومن جهة اخرى وجه فاروق القدومي رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية مذكرة الى الجامعة العربية مكرراً فيها طلب المنظمة عقد اجتماع طارىء لوزراء الخارجية العرب ٠ وعلى الاثر وجه محمود رياض الامين العام للجامعة العربية الدعوة الى عشرين دولة عربية لعقد مؤتمر على مستوى وزراء الخارجية يستهدف «التوصل الى موقف عربي موحد بالنسبة الى الوضع في لبنان» ٠

وفي الساعة ٠٠ر٢١ من يوم ٨ـ٦ـ٧٦ وصلت مطار بيروت طائرتا هليكوبتر عسكريتان تقلان وفدا يضم الرائد عبد السلام جلود رئيس الوزراء الليبي ،وعبد الكريم بن محمود وزير التربية الجزائري والمبعوث الخاص للرئيس بومدين،يرافقهما كل من محمد حيدر نائب رئيس الوزراء السوري للشؤون الاقتصادية ، واللواء ناجي جميل قائد سلاح الجو السوري ، وابو ماهر عضو اللجنة المركزية لحركة «فتح» ، واحمد جبريل الامين العام للجبهة الشعبية ـ القيادة العامة ٠ وكانت مهمة

هذا الوفد السعي الى وقف اطلاق النار فورا في لبنان ·

وفي الوقت نفسه عقد مجلس الجامعة العربية في القاهرة اجتماعا طارئا لبحث الوضع في لبنان · وحضرت الاجتماع كافة الدول العربية كما حضره ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الذي كان قد وصل القاهرة بعد ظهر ٨ـ٦ ، وقابل كلا من اسماعيل فهمي وزير الخارجية المصري ومحمود رياض الامين العام للجامعة العربية ·

وتمثلت احدى عشرة دولة عربية في هذا الاجتماع بوزراء خارجيتها وهي : مصر،، السعودية، تونس، السودان، العراق، قطر ، عمان ، الكويت ، اليمن الجنوبية ، الامارات العربية ، البحرين ، ومثل المغرب وموريتانيا واليمن الشمالية سفراؤها في القاهرة ريثما يصل وزراء الخارجية ، في حين مثل الجزائر القائم باعمال سفارتها في القاهرة ، والاردن وزير الدولة للشؤون الخارجية ، والصومال وزير العدل ، وليبيا وكيل وزارة الخارجية · ولم يكن الوفد السوري قد وصل بعد ، لذا احتل مقعد سوريا عبد المنعم الاتاسي المندوب السوري الدائم لدى الجامعة · ومثل لبنان السفيراللبناني في القاهرة السيد محمد صبرا الذي افتتح الاجتماع بعرض للموقف في لبنان ، في حين قدم ياسر عرفات اقتراحا من خمس نقاط هي : ١ ـ وقف اطلاق النار فورا ، ٢ ـ انسحاب القوات السورية ، ٣ ـ تاليف لجنة تحقيق، ٤ـ ايفاد لجنةالى بيروت للاشراف على الهدنة ، ٥ ـ ابدال المبادرة السورية في لبنان بخطوة عربية مشتركة ·

وبعد جلسة مغلقة استمرت حتى الخامسة والنصف من صباح ٩ـ٦ خرج مجلس جامعة الدول العربية من اجتماعه الطارىءبقرار يتضمن النقاط السبعالاتية:

١ ـ شكر السيد الامين العام لجامعة الدول العربية على مبادرته بالدعوة الى عقد هذا الاجتماع غير العادي للبحث في هذه القضية المصيرية ·

٢ ـ الطلب الى جميع الاطراف وقف القتال فورا وتثبيت هذا الوقف ·

٣ ـ تشكيل قوات امن عربية رمزية تحت اشراف الامين العام لجامعة الدول العربية للحفاظ على الامن والاستقرار · على ان يتم تحريك هذه القوات لمباشرة عملها واخذ محل القوات السورية · وتنتهي مهمة قوات الامن العربية بناء على طلب رئيس الجمهورية اللبنانية المنتخب ·

٤ ـ ايفاد لجنة في الحال تمثل مجلس الجامعة من وزير خارجية البحرين وامين الجامعة العربية ورئيسي وفدي الجزائر وليبيا في الاجتماع · وتتعاون هذه اللجنة مع الاطراف المعنية في متابعة الموقف والعمل على تأمين الامن والاستقرار في لبنان ·

٥ ـ دعوة جميع الاطراف اللبنانية الى اجراء المصالحة الوطنية الشاملة باشراف الرئيس اللبناني المنتخب حفاظا على وحدة الشعب اللبناني وعلى سيادته وامنه واستقراره ·

٦ ـ التاكيد على الالتزام العربي بدعم الثورة الفلسطينية وحمايتها عن جميع الاخطار بتوفير جميع اسباب القوة والفاعلية لها ·

٧ ـ بقاء المجلس في حال انعقاد لمتابعة الموقف ·

وتوجهت اللجنة المذكورة في البند الرابع بعد ساعة من انتهاء الاجتماع

حاملة القرار الى دمشق ، وهي تضم الشيخ محمد بن مبارك آل خليفة وزير خارجية البحرين ، ومحمود رياض الامين العام للجامعة ، وابو زيد عمر درده وكيل وزارة الخارجية الليبية ، والسيد عساسي الوزير المفوض في السفارة الجزائرية في القاهرة ·

وعقدت اللجنة في دمشق اجتماعا مع الرئيس حافظ الاسد استمر ثلاث ساعات، وحضره نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية السوري عبد الحليم خدام الذي كان قد سافر الى القاهرة صباحا وعاد على الطائرة ذاتها الى العاصمة السورية، دون ان يقابل اي مسؤول مصري ، بعد ان علم بتاليف اللجنة وبسفرها الى دمشق· ادلى رياض بعد الاجتماع بتصريح قال فيه . ان زيارة الوفد لدمشق كانت طيبة للغاية وان الرئيس حافظ الاسد قد اعرب عن تاييده لكل عمل عربي جماعي لمصلحة الامة العربية كما اكد ان سوريا تقف على الدوام الى جانب المقاومة الفلسطينية واستمرار مساندتها ، وان سوريا حريصة على وحدة لبنان وسلامة اراضيه وشعبه ·

وفي المساء غادر الوفد دمشق ومعه الوزير خدام وذكرت «وكالة الصحافة الفرنسية» ، استنادا الى مصادر مطلعة في العاصمة المصرية ، ان خدام ، اجتمع بالسيد ياسر عرفات رئيس اللجنةالتنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية في حضور رياض ، الامر الذياعتبر تمهيدا للمصالحة السورية ـ الفلسطينية ·

## القوة العربية :

وكان من المنتظر ان تضم القوة العربية التي ستتولى الحفاظ على الامن في لبنان، وحدات من ست دول هي : ليبيا، الجزائر، سوريا ، السودان ، السعودية ، فلسطين (قوات من جيش التحرير الفلسطيني) ·

وقد تابع مجلس الجامعة اجتماعه مساء ٩ـ٦ · وصرح وزير خارجية البحرين ان سوريا وافقت على القرار الذي حمله اليها وفد الجامعة ، وطلبت ادخال تعديل طفيف يقضي باشراك قوات لبنانية في القوة العربية ·

وفي مساء ١٠ـ٦ـ٧٦ وصل١٧ ضابطا ليبيا الى مطار بيروت وبدأوا الاشراف على تنفيذ اتفاق وقف اطلاق النار بين القوات السورية «والقوات المشتركة» ·وقد تمركز الضباط الليبيون في مطار بيروت ، وكلفوا بالاشراف على فك الاشتباك في منطقة المطار والمداخل الجنوبية لبيروت ، حيث كانت تدور معارك عنيفة امتدت آثارها الى احياء بيروت الغربية التي تساقطت عليها القذائف والصواريخ ·

وفي الساعة ٤٥ر١٩ من يوم١١ـ٦ـ٧٦ وصل محمود رياض الى دمشق ، وادلى الى وكالة الانباء السورية (سانا) بتصريح قال فيه : «بعد الاتفاق الشامل الذي تم اتخاذه فيالاجتماع الاخير لمجلس الجامعة العربية ، والذي كان من اسسه تشكيل قوة عربية مشتركة في لبنان ، كان من واجبنا ان نبدأ العمل فوراً على تشكيل هذه القوة ، ولهذا حضر معي اعضاء اللجنة العسكرية التي شكلت برئاسة اللواء محمد حسن غنيم رئيس اللجنة العسكرية الدائمة للامانة العامة للجامعة العربية» · واكد الرائد جلود ان الضباط الليبيين وصلوا الى بيروت واخذوا مواقع المراقبة بين المتحاربين ، واضاف ان مراكز مراقبة ليبية سورية اقيمت على الطرق الرئيسية الممتدة بين بيروت وكلمن صيدا وعرمون· وترأس رياض الاجتماع الاول الذي عقدته في دمشق اللجنة العسكرية المكلفة بوضع الاستعدادات اللازمة لارسال القوات العربية الى لبنان · ثم توجه عقب هذا

الاجتماع الى وزارة الخارجية وبحث مع الوزير خدام الاجراءات التي يجباتخاذها للمرحلة الثانية المتعلقة بهذه المهمة. ونفى الامين العام للجامعة العربية «ان تكون الجامعة العربية ناقشت او اتخذت قرارا باشراك قوات عراقية في قوة الامن العربية في لبنان» .

وتلقت الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية مقررات مؤتمر وزراء الخارجية العرب بشيء منالارتياح ، ولكنهما اصرتا على ضرورة انسحاب القوات السورية وحلول قوة عربية محلها فورا . في حين اعلنت «جبهة الكفور» حربا على الجامعة العربية ومقرراتها . ففي يوم ١١ـ٦ـ٧٦ صدر عن «جبهة الكفور» المجتمعة في حضور الرئيسين فرنجية وشمعون وبيار الجميل والاباتي شربل قسيس ، بيان حمل رفضا قاطعا لمقررات الجامعة العربية وتضمن مجموعة مآخذ وتحديدات ابرزها:
ــ اعتبار مقررات الجامعة بمثابة «حرب دينية على لبنان» . ــ الرد على القوة بالقوة مع الاستعانة بأي جهة عالمية وتجييش كل العناصر لمقاومة القرارات العسكرية . ــ انسحاب لبنان من جامعة الدول العربية اذا ما حاولت فرض مقرراتها بالقوة واعتبار الجامعة اذ ذاك «جامعة العرب المسلمين».

وقد تبنت «جبهة الكفور» في بيانها مضمون برقيتي فرنجية الى السيد محمود رياض ، واشادت بالموقف السوري وبالرئيس حافظ الاسد ، واعلنت تمسكها بالوثيقة الدستورية . وجاءت تصريحات الرئيس كميل شمعون والشيخ بيارالجميل والاباتي شربل قسيس مكملة ، في الشكل وفي المضمون ، لبيان قمة الكفور . فقد اعتبر شمعون ان ما يفعله السوريون «هو من روح المبادرة نفسها التي قبلنا بها» ، واتهم الجميل الجامعة العربية بـ «التهرب في الوقت الذي مدت سوريا وحدها يدها الينا» . اما قسيس فاعتبر ان الرفض للقوات العربية يشمل «المبدأ والتطبيق والاسماء» .

وفي منتصف ليل ١١ـ٦ـ٧٦ التقى رياض بمجموعة من الصحافيين السوريين في قصر الضيافة وقال : «المطلوب الان هو التفاهم مع اخواننا اللبنانيين الذين يرفضون دخول قوات امن عربية تابعة للجامعة العربية على رغم ان مهمة هذه القوات تقضي بمساعدة رئيسي الجمهورية اللبنانية في اعادة السلام الى لبنان والمحافظة على سلامة اراضيه» . وكان من الواضح ان بوسعالامين العام للجامعة العربية النجاح في مهمة التفاهم مع الرافضين ، على اعتبار ان عمل قوات الامن العربية يتم في اطار السيادة اللبنانية وان من صميم عملها الفصل بين المتحاربين ، وهي قوات حيادية تسعى جاهدة ، باتصالاتها المكثفة بين اطراف النزاع ، الى عرض وجهة نظرها المقنعة، والمبنية على دراسة عملية دقيقة درست فيها كل العوامل المؤثرة . ومراقبة تنفيذ وقف اطلاق النار بدقة بين الاطراف المتنازعة .

واجتمع رياض في ١٣ـ٦ـ٧٦ في دمشق بالرائد جلود والسيد عبد الكريم بن محمود وزير التربية الجزائري والمبعوث الخاص للرئيس هواري بومدين. واستغرق هذا الاجتماع ثلاث ساعات ، وكان في اطار الاتصالات التي اجراها الامين العام للجامعة منذ وصوله الى دمشق مع مختلف الفرقاء لتنفيذ قرارات مجلس الجامعة ، وحضر هذا الاجتماع اللواء محمد احمد الديري قائد القوات السعودية المتمركزة في سوريا .

وفي لبنان تشاور الرئيس المنتخب

الياس سركيس مع الرئيس سليمان فرنجية في الموقف الواجب اتخاذه من قرارات الجامعة العربية ، بحيث يكون موقفا واحدا عند الاجتماع بالامين العام للجامعة . لان المواقف المتناقضة تسيء الى مصلحة لبنان وتضعف مركزه • وقد اكد سركيس على تفضيله الحل اللبناني على اي حل اخر يثير التعقيدات والمضاعفات ، كذلك حرص على معرفة موقف سوريا من قرارات الجامعة العربية وضرورة التنسيق معها ، اذ ان معارضة لبنان هذه القرارات تفقد فاعليتها وجدواها اذا وافقت عليها دمشق • وهذا ما حمل فرنجية على ان يوفد الى سوريا العقيد انطوان دحداح كمندوب في مهمة اطلاع واستطلاع لتنسيق المواقف بين البلدين • ولقد حمل العقيد الدحداح معه الى دمشق اسئلة محدودة ابرزها : ١ ـ اين صارت المبادرة من ناحية الحسم وما هي خطط السوريين للمستقبل من حيث وجودهم في لبنان ، ٢ ـ ما هو رأيهم من قرارات الجامعة العربية ومدى استعدادهم للالتزام بها ، ٣ ـ ماذا يكون موقف لبنان الذي رفض هذه القرارات ، ٤ ـ ما هو موقف سوريا في حال طلب لبنان تدويل القضية وطرحها على الامم المتحدة ؟

وفي الوقت نفسه سافر قياديون (من الصاعقة والبعث والجيش السوري) من خلدة الى سوريا جوا اثر استدعائهم لعرض الوضع وهم : زهير محسن وعاصم قانصوه ، والعقيدان محمد الخولي وعلي المدني •

وعلى اثر المشاورات وسماع راي مندوب الرئيس فرنجية ابلغت دمشق الرئيس اللبناني بواسطة العقيد دحداح انها لا تمانع في اشتراك قوات عربية مع القوات السورية في حفظ الامن ،لكنها لا توافق على «التدويل» ، ولا تقبل بسحب قواتها من لبنان قبل ان تحقق اهداف دخولها وفي مقدمتها منع التقسيم ، وهي مستعدة لتجميد تحركاتها العسكرية بعد اقرار وقف اطلاق النار ، من اجل اتاحة المجال امام اللبنانيين للتفاهم على حل سياسي ، وامتحان مدى استعدادهم للوصول الى ذلك • ولكنها مصممة في الوقت نفسه على متابعة المبادرة الامنية في حالة فشل قوات الامن العربية في تحقيق اغراضها •

وكانت دمشق تعي ان اي تدخل عربي لن يستطيع المرور الا عن طريقها ، وان لا مجال لوصول قوات عربية الى لبنان دون موافقتها ، لان مفاتيح الوصول اليه برا وجوا موجودة في يدها ، اضافة الى ان القوات السورية قادرة على احتواء اية قوة عربية وجعلها مجرد شاهد على عملياتها • كما كانت تعتبر ان تدخلها في لبنان ليس عملا تكتيكيا ، بل استراتيجيا، ولكنها لا تمانع في اي موقف رسمي يتخذه لبنان ويراه في مصلحته ، في حال موافقته من حيث المبدأ على قرارات الجامعة ، او اقتراحه تعديلها بما يتفق وسيادته ويحقق له الضمانات الكافية •

في ١٤ـ٦ـ٧٦ عاشت بيروت هدنة معلنة في جبهات القتال بين المقاومة والجيش السوري ، وهدنة غير معلنة في الجبهات التقليدية • واراح هدوء الجبهات بيروت الغربية ، كما خف الحصار التمويني • وتوزعت لجان المراقبة ، التي حاولت تثبيت وقف اطلاق النار ، في مراكزها خصوصا في المنطقة الممتدة من دار المعلمين الى السفارة الكويتية ،نزولا الى الريفييرا ، وتشمل مدرسة القتال والسفارة الاردنية وثكنة هنري شهاب ومباني الامم المتحدة •

وتشكلت لجنة عليا (سورية ـ فلسطينية

ـ ليبية) لتنسيق اعمال الرقابة على وقف اطلاق النار وتنفيذ الاتفاق الاولي الذي نص على الفصل بين المتقاتلين في ضاحية بيروت الجنوبية · واتخذت هذه اللجنة الثلاثية من القيادة المركزية في مخيم صبرا مقرا لها · وانبثقت عنها اربع لجان تضم كل منها ستة اعضاء معززين بعناصر من الكفاح المسلح الفلسطيني ، ووزعت على النحو التالي :

الاولى مقرها مبنى وراء مركز الامم المتحدة في بئر حسن وتمتد دائرة عملها من مستديرة بئر حسن الى مستديرة المطار ، فالاحراج ، فالتلال المحيطة بصبرا ، فمطعم السلطان ابراهيم «السان ميشال» · الثانية اتخذت من بناية عثمان قبالة جامع الاوزاعي مقرا لها · ودائرة عملها تمتد من الريفييرا الى الاوزاعي ، فالطريق الفرعية الى المطار فطريق خلده· الثالثة تشرف على طريق المطار حتى «الكوكودي» ، و«منطقة الاميركان لايف» ، والتلال المشرفة على«مخيم برج البراجنة»· ولا يدخل المطار في دائرتها · الرابعة سورية ـ ليبية ، تشرف على السير والتموين عبر منطقة خلده ·

وحتى ذلك الوقت كانت قوات الامن العربية لم تصل بعد الى لبنان · وكان وصولها مرتبطا بنجاح اتصالات محمود رياض مع مختلف الفرقاء ، وامكانات اقناع «جبهة الكفور» بتليين موقفها من دخول القوات · وكانت اللجنة العسكرية المرافقة لرياض تعمل لاعداد الدراسات اللازمة لتحرك قوات الامن ريثما ينهي الامين العام للجامعة العربية اتصالاته السياسية ·

وعندما انتقل رياض الى بيروت في ١٤ ـ٦ـ٧٦ لبدء اتصالاته ، حمل معه الى العاصمة اللبنانية موافقة دمشق على سحب قواتها بشروط : اولها ان تحل القوات العربية محلها فيبيروت وطرابلس وصيدا والجبل ، وثانيها ان يحظى دخول القوات بموافقة السلطات الشرعية اللبنانية ، وثالثها ، الا يشمل الانسحاب منطقتي عكار والبقاع الا بعد ان يتوصل فرقاء الحرب اللبنانية الى اتفاق نهائي، ورابعها اطلاق عناصر منظمة البعث والصاعقة المحتجزين واعادة فتح مكاتب الصاعقة في المدن والمناطق ·

وازاء هذه الشروط ، اعتبرت المقاومة و«الحركة الوطنية» ان السلطات السورية تحاول كسب الوقت لاتمام عملياتها العسكرية بعدما تعثر الفصل الاول منها · ولقد ازداد قلق المقاومة والحركة الوطنية عندما تأجل اجتماع اللجنة العسكرية العربية المكلفة تشكيل قوة السلام وتحريكها الى يوم ١٩ـ٦ ، ورأت ان ذلك يعني ان الانسحاب السوري المشروط بدخول هذه القوات غير وارد في هذا الوقت · وبث «صوت فلسطين» في ١٤ ـ٦ـ٧٦ ان الثورة تعتبر «ان الوساطات العربية تكشفت وهي للتخدير والمماطلة» وابلغ محمود رياض ، الذي كان قد عاد الى دمشق ، ان الثورة تحمله المسؤولية ، كما ابلغ السيد عبد السلام جلود بتحمل المسؤولية ايضا · وقد اجرت قيادة المقاومة اتصالا مع عرفات الموجود في القاهرة ، ووضعته في صورة الموقف والتفاصيل المستجدة · وزاد في تأزيم الوضع الانباء المتواردة عنتأكيد السوريين للرئيس فرنجية بأن «الحسم العسكري» سينجز خلال عشرة ايام وان لا مجال للانسحاب قبل ذلك ·

وبدا من الواضح ان دمشق كانت تحاول انذاك تجميد الوضع في لبنان الى اكبر حد ممكن ، حتى يستطيع الرئيس حافظ الاسد البدء بزيارته الرسمية الى

باريس في ١٧ـ٦ ، وبيده ورقة تهدئة لبنان • وكثف الامين العام للجامعة العربية والموفدون السوريون زياراتهم الى الكفور لاقناع «جبهة الكفور» بضرورة الموافقة على عمل قوات الامن العربية • وتركزت تحفظات «جبهة الكفور» على جنسية بعض الدول المشتركة في قوةالردع (الجزائر ، العراق ، ليبيا) ، وحجمها ، واماكن تمركزها •

ولقد اصرت «جبهة الكفور» على ان لا يتعدى حجم قوات الامن حدود «تطعيم» القوات السورية بقوات عربية ، وان تبقى القوات السورية الجسم الاساسي لقوات الامن ، وان تستبعد الدول «التي لها محاربون بين المتحاربين» ، وان تستقر المبادرة السورية ، وان تتولى «القوات الانعزالية» او قوات فرنسية مهمة حفظ الامن في المناطق التي تسيطر عليها هذه القوات ، مع رفض دخول اية قوة عربية الى هذه المناطق حتى لو كانت سورية •

وعندما توصل محمود رياض والمندوبون السوريون الى اقناع «جبهة الكفور» ان قوة الامن العربية ستفرض تطبيق اتفاق القاهرة ، وان وجود قوات الامن العربية يعطي المبادرة السورية شرعية عربية ، وان العراق والجزائر لن يشاركا في هذه القوات فضلا عن ان القوة الليبية ستكون فيها محدودة جدا ، بدأ تبدل ملحوظ في المواقف • ففي حين وافقت «جبهة الكفور» على عمل قوات الامن العربية ، واعلنت عن ذلك في ١٥ـ٦ ، فقد ابدت المقاومة و«الحركة الوطنية» تخوفها من «التعريب» الذي طالبت به من قبل باعتباره «معيقا للتفرد السوري» ، ثم بدأت تتخوف من تحوله الى «غطاء للتفرد السوري» •وتجمد الوضع في لبنان نسبيا عند هذا الحد ، ولكن الهدوء الكامل لم يتحقق •

وتمت زيارة الرئيس الاسد الى باريس (١٧ـ١٩ حزيران) في ظل وضع لبناني قلق مؤهل للانفجار • الامر الذي جعل الازمة اللبنانية تحتل جزءا كبيرا من مباحثات الرئيسين حافظ الاسد وجيسكار ديستان ، ومباحثات الوفدين السوري والفرنسي • وشمل البيان المشترك الذي صدر في الساعة ٢٠ من يوم ١٩ـ٦ فقرة طويلة تتعلق باهتمام البلدين بلبنان الذي يقيم كل منهما علاقات تقليدية من الاخوة والصداقة معه • وتؤكد تمسكهما بوحدة لبنان وسلامته الاقليمية وسيادته ، وضرورة وضع حد لاقتتال الاخوة واعادة النظام والامن وايجاد الشروط الضرورية لاستئناف التسوية السياسية للازمة اللبنانية •

وكان محمود رياض قد سافر الى الرياض في ١٧ـ٦ لمقابلة الملك خالد واطلاعه على تطورات الموقف في لبنان والاتصالات التي تمت حول قرارات مجلس الجامعة العربية ، وما تم انجازه في هذا الشان • وفي ١٨ـ٦ عاد رياض الى دمشق لمتابعة اتصالاته مع المسؤولين السوريين • وعقد في ٢٠ـ٦ـ٧٦ مؤتمرا صحافيا في قصر الروضة في دمشق ، اكد فيه ان طليعة قوات الامن العربية ستدخل لبنان لتعمل تحت علم الجامعة العربية لتثبيت الامن ووقف اطلاق النار وتهيئة الاجواء الكفيلة ببدء الحوار السياسي الذي يستهدف الوصول الى حل مناسب للازمة اللبنانية ، وان المهمة الرئيسية لهذه الطليعة هي اعادة فتح المطار وتامين الاتصالات السلكيةواللاسلكية بين بيروت والعالم •

والحقيقة ان الامين العام للجامعة العربية لم يعلن عن ذلك الا بعد ان تم التوصل في دمشق ، بفضل الوساطة العربية ونشاط الرائد جلود ، الى اتفاق يتضمن النقاط السبع التالية :

١ ـ سحب القوات السورية المرابطة من مطار بيروت الدولي بمجرد وصول وحدات قوة الامن العربية ٠

٢ ـ اعادة فتح مطار بيروت للنقل المدني باشراف قوة الامن العربية ٠ ومنع انزال اية عناصر مسلحة او اسلحة او ذخائر ٠

٣ ـ اطلاق سراح عناصر الصاعقة وقيادة منظمة لبنان لحزب البعث،والتنظيم الناصري ـ اتحاد قوى الشعب العامل ، وقائد جيش التحرير الفلسطيني مصباح البديري المحتجزين لدى المقاومة والحركة الوطنية ٠

٤ ـ اعادة فتح مكاتب الصاعقة وجبهة القوى الوطنية والقومية ٠

٥ ـ تعهد مختلف فصائل المقاومة الفلسطينية بوقف القتال في ما بينها ٠

٦ ـ الحد من وجود العناصر المسلحة في بيروت ٠

٧ ـ السماح للسياسيين اللبنانيين بالعودة الى منازلهم واستئناف نشاطاتهم بعيدا عن اي ضغوط ٠

وفي الساعة ٠٠ر١٩ من يوم ٢٠ـ٦ عقدت «القيادة المركزية للثورةالفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية» اجتماعا استمر حتى منتصف الليل ، ناقشت خلاله نتائج الاتصالات التي تمت مع الرائد جلود بعد اجتماعه بالرئيس الاسد ، واتخذت القيادة المذكورة قرارا بالموافقة على ما تم الاتفاق عليه في دمشق ، والبدء بوقف اطلاق النار اعتبارا من الساعة ٠٠ر١ من فجر ٢١ـ٦ـ١٩٧٦ ٠ واستعدت بيروت لاستقبال طليعة قوات الامن العربية (المكونة من كتيبة ليبية واخرى سورية) ، التي تقرر وصولها الى مطار دمشق في الساعة ٠٠ر١٠ من يوم ٢١ـ٦ لفتح المطار والاشراف على انسحاب القوات السورية من مواقعها في ضواحي بيروت اعتبارا من فجر ٢٢ـ٦ ، على ان يتلو ذلك مباشرة انسحاب القوات السورية من مواقعها في ضواحي صيدا وصوفر ، وان يتم كل ذلك تحت اشراف الرائد جلود وعلى مسؤوليته٠

## دخول قوات الامن العربية :

وفي ٢١ـ٦ وصلت الوحدات الليبية والسورية الى مطار بيروت الدولي فاستقبلها الضباط الليبيون والسوريون التابعون للجان المراقبة في الوقت الذي كانت فيه دمشق تنتظر وصول الكتيبة السعودية لدفعها الى لبنان ٠ ورافق وصول طليعة قوة الامن العربية استمرار في القتال على جميع الجبهات ٠ واستمرت حرب مثلث الصمود (تل الزعتر ـ جسر الباشا ـ النبعة) ٠ ولم تظهر اي مبادرة من اي فريق ، او من اي وسيط ، لوقف اطلاق النار والعودة الى الحوار ، وتجمد عمل اللجان العسكرية ، ولم يستطع الرئيس المنتخب الياس سركيس اقناع الاطراف المتنازعة بتهدئة الموقف وافساح المجال امام قوات الامن العربية للقيام بواجبها في الفصل بين المتحاربين ٠ ولم تستطع هذه القوات تحقيق اية مهمة سوى تأمين المطار وفتح طريق صيدا والاشراف على تطبيق المرحلة الاولى من خطة انسحاب القوات السورية ٠

ولقد حاول الرائد جلود ايقاف التدهور الامني ، فعقد عدة اجتماعات مع رئيس الحكومة رشيد كرامي ورؤساء الحكومة السابقين ، واتصل « بجبهة الكفور » عبر الرئيس سركيس ، كما اتصل بدمشق للضغط على« جبهة الكفور » ودفعها الى وقف القتال ٠ ولكن كل هذه المحاولات لم تحقق الهدوء المطلوب ، وبقيت الانظار متطلعة نحو اجتماع رؤساء وزراء مصر وسوريا والسعودية والكويت المنعقد في

الرياض ( من ٢٢ الى ٢٤ حزيـــران )، وتعلقت الامال في ان يؤدي هذا الاجتماع الى عقد قمة مصالحة عربية تنعكـس اثارها الايجابية على الازمة اللبنانية ٠

ولقد اسفر اجتماع رؤســاء الوزراء الاربعة عن بيان صدر في ٢٤ ـ ٦ يؤكد دعم مقررات مجلس الجامعة ، ومناشدة الاطراف المتنازعة تسهيل مهمة « قــوة الامن العربية » ، واستعدادهم لتقديـم كل مساعدة لعقد اجتمــاع المصالحــة والحوار بين مختلف الاطراف في اي بلد عربي يتم الاتفاق عليه ٠ لـــم تــلاق المناشدة والدعوة الى المصالحة اي صدى لدى الطرفين المتحاربين ، وبقي القتـال مستعرا وخاصة على جبهتي جسر الباشا وتل الزعتر ٠ وادى اغلاق المطار بعــد قصفه في ٢٧ ـ ٦ واصابـــة طائــرة « طيران الشرق الاوسط » الى تاخــر حضور قائد « قوة الامن العربية » اللواء محمد حسن غنيم ٠ وفي ٢٩ ـ ٦ اجتمع حسن صبري الخولي ممثل الامين العـام للجامعة العربية والعقيد عبـد الحميـد شديد رئيس اركان قوة الامن العربية مع رئيس الحكومة وقيـــادات الاطــراف المتنازعة ٠ وتوصل المجتمعون الى اتفاق لوقف القتال وافق عليه الجميع ٠ ولكـن هذا الاتفاق بقي دون تنفيذ ٠ وفي ٣٠ ـ ٦ عقد في القاهرة اجتماع طارىء لوزراء الخارجية العرب بناء على طلب مـــن مصر ٠ وصدر عن المجتمعين في ١ ـ ٧ قرارات تضمنت النقاط التالية :

١ ـ وقف اطلاق النار ابتــداء مـن الساعة ١٣ ـ من ١ ـ ٧ ـ ٧٦ في لبنان٠

٢ ـ تشكيل لجنة عربيـــة خاصـــة وارسالها الى لبنان للسهر على تنفيــذ قرار وقف اطلاق النار مؤلفة من الاميـن العام لجامعة الدول العربيـــة رئيسا ، ووزيري خارجية تونســـس والبحريـــن عضوين ٠

٣ ـ استعجال ارسال قوات الســلام العربية الى لبنان ٠

٤ ـ رفض اي تقسيم للبنان ٠

٥ ـ دعوة الاطراف المتنازعة في لبنان الى طاولة المفاوضات المستديـــرة فـــي القاهرة ٠

وفي اليوم نفسه ، كانــت اللجنــة العربية الخاصة المؤلفة من الامين العام للجامعة السيد محمود رياض والشيــخ محمد بن مبارك آل خليفة وزيـر خارجية البحرين والسيد الحبيب الشطي وزيــر خارجية تونس ، قد غادرت القاهرة الى دمشق ٠ وفيما كانت الكتيبتان السعوديه، والسودانية في « قوة الامن العربيـــة » ( ١٥٠٠ رجل ) تعبران الحدود السورية ـ اللبنانية الى لبنان ، كان القتال لا يزال محتدما على جميع الجبهات ، بعد فشـل مخطط الخولي للسلام ، وخاصة علـــى جبهة تل الزعتر التي اشتد عنفها بعــد سقوط مخيم جسر الباشا بيد « القـوات الانعزالية »٠ وفي الساعة ١٨،٠٠ وصلت الكتيبتان الى مطار بيروت وعلى رأسهــا اللواء غنيم ، ثم انتشرت القوات قـرب مكان تمركز القوات السورية ٠

ولقد حدد اللواء غنيم مهة القوات في ١ ـ ٧ عندما اعلن بان« الغرض الاساسي هو اعادة الحياة الطبيعية الى لبنــان ، وهذا لا يتم الا باحترام وقف اطلاق النار، لان معنى عدم احترام وقف اطلاق النار هو منع القوة العربية من القيام بمهمتها، خصوصا انها قوة رمزية مهمتها المحافظة على الامن والسلام » ٠ وهذا يعنـــي ان قوات الامن العربية لم تكن تستطيع تنفيذ مهماتها الا اذا توقف القتال ٠ وهذا مــا يفسر تجمد عملالقوات فيالفترة الواقعة بين ١ ـ ٧ و ٢١ ـ ٧ نظرا لاستمــرار

القتال وعدم التزام الاطراف المتحاربة باتفاقات وقف اطلاق النار ، رغم جميع المحاولات التي قام بها الراشد جلود والدكتور حسن صبري الخولي ، ورغم الدعوة التي اطلقها الملك خالد والرئيسان انور السادات وجعفر النميري في ١٩ ـ ٧ ، بعد اجتماعهم الثلاثي في جدة ٠

وفي هذه الاثناء كانت قوات الامن العربية تنتشرفي منطقة المطار والاوزاعي وقرب السفارة الكويتية ٠والجدير بالذكر ان دخولها من سورية الى لبنان وانتشارها بعد ذلك تما في المناطق التي تسيطر عليها المقاومة والقوات المشتركة وجيش لبنان العربي ٠ وانها لم تدخل عبر اي طريق تسيطر عليه « القوات الانعزالية » ، ولم تنتشر في مناطق عمل هذه القوات ، نظرا لان « جبهة الكفور » رفضت باصرار ان تمر في مناطقها او ان تتمركز فيها اية قوات عربية ٠

ولقد وضع قائد قوات الامن خطة لتمركز وحداته على خطوط التماس الساخنة : المتحف ، الاسواق التجارية، الشياح ـ عين الرمانة ، ٠٠٠ الخ ، ولكنه كان ينتظر هدوء هذه الخطوط حتى لا تتعرض قواته للخطر ، خاصة وانها غير مكلفة بمهمة قتالية ، ولا يطلب منها فرض وقف القتال ٠ وفي ٢١ ـ ٧ بدأ تنفيذ جزء من هذه الخطة بدفع سرية سعودية مع ٩ عربات مدرعة « بنهارد » نحو المتحف، حيث اخذت مواقعها رغم قيام « القوات الانعزالية » باطلاق ٩ قذائف هاون سقطت في منطقة حرج المقاصد ـ البربير ، ورغم تعرضها لنيران القنص من الجانب اليميني واصابة احد الجنود بجروح ٠ وفي الساعة ١١،٠٠ انتهى انتشار الوحدة السعودية من المتحف الى البربير ، اي انها اكتفت بالمرابطة على خط التماس في الطرف الذي تسيطر عليه « القوات المشتركة » ، دون ان يكون لها وجود في الطرف الاخر الذي تسيطر عليه « القوات الانعزالية » التي رفضت السماح لها بدخول منطقتها ٠ وكان لهذا الانتشار في حد ذاته مدلولات هامة تشير الى تعنت « جبهة الكفور » ورفضها للتعريب بالمعنى الصحيح ، ورفضها لاي وجود عربي في مناطق سيطرتها ، رغم استعدادها لقبول قوات فرنسية في هذه المناطق ٠

وفي ٣٠ ـ ٧ وصلت سفينة الدعم اللوجيستيكي « غات » تحمل العلم الليبي ، وانزلت ناقلات جنود مدرعة برمائية من طراز « ب ت ٦٠ » السوفياتية الصنع مع طواقمها الليبية ٠ وكانت حمولة السفينة ٦٦ الية بين ناقلة مدرعة وشاحنة وصلت لتعزيز « قوات الامن العربية » ٠ واتجهت مجموعات ( كل منها ضمت بين ٥ و ٧ مدرعات ) نحو بيروت، ورافق كل مجموعة شاحنة ٠ وفي ٣ ـ ٨ وصلت من طريق دمشق ـ مرجعيون الى بيروت ١٥ شاحنة عسكرية تنقل قوات جديدة مؤلفة من كل الجنسيات التابعة «لقوات الامن العربية » وانضمت للقوات السابقة ، وبقيت مثلها في وضع الانتظار حتى يتوقف القتال ويفصل بين المتحاربين ٠

ولقد تم التوصل الى اتفاق سلام في ٤ ـ ٨ ، ووقعه ممثلون عن المتحاربين كما وقعه اللواء غنيم ٠ وكان من المفروض ، حسب الاتفاق ان يتوقف القتال في الساعة ٨،٠٠ من يوم ٥ـ٨ وان يشمل ذلك : القنص ، والقصف والتسلل والخطف وازالة المظاهر المسلحة في جميع البلاد ٠ بالاضافة الى عودة الحياة الطبيعية الى البلاد واستكمال توصيل الماء والكهرباء ٠ وفتح المطار والخ ٠٠٠ على ان تقوم « قوات الامن

العربية » بالاشراف على التنفيذ·وتثبيت وقف اطلاق النار بالتنسيق مع الجانبين، من نقاط مراقبة تتمركز في المناطق التي تسيطر عليها « القوات المشتركة » و « القوات الانعزالية » ·

ولقد تم بالفعل تعيين نقاط المراقبة في بيروت الغربية والشرقية ،وفي الضواحي ( تل الزعتر ، النبعة ، الطيونة ) ، وفي بقية المناطق ( محور صيدا – جزين ، عاليه ، عينطورة ، طرابلس ) · وتقرر ربط هذه النقاط بقيادة « قوات الامن العربية » · ولكن وقف القتال لم يتحقق، وتعطل عمل نقاط المراقبة بشكل شبه كامل ، رغم محاولات قيادة « قوات الامن العربية » تطبيق الاتفاق والحد من حدة القتال عن طريق الاتصال مع الاطراف المتحاربة ·

وفي مطلع ايلول ١٩٧٦ كان الوضع مستمرا في التدهور ، وتكررت النداءات في الكويت والسعودية والسودان ودولة الامارات لعقد مؤتمر قمة عربية يجد حلا للازمة اللبنانية ، ولكن القتال شمل جميع الجبهات ، واطلقت القوات الانعزالية النار على « قوات الامن العربية » في منطقة المتحف في يومي ٤ و ٥ ايلول ·

وفي يوم ٦ – ٩ ، كان العقيد ميشال ناصيف احد المساعدين العسكريين للرئيس الياس سركيس ، والرائد نزار عمار من ضباط الامن الموحد في حركة المقاومة والعقيد السامرائي رئيس غرفة العمليات في « قوات الامن العربية » يسيرون داخل ميدان السباق لاستطلاع المنطقة ضمن الترتيبات الامنية اللازمة لاجتماع الرئيس سركيس وابو اياد احد قادة فتح ، فاطلقت عليهم النيران من بيروت الشرقية ( منطقة مصالح الجيش)، فاصيب الرائد عمار بطلقة في خاصرته·

وعلى اثر هذا الحادث صرح مسؤول في قيادة « قوات الامن العربية » بما يلي : «في الايام الاخيرة اصبحت منطقة المتحف ساخنة على رغم علم مختلف الفرقاء بان هذه المنطقة محايدة وهي تحت اشراف قوات الامن العربية التي كان وجودها في هذا القطاع بموافقة جميع الاطراف ولمصلحتهم ، فلا يجوز والحال هذه ان يوجه الى هذه القوات اي طرف من الاطراف نيرانه · لكن القوات اللبنانية المشتركة قامت ويا للاسف مساء اليوم الرابع من الشهر الجاري باطلاق قذائف مضادة للدبابات ، فاصابت من الامام ملالتين تابعتين لقوات الامن العربية كانتا موجهتين نحو الشرق ، مع العلم ان ملالات هذه القوات لم تفتح النيران ولم تتحرك خارج حدود القطاع المحدد لها · ويوم الاحد الخامس من الشهر الجاري قامت القوات اللبنانية المشتركة ايضا باطلاق ما يعادل خمسين قذيفة هاون نحو قطاع قوات الامن العربية فيمنطقة المتحف من دون سبب · وصباح اليوم الاثنين السادس من الشهر الجاري ، قامت عناصر من الجيش اللبناني باقتناص احد الافراد في حضور العقيد ميشال ناصيف داخل سور ميدان السباق ، وذلك في اثناء الاستعداد لاحد الاجتماعات المهمة · هذا مع العلم ان الجيش اللبناني يعرف حق المعرفة كغيره ان قوات الامن العربية هي محايدة ولا يحق له او لغيره اطلاق النار عليها · وبناء على ما تقدم، فان قوات الامن العربية ترى نفسها مضطرة الى مطالبة الجانب المسؤول بتعويض الاضرار التي لحقت بها سواء في الافراد او في الاسلحة او المعدات طبقا لاحكام القوانين الدولية · واخيرا فان قوات الامن العربية تعود لتناشد الجميع من دون استثناء وجوب التحلي بالمسؤولية الوطنية الحقة واعتماد ضبط

النفس والتخلص من العناصر غير المسؤولة والكف عن فتح النيران والتعاون لتهيئة الجو المناسب للرئيس المنتخب الاستاذ الياس سركيس ، تعزيزا للحوار الجاد مع القادة للوصول الى حل للمشكلة اللبنانية · فقد كفى ما تكدس من خراب ودمار في جميع انحاء لبنان » · ( النهار ٧ ــ ٩ ــ ٧٦ ) ·

وكان هذا التصريح اول تحديد علني للجهة المسؤولة عن خرق وقف القتال · وكانت قوات الامن العربية قبل ذلك تكتفي بالمناشدة العامة دون تحديد المسؤولية ·

وترك حادث المتحف اثرا عميقا في نفس الرئيس سركيس ، لانه يعني ان هناك جهات تريد تحديد حرية حركته وعزله عن الاتصال بالمقاومة والحركة الوطنية ، خاصة وان العقيد ناصيف كان قد تعرض للنيران اكثر من مرة خلال الاتصالات التي قام بها لجعل المتحف مركزا مؤقتا للرئيس يستطيع منه الاتصال بكافة الاطراف ، دون الانتقال من منطقة الى اخرى ··

وكانت « حرب بوابة الامن العام » موضوع اتصالات في ٨ ــ ٩ بين اطراف عديدة على اعلى المستويات · فقد اتصل اللواء غنيم بالرئيس سركيس واثار معه الوضع المتدهورفي منطقة المتحف ــ الامن العام ، وتعرض عناصر « قوات الامن العربية » للنار · كذلك اتصل اللواء غنيم ببيار جميل وبالوزير غسان التويني للغرض نفسه ، كما اتصل بعدد من المسؤولين في المنطقة الغربية · وبنتيجة هذه المساعي عدل اللواء غنيم عن سحب عناصر « قوات الامن العربية » من المنطقة · خاصة بعد ان سدت البوابة بين المنطقتين الشرقية والغربية من انقاض مبنى الامن العام الذي نسف في ليلة ٧ ــ ٨ ايلول ·

وفي ٩ ــ ٩ فتحت بوابة الامن العام · وقد لوحظ غياب اليات « قوات الامن العربية » التي ترابط هنالكوالتي انسحبت الى محيط مستشفى البربير بعد ان تركت عناصر تابعة لها قرب نصب الجندي المجهول ، ووقفت سيارة جيب امام سور قصر الصنوبر · واستمرت جهود اللواء غنيم بعد ذلك بغية تحييد منطقة المتحف، وترتيب الاوضاع بين المتحف والبربير ، واعادة الاتصال بين المنطقتين الشرقية والغربية · ولكن عدم وقف القتال جديا ــ حتى بعد استلام الرئيس سركيس لصلاحياته في ٢٣ ــ ٩ ــ احبط كل هذه الترتيبات · وفي ١٠ ــ ١٠ اوضح اللواء غنيم انه تلقى من الامين العام للجامعة العربية تعليمات تقضي بوجوب سحب « قوات الامن العربية » اذا ما عجزت عن ممارسة مهماتها في الفصل بين الفئات المتحاربة · وان من الصعب ان تمارس هذه القوات مهمتها في ظل استمرار تصعيد القتال بمثل هذه الضراوة ·

ولكن الاعداد لمؤتمر القمة السداسيةفي الرياض ، جمد سحب القوات بانتظار ما سيسفر عنه هذا المؤتمر · وبقيت « قوات الامن العربية » في مواقعها عاجزة عن مراقبة وقف القتال طالما ان الاطراف المتنازعة لا تلتزم بقرارات وقف القتال · وكان من الممكن ان يستمر بقاؤها في هذا الموقف طويلا ، او ان يقوم الامين العام للجامعة العربية بسحبها لتعذر تنفيذ المهمة الملقاة على عاتقها · ولكن مؤتمر القمة السداسية في الرياض ( ١٦ ــ ١٨ تشرين الاول ) ومؤتمر القمة العربي في القاهرة ( ٢٥ ــ ٢٦ تشرين الاول )ثبتاها في مواقعها ، والقيا على عاتقها مهمة جديدة بعد ان حولاها الى جزء من قوات الردع العربية » ·

**عصام الجزار**

# جدول بالعمليات العسكريّة لقوات الثورة الفلسطينية داخل الأرض المحتلة خلال سنة ١٩٧٦

إعداد : مركز التخطيط - قسم الأرض المحتلة

## عمليات شهر كانون الثاني ١٩٧٦ (٤٨ عملية )

| الرقم | تاريخ العملية | المنطقة وموقع العملية | الأسلحة المستخدمة | الهدف | اعتراف العدو | رقم البلاغ العسكري | ملاحظات |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ١ | ١/١ | تل ابيب ـ كريات يوميل | عبوات ناسفة حارقة | كراج سيــــارات | | ٧٦/١ | |
| ٢ | ١/١ | تل ابيب ـ الضاحية الجنوبية | حريــــق | مستودع ورق | ★★ | | تابعـة لصحيفة ها ارتس |
| ٣ | ١/١ | العريش ـ الطريق الرئيسي | لغم ارضي | دوريات عسكرية | ★ | ٧٦/٢ | تدمير سيارة عسكرية |
| ٤ | ١/١ | نهاريا ـ طريق نهاريا ـ كابري | قذائف مشركة ضد الاليات | دوريات عسكرية | | ٧٦/٣ | |
| ٥ | ١/٢ | تل ابيب ـ المنطقة الشمالية | اسلحة رشاشة وقنابل | نادي للشرطه | | ٧٦/٤ | اشتباك |
| ٦ | ١/٢ | تل ابيب ـ الضاحية الجنوبية | عبوات ناسفة حارقة | مستودعــات ورق | | ٧٦/٥ | |
| ٧ | ١/٣ | البحر الميت ـ عين الفشخه | | تصفية رجال مخابرات | | ٧٦/٧ | تصفية ضابطين للمخابرات |
| ٨ | ١/٤ | تل ابيب ـ المنطقة الجنوبية | عبوات ناسفة حارقة | منجرة ومصنع اثاث | | ٧٦/٦ | |
| ٩ | ١/٤ | تل ابيب ـ المنطقة الوسطى | عـــوات ناسفة حارقة | مصنع للمواد الكيماوية | | ٧٦/٦ | |
| ١٠ | ١/٥ | المجـدل | عبوات ناسفة | نادي ليلي | | ٧٦/١١ | |
| ١١ | ١/٦ | تل ابيب ـ المنطقة الجنوبية | عبوات حارقة موقوتــه | كراج سيارات | | ٧٦/٨ | |
| ١٢ | ١/٦ | تل ابيب ـ كفار شالوم | عبوات حارقة | مصنع للورق | ★ | ٧٦/٩ | |
| ١٣ | ١/٧ | تل ابيب ـ حي هتكفاه | عـــوات حارقة | مقهى | ★ | ٧٦/٩ | |
| ١٤ | ١/٩ | القدس ـ حي رامات اشكول | عبوات ناسفة | سوبر ماركت | ★ | ٧٦/١٠ | اعترف العـدو بسقوط ٨ جرحى |
| ١٥ | ١/١١ | المجـدل | قنبلة يدويـة | نادي ليلي | ★ | ٧٦/١١ | |
| ١٦ | ١/١٢ | صفد | صواريخ ثقيلة | اهداف مختلفة | ★ | ٧٦/١٢ | اعترف العدو ببعض الخسائر |
| ١٧ | ١/١٣ | شمال فلسطين ـ مستوطنة مرجليوت | اسلحة رشاشة وقنابل واسلحــة صاروخية | دورية الى الداخل | ★★ | ــــ | استشهاد ٤ فدائيين |
| ١٨ | ١/١٥ | ايــلات | عبوات حارقة | مركز شرطة ايلات | | ٧٦/١٦ | |
| ١٩ | ١/١٦ | عـكا ـ جنوب المدينة | عبوات ناسفة | محطة لتوليد الكهرباء | | ٧٦/١٥ | |
| ٢٠ | ١/١٦ | حيفـــا | اسلحة خفيفة | قتل ضابط | ★ | ٧٦/٢٦ | |
| ٢١ | ١/١٧ | الناصره | عبوات ناسفة حارقة | مصنع نسيج | | ٧٦/١٤ | |
| ٢٢ | ١/١٩ | بحر الميت ـ منطقة القصاص | لغم ارضي | سيارات عسكرية | | ٧٦/٤٠ | |
| ٢٣ | ١/٢٠ | وادي عرمه | الغام مضاده للآليات | سيارات عسكرية | | ٧٦/١٣ | |
| ٢٤ | ١/١٤ | تل ابيب ـ حـي هتكفاه | عبوات ناسفة حارقه | مستودع لـمواد بناء | ★ | ٧٦/١٧ | |
| ٢٥ | ١/٢٥ | القدس ـ بوابة يافا | عبوات ناسفه | الدوانة | ★ | ٧٦/١٨ | |
| ٢٦ | ١/٢٨ | بئر السبع | اسلحــة رشاشة وقنابل | احدى ناصات العدو العسكرية | | ٧٦/٢٠ | |
| ٢٧ | ١/٢١ | ايــلات | عبوات ناسفة حارقة | فندق بيـل | | ٧٦/٢١ | |
| ٢٨ | ١/٢٨ | البحر الميت ـ مستوطنة نؤت هكيكار | لغم ارضي | سيـارة عسكرية | | ٧٦/١٩ | |

ملاحظـات : ١ ـ تدل الاشارة (★) الى العمليات العسكرية التي اعترف بها العدو الصهيوني وصدر عـنها بلاغ عسكري من قيــــادة الثورة الفلسطينية .

٢ ـ تدل الاشارة (★★) الى العمليات العسكرية التي اعترف بها العدوالصهيوني ولم يصدر عـنها بلاغ عسكري .

٣ ـ اما العمليات الغير منونه «بنجوم» فهي تدل الى العمليات التي صدر عنهــا بلاغ عسكري ولم يعترف بها العـــــــدو الصهيوني .

٤ ـ المعلومات من جدول المتابعة حتى ١٥ـ١٢ـ١٩٧٦ .

## عمليات شهر شباط ١٩٧٦ ( ٢٣ عملية)

| الرقم | تاريخ العملية | المنطقة وموقع العملية | الإسلحة المستخدمة | الهدف | اعتراف العدو | رقم البلاغ العسكري | ملاحظات |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ٢٩ | ٢/٤ | القدس ـ شارع خالد بن الوليد | صواريخ | المحكمة العسكرية | ★ | ٧٦/٢٢ | اكتشفت |
| ٣٠ | ٢/٨ | حيفا ـ السوق التجاري | عبوات ناسفة حارقه | مباني تجارية | ★ | ٧٦/٢٣ | |
| ٣١ | ٢/٨ | القدس ـ حي تبلوت | عبوات حارقه | سيارات حرس دولة اسرائيل | ★ | ٧٦/٢٤ | |
| ٣٢ | ٢/٩ | القدس ـ حي القطمون | عبوات ناسفة حارقة | محل تجاري ومكتبة | | ٧٦/٢٥ | |
| ٣٣ | ٢/٩ | حلبن ـ الطريق الى العفولة | اسلحه رشاشه وقنابل | كمين لسيارات العدو | ★ | ٧٦/٢٧ | |
| ٣٤ | ٢/٩ | غـزه ـ معسكر الشاطيء | اسلحـه رشاشه وقنابل | مهاجمة دورية | ★ | ٧٦/٢٨ | |
| ٣٥ | ٢/٩ | القـــدس | عبوة حارقه | محطوطات دينية | ★ ★ | | |
| ٣٦ | ٢/١٤ | تل ابيب ـ شارع ديزنجوف | اسلحة رشاشه | نوادي ليلية ـ بلو اب | | ٧٦/٢٩ | |
| ٣٧ | ٢/١٤ | تــل ابيــب | اسلحه رشاشه | نادي هادية هادوم | | ٧٦/٢٩ | |
| ٣٨ | ٢/١٤ | اللد ـ الطريق الى تل ابيب | عبوة لاصقه | سيارة عسكرية | | ٧٦/٣٠ | |
| ٣٩ | ٢/١٤ | البحر الميت ـ « القصاص » | لغــم ارضـــــي | سيارات عسكرية | | ٧٦/٤٠ | |
| ٤٠ | ٢/١٥ | تل ابيب ـ متاح تكفا | عبوات ناسفة حارقه | محطة وقـود | ★ | ٧٦/٣١ | اكتشفت وقتلت خبير صهيوني |
| ٤١ | ٢/١٥ | حيفا ـ مستوطنة ميجاف | عبوات ناسفة | كابل الهواتف | ★ | ٧٦/٣٢ | |
| ٤٢ | ٢/١٦ | نابلس | عبوات حارقه | وزارة الزراعــة ـ اليات | | ٧٦/٢٨ | حرق عدد من التراكتورات |
| ٤٣ | ٢/١٨ | اسدود | عبوات ناسفه | نــادي تابــع للبحرية | ★ | ٧٦/٣٣ | اكتشفت |
| ٤٤ | ٢/١٩ | تل ابيب ـ هتكفاه | عبوات ناسفه حارقه | مكتبة | | ٧٦/٣٤ | |
| ٤٥ | ٢/٢٠ | القدس ـ حي رامات اشكول | عبوات ناسفة | سيـــارة | | ٧٦/٣٥ | |
| ٤٦ | ٢/٢١ | القدس ـ القطاع الغربي | عبوة ناسفة | | ★ ★ | ـــــ | اكتشفت |
| ٤٧ | ٢/٢٢ | شمال فلسطين ـ مستوطنة زرعيت | اسلحــة وقذائف صاروخية | دورية عسكرية | ★ ★ | ـــــ | اطلاق قنبلة على احدى الاليات |
| ٤٨ | ٢/٢٣ | نابلس ـ بلدة حواره | اسلحــه رشاشه وقنابل | كمين لدوريات | | ٧٦/٣٦ | مهاجمة قافلة وتدمير سيارتين عسكريتين |
| ٤٩ | ٢/٢٤ | حيفا ـ مستوطنة زخروف | الغـام مسيطر عـليها فنيا | قطارات | | ٧٦/٣٧ | تفجير اسفل القطار ونسف جزء من سكة الحديد |
| ٥٠ | ٢/٢٥ | شمال فلسطين ـ مستوطنة شكولا | قذائف بازوكا | دورية عسكرية | ★ ★ | ـــــ | |
| ٥١ | ٢/٢٧ | الخليل ـ الطريق الى بيت لحم | عبوات مشركة | باصــات العــدو | ★ | ٧٦/٣٩ | احراق باص وتفخيخه |

عمليات شهر اذار ١٩٧٦ ( ٣٠ عمليه )

| الرقم | تاريخ العملية | المنطقة وموقع العملية | الاسلحة المستخدمة | الهدف | اعتراف العدو | رقم البلاغ العسكري | ملاحظات |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ٥٢ | ٣/١ | القدس – شارع شتراوس | عبوات ناسفة | سيارة للشرطة | | ٧٦/٤١ | |
| ٥٣ | ٣/٤ | الخليل – طريق بني نعيم | اسلحه رشاشه وقنابل | كمين لدوريات عسكرية | | ٧٦/٤٢ | |
| ٥٤ | ٣/٤ | تل ابيب – شارع ماركوحيا | عبوات ناسفة | احد باصات العدو | | ٧٦/٤٣ | اكتشفت |
| ٥٥ | ٣/٥ | تل ابيب – شارع الهاجناه | عبوات ناسفه حارقه | نادي ليلي | | ٧٦/٤٥ | |
| ٥٦ | ٣/٥ | تل ابيب – المنطقة الصناعية | عبوات ناسفة | مستودعات | | ٧٦/٤٤ | |
| ٥٧ | ٣/٧ | الجولان – تل السقي | اسلحة رشاشه وقذائف مضاده | دورية عسكرية | | ٧٦/٤٦ | تدمير الية للعدو |
| ٥٨ | ٣/٩ | نتانيا – محطة سكة الحديد | عبوات ناسفة | محطة سكة الحديد | ★ | ٧٦/٤٧ | |
| ٥٩ | ٣/١ | نابلس – الساحة الرئيسية | عبوات ناسفة | مجمع لقوات العدو | | ٧٦/٤٨ | |
| ٦٠ | ٣/١٠ | طولكرم – الطريق الرئيسي | الغام | دوريات عسكرية | | ٧٦/٤٩ | اصطدامها بالية |
| ٦١ | ٣/١٠ | طولكرم – الطريق العام | اسلحه رشاشه وصاروخية | كمين لدوريات العدو | | ٧٦/٤٩ | |
| ٦٢ | ٣/١٠ | تل ابيب – شارع ليفي | عبوات ناسفة | مكان عام | ★★ | | اعترف العدو بمقتل واحد واصابة اخر |
| ٦٣ | ٣/١٠ | تل ابيب – شارع الهاعساه | عبوات ناسفة مشركة | موقف باص | ★★ | ٧٦/٥٠ | اكتشفت وقتلت خبير متفجرات |
| ٦٤ | ٣/١٠ | بئر السبع – مستعمرة رحوت | عبوات ناسفه | مستعمرة رحوت | ★★ | | اكتشفت |
| ٦٥ | ٣/١١ | تل ابيب – الطريق الى القدس | عبوات ناسفه | كابلات الهاتف | | ٧٦/٥١ | |
| ٦٦ | ٣/١٣ | نابلس – الشارع الرئيسي | اسلحه رشاشه وقنابل | قافلة عسكرية | | | معركة مواجهة تدمير مجنزرتين مقتل ٦ وجرح ١٢ |
| ٦٧ | ٣ ١٣ | حيفا – المدينة | عبوات حارقه | سيارة عسكرية | | ٧٦/٥٢ | |
| ٦٨ | ٣/١٣ | طولكرم – المدينة | عبوات حارقة | مكتب العمل | | ٧٦/٥٣ | |
| ٦٩ | ٣/١٤ | جنين – قرب قرية رمانة | عبوات ناسفة | سيارة عسكرية | | ٧٦/٥٥ | |
| ٧٠ | ٣/١٤ | تل ابيب – المنطقة الصناعية | عبوات ناسفة | مستودعات ومصانع | | ٧٦/٥٤ | |
| ٧١ | ٣/١٥ | طوباس – قرب طلوزه | اسلحة رشاشة وقنابل | دورية عسكرية | | | استشهاد ٤ فدائيين وجرح اثنين |
| ٧٢ | ٣/١٨ | القدس – جبل الطور | عبوات ناسفه | احد الباصات السياحية | | ٧٦/٥٧ | |
| ٧٣ | ٣/١٧ | الخليل – الشارع الرئيسي | اسلحة رشاشة وقنابل | دورية عسكرية راجلة | | ٧٦/٥٦ | |
| ٧٤ | ٣/١٨ | اسدود | عبوات ناسفه مشركة | سيارة شحن | | ٧٦/٥٨ | |
| ٧٥ | ٣/٢٠ | ناتانيا | عبوات ناسفه حارقه | فندق بارك | ★ | ٧٦/٥٩ | |
| ٧٦ | ٣/٢٠ | القدس – محطة الباصات المركزية | عبوات ناسفه | صالة المسافرين | | ٧٦/٦٠ | |
| ٧٧ | ٣/٢١ | كفار عصيون – قرب قرية بيت امر | اسلحه رشاشه وقنابل وقذائف صاروخيه | دورية عسكرية | | ٧٦/٦١ | اشتباك مع قافلة عسكرية |
| ٧٨ | ٣/٢٣ | الجليل – مستوطنة يفتاح | اسلحه رشاشه وقذائف مضاده للاليات | دورية عسكرية | | ٧٦/٦٢ | |
| ٧٩ | ٣/٢٤ | | سلاح فردي | تصفية احد الضباط | | | تصفية ضابط يدعى « موريس » |
| ٨٠ | ٣/٢٤ | عيناتا – الطريق الرئيسي | اسلحة رشاشه | شاحنة عسكرية | | | الهجوم على شاحنة |
| ٨١ | ٣/٢٨ | طولكرم – الطريق بين طولكرم ، نتانيا | اسلحة رشاشة | باص جنود | | ٦٧/٦٣ | |

## عمليات شهر نيسان ١٩٧٦ ( ٢٤ عملية )

| الرقم | تاريخ العملية | المنطقة وموقع العملية | الاسلحة المستخدمة | الهدف | اعتراف العدو | رقم البلاغ العسكري | ملاحظات |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ٨٢ | ٤/٢ | جنين ـ قرب بلدة ( ميثلون ) | اسلحة رشاشة وقنابل وقذائف صاروخية | تجمع للآليات | | ٧٦/٦٥ | جرح اثنين من الفدائيين |
| ٨٣ | ٤/٤ | تل ابيب | رشاش | تجمع داخل محطة باصات | | ٧٦/٦٤ | |
| ٨٤ | ٤/٧ | القدس ـ حي جمعات نيفا | صواريخ ثقيلة | حي جمعات نيفا | ★ | ٧٦/٦٦ | اعلن العدو انه اكتشف صاروخ لم ينفجر |
| ٨٥ | ٤/٧ | تل ابيب ـ محطة الباصات | عبوات ناسفة | احد الباصات | ★ | ٧٦/٦٧ | |
| ٨٦ | ٤/٩ | نابلس ـ مبنى الحاكم العسكري | صواريخ ثقيلة | مبنى الحاكم العسكري | ★ | ٧٦/٦٨ | اعترف العدو باطلاق صاروخين كاتيوشا |
| ٨٧ | ٤/١١ | غزه ـ جنوب رفح | لغم ارضي | سيارات عسكرية | | ٧٦/٦٩ | |
| ٨٨ | ٤/١٣ | تل ابيب ـ شارع فايسمان | عبوات ناسفة | بناية للضباط | | ٧٦/٧٠ | |
| ٨٩ | ٤/١٥ | تل ابيب ـ المنطقة الصناعية | عبوات حارقه | مستودعات | | ٧٦/٧١ | |
| ٩٠ | ٤/١٥ | عسقلان ـ المنطقة الصناعية | عبوات ناسفه حارقه | مستودعات | | ٧٦/٧٢ | |
| ٩١ | ٤/١٥ | اسدود ـ المنطقة الصناعية | عبوات ناسفه حارقه | مصنع للورق | | ٧٦/٧٣ | |
| ٩٢ | ٤/١٨ | تل ابيب ـ بات يام شارع كروشيه كوبر | عبوات حارقه | مستودع لمواد البناء | | ٧٦/٧٤ | |
| ٩٣ | ٤/١٨ | يافا ـ شارمحرزيت | عبوات حارقه | مصنع للادوات المنزلية | | ٧٦/٧٤ | |
| ٩٤ | ٤/١٩ | نابلس ـ الطريق الى طولكرم | اسلحة رشاشه وقنابل | دوريات عسكرية | | ٧٦/٧٦ | |
| ٩٥ | ٤/١٩ | تل ابيب | اسلحة رشاشه | حاجز للشرطة | | ٧٦/٧٥ | |
| ٩٦ | ٤/٢٠ | تل ابيب ـ بات يام | عبوات ناسفه | منزل احد الضباط | | ٧٦/٧٧ | |
| ٩٧ | ٤/٢٠ | تل ابيب ـ متاح تكفا | عبوات حارقه | مصنع للنسيج | | ٧٦/٧٨ | |
| ٩٨ | ٤/٢٢ | الجولان ـ رفيد | عبوات ناسفة | احد السيارات | | ٧٦/٧٩ | |
| ٩٩ | ٤/٢٤ | جنين ـ الساحة الرئيسية | عبوات ناسفه | قوات للمظليين في الساحة | ★ | ٧٦/٨٠ | « اكتشفت » |
| ١٠٠ | ٤/٢٧ | تل ابيب ـ حولون | عبوات ناسفه | مضخات المياه | | ٧٦/٨١ | |
| ١٠١ | ٤/٢٧ | الجليل ـ رعنان | عبوات ناسفه | خط التوتر العالي | | ٧٦/٨٢ | |
| ١٠٢ | ٤/٢٨ | تل ابيب ـ مرتسليا | اسلحة فرديه | حاجز للشرطة | | ٧٦/٨٣ | |
| ١٠٣ | ٤/٢٨ | القدس | عبوات ناسفة | صندوق العمال | ★ | ٧٦/٨٤ | |
| ١٠٤ | ٤/٢٨ | القدس ـ شارع شتراوس | عبوات ناسفة | مبنى المخابرات | ★ | ٧٦/٨٤ | مقتل خبير صهيوني واصابة ٧ اخرون |
| ١٠٥ | ٤/٣٠ | حيفا | عبوات مشركه | عمارة سكن للضباط | | ٧٦/٨٧ | |

عمليات شهر ايار ١٩٧٦ ( ٢٣ عملية )

| الرقم | تاريخ العملية | المنطقة وموقع العملية | الاسلحة المستخدمة | الهدف | اعتراف العدو | رقم البلاغ العسكري | ملاحظات |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ١٠٦ | ٥/١ | الخليل ـ طريق عين جدي | اسلحة رشاشه وقنابل | دوريات | | ٧٦/٨٦ | |
| ١٠٧ | ٥/١ | القدس ـ حي هداغيكا | عبوات ناسفه | الساحة الرئيسية | ★ | ٧٦/٨٥ | |
| ١٠٨ | ٥/١ | الخليل ـ مستوطنة وادي دروسيا | صواريخ | منشات | | ٧٦/٩٠ | |
| ١٠٩ | ٥/٣ | القدس ـ شارع بن يهودا | عبوات ناسفه | موقف للدراجات | ★ | ٧٦/٨٨ | انفجار دراجتين ناريتين |
| ١١٠ | ٥/٥ | الخليل ـ كريات خمسة | صواريخ | المستوطنة | | ٧٦/٩١ | |
| ١١١ | ٥/١١ | تل ابيب ـ سينما اخاد | عبوات ناسفه | سينما اخاد | ★ | ٧٦/٨٩ | اصابة ثلاثة باعتراف العدو |
| ١١٢ | ٥/١٤ | الجولان ـ تل السكير ، | اسلحة رشاشه وقنابل وقذائف صاروخيه | دورية محمولة | | ٧٦/٩٣ | |
| ١١٣ | ٥/١٥ | تل ابيب ـ المدينة | عبوات ناسفه | بناية للمخابرات | | ٧٦/٩٢ | |
| ١١٤ | ٥ ١٥ | القدس ـ المدينة | عبوات ناسفه | مكتب عام | | ٧٦/٩٥ | اكتشفت وقتلت خبير صهيوني |
| ١١٥ | ٥/١٥ | نابلس ـ المدينة | عبوات ناسفه | مركز شرطة | | ٧٦/٩٦ | |
| ١١٦ | ٥/١٥ | نابلس ـ بئر يعقوب | عبوات ناسفه | تجمع لقوات العدو | | ٧٦/٩٧ | |
| ١١٧ | ٥/١٦ | تل ابيب ـ كفار سابا | عبوات ناسفه | محطة للباصات | | ٧٦/٩٤ | |
| ١١٨ | ٥/١٦ | القدس ـ قرب الكنيست | عبوات ناسفه | كراج للسيارات | ★ | ٧٦/٩٨ | امعرات مي قفص للبيض |
| ١١٩ | ٥/١٧ | تل ابيب ـ المدينة | عبوات ناسفه | مبنى رئيس البلدية | | ٧٦/٩٩ | |
| ١٢٠ | ٥/٢٠ | تل ابيب ـ شارع سلمه | عبوات ناسفه حارقه | معمل للاحذية | | ٧٦/١٠١ | |
| ١٢١ | ٥/٢١ | تل ابيت ـ تل كابيرا | عبوات ناسفه | معمل نسيج | | ٧٦/١٠٢ | |
| ١٢٢ | ٥/٢١ | تل ابيب | عبوات ناسفه حارقه | مصنع القمشة | | ٧٦/١٠٣ | |
| ١٢٣ | ٥/٢٢ | القدس ـ حي تبيلوت | صواريخ | حي تبيلوت منشاة عسكرية | | ٧٦/١٠٤ | صاروخ واحد اصاب هدفه |
| ١٢٤ | ٥/٢٦ | اللد ـ مطار اللد | شحنات متفجرة | قاعة الوصول في المطار | ★ ★ | | انفجرت حقيبة بين يدي شاب وادت الى مقتل شرطية واكتشاف في حقائب اخرى |
| ١٢٥ | ٥/٢٨ | رام الله ـ السوق التجاري | عبوات ناسفه | محل لعميل صهيوني | | ٧٦/١٠٦ | انفجرت في محلات عبد النور جنحو |
| ١٢٦ | ٥/٢٨ | الجولان ـ سعسع ، المعظمون ، | رشاشات وقذائف مضاده | تجميع لاليات العدو | | ٧٦/١٠٨ | |
| ١٢٧ | ٥/٢٩ | رام الله ـ المدينة | عبوات ناسفه | بنك لئومي | | ٧٦/١٠٥ | |
| ١٢٨ | ٥/٢٩ | رام الله ـ المدينة | عبوات ناسفه | مكتب سياحه | | ٧٦/١٠٧ | ، اكتشفت ، وانفجرت بين يدي ضابط صهيوني |

عمليات شهر حزيران ١٩٧٦ ( ١٥ عملية )

| الرقم | تاريخ العملية | المنطقة وموقع العملية | الاسلحة المستخدمة | الهدف | اعتراف العدو | رقم البلاغ العسكري | ملاحظات |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ١٢٩ | ٦/٣ | يافا ـ المدينة | عبوات ناسفه | سيارة احدى المؤسسات | | ٧٦/١٠٩ | |
| ١٣٠ | ٦/٣ | تل ابيب ـ رامات غـان | عبوات ناسفه | موقف باصات | | ٧٦/١١٠ | اكتشفت |
| ١٣١ | ٦/٣ | تل ابيب ـ المنطقة الصناعية | عبوات ناسفه | ورشـة | | ٧٦/١١١ | |
| ١٣٢ | ٦/١١ | الجليل ـ قرب قرية ادنا | رشاشات وقنابل وقذائف مضاده للدروع | المستعمرة | | ٧٦/١٢٣ | هجوم على المستعمرة |
| ١٣٣ | ٦/١٨ | تل ابيب | قنبلة يدوية | مكتب سياحة | | ٧٦/١١٥ | |
| ١٣٤ | ٦/١٩ | القدس ـ فندق الملك داود | عبوات ناسفه | موقف باصات | | ٧٦/١١٤ | |
| ١٣٥ | ٦/١٩ | البلدة القديمة ـ القدس | عبوات ناسفه | | ★ ★ | | انفجرت بين يدي شاب عربي القاها على المبنى |
| ١٣٦ | ٦/٢٠ | تل ابيب ـ المدينة | قنابل حارقه مولوتوف | مبنى البلدية | | ٧٦/١١٦ | |
| ١٣٧ | ٦/٢١ | اللد ـ المطار | عبوات ناسفة | صالة المطار | | ٧٦/١١٧ | اكتشفت |
| ١٣٨ | ٦/٢٤ | رام الله ـ ساحة المغتربين | عبوات ناسفه | مركز سياحة | ★ | ٧٦/١١٩ | اكتشفت |
| ١٣٩ | ٦/٢٥ | الجليل ـ طريق محيدو ، اللجون | عبوات ناسفه | احدى الباصات | ★ | ٧٦/ ١١٨ | انفجرت واصابت ٣ يعملون في مستعمـرة اللجون باعتراف العـدو |
| ١٤٠ | ٦/٢٥ | القدس ـ المدينة | عبوات ناسفه | نصب الجندي المجهول | | ٧٦/١٢٢ | اكتشفـت |
| ١٤١ | ٦/٢٥ | تل ابيب ـ المدينة الصناعية | عبوات ناسفه | مصنـــع | | ٧٦/١١٨ | |
| ١٤٢ | ٦/٢٦ | حيفا ـ المدينة | عبوات ناسفه | مصنع للمواد الكيماوية | | ٧٦/١٢٠٠ | |
| ١٤٣ | ٦/٢٩ | اللد ـ المطار | عبوات ناسفه | صالـة الانتظار | | ٧٦/١٢١ | اكتشفـت |

عمليات شهر تموز ١٩٧٦ (١٩ عملية)

| الرقم | تاريخ العملية | المنطقة وموقع العملية | الاسلحة المستخدمة | الهدف | اعتراف العدو | رقم البلاغ العسكري | ملاحظات |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ١٤٤ | ٧/١ | تل ابيب ـ بات يام | عبوات ناسفة مشركة | مدرسة للمخابرات | | ٧٦/١٢٤ | |
| ١٤٥ | ٧/٦ | حيفا ـ المدينة | عبوات ناسفة | محطة توليد كهرباء | | ٧٦/١٢٥ | |
| ١٤٦ | ٧/٦ | تل ابيب ـ المدينة | عبوات ناسفة | محطة توليد كهرباء | | ٧٦/١٢٥ | |
| ١٤٧ | ٧/٧ | تل ابيب ـ رامات جان ـ السكة الحديد | عبوات ناسفة | خط السكة الحديد | ★ | ٧٦/١٢٦ | خروج القطار عن الخط |
| ١٤٨ | ٧/١٠ | تـل ابيب | عبوات ناسفة حارقة | نادي ليلـي | | ٧٦/١٢٧ | |
| ١٤٩ | ٧/١٤ | الخليل ـ مستوطنة كريات اربع | اسلحة رشاشة وقنابل يدوية | دورية عسكرية | | ٧٦/١٢٨ | |
| ١٥٠ | ٧/١٨ | تل ابيب ـ رامات جان | عبوات ناسفة | باص لشركة ايجد | ★ | ٧٦/١٢٩ | اعترف العدو بسقوط ٦ جرحى |
| ١٥١ | ٧/٢٠ | عسقلان ـ الجنوب | عبوات ناسفة | ساحة موشاف | ★ | ٧٦/١٣٠ | |
| ١٥٢ | ٧/٢٣ | القدس ـ قرية صور باهر | عبوات ناسفة | سيارة لضابط | | ٧٦/١٣٩ | |
| ١٥٣ | ٧/٢٤ | نابلس ـ الطريق الى غـور الاردن | عبوات ناسفة | سيارة لضابط | | ٧٦/١٣١ | |
| ١٥٤ | ٧/٢٥ | نابلس ـ قرب مخيم بلاطة | عبوات ناسفة | سيارة لضابط | ★ ★ | | انفجرت قرب مخيم بلاطة وقتل سيرجنت مقتل ضابط |
| ١٥٥ | ٧/٢٦ | حيفـــا | عبوات ناسفة | منزل لضابط | | ٧٦/١٣٢ | |
| ١٥٦ | ٧/٢٦ | بئر السبع | عبوات ناسفة | مقر الحرس المدني | | ٧٦/١٣٣ | |
| ١٥٧ | ٧/٢٧ | تل ابيب | سلاح فردي | تصفية احـد الضباط | | ٧٦/١٣٤ | |
| ١٥٨ | ٧/٢٨ | تل ابيب | عبـوات ناسفة | صالة عرض لاحدى الشركات | | ٧٦/١٣٥ | |
| ١٥٩ | ٧/٢٨ | الخليـــل | عبـوات ناسفة | بنـــك لئومي | ★ | ٧٦/١٣٦ | اكتشفت وقتلت حارس |
| ١٦٠ | ٧/٢٩ | اللد ـ مطار اللد | عبوات ناسفة | قسم الطرود في المطار | | ٧٦/١٣٨ | |
| ١٦١ | ٧/٢٩ | القدس ـ حي روميما | عبوات حارقة | محطة الباصات المركزية | | ٧٦/١٣٧ | |
| ١٦٢ | ٧/٣٠ | القدس ـ الحي الصناعـي | عبوات ناسفه | مؤسسة صناعية | | | اعـلنت الصاعـقة عـنها |

عمليات شهر اب ١٩٧٦ ( ٢١ عملية )

| الرقم | تاريخ العملية | المنطقة وموقع العملية | الاسلحة المستخدمة | الهدف | اعتراف العدو | رقم البلاغ العسكري | ملاحظات |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ١٦٣ | ٨/٢ | البحر الميت ـ شاطيء البحر الميت | اسلحة رشاشة وقنابل مضادة | اشتباك مع دورية | ★ | ٧٦/١٤٠ | اشتباك مجموعة فدائيين مع قوات للعدو ، وتم اسر احد الفدائيين واستشهاد اخر |
| ١٦٤ | ٨/٤ | طولكرم ـ المدينة | عبوات ناسفة | مكتب العمل | | ٧٦/١٤١ | |
| ١٦٥ | ٨/٧ | الخليل ـ الشارع الرئيسي | عبوات ناسفة | مبنى لقوات العدو | | ٧٦/١٤٢ | |
| ١٦٦ | ٨/٧ | الخليل ـ الطريق الى كريات اربع | رشاشات وقنابل | احد ناصات العدو | ★ | ٧٦/١٤٣ | |
| ١٦٧ | ٨/٧ | الخليل | رشاشات وقنابل | الباصات | ★ | ٧٦/١٤٥ | اصابة باص وتدمير باص اخر ٠ |
| ١٦٨ | ٨/٨ | الخليل | قنابل يدوية | مكتب العمل | ★ | ٧٦/١٤٤ | القائها على جنود الحراسة ٠ |
| ١٦٩ | ٨/٩ | تل ابيب ـ شارع حموريم | رشاشات وقنابل يدوية | مكتب للمخابرات | | ٧٦/١٤٦ | |
| ١٧٠ | /١١ | رام اللــه | عبوات ناسفة | بنك لئومي | | ٧٦/١٤٧ | |
| ١٧١ | ٨/١١ | حيفـا | عبوات ناسفة | سيارة عضو كنيست | ★ | ٧٦/١٤٨ | سيارة موشي شاحر |
| ١٧٢ | ٨/١٤ | حنين ـ وادي جزلين | عبوات ناسفة | معدات للتنقيب عن البترول | ★ | ٧٦/١٤٩ | |
| ١٧٣ | ٨/١٤ | شمال فلسطين ـ الحدود مع لبنان | | | ★★ | | مقتل ثلاثة من عرب قطاع غزة حاولوا الدخول الى لبنان ٠ |
| ١٧٤ | ٨/١٥ | تل ابيب ـ الحي التجاري | عبوات ناسفة | سوق دريس | | ٧٦/١٥٠ | |
| ١٧٥ | ٨/١٧ | الخليل | رشاشات وقنابل وقذائف مضادة | شاحنات عسكرية | | ٧٦/١٥١ | تدمير شاحنة محملة بالذخائر |
| ١٧٦ | ٨/١٧ | القدس ـ حي نحلات اختين | عبوات ناسفة | منـزل | | | |
| ١٧٧ | ٨/١٧ | حنين ـ الطريق الى قرية عنزة | قنابل حارقة مولوتوف | احد باصات ايجد | | ٧٦/١٥٢ | القائها على الباص |
| ١٧٨ | ٨/١٨ | بئر السبع ـ المدينة | عبوات حارقة | احد معامل الكرتون | | ٧٦/١٥٣ | |
| ١٧٩ | ٨/٢٠ | القدس ـ المنطقة الصناعية | عبوات ناسفة | معمل للنجارة | ★ | ٧٦/١٥٤ | |
| ١٨٠ | ٨/٢٤ | القدس ـ قرية العيزرية | عبوات ناسفة | مركز شرطة | ★ | ٧٦/١٥٦ | |
| ١٨١ | ٨/٢٥ | تل ابيب ـ طريق متاح تكفا | عبوات ناسفة | استراحة | | ٧٦/١٥٥ | |
| ١٨٢ | ٨/٢٥ | نابلس ـ المدينة | عبوات ناسفة | | ★★ | | انفجرت بين يدي فدائيين ٠ |
| ١٨٣ | ٨/٢٧ | اسدود ـ المدينة | عبوات ناسفة | سينمـا | | ٧٦/١٥٨ | |

عمليات شهر ايلول ١٩٧٦ ( ١٤ عمليه )

| الرقم | تاريخ العملية | المنطقة وموقع العمليه | الاسلحه المستخدمه | الهدف | اعتراف العـدو | رقم البلاغ العسكري | ملاحظات |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ١٨٤ | ٩/١ | حيفا ـ كرمئيل | سلاح فردي | دورية جنود | | ٧٦/١٥٩ | تصفيته داخل منزله . |
| ١٨٥ | ٩/٢ | تل ابيب ـ فندق هيلتون | عبوات ناسفة | الفندق | | ٧٦/١٦٠ | |
| ١٨٦ | ٩/٩ | بئر السبع ـ السوق المركزي | عبوات حارقة | محلات تجارية | | ٧٦/١٦١ | |
| ١٨٧ | ٩/١٦ | يافـا | عبوات ناسفة | حراسات الوقـود | ★ | ٧٦/١٦٢ | |
| ١٨٨ | ٩/١٦ | نابلس ـ المدينة | قنابل يدوية | باص محمل بالجنـود | | ٧٦/١٦٣ | |
| ١٨٩ | ٩/١٦ | القدس ـ باب الاسباط ـ البلدة القديمة | عبوات ناسفة | احـد الباصـات | | ٧٦/١٦٤ | |
| ١٩٠ | ٩/١٦ | القدس ـ باب الساهرة ـ البلدة القديمة | عبوات ناسفة | احـد الباصـات | | ٧٦/١٦٥ | |
| ١٩١ | ٩/١٧ | تل ابيب ـ رامات جان | عبوات حارقة | مصنـع | | ٧٦/١٦٥ | |
| ١٩٢ | ٩/١٨ | تل ابيب | عبوات ناسفة حارقة | مخزن | | ٧٦/١٦٦ | |
| ١٩٣ | ٩/٢١ | حيفـا | عبوات ناسفة حارقة | جمعية استهلاكية | | ٧٦/١٦٧ | |
| ١٩٤ | ٩/٢٢ | بئر السبع ـ الحي ـ هـ ـ | عبوات حارقة | منشأة حيوية | ★ | ٧٦/١٦٨ | |
| ١٩٥ | ٩/٢٢ | اللد ـ المطار | | عنابر طائرات العـال | ★ ★ | | ادعى العـدو ان الانفجار بسبب بلـد. جهاز يحتوي على هواء مضغوط اصابة ٧. |
| ١٩٦ | ٩/٢٥ | تل ابيب ـ الشاطيء | اسلحة مختلفة | تـل ابيب | ★ ★ | | القبض على زورق فيه ٥ فدائيين |
| ١٩٧ | ٩/٢٧ | حيفا ـ مستوطنة طيرحون | عبوات ناسفة | بنك هبـو عليم | ★ | ٧٦/١٦٩ | |

عمليات شهر تشرين الاول ١٩٧٦ ( ١٠ عمليات )

| الرقم | تاريخ العملية | المنطقة وموقع العملية | الاسلحة المستخدمة | الهدف | اعتراف العدو | رقم البلاغ العسكري | ملاحظات |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ١٩٨ | ١٠/١ | اريحا ـ الطريق الى مستوطنة كاليـد | اسلحة وقنابل وقذائف مضاده | دوريات عسكرية | | ٧٦/١٧٠ | كمين لدوريةوالحصول على اسلحة واصابة فدائي . |
| ١٩٩ | ١٠/٨ | بتاح تكفا ـ مستوطنة كريات اربيه | عبوات ناسفة وحارقة | مصنع للغـزل والنسيج | | ٧٦/١٧١ | |
| ٢٠٠ | ١٠/١١ | يافا ـ ابوكير | سلاح اتوماتيكي فردي | مقهى | | ٧٦/١٧٢ | |
| ٢٠١ | ١٠/١١ | يافا ـ مستوطنة اور يهودا | عبوات ناسفة | نادي الشباب | | ٧٦/١٧٣ | |
| ٢٠٢ | ١٠/١٧ | القدس | عبوات لاصقة | سيارة عسكرية | | ٧٦/١٧٥ | |
| ٢٠٣ | ١٠/١٨ | تل ابيب ـ بتاح تكفا | عبوات حارقة | مخزن ملابس | ★ | ٧٦/١٧٤ | |
| ٢٠٤ | ١٠/١٨ | القدس ـ حي يهودا | عبوات ناسفة | ســادي | | ٧٦/١٧٤ | |
| ٢٠٥ | ١٠/١٩ | نابلس | عبوات ناسفة مشركة | باص | | ٧٦/١٧٦ | |
| ٢٠٦ | ١٠/١٩ | تل ابيب ـ خط السكة الحديد | عبـوات ناسفة | الخـط الحديدي | | ٧٦/١٧٧ | |
| ٢٠٧ | ١٠/٣١ | تل ابيب | عبوات ناسفة حارقة | مصنع للنسيج | | ٧٦/١٧٨ | |

عمليات شهر تشرين الثاني ( ١٤ عملية )

| الرقم | تاريخ العملية | المنطقة وموقع العملية | الاسلحة المستخدمة | الهدف | اعتراف العدو | رقم البلاغ العسكري | ملاحظات |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ٢٠٨ | ١١/٢ | جنوب لبنان رميش ـ عين ابل | اسلحة مضادة للدبابات | الية عسكرية . | | | |
| ٢٠٩ | ١١/٨ | الخليل ـ قرب الحرم الابراهيمي | عبـوات ناسفة | مطعم | | ٧٦/١٨٠ | |
| ٢١٠ | ١١/٨ | الخليـل | عبوات ناسفة | مكتب العمل | | ٧٦/١٨١ | |
| ٢١١ | ١١/٩ | جنوب لبنان ـ رميش ـ دبل | اسلحة رشاشة ومضادة للدبابات | الية عسكرية | | | اصابة الية للعـدو |
| ٢١٢ | ١١/٩ | تل ابيب ـ رامات حان | عبوات ناسفة | مبنى للضباط | | ٧٦/١٨١ | |
| ٢١٣ | ١١/١١ | تل ابيب ـ بتاح تكفا | عبوات ناسفة | سوبر ماركت | ★ | ٧٦/١٨٢ | |
| ٢١٤ | ١١/١١ | رام الله | عبـوات ناسفة مشركة | دائرة السياحة | | ٧٦/١٨٥ | اكتشفت وقتلت خبير صهيوني |
| ٢١٥ | ١١/١٢ | تل ابيب ـ كفار سابا | عبوات ناسفة | بـــاص | ★ | ٧٦/١٨٣ | |
| ٢١٦ | ١١/١٣ | حيفا ـ الطريق الى الكرمل | عبوات ناسفة | شقة للمخابرات | ★ | ٧٦/١٨٤ | |
| ٢١٧ | ١١/١٨ | حيفا ـ طريق الناصرة | سلاح فردي | جندي صهيوني | ★★ | | |
| ٢١٨ | ١١/٢١ | نهاريـا | صواريخ ثقيلة | البــلدة | ★★ | | |
| ٢١٩ | ١١/٢١ | تل ابيب ـ كفار سابـا | سكيـن | جنـــدي | ★★ | | القي القبض عـلى عربي من القبلية |
| ٢٢٠ | ١١/٢٢ | يافـا ـ مستوطنة اوريهودا | عبوات ناسفة حارقة | مطعـــم | ★ | ٧٦/١٨٦ | |
| ٢٢١ | ١١/٢٥ | تل ابيب ـ سوق النجارين | عبوات ناسفة حارقة | مصانع درويش | ★ | ٧٦/١٨٧ | حرائق كبيرة في المنطقة . |

**عمليات شهر كانون الاول ١٩٧٦**

| الرقم | تاريخ العملية | المنطقة وموقع العملية | الاسلحة المستخدمة | الهدف | اعتراف العدو | رقم البلاغ العسكري | ملاحظات |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ٢٢٢ | ١٢/١ | صفد | اسلحة رشاشة | حاجز شرطة | ★★ | — | شابين مسلحين اطلقا النار على الحاجز ولم يكشف العدو عن هويتهم |
| ٢٢٣ | ١٢/٥ | الخليل | عبوات ناسفة | — | ★★ | — | انفجرت في صالون للحلاقة وادت الى مقتل ثلاثة مواطنين عرب . |
| ٢٢٤ | ١٢/١٥ | تل ابيب | عبوات ناسفه حارقه | شركة لتعبئة وتصدير الموالح | ★ | ٧٦/١٨٨ | |

# يوميّات أحداث لبنان ١٩٧٥ - ١٩٧٦

اعداد : محمّد يوسف قدورة

| الحـــــدث | التاريخ |
|---|---|
| بيار الجميل يقدم مذكرة الى رئيس الجمهورية ، تركزت حول وجود المقاومة والوضع في الجنوب · | ٢٤ كانون ثاني ١٩٧٥ |
| بيار الجميل يطالب باجراء استفتاء حول وجود المقاومة في لبنان | ٢١ شباط ١٩٧٥ |
| اطلاق النار على تظاهرة صيادي الاسماك في صيدا واصابة معروف سعد | ٢٦ شباط ١٩٧٥ |
| الكتائب اللبنانية تنظم مظاهرة تأييدا للجيش اللبناني في المنطقة الشرقية والجبل · | ٥ آذار ١٩٧٥ |
| استشهاد معروف سعد | ٦ آذار ١٩٧٥ |
| مجزرة عين الرمانـــة | ١٣ نيسان ١٩٧٥ |
| استقالة حكومة رشيد الصلح | ١٥ ايار ١٩٧٥ |
| تشكيل حكومة نور الدين الرفاعي العسكرية | ٢٣ ايار ١٩٧٥ |
| بدء المبادرة السورية في لبنان | ٢٤ ايار ١٩٧٥ |
| تكليف رشيد كرامي بتشكيل الحكومة | ٢٨ايار ١٩٧٥ |
| انفجار الوضع العسكري في زحلة | ٢٨ ايار ١٩٧٥ |
| الامام الصدر يبدأ اعتصامه في المسجد حتى يقف اطلاق النار | ١٧ حزيران ١٩٧٥ |
| هجوم على بلدة القاع في البقاع | ٢ تموز ١٩٧٥ |
| الحركة الوطنية تقدم برنامجا للاصلاح السياسي | ١٨ آب ١٩٧٥ |
| انفجارالوضع العسكريفي طرابلس | ٤ ايلول ١٩٧٥ |
| مجزرة داريا قرب طرابلس | ٧ أيلول ١٩٧٥ |

اقالة العماد اسكندر غانم وتعيين حنا سعيد قائدا للجيش ١٠ ايلول ١٩٧٥

هجوم على بيت ملات في عكار ١١ ايلول ١٩٧٥

حريق سوق سرسق والاوبرا والفندق العربي في وسط بيروت ١٨ ايلول ١٩٧٥

تشكيل هيئة الحوار الوطني ٢٤ ايلول ١٩٧٥

صائب سلام وريمون اده يدعوان فرنجية الى الاستقالة ١ تشرين اول ١٩٧٥

هجوم على قرية تل عباس في عكار ٩ تشرين اول ١٩٧٥

انعقاد مؤتمر وزراء خارجية الدول العربية لبحث الازمة اللبنانية ١٥ تشرين اول ١٩٧٥

كرامي يعتصم بالسراي وينشأ الهيئة الامنية ٢٨ تشرين اول ١٩٧٥

باخرة « الاكوامارينا » وفضيحة الجيش لانحيازه الى الفريق الانعزالي ٦ تشرين ثاني ١٩٧٥

برتولي مبعوث البابا يبدأ وساطة فاتيكانية لحل الازمة اللبنانية ٩ تشرين ثاني ١٩٧٥

كوف دي مورفيل يبدأ وساطة فرنسية لحل الازمة اللبنانية ١٩ تشرين ثاني ١٩٧٥

مجزرة حارة الغوارنـــة ١ كانون الاول ١٩٧٥

السبت الدامي ، وزيارة بيار الجميل الى دمشق ٦ كانون الاول ١٩٧٥

فرنجية يوجه رسالة الى اللبنانيين محملا اليسار الدولـي والصهيونية مسؤولية الاحداث في لبنان ١٠ كانون الاول ١٩٧٥

مجـــزرة سبنيـــه ١٦ كانون اول ١٩٧٥

اغتيال محافظ الشمال قاسم العماد في طرابلس ٢٠ كانون اول ١٩٧٥

حصار مخيم تل الزعتر حيث منع الانعزاليون دخــول المداد التموينية والطبية لـــه ٤ كانون ثاني ١٩٧٦

سقوط مخيم ضبية ١٤ كانون ثاني ١٩٧٦

سقوط الدامور ١٧ كانون ثاني ١٩٧٦

سقوط المسلخ والكرنتينا ١٩ كانون ثاني ١٩٧٦

حرب الثكنات العسكرية وسقوط السعديات ٢٢ كانون ثاني ١٩٧٦

اعتداء الصاعقة على جريدتي المحرر وبيروت ٣١ كانون ثاني ١٩٧٦

اعلان الوثيقة الدستـورية ١٤ شباط ١٩٧٦

انقلاب العميد الركن الاول عزيز الاحدب ١١ اذار ١٩٧٦

صدام بين الصاعقة وجيش لبنان العربي ١٥ اذار ١٩٧٦

| | |
|---|---|
| بدء معارك الجبل | ١٥ اذار ١٩٧٦ |
| انفجار طائرة . كرامي ـ سلام ـ والاسعد في مطار بيروت | ١٩ اذار ١٩٧٦ |
| مجـــزرة بطشاي | ١٩ اذار ١٩٧٦ |
| جنبلاط يعلن قيام جيش فخر الديـــن | ٢٠ اذار ١٩٧٦ |
| سقوط الهوليداي ان ومنطقته في يد القوات المشتركة | ٢١ اذار ١٩٧٦ |
| سقوط المتين وعنيطورة | ٢٥ اذار ١٩٧٦ |
| هروب الرئيس سليمان فرنجية الى ذوق مكايل | ٢٥ اذار ١٩٧٦ |
| قيام التجمع الوطني الزغرتاوي المناهض لسليمان فرنجية | ٢٨ اذار ١٩٧٦ |
| دين براون مبعوث الرئيس الاميركي فورد يبدأ مهمته الى لبنان | ١ نيسان ١٩٧٦ |
| فورس يكمل مهمة كوف دومورفيل في وساطة فرنسية | ٨ نيسان ١٩٧٦ |
| تعديل المادة ٧٣ من الدستور اللبناني | ١٠ نيسان ١٩٧٦ |
| الكتائب تحتل بيت شباب | ١٣ نيسان ١٩٧٦ |
| الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية تتجه الى الادارة المدنية | ٢٢ نيسان ١٩٧٦ |
| انتخاب الياس سركيس رئيســا للجمهورية اللبنانية | ٨ ايار ١٩٧٦ |
| عبد السلام جلود يصل لبنان ليبدأ وساطته | ١٧ ايار ١٩٧٦ |
| اول لقاء بين سركيس وجنبلاط بعد انتخابه | ١٩ ايار ١٩٧٦ |
| فرنسا تعلن استعدادها للتدخل عسكريا في لبنان | ٢٢ ايار ١٩٧٦ |
| محاولة اغتيال ريمون اده على طريق جبيل ـ نهر ابراهيم | ٢٥ ايار ١٩٧٦ |
| اغتيال السيدة ليندا جنبلاط في بدارو | ٢٧ ايار ١٩٧٦ |
| مهاجمة القبيات وعندقت في الشمال | ٢٩ ايار ١٩٧٦ |
| اول لقاء بين الكتائب وجنبلاط منذ ١٣ نيسان ١٩٧٥ | ٢ حزيران ١٩٧٦ |
| اضراب لبنان احتجاجا على دخول الجيش السوري الى لبنان | ٣حزيران ١٩٧٦ |
| الاعلان عن انشاء طلائع الجيش العربي اللبناني ، وجيــش لبنان العربي يعزل الرائد شاهين من قيادة البقاع | ٣ حزيران ١٩٧٦ |
| الاعلان عن قيام قيادة مركزية موحدة تضم المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية ، وجيش لبنان العربي | ٤ حزيران ١٩٧٦ |
| هجوم على الصاعقة والاحزاب الموالية لسوريا في لبنان | ٦ حزيران ١٩٧٦ |
| هجوم الجيش السوري على صيدا وصوفر | ٧ حزيران ١٩٧٦ |

| | |
|---|---|
| اعتقال مصباح البديري قائد جيش التحرير الفلسطيني | ٧ حزيران ١٩٧٦ |
| اختطاف السفير الاميركي ميلوى ومرافقيه في بيروت | ١٦ حزيران ١٩٧٦ |
| القذافي يدعو الى انسحاب القوات السورية من لبنان | ١٧ حزيران ١٩٧٦ |
| اقالة الرائد احمد المعماري من قيادة منطقة الشمال في جيش لبنان العربـــي | ١٨ حزيران ١٩٧٦ |
| وصول الدفعة الاولى من قوات الامن العربية وانسحـــاب السوريين مــن خلــده | ٢١ حزيران ١٩٧٦ |
| تأسيس مكتب الامن الشعبي للحركة الوطنية اللبنانية | ٢١ حزيران ١٩٧٦ |
| الهجوم انعسكري على مخيمي تل الزعتر وجسر الباشا | ٢٣ حزيران ١٩٧٦ |
| بناء مستوصف اسرائيلي قرب الحدود اللبنانية | ٢٤ حزيران ١٩٧٦ |
| سقوط مخيم جسر الباشــا | ٣٠ حزيران ١٩٧٦ |
| اجتماع وزراء خارجية الدول العربية لبحث الازمة اللبنانية | ٣٠ حزيران ١٩٧٦ |
| وصول القوات السودانية والسعودية الى بيروت | ١ تمــوز ١٩٧٦ |
| تحرير شكا وخمس قـــرى مجاورة | ٥ تمـــوز ١٩٧٦ |
| سقوط اميـــون والكـورة | ٨ تمـــوز ١٩٧٦ |
| القوات السورية تحتل بلدة عرســـال | ١٠ تمـــوز ١٩٧٦ |
| الحبيب الشطي يعلن ان اليمين اللبناني يسعى الى التقسيم وطرد الفلسطينيين من لبنان احياء ام اموات ٠ | ١٠ تمـــوز ١٩٧٦ |
| هجوم القوات السورية على مدينـــة بعلبـــك | ١١ تمـــوز ١٩٧٦ |
| اعــلان جبهة الاتحــاد الوطني | ١١ تمـــوز ١٩٧٦ |
| اجتماع مجلس وزراء خارجية الدول العربية لبحث الازمة اللبنانية | ١١ تمـــوز ١٩٧٦ |
| اعــلان تأسيس التجمع الاسلامـــي | ١٢ تمـــوز ١٩٧٦ |
| مصرع وليم حاوي قائد قوات الكتائب في تل الزعتر | ١٣ تمـــوز ١٩٧٦ |
| الاسد يلقي خطابا عنيفا في دمشق محملا الفلسطينيين والحركة الوطنية مسؤولية الاحداث في لبنان | ٢٠ تمـــوز ١٩٧٦ |
| انهيار مبنى كامل من شدة القصفعلى ٥٠٠ شخصفي مخيم تل الزعتر | ٢٣ تموز ١٩٧٦ |
| مشروع سلام رقم (١) بواسطة الجامعة العربية | تمـــوز ١٩٧٦ |
| مشروع سلام رقم (٢) بواسطة الجامعة العربية | ٢٣ تمـــوز ١٩٧٦ |
| الاتفاق السوري الفلسطيني | ٢٩ تمـــوز ١٩٧٦ |

| | |
|---|---|
| اتفاق الصليب الاحمر الدولي لاخلاء جرحى تل الزعتر | ٢٩ تمــوز ١٩٧٦ |
| مقتل ٤ فدائيين في قرية عين ابل واسرائيل تتدخل لصالح الانعزاليين | ٣٠ تموز١٩٧٦ |
| انتخاب المجلس السياسي للحركة الوطنية اللبنانية | ٣٠ تمــوز ١٩٧٦ |
| خطف خليل سالم المدير العام لوزارة المالية | ٣١ تمــوز ١٩٧٦ |
| بيان حركة الديمقراطيين الشيعة يكشف دور الصدر والاسعد في تفريـــغ النبعــة | ٤ آب ١٩٧٦ |
| اجـــلاء جرحى تـل الزعتـــر | ٤ آب ١٩٧٦ |
| سقـــوط النبعــة | ٥ آب ١٩٧٦ |
| سقوط تل الزعتر | ١٢ آب ١٩٧٦ |
| الحركة الوطنية تدعو الى انشاء قوات التحرير الشعبية | ١٣ آب ١٩٧٦ |
| سعيد عقل يعلن ولادة الطليعة التبادعية اللبنانية | ١٤ آب ١٩٧٦ |
| الاعلان عن تأسيس جبهة المسيحيين الوطنيين | ١٧ آب ١٩٧٦ |
| فرنجية يوجه رسالة تحريض الى اللبنانيين بمناسبة ذكـرى انتخابـــه السادسة | ١٧ آب ١٩٧٦ |
| الاعلان عن ولادة الجبهة العكارية وجناحها العسكري لواء عكار برئاسة عبدالله الراسي | ٢٠ آب ١٩٧٦ |
| زيارة الياس سركيس الى دمشق | ٣١ آب ١٩٧٦ |
| مجلس قيادة موحد للقوات الانعزالية برئاسة بشير الجميل | ٣١ آب ١٩٧٦ |
| طرح مشروع الكانتونات | ٢ ايلول ١٩٧٦ |
| اجتماع مجلس وزراء خارجية الدول العربية لبحث الازمة اللبنانية | ٤ ايلول ١٩٧٦ |
| الاعلان عن قيام الجبهة الوطنية الاسلامية تحت شعار فوق اليمين واليسار | ٤ ايلول ١٩٧٦ |
| زيارة كميـل شمعون الى دمشق | ٨ ايلول ١٩٧٦ |
| اعلان الجبهة الوطنية في الشمال برئاسة الشيخ قبلان عيسى الخوري | ٩ ايلول ١٩٧٦ |
| الحركة التصحيحية للاتحاد الوطني الكرستاني تعلن استقلالها عن القيادة بدمشق | ٩ ايلول ١٩٧٦ |
| المؤتمر التأسيسي الاول لجبهة المسيحيين الوطنيين | ١١ ايلول ١٩٧٦ |
| لقاء سوري فلسطيني مفاجيء في صوفر | ١٢ ايلول ١٩٧٦ |
| فرنجية يحدث تغييرا وزاريا في حكومة رشيد كرامي. | ١٥ ايلول ١٩٧٦ |
| اجتماع سركيس ، عرفات ، ناجي جميل في شتورا | ١٧ ايلول ١٩٧٦ |

| | |
|---|---|
| زيارة سركيس الى القاهـــــرة | ١٨ ايلول ١٩٧٦ |
| اجتماع شتورا الثاني : سركيس ـ عرفات ـ ناجي جميل | ١٩ ايلول ١٩٧٦ |
| سركيس رئيس الجمهورية اللبنانية يؤدي اليمين الدستورية في شتورا | ٢٣ ايلول ١٩٧٦ |
| لقاء الرئيس سركيس مع كمال جنبلاط ، وسفر جنبلاط الى القاهرة | ٢٦ ايلول ١٩٧٦ |
| القوات السورية تفتح معركـــة الجبل | ٢٨ ايلول ١٩٧٦ |
| مجازر كفرسلوان وصليمـــا | ٢٩ ايلول ١٩٧٦ |
| التنظيم الوطني الثوري يصدر بيانا عن عملية عسكرية ضد الكتائب في جبيـل | ٢٩ ايلول ١٩٧٦ |
| اعلان راس بيروت والاوزاعي منطقة عسكرية | ١ تشرين اول ١٩٧٦ |
| محاولة اغتيال نائب جزين السابق جان عزيز | ١ تشرين اول ١٩٧٦ |
| مبادرة سوفياتية لحل الازمة اللبنانية | ١ تشرين اول ١٩٧٦ |
| بيان طلائع الجيش المعني الدرزي « منظمة الجهاد الدرزية » | ٢ تشرين اول ١٩٧٦ |
| محاولة اغتيال المفتي الجعفري في طرابلس | ٣ تشرين اول ١٩٧٦ |
| اعلان الجبل من كفرشيما الى الباروك منطقة عسكرية | ٥ تشرين اول ١٩٧٦ |
| اجتماعات اللجنة الرباعية في شتورا والخروج بورقة اتفاق | ٩ـ١٠ـ١١ـ ت ١ ١٩٧٦ |
| هجوم سوري على منطقـــة روم | ١٢ تشرين اول ١٩٧٦ |
| هجوم سوري على بحمدون | ١٣ تشرين اول ١٩٧٦ |
| بيان منظمة الشبيبة الدرزيـــــة | ١٤ تشرين اول ١٩٧٦ |
| أسرائيل تشن هجوما بريا على قرية حانين | ١٦ تشرين اول ١٩٧٦ |
| سرية اليات من القليعة تحتل ثكنة مرجعيون | ١٨ تشرين اول ١٩٧٦ |
| مؤتمر القمة السداسي في الرياض | ١٩ تشرين اول ١٩٧٦ |
| اعادة انتخاب كامل الاسعد رئيس مجلس النواب في شتورا | ١٩ تشرين اول ١٩٧٦ |
| تطهير العيشية من جيوب الانعزاليين | ١٩ تشرين اول ١٩٧٦ |
| اسرائيل والانعزاليون يشنون هجمات على مرجعيون وبنت جبيل وتقطع طريق الخيام | ٢١ تشرين اول ١٩٧٦ |
| مؤتمر القمة العربي في القاهـــــرة | ٢٥ تشرين اول ١٩٧٦ |
| جنود اسرائيليون يدخلون الهبارية لجمع السلاح من الاهالي | ٢٥ تشرين اول ١٩٧٦ |
| تصفية جيوب الانعزاليين في معاصر بيت الدين | ٢٩ تشرين اول ١٩٧٦ |

الرئيس سركيس يعين العقيد احمد الحاج قائدا لقوات الردع العربية ٤ تشرين ثاني ١٩٧٦

اسرائيل تطوق بلدة الخيام ٧ تشرين ثاني ١٩٧٦

الوطنيون الاحرار يقدمون مشروع موسى برنس الكونفدرالي كمدخل لتوحيد لبنان ٩ تشرين ثاني ١٩٧٦

قوات الردع العربية تبدأ المرحلة الاولى ١٠ تشرين ثاني ١٩٧٦

محاولة اغتيال ريمون اده للمرة الثانية امام منزله ١١ تشرين ثاني ١٩٧٦

عودة قوات الصاعقة الى بيروت ١٣ تشرين ثاني ١٩٧٦

المؤتمر الاسلامي التمهيدي الاول ١٤ تشرين ثاني ١٩٧٦

قوات الردع تدخل مدينة بيروت ، وابو ارز يعلن اعتصامه ١٥ تشرين ثاني ١٩٧٦

قوات الردع في طرابلس وصيدا ٢١ تشرين ثاني ١٩٧٦

رياض طه يبدأ الحوار مع بشير الجميل في الاشرفية ٢٣ تشرين ثاني ١٩٧٦

دكتور اسامة فاخوري يلتقي بيار الجميل في الاشرفية ٣٠ تشرين ثاني ١٩٧٦

ليبيا تسحب قواتها من قوات الامن العربيـــة ٣٠ تشرين ثاني ١٩٧٦

ابو عمار يعقد اجتماعا مع العقيد الركن احمد الحاج ٢ كانون الاول ١٩٧٦

حزب البارتي ورزكاري يعلنان اندماجهما في جبهة كردية وطنية واحدة ٣ كانون الاول ١٩٧٦

انفجار سيارة بالقرب من منزل كمال جنبلاط ٤ كانون الاول ١٩٧٦

محاولة اخرى لاغتيال ريمون اده ٧ كانون الاول ١٩٧٦

تكليف الدكتور سليم الحص بتأليف الحكومة ٨ كانون الاول ١٩٧٦

توحيد الاعلام الرسمي ١٢ كانون اول ١٩٧٦

اطلاق النار على كميل شمعون وانسحاب الاحرار من القوات اللبنانية ١٢ كانون اول ١٩٧٦

اجتماع اللجنة الرباعية الاولى ١٤ كانون الاول ١٩٧٦

قوات الردع تدخل مباني صحف ـ بيروت ـ المحرر ـ الدستور ١٥ كانون الاول ١٩٧٦

قوات الردع تدخل مبنى جريدة السفير ١٧ كانون الاول ١٩٧٦

نسف سيارة ابراهيم قليلات ١٨ كانون اول ١٩٧٦

قوات الردع تدخل مباني صحف النهار والاوريان لوجور والنداء ١٩ كانون اول ١٩٧٦

المجلس السياسي للحركة الوطنية والتقدمية يصدر نشرة الوطن الاخبارية ٢٠ كانون اول ١٩٧٦

تفجير عدد من المنازل في بلدة الفاكهة في البقاع ٢١ كانون اول ١٩٧٦

اللجنة الرباعية تعقد اجتماعا بغياب ممثل سوريا ٢٢ كانون اول ١٩٧٦

مجلس النواب يجتمع في قصر منصور لمناقشة البيان الوزاري ٢٣ كانون اول ١٩٧٦

الانعزاليون ينسفون ٤٧ منزلا في ترشيش ٢٥ كانون اول ١٩٧٦

الحركة الوطنية تعلن عن مخطط لجبهة الكفور لورنة ٢٥ الف قبطي مصري ومنحهم الجنسية اللبنانية ٢٧ كانون اول ١٩٧٦

وفد انعزالي رسمي يزور اسرائيل ٢٧ كانون اول ١٩٧٦

القوات اللبنانية تعلن عدم استعدادها لتسليم الثكنات ، وتعلن انها سلمت سلاحها الى الجيش ٢٧ كانون اول ١٩٧٦

المجلس السياسي لمدينة صور يقرر منع دخول الصحف غير الصادرة الى المدينة ٢٧ كانون اول ١٩٧٦

عدوان اسرائيلي ـ انعزالي على قرية الطيبة ٢٨ كانون اول ١٩٧٦

الحركة الوطنية تحدد اماكن تجميع سلاحها الثقيل ٢٩ كانون اول ١٩٧٦

اذاعة عمشيت تفك ارتباطها باذاعة الصنائع عند بث القرآن الكريم ٢٩ كانون اول ١٩٧٦

# الملحق الاول

## ـ أ ـ
## التنظيمات السياسية والعسكرية في مناطق اليمين اللبناني

| | |
|---|---|
| ١ ـ حزب الكتائب اللبنانية | بيار الجميل |
| ٢ ـ حزب الوطنيين الاحرار | كميل شمعون |
| ٣ ـ جبهة حراس الارز | ابو ارز ( اتيان صقر ) |
| ٤ ـ حزب الطليعة التبادعية | سعيد عقل |
| ٥ ـ الاتحاد العام للقوميين اللبنانيين | رشاد الموسوي واحمد المقداد |
| ٦ ـ التنظيم اللبناني | فؤاد الشمالي وجورج عدوان |
| ٧ ـ الرابطة المارونية اللبنانية | شاكر ابو سليمان |
| أ ) حركة اشبال الارز | |
| ب ) حركة فتيان ادونيس | |
| ٨ ـ التجمع الزحلي العام | جوزف سكاف |
| ٩ ـ الجبهة الوطنية في الشمال | برئاسة الشيخ قبلان عيسى الخوري |
| أ ) جيش التحرير الزغرتاوي | |

ب ) لواء المردة الزغرتاوي

ج ) التمجع الزغرتاوي

د ) لواء تنورين البتروني

هـ ) لواء المقدمين البشراوي

و ) لواء قاديشيا البشراوي

ز ) التجمع الكوراني

| | |
|---|---|
| ١٠ ـ الجبهة العكارية ـ لواء عكار | عبد الله الراسي |
| ١١ ـ حركة الشبيبة اللبنانية | مارون خوري |
| ١٢ ـ الجيش اللبناني | مجلس قيادة الجيش اللبناني العليا |
| ١٣ ـ جيش لبنان | الرائد فؤاد مالك |
| ١٤ ـ أنصار الجيش اللبناني للدفاع عن الجنوب | التجمع اللبناني |
| ١٥ ـ منظمة النهضة الوطنية اللبنانية | الحدث |
| ١٦ ـ منظمة فرسان هنيبعل | جامعة التراث اللبناني |
| ١٧ ـ منظمة الحركة اللبنانية | المحامي نبيل مشنتف |
| ١٨ ـ حركة الوعي | القوة الجامعية اللبنانية |
| ١٩ ـ حزب الاستقلال الجمهوري | حزب ١٩٤٣ |
| ٢٠ ـ لجنة البحوث والدراسات اللبنانية | الكسليك |
| ٢١ ـ المؤتمر الدائم للرهبانيات المارونية | شربل قسيس |
| ٢٢ ـ حزب الطاشناق | الارمني |
| ٢٣ ـ هيئة لبنان الشعبية | حركة انصار الكتائب اللبنانية |
| ٢٤ ـ منظمة تحرير لبنان | يوسف جرمانوس |
| ٢٥ ـ جبهة الشبيبة اللبنانية | |
| ٢٦ ـ حركة الوعي اللبنانية | |
| ٢٧ ـ حزب الاستقلال الجمهوري | |
| ٢٨ ـ حزب الاستقلال | |
| ٢٩ ـ حركة الشبيبة الطالبة اللبنانية | |
| ٣٠ ـ الحركة العلمانية الديمقراطية | |
| ٣١ ـ حركة كنيسة من اجل عالمنا | |

٣٢ ـ حركة لبنان الواحد

٣٣ ـ الحزب الديمقراطي

٣٤ ـ عصبة البنائين الاحرار (الماسونية) كميل برباري

## الملحق الاول

### ـ ب ـ

### النشرات والصحف ★ التي تصدر في المناطق التي يسيطر عليها اليمين اللبناني

| | |
|---|---|
| ١ ـ الانصــــار | التجمع اللبناني ـ انصار الكتائب |
| ٢ ـ ملحق العمل | اقليم زحلـــة |
| ٣ ـ الكتائبــــي | المجلس الحربي في حزب الكتائب |
| ٤ ـ مجلة نمور الاحرار | حزب الوطنيين الاحرار |
| ٥ ـ جريدة صوت الاحرار | حزب الوطنيين الاحرار |
| ٦ ـ لبنــــان ★★ | حراس الارز |
| ٧ ـ حراس الارز | حراس الارز |
| ٨ ـ التحرير اللبناني | جبهة المساندة المارونية |
| ٩ ـ المصيـــــر | لسان حال الاكثرية الصامتة |
| ١٠ ـ المـــردة | انصار الرابطة المارونية ـ الفتوح |
| ١١ ـ التـــراث | صوت منظمة فرسان هنيبعل |
| ١٢ ـ كسروان | جيش لبنان الخفي |
| ١٣ ـ الصمـــود | حركة الجامعيين اللبنانيين |
| ١٤ ـ الاولـــى | نادي لبنان المستقبل |
| ١٥ ـ الرابطة اللبنانية | الرابطة اللبنانية |
| ١٦ ـ وطنـــي | منظمة دعم الجيش |
| ١٧ ـ ما باتري | منظمة دعم الجيش ( باللغة الفرنسية ) |
| ١٨ ـ الحركـــة | حركة التجمع اللبناني |

★ اسقطنا من هذا الجدول الصحف المسجلةفي نقابة الصحافة .

★★ استقلت هذه النشرة في الصدور لصالحسعيد عقل بعد خلافه مع ابو ارز الذي اصـــدر نشرة باسم التنظيم ويمكن اعتبارها تصدر باسم حزب الطليعة التبادعية .

| | |
|---|---|
| ١٩ ـ صوت الارز | منظمة الحركة اللبنانية |
| ٢٠ ـ الرابطة | الرابطة السريانية |
| ٢١ـ جبهة الحرية | الرميـــــل |
| ٢٢ ـ مجلة الصيحة | الشعبة الخامسة في لواء عكار |
| ٢٣ ـ جند لبنان | الشعبة الخامسة في الجيش اللبناني |
| ٢٤ ـ الاستقلال | حراجـــل ـ لبنان |
| ٢٥ ـ مجلة المقاتل اللبناني | حركة الشبيبة اللبنانية |
| ٢٦ ـ صوت الدامـــور | ابناء الدامـــور |
| ٢٧ ـ اللبنانـــي | |
| ٢٨ ـ الجـــلاء | |
| ٢٩ ـ الفـــداء | |
| ٣٠ ـ النضـــال | |
| ٣١ ـ بـــلادي | |
| ٣٢ ـ لو ليبيرال | الوطنيون الاحرار ( باللغة الفرنسية ) |
| ٣٣ ـ صوت زحلـــة | التجمع الزحلي العام |
| ٣٤ ـ البديـــل | لسان حال الاكثرية الصامتة |
| ٣٥ ـ البناؤون الاحرار | عصبة البنائيين الاحرار |

## الملحق الثاني

ـ ا ـ

### التنظيمات السياسية والعسكرية الوطنية والتقدمية

١ ـ الحزب التقدمي الاشتراكي

٢ ـ الحزب الشيوعي اللبناني

٣ ـ الحزب السوري القومي الاجتماعـي

٤ ـ حزب البعث العربي الاشتراكي

٥ ـ حزب العمل الاشتراكي العربي

٦ ـ منظمة العمل الشيوعـي

٧ ـ حركة الناصريين المستقلين المرابطون

٨ ـ الاتحاد الاشتراكي العربي ( التنظيم الناصري )

٩ ـ الاتحاد الاشتراكي العربي (الافواج العربية )

١٠ ـ التنظيم الشعبي الناصري ( صيدا )

١١ ـ اتحاد قوى الشعب العامل (التنظيم الناصري ) الحركة التصحيحية ٠

١٢ ـ انصار الثـورة الفلسطينية

١٣ ـ حزب البارتي ( الكردي )

١٤ ـ جيش لبنان العربي

١٥ ـ الجبهة الوطنية الاسلامية

١٦ ـ الجماعـة الاسلامية ( المجاهدون )

١٧ ـ حركة رواد الاصلاح ( المقاومة الشعبية )

١٨ ـ التجمع الاسلامي

١٩ ـ حزب النجادة ( الحركة التصحيحية )

٢٠ ـ جبهة الاتحاد الوطني

٢١ ـ حركة وجهة نظر « الجامعـة الاميركية »

٢٢ ـ حركة الديمقراطيين الشيعة

٢٣ ـ الحركة الثورية الاشتراكية اللبنانية

٢٤ ـ قـوات الثـورة العربية

٢٥ ـ رابطة الشغيلة ٠

٢٦ ـ منظمة كفاح الطلبة

## الملحق الثاني

## ـ ب ـ

## الجبهـة القوميـة

١ ـ منظمة حزب البعث العربي الاشتراكي

٢ ـ حركة المحرومين (منظمة امل)

٣ ـ اتحاد قوى الشعـب العامـل ( التنظيم الناصري )

٤ ـ الحزب السوري القومي الاجتماعـي ( قنيزح )

٥ ـ منظمة فتيان عـلي

٦ ـ التنظيم الشعبي الثوري المسلح

٧ ـ طلائع الجيش العربي اللبناني

٨ ـ الحزب الديمقراطي الاشتراكي ٠

## النشرات والصحف (١) الصادرة عن الحركة الوطنية اللبنانية

ـ ج ـ

| | | |
|---|---|---|
| ١ | المرابط | حركة الناصريين المستقلين (المرابطون) |
| ٢ | صوت الجماهير | الحركة الشعبية اللبنانية |
| ٣ | الثورى (٢) | حزب العمل الاشتراكي العربي |
| ٤ | التحرير | منظمة العمل الشيوعي |
| ٥ | الاشتراكي (٣) | الاتحاد الاشتراكي العربي (الافواج العربية) |
| ٦ | الاتحاد (٤) | قوات الثورة العربية |
| ٧ | القومي العربي | الاتحاد الاشتراكي العربي (التنظيم الناصري) |
| ٨ | الشروق | قوات الثورة العربية |
| ٩ | المصير | الاتحاد الاشتراكي العربي (الافواج العربية) |
| ١٠ | رواد الاصلاح | حركة رواد الاصلاح |
| ١١ | صرخة النجاد | النجادة اللبنانية (الحركة التصحيحية) |
| ١٢ | الاخبار الشمالية | الحزب الشيوعي اللبناني ـ طرابلس |
| ١٣ | تشرين | حركة ٢٤ تشرين ـ طرابلس |
| ١٤ | طريق التجرير | المقاومة الشعبية في عكار |
| ١٥ | الانتفاضة | جيش لبنان العربي في الشمال |
| ١٦ | الانصار | جيش لبنان العربي |

---

(١) اسقطنا من هذا الجدول الصحف الوطنية المسجلة في نقابة الصحافة ٠

(٢) صدرت نشرة مرتين كل اسبوع واعتبارا من العدد ٨٨ بدأت الصدور كمجلة ٠

(٣) نشرة صدرت عن الافواج العربية استعيض عنها بمجلة المصير ٠

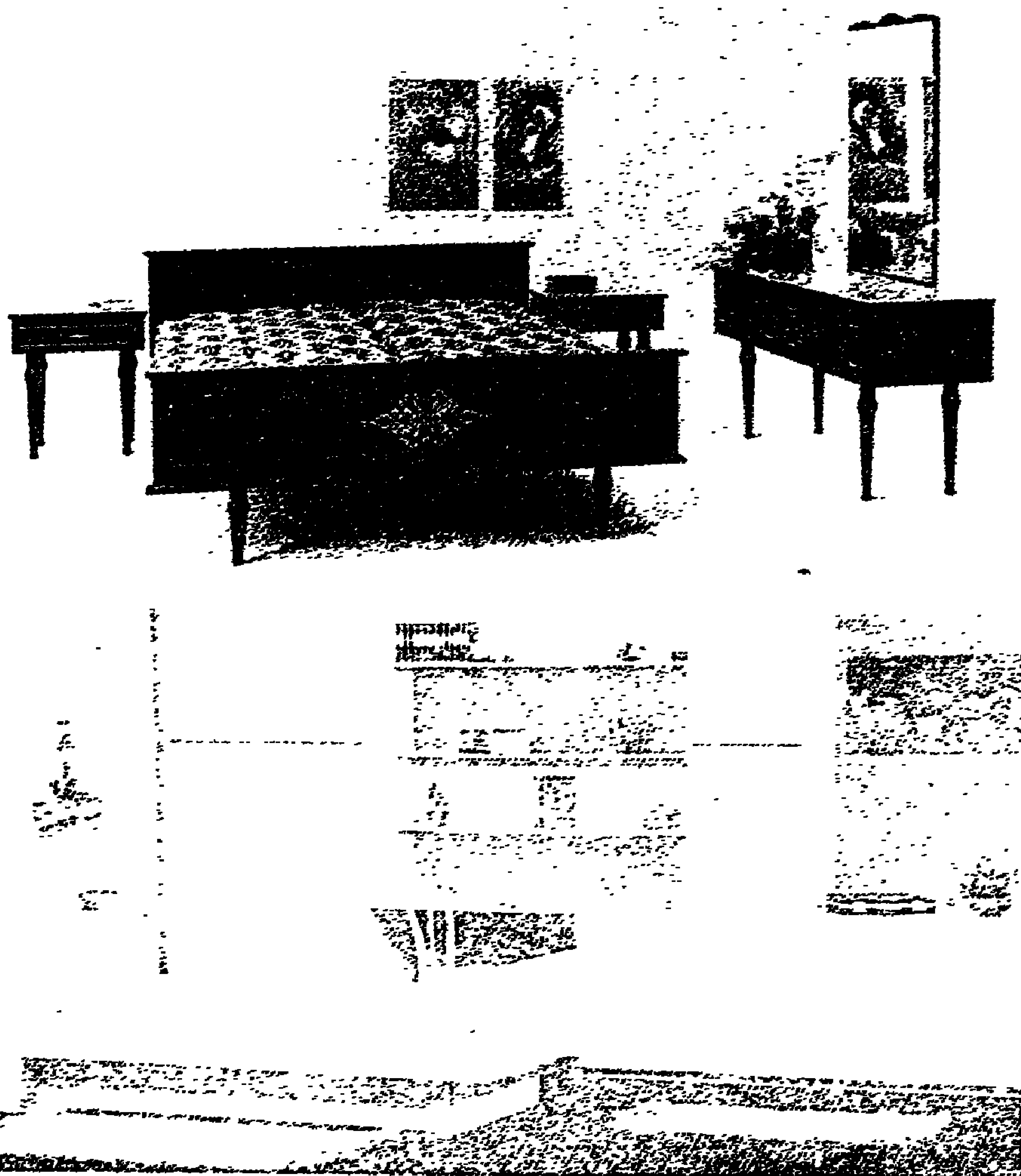
(٤) الاتحاد هي العدد ألاول من نشرة قوات الثورة العربية ٠ وصدر العـــدد الثاني واستمرت باسم الشروق

| | | |
|---|---|---|
| ١٧ | وطني | الحركة الشعبية الوطنية اللبنانية |
| ١٨ | جماهير البقاع | المقاومة الشعبية في البقاع |
| ١٩ | كفاح الشوف | شباب الشـــوف |
| ٢٠ | صوت العقل | لجنة التهدئة والحوار في برج البراجنة ـ المريجة ـ الحدث الليلكي ـ التحويطة والسلم ٠ |
| ٢١ | الجماهير | الحركة الوطنية ـ صيدا |
| ٢٢ | صيدا الصمود | حزب العمل الاشتراكي ـ صيدا |
| ٢٣ | الكلمة | جبهة المسيحيين الوطنيين |
| ٢٤ | الفجر | |
| ٢٥ | صوت الشياح | |
| ٢٦ | راية الشعـب | |

## الملحق الثالث

## وسائـل الاعلام السماعية في المنطقتين

| | | |
|---|---|---|
| ١ | اذاعة لبنان من بيروت | الصنائع |
| ٢ | اذاعة عمشيت | عمشيت |
| ٣ | صوت لبنان العربي | المرابطون |
| ٤ | صوت لبنان | الكتائب اللبنانية |
| ٥ | صوت الناصرية | اتحاد قوى الشعب العامل |
| ٦ | صوت النهضة | الحزب السوري القومي |
| ٧ | صوت لبنان التقدمـي | الحزب التقدمي الاشتراكي |
| ٨ | صوت لبنان الحر | الوطنيون الاحرار |
| ٩ | اذاعة الثورة العربية | الاتحاد الاشتراكي العربي |
| ١٠ | اذاعة ٢٤ تشرين فـي طرابلس | حركة ٢٤ تشرين |
| ١١ | اذاعة التنظيم الشعبي الناصري | التنظيم الشعبي الناصري في صيدا |
| ١٢ | شركة تلفزيون لبنـان والمشرق | الحازمية |
| ١٣ | شركة التلفزيـــون اللبنانية | تلة الخياط (بيروت الغربية) |



## Palestine Affairs

Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center; *Editor*, Dr. Anis Sayegh; *Annual Subscription* (airmail): Lebanon and Syria L L 50, other Arab countries L L 60 or equivalent, Africa and Europe L L 80, elsewhere L L 100; *Annual Subscription* (surface mail): Countries outside the Arab World L L 50. *Address:* P.O.Box 1691, Beirut, Lebanon; Tel. 351260; Cables: MARABHATH.

السعر ٢/١ ٣ ل.ل. في لبنان
٤ ل.س. في سوريا
٤٥٠ فلسا في الكويت والعراق
٨ دراهم في دولة الامارات العربية
٢/١ ٤ ل.ل. في سائر الاقطار العربية
٣٥٠ درهما في ج.ع.ل

# شؤون فلسطينية

٦٤/٦٣ شباط / اذار ( فبراير / مارس ) ١٩٧٧

# شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٦٣ / ٦٤ شباط / اذار ( فبراير / مارس ) ١٩٧٧

شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

**يشارك في التحرير** : محمود درويش .

**مدير التوزيع** : غازي خورشيد .



**العنوان** : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني ( متفرع من السادات ) ، راس بيروت ، بيروت — لبنان ، ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦١ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ، برقيا مرابحاث ، بيروت .

---

ثمن العدد : ٢ ١/٢ ل.ل. في لبنان ، ٤ ل.س. في سوريا ، ٤٥٠ فلسا في الكويت والعراق ، ٨ دراهم في دولة الامارات العربية ، ٤ ١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية .

الاشتراك السنوي ( بريد جوي ) : ٥٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٦٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٨٠ ل.ل. في اوروبا وافريقيا ، ١٠٠ ل.ل. في اميركا واستراليا وآسيا .

الاشتراك السنوي ( بريد عادي ) : ٥٠ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

الغلاف بريشة
ايتيل عدنان

# المحتويات

# ٣

---

٤

# عن اللحظة الرائجة

---

ياتي آذار الداخل ، آذار الارض المتفتحة في الانسان ليكون لهذه اللحظة الرائجة بوصلة اوضح · وياتي آذار الداخل ، آذار الانسان المتفجر في الارض ليكون تجديدا لوعي الفارق بين الواقع وبين الامر الواقع · ولينـزع عن « الواقعية » المتداولة ايحاءها المحايد ·

تحتفل العلاقة بين الارض المحتلة واصحابها دما وصمودا وثباتا · ويخطو اهل الارض المحتلة بالزمن العربي لحظات حقيقة وصواب في اتجاه الغد · وهذه اللحظة العائمة على رمال الاحتمالات المتحركة في الخارج تاخذ وجهة الغرق · ان الحالة ملأى بالرموز والدلالات ، والغيم النازل على هذه الايام قد يؤجل صفاء الرؤية ولكنه لا يزحزح الحتمية ، ولا يغير مسار الخطى ، ولا يمنع آذار من الانبثاق فالانفجار · وتنتشر الازمة · تتعمق · تحتال على الجميع · تهجم ، ولا تستطيع ان تكون الا ما هي : ازمة اصحابها ·

بعد اكثر من ربع قرن من بحث الغزاة الاسرائيليين عن الامن تحت مظلة « وعد الله لابراهيم » ، وفي اللحظات التي تدثروا فيها بأمنهم الطارىء كانت الحقيقة تشهر وجهها من احذية المقاتلين العرب ، ومن حجارة في ايدي اطفال الضفة الغربية والجليل ومن محاريث المزارعين · تخرج من النسيان الرسمي · تنتشر · تتعمق · تحتال على ايام سوداء ، ثم تهاجم · تهاجم الغزاة وتهاجم الانسجام الذي لا ينسجم ·

ان شرط صناعة السلام هو القدرة على صناعة الحرب · وفي هذه اللحظة الرائجة تنتقل الحرب الى الداخل العربي وتشهر في وجه العدو القومي اسلحة السلام · ويروج الحديث عن الواقعية ليكون فتوى للتسليم بالامر الواقع ، انفا عن ملامسة بديهة هي ان الواقعية فهم الواقع من

اجل تغـييره . فهل يستطيـع الخارجون من الحـرب الوطنية ، وهي التـــي لم تنجز مهامها في التحرير ، ان ينصرفوا الى مواجهة المسألـة الاجتماعـيـة المتفاعلة حتى الغليان ؟ . وهل بوسع الشروط الاسرائيلية ( الامريكية ) لانهاء الحرب ان تساعـدهم ـ لو ارادوا ـ في التوصل الى السلام . وهذا هو تعريفه الاسرائيلي الرسمي : « حـدود مفتوحـة ، مرور حـر للاشخاص وللبضائـــع وعـلاقات دبلوماسية » ( رابين ).

وهل يستطيع العـدو الاسرائيلي ان يخـرج من مأزقه التاريخـي ؟ لم يعـــد لجوؤه الى حلـه الجاهز ـ الحرب بقادر على ايصاله الى السلامة التاريخية . ولا يستطيـع ـ راضيا ومتحـررا من عناصر الضغـط العربي ـ ان يواجـــه السلام في حـده الوطني الادنى : الانسحاب الكامل من كل الاراضي العربيـة المحتلة . وتأمين حقوق الشعـب العربي الفلسطيني بولادة الكيان الفلسطينـي المستقل تحـت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية .

لا جديد .. لا جديد رغم كل ما حدث . وان التوازن الذي ترسو عـليـــه لحظة التسوية الراهنة لا يستطيـع اخفاء المازق التاريخـي لاطراف متناقضـة تدخل معادلة لا تنسجم . المسألة الوطنية ـ في الشروط الحالية ـ لا تسيـــر في اتجاه الحـل . والمسألة الاجتماعـية تقترب من شروط الانفجار .

ويأتي آذار الداخل ،آذار الانسان المتفجر فـــي الارض ليجـــدد الذاكـــرة ويصقل الجوهر وليعيد الى الذين ينسون السياق حقيقة الفارق بين الواقع وبين الامر الواقع . ان القوى التي تفهم الواقع فهما ثوريا هي التي تفهمه من اجـل ان تغـيره . ولذلك ، لا تكون حالة الحصار المضروب عـليها ـ مهمـا طالت ـ اكثر من برهة زائلـة .

( شؤون فلسطينيـة )

# عشية انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني
# أفكار للمرحلة القادمة

شفيق الحوت

من المفروض ان تكون قيادات فصائل المقاومة الفلسطينية ، ومن حولها جميع القوى السياسية والشعبية والمهنية الممثلة في المجلس الوطني الفلسطيني ، عاكفة هذه الايام على مناقشة واعداد تقاريرها السياسية ، من خلال المراجعة النقدية للمسيرة الفلسطينية طوال العامين المنصرمين ، وتسجيل ما لها وما عليها • وذلك تمهيدا للمشاركة في دورة المجلس الوطني القادمة وصياغة الستراتيجية المطلوبة لتحديد مسار النضال الفلسطيني في المرحلة الجديدة •

وتكتسب هذه الدورة المرتقبة اهمية بالغة الخطورة ، لانها تنعقد في اعقاب الازمة اللبنانية ـ احدى اخطر الازمات التي تعرضت لها حركة المقاومة منذ نشاتها ـ ولانها تنعقد ايضا ، على اعتاب مرحلة سياسة تحمل من التوجهات الحاسمة ، ما قد يترك اثارا مصيرية على مستقبل الصراع العربي الاسرائيلي ، ومستقبل القضية الفلسطينية وحركتها الثورية بالذات •

واذا استطاع المجلس الوطني في دوراته السابقة ، بما في ذلك دورته الاخيرة التي انعقدت بين ١/٦/٧٤ ـ ٨/٦/٧٤ ، ان يوفق في نحت الصيغ الجماعية ردا على تحديات تلك المرحلة ، وان يحفظ في نفس الوقت ولو شكليا الوحدة الوطنية الفلسطينية ، فان انجاز مثل هذه المهمة ، في هذه المرحلة بالذات ، يبدو غاية في الصعوبة ويستحق بذل كل الجهود •

ان « الانهماك اللغوي » لايجاد اللغة المشتركة الموحدة لن يكون بديلا ممكنا عن « المعاناة السياسية » على المستويين الستراتيجي والتاكتيكي •

★★★

ان الاسرة الدولية المعنية بقضية الصراع العربي الاسرائيلي ، وفي طليعتها الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة ، قد اكدت التزامها خلال العامين المنصرمين

بالحل السلمي لهذا الصراع · ورغم التباين في تصور كل عضو منها لصيغة الحل المطلوب ، فلقد ساهمت جميعها ، وبشتى الوسائل في فرض الضغوط على اطراف هذا الصراع لاقناعها باستحالة الوصول الى اي حل عن غير الطريق السياسي·

وعلى الرغم من ان هذه الاطراف ، لم يسقط اي منها احتمال الحرب الا انها في نفس الوقت ، وبدرجات متفاوتة ، لم تسقط كذلك احتمال السلام ، وتقدم بعضها بتصوراته للحل عن هذه الطريق ·

وفي المجتمع الدولي اليوم قناعة شبه اجماعية بان الجانب العربي ، ممثلا في مصر وسوريا والاردن ، قد تقدم بتصورات واضحة ومحددة للحل المطلوب ، تشجع على استئناف التحرك السياسي من جديد سواء عن طريق جنيف او عن طريق الامم المتحدة بشكل مباشر ·

غير ان هذه القناعة شبه الاجماعية لا تشمل حتى الان طرفين اساسيين من اطراف هذا الصراع وهما بالتحديد : اسرائيل والمقاومة الفلسطينية · فالاتحاد السوفياتي غير مقتنع بموقف اسرائيل ، ولا الولايات المتحدة مقتنعة بالموقف الفلسطيني · ومن دون قناعة العملاقين معا يستحيل التحرك السياسي وتتوقف قاطرته في محطة اللاحرب واللاسلم ·

ولذلك، لم يكن شيئا غير متوقع ما تعرضت له المقاومة الفلسطينية من ضغوط خلال العامين المنصرمين ، ولا سيما في الساحة اللبنانية ، بهدف زيادة « كمية » الوضوح التي سمحت المقاومة بالكشف عنها بالنسبة لاهدافها المرحلية وتوقعها من مسيرة الحل السلمي · ولن ينجو المجلس الوطني الفلسطيني في دورته القادمة من حملة الضغوط هذه بقصد تطوير برنامجه السياسي الذي اعتمده في دورته الثانية عشرة والذي اشتهر ببرنامج « النقاط العشر » · وستكون هذه الضغوط دولية وعربية وفلسطينية ·

وكما عندنا كذلك في اسرائيل ، هناك ثمة ضغوط تدفع في نفس الاتجاه وان كانت من اوزان اخف وبعيدة عن العنف الذي تعرض له الفلسطينيون · ومهما قيل في اسباب استقالة حكومة اسحق رابين ، فما من شك ، بان احد هذه الاسباب هو الضغط الدولي الذي تتعرض له اسرائيل لتزيد هي الاخرى من «كمية» الوضوح الذي سمحت بالكشف عنه حتى الان ، بالنسبة لتصورها النهائي لاهدافها المرحلية وتوقعاتها من المسيرة السلمية ·

واكثر من ذلك ، ان المجتمع الدولي لا يضغط فقط من اجل المزيد من الوضوح

والتحديد في الموقفين الفلسطيني والاسرائيلي ، ولكنه يدفع كذلك من اجل قيـــام قيادات « فلسطينية » و« اسرائيلية » و« عربية » ، قادرة على الوفاء والالتزام بما نطرحه من تصورات ٠

وهذا هو سر الازمة التي يعاني منها المسؤول الفلسطيني والاسرائيلي على حد سواء ، وهذا هو محور الصراع السياسي في ساحتنا كما في الساحة الاسرائيلية٠ وهو صراع من العمق والخطورة بحيث تجاوز الاحزاب والتنظيمات فيما بينها ، وانتقل الى داخل الحزب الواحد والتنظيم الواحد ٠

ولذلك فان مهارة الحزب او التنظيم او القائد عندنا ، وفي طرف الخندق الاخر، تتجلى في القدرة على وضع المعادلة السياسية التي تضمن له الافلات من دوائـر الضغط المتناقضة الرؤى ، باقل خسارة ممكنة على الصعيدين الخارجي والداخلي، وتضمن له المصداقية المتوقعة من المسؤول ٠ انها معادلة صعبة جدا ، وتحتاج الى كل مقومات السياسي المناور ، مقرونة بمدى قدرته على استيعاب حركة التاريخ وادراكه لموازين القوى المعاصرة واستشفافه لما يحمله المستقبل من امكانيـــات التغييـــر ٠

ويعلم قادة المرحلة المقبلة ، لدى كل الاطراف انهم مقبلون على مناورة كبرى ، اخطر ما فيها امكانية تحولها من مجرد مناورة الى مسرح للتعامـــــل الجـــاد المسؤول ٠ وعندئذ فان سلاح المناورة سيصبح نفسه سلاح المعركة ، وعلى مـــن يخوضها ان يتحمل كافة نتائجها ٠ معركة سلاحها تاريخ وجغرافيا وطوبوغرافيا وارقام واحصاءات ووثائق والتزامات و ٠٠٠ ورؤيا للمستقبل تفرض مواصفات الوقفة الراهنة التي لا يجوز التساهـل فيها ٠

***

وليست « صيغة القرار » وحدها هي ما يعانـــي منه المسؤول الفلسطيني او المسؤول الاسرائيلي في هذه الفترة الحرجة ٠ فهناك كذلك مشكلة « صنع » هــذا القــــرار ٠

ففي مصر وسوريا والاردن ، القيادة تصنع القرار بمبادرة منها ، ثم تباركـه وتدعو اليه المؤسسات الملحقة بهذه القيادات ٠ وربما كان هذا هو السبب الاهـم الذي مكن قادة هذه الاقطار من اتخاذ المبادرة قبل غيرها من اطراف الصـــراع في طرح تصوراتها للحل السلمي ٠ وقد سبق لوزير الخارجية الاميركي السابـق ان سجل هذه الملاحظة خلال زياراته المكوكية عندما قال انه في تلـــك العواصـم

كان يجابه مسؤولا واحدا يملك القدرة على صنع القرار والالتزام به ، بينما في اسرائيل فلقد كان عليه ان يجابه اكثر من مسؤول واكثر من مرجع وكلهم من المشاركين في صنع القرار ٠

ولو تسنى لكيسنجر ان يلتقي مع الفلسطينيين لاكتشف انهم يشتركون مع عدوهم الاسرائيلي في هذه المشكلة او ربما هذه الميزة ٠

فلقد كان من دواعي اعتزاز حركة المقاومة المستمرة ، نجاحها في الحفاظ على الحوار الديمقراطي بين فصائلها وقواها ، وحرصها على اتخاذ قراراتها بالاجماع مهما طال الحوار وتشعب وتعقد ٠ وهناك من اخذ على قيادة المقاومة مغالاتها في ممارسة اللعبة الديمقراطية وابدوا خشيتهم من ان تفقدها اللعبة من ميزتها الثورية ٠

اذن ، فمجلسنا الوطني ، في دورته القادمة ،وبعد انجازه ، « لصيغة » القرار، عليه تأمين كيفية « صنعه » بشكل يضمن له شعبيته ، دون ان يهدد الوحدة الوطنية بالانقسام او التفتت ٠ وهو ما اشرنا الى صعوبته في بداية هذه المقالة ٠ فكيف الخروج من المأزق ؟

شخصيا ، لست من المؤمنين بنسخ تجارب الاخرين وسحبها على الساحة الفلسطينية ٠ فلكل شعب ، ولكل ثورة ، من السمات والظروف والتقاليد ما يصلح لها ٠ غير ان هناك من التجارب التنظيمية ما يمكن اعتمادها كقوانين عامة لكل الشعوب ولكل الثورات وعبر كل الازمان ٠

فالاجماع على الراي مثلا ، هو وضع مثالي يتمنى كل مناضل سياسي لو كان باستطاعته تأمينه داخل الاطار الذي يناضل فيه ٠ واذا تعذر ذلك ، فلا مناص عندئذ من اللجوء الى قانون الاكثرية التي تلزم الجميع برأيها ٠ فما من شعب ،وما من ثورة ، الا وتعرضت خلال مسيرتها الى منعطف تختلف الاراء من حوله ٠وعند مثل هذه المنعطفات ، قرانا في التاريخ الماضي وشاهدنا في تاريخنا المعاصر ، اكثر من اسلوب اعتمدته هذه الثورة او تلك في حل مشكلة الخلاف في الرأي ٠

★★ منها من لجأ ـ للاسف الشديد ـ الى التصفيات الدموية ، واستئثار الفريق المنتصر بصنع القرار ٠

★★ ومنها من لجأ ـ للاسف ـ الى التصفية السياسية واخراج الفريق المعارض من محفل صنع القرار بعد التنديد والتشهير به والصاق كل الاوحال به٠

★★ ومنها من لجأ ـ وهذا هو الموقف الاكثر ديمقراطية والاسلم وطنيا ـ الى الانقسام داخل المحفل ، واعتماد قانون الاكثرية مع ضمان الاحترام الكامـــل لحقوق ممثل الاكثرية المسؤول ، وحقوق ممثل الاقلية المعارض ٠

وبديهي ان من بين هذه الخيارات لا يتردد فلسطيني عاقل في اختيار البديل الثالث ، لا لانه الاكثر ديمقراطية وبالتالي الاكثر تجاوبا مع نفسية الفلسطيني ، بل لانه كذلك البديل الوحيد الذي لا يحمل بين ثناياه اي ثغرة يمكن لاعداء الثورة الفلسطينية ان تنفذ منها لضرب الثورة بيد ابنائها اشقاء السلاح الواحد ٠ واكثر من ذلك ان اعتماد هذا البديل بالذات هو الضمانة التنظيمية الوحيدة لاستمرار الثورة في حال انتكاسة المرحلة وانهيار مسيرة الحل السياسي بكاملها ٠ كما انه في حال استمرار المرحلة وتوالي حلقاتها السياسية فمن شأن وجود « معارضة » ان يدعم المسؤول الفلسطيني لينجز مهمته على احسن وجه ممكن ٠

ولعله يجدر بنا ، ونحن نبحث هذه النقطة بالذات ، ان نتذكر بان هذا هـــو البديل الذي يعتمده العدو الصهيوني قبل قيام اسرائيل وبعد قيامها ٠ فالخلاف والتباين في وجهات نظر الاحزاب الصهيونية لا تقل اتساعا وعمقا عن خلافاتنـــا وتباين نظراتنا ٠ غير ان العقل الصهيوني استطاع توظيف هذه الخلافات لصالح الحركة الصهيونية ككل ، بعد ان حرفها عن زوايا التناقض الى زوايا التكامل ٠ ولو استجاب بن غوريون ، مثلا لغلاة آلمتطرفين من الصهاينة ورفض قـــــرار التقسيم عام ١٩٤٧ باعتباره لا يعطي اليهود كل فلسطين، لربما فقدت الصهيونية كل فلسطين ولما وصلت الى ما وصلت اليه الان ٠ ولكنه رفض الاستجابة يومها، وكان رده ان وايزمن جاء بوعد ( يقصد وعد بلفور ) من سطرين ، وجاء هو بدولة، وعلى الاخرين ان يكملوا ما اتفقت الحركة الصهيونية على انجازه ٠

★★★

ونعود لموضوعنا الذاتي ، والبديل الذي يبدو ان لا بديل سواه امامنا في الدورة القادمة ، اي اعتماد قانون الاكثرية والاقلية ٠ ان السؤال الذي يتبادر للذهـــن هنـــا :

★★ هل باستطاعة الثورة الفلسطينية ان تتحمل مثل هذا الانقسام بديلا عن وحدتها الوطنية ، وان تنهض في نفس الوقت بتحمل تبعات المسؤولية الكبرى التي قد تفرضها المرحلة القادمة ؟

اذا شئنا المزيد من الصراحة ، فان لهذا السؤال بقية :

★★ هل باستطاعة الدول العربية المشتركة في عملية الحل السلمي تحمل مثل هذا الانقسام ، وقيام معارضة فلسطينية لن تنجو هذه الدول من نقدها ، وربما تجريحها ؟

لو كان فصل هذين السؤالين ممكنا ، لاجبنا على السؤال الاول ، وربما بشيء من الادعاء المقبول ، بأن ذلك ممكن ، وان باستطاعة قيادة الاكثرية تحمل تبعاتها والنهوض بمسؤولياتها · ورصيدها لتحقيق ذلك هو هذا الدعم المتواصل لها من قبل جماهير الفلسطينيين ولا سيما في الوطن المحتل · اضف الى ذلك ما استطاعت هذه القيادة انجازه من مكتسبات دولية دفعت بالعديد من دول العالم لتعديل موقفها والبدء باقامة علاقات ثنائية معها ·

غير ان الفصل بين السؤالين يبدو لي شخصيا ، بعد ان استوعبت بعض عبر الازمة اللبنانية ، غير وارد · وان شركاء المسيرة في مصر وسوريا لا يحتملان مثل هذا الانقسام وتشريعه ومنحه حصانة للمعارضة ·

ومرة اخرى نجد انفسنا في مأزق ونبحث عن طريق للخروج منه · فكيف الخروج وعن اي طريق ؟

ان هذا السؤال ليس هاجسا شخصيا انفرد في تحمل هموم البحث عن جواب له · هو من غير شك هاجس كل القياديين في حركة المقاومة · بل هو هاجس كل مواطن فلسطيني في ارضنا المحتلة وفي الشتات · ولا ريب في ان اكثر من جهة فلسطينية تناقش الان مثل هذا السؤال لا انطلاقا من الناحية التنظيمية المحضة ، وانما كامتداد للتحليل السياسي الشامل لما قد مضى ، والتقدير السياسي الشامل لما هو آت ، وكيفية التصدي لحل مشاكله ·

فالثورة الفلسطينية في مجموعها لم تعد مجرد « عمل فدائي » كما كانت في اواخر الستينات واوائل السبعينات · لقد اصبحت بتجاربها المتعددة والباهظة الثمن ، حركة سياسية فيها من العمق بقدر ما اتسعت رقعتها وتضاعف انصارها وجماهير مؤيديها · وان كان ثمة تباين في درجات النضوج التي وصلت اليها فصائل الثورة وقواها الشعبية والمهنية ، فمن المؤكد بان الثورة ككل ، قد قطعت شوطا كبيرا على طريق النضوج المسؤول ، والتحول من مرحلة الاكتفاء « برد الفعل » الى مرحلة « الفعل » والمبادرة ·

وارجو ان لا اكون مبالغا في تفاؤلي ، وسنرى على كل حال ، في الدورة القادمة

ما ستتقدم به هذه الفصائل من تحليلات واقتراحات ورؤى ، للاسهام في عمليـة الخروج من المأزق المشار اليه عبر المعاناة السياسية التي لا بديـل عـنها ٠

★★★

وليس من الصعب ان نتكهن سلفا ببعض النقاط الاساسية التي قد تحكم مجمـل النقاش السياسي المرتقب ٠

★★ أولا : قضية الحل السلمي من حيث المبدأ ٠

وفي قناعتي ان الرفض المبدأي للحل السلمي لا لامر الا لانه سلمـي وليـس حربيا لم يعد مقبولا بل ومحرجا لحركة المقاومة ٠ وخصوصا بعد اعتماد هـذه الحركة للنضال السياسي كركيزة كفاحية تكمل نضالها المسلح وتفسره وتكسب له المزيد من المؤيدين والانصار ٠

لم يعد مقبولا منا قبل غيرنا ، ان تبقى صورتنا في العالم وكاننا نقاتل من اجل القتال ٠ وعلينا ، كما فعل من قبلنا الجزائريون والفيتناميون ان نثبت للعالـم باننا نقاتل من اجل تحقيق هدف سياسي واضح ٠ واننا كشعب وكثوار نكون اسعد الجميع لو تمكنا من تحقيق هذا الهدف دون الاضطرار لدفع ضريبة الدم الغالية٠ علينا ان نعكس الصورة الخاطئة التي يحاول اعداؤنا تظهيرها وتكبيرها عنـا ، فنذكر العالم اننا لم نرفع السلاح ولم نلجأ للقوة الا عندما يئسنا من تحقيق اي هدف من اهدافنا ، عبر الوسائل السلمية والتحركات الدبلوماسية ٠ وهذا يتطلب منـا مراجعة موقف الرفض المبدأي الذي تتبناه بعض الفصائل ونقده بكـل جـرأة ووضوح ٠ ولنزن بكل دقة ما جره علينا مثل هذا الرفض من سلبيات وايجابيات٠ وبديهي بعد الوصول الى القناعة المشتركة ان تنعكس هـذه على اعلامنـا وتصريحاتنا ومجمل ادبياتنا ٠

واذا توهم بعضنا ان التأييد الرومانسي الذي شعرنا به وانتشينا منه لفتـرة غير قصيرة تجاه بعض مقولاتنا انما يعكس مجمل الراي العام العالمي ، فهم مـن غير شك مخطئون ٠ ان الرأي العام العالمي ، مع تأييده المستمر لنا ولجميع قضايا الحرية والاستقلال والعدالة فانه يربط هذه جميعها وباستمرار بحرصه علـى قضية السلام ٠

★★ ثانيا : قضية مضمون الحل ، سواء جاء عن طريق الحرب او السلم ٠

هناك حلول مرفوضه حتى ولو فرضت بقوة السلاح ، كما هناك حلول مرفوضة

مهما كانت الضغوط والمؤثرات السياسية · وعلينا ان نميز بدقة الفروق بين هذه الحلول · وليس هناك حتى الان ما يمكن تسميته بـ « الحل السلمي » وانما هناك مشروعات لحلول عدة ·

ــ هناك ما يمكن تسميته بـ « الحل الاميركي » اي « الحل الاسرائيلي » لحد بعيد ، وهو الحل الذي اساء سمعة كل الحلول الاخرى التي التزمت طريق التحرك السياسي سبيلا لتحقيقها ·

ــ وهناك ما يمكن تسميته بـ « الحل السوفياتي ــ الاميركي » ولا يزال هذا الحل موضع نقاش متواصل وشد وجذب بين كل من واشنطن وموسكو في اطار الوفاق الدولي ·

ــ وهناك ما يمكن تسميته بـ « الحل الدولي » وهو الذي يعتمد قرارات الامم المتحدة بصدد مشكلتي فلسطين والشرق الاوسط ، وكان آخرها ما صدر عن الجمعية العامة للامم المتحدة في شهر تشرين ثاني ١٩٧٦ من توصيات في منتهى الاهمية والجدية حول تقرير ما عرفت باسم « لجنة العشرين » ·

ــ وهناك ما يمكن تسميته بـ« الحل الوطني القومي » ، وهو ما يجب ان يتفق العرب والفلسطينيون عليه ، وطرحه بديلا لكل الحلول السابقة الذكر ·

فهل تقف منظمة التحرير الفلسطينية ، باعتبارها الممثل الوحيد لشعب فلسطين نفس الموقف من جميع هذه الحلول ، وكلها حلول سلمية كما هو واضح ؟

بالطبع لا ، وبالتالي فانها طفولة سياسية ان يستمر بعضنا في التعامل مع هذه الحلول وكأنها نسخ كربونية عن بعضها البعض ، علما ان بين بعضها من الفروق ما يبدو استحالة تجاوزه من دون اللجوء للحسم العسكري وتعديل موازين القوى ·

فالموقف السليم هو ذاك الموقف المحدد من مشروع الحل المحدد · هذا مقبول وذلك مرفوض · هذا قابل للنقاش والتفاوض وذلك مرفوض ·· وهكذا ·وكما في ميدان القتال كذلك في ميدان السياسة ، الصراع مستمر والحرب كر وفر ·

★★ ثالثا : قضية العلاقات مع العرب ·

اذا كانت القضية الفلسطينية قضية عربية ، وهي بالفعل كذلك ، فانه من الضروري جدا ان تنعكس هذه المقولة الصحيحة على علاقات المقاومة الفلسطينية بالدول العربية ·

ومنذ انطلاقتها ، استشعرت المقاومة الفلسطينية اهمية هذه العلاقات وخطورتها · وكان اول ما جابهته من مشاكل في هذا الصدد ، هو القناة التي يجب ان تختارها لتسيير هذه العلاقات وتنميتها ·.هل تختار القناة الرسمية ام القناة

الشعبية ؟ وهل تقصر تعاملها على الانظمة العربية وقممها واجهزتها ، ام تتعدى هذا التعامل على القوى والاحزاب الوطنية في هذا القطر او ذاك ؟ ومما زاد في صعوبة الموقف ، ولا سيما في الستينات ، ما كان على السطح السياسي القومي من خلافات واختلافات بين هذه الانظمة ·في هذه الفترة كانت تصنيفات الانظمة :هذا وطني وذاك رجعي ، حادة في مواصفاتها ، وواسعة في شعبيتها ·

واتضح من خلال مراقبة التجربة التي خاضتها المقاومة ، انها اختارت طريقا بين بين · طريقا يمكن وصفها بانها طريق « التعامل » مع الانظمة الرسمية، و « التفاعل » مع القوى الوطنية والتقدمية القائمة داخل هذه الانظمة · وكلنا يدرك الان خطورة الحساسيات التي كانت تحيق بهذه الطريق ، خصوصا بعد ان تفجر منها ما تفجر سواء في الساحة الاردنية ام في الساحة اللبنانية ·

لم تكن تلك ، الطريق الصعب وحسب ، انما كانت الطريق الاصعب · لكن هل كان للمقاومة خيار ؟

لقد كانت منظمة « فتح » بالذات اول من بادر ، من بين جميع القوى الفلسطينية الى تجاوز التصنيفات القائمة في الستينات للانظمة العربية ، فرفضت ان تكون « التقدمية والرجعية » هي المعيار الذي يحدد علاقاتها مع الانظمة العربية · وتقدمت بمعيار جديد يعتمد موقف هذا النظام او ذاك من كفاح الفلسطينيين المسلح كدلالة على تقدميته او رجعيته ، على وطنيته او انهزاميته · وتحملت « فتح » في سبيل تثبيت هذا الشعار العديد من السهام التي اطلقت عليها من جهات فلسطينية وعربية على حد سواء · ولكنها استطاعت ان تصمد وان تثبت هذا الشعار وان تقود وراءها اكثرية القوى الفلسطينية على هذه الطريق دون ان تحاول فرضها على الجميع ، بدليل استمرار تعاونها مع الفصائل التي رفضت هذا المعيار واستمرت في اعتماد التصنيفات القديمة القائمة على التقييمات الايديولوجية للنظام الاجتماعي لهذا القطر العربي وغيره ، كمعيار لها ·

ولكن ما بين اوائل الستينات واواسط السبعينات جرت مياه كثيرة تحت الجسور العربية وطرأت متغيرات جذرية ، وتغيرت تحالفات وتبدلت موازين قوى·

في هذه الفترة ، قامت حرب ١٩٦٧ وما جرته من ذيول · وانتهت حرب القومية العربية في اليمن ، واقيمت مصالحات بين الانظمة ، واستمر العمل الفدائي بالقتال ووقع الصراع في الاردن وخرجت المقاومة من ساحتها الاستراتيجية هناك ، ومات عبد الناصر ، وتحولت الاوضاع في مصر وسوريا وليبيا ، وقامت حرب تشرين وبرزت اهمية النفط، وتضعضع التحالف العربي السوفياتي،ووقعت حرب اهليةفي لبنان و · · · وغير ذلك كثير مما اضاف الى محاذر الطريقالتي اعتمدتها المقاومة

« تعاملا » مع الانظمة و « تفاعلا » مع القوى الوطنية التقدمية القومية ·

واذا كانت تجربتنا الدامية في الاردن قد دقت ناقوس الخطر لمراجعة موقفنا من هذه الطريق ،فان تجربتنا الاخرى في لبنان ، تحتم علينا ـ وليس لنا اي خيار ـ من ممارسة هذه المراجعة بحثا عن معادلة جديدة تكون اكثر تركيبا وتفصيلا في سياستنا التحالفية لتجنب المزيد من الاخطار ·

وهذا هو قدر هذه الثورة وهو ليس من صنعها ، ومع ذلك فعليها ان تواجه هذه الحقيقة ، وان تقف منها موقفا محددا وواضحا يحميها من ذرائع اي نظام يريد ضربها لاي سبب من الاسباب ، وفي نفس الوقت يبقي لها هذا الرصيد الهام من دعم وتأييد القوى الوطنية والقومية ، وهو رصيد لا غنى للثورة عنه ·

وقد يكون كافيا لمعادلة عامة في هذا الصدد ان تحكم علاقات المقاومة مع الدول العربية بشكل عام ، ولكن ذلك غير كاف بالنسبة لعلاقاتها مع قطرين عربيين بالذات : مصر وسوريا ·

ولا اريد في هذا المجال ان اسهب كثيرا فاكرر من البديهيات ما هو معروف لكل عربي ، كالحديث عن وزن مصر ، او تاريخ سوريا أو ما قدمته هاتان الدولتان للقضية الفلسطينية ·

وساقصر الحديث وبتركيز شديد على الحقائق التالية :

١ ) ـ ان مصر وسوريا لا تنطلقان في موقفهما من القضية الفلسطينية من منطلق قومي وحسب ، وانما تنطلقان ايضا من منطلق الدفاع عن وجودهما القطري باعتبارهما اطراف صراع مباشر مع العدو الصهيوني واجزاء من اراضيهما محتلة حتى الآن · وبالتالي ، ليس « الترف القومي » وحده الذي يحركهما ( اذا جاز مثل هذا التعبير ) وانما الكرامة الوطنية المثلومة بسبب الاحتلال لاراضيهما · بالاضافة الى ما يعكسه هذا الصراع على اوضاعهما الاقتصادية ومشاكلهما الاجتماعية ·

٢ ) ـ ان تحرير فلسطين مهمة قومية لا يستطيع الفلسطينيون انجازها بمعزل عن الدعم و التأييد العربيين اللذين يصلان ، ووصلا ويجب ان يصلا ، حد المشاركة في الحرب وبشكل مباشر · وعندما نتكلم عن الدور العربي في هذا المجال فاننا

نتكلم عن مصر وسوريا قبل اي فريق آخر ، اولا للسبب الذي ذكرناه قبل قليل ، وثانيا للسبب الجغراسي الثابت دائما وابدا • فلا حرب ثورية ولا حرب عربيــة بمعزل عن مصر وسوريـــا •

٢ ) ـ وهذه تبدو فرعية ولكنها اساسية ، ان الحديث عن مصر وسوريا يفقـد معناه ان لم تكن هاتان الدولتان العربيتان متضامنتين الى ابعد حدود التضامن • واي خلاف بينهما يفقد كل واحدة منهما قيمة دورها وفعاليته •

ومن هنا فان للعلاقة الفلسطينية مع هذين القطرين ، بغض النظر عن هويــة الانظمة فيهما خصوصية استراتيجية من غير المعقول او المقبول اغفالها ـ ولـو للحظة واحدة ـ مهما كانت الدوافع والظروف •

وقد بات واضحا ، وبعد تجربة الازمة اللبنانية ، ان هذين القطرين ادركــا ايضا اهمية علاقاتهما بالمقاومة الفلسطينية التي استطاعت بنضالها وصمودهـا ان تؤكد وجودها ، كما اكدت استحالة الاستغناء عنها كقوة ثالثة لا يستقيم اي عمل عسكري او سياسي دون وجودها هذا • فمنظمة التحرير الفلسطينية وحدها القادرة ، باسم فلسطين والفلسطينيين ان تمنح الشرعية لاي قرار سياسي يتناول القضية الفلسطينية ومصير شعبها العربي • ومن يمنح بامكانه ان يمنـع •

ونستطرد في هذا المجال للحديث عن علاقة اخرى لها سمات الخصوصية وهي علاقة المقاومة في الاردن •

فاذا كان تحرير فلسطين بالقوة لا يتم بمعزل عن مصر وسوريا ، فان اي تسوية مرحلية لهذه القضية لا يتم بمعزل عن الاردن •

والحديث عن الاردن يتجاوز « النظام » للحديث عما هو اهم • انه الحديــث عن هذا الخط الطويل الذي يفصل بين شرق النهر وغربيه • وهو الخط الفاصل بين شرق الاردن وارضنا المحتلة حاليا ، وبين شرق الاردن والضفة الغربية ( المرشحة للدولة الفلسطينية ) مستقبلا •

وانه الحديث عن دولة يقيم فوق ترابها قرابة المليون ومئتي الف فلسطيني ، اي ما يعادل ثلث شعب فلسطين كله •

فعلى ضوء هذه الحقائق لا بد لنا من وضع سياسة خاصة تتعلق بعلاقاتنــــا مع الاردن • علاقات لا تخاطب النظام وحده ، وانما عبر هذا النظام تخاطب مـا هو اهم منه واخلد : اي الجغرافيا السياسية والحقيقة الديموغرافية •

لا بد من حوار عقل بيننا وبين هذا النظام والوصول الى صيغة تكفل على اقل تعديل تحقيق الهدف المعلن لنا وله ، وهو تحرير شعبنا في الارض المحتلة من نير الاحتلال الصهيوني •

وقبل الانتهاء من هذه النقطة حول العلاقات الفلسطينية العربية تجب الاشارة الى ان تحديد وتوضيح مثل هذه العلاقات لا يعنـــي على الاطلاق القبـــول او الاستسلام لما يطرح علينا ، لان قيمة هذه العلاقات وضمانـــة استمرارها هو في قيامها على اسس متكافئة بين شركاء متساوين في الحقوق والواجبات • لا تبعيـة ولا وصاية ولا انفراد باتخاذ القرار ، وانما مشاركة واخوة وخطة جماعية • وتواصل مستمر لتفادي وحصر اي خلافات جانبية كلها بالحـــوار السياسي المسؤول •

★★ رابعا : العلاقة بين الاهداف الستراتيجية والاهداف المرحلية •

يحلو للبعض ان يصور الاختلافات السياسية بين فصائل المقاومة على انهـا مبدأية ، وتتجاوز الدائرة التاكتيكية الى الدائرة الستراتيجية •

ويرى هذا البعض ان رفع اي شعارات مرحلية انما يعني بالضرورة التنـازل النهائي عن الشعار الستراتيجي القاضي بتحرير كامل التراب الفلسطيني واقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية العلمانية •

ان مثل هذا التصور ، اما انه يغالي في تبسيط الامور لدرجة السذاجة ، وامـا انه يستهدف التهويل بقصد الاحراج فالاخراج كما يقولون •

والمغالاة في التبسيط قد تؤدي بنا للتخبط العشوائي بين مفهومي الستراتيجيـة والتاكتيك ، وبالتالي الى ارباك مسيرتنا النضالية وافقادها لمصداقيتها •كمـا ان اعتماد التهويل الديماغوجي بقصد استصدار « براءات وطنية » يومية تؤكـد فيها القيادة على التزامها بشعارها الستراتيجي لكي لا تحرج ولا تخرج ، يضيق من قدرة هذه القيادة – اي قيادة – على المنـاورة التكتيكية وكسب المواقـع السياسية المطلوبة على طريق الهدف الستراتيجي المنشود •

هذا من الناحية الشكلية ، فماذا من ناحية المضمون ؟

بديهي انه ليس باستطاعة اي قيادة سياسية فلسطينية او اسرائيلية ان تعلـن تنازلها عن الاهداف الستراتيجية للحركتين اللتين افرزتـا هاتين القيادتين : المقاومة الفلسطينية ونقيضها الحركة الصهيونية •

حتى لو اعلنت هاتان القيادتان او اي منهما هذا التنازل فانه لا يلزم احدا غير الموقعين عليـه •

وطالما ان اسرائيل تدين بالفكرة الصهيونية القائمة على اغتصاب ارض الغير، وفتحها ـ الى ما شاء الله ـ ليهود العالم ، وتصر على اقامة الدولة العرقية المذهبية ، فمن البديهي ان الفلسطينيين ومعهم كل العرب والعالم التقدمي سيستمرون في رفعهم لنقيض كل هذه الاهداف بقصد تحرير الارض المغتصبة واقفالها في وجه اي هجرة لا تخضع لقوانين واعراف الهجرة في العالم كله ، تمهيدا لاقامة الدولة الديمقراطية العلمانية المنفتحة على كل المذاهب والاراء ٠

هذه قضية صراع ايديولوجي تتجاوز بعمقها قدرة اي قيادة سياسية عندنا او في اسرائيل على الغائها باتفاق او معاهدة ٠

وليس سراً، لا علينا ولا على عدونا انهم ونحن ننظر الى اي هدف مرحلي ونسعى اليه او نجاهد ضده على ضوء تقييم هذا الهدف واهميته بالنسبة للغاية النهائية، اي الهدف الستراتيجي ٠

فالعودة لتقسيم فلسطين مثلا ، كتسوية مرحلية ، ينظر اليها الفريقان الفلسطيني والاسرائيلي بنفس الحذر والقلق ٠ وتجد عند الفريقين من يرى هذه التسوية اما « كبداية نهاية لاسرائيل » او « كبداية نهاية لفلسطين وقضيتها » ٠ والفريقان على حق في هذا الحذر وهذا القلق ٠ وليس باستطاعة اي منهما القبول بهذه التسوية دون تجيير رهانه المصيري على المستقبل وما قد ينجم عن مثل هذه التسوية من تغييرات داخل المجتمعين الفلسطيني والاسرائيلي ، وخارجهما في المنطقة العربية ، بل وفي العالم اجمع ٠ لانه من العبث ان يعتمد اي من الفريقين على موازين القوى الراهنة واعتبارها ازلية وغير قابلة للاختلال ٠

ومن هنا فان حدود المناورة في المعركة المرحلية الراهنة لن تتجاوز الدائرة السياسية الى الدائرة الايديولوجية ، لانه ليس لاي من الفريقين اية مصلحة في الصراع داخل الدائرة الثانية ٠ وارباب التحرك السلمي الدولي يدركون هذه الحقيقة وخطورة الانزلاق الى الصراع في ميدانها مما قد ينسف كل المساعي السلمية ٠

ولذلك فمن المتوقع ان تكون هذه النقطة حول علاقة الهدف المرحلي بالهدف الستراتيجي محور نقاش حاد يجب على المجلس الوطني في النهاية ان يحسمها بكل وضوح فنرتفع عن سذاجة التبسيط ونترفع عن ديماغوجية التهويل ونفرق بالتالي بين ما يقرر ليكتم وبين ما يقرر ليذاع ويشاع ٠

وليس في تاريخ الشعوب من هدف استراتيجي تحقق بضربة صاروخية واحدة لا عسكريا ولا سياسيا ٠ لا في تاريخ الفيتناميين ولا الجزائريين ولا

الكامبوديين ولا اي شعب اخر · نضال هؤلاء جميعا كان مسلسلا مترابط الحلقات عسكريا وسياسيا ، سواء وراء متاريس المقاتلين او موائـد المتحاورين ·

★★★

هذه بعض النقاط الاساسية التي ستكون محور « المعاناة السياسية » والتي لا مفر من حسمها · فان تم من حولها الاتفاق بالاجماع ، فقد ينجو المجلس الوطني عندئذ من اي انقسام ، وتتكرس الوحدة الوطنية الفلسطينية مرة اخرى ووفـق مفاهيم واضحة لا مجال للاجتهاد في تفسيرها ، كما حدث للنقاط العشرة ·

يبقى بعد ذلك الناحية التنظيمية ، اي الاسلوب الذي سيعتمد هذه المرة فـي تشكيل القيادة السياسية المعروفة باللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير · خصوصـا وان المجلس الجديد قد تضاعف عدده واصبح الى حد ما اشمل في تمثيله لشعـب فلسطين مما كان عليه المجلس السابق · ويضاف الى هذا ، ايضا ، امكانيـة تشكيل حكومة مؤقتة ، وعلاقة هذه الحكومة بالمنظمة · فهل ستكون البديـل للجنة التنفيذية ؟ ام ستكون مؤسسة مستقلة ، بمعنى ان تأخذ المنظمة واجهزتهـا شكل التنظيم السياسي الذي يشرف على الحكم دون الممارسة المباشرة ؟

هذه ايضا ، من الموضوعات التي قد تساهم في عملية الخروج من المأزق ومواجهة المرحلة الجديدة بموقف وقيادة قادرين على التصدي للتحديات المستقبلية ·

وعلينا ونحن في خضم مناقشاتنا حول المرحلة القادمة ان نتذكر دائما اننـا لسنا امام بداية ولسنا امام نهاية وانما في حلقة جديدة من مشوار طويل ، واننـا نحيا في عالم عربي يحمل في احشائه اخطر ثروة عرفها القرن قد تفرز اخطر ثورة كذلـك ·

واذا كان من كلمة اخيرة ، فانني من الواثقين بان الشعب الفلسطيني والعالم كله يتوقع من هذه الدورة المرتقبة للمجلس الوطني نقلة نوعيـة في التحـرك الفلسطيني تكون على مستوى المتغيرات التي طرأت وقادرة على الصمود امـام المنعطف المنتظر ·· والفلسطينيون قادرون ·

# حول المرحلة الراهنة واحتمالات المستقبل

منير شفيق

لا بد من وقفة لتحليل ميزان القوى في الوطن العربي عموما وفي لبنان ، خصوصا • وتحديد الاتجاهات السياسية • ومحاولة استشفاف تطورات الاحداث في المرحلة الراهنة والقادمة • وذلك بعد ان توقفت الحرب الاهلية في لبنان ، وبعد انعقاد مؤتمري القمة في الرياض والقاهرة • وما ترتب عن ذلك من تطورات في عودة العلاقات المصرية ـ السورية ، والسورية ـ الفلسطينية •

**ميزان القوى :**

**اولا : العدو الصهيوني :**

كان العدو الصهيوني قد تنفس الصعداء في اثناء تصاعد الحرب الاهلية في لبنان ، وفي ظروف الانقسام الحاد المصري ـ السوري ، والسوري الفلسطيني • وكان ينتظر ان تنتهي الثورة الفلسطينية في لبنان وسوريا كما ضربت في الاردن عام ١٩٧١ • ولكن انعقاد مؤتمري القمة العربيين في الرياض وفي القاهرة ، بعد الصمود البطولي للثورة والجماهير الفلسطينية والقوى الشعبية والوطنية اللبنانية وما نجم عنه من وقف للحرب الاهلية في لبنان ضمن المحافظة على وجود الثورة الفلسطينية وفقا لاتفاقية القاهرة ، وعودة التأكيد ، وعلى المستوى اللبناني والعربي ، على ان منظمة التحرير هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني، ثم ما نجم عن ذلك من بداية لرأب الصدع المصري ـ السوري ، والسوري ـ الفلسطيني • ان كل ذلك اعاد جو الاختناق بالنسبة للعدو الصهيوني • وقد تفاقمت ازمته الداخلية سياسيا واقتصاديا واجتماعيا •

ولعل من المؤشرات التي تدلل على مازق العدو السياسي داخليا استقالة حكومة رابين وما نشهده من انفراط لتحالفات ، ومحاولة تكون تجمعات وتحالفات اخرى • وما يبدو من تخبط في تحديد السياسات وبروز تراجعات، ولو محدودة، من قبل مختلف الاحزاب والكتل السياسية بالقياس لما قبل سنتين • اما من جهة الازمة الاجتماعية فهنالك مؤشرات الفضائح والانتحار وهبوط معدلات الهجرة وارتفاع معدلات الهجرة المعاكسة • كما ان الامر ليس صعب الملاحظة من ناحية

الوضع الاقتصادي ابتداء من التدهور المستمر لليرة وارتفاع معدلات البطالـة ، ومرورا بالتضخم والمزيد من العسكرة للاقتصاد والمزيـد من الاعتماد علـى المساعدات الامريكية • طبعا ان هذه الازمات الاقتصادية والاجتماعية مؤشـر بدوره على عمق الازمة السياسية الداخلية • ولها دورها الراجع عليها •

اما من الجهة الاخرى فقد اشتدت عزلته الدولية ( لم يبق له الان من حلفـاء غير الامبريالية الاميركية والنظام العنصري في جنوبي افريقيا • وهذه الاخيـرة تواجه الان حصارا وهي تحت النيران • اما الامبريالية الاميركية فهي في حالة من التأزم كما سنرى لاحقا ) • ولهذا يمكن القول ان العدو الصهيوني يمـر الان في اصعب ظروف عرفها منذ تاسيس دولته • واذا كانت عضلاته العسكرية ما زالت قوية الا ان ذلك لا يشكل الا احد العوامل لحساب موقعه في ميزان القوى•وهو على كل الاحوال ليس العامل الحاسم • وانما العامل الحاسم هو القوة السياسية والوضع العـام في ميزان القوى •

**ثانيا : الامبريالية الاميركية :**

تعاني الامبريالية الامريكية من تفاقم في ازمتها السياسية والاقتصادية الداخلية فهنالك ازدياد في التضخم والركود والبطالة • وتواجه تحديا متعاظما من الاتحاد السوفياتي على مستوى عالمي• كما ان الخسائر الكبيرة التيلحقت بها من هزيمتها في الهند الصينية ، فضلا عن خسائرها في حرب تشرين ( فقدت ما بين ٣٠ ـ ٤٠٪ من احتياطها الاستراتيجي للاسلحة التقليدية المخزونة في اوروبا من خلال جسرها الجوي للعدو الصهيوني في حرب تشرين وتسليحه فيما بعد ) • وتتعرض منـذ سنتين الى نيران متعاظمة من بلدان العالم الثالث وشعوبه • اما علاقتها الاوروبية واليابانية فقد تعرضت هي الاخرى للاهتزاز • واصبحت مضطرة لتقديم التنازلات للمحافظة على حلفائهـا ولتعزيز الحلف الاطلسي •

كانت الامبريالية الامريكية خلال الثلاث سنوات الماضية منذ حرب تشرين قـد هبط موقعها في ميزان القوى العام في الوطن العربي عموما على الرغم من انهـا حققت بعض النقاط ضد الاتحاد السوفياتي في منطقة الشرق الاوسط عبر سياسـة الخطوة ـ خطوة والمساومات مع بعض الدول العربيـة • ولكنها منيت بفشل مشروعها للتسوية الذي عملت له خلال السنتين الاخيرتين في منطقة المشرق العربي• ذلك المشروع الذي رمى الى تصفية الثورة الفلسطينية ، واجراء تسوية من خلال الاردن • وكان هذا المشروع يشكل العامل الاكثر حسما في تفجير الحرب في لبنان وتصعيدها ، وبصورة خاصة ، ضد الثورة الفلسطينية والجماهير والقـوى الوطنية اللبنانية • وقد تكرس هذا الفشل من خلال مؤتمري القمة في الريـاض

والقاهرة . حيث توقفت الحرب ، وحصلت الثورة الفلسطينية على اجمـــاع عربي ولبناني جديد . اكد على وحدانية منظمة التحرير الفلسطينية في تمثيـــل الشعب الفلسطيني . وعلى حق الثورة الفلسطينية في التواجد على ارض لبنان وفقا لاتفاقية القاهرة . كما ادت هذه التطورات الى بداية رأب للصدع بين سوريا ومصر وكذلك بين سوريا ومنظمة التحرير . وهو الصدع الذي عملت الامبريالية الامريكية طوال ما بعد حرب تشرين على توسيعه الى حدوده القصوى . ان هذه النتائج تعني بالنسبة للامبريالية الامريكية اضعافا لموقعها في ميزان القوى فـي البلاد العربية . وهو يعبر عن ذلك الان بالارباك الذي وقعت فيه السياسةالامريكية في المنطقة . وبالاعلان عن انتهاء سياسة الخطوة ــ خطوة .

**ثالثا : الاتحاد السوفياتي :**

كان دور الاتحاد السوفياتي في منطقة الشرق الاوسط قد ضعف بعد تدهـور علاقاته بمصر . وزاد ذلك بعد الغاء المعاهدة المصرية السوفياتية ولكن من الناحية الاخرى فان علاقاته بسوريا قد اصيبت بالاهتزاز في المرحلة الاخيرة من الحـرب اللبنانية . واصبح تأثيره في الوضع عموما اضعف بعد مؤتمري القمة العربييـن وبعد انتهاء الحرب في لبنان . ويعبر عن ذلك من خلال التشاؤم الظاهر فـــي الصحافة والتعليقات السياسية السوفياتية حول الوضع في الشرق الاوسط .

**رابعا : الوضع العربي والفلسطيني :**

ان عقد مؤتمري القمة العربيين في الرياض والقاهرة وقراراتهما ، ووقف الحرب في لبنان ومن ثم بداية توثق العلاقات المصرية ــ السورية وتحسن العلاقـــات السورية ــ الفلسطينية . يعني ان الوضع العربي والفلسطيني هو الان في الموقع الاقوى في ميزان القوى العام في المنطقة . واذا استمر هذا الوضع وتصلب فـــان ذلك يؤدي الى توفر الامكانات للانتقال الى مواقع هجومية .

وهنا لا بد من ان نلاحظ ان الثورة الفلسطينية استطاعت ان تنتصر على اخطر مؤامرة امريكية تعرضت لها . واستطاعت ان تخرج من مؤتمري القمة باعتراف شامل بمنظمة التحرير كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني . فضلا عـــن الاعتراف بحقها في التواجد المسلح على ارض لبنان وفقا لاتفا : القاهرة . ولقد سقطت تلك الاحلام التي تخيلتها الصحافة الامريكية والاوروبية خلال العام الماضي بانتهاء الثورة الفلسطينية والخلاص منهـا . واخذ يحل محلها الان تعاظم فـــي التأييد الدولي لمنظمة التحرير الفلسطينية .

اما من الجهة الاخرى فان الانتفاضة الشعبية العارمة التي شهدتها مصر مؤخرا

لتؤشر ايضا على نهوض جماهيري يؤكد على ان عيـــن الشعب لا تنام · وان الشعب لا يمكن تجاهله في معركة التحرير والاستقلال ولا يجوز ان يتنكر لمطالبـه العادلة المشروعـــة ، او ان يسام الخسف والجـــوع على ايدي الفاسديـــن والاحتكاريين وسارقي قوت الجماهير · كما تؤشر على ان جماهيرنا العربيـــة تقف في الصفوف الاولى في النضال ضد الكيان الصهيوني والامبريالية · ومن أجل تعزيز الاستقلال الوطني ودفع عجلة النضال العربي الى الامام · ( نميز هنــا بين خـط الجماهير في الانتفاضة وبين الذين شوهوهـا بالتخريـب والـحرق والسرقة · او الذين حاولوا استغلالها لاغراض مدغولة ) ·

**ملحوظة :** عندما نتحدث في ميزان القوى عن الضعف والقوة فاننا نرى ذلـــك نسبيا ضمن حالة شبه التوازن الاستراتيجي لمصلحة الثورة الفلسطينية والعرب·

**الاتجاهات السياسية والتوقعات المنتظرة لتطور الاحداث :**

ان فشل المشروع الامريكي في تصفية الثورة الفلسطينية وفي اجراء تسوية من خلال الاردن · ومن ثم بروز مشروع التسوية الذي كانت قـــد دعت له مصر ، وتمحور التحركات العربية حوله يطبعان الوضع الراهن في المنطقة بطابعهما · ان هذا المشروع الاخير يتلخص في ان على امريكا ان تعترف بمنظمة التحريـــــر الفلسطينية وتوافق على قيام دولة للفلسطينيين والانسحاب « الاسرائيلي » من الارض العربية كشرط للتحرك السياسي القادم باتجاه التوصل الى « تسوية » · اما الشروط المقابلة فهي مرتهنة على الموافقة على هذا الشرط · ولهذا فان عقدة الوضع بالنسبة للتطورات القادمة يمسك بها عاملان رئيسيان :

١ ــ مدى صلابة الموقف العربي بتمسكه بهذا المشروع ·

٢ ــ وبالجواب الامريكي عليه ·

ويمكن القول ان مدى صلابة الموقف العربي هو الذي يلعب الدور الحاسم على الموقف الامريكي وعلى اتجاه التطورات القادمة في المنطقة عموما وفي لبنـــان خصوصـــا ·

ان الاتجاه العربي حتى الان ، وكما تعبر عنه مصر وسوريا والسعودية ، يميل الى لملمة الوضع العربي ، والدفع باتجاه المشروع المذكور ، اي يشكل عملية تحويل للطابة الى الملعب الامريكي ·

اما بالنسبة للعدو الصهيوني فهو يعاني ارتباكا عاما · ولا شك في انه يسعـى الى استمرار حالة اللاحرب واللاسلم ، والى عودة الاقتتال الـــى لبنان ، مـــع التحضير لشن الحرب اذا ما تطورت الاحداث في غير ما تشتهي سفنه · ولكـن ذلك كله سيبوء بالفشل ، وبتفاقم سوء حالته ، اذا لم تشتعل الصراعات العربيـة

السابقة من جديد • اي اذا بقي الوضع العربي ـ الفلسطيني الحالي متماسكا وتعزز اكثر فالعدو سيحاول ولكنه سيفشل •

ان دور الاتحاد السوفياتي من حيث التحرك الديبلوماسي يواجه حرجا شديدا بسبب تدهور علاقاته العربية • ومن ثم من غير المتوقع ان يلعب دورا سياسيا مؤثرا في المرحلة القادمة اذا بقي الوضع العربي الراهن مستمرا •

اما بالنسبة لاتجاه سياسة منظمة التحرير فهي تعمل على نزع فتيل تجدد القتال ضدها في لبنان ضمن المحافظة على وجودها وفقا لاتفاقية القاهرة • وتمضي في تعزيز علاقاتها العربية ضمن التمسك بوحدانية تمثيلها للشعب الفلسطيني ، هذا فضلا عن تصعيد نشاطها الدولي للحصول على اكبر تأييد ممكن •بيد ان ذلك يجب ان يمضي ضمن ضرورة تعزيز وحدتها الوطنية ، وتطوير قوتها العسكرية والجماهيرية الفلسطينية والعربية • وتصعيد كفاحها المسلح والشعبي ضد العدو الصهيوني ، الى جانب التسلح باليقظة العالية في مواجهة المؤامرات والمخاطر القادمة •

لقد سبق وقلنا حول الجواب الامريكي على المشروع الذي يواجه كارتر الان ـ الاعتراف بمنظمة التحرير ، الموافقة على قيام دولة فلسطينية ، والانسحاب من الاراضي العربية ، انه سوف يؤثر وفقا لاتجاهه علىتطور الاحداث القادمة •وان كان المؤثر الرئيسي على هذا الجواب نفسه هو مدى صلابة الموقف العربي •

امام كارتر ثلاثة خيارات في الاجابة عن هذا المشروع •

**الاول** : الرفض ، ورمي قفاز التحدي ، ومخاطبة العرب والفلسطينيين بلغة القبضة الحديدية • ولكن هذا الخيار ليس سهلا ونستبعد اللجوء له • وذلك لانه يؤدي بالامبريالية الامريكية في ظل ميزان القوى العالمي وفي منطقة الشرق الاوسط الى هزيمة مؤكدة • فضلا عن انه قد يفقدها تلك النقاط التي احرزتها في صراعها ضد الاتحاد السوفياتي •

**الثاني** : ان يقبل بالمشروع ومن ثم يدفع بشروط خطيرة مقا '' ولكن ثمة ثلاث صعوبات يتطلب من كارتر اجتيازها لمجرد القبول :

1 ) الصعوبة الاولى ان ذلك يعني التخلي عن سياسة امريكية ضد الشعب الفلسطيني دامت ما يقارب الثلاثين عاما ، وهي اعتبار الشعب الفلسطيني كومة لاجئين يجب ان يذاب في البلاد العربية •

ب ) الصعوبة الثانية ، ان ذلك يعني اخطر تراجع امريكي يقدم في منطقةالشرق

الاوسط حتى الان · اي الاعتراف بمنظمة التحرير بعد اعتبارها لسنوات عديدة منظمة ارهابية ومخربة ويجب سحقها ·

ج ) الصعوبة الثالثة ، يعني الاصطدام بالموقف الصهيوني على مستوى دولة العدو وعلى الصعيدين العالمي والامريكي · ان الدولة الصهيونية تأخـــذ موقفا متشددا حازما وتاريخيا من مسألة الاعتراف بالشعب الفلسطيني· وتشكل هذه المسألة بالنسبة لها معيارا حاسما · ولهذا فان على كارتـر ان يلجأ لاحداث تغييرات في السياسة الرسمية لدولة العدو لتوافق معه على هذا الموقف او ان يواجه التحدي الشديد الذي ليس من السهل حساب ابعاده · الامر الذي يجعل تجاوز هذه الصعوبة هي المسألة الاخطـــر فيما بين الصعوبات الثلاث المذكورة ، ومن هنا ليس من المتوقع ان يلجـأ لهـذا الخيـار ·

**الثالث** : ان يلجأ كارتر الى خيار المناورة والمماطلة ضمن السعي لممارســة سياسة الضغط وسياسة الاغراء معا على الدول العربية ، اساسا ، مصر وسوريا والسعودية مجتمعة او منفردة للتخلي عن مشروعها والقبول بمشروع آخر هــو التسوية من خلال الاردن وتصفية منظمة التحرير · ومن هنا فان الامبرياليـــة الامريكية ستلجأ الى هذا الخيار · ولكن نجاحه او فشله يتوقفان على مدى صلابة الموقف العربي · فانه سيفشل اذا قوبل بتصلب في الموقف العربي وعندئذ لن يكون امام الامبريالية الامريكية غير الخيارين الاولين · والارجح الخيار الثاني معــدلا بعض الشيء كالقبول بمنظمة التحرير ضمن وفد عربي ·

ان مراجعة هذه الخيارات الثلاثة تجعلنا نرى الحرب تطل مع كل منها · ففي حالة الخيار الاول اي مواجهة الموقف العربي بالتحدي فان هذا سيفتح امــــام دولتي المواجهة مصر وسوريا طريق الحرب لا محالة · اما في حالة الخيــــار الثالث والنجاح فيه اي دفع الدول العربية المعنية مجتمعة او منفردة للتخلي عن منظمة التحرير ، وقبول تسوية من خلال الاردن فهذا يعني اندلاع الحرب في لبنان لا محالة ، لان الثورة الفلسطينية ستتعرض عندئذ لمواجهة مؤامرة تصفية · اما في حالة الخيار الثاني اي الموافقة على الاعتراف بمنظمة التحرير وعلى قيام دولة فلسطينية والانسحاب من الاراضي العربية · فقد يدفع العدو الصهيوني لشـــن الحـــرب ·

من هنا يمكن وصف المرحلة القادمة انها ستكون مسرحا لسباق بين الحــرب وبين التسوية كفرسي رهان ·وهذا يتطلب الاستعداد للحرب على اعلى مستوى·

ان المسألة الباقية التي تحتاج في هذا الصدد الى دراسة احتمالاتها هي العامل

الرئيسي الذي سيتوقف عليه الى حد بعيد القرار الامريكي وتطور الاحداث في المرحلة الراهنة والقادمة · وهو مدى صلابة الموقف العربي في تمسكه بمشروع مؤتمري القمة العربيين في الرياض والقاهرة · او مدى استعداده للخضوع للضغط او للاغراء او كليهما معا للانقلاب على منظمة التحرير والقبول بمساومة مع الامبريالية الامريكية على حساب شعب فلسطين ·

ليس ضروريا الغوص في مناقشة احتمالات هذه المسالة بالنسبة لكل دولة عربية على حدة · ولكن يمكن القول ان هنالك ارضية للتمسك بهذه المسالة ، كما انهنالك نقاط ضعف ولا شك · واذا طغت نقاط الضعف ، وانقسم الموقف العربي ، في الوقت نفسه ، فان ذلك رغم مخاطره الشديدة سيبقي الباب مفتوحا امام الثورة الفلسطينية لتخرج من مؤامرة التصفية منتصرة مرة اخرى ، شريطة ان يتوفر عامل الصمود · وهو أمر ممكن تماما · ومن هنا يمكن القول ان على الثورة الفلسطينية التحلي باليقظة تجاه الموقف العربي حول هذه المسالة · وتمتين التضامن العربي معها وضد العدو الصهيوني والمؤامرات الامريكية · وعليها هنا ان تسعى للحيلولة دون حدوث تراجع عن مقررات مؤتمر الرباط ومؤتمري الرياض والقاهرة · وهو أمر يتطلب تجنيد كل العوامل الايجابية في الوضع العربي بهذا الاتجاه · ولكن كخط عام يجب ان يصحب هذا المسعى عمل حثيث وجدي لتعزيز وحدة كل فصائل منظمة التحرير ، ووحدة اوسع الجماهير الفلسطينية · والعمل على تمتين التلاحم الجماهيري العربي ، وبصورة خاصة اللبناني ، في دعم الثورة الفلسطينية ، وتطوير قواتنا المسلحة وتصعيد كفاحنا المسلح والشعبي ضد العدو الصهيوني · كما يتطلب الاسراع في اعادة توحيد لبنان وبنائه وتصفية الانقسامات التي لعبت دور العامل الداخلي في الحرب وتفاقمت معها ، شريطة ان يتم كل ذلك ضمن الوجود المسلح للثورة في المخيمات والجنوب وتعزيزه الى اقصى ما يمكن · لان هذا الخط العام يخدم ايضا فيمواجهة احتمالات طغيان نقاط الضعف في الوضع العربي ، والتي لا يجوز ان تنام اليقظة العالية تجاهها ، ولو للحظة واحدة ·

لعل من الضروري التاكيد على ان تقديم تحليل صحيح ومقنع لميزان القوى القائم بالاتجاه الذي تم تناوله اعلاه ، يساعد ، كواحد من العوامل ، علىتصليب الموقف العربي والفلسطيني ( الفلسطيني في الحالتين ) · ذلك لان الموقف العربي ما زال يحمل اوهاما كثيرة من اثار الماضي حول قوة الامبريالية والعدو الصهيوني ·

ان المشكلة التي يجب ان يعيها الفلسطينيون والعرب هي ان يتحسسوا جيدا مواطن القوة في وضعهم الراهن في ميزان القوى ، ومواطن الضعف في وضع

الامبريالية الامريكية والعدو الصهيوني • وذلك لشد العزائم وتصليب المواقف والانتقال للهجوم وعدم السماح للانهيارات المعنوية والتراجعات بسبب التقديرات الخاطئة لميزان القوى • وانه لشيء مبك حقا الا نتحسس مواطن القوة في وضعنا فنتراجع حيث يجب ان نتقدم ، وننهار في حين يجب ان ينهار اعداؤنا • ونتشتت حيث يمكن ان نتماسك ، وتخور العزائم وتضعف المعنويات حيث يجب ان تشتد العزائم وترتفع المعنويات • ان الظروف مناسبة للتصلب ، وعدم تقديم تنازلات• وشن الهجمات على العدو الصهيوني والامبريالية الامريكية •

تبقى مسالة يجب التوقف عندها هنا • وهـــي ضرورة ملاحظة الفرق بين المشروعين المذكورين اي المشروع الذي يتجه لاجراء تسوية من خلال الاردن ، والقاضي بتصفية الثورة الفلسطينية • وبين المشروع العربي الاخر الذي يسعى للتسوية من خلال الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية واقامة دولة مستقلـــة للفلسطينيين • ان ملاحظة الفرق بين هذين المشروعين مسالة على غاية من الاهمية حتى بالنسبة للذين يرفضون كل هذه المشاريع من حيث اتت • ولهم موقف ثابت ضد التسوية •وذلك ليس لكي يقفوا الى جانب هذا المشروع ضد ذلك • وانما لان ذلك يجعلهم يرون بوضوح ، وبصورة صحيحة ، كيف يعالجون كل حالة • وذلك على ضوء خطورتها المباشرة • اما الناحية الاهم فتكمن في ان الفهم الصحيح للفرق بين المشروعين يشكل دعامة للوحدة الوطنية الفلسطينية ، فيعطي لهـــذه الوحدة تدعيما سياسيا مباشرا • ويجنب الثورة صراعات داخلية ، اقل ما يقال فيها ، انها في غير اوانها ، ولا تخدم مختلف احتمالات تطورات الوضع • من هنا لا بد من ان نرى ان المشروع الامريكي الذي يريد تسوية من خلال الاردن سيوجه الحربة فورا الى صدر الشعب الفلسطيني • ويفتح الباب لمجزرة رهيبة في لبنان • بينما يؤدي المشروع الاخر الى نقل رأس الحربة الى جهة الامبريالية الامريكيـــة والكيان الصهيوني • حيث رأينا من الاحتمالات التي تحملها اجابة كارتر على هذا المشروع مسالتين رئيسيتين الاولى احتمالات اندلاع الحرب مجددا ، والثانيـــة احتمالات التناقض الشديد مع الموقف الصهيوني الذي قد يلجأ الى الحرب هـــو الاخر ، حيث سيواجه مازقا خانقا الى اقصى الحدود • ولهذا من المهم أن نـرى الفرق بين المشروعين • ومن ثم الفرق في نتائج كل منهما على ارض الواقع ، حتى ولو كنا معارضين للمشروعين من حيث الاساس • ان « المشروع العربي » سوف يمر بمرحلتين لا محالة :

١ ــ المرحلة الاولى وهي الممتدة من الان حتى تحديد موقف امريكي منه •

٢ ــ المرحلة الثانية وهي التي ستاتي على ضوء الاجابة الامريكية •

فمن ناحية المرحلة الاولى فستكون الكرة في ملعب الامبرياليـــة الامريكيـــة وستعطينا فرصة جيدة لتعزيز وضعنا ، والمحافظة على وحدتنا ، وتقوية انفسنا•

كما ان الاجابة الامريكية على المشروع في حالة الرفض تكون قد وفرت علينـــا صراعات داخلية ، ووضعت الجميع في خندق واحد ، رغم كل الخلافات • اما في حالة النجاح باجتذاب احد الاطراف العربية المعنية او كلها ، للقبول بالتسويـة من خلال الاردن • فهذا سوف يضع جميع الثوار الفلسطينيين والشعب الفلسطيني في خندق واحد ايضا دفاعا عن الثورة الفلسطينية التي ستتعرض لحملة تصفية لا تستثني احدا • اما الحالة الثالثة وهي الموافقة على الاعتراف بمنظمة التحريـر الفلسطينية وعلى قيام دولة فلسطينية • فان ذلك سيمر عبر صراع معقد طويل • ولكن من الناحية الاخرى حين يستقر الاتجاه لتنفيذ هذا المشروع فسوف تبرز فورا المخاطر التي يخشى منها الذين يرفضون مثل ذلك الحل ، وهي خشية مشروعـة ومسوغة • وذلك من جهة ما يمكن ان يبتز من تنازلات مقابلة او من جهة ما يمكن ان يتولد عنه من انقسام في صفوف منظمة التحرير الفلسطينية • ولكن ما دامـت هنالك مرحلة مليئة بالاحتمالات بين الان وبين مجيء مرحلة تلك المخاطر • فمـن المهم الا نستبق ذلك في صراعات ليس الان اوانها • ومن ثم المهم ان نرى مختلف جوانب الوضع لنستطيع الاتحاد في دحر المخاطر والمؤامرات الراهنة • والتي لها الاسبقية فيما نتعرض له • وبالمناسبة ان التجربة التاريخية خـلال السنتيـن الماضيتين اثبتت على ارض الواقع صحة هذه الموضوعة • حيث رأينا اصحاب تلك المقولات التي كانت تتحدث عن « القيادة المستسلمة والمنبطحة » يقفون طـوال سنتين في خندق واحد ، وتحت قيادة تلك « القيادة ••• » يقاتلون جنبا الى جنب ضد الخطر الاشد الداهم • ولكن اذا كانت ممارستهم للوحدة الوطنية ، عمليا ، موقفا صحيحا ، الا انهم يتناقضون مع انفسهم حين يمارسونها ، ويطرحون ، في الوقت نفسه، مقولاتهم حول اولوية الصراع ضد «القيادة المستسلمة والمنبطحة»، والمطالبة « بفضحها » ، و « تعريتها » •• الخ • ان الموقف سياتي متماسكا حيـن تحدد الاولوية ، في كل مرة ، بدقة شديدة • وتاتي الممارسة الفعلية منسجمةمعها • بل ان ذلك وحدههو الذي يجعل التمسك بالمبدأ يتدعم بالسياسة التكتيكية الصحيحة نظريا وعمليا • ان التمسك بتحرير كامل التراب الفلسطيني لا يمكن الا ان يمر عبر احباط سلسلة المؤامرات التي تتعرض لها الثورة خلال الطريق المتعـرج الطويل • ومن ثم لا مفر من احباط المؤامرة بعد الاخرى ، ومعركة بعد معركة • لا دفعة واحدة • ان هذا الطرح لا ينطلق من محاولة لتصفية حسابات مع مقولات خاطئة ، ويجب الا يساء فهمه ، باي شكل من الاشكال ، وانما ينطلق من حـرص على ضرورة المحافظة على الوحدة الوطنية بين جميع فصائل الثورة الفلسطينية تحت خيمة منظمة التحرير الفلسطينية • وتدعيم ذلك بالتحليل السياسي الصحيح، والموقف السياسي الصحيح لان المحافظة على الوحدة الوطنية الفلسطينية تشكل حجر الاساس بالنسبة للثورة وللشعب الفلسطيني لاحباط المؤامرة ، ومن اجل انتصار قضيتنا العادلة •

## الوضع في لبنان :

ثمة موضوعة اساسية يجب ان انيدركها كل من يعالج الوضع في لبنان٠ وهي ان ميزان القوى الداخلي في لبنان هو دائما انعكاس شديد الامانة لميزان القوى في المنطقة العربية ٠ وهو من ثم لا يحمل ميزان قواه الخاص المستقل ٠ ولا يكون تاثير ميزان القوى العام عليه كعامل خارجي ٠ ان ميزان القوى العام في المنطقة يمتد الى صلب ميزان القوى الداخلي في لبنان ، بل ان هذا الاخير يتشكل على صورته ومثاله ٠ واذا لم يقم هو من تلقاء نفسه بهذه المهمة فان الجيوش ستجتاحه لتقوم هي بها ٠

ولعل استعراضا سريعا للثلاثين سنة الماضية يؤكد هذه الموضوعة ٠ فعلى سبيل المثال عندما ضعف الاستعمار الفرنسي في المنطقة وقوى ساعد نوري السعيد بهجمة حلف الشرق الاوسط وحلف بغداد واجه لبنان هزة قوية اطاحت بالرئيس بشارة الخوري وجاءت بكميل شمعون حليف نوري السعيد والبريطانيين في ذلك الحين ٠ وعندما اخذ نفوذ نوري السعيد وبريطانيا ينهار في البلاد العربية ٠ ويتصاعد المد التحرري بقيادة البطل القومي جمال عبد الناصر انفجرت في لبنان ثورة ١٩٥٨ ٠ ولكن عندما تحركت الامبريالية الامريكية لتحل محل الاستعمار البريطاني انزلت جيوشها في لبنان ٠ وخرجت الشهابية كتعبير عن ميزان القوى بين عبد الناصر وبين الاستعمار الامريكي ٠ وعندما نزلت ضربة قاسية بعبد الناصر وسوريا في حرب حزيران تشكل في لبنان التحالف الثلاثي واسقطت الشهابية ليأتي فرنجية معبراً عن رجحان كفة الامبريالية الامريكية والعدو الصهيوني في ميزان القوى في المنطقة ٠ ولكن ذلك واجه ايضا في الوقت نفسه سعيا حثيثا من الجانب القومي العربي لوقف الانهيار والعمل لاعادة تعديل ميزان القوى٠ وهنا كان لا بد للثورة الفلسطينية من ان تدخل لبنان وتتمكن من انتزاع اتفاقية القاهرة كدليل على تحرك مصر وسوريا والثورة الفلسطينية بعد ١٩٦٧ لتجاوز الهزيمة واستعادة المواقع ٠ ولكن عندما تغير ميزان القوى في المنطقة نتيجة حرب تشرين لمصلحة مصر وسوريا والدول العربية عموما ولمصلحة الثورة الفلسطينية والحركة الشعبية العربية كان لا بد من ان يتغير ميزان القوى الداخلي في لبنان٠ والذي اخذ يختل نتيجة التغير الذي حصل في حرب تشرين المجيدة ٠ ومن هنا يمكن ان نقرأ رسائل بيير الجميل في اوائل عام ١٩٧٥ تعبر عن ضعف الدولة اللبنانية ونشوء عدة « دول » وانهيار هيبة السلطة ٠ وهو الامر الذي دفع لاشعال الحرب من جهة الامبريالية الامريكية لتصفية الثورة الفلسطينية ٠ ومن جهة الكتائب والاحرار للابقاء على ميزان القوى السابق والحيلولة دون تغييره والسيطرة على كل الوضع في لبنان ٠ ولكن ماذا نرى في المحصلة بعد هذه الحرب٠ ان ميزان القوى الداخلي في لبنان يعكس الان ميزان القوى العام في المنطقة والذي

سبق وتناولناه اعلاه · انه صورة مصغرة لذلك الميزان · واذا كان سيعاد تركيب دولة لبنان فلا بد لهذه التركيبة من ان تعكس ميزان القوى في المنطقة العربية · وتظل تتأثر باي تغيير ذي اهمية فيه ·

ميزان القوى الداخلي الراهن في لبنان :

اولا : بالنسبة للقيادة المارونية المتمثلة « بالجبهة اللبنانية » ، فقد خرجت الخاسر الاول داخليا في لبنان · فبعد ان كانت تسيطر على الدولة وعلى لبنان عموما قد انكفأت الان تحاول عبثا ان تسيطر على جزء منه · انها مجرد قوة ما من بين القوى في الميزان الداخلي · ولم تعد لها اليد الطولى والكلمة صاحبة القرار ·

ثانيا : ان القوة النافذة الان والتي هي صاحبة القرار فتتمثل باللجنة العربية الرباعية ومعها الثورة الفلسطينية · طبعا هنالك تفاوت في قوة كل منها ، مثلا لسورية دور متميز واكبر ، ولكنها مجتمعة تشكل القرار وليس بمقدور اي منها ان تنفرد بالقرار لان ذلك سيؤدي الى ازمة جديدة بسبب تناقضه مع محصلة ميزان القوى العربي · وبكلمة ان لبنان عربي ·

ثالثا : ان الرئيس الياس سركيس ــ المقصود هنا اتجاه عام يمثله ــ يشكل من حيث كونه رئيس الجمهورية ، قوة من خلال ترجمته لميزان القوى العام · وانطلاقا من هذا الوضع هو الشريك في القرار العربي ·

رابعا : القوى الاسلامية الوطنية تقدمت في ميزان القوى موضوعيا ، ولا بد من ان ينعكس ذلك بالمكاسب التي ستحصل عليها في عملية اعادة بناء الدولة اللبنانية، وبما سيتم ادخاله من اصلاحات ·

ان هذه الصورة لوضع ميزان القوى الداخلي والتي تعكس فعلا ميزان القوى العام في المنطقة حتى هذه اللحظة · تجعلنا نرى ان التحركات الراهنة لقيادات « الجبهة اللبنانية » سواء باتجاه التقسيم ( اللامركزية السياسية ) او باتجاه العناد في الاقرار بميزان القوى ، ينطلقان ، رغم خطورتهما ، من مواقع الضعف لا من مواقع القوة · ان هذا الاتجاه يتناقض مع قرارات مؤتمري القمة ·ويتعارض مع مهمة اللجنة الرباعية ، ومع خط الثورة الفلسطينية · ويلقى المعارضة الشديدة من الرئيس الياس سركيس الذي يجب ان يأتي محصلة لميزان القوى العام والمحلي · فضلا عن المعارضة الشديدة من الاطراف الاسلامية والوطنية · ولهذا يمكن القول ان ثمة ارضية حقيقية لاحباط هذا الاتجاه التقسيمي والمتعنت والمعادي للثورة الفلسطينية ، والمعادي لاعادة توحيد لبنان وبنائه على ضوء ميزان القوى

المذكور في المنطقة العربية وفي لبنان٠كما يمكن القول ان ثمة ارضية قوية كذلك لمقاومة اي اتجاه يسعى لتركيب الوضع في لبنان خارجا عن قرارات مؤتمـــري الرياض والقاهرة ، ومتجاهلا ميزان القوى العام في المنطقة ٠ ولكن من الجهـــة الاخرى هنالك ارضية لصراعات جزئية فيما بين مختلف الاطراف المعنية ضمن حدود محاولة كل طرف ان يكبر من حصته نسبيا ويصغر من حصة هذا الطـرف او ذاك او الاطراف الاخرى نسبيا ٠ ولكن باللحظة التي يتعدى فيها ذلك حدودا معينة فانتلك الصراعات الجزئية ستتحول الى حربجديدة اذا لم تتراجع في الوقت المناسب ٠ وسيكون العرب والفلسطينيون والقوى الخارجية اطرافا مرة اخـرى في هذه الحرب ٠ ولكن ذلك سيكون في الوقت نفسه **مؤشرا لعملية تغيير في وضع ميزان القوى في المنطقة العربيه منعكسا هي لبنان ٠**

ان الثورة الفلسطينية يمكنها ان ترى بوضوح ماذا تريد ؟ ومن ثم يمكنها ان تقود سياسات صحيحة في ذلك الاتجاه ٠ فالثورة الفلسطينية قد تعهدت من خـلال قائدها العام على تنفيذ قرارات مؤتمري القمة العربيين ٠ فهي ، من ثم ، ترى ان من مصلحتها التمسك بهذا القرارات نصا وروحا ٠ ففيما يتعلق بلبنان فهي قـد تعهدت بتطبيق اتفاقية القاهرة بينما تعهدت الاطراف الاخرى كلها باحترام الوجود المسلح للثورة الفلسطينية في لبنان وفقا لاتفاقية القاهرة ٠ كما تعهدت الاطراف كلها ان تقيم علاقاتها مع منظمة التحرير باعتبارها الممثل الشرعي الوحيدللشعب الفلسطيني اي ان يحترموا استقلال القرار الفلسطيني ولا يتدخلون في الشـؤون الداخلية للثورة الفلسطينية ٠ اما من الجهة الاخرى فان الثورة الفلسطينية ترحب وتسعى لنزع فتيل عودة القتال على الارض اللبنانية ٠ واعادة توحيد لبنان شعبا ودولة والعمل الجاد لاعادة بناء اقتصاده الوطني وازدهاره ٠ وبهذا تاخذ الثورة الفلسطينية موقفا ايجابيا من اللجنة الرباعية العربية ومن قوات الردع العربية ، ومن الرئيس الياس سركيس على اساس الخطوط المذكورة اعلاه ٠ امـــا الخط الاحمر الذي سوف يجبرها للعودة للقتال فهو التنكر لاتفاقية القاهرة ومحاولـة المساس بجوهرها ونصوصها ٠ وهو امر يكون موقفهـــا فيه دفاعيا وعادلا ومسوغا ٠

تبقى المسالة المرتبطة بما تقدم ، والتي لها اهمية خاصة ، وهي مسالة الجنوب فبالنسبة للجنوب لا بد من تعزيز وجود الثورة الفلسطينية المسلح وفقا لاتفاقيـــة القاهرة ٠ والعمل الجاد لاحباط محاولات العدو الصهيوني من خلال بعض العملاء او الحاقدين الطائفيين ، الرامية الى منع تطبيق اتفاقية القاهرة وتكريس الانقسام في صفوف ابناء الشعب اللبناني في الجنوب ، والذي يحمل في طياته استخدامبعض القرى كجسر للعدو الصهيوني ، ومن هنا لا بد من تثبيت وجود الثورةالفلسطينية المسلح في جنوبي لبنان وفقا لاتفاقية القاهرة اي ان يصار الى تشكيل اوسع جبهة عريضة حول الثورة الفلسطينية ٠ ثم اجراء مصالحة مع القرى المسيحية التـــي

تقف الان في الصف المقابل · وذلك تحت شعار اعادة وحدة الشعب ، وعزل العدو الصهيوني وعملائه ومقاطعته ·

واخيرا فيما يتعلق بميزان القوى في الجنوب فانه مرتبط بميزان القوى العام في المنطقة وفي لبنان · ومن ثم فان بالامكان تحقيق الانتصار على مؤامرة العدو الصهيوني · وتكريس وجود الثورة الفلسطينية في الجنوب رغم انف العدو الصهيوني · وهنا ايضا ان المشكلة هي ان نتحسس مواطن القوة في وضعنا وننهج سياسات صحيحة فلا شيء يشكل خطرا علينا مثل التقدير الخاطيء للموقف الذي يحطم المعنويات ويسمح للمؤامرة ان تتقدم على ارض مفرغة من المقاومة اللبنانية والفلسطينية المسلحة ومن السياسات الصحيحة · وبكلمة اخيرة ، اننا في الجنوب ايضا نستطيع ان نتقدم ونكون في موقع جيد ·

# الوجه القبيح لنظام الكانتونات السويسري

الدكتور محمد المجذوب

قبل الحرب الاهلية في لبنان ، كنا نسمع ونقرأ الكثير عن سويسرا . وكان كل ما يقال فيها يوحي بانها جنة الله في ارضه ، او المدينة الفاضلة التي تحدث عنها افلاطون والفارابي . وكانت فئات كثيرة من اللبنانيين تبدي ، في كل مناسبة ، تقديرها البالغ للنظام الديموقراطي والبرلماني المطبق في سويسرا ، وتطالب ، عند حدوث اي خلل في النظام اللبناني ، بنقل التجربة السويسرية الى لبنان ، جازمة بان العمل بالنظام السويسري كفيل بازالة اسباب الصراع الطبقي او الفئوي او الطائفي ، وتعزيز الروح الديموقراطية ، وتوفير الرفاهية والازدهار للمواطنين . وكنا ، بشيء من التحفظ والحذر ، نصدق كل ما يقال ويكتب ، منتظرين اول فرصة سانحة للانكباب على درس الموضوع والوقوف على صحة المعلومات الشائعة .

وخلال الاحداث الدامية ، طرح اليمين اللبناني بعض الافكار والمشروعات لمعالجة الازمة كان من ابرزها فكرة الاخذ بنظام الكانتونات السويسري ، من اجل تحويل لبنان الى دولة فدرالية ( اتحادية ) قادرة على تحقيق « الوحدة في التعددية » . وجندت الافواه والاقلام للتبشير بالفكرة ، والاشادة بالديموقراطية السويسرية ، والتأكيد على وجود العديد من نقاط الالتقاء والتشابه بين اوضاع لبنان واوضاع سويسرا . وبالغ اهل اليمين في امتداح النظام السويسري حتى خيل الى البعض ان انقاذ لبنان ، من محنه المزمنة ، لن يتم الا باقتباس نظام شبيه بهذا النظام .

وانتهزنا هذه الفرصة ، والقينا نظرة شاملة على الاوضاع السويسرية ، محاولين التعرف الى الدوافع والحوافز التي حدت باليمين اللبناني الى المناداة باعتماد نظام الكانتونات ، ومحاولين كذلك اكتشاف حقيقة النظام السويسري الذي احيط بهالة من الاكبار . وبعد التدقيق توصلنا الى النتيجة التالية :

١ ـ ان سويسرا دولة تحكمها طبقة اوليغارشية تبهر العالم بدعاياتها المضللة ، وتسخر انظمة الدولة وبيروقراطيتها لخدمة مصالحها المرتبطة بمصالح

الامبريالية العالمية • واليمين اللبناني يسعى الى نقل التجربة السويسرية الى لبنان لانها ، في رأيه ، تضمن له استمرار امتيازاته وتعود عليه بالمزيد من المكاسب المادية •

٢ ـ ان سويسرا لم تتبوأ مركزها المالي والمصرفي الضخم الا بسبب مشاركتها في استغلال ثروات الشعوب المسحوقة •

٣ ـ ان سويسرا تتمتع بمركز اقتصادي رفيع ، ولكن هذا المركز يخفي وجها قبيحا ، لانه يضع الاقتصاد في خدمة الاحتكار واللصوصية ، لا في خدمة الشعوب •

٤ ـ ان سويسرا تعيش في ظل واجهة زائفة من الديموقراطية ، لان الحكم فيها يخضع لسيطرة ارباب الشركات الاحتكارية •

٥ ـ ان سويسرا تخدع الشعوب باسطورة حيادها ، لانها ما زالت تستغل هذه الاسطورة لتحقيق اغراض مادية واستعمارية •

وسنعالج هذه النقاط بشيء من التفصيل •



اولا ـ نظام الكانتونات وامتيازات اليمين •

ماذا يقصد اليمين اللبناني عندما يتحدث عن نظام الكانتونات ؟

انه يقصد النظام الدستوري والسياسي المطبق في الاتحاد السويسري او ( حسب التسمية الرسمية للدولة السويسرية ) الكونفدرالية السويسرية •
وكانتون كلمة من اصل ايطالي تعني : المقاطعة او المنطقة او الولاية •

وسويسرا مكونة ، حاليا ، من ٢٢ كانتونا او ولاية ذات سيادة ، كما ينص على ذلك الدستور السويسري • ومن المحتمل ان ينضم الى العدد الراهن كانتون جديد يحمل اسم جورا Jura ، مكون من المناطق الشمالية الناطقة بالفرنسية ، والداخلة في ولاية برن ، منذ عام ١٨١٥ • فسكان هذه المناطق يناضلون منذ اعوام للانفصال عن ولاية برن وتكوين ولاية خاصة بهم • وقد تم الاتفاق على اجراء استفتاء شعبي في العام القادم للبت في موضوع انشاء الكانتون الجديد •

وتاريخ سويسرا حافل بالاحداث المثيرة • وهي لم تصل الى نظامها الاتحادي الا بعد سلسلة من الحروب والمعارك الدينية والسياسية ، كانت اخرها

الحرب الاهلية التي نشبت في عام ١٨٤٧ بين المقاطعات الكاثوليكية المحافظة والمقاطعات البروتستانتية المتحررة ، وتمت الغلبة فيها للبروتستانتيين الذين خاضوا غمار تلك الحرب القصيرة بقيادة جنرال كاثوليكي ، هو دوفور Dufour وعقد مؤتمر وطني بعد الحرب تمخض عن دستور عام ١٨٤٨ ، الذي تم ابداله ، في عام ١٨٧٤ ، بالدستور الراهن للاتحاد ·

وفي غمرة الاحداث اللبنانية ، وبعد اخفاق فكرة التقسيم ، اقدم اقطاب اليمين على طرح فكرة الكانتونات كمخرج للازمة وبديل للصيغة التي ارسى قواعدها الميثاق الوطني · ويبدو ان الفكرة من وحي اميركي ومباركة اوروبية ·. وكان الدكتور شارل ملك اول من لوح بها وبشر ، ففي تموز ( يوليو ) الماضي ادلى بتصريح قال فيه : « ان الولايات المتحدة تنظر الى الحرب اللبنانية من زاوية انها تتركب من ثلاثة اشياء : حرب داخلية اهلية ، وحرب فلسطينية ـ لبنانية ، وحرب راديكالية ـ شيوعية او انقلابية عالمية » · واضاف انه لا يملك معلومات عن خطة اميركية للتقسيم ولكنه يتصور اليوم « بعد الذي حصل في لبنان ، صار عند الاميركان استعداد للنظر في المساهمة في ايجاد نوع من التنظيم الداخلي الذي يؤول الى الاستقرار ، وهذا قد يشمل شيئا من الفدرالية او نظام الكانتونات ، ولكن من ضمن اطار وحدة لبنانية » · واكد في نهاية حديثه « ان لبنان هو واقعيا مقسم » (١) ·

وبعد اسابيع عاد الرئيس السابق شارل حلو من اوروبة ، بعد غياب استمر ستة اشهر ، وادلى بتصريح لاذاعة هولندا استهله بالدعوة الى اعتماد نظام الكانتونات والعمل باللامركزية في المجالات الاقتصادية والادارية والمالية ، معتبرا ان هذه الخطوة مرحلية ولا بد منها لاعادة توحيد لبنان شعبا وارضا · واكد ، في حديثه ، على ان لبنان هو سويسرا الشرق ، وتساءل : « ولماذا لا يكون لبنان سويسرا الشرق على الصعيد السياسي ؟ » (٢) ·

وعلى اثر هذا التصريح كثر الحديث عن مشروع الكانتونات · ونكرت بعض الصحف ان صيغة جديدة ومفصلة لمشروع سمي بمشروع « الادارة الجديدة للبنان » قد عرضت ، في اطار من السرية التامة ، على الرئيس فرنجية، وان هذه التسمية التي تم اختيارها ليست غير مشروع نظام الكانتونات ، الذي يقسم لبنان الى مجموعة مقاطعات تتمتع كل منها بالاستقلال الذاتي والحكم المحلي ، وان المشروع استوحى دستور الدولة السويسرية ، وان بعض كبار القانونيين في اوروبة درسوه من مختلف النواحي قبل صبه في صياغته الاولية الحالية (٣) ·

وفي اليوم الذي توجه فيه الرئيس حلو الى الاردن ، موفدا من قبل جبهة الكفور لاجراء اتصالات بالملك حسين والمسؤولين في عمان ، اشارت بعض الصحف الى انه يحمل اقتراحا ( مشفوعا برسالة من الرئيس شمعون ، صديق الملك حسين ) بحل الازمة اللبنانية عبر نظام الكانتونات واللامركزية ، لان الهدف من الزيارة هو الوقوف على رأي الاردن في الاتحاد الكونفدرالي ( بين الاردن وسوريا ولبنان والمقاومة الفلسطينية ) ، وفي نظام الكانتونات للبنان تمهيدا لطرحه على دمشق مقرونا بموافقة الاردن (٤) ٠

وفي نفس اليوم تضمن التصريح اليومي للشيخ **بيار الجميل** اشارة واضحة الى اتفاق اقطاب اليمين على مخطط الكانتونات ، فقد تحدث عن بناء لبنان عن طريق احياء التعايش الاسلامي المسيحي ، وقال ان ذلك غير ممكن « الا اذا اتيح للمسيحيين ان يمارسوا نوعا من العناية المباشرة بشؤونهم ٠٠٠ ان يتاح لهم ان يكونوا احرارا في مناطقهم على الاقل ، فلا تفرض عليهم الفوضى الفلسطينية ولا مطامع اليسار الدولي ولا شهوة الاقلية الفاجرة الى التسلط والسيطرة» (٥)٠
وفي اليوم التالي صعد صراحته الى حد الدعوة الى نظام لامركزي يكون اساسه « الوحدة في التعددية » ٠ وفهم الجميع ان الترجمة الصحيحة لكلامه هي الدعوة الى اقامة نظام الكانتونات (٦) ٠

وعندما اصبح هذا النظام المشروع المفضل لليمين اللبناني اسرع الدكتور **هنري كيسنجر** ( وزير الخارجية الاميركية آنذاك ) الى الترويج له عن طريق الحديث عن مشروع اعادة توحيد لبنان على اساس الكانتونات ، لانه « يجب ان يكون لكل من الطائفتين المسيحية والاسلامية نمط حياة خاص يتوافق مع التقاليد الخاصة بكل منهما » (٧) ٠

وفي تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي ، اقترحت اللجنة السياسية المنبثقة من « **مؤتمر البحوث اللبنانية ــ الكسليك** » اربع صيغ لبناء لبنان الجديد ، دون ان تخفي تفضيلها للشكل الاتحادي للدولة ٠ والصيغ الاربع هي :

١ ــ صيغة الميثاق الوطني المعدل بموجب وثيقة ١٤ ــ ٢ ــ ١٩٧٦ ( اي ما سمي بالوثيقة الدستورية ) ٠

٢ ــ صيغة الدولة الوحدوية العلمانية ٠

٣ ــ صيغة الدولة الاتحادية المؤلفة من مقاطعات ذات استقلال داخلي واسع ، يتأمن داخل كل منها اكبر مقدار ممكن من التجانس السكاني ، وتلتقي

في اتحاد تمارس داخله مشاركة متساوية فيالحكم وتتمتع كل منها بحق النقض·

٤ ـ صيغة الدولة الفدرالية ذات المقاطعات التي تتمتع باستقلال داخلي وتشارك في الحكم المركزي دون ان يكون لها حق النقض ، اذ ان المناصفة في التمثيل والتصويت باكثرية مزدوجة يعوضان ضمانات هذا الحق (٨) ·

وتبنى حزب الوطنيين الاحرار فكرة الكانتونات ، فدعا الرئيس شمعون الى تطبيقها على الطريقة السويسرية بحيث يكون لكل كانتون دستوره وجهاز حكمه· ولكن المحامي موسى برنس ( وهو من المنظرين في الحزب ) اقترح مشروعا ، عرضته صحيفة الحزب مع خرائط تفصيلية ، واسماه « المناطقية » ، تصل اللامركزية فيه الى درجة الكونفدرالية ، ليس بين الطوائف ، وانما بين المناطق الثلاث التي سيتكون منها لبنان الجديد (٩) ·

ونلاحظ ان كل حديث عن الكانتونات يقترن بالمثال السويسري ويتضمن رغبة عارمة في تحويل لبنان الى سويسرا شرقية ، او سويسرا الشرق · ويبدو ان اعجاب اليمين اللبناني بسويسرا له ما يبرره ، فهو نابع ، في الدرجة الاولى، من المركز الرفيع الذي تتبوأهسويسرافي مجالالقدرةالمالية والاقتصادية،فعلىرغم ضالة مساحتها ( ٢٩٥ر٤١ كلم٢ ) ، وقلة سكانها ( ٠٠٠ر٤٣١ر٦ ) فانها تعتبر السوق المالي الاول في العالم ، والسوق العالمي الاول للذهب ، والسوق العالمي الاول لتثنيه التأمين Réassurance · وتأتي في المرتبة الثالثة في العالم من حيث القوة المالية ، وفي المرتبة الحادية عشرة من حيث القوة الصناعية · وهي مركز اقوى صناعة غذائية في العالم · والسويسريون هم الشعب الثاني الاكثر ثراء في الدنيا (١٠) · وفي بلادهم اكثر من اربعة الاف مصرف ، ففي مدينة لوغانو Lugano وحدها ، التي لا يزيد عدد سكانها على ٢٥ الف نسمة ، اكثر من ٣٠٠ مصرف ، وشركة مالية ، ووكالة استثمار ·

واعجاب اليمين اللبناني بالنظام السويسري ليس بالامر المستغرب ، لان اليمين ، انى كان ، يطمح الى تبني النظام السياسي والاقتصادي الذي يستطيع ان يحقق له اكبر قدر ممكن من الخدمات والتسهيلات ·

ويمكننا تلخيص الميزات البارزة التي يتسم بها النظام السويسري ، والتي تستهوي اهل اليمين في كل قطر وتجعلهم يتمنون نقل التجربة السويسرية الى اوطانهم ، بالامور الاربعة التالية :

١ ـ المركز المالي والمصرفي الحر الذي تتمتع به سويسرا ·

٢ ـ نظامها الاقتصادي الذي يجعلها من اغنى الدول ٠

٣ ـ نظامها البرلماني الديموقراطي الذي يطبق بحكمة ومسؤولية ٠

٤ ـ حيادها الذي يضرب به المثل ٠

ولو تركنا جانبا ما تزودنا به وسائل الاعلام ( التي توجهها الاحتكارات الدولية ) عن الاوضاع السويسرية ، وحاولنا الغوص في الاعماق ، فماذا نجد في سويسرا ؟ هل يستحق نظامها السياسي والاجتماعي والمالي والمصرفي تلك الهالة من القداسة والاكبار التي تضفى عليه ؟ هل يصلح النظام السويسري لان يكون قدوة حسنة للدول ، ولا سيما النامية منها ، التي تسعى ، بالطرق الشريفة والمشروعة ، الى توفير السعادة الدائمة لمواطنيها والاسهام مع غيرها من الدول المحبة للسلام في ازالة اسباب الخصام ؟ وبتساؤل موجز : هل سويسرا هي ، حقا ، ذلك البلد المثالي الساحر الذي تتحدث عنه بعض الكتب كما تتحدث الكتب السماوية عن الجنة التي وعد بها المتقون ؟

ان لسويسرا وجها اخر غير مالوف يختلف كل الاختلاف عن الصورة المرتسمة في اذهاننا عنها ٠ ولعل الامبريالية العالمية ( المستفيدة الاولى من الخدمات التي يوفرها لها هذا البلد ) هي التي تحرص كل الحرص على اخفاء وجهها الحقيقي خوفا من تعرض وجودها ومصالحها للخطر ٠

وللكشف عن الوجه الاخر يمكننا الاعتماد على ما كتبه بعض المفكرين السويسريين المرموقين ، من ذوي الضمائر الحية والجراة النادرة والوطنية الصادقة ٠ ويأتي جان زيغلر Jean Zeigler ، الاستاذ الجامعي والنائب في البرلمان السويسري ، في طليعتهم ٠ فقد نشر في العام الماضي كتابا رائعا بعنوان « سويسرا فوق كل شبهة » ، أعتبر فيه ان وطنه اصبح العقل المدبر لوحش عالمي اسمه الامبريالية ٠ ومن هذا الكتاب القيم سنستقي كثيرا من المعلومات (١١) ٠

**ثانيا ـ الوجه الاخر لمركز سويسرا المالي والمصرفي ٠**

يريد اهل اليمين ان يصبح لبنان ، كسويسرا ، مركزا ماليا ومصرفيا حرا تتكدس فيه اموال الدنيا ٠ وهم يعلمون ان لبنان لن يصبح كذلك الا اذا وافق شعبه على ان يقوم بلده بتأدية نفس الدور الذي تمارسه سويسرا داخل النظام الامبريالي العالمي ٠ فسويسرا تقوم بدور المخبأ او المخزن او المستودع لمسروقات

الامبريالية · ان الاوليغارشية الامبريالية ، المتواطئة مع الاوليغارشيات المحلية ، تحتاج الى بلد آمن يسمح تشريعه المصرفي وتسهيلاته النقدية واستقراره السياسي بتكديس الاموال المسروقة من العالم الثالث فيه واستثمارها من جديد بغية تحقيق ارباح جديدة خيالية ·

وقد وجدت الاوليغارشية العالمية ضالتها في سويسرا · ولم يخيب حكام سويسرا آمالها · فالاموال المسروقة تحول الى سويسرا بوسائل مشروعة وغير مشروعة · والمصارف نفسها تشارك سرا في تنفيذ هذه المهمة · وهناك مهربون محترفون ينقلون الاموال النقدية من مختلف الدول الى المصارف السويسرية مقابل عمولة تصل احيانا الى ٧ ٪ (١٢) ·

والغريب او المستغرب ان الصحافة ، بشكل عام ، تحجم عن نشر اية معلومات رسمية عن مقدار المبالغ الفلكية المهربة الى سويسرا · وكلما سئل المجلس الفدرالي ( الحكومة ) عن ذلك اكد جهله بحجم هذه المبالغ ، وبمصدرها، وبامكنة ايداعها ، مع ان الجميع يعلمون ان المصارف الخمسة الرئيسية في سويسرا تسيطر وحدها على نسبة من المبالغ توازي قيمة الانتاج القومي ، وان الرساميل المهربة لا تخضع للضريبة في اقطارها الاصلية ، وان بعض هذه الرساميل هو ثمرة اعمال اجرامية قابلة للعقاب ، وان مصدر كميات كبرى من الاموال هو الطبقات الحاكمة في الدول النامية ، وان الدول التي تفقدها تتشدد عادة في اخراج الرساميل منها · ويمكننا ايراد ثلاثة امثلة :

١ ـ بعد انهيار النظام الدكتاتوري في البرتغال ، في نيسان ( ابريل ) ١٩٧٤ ، هربت اموال كثيرة الى الخارج ، على الرغم من صدور مراسيم تحظر ذلك · وفي تموز ( يوليو ) ١٩٧٥ ، نشر مصرف البرتغال تقريرا جاء فيه ان اكثر من مليار (اسكودو ) هربت من البلاد بشكل اوراق نقدية ما بين نيسان ١٩٧٤ ونيسان ١٩٧٥ ، وان مصارف الدول التي تلقت هذه المبالغ قد اعادتها الى مصرف البرتغال لاستبدالها بالذهب او بالعملات الصعبة · واكد التقرير انه كان للمصرف الوطني السويسري حصة الاسد في هذه العملية ·

٢ ـ عندما خلع الانقلابيون الاثيوبيون ، في ايلول (سبتمبر) ١٩٧٤ ، الامبراطور هيلاسيلاسي ، اكتشفوا انه كان يستولي على كميات الذهب المستخرجة من بلاده ويحولها الى الخارج · وقدروا ان الرساميل التي اودعها في المصارف الاجنبية ، ولا سيما في المصارف السويسرية ، تبلغ ٦ مليارات من الدولارات · وقد اقدم على ذلك على الرغم من فقر شعبه وحاجة بلده الى

الرسامل لانجاز بعض المشاريع العمرانية واستثمار بعض الخيرات المدفونة في الارض ·

٢ ــ في ١٢ نيسان ( ابريل ) ١٩٧٥ ، ذكرت مجلة « التايم » ان طائـــرة سويسرية حطت في مطار سايغون في نهاية مارس من نفس العام ، اي قبل ايام من الاطاحة بالجنرال ثيو ، رئيس جمهورية فيتنام الجنوبية ، والماريشال لون نول ، رئيس جمهورية كمبوديا ، وكانت تحمل مواد غذائية ومعدات طبية · وبعد تفريغ شحنتها اتصل رجال القصر الجمهوري في سايغون بقائدها وطلبوا منـــه نقل ١٦ طنا من الذهب الى سويسرا لحساب الرئيسين المذكورين ·

★ ★

ويبدي اهل اليمين اعجابهم البالغ بسرية المصارف في سويسرا ، فما هي، في الحقيقة ، سرية المصارف ؟

انها اسلوب متقن وبارع يقضي بتشجيع بعض المارقين من رجال الحكـــم في الدول النامية على تهريب اموال شعوبهم واخفائها في دهاليز المصــــارف السويسرية ·وهي كذلك اسلوب ذكي للاستيلاء على ما يتيسر من هذه الامـــوال عندما تسمح الظروف بذلك ·

واذا حدث،مثلا،ان اودع مبلغ ما في احد المصارف السويسرية واحيط بالسرية التامة ، ولكن تبين فيما بعد ان المبلغ مسروق وان هناك من يطالب به ، فانـــه يصبح بحكم المستحيل تقريبا استعادة المبلغ · فلكي يحق لمدع ما حجز حساب للغير في المصرف يتوجب عليه التقدم بطلب يحدد فيه اسم صاحب الحســـاب ، وهويته ، ورقم حسابه ، واسم مصرف الايداع ، والقيمة التقريبية للمبلغ المودع· ومن النادر ان تكون في حوزته كل هذه المعلومات · وحتى لو حصل عليها ورفعها الى السلطات المختصة فمن المحتمل ( والتجارب تثبت ذلك ) الا يحصـــل علـــى بغيته · ولو تصورنا ان الشكوى رفعت الى المراجع القضائية فـان صاحـــب الحساب لا يعدم وسيلة لتهريبه ، فيكفيه ان يتصل هاتفيا بالمصرف ليطلب منـــه تغيير رقم حسابه فورا ، او تحويل الحساب الى مكان او مصرف اخر ·

ان عددا كبيرا من القادة والسياسيين الذين سيطروا على مقدرات الـدول النامية ( واحيانا مقدرات الدول المتقدمة ) قد تمكنوا من الاستيلاء على قسم مـن ثروات بلادهم وتحويله الى المصارف السويسرية · وبعد الاطاحة بهم لم يتمكن القادة الجدد الذين حلوا محلهم من استعادة هذه الاموال بسبب سرية المصارف· فالنظام الجديد الذي خلف نظام الدكتاتور تروخيليو ، الرئيس السابق لجمهورية الدومينيكان ، طالب مرات ومرات باستعادة الاموال التي ابتزها ابناء تروخيليو

واودعوها مصارف سويسرا ، فلم يوفق حتى الان · وتقدر هذه الاموال بنصف مليار دولار ·

وقصة محمد خيضر واموال جبهة التحرير الجزائرية المودعة في احد المصارف السويسرية ما زالت ماثلة في الاذهان · فقد كان خيضر امينا لصندوق الجبهة · وقبل استقلال الجزائر اودع البنك التجاري العربي ( وهو سويسري ) مبلغ خمسين مليون فرنك سويسري · وفي عام ١٩٦٤ ، وعلى اثر الخلافات بين اعضاء المكتب السياسي للجبهة ، حل السيد آيت حسين محل خيضر ، فعهدت اليه الحكومة باسترجاع المبالغ من سويسرا · ولكن خيضر سارع الى تحويل قسم منها الىخارج سويسرا · ورفعت القضية الى المحاكم السويسرية حتى وصلت الى المحكمة الفدرالية في لوزان ( وهي المحكمة العليا في البلاد ) ، فكان جوابها واضحا : ان خيضر هو الذي وضع المبلغ في المصرف ، والمصرف لن يسلمها الا لصاحبها · وهذا الحكم قد صدر في صيف عام ١٩٧٤ ، اي بعد عشر سنوات من اقامة الدعوى ، وبعد اغتيال خيضر · وما زالت اموال الجبهة ( وهي مبالغ مكونة من الاشتراكات المالية التي تبرع بها العمال الجزائريون في فرنسا ما بين عام ١٩٥٤ و ١٩٦٢ ) قابعة في خزائن المصرف السويسري · وقد تبقى مدة في حوزة المصرف قبل ان تصدر الحكومة السويسرية مرسوما بتوزيعها على المؤسسات الخيرية ، ومنها المبرات اليهودية (١٣) ·

**وماذاتفعل سويسرا بالرساميل المهربة والمخزونة في مصارفها ؟**

ان الطبقة الحاكمة تدلي بعدة حجج ، لعل اهمها الحجة القائلة بان هذه الرساميل ضرورية لتمويل الانتاج القومي في سويسرا · ولكن الحجة واهية لان الادخار القومي فيها يكفي وحده لتمويل كل مشاريع الازدهار الاقتصادي · ان الرساميل المهربة ضرورية ، في الحقيقة ، لشيء اخر ، لتمويل عمليات مشبوهة ومغامرات استغلالية ترسمها الامبريالية وتنفذها الانظمة المتواطئة معها · وما حل بدولة التشيلي اعظم مثل على ذلك ·

ففي الخمسينات من هذا القرن ، وبعد ظهور بعض الحركات الوطنية في العالم النامي ،قررت الامبريالية العالمية التصدي بسرعة لاية حركة تحررية·وهذا ما فعلته ، وبشكل مباشر ، في دول اميركا اللاتينية ابتداء من عام ١٩٥٦ ، وخصوصا بعد نجاح حركة كاسترو في كوبا · وهذا ما فعلته كذلك في افريقية ، بعد نجاح الثورة المصرية في عام ١٩٥٢ ، وظهور لومومبا في الكونجو البلجيكي في عام ١٩٦٠ ·

ولكن هزيمتها في فيتنام لقنتها درسا يتلخص في وجوب الاعتماد على الحلفاء

والعملاء لقمع حركات التحرر • وغيرت اسلوب عملها ، فلم تعد تتدخل مباشرة، بل اصبحت تعتمد على الانظمة الخاضعة لها ، او المتواطئة معها ، للقيام بنفس الدور • ومثل ظفار لا يحتاج الى شرح • ان الامبريالية العالمية تقف بالمرصاد لاية حركة ترمي الى تغيير اي نظام رجعي او متخلف ، والانظمة العميلة تنتظر اشارة منها للانقضاض على بوادر التحرر •

وحتى لو حدثت الثورة الداخلية بالطرق السلمية والدستورية فان الامبريالية مستعدة لخنقها ماليا واقتصاديا • وما حصل في التشيلي مثال صارخ على التكتيك المستحدث الذي تتبعه الامبريالية • فمنذ ان تسلم الرئيس المنتخب الراحل ، سلفادور اللندي ، سلطاته الدستورية ، في اواخر عام ١٩٧٠، بدأت الامبريالية تنظم وتنفذ اعمال التخريب والمقاطعة ضد اقتصاد التشيلي • وكان للاوليغارشية السويسرية الحاكمة باع طويل في خنق النظام الديموقراطي الذي اطل على هذا البلد • وقد تم ذلك بواسطة تخريب القطاعات المهمة في اقتصاده ، وخصوصا قطاع المواد الغذائية الذي تسيطر عليه الشركات السويسرية • ودخلت الامبراطوريات المصرفية السويسرية حلبة الصراع فامتنعت عن تقديم اي اعتماد او عون للنظام الجديد • واشتركت وكالة الاستخبارات الاميركية في المؤامرة فافسدت ( باعتراف رئيسها السابق ) كبار الموظفين وحرضتهم على ارتكاب الاخطاء الجسيمة لعرقلة اعمال الدولة ( ١٤ ) ، ولم تتورع عن توزيع ملايين الدولارات في البلد وتحريض اعضاء النقابات على الاضرابات والاستمرار فيها مقابل اغراءات مالية كبيرة (١٥) • ودمغت الحكومة السويسرية نفسها بالتواطؤ عندما رفضت ، خلافا للبروتوكول ، تنكيس اعلامها عند مقتل الرئيس اللندي ، وارسال برقية تعزية الى ارملته •

### ثالثا ـ الوجه الاخر للنظام الاقتصادي الحر في سويسرا

لو قمنا بدراسة عميقة وموضوعية لهذا الاقتصاد لخرجنا منها بخيبة امل مريرة ، ولاكتشفنا ان سويسرا ليست سوى نظام تسيطر عليه اوليغارشية ضيقة الافق تسخر التشريع والانظمة السياسية والاقتصادية والانتخابية والعقائدية لخدمة مآربها • وبفضل نظام مصرفي مصاب بالتضخم او الانتفاخ غير الطبيعي يعتمد على السر المصرفي وعلى الحسابات المرتكزة الى الارقام لا الاسماء ، استطاعت هذه الاوليغارشية تحويل بلدها الى مخبأ ضروري لمسروقات النظام الراسمالي ، وتحويل نظامها الى جهاز امبريالي مساعد للامبريالية العالمية •

ان اسياد المصارف السويسرية الكبرى لا تقتصر اعمالهم على الشؤون المالية ، بل هم يمارسون كذلك وظائف سياسية • انهم ينجزون مهمات استعمارية،

فهم ، مثلا ، اشتركوا مع الامبريالية العالمية في خنق النظام الشعبي الديموقراطي في التشيلي عن طريق تخفيض الاعتمادات المصرفية له ثم قطعها عنه ٠ وهم يسهمون ، بقدراتهم المالية الهائلة ، في تعزيز الانظمة العنصرية في جنوب افريقية وروديسيا ، وفي اطالة عمر الانظمة الدكتاتورية الطاغية في مختلف انحاء العالم ٠ انهم يفسدون الرأي العام في سويسرا ويشوهون نضال الشعب السويسري عندما يحاولون اقناعه بوجود انسجام او تناغم تام بين مصالحه واهدافه الوطنية وبين استراتيجيتهم القائمة على نهب ثروات الشعوب المسحوقة٠

ان الامبريالية ، التي اعتبرها لينين اعلى مراحل الراسمالية ، تعاني اليوم ازمة ٠ ولكنها ليست ازمة احتضار ، بل ازمة تكيف واعادة تكوين ٠ ان الهدف الاساسي للامبريالية هو استغلال الشعوب ٠ وكانت طريقة الاستغلال في الماضي تتم بواسطة دولة او دول قوية ٠ وبعد ظهور المعسكرين العالميين وانتشار نزعة الاستقلال والحرية لدى الشعوب المضطهدة ، ادركت الامبريالية ان الاسلوب القديم لم يعد صالحا او قابلا للحياة ، فعمدت الى تبني اسلوب اخر لا يعتمد على الاجتياح والاحتلال ٠ لقد حلت الشركات العالمية ذات الجنسيات المتعددة محل الدول الاستعمارية ٠ وتهدف هذه الشركات الى تحقيق اكبر قدر من المكاسب المادية عن طريق سيطرتها على الانظمة السياسية في العالم ٠ وقد عمدت مؤخرا الى الغاء فكرة التنافس فيما بينها لئلا يسيء ذلك الى قدرتها على نهب الشعوب٠

وسويسرا هي اليوم المقر المركزي والرئيسي لهذه الشركات الضخمة ٠ وهي تقوم بدور الحليف للامبريالية العالمية ٠ وعلاقاتها الاقتصادية والتجارية بالدول النامية مؤشر مهم ، ففي عام ١٩٧١ ( وحسب احصاءات الادارة الفدرالية للجمارك في سويسرا ) كانت قيمة الصادرات السويسرية الى هذه الدول ٩ر٤ مليارات من الفرنك السويسري ، مقابل ٦ر٢ مليارات من الواردات ٠ وفي نهاية عام ١٩٧٢ ، بلغت قيمة الاستثمارات السويسرية الخاصة في العالم الثالث ٤ مليارات ٠

## رابعا ـ الوجه الاخر للديموقراطية السويسرية

عندما يسال عشاق الديموقراطية السويسرية عن سر ولههم بها يجيبون بان الامر بسيط لا يحتاج الى شروح ٠ ان السر يكمن في ان هذا النظام الديموقراطي يزخر بميزات كثيرة ، اهمها : قدرته على تحقيق التطور السياسي للبلد بشكل هادىء ورصين ، وكفالته لحرية الراي والتعبير ، وتامينه لحرية العمل الجاد والمنافسة الشريفة للاحزاب السياسية ، وتطبيقه لنظام برلماني سليم ٠ غير ان هذه الميزات ، عندما توضع تحت مجهر الواقع الاليم ، لا تقوى على الصمود ٠

١ ـ ان المتعمقين في الدراسات السويسرية يؤكدون ان تاريخ سويسرا لم يكن هادئا ، وان تطورها السياسي ، عبر العصور ، لم يكتمل الا عبر المآسي والآلام · فاصل الاتحاد السويسري يعود الى ميثاق التحالف الذي ابرمته ، في عام ١٢٩١ ، ثلاث مقاطعات بقصد الدفاع عن نفسها ضد السيطرة النمساوية والجرمانية · وفي عام ١٣١٥ ، جرت معارك طاحنة حاسمة بين الطرفين انتهت بطرد المستعمر الاجنبي من المقاطعات · وارتفع عدد المقاطعات ، آنذاك ، الى الثلاث عشرة ، واتسم تاريخ البلاد بسيطرة الاقطاعية والمركزية وبانتشار الفوضى والاضطرابات في العلاقات المتبادلة بين المقاطعات ·

وفي نهاية القرن الثامن عشر بدأت العناصر التقدمية في الشعب السويسري تتحرك للمطالبة بالوحدة الوطنية وبتحويل الكانتونات الى دولة موحدة · وكانت الثورة الفرنسية مناسبة كبرى للتعبير عن نقمة الشعب السويسري على النظام الاقطاعي المستبد ونظام كانتوناته الهزيل ·ولكن الجيوش الفرنسية التي احتلت سويسرا ، في عام ١٧٩٨ ، وفرضت عليها دستورا جعلتها بموجبه « جمهورية سويسرية موحدة وغير قابلة للتجزئة » ارتكبت خطأ فادحا عندما ارادت اخضاعها لتوحيد مطلق سابق لاوانه ، على غرار التوحيد الذي حققته الثورة في فرنسا · وكان من نتيجة هذا الخطأ ان نشبت ، في عام ١٨٠٠، ثورة في سويسرا اطاحت بالحكومة التي تشكلت بحماية حكومة « المديرين » الفرنسية · وبعد عام اندلعت حرب اهلية بين المقاطعات حدت بنابليون الى التدخل ( ١٦ ) ·

وفي عام ١٨١٥ ، وعلى اثر انهيار الامبراطورية النابليونية ، ارتفع عدد المقاطعات المنضمة الى التحالف السويسري الى اثنتين وعشرين ، وظهر في البلاد تياران : وحدوي واتحادي · غير ان كفة التيار الاتحادي هي التي رجحت·

وتاثرت سويسرا ، في النصف الاول من القرن المنصرم ، بالتيارات الديموقراطية والتحررية التي هبت على الغرب · وشهدت الصناعة فيها تطورا محسوسا حملها على توحيد انظمتها المالية والاقتصادية ، والغاء الجمارك بين مقاطعاتها ، والبحث عن اسواق خارجية لتصريف منتوجاتها · ولكن الخلافات والمنازعات الدينية عادت لتعكر صفو العلاقات بين المقاطعات الكاثوليكية ( الاقل عددا وثروة ) والمقاطعات البروتستانتية · وفي عام ١٨٤٧ ، اندلعت حرب اهلية خاطفة فيها انتهت بانتصار المقاطعات الاخيرة ·

وما دمنا نتصفح تاريخ سويسرا فلا بد لنا من قراءة صفحة سوداء فيه · لقد عرف السويسريون ، بعد عام ١٣١٥ ، فترة سلام اتسمت بتكاثر السكان

وقلة الموارد · ولكن حكامهم ، الذين كانوا ينتمون الى الطبقة الاقطاعية ، استنبطوا حينئذ وسيلة بارعة وغريبة لحل مشكلة التضخم السكاني ، فراحوا يبيعون او يؤجرون ، علنا ورسميا ، العدد الفائض من مواطنيهم للحكومات الاوروبية التي كانت تستخدمهم كمرتزقة في جيوشها وتخوض ، بسيوفهم وارواحهم ، حروب التوسع والسيطرة ، ارضاء لنزوات ملوكها او تحقيقا لاطماعهم ، فكان ابناء المقاطعات السويسرية ، وجلهم من الفقراء المعدمين ، يموتون او يشوهون من اجل اهداف لا تعود على بلدهم باي نفع او خير · وفي نهاية القرن الثامن عشركان هناك اكثر من سبعين الف سويسري مجندين ، بشكل دائم ، في الجيوش الاوروبية ·

ومما تقدم نستنتج ان تاريخ سويسرا لم يكن ، كما يتصور البعض ، ناصع البياض ، وان تطورها السياسي والاجتماعي لم يتم ، كما يزعم البعض ، بشكل متزن وهادىء ·

٢ ــ والمطلعون على الاوضاع العامة في سويسرا يعرفون ان الدستور ينص على وجوب احترام الحريات العامة ، وخصوصا حرية الراي والتعبير ، ولكنهم يعرفون كذلك ان ثمة فرقا او هوة بين النص المكتوب والممارسة الفعلية · ان معظم الدول التي تخضع لانظمة رأسمالية او اوليغارشية تحرص على تزيين دساتيرها باروع ما قيل عن تقديس الحريات العامة ،تاركة لرجالها مهمة التلاعب بهذه الحريات والتحايل عليها ·

صحيح ان الحريات العامة في سويسرا مكفولة دستوريا · وصحيح ان المواطن يستطيع ، اذا شاء ، ان يعبر عن رأيه ومعتقده بمختلف السبل المتوافرة· وصحيح ان الحاكمين والمسؤولين يتعرضون ، من وقت لاخر ،لانتقادات واتهامات لاذعة فيتقبلونها برحابة صدر · ولكن كل ذلك يجري ضمن المخطط الذي تضعه وتنظمه الاوليغارشية الحاكمة · ان حرية الراي مصونة ، نظريا ، ولكنها في الواقع مقيدة · ان النظام القائم قد رسم لها حدودا معينة لا يجوز لها ان تتجاوزها · وكل مخالفة للاسس والركائز التي يقوم عليها النظام توصف بانها هدامة وخطرة ، وتقمع فورا او بعد حين ، ويتعرض صاحبها لانواع شتى من الضغط والوعيد والتهديد ·

ان النائب في البرلمان السويسري يتمتع بالحصانة التي تخوله حق التعبير عن ارائه بحرية تامة وبمختلف الوسائل ، الا ان اقدامه على خرق حرمة « المقدسات » التي يفرضها النظام يعرضه لحملة فورية وواسعة النطاق من القمع او التهديد او العزل الاجتماعي · فهو ، في البداية ، ينعت بانه غير رصين ·ثم توصف آراؤه واقواله بالتطرف والتهور · وبعد ذلك يعمد اهل النظام الى شن

حملة قدح وذم وتحقير ضده ، من شانها الحط من قدره في اعين المواطنين • وهذا ما خبره السيد Arthur Villard ، النائب الاشتراكي في البرلمان ، عندما حمل على الحكومة لبيعها الطائرات السويسرية من طراز Pilatus-Porter الى الولايات المتحدة وحلفائها واستخدامها في حرب الابادة في فيتنام (١٧) •

والمؤلم حقا ان اهل النظام ما زالوا حتى اليوم يبررون كل تفاوت طبقي ، او على الاقل كل تفاوت في الاجور والرواتب ، بنظريات بالية عفى عليها الزمن ، مثل نظرية « منطق الاشياء » او « طبيعة الاشياء » •

واذا كانت المعارضة ، في كل بلد ديموقراطي ، هي الوجه الاساسي البارز لحرية الرأي والتعبير ، فان اهل النظام في سويسرا يبذلون الجهود ويجندون الطاقات للحيلولة دون توافر الظروف والفرص لظهور معارضة نوعية بناءة • انهم ، على غرار ما يحدث في دول اوليغارشية كثيرة ، يسمحون بانتقاد كل شيء ما عدا الايديولوجية التي يعتنقونها • انهم يتساهلون بانتقاد الشكل ويفاخرون الغير بمدى ما وصلت اليه الحرية في بلادهم ، اما الجوهر الذي يتناول اسس النظام فشيء مقدس لا يخضع للنقد ولا يحتمل المناقشة • ولو حاول احد المواطنين يوما ان يتسلح بالجرأة ويهاجم « مقدسات » النظام لهبت في وجهه على الفور ، ومن كل الجهات ، زوابع عاتية كفيلة باخراسه او تحطيم مستقبله •

٣ ـ والمتخصصون في علم الاجتماع والسياسة يجزمون بأن الاحزاب السياسية في سويسرا لا تقوم بدورها المطلوب ولا تتنافس في سبيل الخير العام• ان حكام سويسرا يشيدون بنظامهم الديموقراطي الذي لا يخضع لدكتاتورية البروليتاريا، ولا لسطوة الحزب الواحد ، بل لحكم الاحزاب المتحالفة المتعاونة • ولكن ما هي القيمة الفعلية للاحزاب السويسرية ، ولا سيما للاحزاب الحاكمة ؟ وما هي الفروق الايديولوجية البارزة بينها ؟ وما هو مدى تاثيرها في الحياة العامة ؟

في سويسرا ٢٩ حزبا • وفيها ثلاثة ملايين ناخب ، لا ينتسب الى الاحزاب اكثر من ١٠ ٪ منهم • وغالبية الاحزاب تنشط على صعيد اقليمي دون ان يكون لها تاثير في بقية اجزاء الوطن • هناك ثلاثة احزاب فقط لها وجود ملموس في معظم الكانتونات • والثلاثة ، مجتمعة ومتآلفة ، لا تحصل على اكثر من ٢٠ ٪ من اصوات المقترعين • وهذا يعني ان ليس في البلاد حزب كبير يمثل الاغلبية •

واذا كانت وسائل الاعلام الموجه في العالم تتحدث باعجاب وتقدير عن مدى الوعي الاجتماعي والسياسي الذي يتمتع به المواطن السويسري ، فان

الحرص على تأدية الواجب الانتخابي يجب ان يكون من مقومات هذا الوعي ٠ ولكن الاحصاءات تشير الى عدم اكتراث هذا المواطن كليا بالشؤون الانتخابية، فظاهرة الامتناع عن الاقتراع في سويسرا امر يسترعي الانتباه ويستدعي التحليل والتفسير ٠ ففي انتخابات عام ١٩٧٢ ، ضرب الامتناع رقما قياسيا فتجاوز ٦٧ ٪ ٠ وهذه النسبة تقلل من اهمية التمثيل الشعبي وتجعل من البرلمان مذبرا لا يمثل اكثر من ٣٠ ٪ من الناخبين ، واكثر من ١٤ ٪ من المواطنين ( اذا اخذنا بعين الاعتبار عدد المقترعين وعدد السكان ) ٠

٤ ـ وعلماء السياسة يرون ان النظام البرلماني السويسري لا يستحق كل هذه الضجة التي تثار حوله ٠ فهذا النظام ، ككل نظام اتحادي ، يتكون من برلمان ( يسمى الجمعية الفدرالية ) ذي هيئتين تسميان في سويسرا : المجلس الوطني ومجلس الولايات ٠ والمجلسان يتمتعان بصلاحيات متشابهة ، ويتكون الاول من ٢٠٠ نائب ينتخبون لمدة اربع سنوات بطريقة الاقتراع او التمثيل النسبي ، ويشكل كل كانتون ( او ولاية ) دائرة انتخابية ٠ اما مجلس الولايات فيتكون من ٤٤ نائبا ، بمعدل ممثلين اثنين عن كل كانتون ٠

ودراسة بسيطة للحياة البرلمانية في سويسرا تؤكد لنا ان البرلمان لا يمثل الشعب السويسري تمثيلا صحيحا :

ا ـ فالمواطنون الذين تتراوح اعمارهم ما بين ٢٠ و ٤٠ عاما يمثلون الغالبية في الهيئة الانتخابية ، ولكن ٧ ٪ من النواب فقط تنتمي الى هذه الفئة٠

ب ـ والنساء يشكلن ٥٣ ٪ من الهيئة الناخبة ، ولكن ١٥ امراة فقط استطعن الوصول الى مقاعد البرلمان ٠ هذا مع العلم ان حق الانتخاب لم يمنح للمراة السويسرية الا في عام ١٩٧١ ، في حين ان المراة اللبنانية قد نالت هذا الحق منذ عام ١٩٥٢ ٠

جـ ـ وفي سويسرا ٣٥٠ر١ ٠٠٠ر عامل ، وليس لهم سوى ممثل واحد ٠

د ـ والعائلات الغنية الكبرى تتوارث ، ابنا عن اب ، المناصب النيابية ، ففي كل دورة انتخابية يلاحظ المراقبون ان نسبة التغيير في وجوه النواب ضئيلة وان الابناء والانسباء يخلفون الراحلين او المتقاعدين او المتغيبين من النواب السابقين ٠

هـ ـ والدخل السنوي المتوسط للمواطن لا يتجاوز ١٨ الف فرنك ، اما الدخل المتوسط المعلن للنائب فيتجاوز ٥٣ الفا ٠

والاوليغارشية السويسرية تحكم سيطرتها على البرلمان ليبقى التشريع

رهن ارادتها · وكلما رغب نائب في مناقشة بعض القضايا التي تمس جوهر النظام ، او عمل المصارف ، او العلاقات الخارجية ، تصدت له الاوليغارشية وثبطت من عزيمته · وهي تتبع اسلوبا ماهرا في الهيمنة على اعضاء البرلمان والحكومة ، وفي ترويضهم وتوظيفهم لخدمة مصالحها · انها تسيطر على معظم الشركات الكبرى ذات النفوذ الواسع · وكلما توسمت خيرا في نائب جديد وجهت اليه سهام الترغيب والاغراء وعرضت عليه عضوية مجالس الادارة في شركاتها · بل انها تكافئه احيانا ( وخصوصا عندما تتثبت من كفاءاته وتتلقى خدماته ) بترفيعه الى رئيس لمجلس ادارة احدى الشركات · وكل ذلك مقابل تعويضات مالية مغرية · و٨٢ ٪ من نواب البرلمان السابق كانوا اعضاء في مختلف مجالس الادارة ·

وفي سويسرا حكومة ، تسمى المجلس الفدرالي ، مكونة من سبعة اعضاء تنتخبهم الجمعية الفدرالية ( البرلمان ) في بداية كل دورة تشريعية · ويتناوب السبعة على الرئاسة ونيابة الرئاسة · ويعتبر رئيس المجلس الفدرالي رئيسا للاتحاد السويسري · وليس للرئيس صلاحيات خاصة · انه يتولى تمثيل الاتحاد في الداخل والخارج ويدير جلسات المجلس · والحكومة ليست مسؤولة امام البرلمان ، ولا يمكن اسقاطها خلال الدورة التشريعية · انها تستمد فترة بقائها من عمر البرلمان ·

وهل يطلب من الوزير ، قبل انتخابه او بعده ، مؤهلات او كفاءات معينة ؟ يطلب منه ان يلتزم الصمت الطويل ، فلا يتدخل في المناقشات العامة الا بحكمة وحذر ، ولا يبدي اي رأي او يقدم اي اقتراح من شأنه عرقلة مخططات الاوليغارشية المهيمنة · المطلوب منه ، باختصار ، ان يكون انسانا مغمورا وطيعا لا لون له ولا طعم ·



ذلك هو الوجه الحقيقي للديموقراطية السويسرية · والفئات اللبنانية المغرمة بالتجربة السويسرية تصر على نقلها الى لبنان لانها تمكنها ، باسم الديمقراطية والحرية ، من توسيع حلقة امتيازاتها ، وستر عوراتها ، وتسخير الدولة لتحقيق ماربها · واذا كانت تظن ان اروع ما في هذه التجربة ليس النظام السياسي والاجتماعي وانما التزام الحياد ، فهي واهمة ، لان حياد سويسرا فقد فضائله منذ زمن وتحول الى اداة ووسيلة لخدمة مصالح الطبقة الحاكمة ·

## خامسا ـ الوجه الاخر للحياد السويسري

الحياد ، في القانون الدولي العام ، نوعان : مؤقت ودائم • والمؤقت موقف تلتزمه الدولة تجاه حرب معينة لا تود المشاركة فيها • وهو ينتهي بانتهاء الحرب • اما الحياد الدائم فهو مركز قانوني تتعهد فيه الدولة التي تتبناه بعدم اللجوء مطلقا الى القوة الا دفاعا عن نفسها • ومقابل ذلك تتعهد الدول المجاورة والكبرى ، عادة ، باحترام هذا الحياد وضمانه ضد كل دولة تحاول خرقه • وسياسة الدول الاوروبية في القرن التاسع عشر ، والرغبة في المحافظة على وجود الدول الصغيرة ، والحرص على تجنب الاحتكاك بين الدول الكبرى ،والميل الى ايجاد توازن دولي يقترن بسلام عالمي ، هي التي املت فكرة الحياد الدائم •

والمصدر الاساسي للحياد الدائم هو ، قبل كل شيء ، اتفاق دولي • وهذا الاتفاق قد يكون معاهدة جماعية ، كحياد بلجيكا لعامي ١٨٣١ و ١٨٣٩ ، وحياد اللوكسمبورج لعام ١٨٦٧ • وقد ينتج عن قرارات منفردة متضامنة كحياد سويسرا ، الذي صدر عن تصريح ادلت به الدول الموقعة على معاهدة باريس لعام ١٨١٥ ، وعن قرار وقعته الدول الكبرى والبرتغال في نفس العام واعترفت فيه بحياد سويسرا وبعزمها على حمايته واحترامه • وقبلت هذا القرار ، بعد ذلك ، دول عديدة • وحياد النمسا لعام ١٩٥٥ مر بنفس المراحل تقريبا •

والغرض الاساسي من الحياد الدائم هو تجنب الاخطار الحربية في منطقة يتنازع عليها الكبار ، او في منطقة يمكن ان تندلع منها شرارة الحرب اذا بقيت مسرحا للخصومات والمساومات • فالحياد هو ، اذن ، بمثابة وسيلة او محاولة تهدف الى توفير السلام في منطقة خطرة •

والى جانب هذا الغرض الجوهري هناك اهداف جانبية خاصة تختلف من دولة حيادية الى اخرى ، فحياد سويسرا ، الذي كان قبل عام ١٨١٥ ، تقليدا قديما لا يخضع لانظمة واضحة ، كان الغرض منه تجنيب المقاطعات السويسرية اخطار الحروب التي كانت محتدمة في اوروبة بين الدول الكاثوليكية والدول البروتستانتية • وبعد مؤتمر فيينا اصبح الهدف من حيادها اقامة سد منيع في وجه المطامع الفرنسية • وبعد تحقيق الوحدة في كل من ايطاليا والمانيا بدا الحياد كوسيلة فعالة لانقاذ سويسرا ، ذات القوميات واللغات والاديان المختلفة، من اطماع جيرانها الذين كانوا ينادون بوجوب تكوين الامم انطلاقا من مبدا القوميات • ويفسر البعض حياد سويسرا في الوقت الحاضر برغبتها في الابتعاد عن المنازعات بين الشرق والغرب وعن الاحلاف العسكرية •

والمعجبون بالحياد السويسري كثيرون ، ومنهم اهل اليمين اللبناني · وهم يعتقدون ان هذا الحياد مثل اعلى لكل دولة نامية ، ولكل دولة تضم قوميات ومذاهب متعددة · ويبالغ بعضهم فينسب اليه كل المحاسن والميزات والفضائل التي تشتهر بها سويسرا ·

وعندما ندقق مليا في الامر نجد ان الطبقة الاوليغارشية الحاكمة قد افرغت الحياد من مضمونه القانوني الاصيل لتتمكن من استغلاله في سبيل مصالحها · وهي تردد في كل مناسبة النظرية التي اذاعها مرة Pictet-de-Rochemont وهو دبلوماسي سويسري كان له دور بارز بعد مؤتمر فيينا لعام ١٨١٥ · فقد كان يحاول اقناع الدول الكبرى بضرورة الحفاظ على الحياد السويسري ، معتبرا ان سويسرا قد ارتضت الحياد لخدمة المصلحة الاوروبية · قال : « ان سويسرا لا تلتزم الحياد من اجل نفسها ، بل من اجل الاخرين ، لان وجود دولة حيادية في قلب اوروبة يتجاوب مع المصلحة الخاصة لكل دولة من دول القارة » · وقال في احدى المناسبات للسياسي المشهور مترنيخ : « ان الحياد السويسري هو في مصلحة جميع دول اوروبة » ·

غير ان الاديب الفرنسي Chateaubriand ( ١٧٣٢ ـ ١٧٩٩ ) كان ، من قبل ، قد اكتشف حقيقة هذا الحياد عندما قال : « ان السويسريين الذين يلتزمون الحياد خلال الثورات الكبرى التي تندلع في الدول المحيطة بهم يغتنون من مصائب غيرهم ويؤسسون مصرفا بفضل الكوارث الانسانية »·



ولو عدنا الى المعنى اللغوي لكلمة « محايد » في اللاتينية لالفينا انها تعني « لا هذا ولا ذاك » ، اي ان المحايد « ليس احد الاثنين » · وهذا يدل على ان الحياد عمل سلبي · وبما ان سويسرا كانت تمتنع باستمرار عن اتخاذ اي موقف في الحقل الدولي ، وترفض الافصاح عن اي اتجاه ، وتذهب في بعض الاحيان الى حد انكار حقيقة المنازعات التي تمزق الشعوب ، فان احد مفكريها ، A. Gorz قد اضطر الى التأكيد على ان « سويسرا لا وجود لها » ، بمعنى ان ليس لسويسرا ، في الحقيقة ، وجود دولي محسوس ·

ومع ذلك فان حكام سويسرا لا يملون من التطبيل والتهليل لحيادهم ، والحديث عن ضرورته لسلام العالم ، والتركيز على ايجابيته · واذا سئلوا عن ابرز معالم هذه الايجابية اجابوا بانها تتجلى في الوساطة · فهل تمارس سويسرا ، حقا ، هذا الدور ؟

ان دور الوساطة الذي تؤديه سويسرا ، من وقت الى وقت ، دور متواضع جدا لا يكاد ينكر • بل هو في الواقع لا يستحق هذه التسمية ، لانه ليس سوى تدبير بسيط تقوم به السلطات السويسرية ويسفر عن السماح لطرفين دوليين متنازعين بعقد اجتماعات او اجراء مفاوضات فوق ارضها • ان العامل الجغرافي هنا يتفوق على كل دور سياسي •

ففي عام ١٩٦٢ ، جرت في احدى المدن السويسرية مفاوضات بين الفرنسيين والجزائريين • الا ان سويسرا لم تكن ، بالنسبة الى هذا الحدث ، الا مكان لقاء للطرفين المتحاربين • ومع ان الحكومة السويسرية قد انتدبت احد سفرائها ليكون تحت تصرف الطرفين ، فانه لم يقم ابدا بمهمة وساطة ، بل قام بدور ساعي البريد • ولهذا قال المفكر Zeigler : « منذ الحرب العالمية الثانية لم تقبل الحكومة السويسرية مطلقا ، او بشكل اوضح لم يتح لها ان تمارس وظيفة وسيط حقيقية » (١٨) •

ولعل اخطر ما ينطوي عليه الحياد السويسري في الفترة الراهنة هو رعايته لتجارة الحرب او تجارة الموت • وتعد هذه التجارة التي تنطلق من سويسرا ، الدولة التي تفاخر الدنيا بمحبتها للسلام واحتضانها للعديد من المنظمات الدولية ذات الطابع الانساني ، وصمة عار في جبين حيادها • وتكفي وحدها لنسف كل ركائز الحياد وفضائله من اساسها •

وتجارة الحرب والدمار نشاط اساسي تتقنه الامبريالية على مختلف انواعها واشكالها • بل ان هذه التجارة تعتبر من صلب الامبريالية التي تبني مجدها ورفاهيتها على اشلاء الضحايا وجثث الابرياء • وازدهار هذه التجارة ورواجها في سويسرا دليل ساطع على تواطؤ نظامها مع الامبريالية ، وبرهان واضح بالتالي على انحراف حيادها عن الخط السليم المعلن • وتتحمل سويسرا هنا مسؤولية كبرى لانها تسمح باستخدام ارضها كمركز ومقر ومكان لممارسة هذه التجارة :

١ ـ فارضها تستخدم كمركز تجمع وانطلاق لتجار الحرب العالميين • فهؤلاء يتخذون من سويسرا مركزا لشراء الاسلحة الفتاكة وبيعها ونقلها واعادة بيعها دون ادخالها الى الارض السويسرية • أن هذه العمليات تتم بواسطة مكاتب ، موجودة في بعض المدن السويسرية المهمة ، تديرها شركات تجارة الحرب •

٢ ـ وارضها تستخدم كمقر للشركات الكبرى ذات الجنسيات المتعددة والانتاج المتنوع • وهي من اصل اجنبي ، ولكنها تقيم في سويسرا • فزوريخ ،

مثلا ، مقر لاكبر شركة في العالم لصنع مادة النابالم • وجنيف مقر لاكبر شركة في العالم لصنع القذائف التي تستعمل ضد الاشخاص • وفي كل يوم ، وفي جميع ارجاء الدنيا ، يستعمل النابالم وتلقى القذائف فيحترق الاطفال وتتمزق اجساد الابرياء ويعم الخراب • واكد تقرير رفع الى مجلس الشيوخ الاميركي ، في حزيران ١٩٧١ ، ان مليونين من اطفال فيتنام قد لاقوا حتفهم ، ما بين عام ١٩٦٨ و ١٩٧١ ، بسبب استعمال هذه « المبيدات البشرية » • وقدمت استجوابات عديدة الى المجلس الفدرالي السويسري حول هذا الموضوع فاعلن بانه لا يستطيع ان يتخذ اي تدبير ضد هذه الشركات •

٣ ـ وارضها تستخدم كمكان لانتاج الاسلحة المختلفة • ففي سويسرا ، حاليا ، عدة شركات لانتاج الاسلحة ، اشهرها اثنتان يكون كل منهما امبراطورية كبرى لانتاج ادوات الموت الزؤام : شركة Bûhrle ، المتخصصة في صنع الرشاشات والمدافع وابراج الدبابات • وشركة Sig-Schaffouse ، المتخصصة في صنع بنادق الاقتحام • وهذه الشركات تعمل في سويسرا ، معززة مكرمة • وهي تحظى برعاية الحكومة ودعمها لانها ، اولا ، تصنع الاسلحة للجيش السويسري ، مما يجعلها تدعي بانها تعمل لخير الوطن ، ولانها ، ثانيا ، تتمتع بنفوذ مالي كبير يتيح لها تحقيق ارباح فلكية وشراء ضمائر واقلام عديدة • وهي اليوم تستفيد من وضع او ظرف تاريخي خاص • انها لا تنتج الا القليل من الاسلحة الثقيلة ، واختصاصها يقتصر على انتاج سلاح المشاة، وبنادق الاقتحام، والمدافع المضادة للطائرات ، والالغام الموجهة ضد الافراد • وهناك شركات سويسرية تحتكر صناعة بعض ادوات الدمار في العالم ، كطائرة Pilatus المذكورة ، التي تحتاج الى مسافة قصيرة للاقلاع ، وتستطيع التحليق على علو منخفض ،وتستخدم في حرب العصابات للكشف عن الثوار المتوارين في الغابات•

ومن هو الزبون او المستهلك الاول لهذه الاسلحة ؟

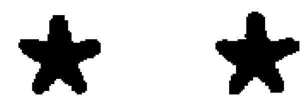
انها الدول النامية التي تقبل على ابتياعها من اجل استخدامها في معاركها الحدودية التي تضاعف عددها واشتد اوارها في الآونة الاخيرة ، وفي حملاتها الداخلية الرامية الى قمع الحركات والتيارات المناهضة لانظمتها السياسية • ان هذه الدول عاجزة عن شراء الطائرات الحربية الضخمة ، ولكنها قادرة على ابتياع عدد هائل من الاسلحة الخفيفة وتدريب رجالها عليها بسرعة فائقة • ان المناضل تشي غيفارا قتل ، في ٨ ـ ١٠ ـ ١٩٦٧ ، ببندقية اقتحام من صنع سويسري •

ونلاحظ ان معظم الانظمة الدكتاتورية التي تشتري السلاح السويسري

تكرسه لقمع حركات العمال والفلاحين والطلاب فيها · ولهذا اخذت صادرات سويسرا من السلاح تسجل ارتفاعا مستمرا · ففي عام ١٩٧٤ ، بلغت قيمة هذه الصادرات ٢٣٦ مليون فرنك ، غير ان الرقم قد وصل الى ٣٦٩ في عام ١٩٧٥· واشهر زبائن سويسرا في هذا الحقل اسبانيا وايران وجنوب افريقيا (١٩) ·

وعلاقة سويسرا الوثيقة بالنظام العنصري المقيت في جنوب افريقية تقضي على كل ادعاء بالحياد · فسويسرا تأتي في المرتبة الثالثة بين دول العالم التي تستثمر رساميلها في هذا البلد · وحجم استثمارات الشركات السويسرية فيه ارتفع من ١٠٠ مليون فرنك في عام ١٩٥٦ ، الى ١٣٠٠ مليون في عام ١٩٧١ · وارتفع حجم الصادرات السويسرية اليه الى ٣٣٠ مليون فرنك في عام ١٩٧٢ ، بعد ان كان ١٠٢ مليون في عام ١٩٦٢ · و٨٠٪ من ذهب جنوب افريقية ، الذي يباع في السوق العالمية الحرة ، يمر بزوريخ ·

وفي عام ١٩٦٨ ، نظمت الامم المتحدة مؤتمرا دوليا في طهران حول حقوق الانسان · وكان يمثل سويسرا في المؤتمر احد سفرائها البارزين · وقد قال في الكلمة التي القاها : «ان الشعب السويسري يدين السياسة العنصرية التي تتبعها جنوب افريقية» · واثيرت عاصفة ضده في البرلمان السويسري · وطالب البعض بعزله من وظيفته · وحاول وزير الخارجية ان يخفف من وقع هذه «الخطيئة» ، فلجأ الى منطق غريب · لقد اعترف بمعارضة الشعب السويسري للعنصرية ، ولكنه سارع الى التأكيد بان على الحكومة السويسرية الا تعكر صفو العلاقات بينها وبين جنوب افريقية ، وذلك لسبب بسيط : لان سويسرا ، اذا امتنعت عن تمويل جنوب افريقية ، فسيكون هناك حتما دولة اخرى تقوم بهذا العمل !!



والحديث عن الحياد يقودنا الى استعراض موقف سويسرا من النزاع العربي الصهيوني · ان جميع الدلائل تثبت (على الرغم من الفوائد الطائلة التي تجنيها سويسرا من ودائع العرب في مصارفها) ان موقفها من هذا النزاع، او موقفها من مجمل القضايا العربية ،يتسم بالتحيز الصارخ لاعداء العرب ، ويتنافى بالتالي مع قواعد الحياد التي تعلنها · ويكفينا الاستشهاد بثلاث حوادث تثبت تواطؤ حكامها مع اسرائيل ووضعهم مقدرات بلادهم تحت تصرف الجهاز العسكري الاسرائيلي :

**الاولى** : هي قيام مهندس سويسري يعمل لحساب العدو الصهيوني بسرقة تصاميم طائرة الميراج الفرنسية من احد الاجهزة الرسمية السويسرية

وارسالها الى اسرائيل . ومع ان السلطات السويسرية قد علمت بهذا الامر الخطير ، فانها لم تفعل شيئا .

والثانية : هي مهاجمة اربعة من الفدائين العرب ، في ١٩٦٩/٢/١٨ ، لاحدى طائرات العال في مطار زوريخ ، مبررين هجومهم بوجود معدات حربية على متن طائرة مدنية . وكانت كل القرائن تثبت ذلك ، فالطائرة تتسع لـ ١٦٢ راكبا ، ولم يكن على متنها الا ١٧ راكبا . ومع ان نسبة الركاب فيها لم تكن تتجاوز عشر قدرتها القصوى على الاستيعاب ، فان وزنها آنذاك قد بلغ الحد الاقصى من حمولتها . وهذا يعني ان مستودع الامتعة فيها كان مكتظا بمعدات غير عادية ، مثل الاسلحة والذخيرة وقطع الغيار والادوات الحربية . ثم ان الطاقم العادي لطائرة البوينغ يتكون ، عندما تكون الطائرة كاملة العدد، من ثمانية افراد . ولكن طاقم الطائرة الاسرائيلية كان مكونا من ١٢ شخصا ، وكان احدهم (وهو امر مستغرب) يحمل جوازا مصريا . وبعد اطلاق النار على الطائرة تدخلت الشرطة السويسرية ، وطلبت من الفدائيين التخلي عن اسلحتهم ، فانصاعوا . وفي هذه الاثناء ، وعلى مرأى من رجال الشرطة ، قفز من الطائرة حارس اسرائيلي مسلح صوب رشاشه نحو الفدائيين واردى احدهم قتيلا . وطلب الفدائيون من السلطات السويسرية الكشف على الطائرة وتفتيشها ، او على الاقل احتجازها ، بغية اجراء التحقيقات السريعة اللازمة ، فرفضت . وطالب محامو الفدائيين ببيان عن حمولة الطائرة فتجاهلت سويسرا الامر . وبعد فترة وجيزة ، أفرجت السلطات السويسرية عن الحارس الاسرائيلي بكفالة ، ورفضت معاملة الفدائيين بالمثل (٢٠) .

والحادثة الثالثة : هي تهريب الاعتدة الحربية من سويسرا بالطائرات المدنية الاسرائيلية . ففي ٢٨ ـ ١ ـ ١٩٧٠ ، طالعتنا الصحف السويسرية بخبر مفاده ان مصلحة الجمارك في مطار جنيف قامت بتفتيش بضاعة للترانزيت تشحنها طائرة تابعة لشركة العال ، واكتشفت شحنة مهمة من العتاد الحربي كانت معدة للارسال الى تل ابيب ، وتشمل قطع غيار لطائرات الفانتوم الاميركية. وفتحت النيابة العامة الفدرالية تحقيقا ، ولكنها سرعان ما اسدلت الستار على الفضيحة .



وبعد وقوفنا على بعض الحقائق المرة التي ينطوي عليها النظام السويسري،

لا يسعنا ، في ختام حديثنا ، الا ان نبدي الملاحظات التالية :

١ ـ ان دعوة اليمين اللبناني الى اعتماد نظام الكانتونات لا يمكن ان تفسر الا برغبته في تحويل لبنان الى بلد شبيه بسويسرا ، تتحكم بمصيره طبقة اوليغارشية كلما حققت مكسبا، او كدست مبلغا ، او ابتزت شعبا ، قالت هل من مزيد ؟

واليمين يقع في تناقض فاضح عندما يقتبس من الانظمة السويسرية ما يلائم مصالحه فقط • ان سويسرا ، مثلا ، تتبنى نظام التمثيل النسبي في الانتخابات ، غير ان اليمين يرفض العمل به بحجة انه يساعد اليساريين على الوصول الى البرلمان • وفي سويسرا تعددية حزبية ، غير ان اليمين يطالب بالغاء الاحزاب في لبنان ، او بحصرها بثلاثة فقط مع وضع قيود مشددة على عمل الاحزاب اليسارية • ورئيس الاتحاد السويسري (اي رئيس الجمهورية) هو في نفس الوقت رئيس المجلس الفدرالي (اي الحكومة) • وهو ينتخب لسنة واحدة ولا يتمتع بصلاحيات خاصة ، لان سويسرا ، كما يقال ، تكره السياسيين الاقوياء • ولكن اليمين يطالب دوما بتقوية صلاحيات رئيس الجمهورية في لبنان ، وينادي احيانا بالنظام الرئاسي •

٢ ـ ان اليمين اللبناني يتجاهل عمدا مسيرة التطور التي قطعها التاريخ السياسي والدستوري في سويسرا • ان الصلاحيات الواسعة التي كانت الكانتونات تملكها في الماضي قد تقلصت وتناقصت بالتدريج • ومعظم التعديلات التي ادخلت على الدستور كانت ترمي الى تعزيز سلطة الدولة الاتحادية وتركيز الصلاحيات الاتحادية في يد الحكومة • وكل من يتابع تطور النظام الاتحادي في سويسرا يلمس ، بصورة واضحة ، ذلك الاتجاه الوحدوي الذي يتعاظم شانه جيلا بعد جيل فيدفع الكانتونات الى التقارب والانصهار عن طريق التخلي التدريجي عن صلاحياتها لصالح السلطة المركزية في الاتحاد • وفي الوقت الذي يهب فيه على سويسرا تيار التوحيد والاندماج ، يصر اليمين اللبناني على الوقوف في وجه التيار ويدعو الى اضعاف وحدة الوطن عن طريق تقسيمه الى كانتونات تتمتع بالحكم الذاتي •

٣ ـ ان اليمين اللبناني قد مني ، بعد طرحه مشروع الكانتونات ، بخيبة امل ، فلم يلق التأييد الذي كان يتوقعه • وهذا ما دفعه الى اعتماد تكتيك جديد والدعوة الى مشروع اخر ، املا ان يحظى بالقبول ويحقق له نفس الاهداف التي يعمل لها • انه مشروع اللامركزية • ولكن حديث اللامركزية يحتاج الى بحث اخر •

## الحواشي :

١ ـ اللواء ، ١٩٧٦/٧/٥ ·

٢ ـ السفير ، ١٩٧٦/٨/١٢ ·

٣ ـ بيروت ، ١٩٧٦/٨/١٣ ·

٤ ـ السفير ، ١٩٧٦/٨/١٤ ·

٥ ـ نفس المرجع السابق ·

٦ ـ السفير ، ١٩٧٦/٨/١٥ ·

٧ ـ السفير ، ١٩٧٦/١٠/١٩ ·

٨ ـ النهار ، ١٩٧٦/١١/١٨ ·

٩ ـ النداء ، ١٩٧٦/١٢/١٢ ·

١٠ ـ هذه المعلومات مستمدة من نشرة Suisse , OCDE , Etudes éco , Paris 1975

١١ ـ صدر الكتاب في باريس في عام ١٩٧٦ ، بعنوان : Une Suisse au - dessus de tout soupçon

١٢ ـ ذكرت المجلة الالمانية Der Spiegel في ١٩٧٦/١/١٩ ، ان المهربين يتقاضون عمولة مقدارها ٧٪ ، وذلك مقابل تهريبهم بالحقائب ، العملة الاسبانية من فئة الالف بيزتا ·

١٣ ـ في ايلول ١٩٧٤ ، امرت الحكومة السويسرية بتوزيع قسم من الممتلكات المالية الاجنبية المودعة في المصارف السويسرية منذ الحرب العالميـــة الثانية · وقد كان للمبرات اليهودية نصيب وافر منها ·

١٤ ـ راجع تصريح Colby ، الرئيس السابق للوكالة في مجلة «التايم» في ١٩٧٤/٩/٣٠ ، ص ٢٤ ·

١٥ ـ راجع صحيفة «نيويورك تايمز» في ١٩٧٤/٩/٨ ·

١٦ ـ راجع ما كتبه الدكتور ادمون رباط عن الاتحاد السويسري في كتابـــه «الوسيط في القـــانون الدستوري العام» ، الجزء الاول ، دار العلـم للملايين ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ٥٦٤ وما بعدها ·

١٧ ـ Zeigler ، المرجع السابق ، ص ١٠٠ و١٢١ ·

١٨ ـ نفس المرجع ، ص ١٤١ ·

١٩ ـ نفس المرجع ، ص ١٥٦ وما بعدها ·

٢٠ ـ راجع كتابنا عن «خطف الطائرات في الممارسة والقانون» ، معهـــد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٧٤ ، ص ٢٠٢ ·

# مأزق الاقتصاد الاسرائيلي بين العمل العبري والعمل العربي

حسين أبو النمل

رغم ان هذه الدراسة ليست معنية بدراسة تاريخ ونشأة الحركة الصهيونية ، والذي هو موضوع قائم بذاته وعالجته دراسات اخرى متخصصة ، ترى من الضروري ان تؤكد انها مع وجهة النظر القائلة بان الصهيونية ، هي نتاج عصر الامبريالية ، والـذي بـدأ في النصف الاخير من القرن التاسع عشر · وليس مصادفة تاريخيه ان يرتبط تاريخ هذه الحركة منذ قيامها الى يومنا هذا بالدول الامبريالية · وتلخص هذه المسألة رسالة هرتزل الى سيسل رودس اذ قال له «انك مدعو للمساعدة في صنع التاريخ ، ان هذا الامر لا يمكن ان يخيفك وسوف لا تهزأ منه · انه لا يدخل في الاطار الذي اعتدت عليه ، فهو لا يتعلق بافريقيا وانما بقطعة من آسيا الصغرى كما انه لا يتعلق بالانجليز وانما باليهود ·· ومع ذلك ، فان المسألة لو كانت تواجهك لكنت قمت بها منذ زمن · اما لماذا الجأ اليك والمسألة بعيدة عنك ، فجوابي انها مسألة استعمارية ·· » ·

الامر الثاني الذي لا بد من الاشارة اليه ، ان احتضان الدوائر الامبريالية الرسمية للحركة الصهيونية ، ومنذ وقت مبكر ، لا ينفصل اطلاقا عن حصيلة خبرة الدول الامبريالية في كيفية توظيف المشاكل الطائفية في خدمة مصالح تلك الدول · ولنا في حوادث لبنان الطائفية في الفترة بين ١٨٤٠ ــ ١٨٦٠ خير معين في تبيان تلك الحقيقة · فقد كان وقود وقطبي الصراع محليا ، الدروز والموارنة ، يحظيان بدعم قطبي الصراع دوليـا على اقتسام المصالح الاستعمارية · ففي حين كانت فرنسا تدعم كاثوليك لبنان ، كانت بريطانيا تدعم الدروز ، والاطراف الثانوية في الصراع كانت تحاول ايجاد مرتكزات طائفية لها في المنطقة ، روسيا تتاجر بالارثوذكس وتركيا تتاجر بالطائفة السنية ·

ان الدول الامبريالية التي عرفت كيف توظف المشكلة الطائفية في ١٨٤٠ ــ ١٨٦٠ ، لتدعيم نفوذها في الامبراطورية العثمانية ، وللحصول على مكاسب جديدة غير التي كانـت لها في السابق ، لم يكن صعبا عليها ادراك اهمية الحركة الصهيونية ، وتوظيفها لخلق مشكلة جديدة في المنطقة ، تلعب دور القنبلة الموقوتة التي تستطيع تفجيرها ساعة تريد ·· تلك القنبلة التي انفجرت اكثر من مرة ·· ولكن مصير اسرائيل هرتزل لن يختلف في النهاية عن مصير روديسيا سيسل رودس الذي استنجد به هرتزل ذات يوم·· وللتاريخ قوانينه الصارمة التي لا تخطىء ·

***

## نصف قرن ٠٠ والحقيقة واحدة

«ينبغي ان تقال الحقيقة كاملة بالرغم من انها تحمل بين ثناياها الالم والحزن ٠ لقد درجنا على التباهي وقرع الاجراس : (اننا) حولنا الصحراء القاحلة الى جنة عدن ٠ (نحن ) والسواعد هي سواعد احمد ومصطفى ٠٠ » ( ١ ) الكلمات لغوردون ، احد « اباء العمل العبري» (٢) الذي عاش في الفترة بين ١٨٥٦ ـ ١٩٢٢ (٣) ٠ بعد اكثر من نصف قرن وفي عام ١٩٧٦ يعترف يسرائيل كنيغ في مذكرته الشهيرة ، وبعد نجـــاح اضــــراب يوم الارض ، ٠٠ بالحقيقة التي كان قد قالها غوردون فيقول «ترك الاضراب انطباعا قويا لدى المعامل ومؤسسات الخدمات ، بأن حسن سير الاقتصاد يعتمد على الايدي العاملة العربية ٠ وفي الوقت نفسه اثبت السكان العرب حيويتهم بالنسبة للاقتصاد الذي يديــــره يهـــود ٠٠ » (٤)٠

رغم مرور ما يزيد على نصف قرن على كلام غوردون ، لم يتبدل الوضع من ناحية المبدأ ، فاليد العاملة العربية ، التي تحدث عنها كنيغ ، هي سواعد احمد ومصطفى"، التـي كان قد تحدث عنها غوردون ٠٠ الذي لم يكن يعترف بالحقيقة ، حبا بالحقيقة ، بـــل ، لاتخاذها وسيلة تحريضية ، لكي يقوم العمال اليهود باحتلال العمل والارض ٠٠ وكثيرة هي المبررات التـــي يقدمهـــا دعـــاة هـــذه السياســـة ، واحيانــــا « الطهـــارة » هي السبـــب ، ولــــذا « ينبغــــي ان يكــــون كـــل ما يخلـــق ويتكون في البلاد من صنع ايدينا : كل شجرة ، كل خضرة ، كل بيت ، كل سياج ٠٠٠ كل شيء ينبغي ان يكون من صنع ايدينا بعرقنا نحن فقط ينبغي ان تترطب ارضنا، وايدينا نحن هي التي ينبغي ان تعيد لها الحياة ٠٠ (٥) » ٠وبفعل هذه الدعوة ٠٠ و«عند بداية هذا القرن قررت الهستدروت الصهيونية اقامة غابة تحمل أسم هرتزل تخليدا لذكراه ، وكخطوة اولى شرع في غرس مشتلة اشجار ٠٠٠ بواسطة العمال العرب ٠ وقد اثار هذا العمل استياء عظيما بين صفوف العمال اليهود ٠٠٠» لماذا ؟ «كيف يحدث ذلك ؟ غابة لذكرى القائد الكبير ، بعمل غير عبري » ٠ وقد اعتبروا ذلك تدنيسا لحرمة هرتزل وشرفه ٠٠٠ «وتعبيرا عن الاحتجاج تقرر خلع المشاتل التي لم تغرس بواسطتنا ٠٠ ومن ثم نقوم بغرسها من جديد ٠٠ » (٦) ٠ وهذا ما كان ٠٠٠

## في النهاية : من يملك العمل يملك الارض

ولكن المسالة ليست مسالة صوفية ، وقضية «طهارة» و «نقاء» كما فهم البعض المسالة او عبر عنها ٠ بل قضية سياسية تتعلق بزرع المستوطنين في الارض الفلسطينية ، وبتوازن المجتمع الاسرائيلي واستكمال تكوينه الطبقي ، وكي لا يقال « ايضا في وطن بعثنا نستطيـع ان نكون فقط شعبا من التجار والباعة المتجولين والسماسرة وليس عمالا منتجين ٠٠ (٧) » ٠ وقد كان هنالك وعي لـ « خطر يحدق بنا من العامل الاجنبي (٨) ٠٠ » وأنه « اذا اصبحت فلسطين كلها تابعة لليهود الاغنياء ، وكل العمال من العرب ، فان فلسطين ستكون في الواقع بلاد العرب وليست بلاد اليهود ٠٠٠ (٩) » ولذا فقد اعتبر العمل العبري شرطا للبعث (القومي) ويقول غوردون بهذا الصدد «ان عملية امتلاك الارض بالاموال لا تعتبر انقاذا بالمعنى القومي ، طالما ان الارض لا تستغل بأيدي اليهود ٠٠ ان انبعاث الشعب لا يمكن تصوره بدون عمل في الارض ٠٠٠ (ولذا) ينبغي علينا ان نضع العمل في مركز مطامحنا وان نؤسس عليه كل بنياننا ٠٠ (١٠) »٠

الادب السياسي الصهيوني حافل بالافكار المشابهة للاراء التي سبق عرضها ، والتي فيما لو جردناها من الطابع الصوفي الذي يلف معظمها لامكن لنا تبين الاسباب الاقتصادية والسياسية الكامنة وراء تلك الدعوة ٠٠ والتي لا تقفز فوق المخاطر التي يمثلها الاعتماد على الايدي العاملة الاجنبية ٠٠ تعبر عنها نبؤة يوسف اهارونفتش الذي قال « ان شعبا لا يمتلك هيكلا واسعا من العمال القريبين من الطبيعة ومن مواد انتاج الطبيعة ، ان شعبا كهذا نهايته التحجر في جسده وروحه ، وليس له حق الوجود حتى ولو نجح في ان يوجد لنفسه بوسائل مصطنعة امكانية الوجود ٠٠ (١١) » ٠

رغم الاسباب السياسية التي قدمها دعاة العمل العبري ، فان الغلبة في النهاية كانت للحقائق الموضوعية التي فرضت نفسها ، وسادت الافكار العملية التي عمل على اساسها تيودور هرتزل «مؤسس حركة الصهيونية العالمية المنظمة (١٢) » ، والذي كان «ابعد ما يكون عن فهم الديانة اليهودية الحقة (١٣) » ٠

لقد ادرك هرتزل الحقيقة المعروفة وهي «ان السحر والرومنطقية يلعبان دورا ضئيلا جدا في حياة البشر العاديين بمن فيهم اليهود ٠ وهكذا فانه على الرغم من ان اليهود كانوا يكررون العهد كل يوم بالا ينسوا القدس ، مغذين بذلك التوق للعودة اليها ، فان قليلين جدا منهم ذهبوا فعلا الى هناك للحج او الاستيطان حتى عندما لم تكن هناك عقبات في طريق العودة ٠٠ (١٤) » ٠ وكذلك فان عدد اليهود في فلسطين عام ١٩١٤ مجرد ٣٥ الف يهودي من بين ١٢ مليون يرددون في صلواتهم ثلاث مرات في اليوم ان لن ينسوا اورشليم والعودة الى ارض الميعاد ٠٠ (١٥) » وانه « رغم ما كتب عن المكانة التي تشغلها فلسطين في قلب الشعب اليهودي الا انها كأرض للعيش لم يكن لها الا تاثير ضئيل على الفرد اليهودي ٠٠ (١٦) » واشار داعية صهيوني في رسالة له الى مجلة العالم اليهودي في ١٨٩٧/١/٢١ الى ان «اليهود هم اقل طائفة من بين الطوائف الاخرى تقصد الى فلسطين ٠٠ (١٧) » ٠

وان اليهود الذين « غادروا روسيا او بولنده والارض المقدسة على شفاههم ، كانت اقدامهم تسير ثابتة في الاتجاه الاخر : الى المانيا او انكلترا او اميركا ٠٠ (١٨) » ٠

## الخرافة تندمج في سند الملكية الايديولوجية على مقاس الوضع الطبقي

الخرافة على الشفاه ، والحقيقة حيث تسير الاقدام كان هذا المأزق الذي ادركه هرتزل ٠٠ والحل كان بكيف يمكن للخرافة ان تتطابق مع الحقيقة ٠٠ الحل كان ممكنا اذا كان «يمكن للخرافة ان تندمج في سند الملكية ٠٠ (١٩) » ولـذا « فقد استثار الزعماء الصهيونيون ايضا حافز الربح عند الافراد الذين يؤيدون الحركة ٠٠ (٢٠) » ووعدهم هرتزل عبر كتابه ، دولة اليهود ٠٠ «لن نخسر ممتلكاتنا التي اكتسبناها ، بل سنحولها الى نقد ٠ سيرحل فقط اولئك الذين هم متاكدون انهم بذلك يحسنون مركزهم (٢١) ٠٠ »٠ «وان الخروج سيكون في الوقت نفسه ارتقاء طبقيا ٠٠ (٢٢) » ٠ وعلى الجانب الاخر ، فقد قدم كتاب «دولة اليهود» اغراء من نوع اخر الى البرجوازيين اليهود ، فبالاضافة الى « ان المسودة الاصلية لكتاب الدولة اليهودية كانت تحمل اسم « رسالة الى آل روتشيلد(٢٣)»، و«انها كانت مقصودة لاستعمال اسرة روتشيلد الخاص ٠٠ (٢٤) » ٠ وان « اول نسخة

من كتاب الدولة اليهودية قد وجهت الى عائلة روتشيلد (٢٥) » فان « النصف الاخير من الكتاب في معظمه عبارة عن نشرة تمهيدية لشركة تصف فيها مشاريعها ٠٠ (٢٦) » ٠ فـ «الشركة اليهودية ، ٠٠ ستكون الى حد ما على نمط الشركات الكبرى لتطوير الاراضي ٠٠ وستكون تحت اشراف الزمرة القيادية من رجالات المال اليهود ، وسيجني هؤلاء عائدات هائلة من استثماراتهم ٠٠ (٢٧) » ٠ و«المليون سيجلب خمسة عشر مليونا ٠ والبليون خمسة عشر بليونا ٠٠ وستؤول هذه الارباح الضخمة من هذه المضاربة بالارض الى الشركة ، فمن حقها كأي رائد اقتصادي ان تحصل على هذه المكافأة غير المحدودة مقابل تحملها المخاطرة (٢٨) » هذه الاغراءات التي قدمها هرتزل في كتابه «دولة اليهود» كانت تحاول ردم الهوة بين «الخرافة» و«الحقيقة» والتي كان يجسدها اليهود الذين غادروا روسيا او بولندا والارض المقدسة على شفاههم ، وكانت اقدامهم تسير ثابتة في الاتجاه الاخر : الى المانيا او انكلترا او اميركا ٠٠ الفجوة ، كانت تتمثل بالمصلحة المادية لليهودي اولا ٠٠ وبعد ذلك بمراحل تأتي الاعتبارات الاخرى ٠٠ والحل كان بسند الملكية الذي يمكن ان تندمج فيه الخرافة ٠٠ ذلك السند الذي يجعل المهاجر يرتقي طبقيا ، ويحسن مركزه ٠٠ حسب تعبير تيودور هرتزل ٠٠

ان الذي اعطى لافكار هرتزل هذه قيمة عملية كبرى هو توافقها مع البنية الطبقية والتكوين الذهني لمعظم المهاجرين من اوروبا الشرقية والذين كانوا يتوجهون للغرب ولاميركا ٠ فمن المعروف ان روسيا القيصرية قد شهدت في الربع الاخير من القرن التاسع عشر تدفقا هائلا من الرساميل الاوروبية الغربية ساهمت في رسملة ومكننة الاقتصاد الروسي ، وقد وجدت البرجوازية الاوروبية في السوق الروسي مجالا جديدا للاستثمار والربح ، مضافا لذلك الاعتبارات الاستراتيجية التي كانت تحرك البرجوازية الاوروبية للاسهام في تقدم وتصنيع روسيا القيصرية التي كانت بفعل اوضاعها الاقتصادية المتردية تشهد اوسع الحركات الثورية واعمقها والتي تمثلت بثورتي ١٩٠٥ ، وثورة ١٩١٧ الاشتراكية ٠ من جملة النتائج المباشرة لتدفق الرساميل على روسيا القيصرية ، كان تفسخ الهياكل الاقتصادية والاجتماعية ٠ وقد اصاب اليهود قدرا كبيرا من هذه الاثار بفعل الدور الخاص الذي كانوا يؤدونه في الحياة الاقتصادية الروسية والذي يمكن لنا اعتباره دور المرابي والحرفي ٠ ورغم مشاركة اليهود في انشطة اخرى مثل التجارة ، واستئجار الاراضي وتشغيل صالات القمار والحانات ، فان دور المرابي والحرفي كان هو الدور الاكثر اتساعا وبروزا ٠٠ ومن هنا فان تزايد التدفق المالي ، وبالتالي دور البنوك الاجنبية في روسيا ، وتزايد حجم التصنيع ، كان يعني توجيه ضربة قاصمة لدور المرابي، ولدور الحرفي ، والذي لم يعد قادرا على الصمود والمنافسة ٠ الامر الذي ادى الى خسارة نسبة كبيرة من اليهود لدورهم في الدورة الاقتصادية الروسية ٠ ووضعهم وجها لوجه امام احتمال البطالة ، او التحول الى بروليتاريا ، او الهجرة للخارج بحثا عن فرص جديدة ٠٠ هذا مع العلم ان المشكلة لم تكن مشكلة نسبة محدودة من يهود روسيا بقدر ما كانت مشكلة الاغلبية ٠ اذ اتضح من دراسة حول تاريخ الصهيونية ، ان نسبة عالية من يهود روسيا كانت تعتاش من استغلال عرق الاخرين اكثر من اعتمادها على دورها الانتاجي ٠٠

واذا كان يهود روسيا قد فقدوا دورهم التقليدي في الاقتصاد ، فانهم لم يتخلصوا من ايديولوجية البرجوازية الصغيرة السائدة بين صفوفهم ، ويغذيها باستمرار مناخ العداء

لليهود الذي كان يسيطر على المواطن الروسي العادي ، بفعل سبب موضوعي ، هو كراهية الدور الربوي الذي كان يلعبه اليهود ، وانها لمسألة بالغة الدلالة ان تطالب احدى المظاهرات بحرق صكوك الرهن التي بحوزة اليهود ، اشارة من المتظاهرين الى ان عمليات الربا كانت تنتهي باستيلاء اليهود على الارض عند عجز الفلاح عن سداد القرض الـذي يسلف عادة من المرابي اليهودي بارباح خيالية ، الامر الذي يوضح ان المسألة ليست مسألة بضعة افراد روس ، او بضعة مرابين يهود • وقد عرفت السلطات القيصرية كيف تستغل هذه الحقيقة لتصعيد مشاعر الكراهية ضد اليهود لاخفاء المشاكل الحقيقية فـي روسيا ، ولتوفير المبرر لضرب الاتجاهات الثورية تحت حجة ان محركيها هم مـن اليهود •• (٢٩) •

لقد حاولت الايديولوجية الصهيونية ، كما صاغها هرتزل توظيف هذا الوضع ، وذلك بان ، تقدم الاغراء الذي يدغدغ مصالح وعقلية من يريد الخروج •• الهجرة الى فلسطين، وهذا الخروج سيكون ارتقاء طبقيا ، وتحسين مركز •• بدلا من احتمال التحول الـى بروليتاريا ، او الهجرة الى دولة اخرى •• مع ميزة هامة جدا هي ان المهاجـر سيتحول الى ملاك بمجرد وصوله الى فلسطين وهذا بحد ذاته اغراء لا يمكن تجاهله • وبهذا اصبح ممكننا اختصار الفجوة بين الخرافة والحقيقة ، بعد ان اصبح التسليم بالخرافة يعني عملية (قبض) اكثر مما هي عملية (دفع) •• وبعد ان دمجت الخرافة بسند الملكية ••

ان خير معبر عن هذه المسألة ، الفكرة التي طرحها آحاد هعام في رده على سياســة وفلسفة العمل العبري عندما قال عام ١٩١٢ «باستطاعة اليهودي ان يكون مزارعا مجتهدا، صاحب بيت قروي ، يعيش على الفلاحة التي يتقنها ويغوص فيها ، ففي كل صباح يخرج الى حقله ، للاشراف على عماله ، الذين يحرثون او يزرعون ارضه ، الذين يغرسون او يركبون كرمته ، ولا يمتنع ايضا عن العمل بيديه مع عماله •• ان مستوطناتنا القروية في فلسطين حتى ولو اتسعت مع مرور الزمن لتصل نهاية حدود الامكانات ، ستبقى دائما مستوطنات « عليا » تابعة لاقلية متحضرة متطورة تستمد قوتها من عقلها ومالها ، بينمـا الجماهير القروية الفقيرة التي تستمد قوتها من عمل ايديها ، لن تكون لنا في ذلك الوقت •• (٣٠) » • ولذا فقد «كان كل مستوطن يعيل ثلاث عائلات عربية •• (٣١) » • وبكلمة اخرى فان كل مستوطن كان يستغل ثلاث عائلات عربية •• واصبح «عدد السكان العرب داخل بعض المستوطنات يفوق عدد السكان اليهود •• (٣٢) » • لماذا ؟• لانه «كان امام المستوطن اليهودي امكانيتان : الهبوط الى المستوى العيشي لاهل البلاد العرب •• (٣٢) [illegible] هذا ما كان يمكن ان يحقق افضل منه في موطنه الاصلي لو اراد التحول الـى بروليتاري [illegible] ان يتحول الى مستغل للعمل الرخيص ، وقد اختار المزارع الطريقة الثانية، فتعززت [illegible]ته ، وتحولت المستوطنات الى اقطاعيات تعتمد على استغلال العمل الرخيص كما هو الحال بالنسبة لاستغلال عمل السود في الولايات المتحدة •• (٣٤) » • وهو ما يتناسب [illegible] وعدهم به هرتزل في كتابه دولة اليهود « بان الخروج سيكون فـي الوقـت نفسه ارتقاء طبقيا ••» •

بفعل هذا الواقع الموضوعي ، اعيد تفصيل الايديولوجية على مقاس الواقــع العملي ، واصبح العمل نوعين ، نوع يشترط الطهارة ، ونوع آخر لا يستدعيها ، فـ هقص اغصان

الكرمة وتركيب اشجار الحمضيات وما شابه تعتمد على طهارة اليد العاملة اليهودية ٠٠٠ واما الاعمال الدنيا الشاقة مثل عزق الاعشاب ، وكل ما يحتاج الى جهد بدني فقد بقيت من نصيب الايدي العاملة العربية ٠٠ (٣٥) » ٠

تشذيب الايديولوجية لتاتي على مقاس الحقائق الموضوعية ، وفر الاغراء المطلوب لاستجلاب المهاجرين الجدد ، لتناسبها مع مصالحهم وايديولوجيتهم الطبقيـــة ، وكانـــت هجرتهم بحثا عن موقع طبقي جديد ، اكثر منها بفعل الاضطهاد الذي يعانون منه ، فسيل الهجرة من روسيا لم يتوقف بعد قيام الثورة الروسية ، رغم توقف الاضطهاد ، والحقوق التي كفلتها ثورة اكتوبر والغاءها لكافة اشكال التمييز ضد مواطنيها اليهود ٠٠٠

وبشكل عام فلقد استمرت الحركة الصهيونية في ممارسة السياسة العملية آنفة الذكر ، ما قبل وما بعد قيام اسرائيل ، تلـــك الاستمرارية التي كانت الابن الطبيعي للظروف الموضوعية التي احاطت بنشأة ونشاط الحركة الصهيونية ، وحجتها الدائمة لخلق الحافز لدى يهود «الشتات» كي يهاجروا الى فلسطين ٠ واذا كانت الحركة الصهيونية قد وجدت حلا للتناقض الناشيء بين الاعتبارات الايديولوجية والتي تعبر عنها خير تعبير اطروحات غوردون وغيره من اباء العمل العبري ٠ وبين الحقائق الموضوعية ، الممثلة بالتكوين الطبقي والدوافع المادية التي تلعب دورا حاسما في مسألة هجرة يهود الشتات الى فلسطين المحتلة ، فانها لم تؤمن مخرجا للمازق الذي حذر منه ، الا وهو مخاطر احتلال الارض دون احتلال العمل ، بالمعنى السياسي لهذه المسألة وليس بمعناها الصوفي ٠

## المراحل متعددة ٠ والمشكلة واحدة

ولقد اختلف حجم المشكلة من مرحلة لاخرى من مراحل عمل ونشاط الحركة الصهيونية، حيث كانت المشكلة تخف ، ولكنها سرعان ما تعود للبروز من جديد ٠ ولكنها لم تختف في اي مرحلة نهائيا ، ولم يعتمد اقتصاد اسرائيل في اي من هذه المراحل على عمل عبري بالشكل الذي يمكنها من الاستغناء عن اليد العاملة العربية ٠ وكثيرا ما حاولت ان تعوض هذه المسألة بالاعتماد على اليهود الشرقيين ، خصوصا في فترة الخمسينات وبعد عملية التهجير الواسعة وبالمقابل عملية الاستيلاء الواسعة على اراضي العرب وذلك اثر نكبة ١٩٤٨ ٠ فقد ازداد تكالب اسرائيل في هذه المرحلة على المهاجرين الشرقييـــن وخصوصا يهود البلاد العربية ، الذين شكلوا بالنسبة لها حلا مؤقتا لمشاكلها ، ولكنه لم يكن حلا دائما بل كان حلا محكوما ومقيدا بجملة اعتبارات لا تستطيع ان تقفـــز فوقها (٣٦) ٠

اذ ، وبالرغم من تخلف المجتمعات التي قدم منها هؤلاء المهاجرون ، لكنهم كانوا يمثلون شرائح طبقية متقدمة من ابناء تلك المجتمعات وتركزهم الطويل في المدنية ، وتخصصهم في بعض المهن ، وارتفاع نسبة المتعلمين بينهم بالقياس لابناء مجتمعاتهم الاصلية ، جعل من المستحيل توظيفهم ككل في قاعدة الاقتصاد الاسرائيلي وبالتالي يسدون بشكل كامل الفراغ الذي كان يعاني منه اقتصاد اسرائيل على صعيد المهن الشاقة والتي استثنيت من طهارة العمل العبري في السابق ، ولكن رغم طبيعة تكوين المهاجرين من البـــلاد

المتخلفة ، فان اسهامهم في حل هذه المشكلة كان اسهاما كبيرا ، ولا يمكن التقليل من دوره ، ولكن حرية دولة العدو على هذا الصعيد لم تكن حرية مطلقة ، بل كانت مقيدة باعتبارات اخرى لها اثر حاسم في ذهن المخطط الاسرائيلي · تلك الاعتبارات التي يمكن تلخيصها بمأزق مستوى المعيشة المرتفع باعتباره الوجه الآخر لعملية استجلاب المهاجرين الجدد ، ان لم يكن للاحتفاظ باولئك الذين هاجروا الى اسرائيل · ويعبر عن هذه المسألة خير تعبير القول انه «بدون مستوى معيشة مرتفع لا توجد هجرة وبدون هجرة لا تكون اسرائيل ·· (٣٧) » · وهذا القول ما هو الا تكرار لدعوة هرتزل في «دولة اليهود» عن الخروج الذي سيكون في الوقت نفسه ارتقاء طبقيا ·· وعن المهاجرين الذين سيحسنون مركزهم ·

الاعتبار الثاني هو محاولة قيادة الحركة الصهيونية واسرائيل خلق ما يمكن تسميته بـ (السلام الاجتماعي) لتجنيب المجتمع الاستيطاني في فلسطين المحتلة هزات اجتماعية خطيرة · تلك النظرية التي دفعت اسرائيل الى اتباع سياسة اجور تفوق انتاجية العمال في بعض الاحيان · ومن المستحيل على الاقتصاد الاسرائيلي ان يتحمل في المدى الطويـــل مثل هذه السياسة التي تبقيها اسيرة المساعدات الاجنبية ، سواء اخذت بشكل قروض او هبات لتمويل مثل هذه السياسة وغيرها من المخططات ·

## الصهيونية بين التمييز ضد ، والتمييز لصالح اليهود

الاعتبار الثالث هو ان الحركة الصهيونية ، لاكثر من سبب لا تستطيع التخلي عن نظرية التمايز كعنصر حاسم في استمرارية الحركة الصهيونية والمسألة اليهودية ، ويعبر خير تعبير قول بن غوريون عن « ان مساواة اليهود بغير اليهود في الحقوق والواجبات يجعل من خطر الاندماج اشد ·· (٣٨) » · واذا كان بن غوريون قد استعمل هذا التعبير بمعرض حديثه من الغاء التمييز الواقع ضد اليهود ، فان مسار الامور لم يبدل من جوهر حديث بن غوريون فالتمييز قد يكون لغير صالح ، وقد يكون لصالح اليهود ، وفي كلتا الحالتين فانه يكون عنصرا ضروريا لخلق مصلحة مادية مباشرة للانسان اليهودي العادي في استمرار الحركة الصهيونية واسرائيل · والمظهر العملي للتمييز لصالح اليهود هو في ارتقاءهم طبقيا وعلى حساب الاخرين ·

هذه العناصر مجتمعة تلازمت مع ادراك قيادة الحركة الصهيونية انها لم تستطع ان تجمع في فلسطين المحتلة ، وطيلة قرن من الزمن سوى حوالي ٢٠ ٪ من يهود العالـم ،وفي مواجهتها منطقة كاملة معادية لها وترفض وجودها ، الامر الذي دفعها لمحاولة تعويض التفوق الكمي بتفوق نوعي من خلال تكثيف الرساميل المستغلة وتصنيع المجتمع بشكل متسارع ، وقد اتضح هذا من خلال برامجها التصنيعية وتزايد مساهمة الصناعة فـي ناتجها القومي ، والتوسع في الصناعة وتكثيف الرساميل ، يعني توسعا في الحاجة الى اليد العاملة الفنية وغير الفنية · وقد استطاعت اسرائيل ان تحل مشكلة الحاجة لليد العاملة الفنية بواسطة برامجها التعليمية من ناحية ، وبارتفاع نسبة الاكاديميين والفنيين من بين المهاجرين الجدد ، هذا مع العلم ان مصادر الهجرة قد اصبحت محصورة تقريبا في بعض الدول المتقدمة ، والتي لا يمكن لها ان تقدم مهاجرين بالنسبة التي يحتاجها

الاقتصاد الاسرائيلي من اليد العاملة غير الفنية · ناهيك عن الاعتبارات التي سبق الاشارة اليها ·· ومن هنا فقد كان المأزق الاسرائيلي يتمثل في تخلف وتيرة تزايد اليد العاملة غير الفنية عن السرعة التي يتزايد بها التثمير والتصنيع ، واليد العاملة غير الفنية والتي دفعت اسرائيل الى الاعتماد اكثر فاكثر على اليد العاملة غير اليهودية لضمان استمرار ونمو اقتصادها · واعادها مرة ثانية الى سياسة تجزئ الطهارة التي سبقت الاشارة اليها ، بين عمل عال يستدعي الطهارة واخر لا يستدعيها ·

ان الاعتماد على اليد العاملة غير العبرية في السنوات الاخيرة من الستينات لم يعد يفعل المؤثرات نفسها التي كانت في المراحل السابقة · لقد اصبحت بفعل خطة مدروسة ومنظمة وضعت موضع التطبيق العملي في النصف الاول من الستينات وما زالت اسرائيل تسير بناء عليها حتى الان · ويتضح لنا هذا من خلال القاء نظرة سريعة على اتجاه نمو الاقتصاد الاسرائيلي ، والخطط الاقتصادية الاسرائيلية كما تعبر عنها الارقام بما لها من دلالات ·

وعندما نقول بفعل خطة مدروسة ومنظمة ، فاننا نعتمد على ان التوسع الصناعي الاسرائيلي هو في متناول يد السلطات الرسمية الاسرائيلية ، والتي تبرمج عملية التصنيع ، وتساهم بنسبة كبيرة منه ، وما تبقى منه تحرص على ان يكون متناسقا مع الخطة الصناعية العامة ، ولديها من الوسائل ما يكفل لها هذا الامر · كالمساعدات ، والقروض واعانات التصدير ، واسعار الصرف · (٣٩)

ان اكثر الارقام دلالة هي النسبة التي تزايدت بها المنتوجات الصناعية ، والحجم الذي بدأت تحتله في الناتج القومي الاسرائيلي · فقد تزايدت الصادرات الزراعية من ١٢٣ر١٨ مليون دولار عام ١٩٤٩ اي ما نسبته ٦ر٦٣٪ من اجمالي الصادرات مقابل ٢٧٢ر١٠ مليون دولار صادرات صناعية اي ما نسبته ٤ر٣٦٪ الى ١ر١٧٣ مليون دولار صادرات زراعية عام ١٩٧٣ ، ولكن قيمتها النسبية هبطت لتبلغ ٩ر١١٪ فقط من اجمالي الصادرات· وفي الوقت نفسه قفزت الصادرات الصناعية لتبلغ ٦ر١٢٧٥ مليون دولار عام ١٩٧٣ اي ما نسبته ١ر٧٨٪·٠٠ (٤٠) وفيما تضاعفت الصادرات الزراعية في الحقبة بين ١٩٤٩ ـ ١٩٧٣ ، بـ ٥ر٩ مرة فقط ، فان الصادرات الصناعية قد تضاعفت ١٢٣ مرة ، بينما زاد اجمالي الصادرات الاسرائيلية ٨ر٥٠ مرة (٤١) ·

## طاقة انتاجية عاطلة ام احتياطية ؟!

ان تزايد نسبة الصادرات الصناعية في صادرات اسرائيل بالمعدلات المشار اليها ما هو الا انعكاس للبرنامج التصنيعي الذي نفذته اسرائيل ومولته بوسائل مختلفة ، من هبات وقروض وتعويضات · ان المشكلة ليست في التوسع الصناعي الذي شهدته اسرائيل، بل في الحدود التي بلغتها ، ومقدار الطاقة الصناعية التي وظفتها اسرائيل · والتي تتجاوز مقدرة اسرائيل على التشغيل ، حيث بدأت اسرائيل تعاني من الطاقة الانتاجية العاطلة في صناعتها · ففي عام ١٩٦٦ وبعد ان قطعت اشواطا بعيدة في تحطيم اقتصاد عرب الاراضي المحتلة ١٩٤٨ ، من مصادرة اراضي وغيرها من مصادر الرزق

وبعد ان حولت معظم السكان العرب الى بروليتاريا ، وبعد ان حولت القرية اوالمدينة هناك الى شبه فندق يصلح حمكان اقامة للعاملين في الاقتصاد اليهودي ، رغم كل هذا فقد بلغت الطاقة الانتاجية العاطلة في عام ١٩٦٦ في بعض الصناعات حوالي ٤٠٪ من الطاقة الانتاجية لتلك الصناعات (٤٢) وفي الطاقة الانتاجية العاطلة عام ١٩٦٦ سر قدرة ، واستعداد اسرائيل لاستيعاب اعداد لا بأس بها من عرب المناطق المحتلة بعد ١٩٦٧ · الامر الذي يوضح ان تلك الامكانية قد سبق الاعداد لها منذ وقت مبكر ، وما قبل قيام حرب ١٩٦٧ · ولقد استمرت استعدادات اسرائيل في استيعاب اليد العاملة العربية من المناطق المحتلة بعد ١٩٦٧ لتبلغ في ١٩٧٣ والفترة التي تلتها حوالي مائة الف عامل عربي ، بين عمال منظمين وشرعيين يعملون عن طريق الهستدروت واخرون غير شرعيين ،سواء اولئك العمال الذين يعملون في مشاريع انتاجية في مناطق ١٩٤٨ او في المشاريع التابعة التي انشأت في المناطق المحتلة ١٩٦٧ لتموين الصناعة الاسرائيلية لحاجتها من السلع نصف المصنعة ·

## طاقة انتاجية عاطلة والتثمير مستمر

لكن وبرغم هذا ، فان التوسع الصناعي الاسرائيلي لم يتوقف ، والطاقة الانتاجية العاطلة استمرت في التزايد ، وقد اتضح من دراسة اعدها حاييم ليفي عميد كلية ادارة الاعمال في الجامعة العبرية ونشرتها جريدة هآرتس في عددها الصادر يوم ١٩٧٣/١٢/١٠ ان الصناعة الاسرائيلية قادرة على زيادة الانتاجية بنسب تتراوح بين ٣٥٪ و٥٠٠٪ دون اية توظيفات جديدة ·· (٤٣) · وهكذا يتضح معنا ان الطاقة الانتاجية العاطلة في الصناعة الاسرائيلية في تزايد مستمر بين السنوات ١٩٦٦ ــ ١٩٧٣ بينما يتزايد الاعتماد على اليد العاملة العربية · واذا جاز لنا اعتبار حرب ١٩٦٧ وما تمخض عنها من ابتلاع لمناطق عربية جديدة ، ويد عاملة عربية رخيصة ، مرتبطة اشد الارتباط بالبرامج الصناعية الاسرائيلية وبالتالي بالطاقة الانتاجية العاطلة ، وبمعنى ادق الاحتياطي في الطاقة الانتاجية الصناعية الاسرائيلية ، فانه يجوز لنا ربط التزايد في احتياطي الطاقة الانتاجية في الصناعة الاسرائيلية عام ١٩٧٣ ، وافاق المستقبل ، وطموح اسرائيل بأن يوفر هذا المستقبل ، سلما اوحربا ، اليد العاملة الضرورية لتشغيل تلك الطاقة الاحتياطية· الامر الذي يدفعنا للجزم بان تلك الطاقة الاحتياطية ، وبالتالي الاعتماد على اليد العربية هي بفعل مخطط مسبق وواع · وكانت دراسة اعدتها مؤسسة (راند) قد اشارت الى «انه اذا ما استمر الاقتصاد الاسرائيلي بالتطور على اساس نسبة نموه الحالية فيمكنه استيعاب ٣٠٫٠٠٠ عامل اضافي من المناطق المحتلة عام ١٩٧٣ و٢٠٫٠٠٠ عامل اضافي سنويا من المناطق المحتلة حتى عام ١٩٧٨ » · (٤٤)

## تزايد الاستثمارات ، تزايد الاعتماد على العمال العرب

ان تزايد « الموارد التي لا تزال عاطلة او متوفرة بكثرة في الاقتصاد الاسرائيلي كالالات ورأس المال غير البشري » (٤٥) والذي اكدته النسب السابقة المعطاة قد ترافق مع ازدياد مطرد في نقص الطاقة العاملة والتي هي الوجه الآخر لتزايد الطاقة الانتاجية الاحتياطية ــ العاطلة في الاقتصاد الاسرائيلي · وقد عبر عن هذا المأزق (الا وهو تفاوت

معدلات التوسع بنسب كبيرة بين نمو راس المال ونمو الطاقة العاملة ) اكثر من تصريح لاكثر من مسؤول اسرائيلي وقد سبق لاسحاق رابين رئيس وزراء اسرائيل ان صـــرح (١ـ٨ـ١٩٧٤) قائلا « وصلنا الى وضع اصبحت فيه الطاقة البشرية في اسرائيل تقيدنا اكثر من اي عامل اخر ·· (٤٦) » وفي وقت سابق قالت مجلة هاعولام هازيه انه قد صرف النظر عن المشروع الذي اعد لتصدير عمال عرب الى اوروبا بعد ان اتضح ان هناك طلبا في اسرائيل لكل عرض للايدي العاملة ··· (٤٧) » · وكان يوسف الموجي ، وزير العمل الاسرائيلي قد توقع في ٢٩ـ١٢ـ٧٢ «ان النقص في الطاقة البشرية سيستمر حتى فـي السنوات الخمس المقبلة ··· (٤٨) » ·

## «ركيب اليد العاملة الاسرائيلية

ان الذي زاد مشكلة اليد العاملة في الاقتصاد الاسرائيلي تفاقما هو طبيعة تركيب اليد العاملة الاسرائيلية ، ووجود فائض في اليد العاملة الفنية بالقياس لامكانيات الاقتصاد الاسرائيلي على التشغيل ، فـ «نسبة الجامعيين العاملين في الاقتصاد الاسرائيلي الى جملة الطاقة العاملة تبلغ ٩ر١٤٪ بينما تبلغ في المانيا الغربية والولايات المتحدة الامريكية ٤ر١٣٪ و٢ر١٣٪ على التوالي · (٤٩) وبرغم هذه النسبة المرتفعة «فان عشرات الجامعيين في مراكز الاستيعاب ليس في امكانهم ايجاد عمل ·· (٥٠) » · واذا كان بامكان اسرائيل ان تؤجل تشغيل طاقتها الانتاجية العاطلة ـ الاحتياطية في الالات وراس المال غير البشري ، فان امكانيتها في تحمل وجود بطالة او بطالة مقنعة في يدها العاملة الفنية تبقى امكانية محدودة وتحتمل مخاطر جمة ابرزها الهجرة المضادة لهذه اليـــد العاملة ، وهو امر لا تستطيع المغامرة فيه ·

## المهاجرون اليهود لا يحلون المشكلة

هذا مع العلم ان محاولتها لتعويض النقص في اليد العاملة غير الفنية بالفائض لديها من اليد العاملة الفنية يحتمل مخاطر جمة ابرزها احتمال الهجرة المضادة · وكذلك فان هذه السياسة قد كانت محل معارضة مـــن باروخ باراك رئيس مصلحة الاستثمارات الاسرائيلية في الولايات المتحدة اذ صرح ابان انعقاد المؤتمر الاقتصادي الثاني الذي عقـد في اسرائيل في منتصف عام ١٩٦٩ قائلا «ان اسرائيل تبدد طاقتها البشرية ، فالمهندسون لا يزالون يوظفون كعمال تقنيين ، والعمال التقنيون كعمال مشرفين ، والعمال المهرة كعمال اشغال وتصليحات ، بدلا من ان يكونوا عمالا في مصانع الالكترونيات ·· (٥١) » ولا يمكن لنا ان نفصل حديث باروخ باراك هذا عن السياسة الاسرائيلية التي اتبعتها اسرائيل لاحقا ، حيث انتصرت وجهة النظر الداعية للتوسع في تشغيل اليد العاملة العربية من المناطق المحتلة ١٩٦٧ · وكذلك حديث «عولام هازيه عن صرف النظر عن مشروع تصدير عمال عرب الى اوروبا بعد ان اتضح حاجة الاقتصاد الاسرائيلي لاي عرض لليد العاملة ···

ان هذا المأزق معرض للتزايد مع تزايد الهجرة من الخارج ، بدلا من ان توفر حلا له · فـ «غالبية هؤلاء المهاجرين يتمتعون بمهارات وكفاءات انتاجية ابعد ما تكون عن تلك

المهام البسيطة ـ اي العمل غير الفني ـ وبالتالي فانها لا تكون تعويضا عن النقص الحالي في الطاقة البشرية الموجودة في اسرائيل ··· (٥٢) ».

ان ما تقدم يوضح طبيعة الخطط الاقتصادية الاسرائيلية القائمة على التوسع في عملية الاستثمار الى اقصى مدى ، مستغلة وفرة رؤوس الاموال واليد العاملة والفنية ، ومن ناحية اخرى توضح طبيعة مأزق اسرائيل على صعيد اليد العاملة غير الفنية ، واستحالة حله من خلال المهاجرين الجدد ، او الطاقة العاملة الفنية العاطلة حاليا ، الامر الذي يؤكد الدور المرسوم للعمال العرب في الاقتصاد الاسرائيلي ، والذي سيزيد من اعتماده عليهم ، ليس لحل المأزق الحالي فحسب ، بل لكي يكون قادرا على تنفيذ مخططاته للمستقبل · وفي رأسها الاندماج في السوق الاوروبية المشتركة ، حسب ما نصت الاتفاقية الموقعة بالاحرف الاولى بين اسرائيل والسوق في ٢٣ ـ ١ ـ ١٩٧٥ · (٥٣) واكثر من ذلك محاولة اسرائيل لعب دور القاعدة الاقتصادية لدول السوق الاوروبية المشتركة في المنطقة، وكان عضو رئاسة السوق المشتركة قد قال في اعقاب تلك الاتفاقية « ان الهدف الرئيسي من هذا الاتفاق ليس فقط تخفيض الضرائب بل اجراء تعاون اقتصادي بين اسرائيل والسوق ·· وان الاتفاق سيؤدي الى اقامة شركات ومشاريع مشتركة ··· وان في اوروبا نقصا في الايدي العاملة وفي المساحات المخصصة للصناعة ونأمل ان نجد هذا في اسرائيل ·· (٥٤) » وفي ضوء هذا الحديث يكتسب كلام صحيفة معاريف في تلك الفترة اهمية كبرى عندما اشارت الى ان « المفاوضات مع السوق ملزمة حتى الان بالتأثير على اتجاهات التخطيط والانماء والاستثمارات واعداد طاقة بشرية في الاقتصاد الاسرائيلي ·· (٥٥) »

ولو تذكرنا ان اسرائيل تعاني من نقص كبير وخطير في الطاقة البشرية ، وكذلك الامر بالنسبة للرساميل الموظفة بها ، لادركنا على الفور ، الدور المخصص للعمل العربي في ذهن المخطط الاقتصادي الاسرائيلي ··

## تجزيء الطهارة ، وتقسيم العمل طبقيا وقوميا

ويفعل هذا الوضع ، والذي هو كما اتضح معنا نتيجة لسياسة مرسومة ، عملت اسرائيل على ترتيب اوضاعها العمالية على اساس تقسيم العمل والتخصص بين عمل فني بقي حكرا على اليد العاملة اليهودية وعمل غير فني يقع عبئه بشكل اساسي على اليد العاملة العربية ، وفي هذا الصدد لا بد من الاشارة الى سياسة اسرائيل باستيعاب اليهود الشرقيين ودمجهم اكثر فاكثر في الحياة الاقتصادية الاسرائيلية وضمهم الى الشريحة العليا من الطبقة العمالية في اسرائيل ·

وفي الوقت نفسه الاستمرار في مصادرة اراضي عرب المناطق المحتلة ١٩٤٨ لتحطيم الهياكل والبنى الاقتصادية لهم وتحويلهم الى أيد عاملة رخيصة في الاقتصاد الاسرائيلي ولكي يسد النقص في الطاقة العاملة غير الفنية ·

ان طبيعة تركيب اليد العاملة من عبرية وعربية في الاقتصاد الاسرائيلي تتضح من خلال الجداول التالية :

## جدول رقم ــ ١ ــ

### تركيب القوى العاملة في الاقتصاد الاسرائيلي عام ١٩٧٣
### عدد العاملين في القطاعات الاقتصادية ( عرب ، يهود )

| فروع الاقتصاد | اجمالي ( الف ) | يهــود ( الف ) | نسبة اليهود ٪ | العرب ( الف ) | نسبةالعرب المئوية |
|---|---|---|---|---|---|
| كافة الفروع | ١٠٨٨ر٤٠٠ | ٩٨١ر١٠٠ | ٩٠ | ١٠٧ر٣ | ١٠ |
| الزراعة | ٨١ر٤٠٠ | ٦٠ر٨٠٠ | ٪٧٤ | ٢٠ر٦٠ | ٪٢٦ |
| الصناعه | ٢٦٩ر٨٠٠ | ٢٥٣ر٦٠٠ | ٪٩٤ | ١٦ر٢٠ | ٪ ٦ |
| الكهرباء | ١٠ر٤٠٠ | ٩ر٩ | ٪٩٥ | ر٥ | ٪ ٥ |
| البناء | ٩٦ر١٠٠ | ٦٩ر٣ | ٪٧٢ | ٢٦ر٨ | ٪٢٨ |
| تحارة، مطاعم، فنادق | ١٢٨ر٩٠٠ | ١٢٤ر٩ | ٪٩٠ | ١٤ | ٪١٠ |
| نقــل | ٧٨ر٩٠٠ | ٧٢ر٠٠ | ٪٩١ | ٦ر٩ | ٪ ٩ |
| تأمين | ٦٨ر٠٠٠ | ٦٦ر٥٠٠ | ٪٩٨ | ١ر٥ | ٪ ٢ |
| اعمال عامة | ٢٦٥ر٩ | ٢٥٠ر٤ | ٪٩٤ | ١٥ر٥ | ٪ ٦ |
| حدمــات | ٧٥ر٧ | ٧٠ر٤ | ٪٩٣ | ٥ر٣ | ٪ ٧ |

(٥٦)

## جدول رقم ــ ٢ ــ

### تركيب القوى العاملة في الاقتصاد الاسرائيلي عام ١٩٧٣
### توزيع القوى العاملة حسب طبيعة المهنة ( يهود + عرب ١٩٤٨ )

| تصنيف المهنة | اجمالي (الف) | يهــود (الف) | عرب (الف) | نسبة اليهود ٪ | نسبة العرب ٪ |
|---|---|---|---|---|---|
| اجمالي | ١٠٨٨ر٤ | ٩٨١ر١ | ١٠٧ر٣ | ٪٩٠ | ٪١٠ |
| مجالات علمية واكاديمية | ٦١ر٨ | ٦١ | ر٨ | ٪٩٩ | ٪ ١ |
| مهنيون وتقنيون | ١٢٣ر٢ | ١١٥ر٠ | ٨ر٢ | ٪٩٣ | ٪ ٧ |
| مديرون | ٣٥ر٣ | ٣٤ر٥ | ٠ر٨ | ٪٩٨ | ٪ ٢ |
| اعمال مكتبية وادارية | ١٧٧ر١ | ١٦٨ر٣ | ٨ر٨ | ٪٩٥ | ٪ ٥ |
| بائعون | ٨٥ر٥ | ٧٨ر١ | ٧ر٤ | ٪٩١ | ٪ ٩ |
| عمال خدمات | ١٣٣ر٨ | ١٢٢ر٣ | ١١ر٥ | ٪٩١ | ٪ ٩ |
| عاملون بالزراعة | ٧٥ر٦ | ٥٩ر٨ | ١٥ر٨ | ٪٧٩ | ٪٢١ |
| عمال مهرة / صناعة.. الخ | ٣١٧ر٠ | ٢٧٩ر٨ | ٣٧ر٢ | ٪٨٨ | ٪١٢ |
| عمال غير مهرة | ٧١ر٧ | ٥٤ر٩ | ٨٦ر٨ | ٪٧٦ | ٪٢٤ |

(٥٧)

## جدول رقم ـ ٣ ـ

### تركيب القوى العاملة في الاقتصاد الاسرائيلي عام ١٩٧٣
### تركيب القوى العاملة في القطاعات الرئيسية بعد اضافة عمال مناطق ٦٧

| القطاع الاقتصادي | اجمالي | يهود | عرب مناطق ٤٨ | عرب مناطق ٦٧ | اجمالي العرب | نسبة اليهود | نسبة العرب |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| بنـاء | ١٥٤ر٥٩٢ | ٩٦ر١٠٠ | ٢٦ر٨٠٠ | ٣١ر٦٩٢ | ٥٨ر٤٩٢ | ٦٢ر٢٪ | ٣٧ر٨٪ |
| صناعة | ٢٨٠٨٩٥ | ٢٥٣٦٠٠ | ١٦ر٢٠٠ | ١١ر٠٩٥ | ٢٧ر٢٩٥ | ٩٠ر٢٪ | ٧ر٨ ٪ |
| زراعة | ٩٣٢٣٠ | ٦ر٨٠٠ | ٢٠ر٦٠٠ | ١١ر٨٣٠ | ٣٢٤٣٠ | ٦٥ر٢٪ | ٣٤ر٨٪ |

(٥٨)

## جدول رقم ـ ٤ ـ

### تركيب القوى العاملة في الاقتصاد الاسرائيلي عام ١٩٧٣
### تركيب اليد العاملة العربية ( منطقة ١٩٤٨ )

| تصنيف المهنـة | العـدد ( الف ) | نسبة مئوية |
|---|---|---|
| اجمـالي | ١٠٧ر٣ | |
| مجالات علمية واكاديمية | ٨ر | ٠ر٧٤٥ ٪ |
| مهنيون وتقنيون | ٨ر٢ | ٧ر٦٤٠ ٪ |
| مديـرون | ٨ر | ٠ر٧٤٥ ٪ |
| اعمال مكتبية وادارية | ٨ر٨ | ٨ر٢٠٠ ٪ |
| بائعـون | ٧ر٤ | ٦ر٨٠٠ ٪ |
| عمال خدمات | ١١ر٥ | ١٠ر٧٠٠٪ |
| عاملون بالزراعة | ١٥ر٨ | ١٤ر٧٠٠٪ |
| عمال مهرة/صناعة ... الخ | ٢٧ر٢ | ٣٤ر٦٠٠٪ |
| عمال غير مهـرة | ١٦ر٨ | ١٥ر٦٠٠٪ |

## جدول رقم ـ ٥ ـ

## تركيب القوى العاملة في الاقتصاد الاسرائيلي عام ١٩٧٣

## تركيب القوى العاملة اليهودية

| المهنـــة | اجمالي ( الف ) | نسبة مئوية |
|---|---|---|
| مجالات علمية واكاديمية | ٦١ | ٦ر٢ ٪ |
| مهنيون وتقنيون | ١١٥ر٠ | ١١ر٧ ٪ |
| مديرون | ٣٤ر٥ | ٣٠ر٥ ٪ |
| اعمال مكتبية وادارية | ١٦٨ر٣ | ١٧ر١ ٪ |
| بائعـــون | ٧٨ر١ | ٧ر٩ ٪ |
| عمال خدمات | ١٢٢ر٣ | ١٢ر٤ ٪ |
| عاملون بالزراعة | ٥٩ر٨ | ٦ر٠ ٪ |
| عمال مهرة/صناعة ... الخ | ٢٧٩ر٨ | ٢٨ر٥ ٪ |
| عمال غـير مهرة | ٥٤ر٩ | ٥ر٥ ٪ |

(٦٠)

## جدول رقم ـ ٦ ـ

## تركيب القوى العاملة في الاقتصاد الاسرائيلي عام ١٩٧٣

## نسبة توزيع اليد العاملة العربية ، بالمقارنة مع نسبة توزيع اليد العاملة اليهودية

| | نسبة اليهود ٪ | نسبة العرب ٪ | نسبة العرب لليهود ٪ |
|---|---|---|---|
| مجالات علمية واكاديمية | ٦ر٢ | ٠ر٧٤٥ | ١٢ ٪ |
| مهنيون وتقنيون | ١١ر٧ | ٧ر٦٤ | ٦٥ ٪ |
| مديـرون | ٣ر٥ | ٠ر٧٤٥ | ٢١ ٪ |
| اعمال مكتبية وادارية | ١٧ر١ | ٨ر٢٠٠ | ٤٧ ٪ |
| بائعـون | ٧ر٩ | ٦ر٨٠٠ | ٨٦ ٪ |
| عمال خدمات | ١٢ر٤ | ١٠ر٧٠٠ | ٨٦ ٪ |
| عاملون بالزراعة | ٦ر٠ | ١٤ر٧٠٠ | ٢٤٥ ٪ |
| عمال مهرة/صناعة.. الخ | ٢٨ر٥ | ٣٤ر٦٠٠ | ١٢١ ٪ |
| عمال غير مهرة | ٥ر٥ | ١٥ر٦٠٠ | ٢٨٣ ٪ |

(٦١)

ويتضح لنا من خلال الجدول رقم (١) ان نسبة العرب المئوية تبلغ ١٠ ٪ من اجمالي العاملين في الاقتصاد الاسرائيلي ، وفيما لو اعتبرنا ان متوسط توزيع العمال العرب في القطاعات الاقتصادية المختلفة يجب ان يدور حول نسبة ١٠ ٪ ، لاتضح لدينا طريقة توجيه اليد العاملة العربية ، فهنالك فرعين اقتصاديين فقط هما الزراعة والبناء تبلغ بهما نسبة العرب ٦ر٢ و ٨ر٢ مرة ضعف النسبة المقررة للعرب اي ١٠ ٪ · وبالمقابل يلاحظ ان نسبة العرب في الفروع الاخرى هي دون المتوسط المقرر للعرب وتهبط لتبلغ ٢ ٪ فقط في قطاع التامين ·

هذا ويلاحظ نفس الشيء بالنسبة للجدول رقم (٢) وتوزيع العاملين على اساس تصنيف المهنة ، ففي الوقت الذي تبلغ فيه نسبة العرب ١٠ ٪ من اجمالي العاملين ، فان المصنفين باعتبارهم عمالا غير مهرة يبلغون ٢٤ ٪ اي ٤ر٢ مرة ضعف المتوسط العام اي ١٠ ٪ · بينما لا تزيد نسبة العرب العاملين في مجالات علمية واكاديمية عن ١ ٪ اي ١٠ / ١ النسبة المقررة للعرب ·

ان اضافة عمال المناطق المحتلة ١٩٦٧ الى عمال المناطق المحتلة ١٩٤٨ قد زاد من الخلل الذي تبينه ارقام الجدولين (١) و (٢) فبينما كانت نسبة العمال العرب من مناطق ١٩٤٨ تبلغ في قطاعات البناء والصناعة والزراعة ٢٨ ٪ و ٦ ٪ و ٢٦ ٪ على التوالي فان النسب قد زادت بعد اضافة عمال مناطق ١٩٦٧ كما هو واضح في جدول رقم (٣) الى ٨ر٣٧ ٪ و ٨ر٧ ٪ و ٨ر٣٤ ٪ على التوالي ·

ان التوزيع الطبقي للعمال العرب واليهود ، والتوجيه المهني لكل منهما يتضح معنا اكثر فاكثر من ملاحظة الجداول (٤) و (٥) و (٦) ، حيث تتبين نسبة توزيع اليد العاملة العربية واليهودية ، كل على حدة على اساس تصنيف المهنة ، وبكلمة ادق التركيب الطبقي لكل منهما ، ومن هنا كان الجدول رقم (٦) الذي اعد للمقارنة بين التركيبين الموضحين في جدول رقم (٤) و (٥) ·

و « تقوم فكرة الجدول رقم (٦) على اظهار التباين بين تركيب القوى العاملة اليهودية واليد العاملة العربية ، لتوضيح الوظيفة الطبقية لكل منهما في اسرائيل · ولو اخذنا تركيب القوى العاملة الاسرائيلية واعتبرنا كل نسبة من نسب العاملين هي اساس القياس فالمفترض ان تكون نسب تركيب اليد العاملة العربية متقاربة مع نسب تركيب اليد العاملة اليهودية ، اي ان تساوي النسبة المستخرجة في ضوء تركيب اليد العاملة العربية ١٠٠ ٪ من النسبة المستخرجة في ضوء تركيب اليد العاملة اليهودية ، واي خلل في هذه النسبة يوضح مقدار الخلل في تركيب اي منهما · وكما هو موضح في الجدول ، ففي الوقت الذي تختل فيه النسبة لصالح العرب على صعيد العاملين بالزراعة والعمال غير المهرة بثلاثة اضعاف تقريبا ، نجدهم لا يشغلون سوى ١٢ ٪ مثلا من النسبة المفترض ان يشغلوها في المجالات العلمية والاكاديمية · (٦٢) » ·

## اهمية العمال العرب · نسبة مئوية ام مرحلة انتاجية ؟

ان الارقام التي تقدمها الجداول السابقة واضحة في دلالاتها ، وتبين الوظيفة الطبقية لعرب المناطق المحتلة في الاقتصاد الاسرائيلي وتؤكد ان اهمية اليد العاملة العربية في

الاقتصاد الاسرائيلي ، اضافة الى انها تمون الاقتصاد الاسرائيلي بـ ١٠ ٪ من الطاقة العاملة فيه ، فانها تتركز في القطاعات الانتاجية ٠ واكثر من ذلك فان اهميتها لا تنبع من كونها ١٠٪ فقط ، وهي نسبتها الى اجمالي الطاقة العاملة ، بل من النسبة التي تمثلها من اجمالي العاملين في قطاع الانتاج ، وعلى سبيل المثال فان نسبة عمال المناطق المحتلة ١٩٦٧ والتي تبلغ « ٥ر٤ ٪ من اجمالي الطاقة العاملة تساوي ٥ر١١ ٪ من الطاقة العاملة في مجال الانتاج (٦٣) ٠ » وقد قدرت نسبة العمال العرب من مناطق ١٩٤٨ و ١٩٦٧ « لاجمالي الطاقة العاملة في مجال الانتاج بحوالي ٣٧٪ ٠٠ (٦٤) » ٠

وحتى هذه النسبة لا تعكس اهمية اليدالعاملة العربية كون النسبة محسوبة على اساس اجمالي العاملين في قطاع الانتاج ٠ ولكن تركز العرب في الاعمال غير الفنية يعطيهم اهمية نسبية جديدة تبلغ على الاقل ضعف النسبة التي يشكلونها من اجمالي العاملين في قطاع الانتاج ٠

وان الـ ١٠ ٪ التي يمثلها العمال العرب من اجمالي اليد العاملة والتي تشكل حوالي ٣٧ ٪ من اجمالي العاملين في قطاع الانتاج ، تتضاعف مرة جديدة لتبلغ نسبة تزيد على ٧٥ ٪ عندما تحسب بالقياس الى عدد العاملين فيما يمكن تسميته المهن السوداء في الاقتصاد الاسرائيلي ، فهم لا يشغلون اكثر من ٦ ٪ من العاملين بالصناعة و ٢٦ ٪ من العاملين بالزراعة ولكن هذه الـ ٦ ٪ والـ ٢٦ ٪ ليست رقما مجردا ٠٠ لانها مرحلة انتاجية بكاملها ٠ واثرها لا يمس ١٠ ٪ او ٢٦ ٪ او ٦ ٪ من الاقتصاد ، فالسيطرة على مرحلة انتاجية هي سيطرة على العملية الانتاجية بكاملها ، وعندما تحسب الاهمية على اساس المراحل الانتاجية ، تتساوى اهمية الحمال مع اهمية المهندس او المدير الذي يشرف على وينظم العملية الانتاجية ، وكما يتساوى الكاتب مع عامل المطبعة الذي ينضد الحروف في تقديم العمل للقارئ رغم فارق الاجر وطبيعة المهنة والتصنيف الطبقي لكل منهما ٠

## العمل العبري بعد ثلاثة ارباع القرن

ان العرض الذي تقدم يوضح حقيقتين متلازمتين ، الاولى خرافة سياسة العمل العبري وعدم امتلاكها للمقومات المطلوبة ، والثانية الدور الحاسم لليد العاملة العربية في الاقتصاد الاسرائيلي ٠ ولكن رغم كل هذا فان السلطات الاسرائيلية تصر عبر تصريحات هنا وهناك على ان تشغيل العمال العرب هو من اجل توفير لقمة الخبز لهم ٠ فموشى ديان ، عندما كان وزيرا للدفاع ، كان يقول « ان الجواب الوحيد للنزاع هو التعايش مع العرب ٠٠٠ علينا ان نحولهم من لاجئين يعيشون على مخصصات السمن والارز الى اناس يعملون ، علينا ان نؤدي بهم الى وضع يمكنهم من العيش بشرف ، اننا لسنا بعيدين عن ذلك ، فخلال الاعوام الخمسة الماضية عملنا بما فيه الكثير ، ولكن يقتضي بذل المزيد من العمل ٠ ان الصرخة المطالبة بالعمل العبري تصم آذاني لانها تعني عدم توفير عمل للعرب ٠٠٠ (٦٥) » ٠

## العمل العربي بين السياسة الاعلانية والحاجة العملية

ان تشغيل اليد العاملة العربية ليست للاسباب الاعلانية التي يقول بها موشى ديان ، وما

تصريحه سوى نموذج ٠٠ بل لسبب قديم ـ جديد منذ بداية هذا القرن وحتى الان ٠٠ منـذ ايام هرتزل وآحاد هعام الى يومنا هذا ٠ ويوجزه قول صحيفة هآرتس « لقد قيل الكثير عن الفوائد الاقتصادية التي جناها العرب ،بيد ان الفوائد التي جناها اليهود لا تقل عنها ٠ فلولا العمل العربي لما كانت موجات الهجرة تستوعب بالسرعة التي استوعبت بها ٠٠ ان مهاجري المانيا في الثلاثينات قد استوعبوا في منازل ، اعتمد في بنائها على مواد البنـاء التي انتجها العرب ، وتم بناء قسم منها في القدس وحيفا ، بواسطة الايدي العربية ، كما ان عملية استيعاب مهاجري ٠٠٠ الخمسينات نمت بالاستعانة بتجنيد الايدي العربية فـي المناطق القديمة ٠ ان التطور المعروف لدينا ـ اي التوسع في اليد العاملة العربيـة ـ في الاعوام التي اعقبت حرب حزيران ليس فيه جديد ٠٠ (٦٦) » ٠ وبكلام هآرتس هذا عـام ١٩٧٢ تؤكد حديث آحاد هعام عام ١٩١٢ عن ان «مستوطناتنا القروية في فلسطين حتى ولو اتسعت مع مرور الزمن لتصل نهاية حدود الامكانات ، ستبقى دائما مستوطنات عليا تابعـة لاقلية متحضرة متطورة تستمد قوتها من عقلها ومالها ، بينما الجماهير القروية الفقيـرة التي تستمد قوتها من عمل ايديها ، لن تكون لنا في ذلك الوقت ٠٠ (٦٧) » ٠ ولا في اي وقت اخر كما يبدو !٠ رغم ان السيد كنيغ ، في مذكرته المشهورة له رأي اخر ، فقـد هزه يوم الارض ويعنف ، ولذا فقد اكتشف الوجه الاخر ، لموضوع اليد العاملة العربية في الاقتصاد الاسرائيلي ، وتذكر انه « نتيجة لهرب العمال اليدويين اليهود من العمل في مجال الاشغال اليدوية » (٦٨) ٠ انفتح الباب « امام العرب على مصراعيه (٦٩) » ٠ والنتيجة انه « اصبح حسن سير اقتصاد الدولة متوقفا عليها ـ اي اليد العاملة العربية ـ الى حد بعيد٠٠(٧٠)»٠ وبعد اضراب يـوم الارض ، حيث اعد ملحقـا لمذكرته والتـي اعدت قبل ذلك ، تأكدت قناعة يسرائيل كنيغ اكثر فيقول « ترك الاضراب انطباعا قويا لدى المعامل ومؤسسـات الخدمات ، بأن حسن سير الاقتصاد يعتمد على الايدي العاملة ٠ وفي الوقت نفسـه اثبت السكان العرب حيويتهم بالنسبة للاقتصاد الذي يديره يهـود ٠٠ (٧١) » ويعـد ان يعدد الفروع التي يسيطر عليها العمال العرب يقول « والتبعية التي تميز فروع اقتصاد كثيـرة مرتبطة بهذه الايدي العاملة ، اعطت شعورا بالقوة لعرب اسرائيل الامر الذي استغلتـه الجهات المهتمة بذلك ٠٠ (٧٢) » ويشير كنيغ في مكان اخر من مذكرته الـى « ان تركيز السيطرة على قطاعات اقتصادية معينة يمكن العرب من الاضراب او عدم التعاون ممـا سيؤدي الى اضرار اقتصادية بالغة للدولة . وعلى الخصوص اضرار سياسية عن طريـق ابراز وزنهم كعامل مهم في اقتصاد الدولة ٠٠ (٧٣) » ٠

وفي ضوء ما تقدم يقترح : « وضع اتفاقات مناسبة مع كل ادارة مشروع او معمـل خاضع « لقانون استثمار رأس المال » في المناطق الحساسة ٠٠٠ بحيث لا يزيد العمـال العرب على نسبة ٢٠ ٪ (٧٤) » ٠

## المأزق : الضربة توجه للعمال العرب فتصيب العمال اليهود

اقتراح كنيغ ، اقتراح حسن في حدود ظواهر الارقام وذلك بتحديد النسبة ٢٠٪ ! ولكن المسألة ليست مسألة نسبة ترتفع او تنخفض ، وتمس العرب فقط ٠ فمراحـل اي عمليـة انتاجية بمقدار انفصالها فهي متحدة ٠٠ وعندما نقول مأزق اقتراحات السيد كنيغ وبالتالي مأزق الصهيونية ففي الذهن استحالة المساس بالعمال العرب ٠٠ دون المساس بالعمـال اليهود ٠ وان اراد خلق المشاكل للعمال العرب ٠٠ فهو لا يستطيع الا ان يخلق ويقدر مساو

( ان لم يكن اكثر ) مشاكل للعمال اليهود ، للاقتصاد الاسرائيلي ‥ واستطرادا لكل البنية الاجتماعية لاسرائيل ‥

فالسيد كنيغ يتحدث بمعرض حديثه عن العرب عن « تركيز السيطرة على قطاعات اقتصادية معينة ‥ (٧٥) » ماذا يعني التركيز ؟ ويفعل ماذا ؟٠ كنيغ نفسه يعطي بمكان اخر من مذكرته السبب بانه« نتيجة لهرب العمال اليدويين اليهود من العمل في مجال الاشغال اليدوية ‥ (٧٦) » ٠

ولكن هل المشكلة هي مشكلة هرب ؟ اي ان الحل هو في منع الهرب ! المشكلة كما يقول كنيغ بسبب «الفارق الشاسع بين العرض والطلب على الايدي العاملة في الاقتصاد بكل فروعه وخاصة فرع البناء وورش اصلاح السيارات وكل الاعمال اليدوية بشكل عام ، والتبعية التي تميز فروع اقتصاد كثيرة مرتبطة بهذه الايدي العاملة ‥ (٧٧) » ٠

يمكن لنا الخروج من كلام كنيغ هذا بالحقائق التالية :

١ ـ تركز العرب وسيطرتهم على فروع اقتصادية ٠

٢ ـ اعتماد الفروع الاقتصادية الاخرى على الفروع التي يسيطر عليها العرب ‥

٣ ـ ( هرب ) العمال اليهود من الاعمال اليدوية ٠

٤ ـ الفارق الشاسع بين العرض والطلب على الايدي العاملة ٠ خصوصا الاعمال التي يتوجه اليها العرب ٠

٥ ـ يقترح تحديد نسبة العرب بـ ٢٠ ٪ ٠

رغم حديث كنيغ عن (هرب) العمال ‥ وفي ضوء كل العرض الذي تقدم ، وفي ضوء الحقائق التي سجلها كنيغ نفسه ، يتضح ان المشكلة ليست في (هرب) بل في طبيعة الاشياء نفسها ‥ فلو خفض عدد العمال العرب ، وهو امر ممكن باصدار قرار حكومي ، ولكن ما هي الخطوة التالية ؟ فتركز العمال العرب ، كما اتضح معنا يعني ان نسبة تتجاوز ٧٥ ٪ من العاملين ، في فرع معين هم عرب وفيما لو خفضت النسبة الى ٢٠ ٪ ٠ فستنخفض الطاقة الانتاجية بدرجة كبيرة ـ ٧٥٪ الى ٢٠٪ ـ ولكن فروع اقتصادية اخرى تربطها بالفروع (العربية) علاقة تبعية كما يقول كنيغ نفسه ، فهل ستنخفض انتاجية الفروع (التابعة) بمقدار الانخفاض المقترح في الفروع ( المتبوعة ) ٠ وهل اقتصاد اسرائيل على استعداد لتحمل هزة من هذا المستوى ؟٠ وبالتاكيد ان السيد كنيغ عاقل لدرجة ان لا يقترح مكذا تخفيض ٠ اذا ، وملأ الفراغ الذي يتركه العمال العرب ، سيجبر العمال اليهود الذين (هربوا) حسب تعبيره ، على الحلول محل العمال العرب المطرودين ٠ ولكن هذا يستدعي من السيد كنيغ اجابة على حقيقة سجلها هو نفسه عندما اشار الى « الفارق الشاسع » وليس الفارق فقط ، بين العرض والطلب على اليد العاملة ٠ بكلمة اخرى فلو نجح في (جلب)

الهاربين ولكن اماكنهم الشاغرة من سيملأها ، خصوصا وانها وظائف ممتازة بالتاكيد والا لما (هربوا) اليها . من المؤكد ان السيد كنيغ بوصفه صهيونيا لا يمكن ان يخطر في باله ان يملأ الفراغ الناتج عن العمال اليهود (الهاربين) بالعمال العرب (المطرودين) ، وحينئذ سيكون السيد كنيغ عرضة للاتهام بانه قد قلب مفاهيم المعلم الاكبر هرتزل والذي اراد الهجرة الى فلسطين نوعا من الارتقاء الطبقي .. اذا سيجد السيد كنيغ ضالته في المهاجرين الجدد . لكنهم ولسوء حظه « ابعد ما يكونون عن تلك المهام البسيطة (٧٨) ». اذا ما العمل ؟. لا حل ! وهنا المأزق .

## اسرائيل والخيارات الصعبة ـ المستحيلة

خيارات اسرائيل بالنسبة لمأزق اليد العاملة تنحصر باحتمالين : العودة الى سياسة العمل العبري او الاستمرار في السياسة الحالية . وللاحتمالين نفس النتائج السياسية والاقتصادية السلبية .

ان العودة الى سياسة العمل العبري ، حتى ولو بنسبة معينة ، تعني ببساطة شديدة اعادة النظر في هيكل القوى العاملة الاسرائيلية وطريقة توزيعها على الفروع الاقتصادية والمهن المختلفة ، لان طريقة التوزيع هذه تخضع لنسبة مزج معينة ، اي استحالة امكانية الاستغناء عن مهنة معينة دون الاستغناء عن بقية المهن ذات العلاقة الوثيقة بها ، او الاستغناء عن مرحلة انتاجية بغض النظر عن حجمها دون الاستغناء عن بقية المراحل الانتاجية .

## استحالة ضغط اليد العاملة

ورب قائل بامكانية ضغط اليد العاملة في بعض القطاعات الانتاجية ، والتوسع في احلال الآلة مكان العمل اليدوي بما يوفره هذا من يد عاملة . ولكن الثابت ان قدرة اسرائيل على هذا الصعيد هي قدرة محدودة جدا ، وان لم نقل معدومة ، نظرا لكثافة التوظيفات الرأسمالية . وعلى سبيل المثال فان كثافة رأس المال الموظف في قطاع الزراعة يفوق حاجة القطاع الزراعي .

## خسائر اعادة توزيع اليد العاملة اليهودية

ان اعادة توزيع اليد العاملة العبرية وتوجيه اعدادا منها للحلول محل العمال العرب ، سوف تؤدي الى خلق فراغ في القطاعات التي سحب منها عمال ، وبالتالي فان حجم الانتاج القومي لا بد وان يهبط بنسبة قريبة من تلك النسبة التي هبط بها حجم اليد العاملة .

ان الخسارة في الانتاج لا يمكن ان تقاس فقط من خلال النسبة التي قلت بها اليد العاملة ، بل تتعلق ايضا في كيفية ونسبة استغلال الطاقة العاملة ، وكان هنالك من اشار الى « ان اسرائيل تبدد طاقتها البشرية ، فالمهندسون لا يزالون يوظفون كعمال تقنيين . والعمال التقنيون كعمال مشرفين والعمال المهرة كعمال اشغال وتصليحات بدلا من

ان يكونوا عمالا في مصانع الالكترونيات ·· (٧٩) » ·

واكثر من ذلك فان مهن العرب لا تقف عند حدود عمال اشغال وتصليحات ، بل اكثر سوءا وشقاء من ذلك · وعندما يوظف اي عامل في مهنة دون مستواه وقدرته ، فان هذا يعتبر خسارة مركبة ، اولا ، بالفارق بين قدرته الفعلية ، والطاقة المستغلة منها ، وثانيا ، تدني مستواه الفني وعدم اكتسابه اية خبرات جديدة ذات صلة بتخصصه الاصلي · هذا ومن المتعارف عليه اقتصاديا ، اعتبار من لا يعمل في مجال تخصصه عاطلا عن العمل ·

ان اعادة توزيع القوى العاملة وتوجيه جزء منها الى الاعمال الدنيا وذات المردود المنخفض ، سوف تؤدي ، اما الى الحفاظ على هيكل الاجور القديم ، اي ان يدفع للوظيفة الجديدة الدنيا الراتب الذي كان يدفع للوظيفة القديمة العليا · وفيما لو تذكرنا ان معدل الاجور الذي يدفع للعمال اليهود يفوق انتاجيتهم لاسباب اجتماعية وسياسية متعددة لا مجال لذكرها الان وتتحمل خزينة الدولة ذلك الفارق ، لاتضح لنا حجم الاعباء المالية التي ستلقى على كاهل الخزينة العامة ·

واما ان تدفع للوظيفة الجديدة الدنيا ، الراتب المخصص لها في هيكل الاجور ، وحينئذ سيهبط مستوى المعيشة لعدد من العاملين في وقت يحافظ فيه الباقون على مستوياتهم السابقة ، وهذا يقود حتما الى مساس سياسة اسرائيل الهادفة لخلق « سلام اجتماعي » وذلك مقدمة طبيعية لتصاعد الصراعات الطبقية للدرجة التي تخشاها اسرائيل ·

## مطلوب ازمة اقتصادية اعمق من ازمة ١٩٦٦ !!

ان المشكلة لا تنحصر في حجم الناتج القومي الذي سينخفض ، او الاعباء التي ستلقى على كاهل الخزينة الاسرائيلية ، بل في ردود فعل اولئك المدعوين (لخفض) مستواهم الطبقي والمهني · وما هي الظروف التي ستدفعهم للقبول ؟ الدافع الايديولوجي · سبق ان اتضح لنا حجمه عندما عرضنا اراء هرتزل وآحاد هعام وغيرهم · لذا يتوقع مدير مصلحة القوى البشرية في وزارة العمل « اذا ما حدثت ازمة ـ اقتصادية ـ شبيهة بازمة ١٩٦٦ ، فانها ستمس قطاع البناء وعند ذلك سيتأثر العمال العرب المركزين في هذا الفرع · واذا ما مست السياحة ، فان العمال العرب من المناطق الذين يعملون في المطاعم وجلي الصحون هم الذين سيتضررون ايضا ، وفي مقابل ذلك اذا مست الازمة الصناعية بحيث يصبح من الضروري ايقاف وتيرة النمو الصناعي ، فان المتضررين سيكونون بين العمال اليهود ، واذا ما تعمقت الازمة ، حينئذ سيحل العاطلون عن العمل من العمال اليهود تدريجيا محل العمال العرب وحتى في فروع الاعمال البسيطة ·· » · (٨٠)

## مازق الهجرة ·· والوضع الاقتصادي

اذا ، المطلوب « ازمة شبيهة بازمة ١٩٦٦ » ·· واكثر من ذلك « اذا ما تعمقت الازمة »·· تحل مشكلة الاحلال ، وتوجيه العمال اليهود نحو « قطاع البناء » و « جلي الصحون » و « فروع الاعمال البسيطة » · » · ولكن هل من ضمان بان العمال اليهود سوف يتوجهون

نحو هذه الفروع ٠٠ ام نحو الخارج ، فتكون بداية الهجرة للخارج وتوقف الهجرة للداخل٠ وهذا ليس توقعا ، بل في ضوء ما حدث ابان سنوات ١٩٥٢ ـ ١٩٥٣ و ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧ ٠ ففي عام ١٩٥٣ ، وحيثكانت هنالك ازمة اقتصادية ، اذ انخفض الناتج القومي بالقياس للعام السابق ، لم يهاجر لاسرائيل سوى ١٢٠٠ مهاجر فقط ٠ وازمة ١٩٦٦ ، التي كانت اخف وطأة من ازمة ١٩٥٣ حيث تزايد الناتج القومي بنسبة ١ ٪ فقط ، ظهرت اثارها في عامي ١٩٦٦ و ١٩٦٧ ، حيث بلغت الهجرة ٨٣٠٠ و ٤٣٠٠ مهاجر على التوالي في حين بلغت في الاعوام ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥، ٤٠٦٠٠ و٥٣٨٠٠ و٤٦٣٠٠ و٢٢٩٠٠ مهاجر على التوالي (٨١)٠ هذا ومن الجدير بالذكر ان الناتج القومي الاسرائيلي كان قد حقق تزايدا بنسبة ١٠ ٪ و ١٠ ٪ و ١١ ٪ و ٩ ٪ و ٩ ٪ للسنوات السالفة الذكر في حين لم يزد الناتج السنوي عام ١٩٦٦ سوى بـ ١ ٪ فقط (٨٢) ٠

ان المساس بموضوع الهجرة هو مساس بالموضوع الاكثر حساسية بالنسبة لاسرائيل ، وهو موضوع متشعب الاثار والنتائج ، ويمس صلب الأيديولوجية الصهيونية وسياساتها الاستيطانية ٠

ان لجوء اسرائيل الى اعادة توزيع هيكل قواها العاملة ، امر سيقودها حتما الى مجموعة نتائج سلبية جدا على جملة منطلقاتها ومرتكزاتها الايديولوجية والطبقية ولن تقتصر الهزة على بنيانها الاقتصادي فحسب ، بل ستؤدي الى خلخلة وجودها السياسي ايضا ، وبعد ما يزيد على نصف قرن على حديث هرتزل عن « الارتقاء الطبقي » وتحسين مستوى معيشة المهاجر » سوف تقلب الاية وستفشل النبؤة ، وستفشل معها نظرية بن غوريون عن التمييز والتمايز ٠٠ كضمان لاستمرار المسالة اليهودية ٠٠ وسوف تتاكد مرة اخرى الحقيقة التاريخية القائلة ، ان الايديولوجية الرجعية ، مصيرها الفشل دائما ٠

ان المثل العربي القائل بـ « امرين احلاهما مر » ينطبق تمام الانطباق على اسرائيل ، فكما تقدم معنا هي عاجزة عن التخلي عن اليد العاملة العربية ، والبديل الاخر هو استمرار الوضع على ما هو رغم مخاطره ٠٠ وهذا ما اشار اليه كنيغ في مذكرته الشهيرة ٠ اما المخاطر فقد لخصها توليدانو مستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية الذي سبق له ان قال « لا يوجد حل كامل للمشكلة ٠٠٠ ربما يعتقد البعض ان الوظائف والمراكز تقض على الرغبات القومية ٠٠ انني انفي ذلك ٠ان السؤال هو : كيف يمكن العيش على افضل وجه مع اقلية قومية ليس لرغباتها القومية حل في اسرائيل ٠٠ (٨٣) » ٠

« ليس لرغباتها حل في اسرائيل »ولكن لها دور في اسرائيل ٠٠ وبين الحل والدور يكمن مازق اسرائيل التاريخي ٠٠

وان السؤال الذي لا بد وان يطرح في ضوء العرض الذي تقدم ، اين اصبحت وما هو مستقبل السياسة الاسرائيلية التي انتهجتها بعد عدوان ١٩٦٧ ، والتي تقول بان تحسين مستوى معيشة عرب المناطق المحتلة سوف يؤدي الى القضاء على روح المقاومة لديهم ٠٠٠ (٨٤)

وان ما ينطبق على عرب المناطق المحتلة ١٩٦٧ ينطبق على عرب المناطق المحتلة ١٩٤٨ ، من ناحية المبدأ ، رغم اختلاف نظرة ومخططات اسرائيل تجاه كل منهما ٠

## الاوهام وتفاوت اساس القياس

يوما بعد يوم ، تتاكد صحة مقولة بنحاس سابير وزير مالية اسرائيل السابق الـذي سبق له ان عارض وجهة النظر تلك ، قائلا بخطأ من يظن ان تحسين مستوى المعيشة يلغي التطلعات الوطنية · وبالفعل فانها لظاهرة ملفتة للنظر ان كافة سياسات اسرائيل ومحاولاتها قد انتهت بتصاعد المشاعر الوطنية وزيادة حجم وحدة المقاومة بكافة اشكالها على السياسة الاسرائيلية · رغم انه من المعروف تقليديا ارتباط الاحتجاج والتذمر بالاضطهاد وسوء الاوضاع المعيشية ·

الامثولة التي حاول سابير ان ينفيها صحيحة رغم النتائج التي انتهت اليها · والخلل لم يكن بالفرضية ، بل باطراف المعادلة التي تقوم عليها تلك الفرضية ، والنقطة التي ينطلق منها ، والتي هي اساس القياس ·واذا كان وضع العرب قد تحسن ، فبالقياس لماذا ؟ خطأ الصهاينة كان انطلاقهم من انوضع الفلسطينيين بعد ١٩٤٨ ، من طرد ونفي وتشريد هو وضع طبيعي ، وبكلمة ادق يفترض هذا التسليم بصحة قيام اسرائيل وبالتالي صحة الوضع الذي انتهى اليه الفلسطينيون · اي ان هنالك عرب لا يملكون شيئا ، ومن هنا فعليهم ان يقبلوا شاكرين اي شيء يقدم اليهم ، لان اي شيء هو اكبر من الصفر ، والذي هو النقطة التي ينطلق منها الصهاينة ، وكذلك الامر بالنسبة للاجئين في المخيمات من غزة والضفة الغربية ، والذين يعتاشون على مساعدات الامم المتحدة ومخصصات السمن والارز التي تحدث عنها موشي ديان · وبالتالي فان تقديم فرص العمل اليهم هو امرجيد ، وافضل من وضعهم الحالي ·· لذا فان الفرضية الصهيونية حول تحسين مستوى المعيشة هي فرضية صحيحة · ولكن ، الفرضية الصحيحة قد ادت الى نتائج معاكسة لتلك التي توقعتها الفرضية · السبب·· هو ان اساس القياس ونقطة انطلاق العرب لا تبدأ في مرحلة ما بعد ١٩٤٨ ·· المرحلة التي اصبح بها الفلسطينيون معدمين ·· بل تبدأ في مرحلة ما قبل ١٩٤٨ حين كانوا ملاكا لارضهم ·· التي تمنحهم الان اسرائيل فرصة عمل فيها فقط ·· فرصة عمل توفر دخلا لهم وتحسن معيشتهم ·· لكنها لاتضاهي اطلاقا ما يقدمه لهم امتلاكهم للارض · وذلك اللاجيء بعد ان عري من ملابسه كاملة ، (سيفرح) قطعا ، عندما ترمى له قطعة صغيرة تستر عورته ·· لكن هذه الفرحة لا تلغي قناعته بانه كان مالك البذلة بكاملها · وما يمنحه الرضى ويعيد له توازنه ، استعادة كامل بذلته ·· بلدته ··

ان الارقام التي قدمت لتبيان حجم ودور اليد العاملة العربية في الاقتصاد الاسرائيلي ، والتي تؤكد ان تخوف كنيغ كان في محله ، تؤكد ان العرب يملكون في ايديهم امكانية التاثير على مفصل مؤلم جدا ·· مفصل حساس ، متشعب التاثير والانعكاسات · يملكون سلاحا يستطيعون بواسطته شل دولة العدو ، وتعريضها لهزات قاتلة ، وقدرة اسرائيل على المجابهة قدرة محدودة جدا ·· فـ « حسن سير اقتصاد الدولة متوقف عليها ، الى حد بعيد (٨٥) » · وسيطرة العرب هذهتمكنهم من « الاضراب او عدم التعاون مما سيؤدي الى اضرار اقتصادية بالغة للدولة ·· ( ٨٦ ) · » ·

حسن سير الاقتصاد يتوقف على العرب : اذا ما الذي ينتظره هؤلاء لتخريب سير الاقتصاد ؟ ! هذا السؤال التحدي مطروح على الجميع · فهل نقبض الفرصة ونوجهها ؟! ···

## هل ينقذ العرب اسرائيل ؟

اسرائيل تعيش مأزقا تاريخيا ·· والايديولوجية الصهيونية كايديولوجية رجعية تواجه خيارات مغلقة · السؤال : هل نمنحها فرصة الحياة ؟!

وفي ضوء كل ما تقدم اليس التفكير بتحرير كل فلسطين هو تفكير عاقل · يستند على امكانية علمية ·· وفي متناول اليد ·· وفي المدى التاريخي المنظور ·· وليس صوفية وطنية ونوعا من العدمية ·· نحن لم نقلها ·· هم قالوها بلسان كنيغ وقالوها قبل ما يزيد على نصف قرن · او ليس صهيوني هو القائل بانه « اذا اصبحت فلسطين كلها تابعة لليهود الاغنياء وكل العمال من العرب فان فلسطين ستكون في الواقع بلاد العرب وليست بلاد اليهود ·· (٨٧) » و « ان شعبا لا يمتلك هيكلا واسعا من العمال القريبين من الطبيعة ومن مواد انتاج الطبيعة ··· هو شعب ليس له حق الوجود حتى ولو نجح في ان يوجد لنفسه ، بوسائل مصطنعة ، امكانية الوجود ·· (٨٨) » · و ···

علينا نحن ان لا نكون تلك الوسائل المصطنعة ···

### الحواشي :

١ ـ شؤون فلسطينية ـ العدد ٢٤ . سياسة العمل العبري بين الامس واليوم· عبد الحفيظ محارب ـ ص ١٣٣ ·

٢ ـ المصدر نفسه ص ١٤١ ·

٣ ـ موسوعة الصهيونية واسرائيل ـ نيويورك ـ مطبعة هرتزل ١٩٧١ ـ ص ٤٠٢ ·

٤ ـ شؤون فلسطينية ـ عدد (٦٠) ص ١٨٢ راجع شؤون فلسطينية عدد ٦١ ص ١٨٩ الحاشية · ونشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية العدد ( ٩ ـ ١٩) من ١ـ٥ـ الى ١ـ١١ـ١٩٧٦ · الترجمة المنقحة والمدققة لوثيقة كنيغ·

٥ ـ موشي بارسليفسكي · الحركة العمالية في ارض اسرائيل · الجزء الاول ١٩٦٦ · ص ٨٣ـ٨٤ · ذكرها عبد الحفيظ محارب · مصدر سابق ـ ص ١٤٢ ·

٦ ـ تسفي بن شوشان ، تاريخ حركة العمال في ارض اسرائيل ـ المجلد الاول · الطبعة الثانية · ١٩٦٣ · ص ١٢٨ ـ ١٢٩ · اشار اليها عبد الحفيظ محارب في شؤون فلسطينية عدد ٢٤ ـ ص ١٤٨ ـ ١٤٩ ·

٧ ـ يوسف اهارونفتش ، الشعب والبلاد ـ ١٩٧٠ ٠ ص ٨٣ ذكرها مقال ، العمل العبري بين الامس واليوم ، شؤون فلسطينية عدد ٢٤ ـ ص ١٤١ ٠

٨ ـ يوسف اهارونفتش ٠ المصدر نفسه ٠ ص ٨٣ وعبد الحفيظ محـارب ٠ مصدر سابق ٠ ص ١٤١ ٠

٩ ـ شلومو ريخف ٠ كتابات مختارة ٠ ١٩٦٦ ٠ ص ٢٢٢ ٠ ذكرها عبد الحفيظ محارب ٠ مصدر سابق ٠ ص ١٤٣ ٠

١٠ ـ غوردون : كتابات غوردون ٠ المجلد الثالث المكتبة الصهيونية ١٩٥٤-٠ ص ٥١ ٠ ذكرها عبد الحفيظ محارب ٠ مصدر سابق ص ١٤١ ٠

١١ ـ اهارونفتش ٠ مصدر سابق ٠ ص ٨٣ ٠ وعبد الحفيظ محارب ٠ مصدر سابق ٠ ص ٨٣ ٠

١٢ ـ المختار من مجلة الدراسات الفلسطينية ـ عدد (١) الصادرة عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية ـ ١٩٧٤ : الجذور الطبقية في العقيدة الصهيونية : ستيفنن هلبروك ٠ ص ٣٢ ٠

١٣ ـ ج٠ب٠ جانسن ـ الصهيونية واسرائيل واسيا ـ مركز الابحاث ، بيروت ١٩٧٢ ، ص ٣٠ ٠

١٤ ـ المصدر نفسه ص ٢٢ ٠

١٥ ـ المصدر نفسه ص ٢٣ ٠

١٦ ـ بي هوروفيتش ، المسالة اليهودية والصهيونية ، لندن ، ١٩٢٧ ، ص ٧٤ ـ ٧٥ ٠ اشار اليها ج٠ب٠ جانسن مصدر سابق ٠ ص ٢٣ ٠

١٧ ـ ج٠ب٠ جانسن ، مصدر سابق ٠ ص ٢٣ ٠

١٨ ـ اليهودية والقومية الاخرى ، هـ٠ر ترفر ـ رويد ٠ لندن ـ ١٩٦٢ ٠ ص ١٣ ـ ١٥ اشار اليها كتاب الصهيونية واسرائيل واسيا ـ مصدر سابق ص ٢٥ ٠

١٩ ـ المصدر نفسه ٠

٢٠ ــ الصهيونية واسرائيل وآسيا ٠ مصدر سابق ٠ ص ٦٣ ٠

٢١ ــ تيودور هرتزل ــ دولة اليهود ٠ راجع الصفحات ٣٠ ، ٦٠ ، ٧٠ ، ٨٥ ٠ نكرها ج٠ب٠ جانسن ٠ مصدر سابق ٠ ص ٦٣ ٠

٢٢ ــ المصدر نفسه ٠

٢٣ ــ الجذور الطبقية في العقيدة الصهيونية ، مصدر سابق ص ٢٥ ٠

٢٤ ــ المصدر نفسه ص ٢٥ ٠

٢٥ ــ المصدر نفسه ص ٣٢ ٠

٢٦ ــ ج٠ب٠ جانسن ٠ مصدر سابق ٠ ص ٦٣ ٠

٢٧ ــ الجذور الطبقية ٠٠٠ مصدر سابق ٠ ص ٣٤ ٠

٢٨ ــ المصدر نفسه ص ٢٥ ٠

٢٩ ــ لمزيد من التفاصيل راجع صبري جريس ، مخطوطة «تاريخ الحركة الصهيونية ، ١٨٦٢ ــ ١٩١٨ » ، الجزء الاول ٠

٣٠ ــ نكرها عبد الحفيظ محارب ٠ مصدر سابق ، شؤون فلسطينية عدد ٢٤ ، ص ١٤٢ ٠

٣١ ــ موشي بارسليفسكي ٠ الحركة العمالية في ارض اسرائيل ، الجزء الاول ١٩٦٦ ص ٨٤ ٠ نكرها عبد الحفيظ محارب ٠ مصدر سابق ٠ ص ١٣٩ ٠

٣٢ ــ المصدر نفسه ٠

٣٣ ــ يتسحاق تبنكين ٠ مجموعة مقالات ٠ ص ١٠٢ ٠ نكرها عبد الحفيظ محارب مصدر سابق ٠ ص ١٣٨ ٠

٣٤ ــ المصدر نفسه ص ١٣٨ ــ ١٣٩ ٠

٣٥ ـ يوسف اهارونفتش • الشعب والبلاد ، ١٩٧٠ ـ ص ٨٦ • ذكرها عبد الحفيظ محارب • مصدر سابق ص ١٤٨ •

٣٦ ـ راجع : بحوث في الاقتصاد الاسرائيلي ـ مركز الابحاث ـ بيروت ١٩٧٥ المقدمة والصفحات ٢٢ ـ ٢٨ •

٣٧ ـ بحوث في الاقتصاد الاسرائيلي • مصدر سابق • ص ٧ •

٣٨ ـ شؤون فلسطينية عدد ٥٠ ـ ٥١ • ص ٤٠٨

٣٩ ـ بحوث في الاقتصاد الاسرائيلي ، مصدر سابق ، ص ١٠٠ •

٤٠ ـ راجع شؤون فلسطينية عدد ٤٨ ، مقالة الحوار العربي ـ الاوروبي ، اوروبا الغربية والعرب واسرائيل •

٤١ ـ المصدر نفسه • ص ٦٧ •

٤٢ ـ الدكتور عمرو محيالدين ـ الاقتصاد الاسرائيلي ـ جامعة بغداد مركز الدراسات الفلسطينية بغداد ١٩٧٣ • ص ٥٢ •

٤٣ ـ هارتس ١٠ـ١٢ـ١٩٧٢ •

٤٤ ـ بناء امبريالية جديدة • اسرائيل والضفة الغربية ـ شؤون فلسطينية عدد ٢٨ ص ٩٦ •

٤٥ ـ الدكتور يوسف شبل • تجارة اسرائيل الخارجية • مركز الابحاث ـ بيروت ص ٩٦ •

٤٦ ـ ر٠١٠١٠ رقم ٥٩٦ •

٤٧ ـ نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية • السنة الاولى • نشرة رقم ١٥ • ص ٢٨٧ •

٤٨ ـ ر٠١٠١٠ عدد يوم ٢٩ـ١٢ـ٧٢ ذكرها بحوث في الاقتصاد الاسرائيلي مصدر سابق • ص ٥٣ •

٤٩ ـ ر٠١٠١٠ رقم ١٥٤ تاريخ ٣ـ١ـ١٩٧٣ •

٥٠ ـ المصدر نفسه ٠

٥١ ـ نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ٠ ملحق العدد ٩ ، ١ ايار ١٩٧٣ ٠

٥٢ ـ هآرتس عدد ١٥ ـ ٥ ـ ١٩٦٩٠ذكرتها شيلاربان ٠ مصدر سابق ص ٠٩٢

٥٣ ـ لمزيد من التفاصيل عن الاتفاقية ٠ راجع شؤون فلسطينية عدد ٤٤ ونشرة ر٠١٠١٠ ـ ٧ ايار ١٩٧٥ ٠

٥٤ ـ شؤون فلسطينية عدد ٤٤ ، ص ٥٢ ونشرة ر٠١٠١٠ رقم ٧١٧ تاريخ ٢ـ١ـ١٩٧٥ ٠

٥٥ ـ معاريف ١٢ـ١ـ١٩٧٣ ٠

٥٦ ـ بحوث في الاقتصاد الاسرائيلي ، مصدر سابق ص ١٩٧ ٠

٥٧ ـ المصدر نفسه ٠ ص ١٩٨ ٠

٥٨ ـ المصدر نفسه ص ٢٠٢ ٠

٥٩ ـ المصدر نفسه ص ١٩٩ ٠

٦٠ ـ المصدر نفسه ص ٢٠٠ ٠

٦١ ـ المصدر نفسه ص ٢٠١ ٠

٦٢ ـ المصدر نفسه ص ٢٠١ ٠

٦٣ ـ المصدر نفسه ص ٩١ ٠

٦٤ ـ المصدر نفسه ٠

٦٥ ـ معاريف ١٩ـ٦ـ٧٢ ٠ ذكرت في شؤون فلسطينية عدد ٢٤ ، ص ١٣٦ ٠

٦٦ ـ هآرتس ٢٤ـ٥ـ٧٢ ٠ ذكرت في شؤون فلسطينية عدد ٢٤ ، ص ١٣٥ ٠

٦٧ ـ العمل العبري بين الامس واليوم ، مصدر سابق ٠ ص ١٤٢ ٠

٦٨ ـ مذكرة كنيغ ـ نشرت في شؤون فلسطينية عدد ٦٠ ·

٦٩ ـ المصدر نفسه ·

٧٠ ـ المصدر نفسه ·

٧١ ـ المصدر نفسه ·

٧٢ ـ المصدر نفسه ·

٧٣ ـ المصدر نفسه ·

٧٤ ـ المصدر نفسه ·

٧٥ ـ المصدر نفسه ·

٧٦ ـ المصدر نفسه ·

٧٧ ـ المصدر نفسه ·

٧٨ ـ شيلاريان · مصدر سابق ·

٧٩ ـ نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ملحق العدد ٩ ، ايار ١٩٧٢ ·

٨٠ ـ معاريف ١٢ـ٥ـ١٩٧٢ ·

٨١ ـ بحوث في الاقتصاد الاسرائيلي ص ١٠٤ ـ ١٠٥ ·

٨٢ ـ المصدر نفسه ص ١٠٣ ·

٨٣ ـ معاريف عدد ٢٠ـ١١ـ١٩٧٤ ذكرها حبيب قهوجي في كتاب «عرب فلسطين المحتلة ١٩٤٨ ، انتماء وصمود» · مؤسسة الارض · دمشق ١٩٧٦ · ص ٢١ ·

٨٤ ـ هذه الفكرة يمثلها خير تمثيل موشي ديان وزير دفاع اسرائيل السابق ·

٨٥ ـ يسرائيل كنيغ · مصدر سابق ·

٨٦ ـ المصدر نفسه ·

٨٧ ـ العمل العبري بين الامس واليوم ، مصدر سابق ـ ص ١٤٣ ·

٨٨ ـ المصدر نفسه ـ ص ١٤١ ·

# غاب راشد حسين

للشعر لون العاصفة · ومن التقى راشد حسين ذاق طعم الفرح وذهب في العاصفة · كنت في الرابعة عشرة حين كان راشد يتأجج · كان طرفة بن العبد - لا ادري لماذا - يطل في الذاكرة القروية كلما اطل راشد حسين من على صفحات الجرائد ومن عيون الصبايا · ولم تكن قريتي انذاك تعرف الخيول ، فجئته من حقول القمح في مرج بن عامر الى الناصرة · وكانت الناصرة عكاظ ·

ضعت في موجات الزحام امام المدرسة الثانوية ، ابحث عن اخي الاكبر · وككل القرويين كنت احمل خبزا وزيتونا وقصائد · وانجرفت في مظاهرة الاحتجاج على الاعتداء الصهيوني على مستشفى غزة ، ، فاضعت اخي والتقيت راشد حسين ·· ذلك الفتى القروي ، مديد القامة ، الاسمر ، الحامل في كفه دما وقصيدة ، الزارع جنين العاصفة ·

لم اكلمه · ولكن قصيدته اخذتني من يدي ورمتني في المظاهرة ، الى ان فرقتنا هراوات الشرطة العسكرية والغاز المسيل للدموع · كانت هذه هي المرة الثانية التي يجرفني فيها مثل هذا الحشد الهائل من البشر · كانت الاولى تجرفني بعيدا عن فلسطين في عام النكبة · وكانت الثانية تؤسسني في صميم فلسطين · بكيت في الاولى وهتفت في الثانية ·

·· ولم يأت اخي غازي في تلك الليلة الى البيت القديم الذي كان يسكنه وراشد حسين في حي الروم في الناصرة · ولم يأت راشد ايضا · وحين طرق الباب في منتصف الليل كانت الشرطة العسكرية تقف خلفه · لم يأخذوني ·· بل اخذوا سلمان · وعرفت ان راشد واخي لم يعتقلا ، ثم التقينا والتقينا ·

وحين انتقلت في العام الدراسي التالي الى مدينة الناصرة سكنت البيت القديم ذاته مع شقيق العاصفة احمد حسين · وكان راشد قد اصبح جزءا من هموم الناس ، وجزءا من فلسطين الصغيرة الكبيرة · يتحدث عنه الفلاح والعامل ويعيش الطلبة على قصيدته القادمة ، وعلى مقاله الاسبوعي الساخن · كان الوطن العربي يهب ويغلي ويثور ، وكانت الناصرة مظاهرات ودما يسيل على الشوارع ، وراشد حسين ينشد للنيل والاوراس وبردى وليافا والقدس · وكانت القصائد تتحول الى حجارة نقاوم بها الاحتلال والحصار ·

.. وان تمتطي العاصفة معناه انك تسير نحو الشمس ، او الـــى الهاوية . وكان راشد حسين يمتطي العاصفة ، ويغوص في الجرح . ثــم غــاب عـــن الناصرة ، واقام في تل ابيب ليواصل زراعة العواصف . كنت التقيه هناك ، ونتحدث عن قرية مصمص وعن الناصرة . وكان دائما يبتعد عنها ليقترب من الشمس . وكان راشد لا يزال صغـيرا على الشمس ، فخفنا عـليه .

وغاب . عدت الى حيفا ، وكانت العاصفة التي زرعها راشد تبشر بولادة اعصار . وفي حيفا التقيت محمود درويش ، واقمنا في شقة واحدة . وذات يوم جاءنا راشد وكان ينوي السفر . سهرنا الليل كله ، وحـــاول محمـــود درويش ان يثنيه ، ولكن راشد حسين كان يصمت . تغيب عـينـاه فـي الكأس، ويغالب الحنين الى العاصفة . ضاقت به الناصرة ، ضاقت به يافا وتل ابيـــب واجتاحه الشوق الى المغامرة . وقال في الصباح وداعا ، وغاب .

ايام وسنين . ولم ار راشد ولم اسمع عنه الا من محمود درويش حين التقيته ، بعد غياب ، في القاهرة وبيروت . واليوم مات راشد حسين . كنت جالسا ومحمود حين جاءنا الخبر . اية مصادفة مفجعة . كنا معا حين ذهب في الوداع الاول . وكنا معا حين ذهب في الوداع الاخير الاخير .

وحين طلب محمود درويش الى موظف الارشيف ان يأتيه بصـــورة راشـــد حسين ، سأل الموظف بعفوية قاتلة : « ماذا كان يعـمل ؟ » ، غصصنـــا وقال محمود بمرارة : « كان ذلك كافيا لان يقتله » .

**توفيق فياض**

# كان ما سوف يكون
## (في ذكرى راشد حسين)

محمود درويش

في الشارع الخامس حيّاني · بكى · مال على السور الزجاجيِّ ، ولا صفصاف في نيويورك · ابكاني · اعاد الماء للنهر · شربنا قهوة · ثم افترقنا في الثواني ·

منذ عشرين سنةْ
وانا اعرفه في الاربعينْ
وطويلا كنشيدٍ ساحليٍّ ، وحزينْ
كان يأتينا كسيف من نبيذٍ · كان يمضي كنهايات صلاهْ
كان يرمي شعره في مطعم « خْريسْتو »
وعكا كلها تصحو من النومِ
وتمشي في المياه

كان اسبوعا من الارض ، ويوما للغزاة
ولامي ان تقول الان : آه !

ليديه الوردُ والقيدُ · ولم يجرحْهُ خلف السور الا جرحُهُ السيِّدُ · عُشّاقٌ يجيئون ويرمون المواعيدَ · رفعنا الســـاحل الممتدَّ · دشَّنا العناقيدَ · اختلطنا في صراخ الفيجن البرِّيِّ · كسرنا الاناشيدَ · انكسرنا في العيون السود· قاتلنا · قُتلنا · ثم قاتلنا · وفرسان يجيئون ويمضونَ

وفي كل فراغْ
سنرى صمت المغني ازرقاً حتى الغيابْ
منذ عشرين سنة
وهو يرمي لحمه للطير والاسماك في كل اتجاه
ولامي ان تقول الآن : آه

ابن فلّاحين ِمن ضلع فلسطينَ
جنوبيٌّ
شقيٌّ مثل دوريّ
قويٌّ
فاتحُ الصوتِ
كبير القدمين

واسع الكفِّ · فقير كفراشه
اسمرٌ حتى التداعي
وعريض المنكبين
ويرى ابعد من بوابة السجن
يرى اقرب من اطروحة الفن
يرى الغيمة في خوذة جنديٍّ
يرانا ، ويرى كرت الاعاشة

وبسيط ·· في المقاهي واللغةْ
ويحب الناي والبيرةَ
لم يأخذ من الالفاظ الا ابسط الالفاظ
سهلا كان كالماء
بسيطا ·· كعشاء الفقراء

كان حقلا من بطاطا وذره
لا يحب المدرسةْ
ويحب النثر والشعر
لعل السهل نثرٌ
ولعل القمح شعرٌ ·

ويزور الاهل يوم السبتِ
يرتاح من الحبر الالهيِّ
ومن اسئلة البوليسِ ·
لم ينشر سوى جزئين من اشعاره الاولى
واعطانا البقيه

شوهدت خطوته فوق مطار اللد من عشر سنين
واختفى ··

كان ما سوف يكونُ
فضحتني السنبلة
ثم اهدتني السنونو
لعيون القتلة

٠٠ شاحبا كالشمس في نيويورك :
من اين يمر القلب ؟ هل في غابة الاسمنت ريش لحمام؟
وبريد فارغ ٠ والفجر لا يلسعُ ٠
والنجمة لا تلمع في هذا الزحام ٠

ومسائي ضيِّقٌ ٠ جسم حبيبي ورقٌ ٠ لا احد حول مسائي « يتمنى ان يكون النهر والغيمةَ » ٠٠ من اين يمر القلب ؟ مَنْ يلتقط الحلم الذي يسقط قرب الاوبرا والبنك ؟ شلّالُ دبابيسَ سيجتاح الملذات التي احلمها ٠

لا احلم الآن بشيء
اشتهي ان اشتهي
لا احلم الان بغير الانسجام
اشتهي
او
انتهي
لا ٠ ليس هذا زمني

شاحبا كالشمس في نيويورك
اعطيني ذراعي لاعانقْ
ورياحي لاسير ٠

ومن المقهى الى المقهى ٠ اريد اللغة الاخرى
اريد الفرق بين النار والذكرى
اريد الصفة الاولى لاعضائي
واعطيني ذراعي لاعانق
ورياحي لاسير
ومن المقهى الى المقهى

لماذا يهرب الشعر من القلب اذا ما ابتعدت يافا ؟ لماذا تختفي يافا اذا عانقتُها ؟ لا · ليس هذا زمني ·

واريد الصفة الاولى لاعضائي
واعطيني ذراعي لاعانق
ورياحي لاسير

·· واختفى في الشارع الخامس ، او بوابة القطب الشماليِّ · ولا اذكر من عينيه الا مدنا تأتي وتمضي · وتلاشى ·· وتلاشى ···

والتقينا بعد عام في مطار القاهرة
قال لي بعد ثلاثين دقيقة :
« ليتني كنت طليقا
في سجون الناصرة »

نام اسبوعا · صحا يومين · لم يذهب مع النيل الى الارياف ·

لم يشرب من القهوة الا لونها
لم ير المصريَّ في مصرَ
ولم يسأل سوى الكتاب عن شكل الصراع الطبقيّ
ثم ناداه السؤال الابديُّ الاغتراب الحجريّ

قلت : من اي نبيٍّ كافرٍ قد جاءَكَ البعدُ النهائيُّ ؟

بكى من كَسَل في نظراتي · هل تغيرتَ ؟
تغيّرتُ · ولم تذهب حياتي
عبثا ·

مال الى النيل وقال : النيل ينسى ؟
قلت : لا ينسى كما كنا نظن
وتذكَّرنا معا ايقاعنا الماضي
وموجاتِ السنونو فوق كف تقرع الحائطَ
والارضَ التي نحملها في دمنا كالحشرات
وتذكرنا معا ايقاعنا الماضي وموتَ الاصدقاءْ
والذين اقتسموا ايامنا ، وانتشروا
لم يحبونا كما كنا نشاء
لم يحبونا ولكن عرفونا ...

كان يهذي عندما يصحو . ويصحو عندما يبكي
ويمشي كخيام في البعيد العربيّ
ذهب العمر هباء
وفقدت الجوهريّ

واختفى قرب غروب النيل
اعددتُ له مرثية اخرى وجنّاز نخيلْ

يا انتحاري المتواصلْ
اوقف العمر لكي نبدأ من اي رحيلْ
وتأجَّجْ كنباتات الجليل
وتوهَّجْ كقتيل

يا انتحاري المتواصل
قف على ناصية الحلم وقاتلْ
فلك الاجراس ما زالت تدقُّ
ولك الساعة ما زالت تدقُّ

وتلاشى مرة اخرى
وخانتني الغصونُ
كان ما سوف يكونُ
فضحتني السنبلة
ثم اهدتني السنونو
لسيوف القتلة

كانت نيويورك في تابوتها الرسمي تدعونا الى تابوتها ٠ في الشارع الخامس حيّاني٠ بكى٠ مال على نافورة الاسمنتِ٠ لا صفصاف في نيويورك ٠ ابكاني ٠ اعاد الظل للبيت ٠ اختبأنا في الندى ٠ هل مات منا أحَدٌ ؟ كلا ٠ تغيَّرتَ قليلا ؟ لا ٠ هل الرحلة ما زالت هي الرحلة والميناءُ في القلب ؟ ٠ نعم ٠

كانِ بعيدا وبعيدا ونهائيَّ الغيابْ
دَخَّنَ الكأسَ ٠٠
تلاشى
كغزالٍ يتلاشى
في مروج تتلاشى في الضبابْ
ورمى سيجارة في كبدي وارتاحَ
لم ينظر الى الساعةِ

لم يسرقْهُ هذا الشجرُ الواقفُ تحت الطابق العاشــر في منهاتنَ ٠ ٱلتفَّ بذكراه ٠٠ تغشَّاه رنينُ الجرس السريّ ٠ مَرَّتْ بين كفينا عصافيرُ عصافيرُ وموتٌ عائليٌّ ٠ ليس هذا زمني ٠ عاد شتاءٌ آخر ٠ ماتتْ نساءُ الخيل في حقـل بعيد ٠ قال إنَّ الوقت لا يخرج مني ٠ فتبادلتُ وقلبي مُدُناً تنهار من أوَّل هذا العمر حتى آخر الحلمِ ٠٠

أَنبقى هكذا نمضي الى الخارج في هذا النهار البرتقالي
فلا نلمس الا الداخل الغامضَ ؟

من اين اتيتَ ؟
اخترقتْ عصفورةٌ رمحًا
فقلتُ اكتشفتُ قلبي

انبقى هكذا نمضي الى الداخل في هذا النهار البرتقاليِّ
فلا نلمس الا شرطةَ الميناء ؟

يهذي خارج الذكرى . انا الحامل عبء الارض ، والمنقذ
من هذا الضلال . الفتيات انتعلت روحي وسارت . العصافير
بنت عشا على صوتي وشقَّقتْني وطارت في المدى ..

لم يتغيَّر ايٌّ شيء
والاغاني شردتني شردتني

ليس هذا زمني . لا ، ليس هذا وطني . لا ليس هذا بدني .

كان ما سوف يكونُ
فضحته السنبلة
ثم اهدته السنونو
لرياح القتله ..

## تجارب من الارض المحتلة

# زراعة النجوم على ارض فلسطين

عبد الجواد صالح

لقد ظهرت واضحة ابعاد واهداف الاحتلال الصهيوني العنصري منذ ايامه السوداء الاولى بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ · وهي بالطبع نفس الابعاد والاهداف لاحتلال عام ١٩٤٨ · على انها اصطدمت بواقع جديد فرضه تواجد اكثرية الجماهير الفلسطينية على ارضها بالرغم من استخدام وسائل كثيرة لتهجير الشعب وحثه على مغادرة ارضه بواسطة مكبرات الصوت التي دارت في شوارع المدن والقرى طالبة من الناس الهجرة ، ومعلنة عن وجود وسائل النقل المجانية تنتظرهم على ابواب المدن المقهورة ، فان الاغلبية فضلت الانزراع في ارضها ·

امام اصرار شعبنا العنيد على التجذر في ضمير ارضه، اتخذت سلطات الاحتلال سياسة مفضوحة في تنفيذ مآربها ، فازالت قرى من الوجود ، ونسفت البيوت على رؤوس اصحابها كما فعلت في قرى عمواس ويالو وبيت نوبا · وبدأت في مصادرة الارض واستملاكها بقوانين جائرة · على ان هذه السياسة بقيت محصورة في بعض المناطق الهامة كالقدس وما يحيط بها · ولكن عندما تم ضرب الثورة الفلسطينية ، في ايلول الاسود ، فتحت الاضواء الخضراء امام اطماع الصهيونية العنصرية ، فبدأت مشاريع الاستيطان التوسعية تأخذ مداها حيثما وجدت الارض الصالحة للزراعة · حتى بيارات الغور التي لم يقتربوا منها عندما كانت مسرحا للعمل الفدائي ، قاموا بمصادرتها وتدمير اكثر من اربعماية محرك لضخ المياه، وتدمير الاف المساكن التي كانت تضم المزارعين بين جدرانها ·

واتخذت الهجمة الصهيونية المسعورة شكلا اخر اخطر من المصادرة القسرية وذلك هو التدمير النفسي والقومي للانسان الفلسطيني عامة ، والجيل الناشيء خاصة · ليس فقط بمحاولة تحييده عن طريق فتح مخيمات الصيف المشتركة بين الشباب والشابات الصهاينة وبين الشباب والشابات العرب ، حيث يحاضر فيهم خبراء في غرس مفاهيم خاطئة ·ولا عن طريق تشجيعهم على العمل في المؤسسات الصهيونية ، حيث الاغراءات المالية فحسب ، بل وفتح مجالات الضياع والانحراف

الجنسي والادمان على المخدرات · لقد نجحت بلدية البيرة ـ مثـلا ـ في منع اي مدرسة من مدارس البيرة من المشاركة في هذه المخيمات ، وذلك باستخدام كـــل وسيلة تحت اليد ، بالاضافة الى الاتصال الشخصي مع المعلمين والمعلمات ، بشكل خاص ، اذ كان مدير التربية وبعض المدراء لا يجدون غضاضة في المشاركة في مثل هذه النشاطات الصيفية ·

وجابهت المدينة غزوة من نوع جديد وعلى ارض حديقة بلدية البيرة التي تحتل اكثر من اربعة وعشرين دونما ، تحيطها اشجار الصنوبر والسرو المرتفع ، وتغطي الارض احواضا من الورد جعلها فريدة من نوعها بين الحدائق العامة في كثيـــر من البلاد العربية وغير العربية · ومع ان المجلس البلدي قد قرر عنـد بدءالاحتلال ولمدة سنتين عدم فتحها حتى لا تستقبل المحتلين ، فان الحاجة المادية واستمرار الاحتلال اجبرت المجلس البلدي على اعادة فتحها وتلزيم مقصفها باكثر من ثلاثـة الاف دينار سنويا · وهذا المبلغ يشكل دخلا هاما في ميزانية ظروف الحـــرب بالاضافة الى ان مجلس مدينة البيرة من بين البلديـات القليلة التي رفضت اخـذ اية قروض من سلطات الاحتلال ·

لقد اتخذت الصهيونية شكلا منحطا وذلكباباحة ممارسة الجنس المكشوف وامام المواطنين وخاصة الشباب منهم · في اكشاك كانت مخصصة للعائلات ، تغطيهـا شجيرات « الساعة » وهي مدادة تثمر زهرا مستديرا يرشف الصغار عصيرهـا العسلي الذي يتكون في منتصف الزهرة · فامرت البلدية بهدم هذه الاكشاك ، ونشر يافطات ثابتة في ارجاء الحديقة تحرم ارتكاب اية مخالفات مخلة بالاداب ·

ولكن ذلك لم يثمر ففي احد ايام صيف مدينة البيرة الجميل ، وهي تعتبر مـــن اجمل واهدأ مصايف فلسطين ، دق جرس التلفون في مكتب رئيس البلدية :

قال المتحدث ، الحقنا الشرطة اعتقلت معظم العاملين في المقصف ·

× لماذا ، هل وقع انفجار في الحديقة ام اغتيل احد العملاء ·

× لا ابدا ، جاء احد العاملين بالغداء الى بعض الزبائن فوجدهم يمارســون الجنس ، وعندما احتج ، دعوه لممارسة الجنس مع احداهن ، وامام ذلك ضرب الاربعة بالسدر وحمولته فنشبت معركة ، واتصل احدهم بالشرطة ، فجـــاءت سياراتهم واعتقلوا معظم العاملين ·

فاغلقت سماعة الهاتف وتوجهت راسا الى مخفر الشرطة ، وفي الطريــــق تذكرت انني السبب وراء ورطة هؤلاء المساكين ، اذ امرتهـم بمنع هذه المخالفات

ولو بالقوة ٠ وقد قاموا بذلك عدة مرات ولم تحصل اية مضايقات ، ولكن في هذه المرة يظهر ان الزبائن من نوع ممتـــاز ٠

وقابلت قائد الشرطة الصهيوني في غرفته في الطابق العلوي من مخفر شرطـــة المدينة ، واثناء صعودي الدرج سمعت صراخ العاملين بعد ان استفردوا بهـــم ضربا داخل حجرات المخفر ٠

× مطلوب يا حضرة القائد وقف الضرب حالا ، والافراج عن كافة العامليـــن رأســـا ٠

● لقد اعتدى عمال البلدية على رجال الشرطة وهذا يشكل جريمة تتطلب محاكمتهم عسكريا ٠

× انهم ليسوا شرطة ، بل يرتدون زيا مدنيا ، وارتكبوا مخالفة بل حماقة في مكان عام ، انها جريمة يعاقب عليهـــا القانون ٠

● السيد رئيس البلدية نسي انه في اسرائيل ، قالهـــا هازئا ومبتسمـــا ببرود وموجها حديثه الى مساعده ٠

× بل انهم في البيرة ، ولنا تقاليد يجب ان تراعى ٠

● السيد رئيس البلدية يعتقد انه ما زال يعيش قبل عـــام ١٩٦٧ ٠ ونسي ان المواطن الصهيوني يملك مطلق الحرية في ان يعمل ما يشاء حيثما يشاء ( موجها كلامه مرة اخرى لمساعـــده ) ، ثم التفت الي وقال : حيثما وجد هذا العلم يرفرف ( واشار الى العلم الذي يحمل النجمة السداسية ويحتل منتصف طاولته الكبيرة التي ورثها عن قائد لمقاطعة الاردني ) ، فان القانون الاسرائيلـــي هو المعمول به٠

× اني ابلغك رسميا بانني ما دمت لا املك الحرية في ادارة شؤون حديقة عامة في حدود البلدية التي اراسها فانني اقرر اغلاقها ، وساعلن رسميا في الصحـــف سبب قراري هذا ٠ وخرجت بدون انتظار الاجابة ٠ ووصلت مكتبي بسرعة لـــم ادرك مدتها ، وبينما كنت اطلب من كاتب المدينة دعوة المجلس البلدي لجلســـة طارئة ، وصل كافة العاملين الذين اعتقلوا الى مكتبي ٠

واستكمالا لمخطط تدمير الانسان العربي في فلسطين المحتلة اتخذوا وسيلة نشر استخدام المخدرات وتشجيعها ، مستخدمين مقهى صغيرا ، في بيت درج لعمارة لم يكتمل بناء طابقها العلوي ٠ وبدات افواج من النساء تتوافد الـــى ذلك المقهى ،

وادرك المجلس البلدي انه لا بد من مؤامرة تنسج خيوطها في هذا المكان ضـــد شبابنا • وبالفعل تأكد لنا ان شبكة شبه رسمية لتوزيع المخدرات تعمل من هـــذا المكان الذي يقع بين مدرسة بنات البيرة الثانوية والمدرسة الهاشمية الثانوية للاولاد وقريبة من الكثير من الكراجات حيث يتجمع العمال • كانت مصيدة خطيرة حيث يسهل الايقاع بالفرب • وبعد محاولات فاشلة دامت عدة اشهر ، استخـدم المجلس البلدي كافة القنوات الرسمية ، لجأنا الى الاتصال مع بعض عناصـــر الشرطة العرب الشرفاء الذين قبضوا على صاحب المقهـــى بالجرم المشهود ، وبالضغط على احد القضاة حكم على صاحب المقهى بالسجن ثلاث سنوات واغلاق المقهى • وفوجيء المجلس البلدي بالافراج عنه بعد اقل من ثلاثة اشهر والسماح له باعادة فتح المقهى بأمر من ديان مباشرة ، وقد حرم صاحب المقهى من استقبال الزبائن الصهاينةاو استخدام الحشيش بعد ان انهالت عليه انذارات حركـــة المقاومـــة •

نموذجان من الغزوة على سبيل المثال لا الحصر ، ولكن بدا واضحا ان نتائـــج الغزوة بدأت نتائجها تظهر في المستشفيات وعند الاطباء الذين لفتوا انظارنا الـى ظاهرة ازدياد امراض الزهري وغيرها بينالشباب • ودقت اجراس حرب غيـــر معلنة بين الطرفين •

ولكن الشعوب تملك اقوى سلاح وجد على هذه المعمورة وهو الانسان • وبـدأ البحث عنه ، وخلقه من جديد ، واعادة تكوينه ليقف على ارض صلبة ليتمكن من الصمود امام التحدي الذي يهدد وجوده ومن ثم ينطلق ليحرر ارضه ونفسه •

وبدون الحديث عن العقبات التي وضعهـا بعض اعضـــاء المجلس البلدي ، بعضهم عن جهل ، وعضو معين ، كان في يوم من الايام حزبيا سقط في السجون ، واستمر سقوطه حتى الدور الاسفل اثناء الاحتلال الاسرائيلي ولنطلق عليـه اسم ابو حسن • كان ابو حسن هذا يضع العقبات خدمة للاسرائيليين •

وما زال يعمل حتى الان بوضع العراقيل امام احدى تجارب الارض المحتلة التي نحن في صدد تسجيلها •

بدأت الحرب من جانبنا ، فدعونا خيرة رجال التربية في معاهد مدينتي البيـرة ورام الله وجامعة بيرزيت وبعض سيدات ورجال الجمعيات الخيرية والنـــوادي الرياضية للاجتماع في مجلس بلدية البيرة • وتحدثنا بشكل عام وخاصـة حـول ضرورة انشاء معسكرات عمل للطلبة اثناء الاجازة الصيفية لمنع انحراف اجيالنا الصاعـدة • وانبرت العقبات امام الفكرة وخاصة بين الذين يحسنون ضغط قوانين التربية الحديثة والقديمة ، ولكنهم يفتقدون الالتزام بقضية شعبهم • وهذا خطـأ

وقعنا فيه ، ولم نعد نخطىء فيه مرة ثانية ، اذ لا ضرورة للعمل مع من يكون فنيا على اطلاع واسع ويفتقد الايمان بالعمل من اجل شعبه • بل ثبت بالعكس ان امتلاك الايمان بالشعب والعمل عن اجله مع معرفة اساسية لمجال اختصاص الخبير اجدى من النوعية الاولى •

وبدأت اثارة التساؤلات من قبل هذه النوعية •

انكم تفترضون وضعا مثاليا عندما تعتقدون ان الطلبة سينضمون الى معسكرات العمل هذه بينما يستطيع الطالب ان يتقاضى ثلاثة دنانير مقابل عمل تافه في احدى المزارع الصهيونية •

× ويتساءل شخص اخر من نفس العينة ، هل اخذتم موافقة الحاكم العسكري المسبقة لاشتراكنا • وهل خصص المجلس البلدي ميزانية لهذا الغرض •

× ويسال ابو حسن ، عضو المجلس البلدي ، لماذا لم يدع مدير التربية والتعليم لحضور هذا الاجتماع !!

× ويتساءل اخر • هل تعتقدون انه يمكن لنا ان نتفرغ طوال الاجازة الصيفية ونحرم انفسنا من عمل سيغطي جزءا كبيرا من نفقات الاولاد والزوجات •

وكان الجواب على كل التساؤلات : نعم ان الانسان ( ولم اذكر الفدائي ) الذي يضحي بحياته من اجلكم سنجد مثيله بين الطلاب والذي سيكون لديه الاستعداد للانضمام الى معسكر للعمل لخدمة بلده • ثم فان العمل للعناية بابنائنا وشبابنا لا يحتاج لموافقة اي كان • وبدت ظاهرة في ذلك الاجتماع ان المراة كانت نسبيا اكثر حماسا وتجاوبا من الرجل ، ربما لاثبات وجودها وموقفها النضالي ضد الاحتلال • وربما ساعدها في ذلك ان قدرتها وبكارتها النضالية لم تمس سابقا من قبل اجهزة القمع كما حصل بالنسبة للرجل ، وربما نتيجة وضعها الاقتصادي وعدم تحملها مسؤولية العائلة • وربما لهذه الاسباب مجتمعة كان موقف المرأة الفلسطينية النضالي ضد الاحتلال ايجابيا •

اثناء مشاركة الجميع في وضع برامج معسكرات العمل ، بما فيها النشاطات الثقافية ، والفلكلورية ، التي تجمع كل ما يحتاجه الشباب لبناء ذاتهم وربطهم بارضهم وقضيتهم ، ثار مدير التربية والتعليم في المنطقة ( سياتي الحديث عن دوره كعميل في تجربة قادمة ) لعدم دعوته • وحرض الحاكم العسكري الذي لا يحتاج الى مزيد من التحريض • فاستدعى الحاكم العسكري جميع الذين شاركوا في الاجتماع وانذرهم بعدم التعاون مع رئيس البلدية في هذا الشأن وهدد الحاكم

العسكري بعض المعلمين والمعلمات الذين وقفوا موقفا صامدا بالابعاد او الاعتقال.
وكان لا بد من التوقف عن تنفيذ المشروع مؤقتا لايجاد منفذ جديد للعمل من خلاله .

كان يمكن ان ننفذ المشروع لو شاركنا مدير التربية والتعليم ، واخذنا اذنا مسبقا من الحاكم العسكري . ولكن المشروع في هذه الحالة ، سيصبح تحت سيطرة الحكم العسكري وخبرائه من الصهاينة ، وبالتالي نفقد الغرض من وراء الهدف الذي كنا نهدف اليه . بالاضافة الى ان المجلس البلدي اتخذ سياسة عدم التعاون في كافة المجالات مع سلطات الاحتلال الصهيوني منذ ان وقع عدوان ١٩٦٧ وذلك من منطلق مبدأ ان من سيتعاون مع اية سلطة محتلة لا يحوز على ثقة شعبه.

وكان لا بد من العمل من اجل الانسان العربي الفلسطيني المهدد تحت نير الاحتلال العنصري . وبدأ العمل في اتجاهين مكملين لبعضهما البعض . بدأنا سلسلة محاضرات ولقاءات عن دور المثقف في المجتمع ، انطلاقا من وجهة نظر ملخصها ان المواطن المثقف هو الذي يلتزم بقضايا شعبه ، ويعرف كيف يتعامل مع المشاكل التي تجابهه كفرد وكمجتمع ويعمل على حلها .

ولقد عينا منطقتين في المدينة تشكلان مواقع تعاونية مع الاحتلال العنصري ، احداها جبل الطويل وهو اسم على مسمى لمنطقة مرتفعة تشرف على مدينتي البيرة ، ورام الله وتطل في نفس الوقت على البحر الميت ، وهي منطقة كانت مخصصة لمشروع سياحي ، شقت طرقها وتم تعبيدها في نفس اليوم الذي وقع فيه الاحتلال . وبدأت مطامع السلطات المحتلة تتوجه الى هذا الجبل ، فكانت بين الحين والاخر ، وما زالت ، تعسكر فيه مؤقتا وتضع اجهزة الرادار عليه لارتفاعه.
فشرحنا للطلبة والطالبات اهمية المنطقة من الناحية الاستراتيجية، وكيف ان شجرة يزرعها الانسان على هذا الجبل ستصبح جزءا من حياته . وان اي اعتداء عليها وحرمان من زرعها ان يتظلل بظلالها سيتحول الى اعتداء شخصي على حياته .
ولقد كان هذا الاستنتاج في محله . وكان واضحا بين الاطفال الذين لم تتعد اعمارهم الست سنوات.فعندما قامت سلطات الاحتلال بانشاء معسكر لها على هذا الجبل، بدأ الاطفال يواجهون هذا التحدي بالعنف . اذ بدأوا بقطع خطوط التلفونات عنهم، وقص الاسلاك الشائكة التي كانت تحيط بالمعسكر ، وكلما كانت سيارات جيش الاحتلال الصهيوني تمر من داخل مدينة البيرة متوجهة للجبل ، كانت تتحول الى اهداف لمقالع الاطفال يرمونها بالحجارة .

وقد طلب الحاكم العسكري من المجلس البلدي ايقاف هذه العمليات والا اتخذ اجراءات انتقامية ضد المدينة باسرها . وكان الرد في منتهى البساطة ، انكم تحرمون هؤلاء الاطفال من نعمة الاستمتاع بما زرعوه ، فلو قمنا بمنعهم لضربونا

بالحجارة · والحل الوحيد امامكم اخلاء هذا الجبل ·

ولقد ادى اشتراك الاطفال الى نتيجة ايجابية اخرى ، فاقت كل وسائل التهديد والضرب للاطفال الذين كانوا دوما يشكلون عائقا لزراعة اشجار الزينة حول شوارع المدينة ، فلقد كان الاطفال يتلذذون بخلع الاشجار بعد زراعتها من العمال، اما بعد تجربة اشتراكهم الفعال ، وقيامهم بانفسهم بعملية الزراعة وخاصة في حمل ونقل الاشجار من قمة الجبل الى سفوحه ليناولوها للكبار لزراعتها ، لقد كانوا كحيوانات الكنغارو يقفزون بحماس من صخرة الى صخرة ، يحتضنون الشجرة بين ايديهم وعلى صدورهم حماية لها · فاصبحوا بعد المشاركة هذه، وبذل الجهد ، حراسا امناء على الاشجار في المدينة ·

والمنطقة الثانية التي اخترتها لتكون مسرحا للتفاعل بين الانسان الجديد والارض منطقة تقع شمالي المدينة ، وعلى مقربة من قيادة المنطقة الغربية للجيش الاردني ، التي تحولت الى قاعدة صهيونية للتدريب ، فعلى مقربة من هذا المعسكر تقع احدى السهول القليلة في مدينة البيرة الجبلية ، التي كان يحولها العدو الى مواقف للسيارات التي كانت تشارك في المسيرة السنوية التي تقيمها السلطة المحتلة كوسيلة لتعريف زبائنها على « ارضهم التي حررت » ·

انتقلنا الى الموقع في ثلاث باصات تبرعت بها شركة باصات المدينة ، وكان جميع الطلبة من المدرسة الهاشمية الثانوية ، التي اكتسبت سمعة نضالية مشرفة ، وفي نفس الوقت تميزت عن معظم المدارس الثانوية بنتائجها العلمية وتفوق طلابها · واثناء العمل جاء مراسل البلدية ليخبرنا بان الحاكم العسكري يطلب الينا ان نغادر الارض ونكف عن العمل فيها ·

ـ قل له انني لم اجد رئيس البلدية ·

وجاء مرة ثانية وثالثة وناديا الطلبة ، بينما تابع سائق تراكتور البلدية شق الارض التي اصبحت كالصخر نتيجة وقوف السيارات الصهيونية عليها ·

ما رايكم ، هل نتوقف عن العمل ؟

وصاح الجميع ، لا ، فلنستمر بالعمل ، وليضربوا رؤوسهم بالصخر ·

اذا استمروا ·

ودب الحماس ، وكان التحدي تحول الى طاقة مذهلة · وبعد دقائق جاءت

سيارة جيب عسكرية ، ونزل منها الميجر بنز ، مساعد الحاكم العسكري للمنطقة ·

● الحاكم العسكري يطلب اليكم ان تتوقفوا حالا عن العمل في هذه المنطقة ·

ـ لا لن نتوقـف ·

● بل يجب ان تتوقفـوا ·

ـ لا توجد سلطة على وجه هذه الارض تمنعنا من تشجير ارضنا ·

وتجمع الطلاب وشكلوا دائرة ليستمعوا الى النقاش الدائر ، والموقف الـــذي سيسفر عنـــه · انسحب الميجر بنز ، وبمجرد ركوبه سيارة الجيب ، صفق الطلاب بشكل عفـــوي ·

وقمنا بعد ذلك بتجربة متقدمة نوعا وهدفا وذلك بانشاء معسكر عمل لحفـــر اساسات مقر انعاش الاسرة · على ارض تبرع بها مجلس بلدية البيرة ، في وسط المدينة القديمة ، والتي كانت تضم اعشاشا وبيوتا قديمة · قمنا بهدمهـا بعـــد التعويض على اصحابها · لقد اخترنا هذا الموقع بالذات ليكون على مقربة مـــن المواطنين المسحوقين الذين يجب ان تهيأ لهم فرص الاستفادة من مشاريع الجمعية المتعددة ، من مكافحة الامية الى فرص التدريب والعمل في الاقسام المهنية المختلفة ·

لقد كان المعسكر مختلطا يجمع بين الشباب والشابات من مختلف المهـــــن والنشاطات · كان يضم معلمين ومعلمات ،طلبة وطالبات ، عمالا وعاملات ، كشافة ومرشدات ، مواطنين ومواطنات من البيرة ورام الله ونابلس والقدس · كان الزوار ياتون من مختلف المدن والقرى ليعملوا جنبا الى جنب مع المتطوعيـــن الدائمين · ووصل الامر بمعظم ازواج كافة اعضاء الجمعية للعمل في نهاية كل اسبوع · ولوضع المعسكر الجغرافي في محيط متخلف نوما ما ، حرصنا اشـــد الحرص على تجنب اي تجاوز او سوء ادب يمكن ان يثير شعور المواطنين مـــن حولنـــا ·

وعندما يمر المواطنون بجانب ورشة العمل ، كان يدور مثل هذا الحوار :

● يعطيهم العافية ، الشباب

ـ الله يعافيكم ، اذا سمحت يا عم باجس ، تعال قليلا ·

● تامر يا اخ

ـ هل تعرف ماذا نعمل ومن اجل ماذا ؟

ـ لا ، لا اعرف هو انا بقرأ البخت !!

● سنبني هنا مقر انعاش الاسرة ، وستجد زوجتك فرصة العمر لمكافحة اميتها وستستطيع غدا ان تقرأ رسالة ولدها المغترب ، وستجد بنتك فرصة العمل المنتج ٠

ـ الله يطول عمركم ويخللينا اياكم ٠

● ولكن لا يكفي هذا ، تعال شاركنا العمل يا عم باجس ؟

ـ ولم لا ، يشمر عن ساعديه ويأخذ قزمة كبيرة ويبدأ بالعمل جنبا الى جنب مع الشباب بحماس ٠ ويكتشف العم باجس ان الصبية التي تملأ من ورائه قفتها بما حفره جاره ، قادرة على المشاركة ٠

ويصيح العم باجس ٠

ـ والله انها قادرة « تلحق علي » وتمر بنته الصبية ، فينادي عليها ٠

ولك يا فاطمة اعملي ابريق شاي وهاتيه لهنشاما ، وتأتيه بابريق الشاي ، ثم يطلب منها ان تعمل مع الشباب ٠

وفي المساء ، يلتف الجميع حول النار ، وتبدأ تمثيلية قصيرة تتحدث عن الارض، تتخللها اناشيد عن الفلاح ، تحث الشباب للرجوع الى الارض ليعيدوا الربيع على ارض فلسطين ٠ وعلى هدير الصوت وعلى ضوء النار يتجمع الاهالي رجالا ونساء واطفالا ويشترك الجميع في ترديد اغاني الارض المحتلة :

هات السكة وعد المنجل / اوعى في يوم عن ارضك ترحل / شجرات بلادي عم تدبل / وشبابنا قاعدة مرتاحة / والخضر عنشجري بيرحل / م الهجرة عيونو نواحة / الحجل بييجي ع البيدر / ما بيلاقي لولادو قمحة / والارض ان عطشت يا بوسالم / بتنادي الغربا تفلحها / قوم يا محمد واسقي الزرع / ازرع واجمع عيد المجد / احصد زرعك واجمع قمحك / وصحي فارس ويونس وسعد ٠

~~~~~~~~~~~~~~~~

بابوري رايح رايح / بابوري جاي / صامد على ارضي وفوقي سماي / صامد على ارضي ٠٠ وارض ابوي / واهبها دمي ٠٠ ودم اخوي مهما / الزمان يلف ويدور / بتظلي ارضي وفوقي سماي / نذرن علي لازرع برقوق / واخلي شعبي يصحي ويفوق / واقول لفارس صحي مرزوق / يسهر على ارضه ويرويها مي / جبالك ووديانك عهد علي / ازرعها ورود واكسيها في /
~~~~~~~~~~~~~~~~

والشمس ان غابت خد نور عيني / واوعى يا ترابي تزعل علي / ارضـــــي لازرعها ، ازرعها زتون / وخلي كل شي صعب يهون / انا بهواها يانـــاس مفتـــون ٠

ثم يدور بعد ذلك نقاش حول عدة مواضيع ، ويشترك المتفرجون في النقاش ، وتسأل ام صلاح ، كيف تجمعون بين الرجال والنساء في عمل واحد ، اليس هـذا ضد تقاليدنا ؟!

منذ متى اصبح لعمل المشترك ضد تقاليدنا ٠ المراة في الربوع الفلسطينيــة تعمل جنبا الى جنب مع الرجل وهي دوما « مشتلة » تحفر بفاسها ، وتبذر الحـب الطيب ، وتحصد ما زرعته يداها ، ومن ثم تبيعه بنفسها في الاسواق العامة حيث يتواجد الرجال بكثرة ٠ اننا عندما تركنا العمل في الحقل ، والعمـــل المشترك ، استطاع الغزاة احتلال ارضنا ٠ وتقتنع ام صلاح ، وتنهي نقاشها بالله معاكم ٠

وتمتد السهرة ، وبامتدادها تزداد الرابطة وثوقا بين المتطوعين والرجـال والمتطوعات والنساء وتتكرر التجربة ، ويزداد اصدقاء المعسكر ، واثره في المنطقة، وتتحدث المدينة عن التجربة ٠ ويجن جنون معسكر الاعداء والعملاء ٠ فيتطوع رئيس بلدية سابق لاثارة المواطنين ضد الفكرة وضد المشروع ، ويفاجا براي واضح من اولئك المزارعين البسطاء الذين بداوا يشاركون يوميا في العمل ، وفي النقاش الذي يدور مساء ٠

ثم حفر الاساس الضخم لبناء جمعية انعاش الاسرة وبانتهائه بدات ملامــــح درب العمل التطوعي في المدينة والذي انتشر فيما بعد ليشمل كل الضفة الغربية، بدات ملامح درب هذا العمل تتبلور ، وفوائده تثمر لا على المجتمع فحسب بل وعلى الانسان نفسه ٠ واروع ما في الامر ان الدافع الجديد لم يبن برفع الشعارات بل باطلاق عجلة العمل الجماهيري الخلاق ٠

لقد خرجنا من هذه التجارب المتناثرة بحصيلة غنية من العبر ، واهم من ذلــك بعدد غير قليل من الشباب والشابات من عمال ومثقفين وطلاب ٠ ممن يستطيعون قيادة العمل التطوعي وتنميته وتطويره ٠ لقد اصبحت الصورة واضحة في اذهاننا ونضج الهدف في تصوراتنا ٠ ولذلك راينا انه لا بد من العمل لتحويله الى نشــاط دائم ، ففي استمراريته ضمان لتجذيره ونجاحه في تحقيق اهدافه ٠ لم نعد نقتنــع فقط بدرء الخطر عن شبابنا وشاباتنا ، بل ازدادت طموحاتنا في ان نخلق حركة للشباب تعمل على بناء الطلائع القيادية من ابنائنا لتسليمهم القدرة والكفـــاءة لخوض معركة وجودهم وتحررهم ضد العدو الصهيوني العنصري ٠

بعد اختمار الفكرة ، راينا انه لا بد من عملية اخراج جديدة تختلف في اسلوب

تنفيذها عن التجربة التي فشلت نتيجة الدعوة الموسعة للخبراء والفنيين من رجال التربية والتعليم في المنطقة • وابتدعنا حيلة ثبت نجاحها • فقمنا بدعوة الصفوة من الذين برزوا في اختبارات الشهور الاخيرة لاجتماع في المجلس البلدي •وتحدثنا طويلا حول المشروع وكيفية تنفيذه •واتفقنا على ان ينضم الجميع كاعضاء فيمكتبة بلدية البيرة ، ويقيمون مدرسة ليلية لتقوية ومساعدة طلبة وطالبات التوجيهية والاعدادية ، وتمت نفس الخطوة في مكتبة بلدية رام الله • وكان الطلبة يحجون الى المكتبتين العامتين في المدينتين ليجدوا خيرة الاساتذة في مختلف المواضيع يقدمون لهم العون مجاني • وسارت التجربة بنجاح • وانطلق العمل التطوعي من المكتبات ، ورأينا من المناسب ان نقوم باعمال مركزة في المدينتين حتى يشعر المواطن العادي ، والمجلس البلدي ، بأهمية هذا العمل وجدواه ويلمس نتائجه الايجابية حتى يصعب ضربه او توقيفه • فأخذنا على عاتقنا تنظيف سوق الخضار في مدينة البيرة وتنظيفه بعملية القش بالماء والصابون •

ولقد اعطى العمل في هذه المنطقة دعاية ضخمة للعمل التطوعي في كافة قرى المنطقة وبدأ الحاكم لعسكري يتطلع اليه بخوف • وبدأ بارسال دورياته لتحيط بالعاملين لارهابهم وكنا نتجاهلهم ، ونعمل ونحن ننشد اناشيد الارض والحرية التي بدأت تنطلق من شعراء الارض المحتلة • ولجأ العدو الى اسلوب استدعاء الاعضاء والتحقيق معهم ولكن احدا لم تخيفه هذه التهديدات •

وامتد نشاط فريق العمل التطوعي الى القرى المجاورة ومخيمات النازحين• وفي المخيمات ساهمنا ايجابيا في محاولة القضاء على روح التواكل التي حاولت غرسها وكالة غوث اللاجئين• وكنا ونحن نساعدهم على تعبيد ورصف طرقات المخيم نقنعهم بمشاركتنا • وتمت مشاركة الجميع رجالا ونساء من سكان المخيمات •

لقد برزت لنا نتائج ايجابية لم نكن نحلم او نفكر اننا سنحققها من خلال العمل التطوعي بين مختلف فئات شعبنا • وهذا باعتقادي ميزة وقيمة العمل الثوري عن التحشيش الفكري • ان الارتباط العملي بالجماهير ، والعمل من اجلها وبينها مدرسة تتيح فرص التعليم اكثر بكثير من اهم الجامعات في العالم • وقد استفدنا من تجربة التعلم من الجماهير ، من العمال والفلاحين والبسطاء من شعبنا • ما لم نستفده من بطون الكتب • وجلسات التقييم التي كنا نعقدها بين الجماهير• ونناقش فيها انفسنا ونقيم عملنا ، ونتبادل الاراء مع هذه الجماهير معين لاينضب من الايجابيات في دعم تحركنا • وهذا ميزة العمل الثوري الذي يفجر طاقات الانسان وجماهير الثورة بشكل لا يستطيع ان يتنبأ به انسان مهما بلغت ثوريته•

وكنا نطرح في مثل هذه الجلسات ، التي كانت تعقد اما في بيت من بيوت المخيم

او في احد الازقة الضيقة التي كنا نعمل فيها ، ويدور حوار حول خطورة العمـل في مؤسسات العدو • ويجري الحوار بعيدا عن صيغة الخطابة وبهذه الطريقة :

● اين تعمل يا ابو محمد

ـ في مزرعة احدى المستعمرات الصهيونية •

وبالتالي فانه يمكن للعدو من تجنيد صهيوني على الجبهة • يعلق اخر مـــن الفريق ويتساءل اخر •

ـ وكيـــف ؟

● يجيب ثالث ، طبعا لو ان ابا محمد لم يعمل في هذه المزرعة ، عليهم ان يدبروا صهيونيا ليعمل فيها بدلا من ابي محمد وبالتالي فانهم سيضطرون الـــى سحب مجند من الجبهة ؟

ـ ولكنني اريد ان اعيش ، يرد العامل ، ان اليوم الذي لا نعمل فيه فاننا ننام بـــدون عشاء •

● ولكن يا اخ ابا محمد ، انك تعمل مع العدو ، ومعنى ذلك انك اليوم تعطيـه القوة ليقتلك غدا ، ويدمر بيتك ، انك تستطيع ان تعمل في مؤسساتنا • تعلق احدى المتطوعـــات •

ـ هل سمعتم قبل مدة ان جماعة ملثمة ومسلحة قد اوقفت باص ايجد قريبقرية صفا واحرقته ثم انذرت العمال بعدم العمل في المؤسسات الصهيونية والا اتخـذت اقسى الاجراءات ضدهم ، يتدخل اخر ويقولها بمكر ودهـــاء •

ويطول النقاش ولكنه يؤتي ثماره ، فكنا نسمع بعض العمال يقسمون بالحرام من زوجاتهم ان هم ذهبوا مرة اخرى للعمل في مزارع العدو او مصانعه •

لقد كان امتداد نشاط فريق العمل التطوعي بعد مرحلة اثبات وجوده وراء تلبية حاجات الجماهير ومتطلبات المصلحة الوطنية • ولقد شعرنا جميعا ان الفـــلاح الفلسطيني مهدد بالفناء ، فلقد وقع في فخ المصيدة الصهيونية في اجتثاثه من ارضه، ليسهل عليها ترحيله من وطنه ، وذلك بفتح المجال له بالعمل المأجور المغري الذي يفوق انتاج ارضه • حتى الفلاح الذي صمد في وجه هذا الاغراء ، لم يعد لديـه القدرة للصمود امام المنافسة الصهيونية التي تدير المزارع علـــى اسس حديثة ، وتقوم الدولة بدعمه بشتى وسائل الدعم واهمها شراء انتاجه بسعر معين بغـض النظر عن حاجة السوق • وعليه فقد اتخذ قرار بمد يد العون الى الفلاح •وبدأت حملات قطف الزيتون والمشاركة في الحصاد•لقد شعر الفلاحون في المناطق انهم اذا

ما صمدوا في ارضهم فلا بد من الايدي الخيرة ان تمتد للمشاركة معهم في تحمل هذا العبء ، ولقد تعرفنا في عملنا في القرى على اعماق حياة الفلاح وحياة الشقاء التي يعيشها · مما اثار شعورا في المسؤولية تجاه ضرورة تغيير بيئة المجتمع الاقتصادية لمصلحة هؤلاء المسحوقين · وفتح لنا العمل افاقا واسعة ، في التعرف على هؤلاء البسطاء ودورهم التاريخي في ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ وعلى مواقع هذه الثورة ·

لقد كنا نشتهي ان نجد في المكتبة من الرواد ما يزيد عن اصابع اليد الواحدة ولكنها اصبحت خلية نحل ، زاد روادها عن زبائن سوق الخضار · لقد اضطررنا لضيقها ان نخصص اياما محددة للاطفال · وفي احدى الامسيات الثقافية دار الحوار التالي مع عامل بلاط يحمل شهادة التوجيهية :

● اليست مصيبة ان تكون رفوف مكتبة البلدية مليئة بالكتب الصفراء ،وخاصة تلك التي تبث الدعاية الامريكية المسمومة · ان ذلك يحتاج الى توضيح ·

ـ ربما نسيت اننا افتتحنا المكتبة بتاريخ ٢٨ـ٥ـ٦٧ وبميزانية لا تتعدى خمسماية دينار كان علينا ان ندفع منها معاش امين المكتبة ، واجرة مقرها · ولا ننسى انه بعد اقل من سبوع وقعت الهزيمة · كما يجب ان نعلم ان معظم هذه الكتب شحدتها من مواطنين !!

● ولكن هذا لا يبرر بقاء هذه الكتب ·

ـ ما هو المطلوب ·

● حرق هذه الكتب وازالتها حالا من على الرفوف ·

وتحققت اول ثورة ثقافية ، واحرقت كل الكتب التي لا تخدم قضية شعبنا او التي تسيء الى اصدقائنا ، واعيد تنظيم المكتبة ، واصبح فريق العمل التطوعي ليس مسؤولا عن شراء الكتب بنفسه فحسب بل وعن تصنيفها وتنظيمها وحتى تنظيف المكتبة · ونتيجة حفظهم تضاعفت ميزانية المكتبة اكثر من اربعة اضعاف · وادخلت الموسيقى الكلاسيكية فيها ، ووسائل الطباعة الاساسية لنشر المقالات التي كانت موضوع البحث الاسبوعي لفريق العمل التطوعي والتي كانت توزع على اعضاء الفريق قبل ايام لمناقشتها · لقد تحولت المكتبة الى نموذج ثوري فريد ، ونتيجة لذلك تضاعف عدد المشتركين فيها حتى اصبحت تضاهي أقدم المكتبات العامة في فلسطين المحتلة اذا صحت المقارنة ·

وكان لا بد من ان يتخذ فريق العمل التطوعي لنفسه اسلوبا عمليا للقضاء على كل امراضنا المسؤولة عن تأخرنا وهزيمتنا ، فالقيادة الجماعية اصبحت تقليـدا لا يمس ٠

فقرار العمل ومكانه ونوعيته يجب ان يتخذ في الاجتماع الاسبوعي العام الذي كان يضم جميع الاعضاء ، والعمل اليدوي كان وسيلة للقضاء على الشخصيـــة الفهلوية ٠ ان بناء غرفة في مدرسة قرية كدير كان امتحانا شاقا لكـل الاعضاء ٠ ان اتخاذ قرار ما سهل جدا ولا يتعب احدا ، اما تنفيـــــذه عمليا فهو الصعب ٠ وتعلمنا جميعا انه عندما نتخذ قرارا ما ، علينا ان ننفذه ٠ لميعدهناك شيء اسمه المستحيل ، ولكن في نفس الوقت كان القرار يدرس من كافة جوانبه ، والظـــروف الموضوعية لتحقيقه ، والاستعداد الذاتي للفريق ٠ اما بناء الطلائع القيادية ،وهو هدف رئيسي من اهداف العمل التطوعي ، فكان وسيلة تحقيقه بالاضافة الى البناء الثقافي للافراد ، يتخذ شـكل وضع المسؤولية على عضو من الاعضاء في ادارة الجلسات ، وقيادة الفريق في أحدى مهماته او نشاطاته ، وكنا باستمرار نحـاول تقييم هذه القيادة مع ذكر سلبياتها وايجابياتها ، بالنقد والنقد الذاتي ، نحاول ان نصل الى الوضع الامثل ٠ ان من يستطيع ان يقود فريقا لحصاد حقل من القمح وتنظيم العملية يستطيع في المستقبل ان يقود فصيلا في معركة التحرير ٠ والعمـــل وحده هو المقياس العملي للحكم على العضو وعلى القائد على حد سواء ، وليست اية معايير تقليدية ٠ هذه بعض الشعارات التي لا مجال لتبنيهـا الا اذا طبقـــت عمليـــا ٠

لقد اصبح العمل التطوعي جزءا لا يتجزأ من حياة مدينتي البيرة ورام اللـــه ومعاهدهما العلمية ٠ فاصبح من ضمن متطلبات التخرج من جامعة بيرزيت ودار المعلمين ومعهد المعلمات ومركز التدريب المهني ولا يمكن لطالب ان يتخرج الا اذا قام بعمل ساعات معينة ومحددة من ضمن المنهاج ٠ وانتشرت لجان العمل التطوعي في كثير من القرى ٠ وقد ادى ذلك الى اجتذاب عدد كبير من الشباب والشابات في المدن الاخرى للعمل مع فريق العمل التطوعي لكسب الخبرة والالمام بالتجربة عن قرب ٠ فزادت طموحات الفريق التطوعي في مدينتي البيرة ورام الله للقيام بأيـام عمل في كافة مدن الارض المحتلة ، كالقيام بتنظيف شوارع هذه المدن او الاماكـن العامة فيها ٠ ومن خلال هذه النشاطات شكلت لجان عمل تطوعية من جنين شمالا حتى الخليل جنوبا ، ولا يهدأ بال لهؤلاء الشباب حتى تنتقل التجربة الى القطاع والارض الفلسطينية التي احتلت عام ١٩٤٨ ٠

مع انتشار العمل التطوعي وازدياد الدعم له تنوعت نشاطات العمل التطوعي، وكان اخرها وابرزها بادرة الالتفات نحو من فقدوا نعمة البصر من ابنائنا ٠ فقام

الفريق بتسجيل الكتب لمكتبة المكفوفين في بيت حيفا فلقد وجد بعض اعضاء الفريق ان مكتبة المكفوفين لا تحوى الا على كتب من نمط واحد يفقد هؤلاء المكفوفين الاطلاع على مجريات الفكر الحديث • فحول الفريق اشرطه التسجيل الى كتب ناطقة تشكل جزءاً هاما من مكتبة المكفوفين •

ويظهر ان السلطات المحتلة بدأت تشعر بخطورة هذه الاعمال ، ففي احدى المناسبات قام الحاكم العسكري للمنطقة باقتحام مكتبة بلدية البيرة بينما كان الجميع يستمعون ويناقشون بحثا عن الصهيونية • وبالرغم من تواجده فوق رؤوسهم استمر النقاش عن الحركة العنصرية النازية الجديدة مما اثار نقمة السلطات ، فزادوا من عمليات استدعاء الاعضاء والتحقيق معهم • ولجأوا الى اسلوبين اخرين في محاولة ضرب العمل التطوعي وشله ومن ثم القضاء عليه •

**اولها** ، دور رئيس مجلس الامناء الجديد الذي بدأ بحملة ارهاب ثقافية على اللجنة • اذ قام بالاشتراط على فريق العمل التطوعي ان لا يقيم امسية ثقافية او بحثا في موضوع قبل عرضه على مجلس بلدية البيرة وحدد عدد المشتركين في اية امسية ثقافية بما لا يزيد عن عشرة اشخاص وكانه يطلب منهم وقف هذه الامسيات ، وبالفعل كان ذلك •

**ثانيها** ، قامت حملة من الفئات المتعصبة دينيا وخاصة من نقابات حزب التحرير والاخوان المسلمين الذين لم يكن لهم دور طوال فترة الاحتلال الا انتقاد الثورة والكفاح المسلح • ومن بينهم احد اعضاء هيئة التفتيش في مديرية التربية والتعليم. الذي لا يمكن أن يتفوه بكلمة الا بالاشارة من مدير التربية والتعليم المعروف بولائه لسلطات الاحتلال • فقام هؤلاء بحملة تحريض ضد العمل التطوعي ، مدعين ان الجمع بين الجنسين خطر على الاخلاق • بينما هؤلاء لم ينطقوا بكلمة واحدة ضد عمل المرأة في بعض المناطق في المؤسسات الصناعية والزراعية وما يترتب على ذلك من اثار اجتماعية •

والتجأ فريق العمل التطوعي الى قلعة وطنية اخرى ، الى مكتبة بلدية رام الله ، التي يقف رئيسها اليوم الى جانب الجماهير في الارض المحتلة ليرعى هذا العمل الجبار •

وستستمر تجربة العمل التطوعي بالرغم من كل الصعوبات ، وبالرغم من الاحتلال وزبانيته •

ستستمر المسيرة بالرغم من سقوط ماهر شهيدا وبالرغم من سقوط ياسين شهيدا •

وبالرغم من اعتقال زكريا سنة برسم التعذيب في اقبية النازية الجديدة •

وبالرغم من طرد المعلمة فلور جاك لحام من عملها •

وبالرغم من الارهاب والتحقيقات المستمرة مع كل اعضاء الفريق التطوعي •

وبالرغم من كل ما يفعله العدو لوقف مسيرة العمل التطوعي فستستمر المسيرة لانهم نجحوا في زراعة النجوم على ارض فلسطين ، وكلما سقط نجم ، كلما تضاعف عدد النجوم على ارض فلسطين ، كلما زاد نورها لتضيء درب التحرير•

# مقدمات نظرية حول مسألة تحرر المرأة

غازي الخليلي

« ان الراي الزاعم ان المراة كانت عبدة للرجل في بداية تطور المجتمع هو من اسخف الاراء التي تركها لنا عصر الانوار في القرن الثامن عشر » ·

« انجلــز »

[ ١ ]

تعتبر* مسألة تحرر المرأة من اهم المسائل في حياة المجتمعات الحديثة،ويتوقف مدىتحرر وتقدم اي مجتمع ، على الكيفية التي تحل بها هذه المسالة ، فكلما نالت المراة المزيد مـــن حقوقها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، كما قطع المجتمع شوطا اكبر في طريق تحرره وتقدمه ، وكلما اعاق المجتمع نيل المرأة لحقوقها وابقاها اسيرة اغلال المجتمع القديم ، كلما اخر واعاق عملية تحرره وتقدمه · «فتحرر اي مجتمع يقاس بمدى تحرر المراة فيه» «وتوسيع حريات النساء هو المبدا العام لكل تقدم اجتماعي » (١) ذلك ان تطور المجتمعات الحديثة وما يفرضه هذا التطور من ضرورة تشغيل كل القوى المنتجة في المجتمع، لم يعد تيلاءم والواقع المزري الذي تعيشه المرأة منذ الاف السنين ، قوة غير منتجة ، يبلد العمل المنزلي حسهـــا ويقتل ذكاءها ، تعيش حبيسة بين جدران اربعة ، تابعة وملحقة بالرجل ، لا تعدو كونها اداة بيده يمارس عليها اضطهاده ، ولعبة يلهو بها لاشباع نزواته ·

وعلى الرغم من الحقوق السياسية وغيرها ، التي نالتها المراة مع بداية القرن الحالـي في العديد من بلدان العالم ، وبشكل خاص في البلدان الاشتراكية ، حيث نالت الكثير مـــن حقوقها وفتحت امامها مجالات العمل المختلفة (٢) ، فانها لا تزال في معظم البلدان وبشكل خاص في البلدان الراسمالية والبلدان النامية ، كائنا تابعا لا يملك غير حريات جزئية وتحتل مكانة ادنى بكثير من مكانة الرجل وذلك لاسباب كثيرة ، منها : ان مسألة تحرر المرأة لا يمكن ان تصل الى مداها الكامل الا في مجتمع اشتراكي متطور ، وما نالته المراة من حريـــات في المجتمعات الرأسمالية ، تظل حريات ناقصة في مجتمع لا يقوم الا على الاستغلال · فالمرأة في المجتمعات الراسمالية تحولت الى سلعة في سوق العمل الراسمالي ، والى مظهر من مظاهر العهر البورجوازي الذي تعيشه هذه المجتمعات ولا تزال مجرد ذلك الجسد الذي يستغل في الخدمة بالبيت او يستغل خارج البيت في الاتجار بالجنس · ومنها ، ان تحرر اي مجتمع من التقاليد والافكار القديمة عملية صعبة ومعقدة وتحتاج الى زمن طويل ، ولا سيما فيمـا يتعلق بالمراة · ذلك ان « المجتمع القديم يترك اثاره في المجتمع الجديـــد على صعيـــد

---

★ هذا هو الفصل الاول من كتاب «المراة الفلسطينية والثورة» الذي سيصدر قريبـــا عن مركـز الابحـــاث ·

الايديولوجيا والحياة اليومية ، حتى بعد حقبة طويلة من تقويض الاسس الاقتصادية والسياسية لذلك المجتمع . ولا تتجلى آثار المجتمع القديم كما تتجلى في مجال الموقف من المرأة وتحريرها من التبعية الاقتصادية للرجل بأن تصبح عضوا منتجا في المجتمع ، فالشرط بالبنى التقليدية لهذه المجتمعات فقط ، ولكن ايضا ، والى درجة كبيرة ، بفعل عدم توفر السلطة السياسية الثورية التي تؤمن بهذه المسالة وبمركزيتها في النضال من اجل بناء المجتمع الجديد . ان مسالة تحرر المراة لا يمكن ان تجد طريقها الى الحل باصدار بعض القوانين او التشريعات التي تنص على مساواة المراة بالرجل في هذا المجال او ذاك ، دون النضال الحازم والجاد من قبل المجتمع ضد كل المعيقات التي تحول دون المراة وممارستها لابسط حقوقها . فاصدار المراسيم والتشريعات والوقوف عندها دون النضال الجاد والحازم لوضعها موضع التطبيق الفعلي قد يوفر للمراة بعض الحريات الجزئية ـ على الصعيد القانوني ـ لن يستفيد منه في احسن الاحوال الا عدد ضئيل جدا من النساء ، الا ان هذه الحريات الجزئية لن تحررها من ربقة التقاليد والعادات السائدة ، التي تكبلها وتجعلها خاضعة للرجل وملحقة به . فالمساواة بين الرجل والمراة لا تتم الا باعتراف المجتمع بمساواتها بالرجل وبحقها في التمتع بكل الحريات التي يتمتع بها الرجل ، واتاحة الفرصة امامها لان تتحمل مسؤوليات مماثلة ، والاعتراف باستقلالها الذاتي عن الرجل سواء كان ذلك الرجل هو الاب او الزوج .

وكمقدمة ضرورية للوصول الى مساواة كاملة لا بد من الغاء الاسس الاقتصادية لاضطهاد المراة وتحريرها من التبعية الاقتصادية للرجل بأن تصبح عضوا منتجا في المجتمع ، فالشرط الاول لتحرر المراة هو عودة جنس النساء بكليته الى الانتاج الاجتماعي (٤) ، و « لن يصبح تحرر المراة ممكنا الا متى استطاعت ان تشارك على نطاق اجتماعي كبير في الانتاج ، ومتى اصبح العمل البيتي لا ياخذ من وقتها الا قدرا ضئيلا » (٥) .

**ما المقصود بتحرر المراة ؟**

ان الكثيرين يتصورون ان المطالبة بتحرر المراة هو دعوة للاباحة الجنسية ، هو دعوة لان تتصرف المراة بجسدها كما تشاء ، دون ضابط او منظم للعلاقات الجنسية في المجتمع . ولذا فان الكثيرين ، انطلاقا من هذا التصور الخاطىء والمغلوط ، يعارضون بشدة تحرر المراة ، ويعتقدون ان المراة يجب ان تبقى حبيسة الجدران الاربعة ، امية ، جاهلة ، مبلدة الذهن والحواس ، خاضعة لسيطرة الرجل وتحت مراقبته ، لا تمارس حريتها ـ وان نص عليها القانون ـ الا في الحدود التي يسمح بها هو نفسه ـ الرجل ـ ، وذلك حتى لا تقع في مهاوي الرذيلة ، وحتى لا تجلب العار الى الاسرة . وقد لعب هذا الاعتقاد الخاطىء دورا كبيرا في معارضة دعوة بعض المصلحين في البلدان العربية لسفور المراة وتعليمها. فووجهت كتابات قاسم امين ورفاعة رافع الطهطاوي (٦) ، الداعية لسفور المراة وتعليمها المبادىء الاولية في القراءة والكتابة وبعض العلوم ، بعداء شديد في العالم العربي ، واتهم قاسم امين حينما بالفجور والخروج على تعاليم الدين . ولكن كما نرى فان افكار قاسم امين الاصلاحية انتصرت في النهاية ، فالحجاب لم يعد عنوانا للفضيلة كما كان سابقا ، ومعظم الاسر تصر على تعليم بناتها ، والكثير من الاسر ترفض زواج البنت قبل ان تكمل تعليمها ، وتصبح قادرة على اعالة نفسها بنفسها . كذلك فان نزع الحجاب وتعليم الفتيات لم يؤديا الى انتشار

الرذيلة كما كان يدعي الكثيرون من رجال دين رجعيين وغيرهم ★ ٠ فالفتاة لا تتعلـــم حتى تصبح قادرة على « مكاتبة عشيقها » كما كان يدعي المعارضون لتعليم البنات ٠★★ بل نرى ان الفتاة المتعلمة والمثقفة اصبحت اكثر ثقة بنفسها ، واقدر علـــى ان تحول دون استغلالها من قبل الرجل ٠ ولكن هل يقتصر تحرر المراة على مجرد نزع الحجاب والتعليم وكفى ؟ ان نزع الحجاب والتعليم يشكلان مقدمة ضرورية لاخراج المراة من العزلة المفروضة عليها ، يشكلان البداية او الخطوة الاولى في مسيرة طويلة شاقة وصعبة ، يجب على المجتمع قطعهـا حتى يصل الى مرحلة متقدمة في حل مسالة تحرر المراة ٠ ذلك ان مسالة تحـــرر المراة مسالة اشمل واكبر بكثير من نزع الحجاب والتعليم ٠ انها بالاساس مسالة انهـــاء اضطهاد الرجل للمراة ، وجعل المراة عضوا منتجا في المجتمع ، لها شخصيتها المستقـلة . ولها كيانها الخاص المستقل ، مثلها مثل الرجل ٠ تتمتع بكافة الحقوق التي يتمتع بهـــا . وتقوم بكافة الواجبات التي يقوم بها ٠ وبدون ذلك يبقى اي حديث عن تحرر المراة حديثـا يدور في حلقة مفرغة ، ويبقى اي توجه نحو تحررها ، توجها يصطدم بعقبات ومعيقات كثيرة٠ وهذا يقودنا الى البحث في اسباب اضطهاد الرجل للمراة ، في الاسباب التـــي ادت الـــى عبودية المراة ٠

**اضطهـاد الرجل للمراة كيف نشا وبفعل اي عوامـــل ؟**

هل صحيح ان المراة خلقت ضعيفة وبعقل ناقص حتى تكون خاضعة للرجل وتحت سيطرته؟ وهل صحيح أن المراة اقل ذكاء من الرجل ، وبالتالي فانها يجب ان تكون دون الرجـــــل منزله ؟ قال شوبنهاور « ان المراة لا تصلح الا لحفظ النسل وتدوير الساعة وغسل الصحون » وقال نيتشه « لقد خلق الرجل للحرب والقتال ، واما المراة، فانه ليس ثمة لديها شيء سوى الحب والطفل ٠٠ وتبعا لذلك فان سعادة الرجل هي ـ انا اريد ـ واما سعادة المراة فهي ـ هو يريـــد ـ » ٠

وقال جان جاك روسو « ان الرجل فطر بالطبيعة للحياة الخارجيـــــة ، بينما المـــراة مكانها داخل الاسرة ، المراة بالتعريف هي جزء من الطبيعـــة ، والمفروض في تربيتهـا ان تعهدها لكي تكون السند المعنوي للرجل وخادمته من دون ان تكون لها ارادة خاصة بها »٠ ان هذه الاقوال وكثير غيرها وعلى شاكلتها ، تقوم على اساس التمييز بين الرجل والمراة ، وعلى اساس ان المراة اقل منزلة من الرجل ، وبالتالي يجب ان تكون خاضعة له ٠

---

★ تذكر نوال سعداوي في كتابها «المراة والجنس ، طبعة ثانية ص ١٠١» ان الاحصاءات والبحوث اثبتت وجود تناسب عكسي بين عدد المشتغلين بالدعارة في مجتمع مـا ، وبين تحرر النساء في هذا المجتـــمع ٠

★★ يذكر قاسم امين في كتابه «تحرر المراة ص ٧٢» ان الفكرة التي كانت سائدة في مجتمعاتنا حول تعليم الفتاة هي ان المراة التي تعرف القراءة والكتابة تحيد عن الطريق المستقيم وتخاطب حبيبها بالرسائل الغرامية ٠ في حين يؤكد امين العكس ويقول : ان المـراة التي تخالط الرجال تكون ابعد عن الافكار السيئة من المراة المحجوبة وغير المتعلمة ٠ المصدر نفســـه ٠ ص ١٠١ و ١٠٢ ٠

وهي تعبير عن الفكر السائد والذي يقوم على اساس اضطهاد المرأة والنظر اليها نظرة دونية★ وتتفق هذه الاقوال مع كثير من التقاليد التي كانت سائدة في المجتمعات القديمة ، ففي الصين القديمة مثلا ، كانت افكار كونفوشيوس عن المرأة هي السائدة ، وهي افكار ترسم صورة دونية جدا للمرأة ، وتفرض عليها ان تكون غبية وجاهلة · فكونفوشيوس يرى ان المرأة الموهوبة ليست امرأة فاضلة · ويقول مثل صيني قديم « الغباء هو فضيلة النساء اليتيمة » · ونجد امثالا مشابهة لهذه الامثال او الاقوال لدى كل المجتمعات القديمة · فالمرأة هي مصدر الشرور كما قال فيثاغورس ، حيث ميز « بين مبدأ الخير الذي خلق النظام والنور والرجل ، ومبدأ الشر الذي خلق الفوضى والظلمات والمرأة» ، واعتبر ارسطو ان «الانثى انثى بسبب نقص معين لديها في الصفات» وجاء في سفر الجامعة « لقد وجدت المرأة اشد مرارة من الموت » وقال يوحنافم الذهب « ليس هناك بين كل وحوش الارض المفترسة من هو اشد اذى وضررا من المرأة » ويقول مثل ايطالي « المرأة عاقلة حين لا تفكر، غبية حين تفكر » وفي الامثال الروسية جاء « ليس فرخ الدجاجة طيرا ، وليست الفلاحة كائنا انسانيا » و « اضربوا نساءكم ظهرة وعشية » و « ليست المرأة جرة ، ولن تتحطم اذا لطمتها بين الحين والآخر ؛ وتذكر شيلا روبتهام حول حياة المرأة في روسيا قبل الثورة فتقول « جرت العادة ان يقوم والد العروس بتسليم الزوج الشاب سوطا جديدا حتى يمكن استخدامه في ممارسة سلطانه وفرض هيبته اذا جلا له الامر ، وكان السوط الذي يعلق فوق الفراش الزوجي يرمز الى انتقال السلطة من والد الفتاة الى بعلها » (٧) · ان هذه الاقوال والامثال نجد ما يشابهها في امثالنا العربية حول المرأة · فمن الامثال الدالة على دونية المرأة ونقص عقلها قولهم « المرأة تظل عوجاء لانها خلقت من ضلع اعوج » و « شاوروهن وخالفوهن » و«لا تدع المرأة تضرب صبيا لانه اعقل منها» ومن الامثال الدالة على اضطهاد المرأة قولهم « لا تشتري حمارة واهلها في الحارة » اي لا تتزوج امرأة تسكن بذات الحي فتكثر زيارتها لاهلها وزيارة اهلها لها · والمهم هنا ليس دلالات المثل الاجتماعية فقط ، ولكن تشبيه المرأة بالحمارة ★ وقولهم كذلك « النساء عي وعورة ، فداووا العي بالسكوت والعورة بالبيوت » وهناك امثال كثيرة عربية وغير عربية تدور كلها حول دونية المرأة والصاق الكثير من الصفات السيئة بها · مثل السلبية ونقص الذكاء والكيد والغواية ··· الخ · والسؤال الذي يجب طرحه هنا هو : هل هذه الصفات طبيعية في المرأة ، اي جزء من طبيعتها ، كما يدعي البعض من الرجال ، ام انها صفات مكتسبة ، نتجت عن الواقع الاقتصادي ـ الاجتماعي الذي تعيشه المرأة ؟ لدى الاجابة على هذا السؤال نجد اكثر من وجهة نظر · فالتقدميون ودعاة تحرر المرأة ، يؤكدون ان ما يسمى بطبيعة المرأة ما هو الا شيء اصطناعي للغاية ، هو نتيجة كبت اجباري في بعض النواحي وتحفيز غير طبيعي في نواحي اخرى · في حين ان الرجعيين والسلفيين ، يؤكدون على ان هذه الصفات هي من طبيعة المرأة ، وليست مكتسبة · وعباس محمود العقاد ، الذي اقحم كل العلوم لاثبات الوضع

---

★ تقول مرغليت فولر : ان دونية المرأة منقوشة في اللغة ، فالطاقة والابداع والخلق مرادفة للرجولة ، والنبل فضيلة مذكرة في المقام الاول · وحين تكون امرأة من النساء موهوبة جدا ، يكال لها الثناء بتشبيهها بالرجال · الثورة وتحرر المرأة ص ٥٠ ، شيلا روبتهام ، دار الطليعة ، بيروت ·

★ الحمارة هي الاتان انثى الحمار ·

التقليدي للمراة ، يعد من ابرز الامثلة على هؤلاء الرجعيين والسلفيين ، فهو يرى ان المراة خلقت حتى تكون مسخرة للرجل « فما كان للرجال ، جملة ، ان يسخروا النساء جملة في جميع العصور وجميع الامم لولا رجحانهم عليهن ، وزيادتهم بالمزية التي يستطاع بها التسخير ، ولو كانت مزية القوة البدنية دون غيرها» (٨) ، وكثيرون على شاكلة العقاد ينفون اي تأثير للظروف الاجتماعية على ما توصف به المراة من صفات في مجتمعاتنا الحالية ويؤكدون ، ان الظروف الاجتماعية للمراة ليست علة اخيرة بقدر ما هي نتيجة لطبيعتها بالدرجة الاولى ، وحجتهم انه «لو كانت النساء في الاصل بمثل ذكاء الرجال وبمثل انانيتهم لما رضين ان يستعبدهن الرجال » (٩) • ولكن هل هذا صحيح ؟ ان الذين يقولون بوجهة النظر هذه – وهم كثيرون للاسف – يرون ان المراة انفعالية بطبعها • وما تتصف به من صفات كالاغراق في العاطفة ونقص في عقلها وميلها الى الغواية والكيد ••• الخ يعود الى طبيعتها الانفعالية • ويجعلون من الفروق البيولوجية بين الرجل والمراة سببا كافيا للتمايز الاجتماعي بينهما ولسيادة الرجل على المراة وخضوعها له •

وفيما يتعلق بانفعالية المراة يؤكد ج• هانيس في كتابه « سيكولوجية المراة » ★ الطابع الانفعالي للمراة ، ويعيد اليه كل ما تتصف به المراة من صفات في مجتمعاتنا الحالية ، ويرفض كل محاولة لتعليل طبيعة المراة بالظروف الاجتماعية التي تحيط بها • اما لماذا المراة انفعالية ؟ وكيف تولدت عندها هذه الانفعالية ؟ فهذا ما يغيبه هانيس كليا مشيرا فقط الى ان المراة وجدت هكذا ، اي انفعالية بطبعها • ولكن الا يوجد رجال انفعاليون ؟ هانيس يؤكد ذلك ، وان كانت نسبة الرجال الانفعاليين اقل من النساء الانفعاليات كما يقول او كما يستنتج من بحثه • كذلك الا يوجد نساء غير انفعاليات ؟ هانيس يؤكد ذلك ، وان كانت نسبتهن اقل من الرجال كما يستنتج من بحثه ايضا • اذن المسالة لا يمكن ان تكون انفعالية المراة وعدم انفعالية الرجل ، طالما ان مثل هذا الطابع يوجد لدى الطرفين وان بنسب مختلفة • وهو اختلاف ناتج – بتقديرنا – عن الظروف الاجتماعية المختلفة التي يعيشها كل طرف • اضافة الى اننا لو اخذنا بالطبيعة الانفعالية كاحد العوامل التي تفرض تمايز الرجل عن المراة اجتماعيا ، فانه لا بد من الوصول الى العوامل التي ولدت هذه الانفعالية، لانه لا يمكن الاستناد على « هكذا خلقت المراة » وكفى • فالطبيعة الانفعالية للمراة او الرجل، لم تات من فراغ ، بل تولدت عن عوامل معينة • فما هي هذه العوامل ؟ هل هي الفروق البيولوجية بين الرجل والمراة ، ام الظروف الاجتماعية التي تحيط بكلا الطرفين ؟

المعارضون لتحرر المراة،وان اختلفوا بدرجة معارضتهم،يرون ان العامل البيولوجي اساسي في تمايز الرجل عن المراة، ويؤكدون وجود بعض الاختلافات السيكولوجية بين الذكر والانثى عموما وبين الرجل والمراة من الآدميين بوجه خاص نتيجة لوجود اختلافات بيولوجيه اساسية بين

---

★ ج• هانيس ، كاتب هولندي ، قام باجراء بحث استقصائي حول سيكولوجية المراة ، وخرج بنتائج منه مؤكدا ان المراة انفعالية بطبعها ، انظر « سيكولوجية المراة » سامي الدروبي « مترجم » •

الجنسين ★★ ، مما يترتب على ذلك وجود اختلاف جذري • فالدكتور زكريا ابراهيم يقول محقا اننا لا نفهم الوقائع البيولوجية الا في ضوء سياق وجـود اقتصادي ، نفسي ، اجتماعي ، ولكننا لا ننسى ان تكوين المرأة البيولوجي هو الذي يجعلها منذ البداية فريسة لصراع نفسي عميق بين اهتمامها بذاتها وخدمتها للنوع البشري ، ما دام هو الذي يقضي عليها بأن تكون اداة النوع في التكاثر ••• ان معظـم المتاعب النفسية التي سنلتقي بها لـدى الكثيـر مـن النساء انمـا هـي فـي العـادة وليدة هذا الصراع الكامن لدى المرأة بين الفـرد والنوع » (١٠) ، ويضيف مشيرا الى كون المرأة عاطفية اكثر مـن الرجل « ربما كان من الصواب ان يقال ان وظيفة الامومة قد اقتضت ان تكون المرأة اكثـر حساسية من الرجل واسرع استجابة للمؤثرات الوجدانية » (١١) • وحول العلاقة بيـن سلبية المرأة وتكوينها البيولوجي ، يقول « لسنا نزعم ان السلبية المطلقة هي الصفـة الاصلية التي تفرضها على المرأة طبيعة تكوينها البيولوجي ، وانما نحن نرى ان هذه السلبية وان كانت نسبية الا انها داخلة في صميم تكوين المرأة البيولوجي باعتبارها مخلوقا يتجه معظم نشاطها نحو الداخل» (١٢) •

اننا لا ننكر وجود بعض الفروق البيولوجية بين الجنسين ناتج عن الفرق في الوظيفـة الجنسية لدى كل منهما • ولكن هل تشكل هذه الفروق اساسا للتمايز الاجتماعي بيـن الرجل والمرأة ، وتفسر اضطهاد الرجل للمرأة هذه الحقبة الطويلة من الزمن ؟ وهل هذه الفروق البيولوجية هي التي حالت دون بروز النساء في النشاطات العديـدة ولا سيما العقلية التي برز فيها الرجال ؟ ام ان ذلك يعود الى ما ساد من مفاهيم حول دونية المرأة

---

★★ يؤكد مثل هذا الموقف بعض علماء النفس ، استنادا الى عدد من التجارب التـي قاموا بها حول هذه المشكلة • ومن اهم هذه التجارب تلك التي قام بها كاجان « kagan » عن الاطفال ، حيث لاحظ وجود اختلافات في استجابة الذكر والانثى من الاطفال الصغار لبعض المؤثرات الخارجية • ومن هذه التجارب ايضا ، تلك التي قام بها عالم التحليـل النفسي اريك اريكسون في دراساته لمرحلة الطفولة • حيث اشار الى وجود بعض الاختلافات الهامة بين الجنسين تظهر بوضوح في طريقة اللعب واستخدام الدمى • وملاحظاتنـا على تجارب كهذه ان علماء النفس البورجوازيين بمنهجهم الشكلي ، لا يعطون اهمية لما يلتقطـه الطفل ـ حتى وهو في اعوامه الاولى ـ من ظواهر سلوكية معينة في البيت تؤثر على كيفية استجابته للمؤثرات الخارجية ، ويذكر جيروم كاغن « إن الطفل الذي لم يبلغ السنة والنصف بعد يأخذ في ادراك جنسه من اللغة التي يخاطب بها ممن حوله من الناس فيستدل منها انـه (هو) او (هي) ، وحتى قبل سن التكلم يكون لحركات وطريق التحدث والتدليل ممن حـول الطفل تأثير لا يستهان به في اشعاره بجنسه » • اضافة الى ذلك ، فانه مما لا شك فيـه ان معتقدات الوالدين والاهل ومفهوم الثقافة للجنس من حيث هو مذكر او مؤنث تلعب دورهـا بالايحاء والتوجيه بما هو مناسب او غير مناسب لكل من الجنسين ، فيما يتعلق بالاخـلاق والسلوك والاهتمامات والمركز والقيمة والحركات والتعبيرات • وبهذا الخصوص فانني اذكر حادثة طريفة تؤكد ما اوردته هنا • كنت في زيارة احدى العائلات ، وسالتني طفلة لا يتعدى عمرها الاربع سنوات ان كنت متزوجا ام لا،فلما قلت لها انني غير متزوج• قالت باستغراب: اذن من يعد لك الطعام ويغسل لك الثياب ويكويها • فلما اجبتها بانني انا نفسي اقوم بهـذه الاعمال استغربت وقالت الرجل لا يقوم باعمال كهذه بل المرأة • وهذا يدل على مدى تأثيـر البيئة في تكوين مفاهيم معينة عند الاطفال • للمزيد من التفصيل حول هذه المشكلة انظرعالم الفكر ، عدد خاص عن المرأة ، المجلد السابع ، العدد الاول ١٩٧٦ ص ٦ ـ ١٠ •

وضرورة تجريدها من كل امكانية للابداع ؟ واذا كان الامر يعود للفروق والاختلافات البيولوجية بين الجنسين ، فلماذا فاقت المرأة الرجل ابداعا وقدرة على الابتكار في المجتمع الامي ـ نسبة الى الام ـ عندما لم تكن مستلبة ، وعندما كانت تتمتع بسلطة ونفوذ في المجتمع • والمرأة بحكم وظيفتها الاجتماعية في المجتمع الامي كانت هي أول من اخترع الزراعة بتدجين الحبوب واستنباتها ، وكانت هي الساحرة ، وهي واهبة الحكمة• وهذا يدل على انها كانت تتمتع بنبوغ وقدرة على الخلق والابتكار • ولكن ما ان ساد الرجل وسيطر ، حتى فرض قيوده على المرأة باشتراطاته ومواصفاته كي يضمن بقاء سيطرته عليها •

اما الاختلافات البيولوجية من الناحية الجسدية ، فهي ايضا لا يمكن ان تؤدي الى هذا التمايز الذي نلحظه بين الرجل والمرأة • ولا يمكن ان تكون دليلا على قوة الرجل وضعف المرأة • لقد جرت العادة ان يزهو الذكر ويفتتن بقوته الجسدية امام المرأة • فهو القوي وهي الضعيفة • هو الذي يقوم بالاشغال التي تتطلب جهدا عضليا ، وهي لا تقوم الا بالاشغال التي لا تتطلب مثل هذا الجهد • هو الذي يمارس الرياضة العنيفة ، اما هي فلا تمارس الا رياضة خفيفة ، وربما تمنع في كثير من الاحيان من ممارسة اي نشاط رياضي • الرجولة قوة وسطوة ، اما الانوثة فضعف وخضوع • ونحن لا ننكر ان المرأة اضعف جسديا من الرجل ، ولكننا نراه ، ضعفا بحدود ، هي الحدود التي يفرضها دور المرأة في حفظ النوع ، وهو ضعف لا يفرض اي تمايز اجتماعي بين الطرفين ، ذلك ان مظاهر الضعف المزعوم لدى المرأة ، تقترن بمظاهر قوة تعوضها الى حد كبير • فاحتمال اصابة المرأة بالمرض نتيجة عدوى اقل من الرجل ، وقدرتها على احتمال الالم اعظم بكثير من قدرة الرجل • كذلك فان ما يشاع عن ضعف المرأة الجسدي ، انما يعود في معظمه الى التربية الاجتماعية للمرأة ، بدليل اننا لا نعدم بين الشعوب الزراعية ولدى الاجناس البدائية ، ان لم نقل في بعض المجتمعات الحديثة نفسها ، نساء ممتازات يستطعن القيام بالكثير من الاعمال العضلية العنيفة • فمثلا ، ان المرأة في ريفنا العربي ، تبدو جسديا اقوى من كثير من الرجال في المدن، لان المرأة التي تحرث الارض وتزرعها وتعيش حياة الريف القاسية في بلادنا تقوم باعمال شبه شاقة لا يقوى عليها الرجال الذين اعتادوا حياة الترف والدعة في المدينة • كذلك فقد اثبتت التجارب انه حتى اذا لم يكن في مقدور المرأة ان تنافس الرجل في مضمار الرياضة البدنية ، فان اقبالها على ممارسة الكثير من الالعاب الرياضية قد ساهم الى حد كبير في تقوية بنيتها الجسمية ، فكثيرا ما استطاعت نساء اليونان ـ قديما ـ ان يتغلبن على الرجال في ميدان المصارعة وذلك عندما كان يتاح للمرأة التدرب على المصارعة ـ كما كان الحال في اسبارطة ـ • اما حيث يظل نشاط المرأة مقيدا محصورا ، فان مثل هذه المقدرة الجسمية لا بد من ان تكون اضعف واقل •

اضافة الى ذلك فان الحقائق العلمية تنفي المفاهيم الاجتماعية السائدة حول قوة الرجل وضعف المرأة • تذكر د• نوال سعداوي : «ان علم الجنيات والكروموسومات يثبت ان الضعف والسلبية اللذين ينسبهما المجتمع الى طبيعة المرأة ليس لهما اساس علمي ، بل انه يتضح ان تكوين المرأة من الناحية الجسمية يعطي المرأة فرصا اكبر من الرجل من حيث متانة التكوين او الايجابية في الحياة ، وبالتالي فان فكرة سيادة الرجل على المرأة لانه الجنس الاقوى او الايجابي ليست الا من صنع المجتمع » (١٣) وتؤكد د • سعداوي

«ان سلبية المرأة ليست صفة طبيعية في المرأة ، ولكنها صفة غير طبيعية نتجت عن ضغوط المجتمع وكبته لنموها ، وكذلك ايضا جميع الصفات الاخرى التي الصقها المجتمع بالمرأة والانوثة ، كلها صفات غير طبيعية دخيلة على طبيعة المرأة السوية » وتؤكد هنا قول سيمون ديبوفوار «ان صفات الانوثة نتاج صناعي لوضع المرأة السفلي في المجتمع» (١٤)٠ وتؤكد مرغريت ميد ، الدور الاساسي الذي تلعبه الشروط الاجتماعية في تكوين سلوكية الفرد ، اي فرد ، ذكرا كان ام انثى ، ففي دراسة اجرتها لعدد من المجتمعات البدائية ، خلصت الى نتيجة ضمنتها كتابها ، «الاعراف والجنس في اوقيانوسيا» جاء فيها « اننا مضطرون الى الاستنتاج بان الطبيعة البشرية قابلة بيسر عظيم للعجن والتغيير وخاضعة بامانة للاوامر الصادرة اليها من الهيئة الاجتماعية ٠ واذا كان فردان اثنان ينتمي كل منهما الى حضارة مختلفة لا يتشابهان فيما بينهما ، فهذا يرجع الى انهما تعرضا الى شروط مختلفة ولا سيما في سنيهما الاولى ٠ والحال ان المجتمع هو الذي يقرر طبيعة هذه الشروط ، وتكوين شخصية كل جنس خاضع هو الاخر لهذه القاعدة ، فهذه الشخصية هي من صنع مجتمع حريص على ان يكون كل جيل مذكر كان ام مؤنثا ، مطابقا للنمط الذي فرضه عليه هذا المجتمع » (١٥) ٠ فمثلا الغندرة ، والتي هي صفة من صفات الانوثة كما هو سائد في مجتمعاتنا ، هي لدى الشعوب البدائية ( ولدى الحيوانات العليا ) متوفرة في الذكر اكثر من الانثى ، (١٦) مما يدل على ان المجتمع هو الذي سهل وجودها لدى المرأة ، فالرجل الذي استعبد المرأة ، وجعلها متاعا لارضاء شهواته ، يشجع هذه الظواهر لدى المرأة وينميها خدمة له ولمتعته ٠ وبهذا الخصوص تقول د ٠ سعداوي « ان افراغ المرأة من مسؤوليتها افراغ لشخصيتها من لب الانسان وجوهره وتميزه عن سائر المخلوقات ٠ وبهذا الافراغ لم يعد للمرأة الا قشرتها الخارجية الظاهرة امام الاعين، ولم يعد امامها الا ان تنشغل بهذا الغلاف الجسدي ، فهي تدلكه ، وهي تنعمه ، وهي تزيل الشعر من فوقه كلما نما،وهي تعريه تارة، وتخفيه تارة،وهي تنفق عليه كل ما يقع تحت يدها من مال،وكل ما تجد عندها من وقت،ويؤكد المجتمع من حولها هذه الحقيقة» (١٧) فالمرأة تخاف من الشيخوخة لانها تعلم ان الرجل يجذبه الشباب والفتنة الجسدية ، ومن هنا كان جهدها الدائم الذي يستغرق كل تفكيرها لكي تكون مشتهاة ٠ صحيح « ان الحاجة الى التأنق والتجمل حاجة طبيعية لدى الانسان ، ولكن في الظروف الراهنة لمجتمعاتنا تمثل هذه الحاجة شكلا خطيرا من اشكال استلاب المرأة وتحويلها عن النشاطات التي يمكن ان توفر لها تلبية اعمق واكثر دواما » ٠ (١٨)

ان استلاب المرأة وعزلها عن المجتمع وعن التفاعل بمحيطها الواسع ، عوامل اثرت على قدرة المرأة ونمو ذكائها ، ويقول سلامة موسى مخاطبا المرأة : « ان الرجال يتهمونك بأنك غير ذكية، غير شجاعة ، غير سخية، غير بصيرة ، لم تتفوقي في الاختراع او الاكتشاف، ولم تبرزي في العلوم او الفنون ، وكل هذه التهم صحيحة ، ولكنها صحيحة لانك تمضين حياتك محبوسة بين اربعة جدران في البيت ، ولو قدر لنا نحن الرجال ان نحبس كذلك في البيت ، لكنا في هذه الحال التي تتهمين انت بها ٠ ذلك ان الذكاء والشجاعة والسخاء والتبصر والاختراع والاكتشاف ، كل هذه الاشياء هي بعض النشاط الاجتماعي الذي يدعونا اليه المجتمع ، ويبعث فينا حين نختلط به ونتفاعل معه، تلك العواطف التي تحثنا على النشاط الذهني او الجسمي ٠٠٠ انما يتربى الذكاء والفهم والعبقرية بالاشتباكات الاجتماعية ومصادمة المشكلات في المجتمع ومحاولة حلها ، ولا ذكاء ولا عبقرية لانسان

ينفصل عن المجتمع » ، (١٩) فاذا حرمنا انسانا الاختلاط بالمجتمع والانتاج للمجتمع ، فاننا بذلك نحرمه الاحساس الاجتماعي بكل ما يحمل هذا الاحساس من مسؤولية وفضيلة وشرف وانسانية • ان العزل والكبت والاضطهاد كلها عوامل حددت من قدرة المرأة واثرت على بنيتها الجسدية ونموها العقلي ، فحين نحدد نشاط المرأة بالبيت نحدد ذكاءها • يقول لينين حول اثر العمل المنزلي على نشاط المرأة وقدرتها « ان المرأة ما تزال العبدة البيتية رغم جميع القوانين التي نصت على تحريرها ، اذ ان الاعمال المنزلية الصغيرة ما تزال تثقل كاهلها ، وتخنقها ، وتخبلها ، وتذلها اذ تقيدها بالمطبخ وغرفة الاولاد، وتبدد جهودها في عمل غير منتج بصورة فاضحة ، في عمل حقير ، مثير للاعصاب ، مخبل ، مرهق » • (٢٠) ومشكلة المرأة كما يقول سلامة موسى أنها « لا تزال بقوة التقاليد والعادات الاجتماعية تقيم هي لنفسهاحدودا داخلية تمتنع بها عن الكثير من النشاط الاجتماعي وبذلك تحد من ذكائها • وفي نظمنا الاجتماعية تخاف المرأة اكثر من الرجل ، وهذا الخوف يشل تفكيرها ، ويجعلها تحجم وتتراجع في حين يقدم الرجل ويجرؤ» ، (٢١)، ذلك ان المرأة المتواقة الى الخروج من واقعها ، لا بد وان تصطدم بحائط النماذج الاجتماعية التي يرسمها المجتمع مسبقا عن المرأة • فاذا اندمجت في معترك العمل بكل ابعاده وجميع ميادينه يرفضها المجتمع ويتهمها بانها تخلت عن انوثتها واصبحت مسترجلة مما يسبب لها العذاب والالم ، وان انسجمت مع ما هو سائد في المجتمع ، تتنكر لانسانيتها وحقها في ان تكون عضوا منتجا في المجتمع لها استقلالها وارادتها المستقلة •

يتضح مما قدمناه ان العامل البيولوجي لا يشكل اساسا علميا للتمايز الاجتماعي بين الرجل والمرأة ، يفسر اضطهاد جنس الرجال لجنس النساء هذه الحقبة الطويلة جداً من السنين ، كما يتضح ايضا ، ان ما يلصقه المجتمع الحالي او المجتمعات السابقة من صفات معينة في المرأة ، ليست من طبيعة المرأة ذاتها ، او انها موجودة فيها بحكم طبيعتها الخاصة كأنثى ، بل على العكس من ذلك ، نجد ان هذه الصفات ان هي الا نتيجة الشروط الاجتماعية التي خضعت لها المرأة منذ الاف السنين وقولبتها بقالب معين ، والا فكيف يمكن تفسير اختلاف منزلة الرجل والمرأة ـ قانونيا واجتماعيا وسياسيا ودينيا ـ من بلد لاخر ومن حقبة لاخرى ؟ وعليه ، **فان السؤال كيف نشأ اضطهاد الرجل للمرأة وبفعل اية عوامل لا يزال قائما ؟**

## [ ٢ ]

## الاساس المادي لاضطهاد المرأة

يتميز الانسان عن عالم الحيوان بنشاطه العملي الاجتماعي ، فما من حيوان بقادر على القيام بالنشاط الهادف ، وما من حيوان يستطيع أعداد حتى اكثر ادوات العمل بساطة • بعكس الانسان الذي كيف مواد الطبيعة المحيطة به لخدمة حاجاته ، وحول الادوات التي اوجدتها الطبيعة من حجارة وعصي ، والتي كانت تقع صدفة في متناول يده الى ادوات عمل استخدمها في صراعه مع الطبيعة ، وخاصة الانسان هذه ، التي لعبت دورا حاسما في مجمل تطوره لم تظهر دفعة واحدة وانما كانت نتيجة لعملية طبيعية مديدة على مر

العصور • وعليه ، فقد مر المجتمع البشري بعدة اطوار قبل ان يصل الى الطور الحالي ، والعامل الاساسي الذي كان يحدد الانتقال من طور الى اخر ، هو تطور القوى المنتجة ، التي كان يستخدمها الانسان في انتاج حاجياته ، وما يستتبعه هذا التطور من تطور خبرة الانسان في استخدام هذه الادوات • ومع كل طور من اطوار المجتمع البشري ، كانت تسود علاقات اجتماعية معينة تتلاءم مع ما وصلت اليه قوى الانتاج من تطور • ففي الطور الاول من المجتمع البشري حافظ الناس الاقدمون على نمط الحياة القطيعي، لانه كان يتلاءم مع مستوى القوى المنتجة المنخفض الى اقصى حد • « كان الانسان المسلح بادوات عمل بدائية يضمن بقاءه باتحاده مع جماعة كبيرة من الناس ، ومثل هذا الاتحاد كان ضروريا حتى عند جمع الاعشاب والاثمار وذلك للدفاع المشترك ضد الوحوش البرية • وعندما انتقل الانسان الى الصيد النشيط ، كان التوحيد الجماعي لجهود الناس ـ الرجال والنساء ـ يجلب لهم النجاح ويؤمن لهم وسائل العيش • وكان العمل يؤثر تأثيرا متزايدا ابدا في تطور نمط الحياة الجماعي •وكان النشاط الانتاجي باكمله يتطلب توحيد الناس في جماعات » (٢٢) ان نمط الحياة القطيعي لم يستدع او لم يتطلب اي تفريق بين عمل الرجل وعمل المرأة • كانت المرأة تشارك الرجل في جمع الثمار واحيانا في الصيد الذي كان محدودا بفعل المستوى المنخفض جدا للادوات التي كان يستخدمها الانسان في الصيد • ومع اختراع الادوات الجديدة ـ الرمح والنشابة وغيرها ـ دخل الانسان في مرحلة الصيد النشيط مما « اتاح الفرصة لتقسيم جماعة الناس من اجل القيام بمختلف الاعمال• واصبح بوسع قسم واحد من الجماعة تأمين حاجات افرادها كافة الى منتوج معين وتحرير القسم الاخر للقيام باعمال اخرى • وهكذا جرى التقسيم الطبيعي للعمل بين الرجل والمرأة فالرجال الذين لا تثقل كاهلهم الولادة وتربية الاطفال قد اخذوا ينصرفون الى الصيد ويضمنون جميع افراد الجماعة باللحم والجلود ، «اما النساء والشيوخ والاطفال فقد انصرفوا الى جمع مختلف اشكال الاطعمة التي تقدمها الطبيعة : الجذور الصالحة للاكل ، الاثمار البرية ، ثمار الحقل ، الرخويات الصالحة للاكل وما اليها ، وكذلك الى صيد السمك والقيام بالاعمال البيتية ، الابقاء على النار ونظافة المنزل» • (٢٣) لقد استتبع تطور القوى المنتجة هذا تغييرا في المجتمع البشري « فحلت محل القطيع البشري البدائي جماعة انتاجية اكثر متانة هي المشاعة العشيرية او العشيرة •وكان يربط اعضاء المشاعة العشيرية فيما بينهم العمل المشترك والتقسيم الطبيعي للعمل بين الرجال والنساء والواجبات المشتركة داخل الجماعة » • (٢٤) لقد ابرز تقسيم العمل الطبيعي بين الرجال والنساء دور النساء النشيط اقتصاديا في حياة المشاعة « فكان نشاط النساء الاقتصادي مصدرا مضمونا ومنتظما لمقومات الحياة ، اما الصيد الذي كان يقوم به الرجال فغالبا ما كان رهنا بالصدف ولم يكن بوسعه ان يزود الناس على الدوام بالماكولات الضرورية » • (٢٥) ونتيجة لهذا الدور الاقتصادي حظيت المرأة بمركز مرموق في المشاعة ـ العشيرة ، ان انتقال المجتمع البشري من مرحلة القطيع البدائي الى المشاعة ، استتبع بالضرورة تنظيم ملائم للعلاقات الجنسية ، ففي حين كانت العلاقات الجنسية في القطيع البشري البدائي اباحية غير منظمة ولا ضابط لها ، فان نظام المشاعة فرض نوعا من التنظيم لهذه العلاقات بتحريم زواج الاقارب من درجة معينة ، فحرم في البداية الزواج من الاباء والاولاد وكذلك بين الاخوة والاخوات من ام واحدة ، وكانت دائرة الزواج تضيق باستمرار مع تطور المجتمع وتقدمه • وقد اتخذ الباحثون ذلك علامة ومحكا لقياس مدى تقدم المجتمع •

ان ضيق دائرة الزواج في نظام المشاعة ادى الى سيادة شكل من اشكال الزواج هو الزواج الجماعي* ، وهو اول شكل منظم للعلاقات الجنسية في المجتمع البشري بعد مرحله القطيع البشري البدائي · وفي هذا الزواج لم يكن ممكنا معرفة والد الطفل بدقة ، في حين كان ممكنا معرفة امه بدقة ، فكل ام تميز اولادها بالذات عن الباقين · ولذا ، فانه في الزواج الجماعي لا يمكن اثبات الاصل الا من ناحية الام ، ولا يمكن بالتالي الاعتراف الا بنسبة الاولاد الى امهم ·

لقد عززت نسبة الاولاد الى امهم مركز المرأة القيادي في المشاعة ـ العشيرة ،فكانت المرأة ـ الام تعتبر الرئيسة الوحيدة للعشيرة ، وكانت السيدة في مشكن المشاعة · والمركز الذي يتجمع حوله اعضاء المشاعة ، الاقارب عن طريق الام ··· واخذت المرأة ـ الام تلعب دورا قياديا في المشاعة ، وقد سميت هذه مشاعة الامومة ، وسمي النظام الاجتماعي نظام الامومة » · (٢٦)

ومع نمو انتاجية العمل بفعل تطور وسائل الانتاج وتطور خبرة الانسان في استخدامها والاستفادة منها في سد حاجاته المعيشية ، بدأ نظام المشاعة بالانحلال تدريجيا · فقد ادى اكتشاف النحاس والبرونز والحديد واستخدام هذه المعادن بدلا من الحجارة او العصي كأدوات انتاج ، الى نمو انتاجية العمل ، فتطورت الزراعة وبشكل خاص لدى المجتمعات التي كانت تسكن المناطق السهلية او القريبة من مصاب الانهار ، ومع تطور الزراعة ، ازدادت اهمية تربية المواشي ، فأخذ الانسان يهتم بتدجين الحيوانات وتربيتها · وساعد اكتشاف الفخار والخزف على حفظ ما يبقى عن حاجة الانسان اليومية من الطعام ، ومع نمو الخبرة المستفادة في حفظ الطعام وما يزيد عن حاجة الانسان، بدأ يتشكل فائض انتاجي اخذ الناس يدخرونه لمواجهة الظروف الصعبة او الاوقات التي تقل فيها امكانات الحصول على غذاء بفعل الظروف الطبيعية · لقد ادى تطور الزراعة وتربية المواشي الى ظهور اول تقسيم اجتماعي للعمل بين الرعاة والصيادين ، فمجتمعات الرعاة اتجهت نحو الزراعة وتربية المواشي بشكل اساسي ، في حين ان مجتمعات الصيادين استمرت في ممارسة الصيد لسد حاجاتها الغذائية · ومع ظهور هذا التقسيم الاجتماعي للعمل ، بدأت المرأة تفقد مركزها ، وبدأ شأن الرجل بالبروز على حساب مركز المرأة ودورها القيادي · ذلك انه «مع اقتناء قطعان الماشية وغير ذلك من الثروات الجديدة حدثت ثورة في العائلة ، فتحصيل اسباب المعيشة كان دائما من شؤون الرجل ، وكان هو الذي يصنع الوسائل اللازمة لهذا الغرض ، وكان هو مالكها ، وكانت القطعان وسائل جديدة لتحصيل اسباب المعيشة · وكان من شأن الرجل تدجينها اولا ثم حراستها ورعايتها ثانيا ·ولهذا كانت الماشية تخصه،

---

* الزواج الجماعي Group Marriage ، هو زواج عدد من الرجال لا تقوم بينهم اي رابطة بعدد من النساء لا تقوم بينهن اي رابطة مسبقا ايضا ، بحيث يكون لهؤلاء الرجال دون غيرهم الحق بالاتصال جنسيا باي امرأة في تلك الجماعة المحددة· هذا ولا يزال شكل من اشكال هذا الزواج الجماعي سائدا في بعض المجتمعات البدائية الموجودة حاليا حيث يتزوج فيها عدد من الاخوة امرأة واحدة او عددا من الاخوات لضرورات اجتماعية واقتصادية ·

وكانت تخصه ايضا البضائع والعبيد التي يحصل عليها مقابل رؤوس الماشية، واخذت الفوائض التي توفرها الان تربية الماشية تعود للرجل · كانت المرأة تشارك في استهلاك هذه الفوائض ولكن لم تكن لها حصة في ملكيتها · لقد كان المتوحش ( المحارب والصياد ) يكتفي في البيت بالمرتبة الثانية بعد المرأة · اما الراعي (الوديع) فقد احتل المرتبة الاولى متبجحا بثروته ، وازاح المرأة الى المرتبة الثانية · ولم يكن بوسعها ان تتذمر وتتشكى ، فان تقسيم العمل في العائلة كان قد حدد واشترط تقسيم الملكية بين الرجل والمرأة · وقد بقي تقسيم العمل كما كان عليه، ولكن قلب الان كليا العلاقات البيتية السابقة ، وذلك لسبب واحد هو ان تقسيم العمل خارج العائلة قد تغير · ان السبب نفسه الذي كان قد ضمن من قبل للمرأة السيادة في البيت ـ اي قيامها بالاعمال المنزلية فقط ـ ان هذا السبب نفسه قد ضمن الان للرجل بصورة محتمة السيادة في البيت · لقد فقد الان عمل المرأة البيتي اهميته بالقياس الى عمل الرجل المنتج ، ان عمله كل شيء ، بينما عملها مجرد ملحق تافه ··· ومع توطد سيادة الرجل الفعلية في البيت سقطت اخر الحواجز امام سلطته المطلقة · وهذه السلطة المطلقة وطدها وخلدها سقوط الحق الامي وتطبيق الحق الابوي » · (٢٧)

لقد احدث تطور القوى المنتجة ايضا انقلابا في العلاقات الجنسية التي كانت سائدة في المشاعة · فعلاقات الزواج الجماعية اخذت تستحيل عمليا مع ضيق دائرة الزواج بين الرجال والنساء من افراد العشيرة المرتبطين بصلة القرابة او الدم من خط الام ، فاستبعد بادىء ذي بدء الانسباء الاكثر قرابة ، ثم الانسباء الاكثر بعدا واخيرا حتى الانسباء بالمصاهرة ، ولم يبق في اخر المطاف الا زوج من اثنين تجمع بينهما علاقات زواج غير متينة · (٢٨) فظهر الى جانب الزواج الجماعي الذي كان في طريقه الى الانحلال بفعل ضيق دائرة الزواج ، شكل معين من التزاوج الثنائي او العائلة الثنائية ، تقوم على التجامع بين شخصين لمدة قد تطول او تقصر وقد شكلت العائلة الثنائية المرحلة الوسيطة في الانتقال من الزواج الجماعي الى احادية الزواج · ويقول انجلز « ان الانتقال الى الزواج الاحادي قد تحقق اساسا بفضل النساء ، فبقدر ما كانت العلاقات بين الجنسين المتوارثة من قديم الزمان تفقد طابعها البدائي الساذج مع تطور ظروف الحياة الاقتصادية ، وبالتالي مع تفسخ وانحلال الشيوعية البدائية وتزايد كثافة السكان ، بقدر ما كانت هذه العلاقات تبدو للنساء مذلة ومرهقة ، وما كان لا بد لهن من السعي بالحاح مشتد الى نيل الحق في العفاف او في الزواج المؤقت والدائم من رجل واحد فقط ، بوصفه سبيلا للخلاص · ولم يكن من الممكن ان يحصل هذا التقدم بفضل الرجال ، وذلك لاسباب عديدة منها ، انه لم يخطر لهم قط في البال ، حتى في ايامنا هذه ، ايضا ، التخلي عن ملذات الزواج الجماعي العملي ، وبعد ان تحقق الانتقال الى الزواج الثنائي بفضل النساء ، بعد ذلك فقط استطاع الرجال ادخال نظام وحدة الزواج الصارم ـ وطبعا بالنسبة للنساء فقط » · (٢٩)

لقد اخذ الزواج الجماعي بالانحلال مع انحلال نظام المشاعة بفعل ما حصل من تطور في قوى الانتاج · ومع انحلال نظام المشاعة تراجع دور المرأة الاقتصادي وبرز دور الرجل الذي يملك قطعان الماشية ، فقد « ادى تدجين الحيوانات وتربية القطعان الى خلق مصادر للثروة لم يسمع بمثلها من قبل ، والى نشوء علاقات اجتماعية جديدة تماما · فحتى الطور الادنى من البربرية ، كانت الثروة الدائمة لا تتألف تقريبا الا من المساكن والالبسة والحلي

الخشنة والادوات للحصول على الطعام وتحضيره · وكان ينبغي الحصول على الطعام من جديد ، يوما بعد يوم ، اما من الان وصاعدا فان شعوب الرعاة اخذت تتقدم اكثر فاكثر » · (٣٠) لقد انتهت سيادة النساء بالقضاء على الاقتصاد البيتي الشيوعي الذي كان يعطي للمرأة مركزا قياديا وسيادة في البيت · وسدد بروز دور الرجل الاقتصادي ضربة قوية الى المجتمع المؤسس على الزواج الثنائي والعشيرة الامية ( نسبة الى الام )· وبتكريس سيادة الرجل انتصر الزواج الاحادي على الزواج الثنائي او العائلة الثنائية · وقد وصف انجلز انتصار الزواج الاحادي بانه «احدى العلائم على بداية عصر الحضارة » (٣١) على الرغم من الهزيمة التاريخية التي الحقها بجنس النساء « لقد كان الزواج الاحادي تقدما تاريخيا كبيرا ، ولكنه يدشن في الوقت نفسه ، الى جانب العبودية والثروة الخاصة ، تلك المرحلة التي لا تزال مستمرة حتى ايامنا ، والتي يعني فيها كل تقدم تراجعا نسبيا ، والتي يتحقق فيها ازدهار وتطور البعض بالام البعض الاخر وقمعه » · (٣٢)

طرح بروز دور الرجل الاقتصادي والثروة التي اخذت تتجمع بين يديه من قطعان ماشية وعبيد ، مسألة اساسية ، وهي : لمن تؤول هذه الثروة بعد وفاة الرجل ؟ كان الابناء في مشاعة الامومة لا يعرفون الا بخط الام ، ولم يكن الرجل يملك ادوات او ثروة ذات قيمة يجب توريثها بعد وفاته ، ولذا لم يثر اي اعتراض على نسبة الابناء لامهم ، ولا سيما ان الزواج الجماعي الذي كان سائدا في المشاعة لا يجعل من الممكن معرفة الاب بدقة كما هي الحال بالنسبة للام ، والزواج الثنائي او العائلة الثنائية ، التي شكلت مرحلة وسيطة بين الزواج الجماعي والزواج الاحادي ، لم تلغ ما كانت تتمتع فيه المرأة من سيادة ، فالعائلة الثنائية التي « كانت على درجة كبيرة من الضعف وعدم الاستقرار ، بحيث انها لا تجعل من الضروري او حتى المرغوب فيه قيام اقتصاد بيتي خاص ، لا تقضي اطلاقا على الاقتصاد البيتي الشيوعي الموروث من مرحلة سابقة » · (٣٣)

لقد بدأ الرجل مالك قطعان الماشية والعبيد يكون حريصا على : لمن تؤول ثروته بعد وفاته ؟ « فبموجب الحق الامي ، اي طالما كان النسب لا يحسب الا تبعا لحبل النسل النسائي وكذلك بموجب نظام الوراثة البدائي في العشيرة ، كان العضو المتوفي في العشيرة يرثه انسباؤه في العشيرة · وكان ينبغي ان يبقى الارث في العشيرة · وبما ان الاشياء التي يتألف منها الارث كانت زهيدة ، فقد كانت على الارجح تنتقل بالفعل منذ غابر الازمان الى اقرب الانسباء ، اي الى الاقرباء بالدم من ناحية الام · ولكن اولاد الرجل المتوفي

---

* ظهرت العبودية اي استرقاق الانسان واقتناء العبيد مع ازدياد قوة عمل الانسان لدرجة انتاج ما يفيض عن حاجته بفعل تطور قوى الانتاج · وفي البداية كان المصدر الوحيد للعبيد اسرى الحروب من رجال ونساء · حيث كانت العشيرة او القبيلة المنتصرة تستعبد جميع افراد العشيرة او القبيلة المهزومة · في حين انه عندما كانت قوة عمل الانسان لا تعطي بعد اي فائض ملحوظ فان المنتصرين كانوا يقتلون اسراهم او يأخذون كأخوة لهم في قبيلتهم ، وكانوا يأخذون النساء زوجات لهم او يضمونهم كذلك بوسيلة اخرى الى قبيلتهم مع اولادهم السالين · انظر انجلز ، اصل العائلة والملكية الخاصة والدولة ص ٦٧ ·

كانوا لا ينتمون الى عشيرته ، بل الى عشيرة امهم ، فكانوا يرثون امهم باديء ذي بدء مع سائر اقربائها بالدم ، وفيمابعد ، في المقام الاول اغلب الظن · بيد انه لم يكن بوسعهم ان يرثوا والدهم لانهم كانوا لا ينتمون الى عشيرته · فكان ينبغي ان يبقى ملك الاب في هذه العشيرة · ولذا بعد وفاة صاحب القطعان ، كان ينبغي ان تنتقل قطعانه في المقام الاول الى اخوته واخوانه والى اولاد اخواته او حتى الى ذريات اخوات امه · اما اولاده بالذات فكانوا محرومين من ارثه ، وهكذا بقدر ما كانت الثروات تتنامى ، كانت من جهة تعطي الزوج مركزا اهم من مركز الزوجة ، وكانت من جهة اخرى تولد السعي الى الاستفادة من هذا المركز المترسخ لاجل تغيير نظام الوراثة التقليدي في مصلحة الاولاد · ولكنه لم يكن من الممكن ان يتحقق هذا طالما كان النسب يحسب تبعا للحق الامي · ولهذا كان ينبغي الغاء هذا الحق ، فالغي · ولم يكن ذلك صعبا بالقدر الذي نتصوره الان · فان هذه الثورة التي كانت من اهم الثورات التي عرفتها البشرية لم تكن بحاجة الى مس اي من اعضاء العشيرة الاحياء · فقد كانفيوسعهم جميعهم ان يبقوا كما كانوا بالامس · كان يكفي اتخاذ قرار بسيط يقضي بان تبقى ذرية اعضاء العشيرة الرجال في المستقبل ضمن العشيرة ، وبان تخرج ذرية اعضاء العشيرة النساء منها وتنتقل الى عشيرة والدها · وهكذا الغي الانتساب حسب حبل النسل النسائي وحق الوراثة حسب خط الام ، واقر الانتساب حسب حبل النسل الرجالي وحق الوراثة حسب خط الوالد » · (٣٤) وباسقاط الحق الامي اخذ الزوج دفة القيادة في البيت ، وحرمت الزوجة من مركزها المشرف ، واستذلت وغدت عبدة رغائب زوجها · وامست اداة بسيطة الانتاج الاولاد · (٣٥) وما ان اقرت سلطة الرجال على هذا النحو ، حتى اخذ مفعولها يتبدى في شكل انتقالي ظهر انذاك هو شكل العائلة الابوية التي تميزت بالسلطة الابوية ، وبضم العبيد الى العائلة · وكانت العائلة الرومانية هي النموذج النهائي الكامل لهذا الشكل ، وقد شكلت هذه العائلة الدرجة الانتقالية من العائله التي انبثقت من الزواج الجماعي وقامت على الحق الامي الى العائلة الفردية في العالم الحالي (٣٦) ·

[ ٣ ]

## شرط تحرر المراة

لم تحظ المراة بمركز مرموق الا في المجتمع الشيوعي البدائي ، اما في مجتمعات العبودية والاقطاع والراسمالية ، فقد حظي الرجل بهذا المركز المرموق وجعل المراة تابعة له وملحقة به · وهذا يعود الى ان دور المراة الاقتصادي في المجتمع الشيوعي البدائي كان ضربا من النشاط الاجتماعي الضروري للمجتمع ، في حين تحول هذا الدور في مجتمعات العبودية والاقطاع والراسمالية الى الرجل الذي اصبح يملك الثروة ويسيطر على قوى الانتاج الاساسية في المجتمع · لقد كرست الديانات والتشريعات القديمة هذه الهيمنة للرجل ، ففي حين قدمت لنا ميثولوجيا العصور البدائية المراة بصفتها الآلهة المسؤولة عن التناسل والخصب او المانحة الذكاء ، او العرافة التي تقرا المستقبل او واهبة الاسرار والمعجزات ، مما يدل على مكانتها المرموقة انذاك ، نجد ان المراة بعد ان فقدت مكانتها هذه في المجتمعات اللاحقة ، تحولت الى انسان تابع للرجل وملحق به ، فشريعة مانو في الهند لم تكن تعرف للمراة حقا مستقلا عن حق ابيها او زوجها او ولدها في حالة وفاة

الاب او الزوج ، فاذا انقطع هؤلاء جميعا وجب ان تنتمي الى رجل من اقارب زوجها في النسب ولم تستقل بامر نفسها في حال من الاحوال ؟ وفي شريعة حمورابي كانت تحسب المرأة في عداد الماشية · وكانت عند اليونان الاقدمين ـ باستثناء اسبارطة* ـ مسلوبة الحرية والمكانة في كل ما يرجع الى الحقوق الشرعية ، فقد كان في وسع الاب او الوصي ان يفرضا عليها الزوج الذي يشاءان ، وكان من حق الزوج ان يقايضها او يهبها ، واذا كانت عقيمة فان عدم هجرانها يعد جريمة بحق الآلهة (٣٧) · وبينما كان الرجل يكرس حياته لممارسة واجباته المدنية ، كانت المرأة تعيش في عزلة مطلقة بدون اي اتصال بالعالم الخارجي ، فكانت تحل في المنازل الكبيرة محلا منفصلا عن الطريق قليل النوافذ محروس الابواب · ولم تعترف القوانين الرومانية للمرأة بارادة مستقلة ، فكانت المرأة الحرة في القانون الروماني تخضع للسلطة الابوية اي لسلطة رب الاسرة اذا لم تكن متزوجة ، وتخضع لسلطة زوجها وسيادته اذا كانت متزوجة · اما المرأة الرقيق فتخضع لسلطة سيدها او معتقها وترتبط به برابطة الولاء والخضوع · ولم تكن المرأة ـ حرة ام رقيقا ، متزوجة ام غير متزوجة ـ تتمتع بأية اهلية · ولم تكن لها ايـة شخصية قانونية وانما كانت تخضع لوصاية صاحب السلطة عليها · ذلك ان الانوثـة كانت تعتبر احد الاسباب الرئيسية لانعدام الاهلية في القانون الروماني مثلها في ذلك مثل الصغير والمجنون · (٣٨)

وفي العصور الوسطى كانت المرأة تعتبر ملكا للرجل ، وكانت جزءا من الاقطاعة ، ومصيرها بيد صاحب الاقطاعة · وكان من حق «الفارس» ان يسيء معاملة زوجته وان يضربها وان يعاقبها عقابا «معقولا» وأن يهبها ويورثها لغيره ، وحتى ان يبيعها · وضمانا لوفائها كان يحبسها في «حزام العفة» اذا ما اضطر للسفر · ولم يكن للام اي سيطرة على ابنها منذ بلوغه السابعة من عمره ، وكان من حقه ان يعلن نفسه راشدا او وصيا على امه بالذات اذا توفي والده · ولم تكن زوجة القن اكثر من دابة ركوب ، بائسة ، محتقرة ، جاهلة مسحوقة تحت وطأة الاقطاع · (٣٩)

لقد ظلت المرأة منذ ان فقدت مركزها المرموق في المجتمع الشيوعي البدائي تعاني من اضطهادين ، اضطهاد ضمن اطار المجتمع واضطهاد ضمن اطار الاسرة ، ولم تطرح مسألة تحررها على بساط البحث الا في العصر الحديث مع بداية عصر النهضة وانحلال المجتمع الاقطاعي القديم · لقد طرحت مسألة المرأة في العصور السابقة بوصفها مسألة اخلاقية بالدرجة الاولى ، اثارها اناس كانوا يشعرون بأن المسألة هي في المقام الاول ، مسألة علاقات انسانية بوجه عام ، ولكن بوصفها مسألة اجتماعية عينية لم تطرح الا في عصر الرأسمالية وفي مجرى الصراعات الطبقية · (٤٠) فلقد ادى تطور الصناعة الى اجتذاب النساء للعمل واخراج جماهير نسائية واسعة من البيوت الفردية لتحويلهن الى عاملات · «ولم يكن العمل يمثل اي تجديد في شرط المرأة · فالواقع ان النساء لم ينقطعن

---

★ حظيت النساء في اسبرطة بمركز مشرف اكثر بكثير مما عند اليونانيين الاخرين ، وكانت النساء الاسبرطيات هن الوحيدات في اليونان اللواتي كان الاقدمون يتحدثون عنهن باحترام ويعتبرون اقوالهن جديرة بالاستشهاد بها ·

عن العمل على مدى العصور ، لكنهن كن يعملن بصورة مغفلة ان جاز التعبير في الملكية العائلية ، في بيت الاب او الاخ او الزوج ، ملاك المزرعة ، ممثلي نمط الانتاج العائلي، رؤساء الاسرة والبيت • لكن التجديد كان كامنا في واقع ان النساء قد اصبحن يشغلن من الان فصاعدا وظائف (استخدامات) ويتقاضين مقابل عملهن اجرا شخصيا مهما يكن زهيدا • وكان التجديد يتمثل ايضا في ان وظيفتهن تؤدي خارج البيت ، خـــارج الاسـرة» • (٤١)

وهذا التجديد في وضع المراة الاقتصادي ، اي انتقالها من نمط الانتـــاج العائلي والصناعات المنزلية الى العمل في المصانع الكبيرة وخارج البيت والاسرة ، دخل في نزاع حاد مع وضعها في الاسرة والمجتمع • فالتطور الصناعي بقضائه على نمط الانتاج العائلي والصناعات المنزلية عمل على تحطيم نمط العلاقات البطريركية (الابوية) التي كانت سائدة في العلاقات السابقة للرأسمالية ، والتي لم تكن تتخطى اطار العلاقات البيتية ، العائلية الضيق • ولم يكن ممكنا ايقاف هذا التطور بمنع عمل النساء كليا في الصناعة ، فكان لا بد من العمل على تحرير النساء من كل قيود الماضي التي تكبلهن وتحول بينهن وبين الاشتراك بفعالية في الانتاج الاقتصادي والاجتماعي • فكيف يكون ذلك ؟ لقد طرحت المجتمعات الرأسمالية مسألة تحرير المرأة على اساس ان هذه المجتمعات بحاجة الى جهود النساء في الانتاج ، في المصانع والمعامل ، فالانتاج الكبير والصناعات الآلية بحاجة الى عمل النساء • لقد شجع الرأسماليون انجذاب النساء الى الصناعة لانهم كانوا يقدمون لهن اجورا اقل من تلك التي كانوا يقدمونها للعمال من الرجال ، وحتى الان ، لا تزال اكثر المجتمعات الرأسمالية تقدما تميز في الاجور بين الرجل والمرأة ، ولا تـــزال تميـز بين تلك الاعمال التي تعطى للرجال وتلك التي تعطى للنساء على الرغم من ان مبدأ الاجر المتساوي لقاء العمل المتساوي منصوص عليه في دساتير معظم البلدان البورجوازية • ففي المانيا الاتحادية تتقاضى العاملات ٦٠٪ فقط من متوسط الاجر الذي يأخذه الرجال لقاء العمل ذاته ، وفي فرنسا يقل متوسط اجر النساء عن الرجال بنسبة تتراوح بين ٣ر١٤ الى ٧ر٣٥٪ وفي الولايات المتحدة تساوي اجور النساء ٥٨٪ من اجور الرجال • (٤٢) اضافة الى ذلك فان المرأة في المجتمعات الرأسمالية تحولت الى سلعة في سوق العمل الرأسمالي والى اداة للدعاية والاثارة الجنسية ، تبيع جسدها كما يبيع العامل قوة عمله لقاء اجر • لقد استلبت المجتمعات الرأسمالية المرأة ، وابقتها على الرغم من كل القوانين التي سنتها عن المساواة بين الرجال والنساء ، اسيرة المفاهيم التقليدية السابقة ، اداة انجاب واداة متعة ، يقول لينين «ان الديموقراطية البورجوازية تعد ، قولا ، بالمساواة والحرية • اما فعلا ، فان اية من الجمهوريات البورجوازية ، حتى اكثرها تقدما ، لم تمنح نصف البشرية النسائي ، بحكم القانون ، المساواة التامة مع الرجال ، ولا الحرية من وصاية الرجال واضطهادهم • ان الديموقراطية البورجوازية هي ديموقراطية التعابير المفخمة ، والاقوال المهيبة ، والوعود الطنانة ، والشعارات المفخمة عن الحرية والمساواة ، ولكنها تخفي ، بالفعل ، انعدام الحرية والمساواة للنساء ، انعدام الحرية والمساواة للشغيلة والمستثمرين» (٤٣) فالمرأة في المجتمعات الرأسمالية تعاني من استغلالين، الرجل واضطهاده لها ، واستغلالها من قبل اصحاب العمل، فهي في الوقت الذي خرجت فيه الى العمل ، لم تتحرر بعد من ربقة التقاليد التي تجعلها تحت وصاية الرجل ، «فالرجل في العائلة هو البورجوازي بينما المرأة تمثل البروليتاريا» ، (٤٤) وما لم يتغير وضع

المرأة في الاسرة ، فستظل تعطي الاولوية لوضعها كأمرأة ، واي امل «بانعتاق المرأة يغدو مستحيلا ضمن نطاق تلك البنية العائلية القائمة على حمايه الملكية الخاصة وعلى توارثها ، نظرا الى ان مصالح رجال الطبقات السائدة كانت مرتبطة بتلك البنية» (٤٥) وتحرير المرأة لا يتم الا بتحريرها من الاضطهادين ، اضطهاد الاسرة واضطهاد المجتمع ، اي تحريرها من استغلال الرجل واضطهاده لها ، ومن الاستغلال الرأسمالي «فالعاملة والفلاحة يضطهدهما الرأسمال ، وفضلا عن ذلك لا تتمتعان بكل الحقوق حتى في اوفر الجمهوريات البورجوازية ديموقراطية ، اذ ان القانون لا يؤمن لهما نفس الحقوق التي يؤمنها للرجل ، ثم – وهذا هو الامر الاساسي – انهما تظلان تحت وطأة (العبودية البيتية) فهما (عبدتان بيتيتان) يرهقهما العمل الاكثر حقارة وكرها وثقلا وتخبيلا ، عمل المطبخ ، وبوجه عام اقتصاد البيت والاسرة المنفرد» (لينين بصدد تحرير المرأة ص ٩١ )٠

اضافة الى ذلك فان المرأة لا تزال تواجه الكثير من العنت والاضطهاد في معظم البلدان الرأسمالية ، فعلى الرغم من ان المرأة هناك تشارك في معظم نواحي النشاط الاجتماعي والاقتصادي ، فان بعض مجالات العمل تكاد تكون قاصرة على الرجال دون النساء ، كما هو الحال في بعض فروع الطب كالجراحة او في العلوم البحتة مثل العلوم الفيزيائية والكيماوية ٠ وفي الولايات المتحدة الاميركية لا يزال عدد النساء المشتغلات بالعلوم اقل من ١٠٪ من مجموع العلماء المشتغلين بالعلم هناك ٠ وهذا يعود الى ان نظرة المجتمع اليها ، لا تزال تلك النظرة التي لا تثق بامكانياتها وكفاءتها في اداء بعض الاعمال ٠

يعود الفضل الى كارل ماركس وفريدريك انجلز* في طرح مسألة تحرر المرأة طرحا علميا خاليا من الاوهام والخيالات ، عندما ربطا تحرر المرأة بتحرر المجتمع برمته من كل الوان الاضطهاد والاستغلال اي بالثورة الاجتماعية ٠ «فلا يمكن أن تكون حرية ، ولم تكن قط ، ولن تكون يوما حرية حقيقية ، طالما لم تتحرر المرأة من الامتيازات التي يكرسها القانون للرجل ، طالما لم يتحرر العامل من نير الرأسمال ، طالما لم يتحرر الفلاح الكادح من نير الرأسمال والملاك العقاري والتاجر» (٤٦) «وحيث تدوم الملكية الخاصة ، للارض ، الملكية الخاصة ، المعامل والمصانع ، حيثتدوم سلطة الرأسمال ، هناك تبقى الامتيازات للرجال» ٠ (٤٧) لقد اكد انجلز ان تحرر المرأة «لن يصبح امرا ممكنا الا متى استطاعت ان تشارك على نطاق اجتماعي كبير في الانتاج ، ومتى اصبح العمل البيتي لا يأخذ من وقتها الا قدرا ضئيلا» (٤٨) فتحرر المرأة يقتضي ان تحرر من تلك الاعتبارات الاقتصادية التي تجعلها خاضعة للرجل في تحصيل اسباب معيشتها ، وحتى تتحرر من تلك الاعتبارات اي تصبح قوة منتجة وتشارك في الانتاج ، يجب أن تتحرر من عبء الاعباء المنزلية ٠ «فالتفاوت في الحقوق بين الطرفين – الرجل والمرأة – الذي ورثناه من

---

★ تظهر كتابات ماركس عن المرأة في مخطوطاته الاقتصادية – الفلسفيـــة لعام ١٨٤٤ وفيها يطور موضوعة العلاقة بين تحرر المرأة وتاريخ المجتمع ٠ وقد قام الياس مرقص بترجمة هذه المخطوطات الى العربية باسم «كارل ماركس – مخطوطات ١٨٤٤ : الاقتصاد السياسي والفلسفة» ٠ وتظهر اراء انجلز عن المرأة في كتابه «اصل العائلة والملكية الخاصة والدولة» الذي كتبه عام ١٨٨٤ استنادا الى قراءاته وملاحظات كان وضعها ماركس عن كتاب العالم الاميركي مورغان «المجتمع القديم» وفي هذا الكتاب – اصل العائلة ٠٠٠ – يسلط انجلز النور على تطور العائلة من مواقع المادية التاريخية ٠

العلاقات الاجتماعية السابقة ، ليس سبب اضطهاد المرأة في المضمار الاقتصادي ، بل نتيجته • ففي الاقتصاد البيتي الشيوعي القديم الذي كان يشمل عددا كبيرا من الازواج مع اولادها ، كانت اداة هذا الاقتصاد المعهود بها الى النساء ، ضربا من النشاط الاجتماعي الضروري للمجتمع • شأنها شأن حصول الرجال على وسائل العيش • ولكن الوضع تغير منذ ظهور العائلة البطريركية ، وبالاحرى منذ ظهور العائلة الفردية الاحادية الزواج ، فقد فقدت ادارة الاقتصاد البيتي طابعها الاجتماعي • ولم تعد لها علاقة بالمجتمع • واصبحت خدمة خاصة ، وصارت الزوجة الخادمة الرئيسية واقصيت عن الاشتراك في الانتاج الاجتماعي • ان الصناعة الكبيرة في ايامنا هي التي فتحت امام المرأة ـ المرأة البروليتارية فقط ـ السبيل الى الانتاج الاجتماعي ، ولكن اذا قامت بواجباتها الخاصة في خدمة العائلة ، بقيت خارج الاطار الاجتماعي وعجزت عن تحصيل اي اجر مستقل ، واذا ما شاءت ان تشترك في العمل الاجتماعي وان تحصل على اجر مستقل ، عجزت عن اداء واجباتها العائلية» (٤٩) • فكيف تحل هذه المعضلة حتى يتم اشتراك المرأة في الانتاج الاجتماعي دون أن تثقلها الاعمال المنزلية التي لا يزال الرجال يعتبرونها شأنا من شؤون المرأة ، حتى ولو كانت المرأة عاملة وتحصل على اجر يساوي او قد يفوق اجر الرجل نفسه في بعض الاحيان ؟ ان العمل المنزلي ، ليس عملا يسلب وقت المرأة فقط ، ولكنه ايضا ، عمل غير منتج لا يدخل في نطاق التعامل الاقتصادي ، لانه عبارة عن خدمة خاصة ، يبدد طاقات المرأة ويبلد ذهنها ، ويحصرها ضمن مطبخ او ضمن جدران اربعة لا يتيح لها العمل المشترك وما ينتج عنه من تفاعل انساني ، من فرح انساني من تبادل الافكار ••• الخ • ويقول لينين «ان الاعمال المنزلية الصغيرة تثقل كاهل المرأة وتخنقها وتخبلها وتذلها اذ تقيدها بالمطبخ وغرفة الاطفال ، وتبدد جهودها في عمل غير منتج ، بصورة فاضحة ، في عمل حقير مثير للاعصاب ، مخبل مرهق» • (٥٠) ولعل هذا السبب في وصفنا لاحاديث النساء بالسخف والتفاهة،وان احاديثهن في الغالب لا تعدو كونها احاديث عن انواع الطعام وعن اخر اخبار الموضة ، او اخر اشاعة في البلد • فالعمل المنزلي يحد كثيرا من طاقات المرأة ، ويحرمها من ان تنمي ثقافتها ومواهبها ، مما يجعلها باستمرار وبشكل عام ، اقل ثقافة وذكاء من الرجل • ولجعل المرأة مساوية للرجل ، تتمتع بكافة الفرص والامكانات المتاحة للرجال ، يجب ان نعطيها اعتبارها كأداة انتاج بتحريرها من الاعباء المنزلية والواجبات العائلية ، بحيث تكون هذه الاعباء والواجبات من مسؤولية المجتمع • ومن هنا برزت فكرة المؤسسات العامة من دور حضانة ورياض اطفال ومطاعم شعبية ومغاسل عامة • فوجود مثل هذه المؤسسات يخفف كثيرا من مسؤولية المرأة في الاعمال المنزلية ، وكلما تعممت هذه المؤسسات واصبحت في متناول جميع افراد المجتمع ، كلما تم الدفع الى الامام بدرجة اكبر بمسألة تحرر المرأة • لقد برزت فكرة هذه المؤسسات اول ما برزت في المجتمعات الرأسمالية ، ولكنها لم تعمم ، وظلت محدودة جدا ، اضافة الى انها كانت اما مشروعات تجارية تستهدف تحقيق اقصى درجة من الربح ، لا يقدر عليها الا ذوو الدخل المرتفع ، وتكون قاصرة عن تلبية حاجات الجمهور الواسع من المواطنين من العمال وذوي الدخل المحدود ، واما نوعا من مؤسسات الاحسان البرجوازي ، المليئة بالنفاق والرياء ، والتي لا تلبي الا حاجات قلة قليلة من افراد المجتمع • ولذا فان تعميم هذه المؤسسات وجعلها في متناول جميع افراد المجتمع ، يجب ان تكون من مسؤولية المجتمع والدولة ، وهذا لا يمكن ان يتم الا في ظل نظام اشتراكي • وهي مهمة لن تتحقق دفعة واحدة ، او خلال

فترة قصيرة ، بل تتطلب وقتا وصبرا · فحتى المجتمعات الاشتراكية الحالية ، على الرغم من كل المؤسسات العامة من هذا النمط الموجودة في هذه المجتمعات ، فان هـذه المعضلة لم تحل حلا نهائيا بعد ، ولا زالت المرأة هناك تواجه عبء القيام بعملها الانتاجي مثلها مثل الرجل ، وعبء القيام بجانب من الواجبات العائلية* · وقد يثير البعض اعتراضات على فكرة المؤسسات العامة من دور حضانة ورياض اطفال ··· الخ ، بدعوى انها فصل للنساء عن تربية اطفالهن واستلاب لامومتهن ، ومثل هـــذه الاعتراضات ـ بتقديرنا ـ لا اساس لها وهي نوع من الرياء البورجوازي · لان المطلوب هو كيف نجعل النساء قادرات على الجمع بين العمل النافع اجتماعيا وتربية اطفالهن ، ويقول كارل ماركس «ان انتاج الحياة ، حياة المرء ذاته من خلال العمل ، وحياة اخر من خلال انجاب طفل ، تبدو في الحال كعلاقة مزدوجة ، علاقة طبيعية من جهة وعلاقة اجتماعية من جهة اخرى» · (٥١)

يبقى ، ان على الرجال المتنورين ان يساهموا في حل هذه المعضلة للمرأة ، طالما ان المجتمع لم يصل الى حلها بشكل جذري ونهائي ، وهذا يقتضي مشاركة الرجال في الاعباء المنزلية · والكثيرون من الرجال ـ وحتى التقدميين منهم ـ يهزأون من ذلك ، ويرون ان من العار أن يقوموا بعمل يعتبرونه عمل نساء · وهذا يعود الى انانية الرجل ، والى كون الرجل كمضطهد ـ بكسر الهاء ـ يتمتع بامتيازات لا يمكن ان يتخلى عنها بسهولة· يقول بيبل « ثمة اشتراكيون يعارضون انعتاق المرأة بمثـــل الشراسة التي تعارض بهـــا الرأسمالية الاشتراكية · ان كل اشتراكي يميز حالة تبعية الشغيل تجاه الرأسمالي ، ولا يفهم كيف يمكن لاخرين ، وبالتحديد الرأسماليين ، رفض التسليم بذلك · لكن هذا الاشتراكي عينه لا يميز في كثير من الاحيان حالة تبعية المرأة تجاه الرجال ، لان هـــذه المسألة تمس اناه الصغير عن كثب · فما داعي الرجال الى وضع حد لتبعية المرأة ما دامت هذه التبعية لا تعود عليهم الا بالفوائد » · (٥٢) ·

## [ ٤ ]
## تحرر المرأة والجنس

تثار باستمرار اعتراضات كثيرة على مسالة تحرر النساء وانعتاقهن بدعوى ان تحررهن سيؤدي الى انفلات الضوابط التي تنظم العلاقات الجنسية في المجتمع ، وتدفع المجتمع

---

★ تذكر شيلا رويتهام في كتابها «الثورة وتحرر المرأة» ص (١٥٦ ـ ١٥٧) ان استقصاء اجري في لينغراد مع ١٦٠ اسرة وضح ان الزوجة هي التي تقوم باعمال البيت في ٦٩ اسرة ، وفي ٢٦ اسرة الجدة ، وفي ١٧ اسرة الزوجة والاولاد ، ويشارك الزوج في ٤٨ اسرة في الاشغال المنزلية · وتذكر : دل تحليل الاستقصاءات المماثلة التي اجريت قبل سنة ١٩٦١ ، ان المرأة المسؤولة عن اسرة تعمل في المتوسط ثلاث ساعات في اليوم زيادة عن زوجها ، وانها تنام اقل منه بساعة ونصف ساعة ، ولمواجهة مثل هذه الحالة ، وحتى لا يكون القيام بالاعباء المنزلية على حساب المرأة وتنميتها لقدراتها ، فقد اقرت كوبا قانونا جعلت الرجال بمقتضاه ملزمين بان يشتركوا مع زوجاتهم في القيام باعباء المنزل ·

الى فوضى جنسية باسم الحرية والتحرر · ان هذه الاعتراضات والتي ترددها الكثرة من الرجال ـ حتى التقدميين منهم ـ ان هي الا اعتراضات زائفة ومحاولة مكشوفة للهروب من الواقع الجديد الذي بدأ يفرض نفسه على كل مجتمع · هذا الواقع الذي يجعل من المستحيل أبقاء المرأة اسيرة العلاقات التقليدية الزائفة ، رهينة البيت ، ملحقة وتابعة للرجل ، غير مسموح لها ان تقرر بنفسها ما يتعلق بحياتها ، يوجد دائما من يفكر عنها ويقرر بالنيابة عنها ، سواء في نوع العمل الذي يجب ان تقوم به ، او في اختيار شريك حياتها · ان هذه الاعتراضات الزائفة لا تمت بأدنى صلة الى ما ندعو اليه من ضرورة تحرر النساء وانعتاقهن من الواقع المزري الذييعشن فيه منذ الاف السنين ، ولا سيما ان مسألة تحررهن لم تعد مسألة شخصية او فردية ، خاضعة لمزاج هذا الرجل او ذاك ، بل اصبحت مسألة اجتماعية تفرض نفسها على الجميع ، وهي مسألة ـ شاء الرجال لم ابوا ـ ستجد طريقها الى الحل الثوري والناجع مع النهوض الثوري في المجتمع · ان الاختباء وراء اقنعة الحرص على الشرف ومحاربة الرذيلة للوقوف ضد تحرر النساء وانعتاقهن امر لم يعد ممكنا ، ذلك ان الرجال هم الاقدر على محاربة الرذيلة اذا شاؤوا ، ليس بفرض القيود على النساء ، ولكن بمنع انفسهم من ارتكاب الرذيلة ، بمنع انفسهم من استغلال النساء وابتياع حاجة بعض النساء المادية بنزوة او علاقة عابرة · ان بعض الرجال في الوقت الذي يفرضون فيه العفاف المطلق على زوجاتهم مثلا فانهم يبيحون لانفسهم ارتكاب النزوات مع نساء اخريات · ومتى تم القضاء على مثل هذا التمييز اللااخلاقي بين الرجل والمرأة ، ومتى تم تخليص العلاقة بين الرجل والمرأة من كل اشكال الاضطهاد والقسر ، من كل اشكال العلاقات التجارية ومن الكذب والرياء ، واصبحت علاقة لا تقوم الا على الحب المتبادل ، يمكن القضاء على الرذيلة والبغاء اللذين تزخر بهما المجتمعات البورجوازية · فالعلاقة بين الرجل والمرأة هي مقياس انسانية الانسان ، اي انسان ، رجلا كان ام امرأة يقول كارل ماركس «العلاقة المباشرة ، الطبيعية الضرورية بين الانسان والانسان ، هي العلاقة بين الرجل والمرأة ··· في هذه العلاقة يظهر بشكل محسوس ، محولا الى واقعة عيانية ، القدر الذي فيه ، بالنسبة للانسان ، اصبحت الماهية الانسانية هي الطبيعة ، او القدر الذي اصبحت فيه الطبيعة هي ماهية الانسان الانسانية · انطلاقا من هذه العلاقة يمكن اذن ان نحكم على كل مستوى ثقافة الانسان ، من طابع هذه العلاقة ينجم القدر الذي اصبح به الانسان لذاته موجودا نوعيا ، انسانيا ، وادرك نفسه على هذا الشكل ··· في هذه العلاقة يظهر ايضا الى اي حد اصبحت حاجة الانسان انسانية ، وبالتالي الى اي حد ، الانسان الاخر بوصفه انسانا اصبح بالنسبة له حاجة، الى اي حد في وجوده الاكثر فردية هو في الوقت نفسه موجود اجتماعي» · (٥٣)

كثيرون من الرجال لا يجدون في مسألة تحرر المرأة الا هذا الجانب الجنسي منها ، وينسون او يتناسون ، ان المسألة ليست بهذا الشكل ابدا ، فمسألة العلاقة بين الرجل والمرأة ، وان كانت تشكل جانبا ليس بسيطا من مسألة تحرر النساء وانعتاقهن ، الا انها ليست هي كل المسألة ، اضافة الى انها ـ العلاقة بين الرجل والمرأة ـ لا تكون فوضى جنسية او نوعا من الرذيلة اذا تم تخليصها من الرياء والكذب ومن عوامل القهر والقسر ، بل تاخذ شكلها الانساني الاسمى باعتبارها علاقة انسانية وليست مجرد تعبير عن حاجة «فعديمو الادراك اخلاقيا وحدهم الذين يمكنهم ان يتغنوا بتلك (النزعة المادية) التي لا تميز بين تلبية الجوع وتلبية الغريزة الجنسية ، فموضوع الحاجة الاولى

موضوع خامد ، وموضوع الحاجة الثانية كائن انساني قادر على التمتع والتألم» (٥٤) وهذا ما يجعلنا نؤكد ان تحرر النساء وانعتاقهن هو الذي سيعطي لهذه العلاقة انسانيتها، ويجعل الانسان قادرا على انسنة مشاعره الحيوانية • فعندما تتخلص المرأة من اعتبارات العوز المادي ، ومن اعتبارات ان هناك رجلا ، ينفق عليها ومسؤول عن اعاشتها والاولاد، تتحرر علاقتها بالرجل من اي اعتبارات الا اعتبارات الحب المتبادل ، ذلك ان تحرر المرأة من التبعية الاقتصادية التي تنوء بعبئها في ظل نظام الملكية الخاصة سيفتح الطريق امام انسانية حقه •

ما كانت الدعوة لتحرر المرأة بالمفهوم الثوري للتحرر ، تعني فوضى جنسية او اباحة العلاقات الجنسية دون ضابط او منظم لها • فتحرر المرأة ، في الوقت الذي يعني اشتراك المرأة في الانتاج على نطاق واسع وجعلها عضوا منتجا في المجتمع ، وليست مجرد خادمة خاصة في البيت للرجل وجارية له ، فانه يعني اعادة صياغة العلاقات الجنسية في المجتمع بما يكفل توفر حرية وارادة الطرفين التامتين في اقامة هذه العلاقات ضمن ضوابط جديدة ينظمها المجتمع ، ولكن ليست ضوابط مجتمعات ما قبل الراسمالية او المجتمعات الرأسمالية، فلا يمكن مثلا «للحرية التامة في عقد الزواج ان تتحقق بصورة تامة وعامة الا بعد ان يقضي الغاء الانتاج الراسمالي وعلاقات الملكية التي خلقها الانتاج الرأسمالي على جميع الاعتبارات الثانوية ، الاقتصادية التي لا تزال تؤثر الان تأثيرا كبيرا في اختيار الزوج والزوجة ، وآنذاك لن يبقى اي دافع غير دافع الميل المتبادل» (٥٥) ذلك ان الزواج القائم على الحب هو وحده الزواج الاخلاقي • لقـد عارض ماركس بقوة افكار الشيوعيين السوقيين الذين كانوا يريدون سحب الملكية المشاعية على النساء • واكد انجلز «ان مشاعية النساء علاقة لا يعرفها الا المجتمع البرجوازي ، وهي تتمثل حاليا في البغاء والانحلال» • (٥٦) وابدى معارضته لفكـرة الحب الحـر في رده علـى انتيس آرمـان ، واوضح لينين «ان الانفلات في الحياة الجنسية ظاهرة بورجوازية وعلامة على التفسـخ ووصفها بأنها «ليست بمطلب بروليتاري وانما بورجوازي» (٥٧) وتتذكر كلارا زتكين في كتابها «ذكريات عن لينين» ان لينين كان خصما لدودا لنظرية الحب الحر وقال لها «انا لا اثق بأولئك الذين يستغرقون على الدوام وبعناد في مسائل الجنس كما يستغرق الفقير الهندي في تأمل سرته ، يبدو لي ان هذا الفيض من نظريات الجنس التي هي بمعظمهـا فرضيات ، بل فرضيات اعتباطية في احيان كثيرة ، ينبع من الحاجات الشخصية ، وعلى وجه الضبط من سعي المرء الى ان يبرر امام قواعد الاخلاق البورجوازية حياته الجنسية غير العادية او المتطرفة ، ويطلب التساهل حياله ، ان هذا الاحترام المموه لقواعـد الاخلاق البورجوازية ، انما امقته بقدر ما امقت الانهماك عن حب في قضايا الجنس» • (٥٨) ورفض لينين بشدة تلك الفكرة التي كانت ترى ان تلبية الرغائب الجنسية وحاجـة الحب امر بسيط كشرب كأس من الماء ، وقال «انا اعتبر ان نظرية(كأس الماء) الشهيرة ليست ماركسية اطلاقا ، ناهيك عن انها منافية للمجتمع • ففي الحياة الجنسية لا يتبدى ما اعطته الطبيعة فحسب ، بل يتبدى ما ادخلته الثقافة ايضا ••• ان شرب الماء مسألة فردية فعلا • ولكن اثنين يشتركان في الحب وتظهر حياة ثالثة جديدة ، هنا تكمن المصلحة الاجتماعية ، وينبثق الواجب حيال الجماعة» • (٥٩) •

فالمسألة اذن ، ما كانت ، ولا يمكن ان تكون ، تلبية رغبات جنسية بدون ضوابط

يضعها المجتمع ، وان المسألة هي تحرير النساء وانعتاقهن من اطار المفاهيم البورجوازية التي تجعل منهن مجرد اجساد تشتهى ، ومجرد دمى واماء للموضة ، تحرير العلاقة بين الرجل والمرأة من كل عوامل القهر والقسر والاستلاب ، بجعلها تقوم على الاختيار الحر والحب المتبادل ، تحرير المجتمع من البغاء ، الذي هو صفة من صفات المجتمع البورجوازي «فما دامت العبودية المأجورة قائمة ، فان الدعارة ستظل قائمة» ٠ (٦٠) لقد كان للنساء الفضل الاول في انتقال المجتمع من الزواج الجماعي الى الزواج الاحادي ٠ وما ان حقق الرجل هذه الخطوة ، حتى استغلها في فرض التحريم الكامل على المرأة ، واباح لنفسه تعدد الزوجات والتسري بالجواري والاماء ، وجعل من المرأة مجرد عبدة شهواته ونزواته٠ والزواج البورجوازي الحالي ، كله نفاق ورياء ، ولا يقوم الا على المصلحة الخاصة فهو عملية تجارية ، وصفقة تجارية تحسب فيها حسابات الربح والخسارة قبل اي حسابات اخرى ٠ والمرأة في كثير من الاحيان ليست بعيدة عن هذا المفهوم التجاري للزواج ، والذنب في ذلك ليس ذنبها ، بل ذنب الرجل اساسا ٠ فالمرأة تربى على اساس ان تكون مشتهاة وتكون جسدا ، تربى على اساس ان تكون زوجة تعرف كيف تلبي رغبات زوجها ، واذا اعطيت حرية الاختيار ، فانها قد تقع في خطأ الاختيار لانها لم تعط الفرصة ، ولا الثقة الكاملة بنفسها حتى تحسن الاختيار ٠ وعندما تصبح المرأة اداة انتاج ، عاملة ومنتجة ، وعندما تنشأ وتربى باعتبارها انسانا ، وتعطى الفرصة الكافية مثلها مثل الرجل ، في تنمية مواهبها وقدراتها ، في الاحتكاك بالمجتمع ، في التصادم بالمشكلات وحلها ، فانها ستحسن الاختيار والتصرف ٠ ولن تكون مكرهة او مضطرة لعلاقة لا تقوم على الحب المتبادل ٠

وللوصول الى وضع كهذا ، الى مجتمع تملك فيه النساء حريتهن وينعتقن من اسار المفاهيم التي تستلب منهن انسانيتهن ، لا بد من نضال مرير ، تخوضه المرأة مع الرجل لتحرير المجتمع من كل اشكال الاضطهاد والاستغلال ٠

## [ ٥ ]

## المرأة والثورة

مع اشتراك جماهير واسعة من النساء في العمل المأجور نتيجة التطور الصناعي الذي شهدته بلدان اوروبا الغربية ، طرحت مسألة تحرر المرأة بشكل جدي ، وكما لم تطرح في اي فترة سابقة ٠ فالتطور الصناعي كان يجذب المزيد من النساء الى العمل خارج البيت، في حين ان تقاليد المجتمع كانت تحد من هذا الاشتراك الواسع للنساء في الانتاج ٠ اضافة الى ذلك فان المرأة العاملة في ظل استمرار التقاليد السلفية ، كان كاهلها ينوء تحت عبء مثلث لا يطاق ، عبء العمل ، وعبء الاعمال المنزلية وعبء رعاية اطفالها ، اضافة الى استغلال صاحب العمل لها ، مثلها مثل الرجل ـ العامل في هذا المجال ٠ وحيث انه ليس بالامكان مواجهة هذه المسألة بمنع النساء من العمل وعودتهن الى البيت ـ كما كان يطالب بعض المثاليين ـ لان التطور الصناعي كان يفرض جذب المزيد من اليد العاملة الى العمل ، رجالا كانوا ام نساء ، فكان لا بد من ايجاد حل لهذه المسألة ، وكان لا بد للنساء من ان يناضلن نضالا مريرا للحصول على حقوقهن واعتراف المجتمع بمساواتهن

بالرجال · ولقد تعددت اشكال نضالات المرأة واساليب عملها التنظيمية للحصول على حقوقها وانتزاع حق مساواتها بالرجل ·

في البداية ، منذ عصر النهضة وبدايات الرأسمالية ، كان الشكل الغالب بل الوحيد على نضالات المرأة ، هو الحركات النسوية المحضة ، وهي حركات بوجروازية ، كانت تطالب بانصاف المرأة ومساواتها بالرجل ، دون ان تتطرق الى ربط مسألة تحرر المرأة بتحرر المجتمع · ولذلك كانت هذه الحركات قاصرة عن اجتذاب جماهير النساء العاملة· واقتصرت على البورجوازيات والمثقفات من النسوة ، اضافة الى ان العديد من هذه الحركات كانت تتسم بسمة سلبية وهي احتقار الرجل · (٦١) وتذكر شيلا روبتهام في كتابها «الثورة وتحرر المرأة» ص ٢٨ حول تأثير بدايات الرأسمالية على الحركة النسائية فتقول «لم يكن تأثير بدايات الرأسمالية في جميع النساء واحدا ، فقد تنوعت عواقبها وتفاوت وقعها بحسب اختلاف الاوساط النسائية · وبوجه العموم ، عملت على تشتيت المصالح والآمال اكثر مما اثارت وعيا نسويا وحدويا · وكانت النسوية في ذلك الطور الاول تتطابق مع اصوات ومطامح افكار قليلة من النساء ، وكانت عاجزة عن تشكيل حركة ، وكان من الصعوبة بمكان الانتباه الى الترابط بين النسوية وفكرة تحويل شامل للمجتمع» · ولكن منذ اواسط القرن التاسع عشر ومع بروز التنظيمات والاحزاب الاشتراكية دخلت مسألة تحرر المرأة طورا جديدا ، عندما جرى التأكيد على عدم اعتبارها مسألة نسوية ، وانها مرتبطة بتحرر المجتمع اي بالثورة الاجتماعية · ولم يكن الوصول الى هذا الموقف بالامر السهل · فالعمال من الرجال لم يكونوا ليتقبلوا بسهولة فكرة تحرر المرأة بحكم ما كانوا يحملونه من افكار سلفية حول دونية المرأة وضرورة خضوعها للرجل، اضافة الى ذلك ، فقد كانوا يجدون في النساء قوة منافسة لهم في العمل ، حيث كان اصحاب الاعمال يلجأون الى تشغيل النسوة لكسر اضرابات العمال ، او لان النسوة كن يتقاضين اجرا اقل من الرجال · (٦٢) ولذلك كان العديد من النقابات العمالية يقفل ابوابه في وجه النساء ، وكان بعض الاحزاب الاشتراكية يرفض انضمام النسوة اليه· (٦٣) وفي مواجهة هذا الموقف كان عدد من النسوة يؤكد ان لا امل يرتجى من الرجال كفئة لتحرير النساء ، ويؤكد على ضرورة تنظيم النساء لانفسهن للنضال من اجل انعتاقهن · ومن هؤلاء اليانور ابنة كارل ماركس ، التي اكدت في كتابها «المسألة النسائية : وجهة نظر اشتراكية» ان لا امل يرتجى من الرجال ، وقالت «على الطبقات الرازحة تحت الاضطهاد وعلى النساء ، وعلى منتجي الخيرات ، ان يفهموا ان انعتاقهم ، لا يمكن ان يتأتى الا من جهودهم بالذات · وسوف تجد النساء حلفاء لهن بين ذوي القدر والشأن من الرجال، مثلما سيجد الرجال لهم في شخص الفلاسفة والفنانين والشعراء · ولكن ليس للنساء ان يأملن شيئا من الرجال كفئة ، كما انه ليس للعمال ان يأملوا شيئا من الطبقة المتوسطة كطبقة» · (٦٤) غير ان هذه الافكار اخذت بالزوال عندما اعطت الاحزاب الاشتراكية ، اهمية واعتبارا لمسألة تحرر المرأة ، وعندما بدأت هذه الاحزاب تؤكد في برامجها وفي محمل سياساتها على هذه المسألة ، باعتبارها مسألة تدخل في صلب الثورة ، وتعد احدى اسس تحرر اى مجتمع برجاله ونسائه من الاستغلال والاضطهاد بكل اشكالهما والوانهما · ولكن على الرغم من حسم هذه المسألة لدى العديد من الاحزاب الاشتراكية ، فقد برزت بعض الاختلافات في وجهات النظر حول بعض المسائل النظرية في مسألة تحرر المرأة وحول الاشكال التنظيمية لنضال المرأة السياسي · وفي ما يتعلق بالمسائل النظرية فقد عالجناها في الفصول السابقة ، وكانت معظمها تدور حول ارتباط مسألة تحرر

المرأة بالحب الحر او التحرر الجنسي · وكان لينين واضحا في هذا المجال ، عندما ادان افكار الشيوعيين السوقيين حول الارتباط الحر بين الرجل والمرأة ، كما كان واضحا في تأكيده على ان المسألة الاهم والتي تحظى بالاولوية في تثقيف الجماهير النسوية ، هي كيف يجري ربطهم بالثورة وليس كيف يحببن ؟ ففي حديث له مع كلارازتكين قال حول هذه المسألة رافضا اشغال فكر العاملات بمسألة الحب على حساب الثورة : «ان الامور ، مرهونة باوقاتها ، فقولي لي من فضلك ، هل الوقت الان ، وقت اشغال فكر العاملات شهورا كاملة كيف يحببن وكيف يكن محبوبات ، كيف يغازلن وكيف يقابلن المغازلة ··· الان يجب ان تكون جميع افكار العاملات موجهة نحو الثورة البروليتارية ، فهي تخلق كذلك الاساس لاجل تحديد شروط الزواج والعلاقات بين الجنسين بصورة فعلية » · (٦٥)

وفيما يتعلق بالاشكال التنظيمية فقد كان الخلاف يدور حـــول وجهتي نظر اساسيتين ، الاولى : كانت ترفض الاقرار بوجود وضع خاص للمرأة مما يفرض وجود اشكال تنظيمية خاصة بها اضافة الى انضمامها الى الحزب ومشاركتها في العمل الحزبي والتنظيمي ، والثانية : كانت تؤكد وجود وضع خاص للمرأة يفرض ايجاد اشكال تنظيمية خاصة بها تكون تحت اشراف الحزب وايديولوجيته ، اضافة الى اشتراك المرأة العام في عضوية الحزب ومشاركتها في مجالات عمله المختلفة السياسية والتنظيمية والعقائدية · ولقد انتصرت وجهة النظر الثانية ، والتي اكدها لينين بقوله «ومن مفهومنا الايديولوجي تنبع كذلك الاجراءات التنظيمية · لا منظمات منفردة خاصة للشيوعيات ، فان الشيوعية هي عضو في الحزب مثل الشيوعي وبنفس الواجبات والحقوق ، وفي هذا لا يمكن ان تكون اي خلافات · ولكن يجب أن لا نغمض عيوننا عن الوقائع ، ينبغي ان تكون عند الحزب ، هيئات ، فرق عمل ، لجان خاصة ، لجان اقسام ، او حسبما يسمونها هناك ، تكون مهمتها الخاصة ايقاظ جماهير النساء الغفيرة ، وربطها بالحزب وابقاؤها تحت نفوذه ··· ان انكار ضرورة الهيئات الخاصة لاجل عملنا بين الجماهير النسائية الغفيرة هو احد مظاهر الموقف المبدئي جدا والراديكالي جدا الذي يقفه ـ اصدقاؤنا الاعزاء ـ من حزب العمال الشيوعي ، فبرأيهم انه يجب ان يقوم شكل واحد فقط للتنظيم هو الاتحاد العمالي ··· فنحن لا يسعنا ان نقيم ديكتاتورية البروليتاريا بدون ملايين النساء ، نحن لا يسعنا ان نقوم بالبناء الشيوعي بدونهن · يجب علينا ان نفتش عن الطريق اليهن ، يجب علينـــا ان ندرس الكثير ونجرب الكثير مرارا لكي نجد هذا الطريق» · (٦٦) واكدت الكسندرا كولونتاي وجهة النظر هذه ايضا ، فهي ترى «ان نوعية المرأة العاملة وبعث الحياة في ارادتها لا يكون الا باعتماد اسلوب خاص في مخاطبتها ، الا باستخدام اساليب متخصصة للعمل بين النساء» ذلك ان تكوين المرأة النفسي يختلف عن تكوين الرجل تحت تأثير عبودية القرون ، فالرجل اكثر استقلالا وحزما وشعورا بالتضامن · ثم ان افقه اوســع لانه ليس سجين العلاقات العائلية الضيقة · وتوضح كولونتاي مهمة اللجان الخاصة او مكاتب النساء الملحقة بالحزب ، بانها (١) الاضطلاع بعمل تحريضي متخصص متلائم مع مستوى مشاكل جمهور النساء ذي الوعي المتدني ، وتنمية وعي العاملات ورفعه الى مستوى وعي الاعضاء الحزبيين ، ودفع النساء الى حلبة الصراع الثوري · (٢) تمكين العاملات من طرح المطالب الخاصة بهن بوصفهن نساء والدفاع عنها : الامومة ، رعايـة الاطفال ، الحد الادنى للاجور لعمل الاطفال والنساء ، مكافحة البغاء ، تخفيف اعباء العمل المنزلي ، وغيرها · (٦٧) ·

وهذا لا يعني ان هناك شكلا تنظيميا محددا ووحيدا لجذب النساء الى العمل السياسي وحلبة الصراع الثوري ، فما يحدد طبيعة الشكل التنظيمي هو الظروف الموضوعية القائمة في كل بلد ، والمدى الذي بلغته حركة تحرير المرأة فيه • فكلما كانت جماهير النساء اقل وعيا ، واقل انجذابا للعمل الثوري ، وكلما كانت مسألة تحرر المرأة في مراحلها الاولى، كلما كانت الحاجة ملحة الى اشكال تنظيمية خاصة للنساء اضافة الى العمل الحزبي التنظيمي ، والعمل النقابي • وكلما تقدمت مسألة تحرر المرأة ، كلما قلت الحاجة الى مثل هذه التنظيمات الخاصة • ذلك انه خلال مراحل النضال المختلفة ، لا تطرح فقط مسألة وعي المرأة ـ العاملة والفلاحة ـ المتدني بفعل تراكمات قرون العبودية ، بل وايضا لا بد من النضال من اجل تحقيق عدد من المطاليب الخاصة بالنساء ، وهي مطاليب الامومة ، رعاية الاطفال ••• الخ • لا بد من النضال من اجلها في كل مجتمع بورجوازي ، او في مرحلة الثورة الوطنية الديموقراطية ، وحتى في المرحلة الاولى من الثورة الاشتراكية • حيث يتخذ النضال هنا ، وفي هذه المرحلة من الثورة الاشتراكية ، نضالا ايديولوجيا ضد المفاهيم السلفية الرجعية ، ولاستئصال وجهة النظر الاستعبادية القديمة من آخر واصغر جذورها ، وهو نضال ، اضافة الى انه يستهدف توعية النساء بقضيتهن ، فانه يتضمن بالدرجة الاولى نوعا من العمل التربوي بين الرجال الذين لا يزالون اسرى افكار المجتمع القديم • وهي مطالب يجب على الاحزاب والحركات الثورية ان تضمنها برامجها وان تناضل من اجلها ، وهي تناضل في سبيل التغيير الشامل والعام للمجتمع • ولكن كما يؤكد لينين ، فان النضال من اجل هذه المطالب النسوية يجب ان لا يكون على حساب الثورة وخطها العام بل بالارتباط الدائم مع المصالح العامة للثورة «ومفهوم انه لا يجب علينا في دعايتنا ان نستعمل مطالبنا لاجل النساء كمسبحة للصلاة كلا ، فتبعا للظروف القائمة ، يجب علينا ان نناضل تارة من اجل هذه المطالب ، وطورا من اجل تلك ، وان نناضل طبعا ، بالارتباط الدائم مع المصالح العامة للبروليتاريا •»(٦٨) وثمة كثيرون من الثوريين لا يرون بوضوح كاف هذا الارتباط الدائم بين النضال من اجل تحقيق بعض المطالب النسوية والمصالح العامة للثورة فيجري في بعض الاحيان تغليب المطالب النسوية على المصالح العامة للثورة ، ويجري في احيان اخرى رفض اي نضال او توجه من اجل تحقيق بعض المطالب النسوية ، بحجة ان الوضع الثوري لم ينضج بعد، او ان هناك ما هو اهم من ذلك • وكلا الموقفين خاطىء • لان الموقف الثوري هو الذي يقوم على تأكيد هذا الترابط ويعمل على توطيده خلال النضالات اليومية بين اوسع الجماهير ـ رجالا ونساء ـ فتحقيق بعض المطالب النسوية الخاصة في مجرى النضال ، هو دعم للثورة لانه يساعد على تحرير بعض طاقات المرأة ويدعم قدراتها النضالية • كما ان اي تقدم في وضع الثورة العام ، يصب في المجرى العام لتحرير المرأة •

## الحواشي

(١) اقوال لشارل فورييه ، اكدها كارل ماركس وفريدريك انجلز ، وفورييه مفكر اشتراكي خيالي ، كان من الاوائل الذين دافعوا عن المرأة وطالبوا بتحررها •وعبر عن آرائه هذه في كتابه « نظرية الحركات الاربع » • الا ان فورييه شأنه شأن سائر الاشتراكيين الخياليين ـ باستثناء السان سيمونيين الذين عارضوا تحرر المرأة ـ خلط بين تحرر المرأة والاباحة الجنسية ، وهو لم يدرك ان تحرر المرأة رهن بالتطور التاريخي ، بل كان كل ظنه ان هذا التحرر مرهون بحرية العواطف والعلاقات

الجنسية وحدها ٠

(٢) تشكل النساء في الاتحاد السوفياتي ٥ر٤٥ بين كل العاملين في الصناعة و٥٣ ٪ بين الاختصاصيين من ذوي التعليم العالي و٣٦ ٪ بين الشغيلة العلميين ٠ وفي جمهورية القرغيز بلغ عدد النساء العاملات في الصناعة ٤٠ / من مجموع العاملين ، وفي جمهورية التركمان بلغت ٥٠ ٪ ، وفي جمهورية اوزبكستان ٤٥ ٪ ، انظر المراة والاشتراكية ص ٢٣٠ و٢٣٥ ٠ ولكن على الرغم من هذا الشان المتطور الذي بلغته المراة في الاتحاد السوفياتي ، فان آثار النظرة الاقطاعية الى المراة لم تمح كليا بعد وبشكل خاصفي جمهوريات آسيا الوسطى٠ المصدر نفسه ٠ ص ٢٣٥ ٠

(٣) طرابيشي ، جورج « مترجم » المراة والاشتراكية ، دار الآداب ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧٣ ص ٢٣٥ ٠ وبهذا الخصوص ، تذكر فيرابلشاي في مقال لها « المشكلات الراهنة للمراة السوفياتية » ـ المصدر نفسه ـ انها حضرت جلسة لمحكمة سمرقند الشعبية ، انعقدت بناء على طلب زوجة رفعت دعوى للطلاق ضد زوجها لانه كان يرغمها على وضع الحجاب ويمنعها من العمل في الكولخوز ويضربها ٠

(٤) انجلز ، فردريك ، اصل العائلة والملكية الخاصة والدولة ، دار التقدم ٠ موسكو ٠ الطبعة العربية ص ٩٤ ٠

(٥) المصدر نفسه ٠

(٦) قاسم امين كاتب ومصلح اجتماعي مصري ، كان من اوائل المصريين الذين دعوا الى تحرير المراة ودعا الى سفورها وتعليمها ٠ عرض اراؤه في كتابيه ـ تحرير المراة ، والمراة الجديدة ـ وقد ووجهت دعوته بمعارضة شديدة من شيوخ الازهر ٠ اما رفاعة رافع الطهطاوي ، فهو مصلح اجتماعي مصري ايضا دعا الى تعليم المراة ، واصدر كتابا ، « المرشد الامين في تعليم البنات والبنين » حض فيه على تعليم الفتيات وقد منع كتابه من التدريس في المدارس المصرية بعد الاحتلال البريطاني لمصر ، لانه كان يدعو لتعليم البنات ٠ ويذكر سلامة موسى في كتابه « المراة ليست لعبة الرجل » ص ١٠٣ « ان الناظرة الانجليزية لمدرسة السنية الابتدائية كانت تحتم على تلميذاتها اتخاذ البرقع» ٠

(٧) روبتهام ، شيلا « جورج طرابيشي مترجم » الثورة وتحرر المراة ، دار الطليعة ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٧٥ ص ١٣٠ ٠

(٨) العقاد ، عباس محمود ، المراة في القرآن ، القاهرة ، دار الهلال ص ٨

(٩) انظر سيكولوجية المراة ،٠ج ، هانيس ٠ د٠ سامي الدروبي « مترجم » دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص ٢٣٨ و٢٣٩ ٠

(١٠) د٠ ابراهيم ، زكريا ، سيكولوجية المراة ، القاهرة مكتبة مصر ص ١٧ ٠

(١١) المصدر نفسه ص ٢٩ ٠

(١٢) المصدر نفسه ص ٤٦ ٠

(١٣) د٠ سعداوي ، نوال ، المراة والجنس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، طبعة ثانية ، بيروت ١٩٧٢ ص ٧٠ ٠

(١٤) المصدر نفسه ، ص ٥٢ و٥٣ ٠

(١٥) المراة والاشتراكية ص ١٢٣ ٠

(١٦) سيكولوجية المراة ج٠ هانيس ص ٢٤٢ ٠

(١٧) د٠ سعداوي ، نوال ، المــــرأة والجنس ص ١٤٩ ٠

(١٨) المرأة والاشتراكية ص ١٣١ ٠

(١٩) موسى ، سلامــة المــرأة ليست لعبة الرجل ،سلامة موسى للنشر والتوزيع، القاهرة ، ص ١١ و١٢ ٠

(٢٠) لينين بصدد تحرير المــرأة ص ٦٧٠ وتقول شيلا روبتهام « الثورة وتحرر المرأة ص ٤٧ « ان الانجاب المتواصـــل والمرض والبطالة والبؤس مزروعة امــــام المرأة كراس ميدوزا ، اضافة الى ذلـــــك صراخ وجلبـــــة اربعــة او خمسة اولاد يدورون حولها في حجرة ٠ ولا بــــــد للمرء ان يكون ملاكا حتى لا يتبلد ذهنـه بفعـل ذلك كله » ٠

(٢١) انظر موسى ، سلامة ، « المـرأة ليست لعبة الرجل» ص ٦٣ ٠

(٢٢) عرض اقتصادي تاريخــي ، دار التقدم موســـكو ، الطبعة العربيــة ج ١ ص ٢٧ و٢٨ ٠

( ٢٣ ) المصدر نفسه ، ص ٢٨ ٠

(٢٤) المصدر نفسه ، ص ٢٩ ٠

(٢٥) المصدر نفسه ، ص ٣٣ ٠

(٢٦) المصدر نفسه ، ص ٣٤ ٠

(٢٧) اصل العائلة والملكية الخاصــــة والدولة ، ص ٢١٣ ـ ٢١٤ ٠

(٢٨) للمزيد حول الزواج الجماعــــي وانحلاله لضيق دائرة الزواج انظـــــر : اصل العائلة والملكية الخاصة والدولـة مصدر سابق ـ ص ٤٥ـ٦١ ٠

(٢٩) المصدر نفسه ، ص ٦٥ ٠
(٣٠) المصدر نفسه ص ٦٦ ٠

(٣١) المصدر نفسه ص ٧٧ ٠

(٣٢) المصدر نفسه ص ٨٢ ٠

(٣٣) المصدر نفسه ٠ ص ٥٩ ٠

(٣٤) المصدر نفسه ص ٦٩ـ٧٠ ٠

(٣٥) المصدر نفسه ص ٧١ ٠

(٣٦) انجلز ، مصدر سابق ص ٧٣ ٠

(٣٧) المرأة والاشتراكية ، ص ١٩ ٠

(٣٨ ) نصار ، حسني ، حقوق المرأة في التشريع الاسلامي والدولي المقارن ، دار نشر الثقافة ، الاسكندرية ، طبعة ثانية ص ٥٠ ٠

(٣٩) المرأة والاشتراكية، مصدر سابق ص ٢٠ ٠

(٤٠) المصدر نفسه ، ص ٢٠١ و٢٠٢ ٠

(٤١) المصدر نفسه ، ص ٢٠٢ ٠

(٤٢) مندنسي ، كاترينا ، الطريــــق الحقيقية الى المساواة الحقيقية ، مجلــة الوقت ، عـدد اكتوبر ١٩٧٤ ص٠ ٦٧ ٠

(٤٣) لينين ، بصدد تحرير المــــرأة ص ٧٩ ٠

(٤٤) اصل العائلة ص ٩٤ ٠

(٤٥) المرأة والاشتراكية ص ١٢٢ ٠

(٤٦) لينين بصدد تحرير المرأة ص ٨٠ ـ٨١ ، ٤٧ ، المصدر نفسه ص ٧١ ٠

(٤٧) اصل العائلة ٠٠٠ ص ٢١٤ ٠

(٤٨) اصل العائلة ٠٠٠ ص ٢١٤ ٠

(٤٩) اصل العائلة ص ٩٣ ٠

(٥٠) لينين ، بصدد تحرير المرأة ص ٦٧ ٠

(٥١) منديس ، كاترينا ··· مصدر سابق ص ٦٦ ·

(٥٢) اوغست بيبل « المراة في الماضي والحاضر والمستقبل » باريس ١٨٩١ نقلا عن الثورة وتحرر المراة ص ٧٤ ·

(٥٣) كارل ماركس ، مخطوطات ، ١٨٤٤ : الاقتصاد السياسي والفلسفة ، الياس مرقص « مترجم » منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دمشق ١٩٧٠ ص ٢١٢ ·

(٥٤) الاشتراكية والمراة ص ٦٥ ·

(٥٥) اصل العائلة ص ١٠٤·

(٥٦) لينين بصدد تحرر المراة ص ١١٨ ·

(٥٧) المراة والاشتراكية ص ٧ ٨·

(٥٨) لينين بصدد تحرر المراة ص ١١٠ ــ ١١١ ·

(٥٩) المصدر نفسه ص ١١٦ ــ ١١٧·

(٦٠) المصدر نفسه ص ٢٩ ·

(٦١) انظر : الثورة وتحرر المراة ص ٢٤ · هذا ونجد اعادة لامثال هذه الحركات في المجتمعات الراسمالية وبشكل خاص في الولايات المتحدة الاميركية ،وهي التي تعرف باسم حركات التحرر النسائي women's Lib وهي حركات لا تخلو من المبالغة والمغالاة والتطرف ، ولكن احتقارا للرجل ، وللاسف فان افكار هذه الحركات الفوضوية تلقى انتشارا لا باس به في اوساط بعض النساء المثقفات في عالمنا العربي ·

(٦٢) انظر : الثورة وتحرر المراة ص ١٠٥ ــ ١٠٦ ·

(٦٣) انظر : كولنتاي ، الكسندرا ، تحرير المراة العاملة ، فواز طرابلس و··· « مترجم » « دار الطليعة » ، الطبعة الاولى ، بيروت ١٩٧٢ ص ٨٦ ·

(٦٤) الثورة وتحرر المراة ص ٧٨ ·

(٦٥) لينين بصدد تحرر المراة ص ١١٢ و١١٣ ·

(٦٦) لينين بصدد تحرير المراة ص ١٢٢ ــ ١٢٤ ·

(٦٧) كولنتاي ، الكسندرا ، تحرير المراة العاملة ص ٥٨ و٥٩ ·

(٦٨) لينين بصدد تحرير المراة ص ١٢٥ ·

# التركيب الاقتصادي لشرق الأردن
# مقدمات التطوّر المشوّه (١٩٢١/١٩٥٠)

هاني حوراني

## القسم الاول :ـ

شكلت الحرب العالمية الاولى منعطفا تاريخيا حاسما بالنسبة لمعظم بلدان المشرق العربي ، تقررت فيه شروط تطورها الاقتصادي ـ الاجتماعي لمصلحة الامبريالية والاقتسام الامبريالي ٠ فمن جهة ادى التقاسم الغربي ( البريطاني ـ الفرنسي ) للمنطقة ، الى عزل اجزائها المختلفة عن بعضها البعض والى حرمانها من فرص وامكانيات التطور الشامل والمتكامل ، واخضعها من جهة اخرى الى درجات وانماط مختلفة من التطور التبعي ( الكولونيالي ) ، غير المتساوي خلال حقبة كاملة ، الامر الذي ضاعف من صعوبات اعادة توحيدها ٠

كان الاقتصاد المحلي قبيل الحرب الاولى في كل من « بلدان » المشرق العربي ، وخاصة فيما يعرف بسورية الطبيعية يتطور باتصاله الوثيق بالاقتصاديات المحلية للاجزاء الاخرى ٠ وعلى الرغم من التخلف العام للمنطقة وتفسخها الاقطاعي في ظل نظام السيطرة العثمانية ، الا ان اساس وحدتها وشروط تطورها الموحد والشامل كان متوفرا ، بدلالة نهوضها القومي والنضالي ضد الاستبداد العثماني منذ نهاية القرن الماضي ، وبدلالة تبلور حركتها القومية من اجل التحرر والاستقلال والوحدة قبيل الحرب الاولى ٠ لكن الاقتسام الامبريالي ـ البريطاني ـ لفرنسي للمنطقة ، حرم اجزائها المختلفة مزايا وافضليات التطور والنهوض الواسع والمركز والمترابط ٠ الامر الذي اضعف فرص تراكم رأسمالي سريع وامكانيات تجديد الانتاج بشروط افضل ٠

ولم يقتصر الامر على ذلك ، بل ادى الاقتسام الامبريالي الى تعطيل سير التطور الاقتصادي الوطني وفق القوانين والشروط الداخلية لكل بلد ٠ حيث كبح او عطل مفعول الشروط الطبيعية للتطور الوطني المستقل ، وحكم تطور هذه البلدان قانون التطور التبعي ( الكولونيالي ) ٠ هذا القانون الذي ادى الى احتجاز

تطور القطاعات الاقتصادية التقليدية من جهة ، والى تشويه التركيب العام للاقتصاد الوطني من جهة ثانية ، فتحت تأثير الشروط الخارجية ( حاجات الامبريالية وسياستها الاقتصادية ، والصلة الناشئة مع السوق الراسمالي ) قامت قطاعات اقتصادية جديدة موازية للقطاعات التقليدية • ولم يكن تطور وقيام هذه القطاعات الحديثة يعكس حاجات التطور الاقتصادي الوطني ، بل بالعكس يعكس حاجات البلد المستعمر • وكان نمو هذه القطاعات بوتيرة سريعة تحت تأثير الاخيرة الى جانب ضمور القطاعات الاقتصادية التقليدية ، يفقد الاقتصاد الوطني في كل بلد على حدة ، طابع التوازن والانسجام ، بل ويعطي الاقتصاد الوطني اكثر فاكثر صفة التطور القطاعي او التطور وحيد الجانب •

في ظل السيطرة الكولونيالية والتطور التبعي ، كانت اقطار المشرق العربي تفقد شيئا فشيئا مقومات النهوض الاقتصادي الوطني المستقل والمتوازن ، وتبرز صفات تشوهه وتطوره وحيد الجانب ، حيث تطورت بالاساس فروع القطاع الثالث ( التجارة والخدمات والامارة والدفاع ) •• بالاضافة الى فرع انتاجي واحد ( ولا سيما ستخراج البترول وتصديره ) •

وكان مركز الثقل ينتقل من فروع الاقتصاد الوطني التقليدية نحو واحد او اكثر من هذه القطاعات الجديدة • فهو اما يكون قد انتقل الى قطاع التعدين واستخراج الخامات وتصديرها ، او الى التجارة ، او يكون قد انتقل الى جهاز الدولة والدفاع ، كجهاز متمول من الخارج ومشغل رئيسي لقوة العمل المحلية ، كما هو الحال مع شرقي الاردن •

كانت البقعة التي عرفت بعيد الحرب الاولى باسم شرقي الاردن اكثر اجزاء سورية الطبيعية تخلفا ولهذا السبب ، ولاسباب متعلقة بالنمط الخاص من السيطرة الكولونيالية كان شرقي الاردن البلد الاكثر تأثرا من عواقب الاقتسام الامبريالي • فقد استفادت الكولونيالية البريطانية من التاخر الفادح للقوى المنتجة في شرق الاردن ومن عدم مواتاة الشروط الاجتماعية والاقتصادية او المقدمات الموضوعية لتطور القوى المنتجة وللنهوض الوطني ، من اجل فرض نمط او نموذج خاص من السيطرة والتطور التبعي ، الذي ادى بدوره الى اضعاف قيام هذه المقدمات الموضوعية التي من شأنها ان تعجل انجاز التحرر والاستقلال الوطني •

ومن وجهة النظر الخاصة بشرقي الاردن ، كانت جماهيرها اكثر تضررا ومعاناة من الاقتسام الامبريالي •واكثر «شعوب» المنطقة مصلحة فيربط تطورها (اي شرقي الاردن) الاقتصادي ــ الاجتماعيبباقيالاجزاء السورية•اذ كانمنشان ذلك اتاحة

فرص اكبر لهذه المنطقة ، التي تعاني من تدني مضاعف في تطور قواهـا المنتجة، لتعويض هذا الضعف والتأخر بالاعتماد على تطور القوى المنتجة في المناطــــق الاخرى من سورية · مع ما يفتح ذلك من فرص امام تطوير وسائـل الانتـــاج وعلاقات الانتاج المحلية ، ولذلك فانه ليس عرضا ان ترتبط اكثر القوى الاجتماعية تطورا ونضجا في البلاد بالنضال الوطني المعادي للامبريالية وللاقتسام الامبريالي وبالاحزاب الوطنية السورية بعيد الحرب الاولى مباشرة ، والتي كانت في مقدمة اهدافهـا تحرير سورية من الانتداب الفرنسي ·

اعتمادا على المستوى المتدني جدا من تطور القوى المنتجة في شرقــي الاردن ، امكن توطيد نمط خاص من السيطرة الكولونيالية ، ومن التطور التبعي والمشوه ، كان عماده الرئيسي الانفاق والمساعدات الخارجية على جهاز الدولة والجيش ، هذا الجهاز الكولونيالي ، المغلف بغلاف محلي · لقد تكفل هذا النمط الخاص من التطور التبعي باضعاف القطاعات المنتجة التقليديـة وبتضخيـم القطاعـــات الثالثية ( الخدمات الحكومية والخاصة ) بشكل مفرط ، وبتحويل غالبية القـــوى المنتجة الى فئات رثة ، غير منتجة ، الامر الذي صبغ الاقتصاد الوطني بسمـات فريدة وخاصة الى حد كبير ، حتى اليوم ·

وحتى نتمكن من دراسة هذا النمط الخاص من التطور التبعي الذي خضـــع له شرقي الاردن وقبل دراسة التركيب الاقتصادي في السنوات ( ١٩٢١ / ١٩٥٠ ) لا بد من القاء بعض الضوء على المقدمات والظروف التي افسحت المجال امـــام رسوخ وتوطن هذا النمط من التطور التابع ، الفريد نوعا عن سمات التطـــور الكولونيالي في غالبية الاقطار التابعة والمتخلفة ·

**١ ـ الملامح الرئيسية للتركيب الاجتماعي ـ الاقتصادي لشرقي الاردن قبيـــل الحـرب الاولى ·**

دخل شرقي الاردن كوحدة سياسية منفصلة عن سورية ، عالم المستعمـــرات كبلد متعدد النماذج الاقتصادية · وكانت معظمها تعكس مستوى متدن من التطور، فهي جميعا مراحل مختلفة من النماذج ما قبل الراسمالية ، حيث قامت في مناطق البلاد المختلفة النماذج الرئيسية التالية :

١ ـ النموذجين المشاعي الرعوي ، والمشاعي الرعوي ـ الزراعي ( نصـــف المتنقل ) وهذان النموذجان كانا يضمان نصف السكان تقريبا ( ٧ر٤٥٪ مــــن السكـــان ) ·

٢ ـ النموذج الاقطاعي وشبه الاقطاعي والى جانبه النموذج البضاعي الصغير. وهما النموذجان اللذان يضمان النصف الاخر من السكان ( في الريف والبلدات الصغيرة ) (١) ٠

وهذا يعني ان البلاد كانت ذات مستوى منخفض من حيث تطور القوى المنتجة ، وتتميز بسيطرة قوية للطبيعة ، وببدائية وسائل وتكنيك الانتاج ، وانخفاض انتاجية العمل لدى السكان وخضوع هذه الانتاجية الشديد للطبيعة والمناخ ٠ تكمن سمة الاقتصاد الطبيعية ـ الاكتفائية او المعيشية في ان القسم الاعظم من الانتاج كان يستهلك من قبل المنتجين انفسهم ، وفي محدودية التبادل البضاعي آنذاك ٠ فقد كانت الحرف والصناعات محدودة للغاية ومرتبطة بالزراعة بشكل رئيسي ٠

ان انخفاض تطور القوى المنتجة والخضوع الشديد للطبيعة والمناخ يفسر ضعف الفائض واحيانا انعدامه٠وفيما عدا مناطق محددة في شمال ووسط وغرب البلاد ، التي كانت تفلح في تجديد انتاجها ، ويزداد الحيز البضاعي من انتاجها، كانت الاقسام الاخرى ( ولا سيما الشرق والجنوب ومناطق في الوسط ) من البلاد لا تكاد تحقق اعادة الانتاج البسيط كل عام ٠ مما كان يعرض السكان للمجاعات والامراض والكوارث ٠ وهو ما كان يتسبب في تجدد موجات الغزو والهجرة ، ودمار القوى المنتجة ووسائل الانتاج ، اثناء الغزوات والمناوشات والحروب القبلية (٢) ٠

ان واقع التصاق المناطق الزراعية والحضرية بما بات يشكل شرقي الاردن بالصحراء من جهة الشرق والجنوب ، بل وكون القسم الغالب من مساحة شرقي

---

( ١ ) ـ تقدير اعتمد على توزيع السكان حسب انماط معيشتهم وانتاجهم الاساسية ٠ راجع جدول رقم (١) عن عدد سكان القرى والبلدات ، والعشائر في عام ١٩٢٢ ، في هذه الدراسة ٠

(٢) في النواحي الشمالية للبلاد نشأت بعد سقوط المماليك ما يشبه الدويلات ،« كانت كل واحدة منها تحت سيطرة رئيس قوي الشكيمة يتولى قيادة القرويين في صد الغارات البدوية عن منطقته والدفاع عن حوزتها وكيانها » ٠ (٠٠٠) ورؤساء هذه النواحي يتوسطون ما بين سكانها وبين السلطة ، وليس من المحتم ان تنتقل الزعامة فيها من الاب الى الابن ، لكنها تبقى غالبا في نفس العائلة ولا تخرج منها ٠ وحين لا يرث الابن اباه في الزعامة ينتخب الرئيس او الشيخ انتخابا : راجع فردريك بيك : تاريخ شرقي الاردن وقبائلها ( القدس ١٩٣٤ ) ، ص ١٦٥ ٠

الاردن اراضي صحراوية او شبه صحراوية (٣) · فضلا عن تدني معـدل هطول الامطار وخصب الاراضي في غالبية المناطق الاردنية ، هذا الواقع ، اي مجمل الظروف والشروط الطبيعية غير المناسبة قد جعل مناطق شرقي الاردن تعاني اضعافا مضاعفة من الدمار والتخريب الذي حمله نظام السيطرة العثماني الى المنطقة عموما · وبالاجمال عانت « شرقي الاردن » اكثـر ممـا عـانت بقيـة الاجزاء السورية من نظام السيطرة العثماني ، ففضلا عـن اشكال النهـب والتخريب الذي حملته هذه السيطرة للمنطقة باسرها ، بما فيها شرقي الاردن ، كان الجزء الاخير يتعرض لتدهـور متزايد في الشروط الطبيعية اللازمـة لتجديد الانتاج ولتطور القوى المنتجة · والى موجات متزايدة الضغط من الهجرة البدوية الغازية التي احالت المناطق الخصبة الى مجرد مراع ، ودفعت الفلاحين الى هجرة قراهـم والى تقهقر عـام للريف ، حتى كاد يشمل هـذا التقهقـر في نصف القرن الماضي المناطق الجبلية الشمالية بكاملها · وهي المناطـق التي كانت اكثر مناطق البلاد تطورا على المستوى الاقتصادي والاجتماعي ، واقدرها عـلى تنظيم الدفاع عـن نفسها (٤) · وكانت موجات الهجرة والغـزو البدوي تفيض عن شرقي الاردن الى فلسطين وجنوب سورية ، بل وتصل الى شمال سورية وتهدد الزراعة والاستقـرار الزراعـي بالدمـار الواسع · (٥)

ان تخلف النظام الاقتصادي ـ الاجتماعي العثماني ، ورجعيـة وسائله فـي السيطرة والنهب ، ثم تفسخـه الاقطاعـي فيما بعـد ، قد جعـلت من شرقـي الاردن مرتعا للفوضى ولانعدام الاستقرار وللسيطرة البدوية · وحتى في أوج

---

(٣) ـ احتلت البوادي والصحاري مساحة ٧٢٬٥٠٠٬٠٠٠ دونم من اراضي البـلاد البالغة ٩٠٬٠٠٠٬٠٠٠ دونم · اي حوالي ٨٠٪ من المساحة الكلية للبلاد ، بعدما ثبتت حدود امارة شرقي الاردن · راجع :
A. Konikoff ; Trans Jordan,an Economic Survey , (Jerusalem 1946 ) Table v , P. 107 .

( ٤ ) ـ قامت في نواحي المرتفعات الشمالية ما يشبه الدويلات الصغيرة او الكومونات الفلاحية ، بزعامة شيوخ العشائر والاسر الاقطاعية النافذة ، وكانت هذه تنظم دفاعاتهـا ضد الغزو البدوي وكان من وطأة الغزو والسيطرة البدوية ( ولا سيما من بني صخـر ) ان ضعفت قدرة القرى على رد الهجمات البدوية في منتصف القرن التاسع عشر (١٨٤١ ـ ١٨٥١ ) واعتزم الاهالي على هجرة قراهم · والنواحي الوحيدة التي صمدت في وجـه التهديد البدوي : جبل عجلون ، الكورة ، الكفارات · راجع : منيب الماضي وسليمـان موسى : « تاريخ الاردن في القرن العشرين » ، عمان ١٩٥٩ ، المقدمة الخاصـة بالعهـد العثماني · كذلك راجع : فردريك بيك : المصدر المذكور انفا ، ص ١٦٥ و ١٨١ ·

( ٥ ) ـ راجع بصدد التهديد البدوي للريف الفلسطيني وزراعته : نبيـل بـدران : الريف الفلسطيني قبل الحرب العالمية الاولى ، شؤون فلسطينية ، العدد السابـع ( اذار ١٩٧٢ ) ·

صعود النظام العثماني ، اي منذ فتح السلطان سليم الاول لسورية ( ١٥١٦م) ، لم يقم سليم الاول باي اجراء من شأنه الحد من السيطرة البدوية في الصحراء السورية ( وكان يقدر عددهم بعشر السكان ) اذ كان هؤلاء البدو يغيرون باستمرار على المدن والقرى ، ينهبون ويسلبون محاصيلها ويحولون اراضيها الزراعية الى مراع لقطعانهم • فاشادت كل قبيلة قوية لنفسها في مناطق الحضر شبه اقطاع ، حيث تتولى القبيلة البدوية الدفاع عن الفلاح ضد القبائل الاخرى المغيرة مقابل فريضة معلومة يدفعها لها • وهكذا ابقى سليم الاول على نظام السيطرة البدوية الذي كان قائما منذ عهد المماليك • فترك لهم نظمهم التقليدية في السيطرة • وكان يأخذ بعين الاعتبار اهمية اشغال بكوات السناجق بحظر البدو عن الثورة او التمرد والانفصال (٦) • وطوال العهد العثماني لم تقم في شرقي الاردن سيطرة مركزية ثابتة للدولة او هيمنة مطلقة تحد من الفوضى التي تثيرها الهجمات والغزوات البدوية والمنافسات بين القبائل البدوية على السيطرة على المنطقة • وهكذا كان الغزو البدوي للمناطق الزراعية يبدو كعاقبة حتمية لسيطرة الطبيعة على القبائل الرعوية المتدنية في درجة تطورها ، والتي تعمم ، عن طريق غزوها التدميري ، نفوذ الطبيعة المطلق ، لا عليها فقط وهي القبائل الرعوية ، التي تعجز كثيرا عن تجديد انتاجها البسيط كل عام فتضطر الى الترحال والغزو ، وانما على المناطق الزراعية والحضرية التي قطعت القوى المنتجة فيها اشواطا من التطور الانتاجي • وكان الفائض السكاني المتزايد الذي تدفعه الهجرات من الجزيرة العربية الى شرقي الاردن ـ بوابة سورية الجنوبية ـ يتدفق اما على شكل قبائل مهزومة على يد قبائل اكثر فتوة وقوة تنجح الاخيرة في طردها من ديارها ، او على شكل توسع وامتداد للقبائل المندفعة نحو توسيع نطاق نفوذها ومراعيها ( ٧) •

لكن ينبغي ان نأخذ في الاعتبار سببا جوهريا آخر للتنازع والصراع

---

( ٦ ) راجع د • ليلى صباغ : اقتصاد سورية في العهد العثماني •

(٧) راجع في « تاريخ شرقي الاردن وقبائلها » ، الجزء الثاني ، فردريك بيك ، وصفا لكيفية دخول القبائل البدوية الى شرقي الاردن : دخول بني خالد في القرن التاسع عشر الى شرق الاردن بعد نزاع مع بني نعيم ، قدوم بني صخر من شمال الجزيرة وصراعهم مع السردية ( التي برزت كسيدة مطلقة من دمشق الى البلقاء بعد منتصف القرن السابع عشر ) وتنقل بني صخر بين اطراف المنطقة ( جنوب سورية ، شرقي الاردن ، بئر السبع وغزة ) ، خروج عنزة من الجزيرة العربية وسيادتها في مطلع القرن الثامن عشر في الصحراء السورية ثم طردها • صراع الحويطات وبني صخر في النصف الثاني للقرن التاسع عشر ••• الخ •

البدوي على شرقي الاردن ، وللتهديد البدوي للمناطق الزراعية والحضرية ٠ وهو ان شرقي الاردن قد شكلت الطريق الرئيسي للحج الشامي وللتجارة مع الجزيرة العربية ، فضلا عن انها كانت في الجنوب معبرا رئيسيا للحج المصري الى الجزيرة ٠ وكانت للسيطرة على هذا الطريق ، اهمية اقتصادية بالغة الاهمية لجملة من القبائل التي تهيمن على امتداد الطريق ، او تتصارع للهيمنة على الطريق باكمله ٠ ومن الوقائع التاريخية يمكن استخلاص مدى الاهمية الاقتصادية لهذه الهيمنة ، اذ مع فشل السلطات العثمانية في السيطرة على طريق الحج والتجارة الى الجزيرة ، ومع تسليمها حماية هذه الطريق للقبائل ، او القبيلة الاقوى ، كانت السلطات العثمانية مضطرة الى دفع اعطيات سنوية تتراوح بين ٦٠ الف و١٠٠ الف ليرة عثمانية لقاء حماية القوافل (٨) ، كما كانت القبائل المسيطرة تفرض اتاوات على هذه القوافل لقاء مرورها في مناطق نفوذها ، والى الانتفاع من تأجير دوابها وابلها كوسائل نقل لهذه القوافل ، مما كان يعود على القبائل المهيمنة بفوائد كبيرة ٠ ولهذا السبب كان صراع السيطرة على هذه المنطقة يأخذ طابع الحرب (٩) ، وساعدت الدخول

---

( ٨ ) راجع منيب الماضي وسليمان الموسى : تاريخ الاردن في القرن العشرين ٠

( ٩ ) مبدئيا يهمنا الاشارة الى فساد وقصور التصور الذي يبحث عن تفسير ظاهرة الغزو في حقل العادات الاجتماعية والسيكولوجية للبدو ٠ فخلاف هذا الاعتقاد المثالي نجد مفتاح تفسير الغزو في الحقل الاقتصادي ، فمن جهة واحدة ينتج الغزو عن محدودية الموارد الطبيعية ومحدودية تجديد انتاجها قياسا بوتيرة تجديد النوع والسكان ، في ظروف تدني مستوى تطور القوى المنتجة وبدائيتها ٠ الامر الذي يفسح المجال امام نشوب الصراع على الارض والمياه والموارد الاخرى ( الثروات الطبيعية ووسائل الحياة ) ٠ كان هذا هو اساس الهجرات البدوية من الجزيرة العربية الى شمالها ولا سيما الى سورية وفلسطين ٠ وهي هجرات متواترة تاريخيا ( يراجع في هذا الصدد تاريخ شرقي الاردن وقبائلها ، المصدر المشار اليه آنفا ص ٢١٣ ـ ٢١٩) ٠

ومن جهة ثانية نجد ان البحث في الاساس الاقتصادي للغزو يتطلب دراسة تطور القبائل المعنية ، فهناك الغزو الذي تدفعه الحاجة ، وهناك الغزو الذي يفسره السبب السابق : محدودية الموارد والقدرة على تجديد الانتاج البسيط ، كأن ترحل القبيلة المغزوة والمنهوبة لتغزو القبيلة الاضعف او تغزو القرى الفلاحية ، كي تستعيد ما فقدته وكي تواصل حياتها ٠

وهناك القبيلة التي يدفعها الى الغزو ومد نطاق نفوذها ، تنامي مطامع شيوخها للاستئثار بفوائض انتاج الفلاحين والقبائل الاخرى او بانتاجهما الضروري ٠ هذه العملية تعكس غالبا صيرورة شيوخ القبيلة فئة متميزة ، اي انفصالها عن القبيلة من حيث تمتعها بصفة المالكة الخاصة لوسائل الانتاج (قطعان الماشية والابل ، اراضي زراعية ) الامر الذي يمهد لانتقالها الى زعامة شبه اقطاعية او حتى انتقالها فعليا الى الزعامة شبه الاقطاعية ٠ الغزو ها هنا يكتسب طابع الحرب ، اي صفة طبقية ٠ وغالبا ما تكون هذه الحروب مغلفة ومموهة بغلاف العادات والتقاليد القديمة ذات الاصل المشاعي ـ الرعوي ٠

الناشئة عن هذه السيطرة القبيلة المسيطرة على فقدان طابعها المشاعي شيئا فشيئا ، وعلى فرز فئاتها العليا الممتازة ، والتي اكتسبت طابع الزعامة القبلية شبه الاقطاعية (١٠) ·

في مختلف مراحل السيطرة العثمانية على البلاد ، سواء في فترة فتوتها او في فترة انحدارها وتفسخها ، كانت البلاد معرضة باستمرار للتهديد والهيمنة البدوية · الامر الذي يفسر عدم تطور اقطاع محلي في مناطق شرقي الاردن ، بما في ذلك المرتفعات الشمالية ، تطورا متسارعا ومتكاملا ، كما هو الحال في سورية الشمالية او لبنان او فلسطين ، ولماذا كانت الاسر الاقطاعية في شرقي الاردن مضطرة ، من مواقع ضعفها ، للاعتماد في تمردها ضد السلطات العثمانية على الحكومات الاقطاعية المجاورة ، ولا سيما في فلسطين ، ومن ثم للخضوع لها (١١) · ان تواتر موجات الغزو البدوي وفي فترات متعاقبة ، قد عرقل تكون المجموعات الآيلة نحو الاقطاعية او احبطتها كليا · فضلا على ان الصراع بين الجماعات القروية المتجه نحو التكون الاقطاعي ، والاستعانة والتحالف مع البدو في

---

(١٠) لنلاحظ ان الغزو الذي يعكس السعي للاستئثار بفوائض الانتاج ( الفائض الداخلي للفلاحين او الفائض الخارجي من التجار والعابرين على طريق الحج ، قد تعاقب وشكل ظاهرة قائمة منذ زمن بعيد وسبق الفتح العثماني للمشرق العربي · ولنلاحظ ان عملية تحول زعماء القبائل الى اقطاعيين ، وتحول القبيلة الى الاستقرار والزراعة لم تحالفها ظروف مناسبة للتطور باتجاه صاعد ، بل كانت دائما مهددة بغزو قبائل فتية اكثر ( بمعنى اقل تطورا ) وبالتالي كثيرا وغالبا ما اخفقت القبائل الكبرى في الاستقرار في مناطق نفوذها وفي تحول زعاماتها او شيوخها الى اقطاعيين · هذا هو حال قبيلة السرحان اقوى قبائل حوران في القرن السادس عشر ، التي تزعمت حلفا قبليا كبيرا « اهل الشمال » ، والتي اضطرت تحت وطأة هزيمتها امام السردية للرحيل جنوبا · وفي النصف الثاني من القرن السابع عشر استعادت القبيلة قوتها وسادها شيء من التحضر الزراعي ، ففي الجون وهو مركزها الرئيسي برزت سمات السيطرة القبلية ـ شبه الاقطاعية : بناء الحصون والقلاع والحدائق والمزارع · لكن تحولها هذا هدده قدوم قبيلة عنزة من الحجاز ، التي دحرت ليس فقط السرحان وبني صخر وانما السردية وسائر حلف اهل الشمال · الامر الذي عكس نفسه تفككا وضعفا على مجموع البلاد حتى اوائل القرن التاسع عشر حين تولى بني صخر زعامة هذا التحالف القبلي · راجع فردريك بيك ، المصدر المذكور آنفا ، الجزء الثاني ، ص ٢١٧ ·

( ١١ ) كانت الزعامات الاقطاعية المتمردة على السلطات العثمانية في البلاد ترتبط مع الحكومات الاقطاعية النافذة في فلسطين (نابلس ، عكا) او حوران ودمشق ·والى هذه الحكومات كانت تحول الضرائب التي تجبى في مناطق شرقي الاردن ·

صراعاتها كان يتسبب في اضعـافها ككل في وجـه البدو (١٢) ٠

واخيرا ، لا يمكن تجنب واقع ان الاساس الطبيعـي للانتاج ، اي جملـة الظروف الطبيعـية والبيئية ، او ما يسميه ماركس الثروات الطبيعـية بوسائل الحياة لم تكن ملائمة لنهوض مختلف الجماعـات السكانية وتطورها الاقتصادي باتجاه صاعد ٠ فاذا اخذنا بالاعتبار انها جميعا ذات انماط متدنية التطور ، طبيعـية ، فان تاثرها بهـذه الظروف والشروط كان شديدا جدا ويتسبب بالحد من وتاثر تطورها وانتقالها الصاعـد ٠ وكان المظهر المباشر لهذا التاثير السلبي هو عجز المجموعـات الاكثر تدنيا فـي تطورها ( الجماعـات الرعوية ) عـن تجديد انتاجها لسنوات بسبب الجفاف والقحط ٠ في حين كان الفائض لـدى المجموعات الاعلى ( الجماعـات الزراعـية ) محدودا ، وبالكاد يكفي لتجديـد قوة العـمل ولتحسين الانتاج ٠ ومن ثـم افتقدت الشروط الطبيعـية المناسبـة لتطور القوى المنتجة ، وللارتقاء باساليب العـمل ، التي يتيحها وجود وفـرة معينة من الفائض ٠ ان الصلة الجدلية بين ما هو طبيعـي وما هو اجتماعـي كانت تظهر غالبا في شكل انحطاط متزايد وتدهور متفاقم ٠ فالتاثيـر الاجتماعـي في الطبيعـة كان سلبيا وتدميريا ٠ ومظاهر ذلك ان المناطق الزراعية والجبال كانت تتعرض للتعرية والتربة للانجراف والسدود وانظمة الري القديمة جـدا للدمار ، والاراضي الزراعية تتحـول الى مـراع او الـى امتداد للصحراء (١٣) ٠

---

( ١٢ ) استخدمت القوة القتالية للبدو من قبل الجماعات الحضرية في التمرد عـلى السلطات العثمانية ، مثلما استخدمت السلطات العثمانية البـدو في تهديد الزعامات الاقطاعية المتمردة في مناطق نفوذها ٠ واستخدمت الاخيرة البدو في نزاعاتها الداخلية ٠ اما العثمانيون فقد لجأوا من اجل اضعاف القبائل الكبيرة الى اثارة المنازعات فيمـا بينها ( بني صخر والعدوان مثلا ) او في دعم احد الافخاذ ضد فخذ اخر من نفس القبيلة ( تحريض الزبن وهي من بني صخر على زعامتها وهي من الفايز ٠٠) راجع فردريك بيك ، المصدر السابق ص ٢١٩ ، و « في ربوع الاردن » ٠

( ١٣ ) يعود التدهور الاقتصادي للمنطقة الى حقب تاريخية بعيدة ٠ فالمناطق المحيطة بنهر الاردن ونهر الزرقاء كانت تعرف ازدهارا كبيرا في الزراعة وفي نظم الري وفي المدن ٠ فمنذ ٥٠٠ عام قبل الميلاد ، كانت هناك نظم ري لجميع الاودية حوالي الانهر التي تصب في نهر الاردن ، تلاها تطورات اخرى في العهد الروماني ، حيث اتسعت مساحة الاراضي المزروعة وكذلك حياة القرى والمدن وابتدأت تجارة المنتجات الزراعية الى الاسواق الخارجية ٠ واثر انحطاط الامبراطورية الرومانية تدهورت الزراعة في المنطقة ، ولم تجد في العهد الاموي والعباسي عناية كافية ، فانهارت مشاريع الري تدريجيا ثم نهائيا وتقلصت مساحة الاراضي المزروعة ، واصبحت المدن والقرى اصغر فاصغر ، وبعضها اختفى تماما ، وحل محل الزراعة المستقرة نمط معيشة نصف بدوي

## الاسباب الاجتماعية ـ الاقتصادية لتدهور الفائض الانتاجي ٠

نجد تفسيرا للتدهور المتزايد لاوضاع الفلاحين في شرقي الاردن في العهد العثماني في الاجابة التي عرضها احد الفلاحين ردا على سؤال بيركهارت : « لماذا لا تزرعون ؟ » ٠ اجاب الفلاح : « نزرع لمن ، للاغراب ام للاعراب»؟ (١٤) ، ففي هذه الاجابة نجد تفسيرا للآفاق المغلقة لتطور القوى المنتجة في ظل التحكم ونظام الاستغلال العثماني ٠ وحتى لا نضطر للاسترسال في عرض الاوضاع الاقتصادية للريف في شرقي الاردن ابان الحكم العثماني نقتصر هاهنا على البحث عن مصائر توزيع الفائض بل وجانب كبير احيانا من توزيع الناتج الضروري ٠ وسوف نتجنب عرض الاشكال المختلفة من الضرائب وتطورها ٠

هناك اولا ذلك الحيز من الفائض الذي يقتطع لحساب الدولة ، بوصفها المالكة للارض ٠ واهم جزء فيه ما تعارف عليه السكان باسم «الميري» او «العشر» ، ويصف بيركهارت طريقة تحصيلها بقوله ان الفلاح يدفع كيسين من القمح عن كل خمسة افدنة ٠ وتدفعها القرية بالكامل كما هي مسجلة في دفاتر الباشا ، سواء بقي سكانها فيها ام هاجر بعضهم ، وعندها فان الباقين يدفعون المطلوب ، ويظهر التأثير المدمر للاقتطاعات العثمانية في ان الاراضي المشاعية للقرى كانت اكثر من الراغبين في فلاحتها ٠ وبكلمات اخرى كان هناك احجام عن زراعة الارض لضالة الحيز الباقي للفلاح من ثمار عمله ٠ فالفلاح يدفع الميري نقدا او عينا حسبما يرغب الباشا ٠ ولما كانت الميري تقع على القرية بكاملها ، وبغض النظر عمن بقي فيها ، فان الفلاح لا يعرف مقدار الضريبة المفروضة عليه ٠ فيمكن ان تزداد الضريبة اذا زاد السكان في القرية ٠ لكنها لا تنقص مهما نقص عدد السكان (١٥) ٠

---

من الزراعة ٠ الذي يتسم بالزراعة المتقطعة والاعتماد الاكبر على رعي الماشية ٠ وفي القرن التاسع عشر وبعد قرون من الحكم العثماني اختفت الزراعة في بعض المناطق وتغيرت مجاري الانهار ليصب معظمها في البحر الميت ٠ راجع : مسح وادي الاردن ، دائرة الاحصاءات العامة الاردنية ، (بالانجليزية) ، ص ١٣٣ـ١٣٤ ٠ كذلك راجع :
Neuson Glueck , The River Jordan New Haven , 1946 , P. 73.

(١٤) راجع بيركهارت : رحلات الى سورية والارض المقدسة ، ترجمة انور عرفات المعنونة بـ «رحلات بيركهارت : الجزء الثاني ، في سورية الجنوبية» (عمان ، ١٩٦٩) ، ص ٤٥ ٠

(١٥) المصدر نفسه ، ص ٤٥ ٠

يفترض ان تحصل ضريبة العشر بنسبة ١٠ ٪ على الحبوب او المحاصيل الزراعية • ثم زيدت الى ١٢٫٥ ٪ ، لكن الحكومة المركزية في فترة تفسخها شديد ( ولا سيما في نهاية القرن التاسع عشر ) لم تكن تجبيها مباشرة، بل تعهد بها الى الملتزمين • ويقول اوليفانت الذي زار شرقي الاردن عام ١٨٧٩ ان الحكومة كانت تطرح في المزاد العلني قيمة الضريبة التي تترتب على قرية من القرى ، فيبادر المضاربون للمزايدة ، ويأخذون على عاتقهم دفع مبلغ معين عن مجموعة من القرى • وعندما يحصل الملتزم الضريبة من الفلاحين يحصل على ما يساوي ٣٠٪ من قيمة المحاصيل بدلا من قيمة ١٠٪ وهو مقدار الضريبة الحقيقي • ووصف اوليفانت هؤلاء الملتزمين بانهم من اصحاب النفوذ لدى الحكام الاتراك المحليين الذين يشركونهم في اقتسام الغنائم • ويعينون عددا من رجال الضابطة لمرافقة الملتزم اثناء التحصيل « فيهبط على القرى كما تهبط الطيور الجوارح على الفريسة » (١٦) • هكذا . فهناك حصة هامة اخرى من الناتج تتحول الى جيوب الملتزمين •

فضلا عما مر تتحقق عمليا عدة اقتطاعات اخرى تتفاوت وتتنوع اشكالها واسماؤها تبعا للمنطقة والظروف فهناك حيز من الفائض يذهب لاطعام الجنود ولعلف خيولهم • ويقول بيركهارت ان شيخ القرية يجبي لنفسه حصة خاصة من كل فلاح حسب مساحة ارضه للانفاق على ضيافة الجنود • واذا ما زاد عددهم عن قدرة المضافة يوزعون على دور الفلاحين• فيرهقونهم بطلب ذبح الذبائح وينهبون ما يحلوا لهم من بيوت مضيفيهم (١٧) ويشير بيركهارت الى ضريبة الطوارىء ، هذه الضريبة التي يتقاسمها الباشا وحكام المناطق وشيوخ القرى فتعتصر الفلاح الى درجة تضطر معها امرأته لبيع اقراطها واساورها او يضطر هو لبيع ماشيته وبذاره (١٨) •

هناك اراض واسعة في غور الاردن كانت تقع تحت اسم الاراضي المدورة وكانت من قبل اراضي اميرية ينتفع بزراعتها الفلاحون ، الا ان تعرضها لهجمات البدو واجتياح مزروعاتها دفع سكانها الى نقل املاكهم الى املاك السلطان العثماني لحمايتها من تعديات البدو واصبحوا بمثابة شركائه في الارض• المهم بالنسبة لنا هو ان اصحاب هذه الاراضي كانوا مضطرين الى دفع

---

( ١٦ ) راجع لورنس اوليفانت : «ارض جلعاد» ، الترجمة المقتبسة من سليمان موسى في «في ربوع الاردن ، من مشاهدات الرحالة ١٨٧٥ ـ ١٩٠٥» ، (عمان ، ١٩٧٤) ، ص ١٣٦ ـ ١٣٧ وص ١٥١ ـ ١٥٢ •

( ١٧ ) راجع بيركهارت ، المصدر المشار اليه انفا ، ص ٤٦ •

( ١٨ ) المصدر نفسه ، ص ٤٦ •

العشر عن المحاصيل ، بالاضافة الى عشر آخر بصفتهم اصحاب املاك اميرية · اي انهم كانوا يدفعون الخمس من المحاصيل (١/٥) · وهذا شكل آخر من الاقتطاع الاضافي للناتج ( ١٩)

هناك من جهة اخرى الريع المدفوع من الفلاحين المعدمين ( المحرومين من الارض ) للملاك الاقطاعي · ووفقا لبيركهارت كان الفلاح المحاصص يحصل على الارض من المالك مقابل ثلث المحصول (٢٠) ·

ثم هناك القسم المقتطع من الناتج والمدفوع للقبائل الرعوية المهيمنة والمعروف بأسم الخاوة ويدفعها الفلاح مقابل امتناع الاعراب عن الاعتداء على محاصيل القرى ومواشيها · ويقول بيركهارت ان لكل عشيرة بدوية عدة قرى تأخذ منها هذه الخاوة وبذلك يتعهد شيخها بحماية اهالي القرى من النهب والسلب · ويشير الى ان هذه الخاوة كانت تميل الى الزيادة سنويا · ويورد اشهر القبائل التي كانت تقتطع الخاوة من الفلاحين ( في مطلع القرن التاسع عشر )مثل العجيلي ، السردية ، السرحان ، بني صخر ، عنزة · ويلاحظ ان للولاة العثمانيين حصصا معلومة من هذه الفرائض الضريبية ( الخاوة ) ويشير الى ان عشيرة العجيلي كانت تدفع للباشا عشرين كيسا من الحبوب وعشيرة السردية اثني عشر كيسا ، مقابل اطلاق يدهم في جباية الخاوة من القرى (٢١)·

ويصف عودة القسوس في مذكراته ( ١٨٧٧ ـ ١٩٤٥ ) جملة من الضرائب التي كانت تفرضها في النصف الاول من القرن الماضي قبائل العمر على اهالي الكرك في جنوب البلاد فيقول انها كانت تمنع زفاف العروس الى زوجها وتمنع دفن الموتى ما لم تستوفى ضريبة على ذلك ، وكان يأتي احد افرادها الى المزارع الكركي اثناء حرثه ارضه ويبلغه انه شريك له فيما يزرع ولا يعود ثانية الا بعد موسم الحصاد ليأخذ حصته من الناتج (٢٢) ويصف في مكان آخر ان اهالي الكرك كانوا مضطرين الى عقد اتفاقيات مع بعض مشايخ البدو من اجل حمايتهم من مثل هذه الاعتداءات مقابل جعل مقطوع يدفعونه سنويا لهؤلاء الشيوخ · ويشير الى انه تم عقد اتفاقيات كهذه مع شيخ عربان بني صخر وشيخ عرب المناعين واستمرت نافذة المفعول حتى

---

( ١٩ ) راجع سعيد حمادة : النظام الاقتصادي في فلسطين ( بيروت ١٩٣٩ ) ، الفصل الخاص بحيازة الاراضي (موسى دوخان) ، ص ١٠٨ ·

( ٢٠ ) بيركهارت : المصدر السابق ، ص ٤٤ ·

( ٢١ ) المصدر نفسه ، ص ٤٦ ·

( ٢٢ ) عودة القسوس ، مذكرات مخطوطة · القسم الخاص بالفترة التي تسبق انسحاب ابراهيم باشا من البلاد ·

اواخـــر القرن الثامن عشر (٢٣) ٠ كما اتفق اهل الكرك مع شيوخ عشيرة العمر على ان يقطعــوهم ـ اي الاخيرين ـ الاراضي التي استولوا عــليها من بنـــي حميدة مقابل ان يدفع اهل الكرك مدين من الحبوب التي تزرع في تلك الارض سنويا عن كل فدان باسم قطاع ، على ان يقوم بجمع هـــذه الحبوب شخص مـــن المزارعين ، ثم يقدمها لشيخ العشيرة ٠ ولهذا المزارع ان يأخذ نصف كمية الحبوب المزروعة باسم « مباشرة » ٠ ويعدد عودة القسوس الاراضي التي كانت تزرع عــلى هذه الصورة ( ٢٤ ) ٠

يتبين بوضوح انه كان على الفلاحين ،وهم القوة المنتجة الرئيسية في البــلاد ، ان يواجهوا تحديات هائلة للصمــود في الارض ومتابعــة الاستقرار والانتـــاج الزراعي ، فالاقتطاعات والاتاوات المقدمة للسلطة العثمانية على شكل ضرائـــب رسمية وغــير رسمية ، ونهــب الملتزمين والعشارين لهــم ، وخاوات القبائـــل البدوية كانت تذهب لا فقط بالفائض ، بــل باقسام هامة من الانتاج الضـــروري لمواصلة العيش ٠ فضلا على ان نظام المحاصصة كان يبقي الفلاحين المحرومين من الارض في حالة زرية للغاية ٠ وفي ظروف كهــذه ، يصبــح واضحــا ان فرص تطور الانتاجية والقوى المنتجة ذاتهــا كانت ضئيلــة للغايــة واحيانــا دمــدومة ٠ وبالكاد تمكن سكان بعــض المناطق فــي البلاد من حماية انفسهـــم وزراعتهم واستقرارهم ، واقتصر هذا عــلى مناطق محددة في الشمال الجبلي ٠ وحتى في قرى شمال البلاد فانهــا مع توفر ظروف اكثر سلمية لها . كانـــــت تهجر ويذكر اوليفانت ( ١٨٧٩ ) ان ١٥ قرية من مجموع ٧٥ قرية قد هجرهــا اهلها ٠ وان عــدد سكان القرى الستين لم يزد عــن ٢٠ الف نسمة ، كانـــــوا يدفعــون سبعــة الاف ليرة عثمانية سنويا كضرائب (٢٥) ، والواقع ، ان جملة لظروف التي احاطت بالسيطرة العثمانية ، تفسر واقع تركز القرى في المناطـــق الجبلية في شمال البلاد ، قلة عــدد القرى في الوسط ( البلقاء ) والجنــوب (الكرك) ٠

لقد ساهــم ايضا في تدهور القوى المنتجة في البلاد ، فضلا عــن انعـــدام الامن والسيطرة القوية للسلطة ،وسائــل المواصلات والخدمات العامة وجملـــة المرافق الاساسية للبناء التحتي ، واضعــف كل هــذا فرص تطور العــلاقــات البضاعــية التجارية الداخلية ٠



( ٢٣ ) المصدر نفسه ، الصفحات الخاصة بعربان بني حميدة ٠

( ٢٤ ) المصدر نفسه ، القسم المعنون بـ «الحالة بعد خروج ابراهيم باشا من الكرك» ، اي في مطلع النصف الثاني من القرن التاسع عشر ٠

( ٢٥ ) راجع «في ربوع الاردن» مصدر مذكور انفا ، ص ١٣٧ ٠

منذ بداية النصف الثاني للقرن التاسع عشر بدأت السلطة العثمانيه تستعيد سيطرتها شيئا فشيئا على مراكز البلاد الاساسية ٠ فبعد هزيمة ابراهيم باشا واندحار قواته من سورية الى مصر (١٨٤١) مرت البلاد بعقد كامل من الفوضى العامة ومن الهيمنة البدوية وذلك حتى عام ١٨٥١ ، حين شرعت السلطة العثمانية في اعادة ربط البلاد اداريا بالوحدات المجاورة في فلسطين والشام ٠ وهكذا ربطت سنجق عجلون ( الذي كان يضم نواحي الكورة ، بني جهمة ، السرو ، الوسطية ، بني عبيد . الكفارات ، جبل عجلون وجرش ) بمتصرفية نابلس ، والرمثا وقراها بسنجق حوران ، واتبعت منطقة غور الاردن الشمالية بقائمقامية طبريا ٠ وفيما بعد الحق سنجق عجلون برمته بمتصرفية حوران ٠ اما قضاء البلقاء ومركزه السلط فقد تبع متصرفية نابلس من ١٨٨٢ وحتى١٩٠٥، ثم الحق بعد ذلك بمتصرفية الكرك ٠ وكانت الاخيرة ، اي متصرفية الكرك الوحدة الادارية الاقل ارتباطا بالسلطة العثمانية المركزية قد استعيدت السيطرة عليها عام ١٨٩٤ ، بعد ان دخلتها حملة عسكرية طوعتها بدون قتال وربطت المتصرفية بوالي دمشق (٢٦) ٠

رغم ان السلطات العثمانية استعادت سيطرتها على مراكز المناطق الادارية المختلفة من شرقي الاردن في النصف الثاني من القرن الماضي، الا ان هذه السيطرة لم نكن كاملة ابدا ٠ واحيانا رمزية ٠ فهي مقتصرة على بعض المدن والمراكز التي تواجدت فيها القوات العسكرية ، فيما كانت بقية المناطق تعاني من غياب الامن ومن السطو والغزو والاحتراب القبلي ، وحتى الصراع بين العشائر الفلاحية في القرى (٢٧ ) ، مع ذلك يمكن القول ان شيئا من الاستقرار والهيبة قد توفرت ومهدت السبيل للاستقرار الزراعي وللحد من الهيمنة المطلقة للقبائل البدوية ٠ وفي هذه الفترة بالذات كانت القبائل البدوية الكبرى تسيطر على اراض زراعية خصبة ، وتشهد ميول زعمائها لاستثمار الارض والتحول الى اسياد اشباه اقطاعيين ، وكانت البداية المبكرة على ايدي شيوخ قبيلة العدوان،

---

( ٢٦ ) حول التقسيم الاداري لشرقي الاردن في نهاية العهد العثماني راجع «تاريخ الاردن في القرن العشرين » ، مصدر سابق ، ٠ وحول اعادة ربط الكرك بالسلطة المركزية ، راجع مذكرات عودة القسوس ٠

( ٢٧ ) راجع «في ربوع الاردن» ، مصدر سابق ٠ مواقع متعددة من الكتاب ٠

ثم لحقها جزئيا بعض شيوخ بني صخر (٢٨) ·

لكن عودة السيطرة المركزية للعثمانيين على شرقي الاردن ادت بالمقابل ، وفي ظروف ازدياد تفسخ وفساد الامبراطورية ، وازدياد اعبائها الحربية الى مضاعفة النهب والانهاك الاقتصادي للفلاحين · الامر الذي ضاعف من نقمة الفلاحين والسكان المحليين عموما وتسبب في نشوب انتفاضتين فلاحيتين في الشوبك ( ١٩٠٥ ) وفي الكرك ( ١٩١٠ ) · وفي نهاية القرن التاسع عشر كانت السلطات العثمانية تجبي الضرائب لا فقط من القرى والفلاحين وانما من البدو ايضا ·

(٢٨) حدث قبيلة العدوان من تنقلها الواسع النطاق ( بعد ان كان رجالها ينتشرون على مساحة لا تقل عن الف ميل مربع) واستقرت سيطرتها على وادي الاردن وجبل جلعاد حتى نهر الزرقاء ، وجنوبا حتى وادي زرقاء ماعين وشرقا حتى قلعة الزرقاء (في العقد التاسع من القرن التاسع عشر) ، واستثمر شيوخها اراضيهم الخاصة في هذه المناطق (الكفرين ، نمرين تلال جلعاد ··) معتمدين بصورة رئيسية على الفلاحين الغوارنة والبدو «الاقل شأنا» وامتلك شيوخها قطعان البقر والاغنام والماعز · وكانت العدوان اول القبائل الكبيرة استقرارا في البلاد ، مقارنة مع الحويطات وبني صخر الذين بدأوا الاستقرار متأخرين ·

وحتى مطلع القرن الحالي ، كان شيوخ العدوان يتحولون الى زعماء اقطاعيين ، كما تحولت القبيلة من ورائهم نحو الزراعة والرعي المجدود ·

راجع : بيك بصدد الميول المبكرة لشيوخ العدوان نحو الزراعة في «تاريخ شرقي الاردن وقبائلها» ، الجزء الثاني · كذلك راجع القسم الخاص بمؤاب وبلاد الحثيين د · كلود كوندر ( ١٨٨١ ـ ١٨٨٢ ) « في ربوع الاردن » ، مصدر سابق ، ص ١٠٨ ـ ١٠٩ ·

اما بني صخر فقد ظلت حتى ما بعد الحرب العالمية الاولى ، قبيلة بدوية رعوية بشكل رئيسي ، رغم ان القبيلة امتلكت اراض زراعية شاسعة · اما ثروتها الرئيسية فقد كانت من الابل ، (نهاية القرن الماضي) · بدأت ميول الاستقرار الزراعي لدى بني صخر على يد شيوخها ، ولا سيما سطام بن فايز (النصف الثاني من القرن الماضي) الذي اعتنى باراضيه في البلقاء · وقد زرعت اراضيه بالاعتماد على الفلاحين والمرابعين · اما بقية القبيلة فقد واصلت نمطها الرعوي مستفيدة من المساحات الشاسعة من الاراضي التي تسيطر عليها · اما الزبن والهقيس وهما فخذان من بني صخر فقد ابتدأوا متأخرين بالاهتمام بالزراعة ، «ولكن بعد فوات الفرصة ، لان اغنى الاراضي كانت قد تسربت الى ابن الفايز ··» · كما يقول فردريك بيك (ص ٢١٩) ·

اما الحويطات فقد حافظت على طابعها نصف الرعوي ـ نصف الزراعي · وكانت ايضا تستغل اراضيها الزراعية في سهل الشراة في جنوب البلاد بالاعتماد على الفلاحين المرابعين ، حينما تتحول الى التجوال بحثا عن المراعي والدفء ومصادر المياه لقطعانها·

وفي نهاية القرن الماضي كانت العديد من القبائل تتحول الى الزراعة ، بعد الحاق هزيمة بها ومع فقدان ثرواتها من الماشية : بني حسن ، عجرمة ، عباد ، بني عطية «الشمال» ··· الخ ·راجع :

Eliahu Epstein : The Bedouin of Trans Jordan : Their Social and Economic Problems . Royal Central Asian Society Journal vol. 25. April 1938 P.P. 228-236.

بل لقد كانت تباع اراضي كل عشيرة تقاعست عن دفع الضرائب بالمزاد العلني ، وعن هذا الطريق تمكن عدد من التجار واصحاب الاموال من الحصول على مساحات كبيرة من الاراضي • وعن طريق التشريعات والقوانين الجديدة تمكنت الدولة والسلطان العثماني من سلب مساحات كبيرة من الاراضي • فقد استولى السلطان عبد الحميد على مساحات كبيرة من الارض بلغت جميعها حوالي مليون فدان كانت موزعة بين وادي الاردن والحولة بالاضافة الى الخليل وغزة • ووفقا لاوهافن فان ٢٠ الى ٣٠٪ من اراضي سورية الشمالية بقيت حتى عام ١٩٠٧ بيد الفلاحين • وتتفاوت هذه النسبة من مكان الى آخر ، اما في شرقي الاردن فقد بقي ١٥٪ منها في ايدي الفلاحين (٢٩) •

وعلى الرغم من المحدودية والعفوية اللتين وسمتا التحركين المناهضين للعثمانيين ( الشوبك ١٩٠٥ ) والكرك ( ١٩١٠ ) ، الا ان هاذين التحركين اتخذا طابعا شعبيا ومضمونا فلاحيا • وكانت خلفية الانتفاض الفلاحي النقمة والسخط اللذين سببتهما الضرائب واشكال النهب المختلفة واعمال السخرة والتجنيد الاجباري ، والتمهيد لفرض ضرائب جديدة ( عن طريق احصاء الممتلكات والاراضي والنفوس ) • ولقد اتسم قمع الانتفاضتين بالقسوة والقتل بلا رحمة وبنهب الممتلكات والتخريب (٣٠) •

مثلما برهنت انتفاضة الكرك عن عدم قدرة قواها المحركة ولا سيما زعامتها الاقطاعية على التحول الى ثورة عامة تنشر لهيبها في المناطق المجاورة وتقيم سلطتها الخاصة ، جاءت هذه الانتفاضة والتململ العام من السيطرة العثمانية لتمهد الطريق امام تقدم قوات الشريف حسين نحو شرقي الاردن ابان الحرب الاولى بدون عقبات تذكر • فقد كانت الظروف الموضوعية مهيأة للتحرك المناهض للسلطة العثمانية •

---

( ٢٩ ) راجع نبيل بدران : المصدر السابق •

( ٣٠ ) التفسير السطحي لانتفاضة الشوبك عام ١٩٠٥ هو تسخير جنود حامية قلعة الشوبك الاتراك لنساء القرية في نقل الماء • بيد ان الضرائب والعسف العثماني كانت تكمن وراء الانتفاضة • راجع « تاريخ شرقي الاردن وقبائلها » ، ص ١٨٣ ـ ١٨٤ • كذلك راجع «تاريخ الاردن في القرن العشرين» ص ١٦ ، اما ثورة الكرك (١٩١٠ ) الاوسع تحولا والاكثر اهمية فيعزى قيامها في التاريخ الى مصادفات واحداث عرضية والى احصاء النفوس • لكن مضمونها الاجتماعي العميق يظهر واضحا من مراجعة مذكرات عودة القسوس ومن الاغاني الشعبية الرائجة انذاك • فهي قد نشبت بسبب الضرائب والسخرة واشكال النهب المختلفة والتجنيد • راجع بصدد قمع انتفاضة الكرك مذكرات عودة القسوس ، كذلك فردريك بيك ، ص ١٨٤ ـ ١٨٥ •

## تطور العلاقات السلعية والنقدية في شرقي الاردن :

رغم اتسام اقتصاديات شرقي الاردن حتى فترة الحرب العالمية الاولى بطابعها الطبيعي ـ المعيشي ورغم ان اقل بقليل من نصف سكانها كانوا من البدو الرحل وانصاف الرحل • ورغم محدودية الاقتصاد البضاعي والتبادل البضاعي • فان جميع الجماعات السكانية ذات الانماط الطبيعية ( الرعوية والزراعية ) كانت على صلة وطيدة بالتجارة وبالتبادل التجاري مع الخارج • (ويروي لنا صلاح ميريل Selah Merril (١٧٧٥) عن مشاهداته للتجار القادمين من الهند لشراء الخيول او الجمال ( ٣١ ) ، والواقع ان تجارة القبائل مع الخارج كانت قوية منذ فترة بعيدة ، ونعني هنا القبائل الكبيرة ذات السطوة والنفوذ ، التي كانت قادرة لا فقط على تجديد انتاجها بفضل مراعيها الواسعة وهيمنتها على المناطق الخصبة ومصادر المياه ، وانما بفضل اقتطاعها الفائض من الفلاحين من جهة ومن القوافل التجارية وقوافل الحجيج • وبفضل الفائض ذي المصدر الخارجي وبفضل ظروف اقتصادها الرعوي الجيدة ، كان شيوخ هذه القبائل اشبه بالسادة الاقطاعيين ، ويستحوذون على قطعان خاصة منفصلة عن القبيلة • وكانت هذه القطعان موضوعا للتبادل مع الخارج ، لقاء حاجياتهم الاستهلاكية ولقاء سلع البذخ والرفاه • وهذا هو حال القبائل الكبيرة المتعاقبة ، السرحان ، السردية ، عنزة ، بني صخر والعدوان ••• الخ • لقد كانت تجارة المدن السورية والفلسطينية والمصرية مع البدو تجارة مزدهرة • لكن اقتصاد هذه القبائل ذاته ، اي علاقاته لم تكن بضاعية ، بل طبيعية ، شبه مشاعية •

اما اقتصاد الريف الشمالي ، فقد اتسم بسيطرة علاقات الملكية الاقطاعية والبطريركية من جهة ، وكان لهذا الاقتصاد صلات متزايدة مع السوق الخارجي ولا سيما مع فلسطين والشام من جهة ثانية ويبدو ان فترة نهاية القرن التاسع عشر كانت فترة ازدهار الاقتصاد البضاعي والعلاقات البضاعية الداخلية • اذ كانت الظروف الاجتماعية والطبيعية مهيأة لمثل هذا التطور • وكانت الزراعات ذاتها ذات طابع سوقي ـ بضاعي : بساتين فواكه وثمار وخضروات • وكانت

---

( ٣١ ) سيبيع البدو جمالهم وماشيتهم كي يشتروا الحبوب والقهوة والارز والسكر ورؤوس الرماح ، والاقمشة القطنية ، وتستورد مصر اكثر الجمال من سورية والبادية السورية ، وتقوم الجمال بنقل كل اصناف التجارة فيما بين ساحل البحر الابيض المتوسط وحوض الفرات (•••) لكن البدو لا يبيعون الجمال الا بقصد شراء اشياء اخرى يحتاجون اليها (•••) وقد شاهدت قطعان كبيرة من الشياه والحملان ، تعد بالالاف ، وهي في طريقها من سهول البلقاء والكرك الى اسواق القدس او المدن الساحلية •••» راجع ، صلاح ميريل : الى الشرق من الاردن (١٨٧٥) ، « في ربوع الاردن » ص ٨٣ •

المنتجات تنقل على ظهور الدواب لتسوق في السلط ، المدينة الاكثر بضاعية واكثر تطورا في العلاقات البضاعية ـ النقدية (٣٢) · وقبيل الحرب الاولى كانت شرقي الاردن مصدرا رئيسيا لتصدير الحبوب الى فلسطين ، هذا ما يلاحظه المندوب السامي البريطاني هربرت صموئيل في تقريره الى اللورد كرزون وزير المستعمرات البريطاني آنذاك (٣٣) ·

اما في جنوب البلاد ، فقد شهدت الكرك وعشائرها بعيد خروج ابراهيم باشا من بلاد الشام فترة صعود وتطور اقتصادي بارز · اذ استفاد اهالي الكرك من النزاعات البدوية من حولهم التي اتاحت لهم فرصة رص صفوفهم ثم تحالفهم ( سكان الكرك ) مع عشائر العمر في مواجهة بني حميدة ، وبذلك تمكن الكركيون من استغلال اراضي العشيرة الاخيرة الواقعة شمال الكرك بعد ان اقطعتهم اياها عشائر المر (٣٤) وامكن فيما بعد اجلاء بني حميدة عن المنطقة · وفي حوالي منتصف القرن الماضي حاول بنو حميدة ، وقد كادوا يخرجون نهائيا من اراضي الكرك ، استعادة نفوذهم واراضيهم فخاضوا عدة معارك في هذا السبيل · لكن هذه المعارك ( وابرزها معركة شيحان ) كانت تنتهي بعقد صلح ينتهي بتخلي بني حميدة عن جانب من الاراضي الواقعة شمال الكرك ( ٣٥ )· وكان الاخيرون جريا على القسمة التقليدية بين عشائرها يقسمون الاراضي الجديدة الى ثلاثة اقسام، اي بعدد فرق عشائرها : « عشائر الشراقا ، عشائر الغرابا ، العشائر المسيحية » · وقد انتهزت عشائر الكرك هجوما شنته بني حميدة على حلفائها العمر ، وتمكنوا (في واقعة قدومة) من دحر بني حميدة كليا عن الاراضي المحيطة بالكرك فكان هذا فاتحة عهد تحول عشائر الكرك الى قوة كبيرة يحسب حسابها في جنوب البلاد (٣٦) ·

وهكذا تحولت الكرك الى مركز هام لزراعة المحاصيل الزراعية في بلاد مؤاب والشراة وحتى الحجاز (٣٧) ، وزاد من بأس اهالي الكرك انهم عقدوا بضعة معاهدات مع اكبر العشائر الى الجنوب وهي بني عطية ومع اهالي معان الشامية

---

( ٣٢ ) راجع : مسح وادي الاردن ، مصدر مذكور آنفا ، ص ١٣٥ ·

( ٣٣ ) راجع : تأسيس الامارة الاردنية ١٩٢١ ـ ١٩٢٥ ، مصدر ذكور آنفا ، ص ٧٤ ·

( ٣٤ ) المصدر : مذكرات عودة القسوس ·

( ٣٥ ) المصدر نفسه ·

( ٣٦ ) المصدر نفسه ·

( ٣٧ ) المصدر نفسه ·

والشوبك وبني صخر والحجايا والسلايطة • ولقد اثار هـذا التطور الملموس في مكانة ووضع عشائر الكرك مخاوف الحويطات القبيلـة البارزة الى الجنوب والجنوب الغربي من الكرك ، فشنت الاخيرة حربا على اهالي الكرك ، لكـن الحويطات وحلفائها لم يلبثوا ان اندحروا منسحبين الى مواقعهم التقليدية فـي وادي موسى • وظل العداء المتبادل والغزو يحكم علاقات اهالي الكرك مـع الحويطات الى عام ١٨٩٠ حين عقد صلح بين الطرفين (٣٨) •

في هذه الظروف تطورت الزراعة في الكرك وفي مناطق اخرى من الجنوب تطورا ملموسا • ويبدو ان النصف الثاني من القرن الماضي قد شهد تفسخ العلاقـات المشاعية التي تحكم الزراعة وملكية الاراضي • اذ كانت الاراضي الزراعيـة مقسمة ، كما اسلفنا بين ثلاث فرق من العشائـر ، وكانت كل ارض تكتسب في الصراع مع القبائل والقرى المجاورة تقتسم بنسبة الثلث لكل فرقة من عشائـر الكرك • لكن الاطماع التي كانت تنتاب عشائر الفرق القوية ، كانت تمنع احيانـا من اقتسام الاراضي وفق التقليد السابق • ولذا كان هذا يؤدي الى التنازع على الاراضي ، والى هجرة العشائر المغلوبة والغاضبة من الكرك ولا سيما عشائـر المسيحيين ، وكان هذا مدخلا لاستزراع واستيطان مادبا وماعين ومناطق اخرى ابتيعت من بني صخر او غيرها من القبائل (٣٩) • كما يبدو ان التمايز الطبقـي قد بلغ في اواخر القرن التاسع عشر في الكرك مداه ، اذ كانت الاسر والعشائـر النافذة تستقطع الضرائب على التجارة ، ولا سيما على المحاصيل الخارجة منها • كما كانت تعتدي على اموال وممتلكات العشائر الاضعف • لكن قبيل دخـول العثمانيين الى الكرك ، واثر هزيمة لحقت بعشائرها على يد احدى عشائر بنـي صخر « الزبن» كانت الكرك قد ضعفت فاصبحت تتعرض لغزوات عشيرة الزبن وتنهب مواشيها ومحاصيلها ، دون ان تستطيع ان ترد على هذا التحدي (٤٠) •

بعد ان دخلت القوات العثمانية الى الكرك سلميا ( ١٨٩٤ ) عينت مجلسا لادارة البلدة من شيوخها النافذين تحت رئاسة المتصرف العثماني • وفرضـت عليها ضريبة الويركو ، وكانت تقطـع مـن كـل السـكان العشر ( او العشا ) وتقتطع من الفلاحين • وكانت تحصل بنسبة الثلث من كل فرقة من عشائرهـا •

---

( ٣٨ ) المصدر نفسه ، القسم الخاص «بحرب الحويطات واهالي الطفيلة ومعان ووادي موسى» •

(٣٩) المصدر نفسه ، «كيف نزحت عشيرة الهلسا الى البلقاء ، نزوح اهالي مادبا من الكرك ، كيف استوطن اهل قرية ماعين فيها ؟» •

( ٤٠ ) المصدر نفسه : «حرب عشيرة الزبن من بني صخر» •

وتقوم العشيرة بتوزيع الضرائب على افرادها بنسبة الخانات (٤١) ٠

دخلت العلاقات السلعية طورا جديدا من التطور بعد سيطرة العثمانيين على الكرك ، ويبدو ان التجارة والحرف كانت مقصورة من قبل على المسيحيين ، وهي في معظمها بيدهم ٠ واستنادا الى رواية عودة القسوس فان المتصرف العثماني حسين حلمي باشا كان يعمل على تشجيع « الاغراب » للعمل في البلدة فقدم اليها بعض التجار من الشام وفتحوا لهم فيها مخازن وكانت تجارتهم تتألف من انواع البقالة (٤٢) ، وفي السنوات الاخيرة من القرن الماضي وفي مطلع القرن الحالي ، اخذت القرى تظهر كمراكز ثابتة للفلاحين وسط اراضيهم الزراعية ، وجرى شق بعض الطرق ، وبناء المخازن والمحلات والمساجد والاديرة٠ كما اقيمت محاكم نظامية ٠ ويسرد عودة القسوس تفاصيل فساد المتصرفين المتعاقبين على الكرك في هذه الفترة الوجيزة ، وعن تلقي معظمهم الرشوة علنا ٠

المدن والبلدات كمراكز للتبادل البضاعي :

كانت السلط منذ فترة مبكرة البلدة الاكثر اتساما بطابعها البضاعي والتجاري في البلاد ٠ فقد كانت تعد نحو ٢٠ الف نسمة بعد الحرب الاولى (١٩٢٢) في حين تراوح عدد سكان القرى والبلدات الاخرى بين ٤٠٠ر٢ نسمة و٠٠٠ر٦ نسمة (٤٣). لقد تطورت السلط بفضل صلاتها التجارية مع البدو من جهة ومع فلسطين من جهة ثانية ، ومن اتخاذها مركزا اداريا للعثمانيين في النصف الاخير من القرن الماضي ٠ ولقد وصف الرحالة المتعاقبون طابعها الزراعي ــ الحرفي ــ التجاري المبكر ٠ ويصف بيركهارت (١٨١٢) اقتصاد السلط فيقول ان القسم الاكبر منهم مزارعون وقلة منهم حائكو ثياب ، ويوجد حوالي عشرين حانوتا تبيع بالجملة بضائع لتجار الناصرة ودمشق ونابلس والقدس ، كما تزود البدو باصناف اللباس والاثاث ، اما المحصول الزراعي فهو يتالف من القمح والشعير ، حيث تباع المحاصيل الفائضة عن الحاجة الى البدو ، وتزرع كميات كبيرة من العنب الذي يجفف ويباع في القدس كما يجمع اهالي السلط اوراق السماق الذي يجففونه ويبيعونه لمدابغ الجلودفي القدس ٠ حيث يصدر سنويا ما يزيد على خمسماية حمل جمل من اوراق السماق بسعر ١٥ الى ١٨ لكل ١٢٠ رطل انجليزي

---

( ٤١ ) المصدر نفسه : «دخول العثمانية بلاد الكرك» ٠

( ٤٢ ) المصدر نفسه : «طريقة حسين حلمي باشا (المتصرف) في الحكم » ، «بعد حسين حلمي باشا» ٠

(٤٣) تقرير نيابة العشائر (١٩٢٢) راجع الجدول رقم (١) في هذه الدراسة ٠

(٦٠ كغم) ··· الخ (٤٤) · كما يستثمر القلى المستخدم في صناعة الصابـــون وتصدر منه كميات كبيرة الى نابلس ، توازي حمل حوالي ثلاثة الاف بعير فـي السنـــة (٤٥) ·

في عام ١٨٧٩ قدر اوليفانت عدد سكان السلط بـ ٦٠٠٠ نسمة ، حيث اصبـــح فيها مركز حكومي للسلطة العثمانية ، وعدد من المدارس ولكنه لاحـظ ضالـــــة الاراضي المستغلة بالنسبة لمساحة الاراضي الصالحة للزراعة (٤٦) · امـــــا جودريش ـ فرير Goodrich Freer فيصف تطور السلط عام ١٩٠٣ اذ بلغ عدد سكانهـا ٠٠٠ر١٠ نسمة وهي مركز القائمقام ، وفيها مكتب للتلغراف (٤٧)
وبعيد الحرب وصف تقرير المندوب السامي البريطاني في فلسطين السلط والبلقاء فاشار الى وجود مدارس للارساليات المسيحية في المدينة وان التعليم الحكومـي في البلقاء شبه معدوم لصعوبة العثور على معلمين واشار الى توفر اشكال متواضعة من الخدمة الطبية في المدينة ( طبيب واحد في السلط وآخر في عمان ) ، ويعمـــل التلغراف من عمان الى السلط والقدس ، ويرسل رجـــــال الدرك البريد مرة في الاسبوع من المدينة الى القرى الاخرى (٤٨) ·

كانت عمان المركز الثاني المهم للتبادل البضاعي بعد السلط قبيل الحرب الاولى· تطورت عمان من مجرد نبع ماء تروي القبائل المجاورة ( بيركهارت ١٨١٢ ) (٤٩)، الى قرية صغيرة ذات نشاط زراعي قام على اكتاف المهاجـــرين الشركس ( اوليفانت ١٨٧٨ ) (٥٠) ، ثم الى سوق محلي للمبادلة ذات النمط المشاعـــي ( المقايضة ) ، ثم الى سوق تجاري قام بفضل انتقال عدة اسر من الشام وفلسطين

---

( ٤٤ ) بيركهارت : مصدر مذكور آنفا ص ٧٩ ·

( ٤٥ ) المصدر نفسه ، ص ٨٢ ·

( ٤٦ ) راجع «في ربوع الاردن» ، ص ١٤١ ·

( ٤٧ ) المصدر نفسه ، ص ٢٦١ ·

( ٤٨ ) راجع «تأسيس الامارة الاردنية» ، ص ٧٣ ـ ٧٤ ·

( ٤٩ ) بيركهارت : المصدر نفسه ، ص ٨٢ ·

( ٥٠ ) «في ربوع الاردن» ، ص ١٤٦ · ويصف د· عبد الكريم غرايبة عمان في القرن الماضي فيقول : «لم تكن عمان مسكونة في ذلك الوقت بل بقيت مجرد مجرى ماء يرده العربان الى ان استقر بها الشركس عام ١٨٧٨ وعمروها كما عمروا جرش والزرقاء ووادي السير» ·

اليهـا ( ٥١) ٠ وكانت البلدات والقرى التالية مواقع للانتاج والعلاقات البضاعية ( البدائية والمتطورة ـ النقدية ) : ـ اربد والرمثا وكفرنجة وسوف في الشمال ، الكرك والطفيلة ومعان في الجنوب ، وادي السير ومادبا في الوسط ( انظر جدول رقم (١) ، الخاص بتعداد السكان لعام ١٩٢٢ ) ٠

جـــدول رقم (١)

عدد سكان البلدات والقرى والعشائر في شرقي الاردن ( ٢٣ آب ١٩٢٢ )

١ ـ لواء البلقاء : يضم ١٥ بلدة وقرية وعدد سكانه ٦٠٠ر٣٩ نسمة ٠

عدد سكان اهم البلدات والقرى
السلط : ٠٠٠ر٢٠ نسمة
عمـان : ٤٠٠ر٢ نسمـة
وادي السير : ٢٠٠ر٣ نسمة
مادبـا : ٤٠٠ر٢ نسمـة

٢ ـ لواء عجلون : يضم ١٠١ بلدة وقرية وعدد سكانه ٣٣٠ر٦٩ نسمة ٠

عدد سكان اهم بلداته :
اربـــد : ٣٥٠٠ نسمة
الرمثـا : ٤٥٠٠ نسمة
كفرنجـة : ٣٢٠٠ نسمـة
ســوف : ٣٢٠٠ نسمـة

---

( ٥١ ) كان عدد سكان عمان عام ١٩١٢ لا يتجاوز ١٨٠٠ نسمة كما يشير احد الذين مروا بها ، ويصف خير الدين الزركلي عمان حين اقام فيها عام ١٩٢١ : « لم تكن عمـــان في ذلك الحين اكثر من قرية قليلة السكان ضئيلة المباني مظلمة السبل ٠٠٠ ولا يدل على امكانية الحياة فيها غير توسطها بني صخر وبني عباد والعدوان يردون عليها بين الفترة والفترة ويبيعون فيها بعض ما تنتجه ماشيتهم ويبتاعون ما يكتسبون ، فللتجارة فيهـا شبه سوق ٠ ولولا ذلك لانفرد بسكنها جماعات من الشراكسة نزحوا اليها حوالي ١٢٩٠ للهجرة ، كما انفردوا بكثير مما حولها من قرى ومزارع هم اصحابها اليوم غير منازعين، ولكن ابتغاء الربح وطلب الكسب هما اللذان حملا الى عمان تجارمن دمشق ونابلس افتتحوا فيها حوانيت صغيرة يقصدها اهل الخيام والاكواخ من البداوة الضاربين حولها والمقيمين في ما جاورها من القرى واصبح لها شيء من الشأن » ٠

٣ ـ لواء الكرك : يضم ٨ قرى وبلدات وعدد سكانه ٥٠٠ر١٣ نسمة

عدد سكان اهم بلداته :
الكـرك : ٠٠٠ر٣ نسمة
الطفيلـة : ٢٥٠٠ نسمـة

مجموع عدد سكان البلدات والقرى في الالوية الثلاث ٤٣٠ر١٢٢ نسمـــة

٤ ـ تعـداد العشائـر

| القبيلة | عدد النفوس | عدد بيوت الشعر |
|---|---|---|
| بني صخر | ٥٠٠ر٢٧ | ٥٠٠ر٥ |
| العدوان وعشائر البلقاء | ٠٠٠ر٥٢ | ٤٠٠ر١٠ |
| بنو حميده وحجايا وصليـط | ٥٠٠ر٧ | ٥٠٠ر١ |
| عشائر الكرك والطفيلة | ٩٥٠ر١٥ | ٥٩٠ر٣ |
| المجمـــوع | ٩٠٠ر١٠٢ | ٥٩٠ر٢٠ |

( × ) لم يشمل التعداد منطقة معان ـ العقبة ، ولا العشائر الضاربة فيهـا ، واهمها الحويطات حيث لم تضم هذه المنطقة الى امارة شرقي الاردن عام ١٩٢٥٠

المصدر : تقرير نيابة العشائر ، راجع : سليمان موسى : « تأسيس الامـــارة الاردنية ٢١/١٩٢٥ » ( عمان ، حزيران ١٩٧١ ) ص ١٧٧/١٧٨ ٠

ساهم في تطوير العلاقات البضاعيـــة والانتاج البضاعي في مطلع القـــرن العشرين ، انشاء الخط الحديدي الحجازي ( ١٩٠٠ ـ ١٩٠٨ ) الذي شق البلاد من الشمال الى الجنوب وربطها بسورية وتركيا شمالا وبالجزيرة العربية جنوبا٠ وقد كان هذا الحدث احد الدوافع الهامة لجملة من التطورات الايجابية بالنسبة لشرقي الاردن ، اذ الحق ضربة قاسمة بالهيمنة البدوية وبتهديدها للقرى الزراعية واضفى مزيدا من الامن على المنطقة وشد أوصال مناطق البلاد الى بعضهـــا البعـض وساعد على تطور الاستقرار الفلاحي ( وحتى البدوي فيما بعد ) ، وعلى امتداد الخط في الاراضي الاردنية نشأت العديد من البلدات والقرى ، التي ظهرت اولا كمحطات (قامت ١٩ محطة ٠ بالاضافة الى مستودعين في عمان ومعان والى مصنع صغير للترميم والصيانة في معان ) (٥٢) ٠ قاومت القبائل المهيمنة العمليات

( ٥٢ ) راجع «تاريخ الاردن في القرن العشرين» ، مصدر سابق ٠

الانشائية للخط الحديدي وهاجمته مرات عديدة (٥٣) ، فقد كان انشاؤه يمنع عنها الاعطيات السنوية والرسوم واجور تأجير الدواب وغير ذلك من الدخول • لقد ساعد انشاء الخط الحديدي الحجازي على انتعاش العلاقات البضاعية والنقدية وعلى ربط البلاد بالسوق الخارجي ووسع نطاق التجارة ، وكون ظروف مناسبة لتطور الاسواق المحلية • لكن من جهة اخرى قوى قدرة السلطة المركزية على القمع والبطش بالسكان المحليين وعلى تشديد استغلالهم • ولقد تبدى هذا بوضوح في سنوات الحرب العالمية الاولى وقبلها ، فاستخدم الخط (الذي كان يتزود بوقوده من الاخشاب المقطوعة من الغابات والاحراش ، التي اتلفت اتلافا شديدا ) في نقل المحاصيل والمواد التموينية والحيوانات المصادرة من السكان ، وفي نقل المكلفين بالجندية (٥٤) •

ومن التطورات الهامة من حيث اثرها على الاقتصاديات المحلية وعلى التبادل البضاعي ، ان الحكومة العثمانية امرت باستبدال العملة الذهبية بالعملة الورقية، ودفعت مقابل المواد والمحاصيل المصادرة اثمانا بخسة بهذه العملة الورقية ، ولم تبق للمزارعين سوى كمية من البذار واخرى لاستهلاكهم الخاص (٥٥)•

كما ان الحصار الذي ضرب على الموانىء العثمانية ، ادى من جهة ثانية الى فقدان المواد التموينية الاساسية الاخرى كالارز والسكر والمحروقات وارتفعت اسعار الاقمشة (٥٦) ، فكان الجو مؤاتيا للتجار الذين استفادوا من حاجة

---

( ٥٣ ) ابتدأ العمل في الخط الحديدي الحجازي من دمشق في نيسان ١٩٠٠ وقام بالعمل بصورة دائمة نحو ثلاثة الاف رجل و٢٠٠ مهندس واعتمد العمل على الجيش التركي (من الفيلق الخامس) • وقد شن البدو على عمال ومهندسي الخط ومنشآته هجمات قوية ومزعجة بقصد احباط المشروع • راجع «تاريخ شرق الاردن وقبائلها» ، مصدر سابق ، ص ١٩٠ • اما اكبر المضايقات التي تعرض لها الاتراك قبل الشروع في مد الخط الحديدي فهي في جنوب البلاد ، حيث اصطدمت القوات التركية بالحويطات في مناطق معان والطفيلة والشراة وفي الصحراء شرقا ، ونتيجة للهجمات البدوية هذه سقط من القوات العثمانية ما يزيد على ٣٠٠ جندي • وقد تميزت السنوات الاخيرة من القرن الماضي بصراعات قوية بين الحويطات والسلطات العثمانية حسمت عام ١٨٩٦ لصالح الاخيرة ، غير ان الصراع ظل يتجدد مع مطلع القرن الحالي • راجع عدنان العطار : «الحويطات من كبرى قبائل العرب» ص ٧٤_٧٦ •

( ٥٤ ) راجع : «تاريخ الاردن في القرن العشرين» •

( ٥٥ ) المصدر نفسه •

( ٥٦ ) المذكرات المخطوطة لعودة القسوس • القسم الخاص بـ «الحرب العظمى» •

المواطنين الى هذه المواد والسلع ، فكانوا يبيعونها باضعاف ثمنها • بالاضافة الى زيادة اعتماد السكان على المبادلة البضاعية والسوق بعد حصولهم على العملة الورقية بدلا من محاصيلهم الفائضة وبدلا من العملة الذهبية •

**٢ ـ البنى الاجتماعية في شرقي الاردن في مطلع القرن العشرين •**

أ ـ التركيب الاجتماعي للريف الاردني •

من الصعب النظر الى الريف الاردني قبيل الحرب الاولى كريف متجانس التركيب الاجتماعي ، فهو كما بينا يجمع ما بين انماط اقتصادية متعددة : المشاعي والاقطاع الشرقي والبضاعي الصغير • وفي معظم المناطق كان نمط الانتاج الاقطاعي يتطور ويترسخ ولا سيما في نهاية الحكم العثماني • والى جانبه كان نمط الانتاج البضاعي البسيط ، كنتيجة لتفسخ الملكية المشاعية وتطور العلاقات البضاعية •

نجد ان جذور الاقطاعية الشرقية قوية في مرتفعات الشمال وحتى ما قبل قرن من هذه الفترة ، حينما زار بيركهارت شرقي الاردن عام ١٨١٢ ، كانت الملامح العامة للتكون الاقطاعي بارزة على الرغم من التقهقر الاقتصادي العام (٥٧) ، ويبدو النمط الاقطاعي للانتاج في البلاد ، ثمرة لطريقين ، طريق تطور الشيوخ العشائريين الى اقطاعيين ، حيث تنفصل القمة او الاسرة النافذة عن باقي القبيلة او العشيرة وتتحول الى اسرة اقطاعية تحظى باقتطاع الريع من فلاحيها ، وهي غالبا ما تكون بمثابة المتعهدة للوالي بجمع الضرائب ، سواء اكان الوالي تابعا للسلطة العثمانية المركزية او متمردا عليها • او يكون النموذج الاقطاعي مزروعا عن طريق الدولة العثمانية نفسها ، اي الاقطاعيات العسكرية التي تمنح في البداية ثم تورث لاسرة الاقطاعي العسكري المتوفي ، بيد ان النموذج الاقطاعي في شرقي الاردن تطور بشكل رئيسي وفق الطريق الاول وليس الطريق الثاني ، لاسباب متعلقة بطبيعة البلاد وكثرة التغييرات وانعدام الامن وضعف السيطرة العثمانية ذاتها •

من الصعب احيانا تمييز نمط الملكية والانتاج الاقطاعي عن نمط المرحلة الاخيرة من المشاعية ، اي المرحلة التي تشهد تمايز الارستقراطية عن باقي السكان بملكيتها الشخصية للارض • اذ يبدو ان السمات القبلية للشيخ تظل حية لدى الزعيم الاقطاعي ، ولا سيما في المجال الاجتماعي ، لكن الشواهد المختلفة خلال القرن

---

( ٥٧ ) بيركهارت ، ص ٣١ ـ ٣٢ •

الماضي اظهرت ان التحول نحو الاقطاعية هي عملية جارية في كل بقعة زراعية في البلاد (٥٨) ٠

هكذا نجد ان الاسر الاقطاعية في مناطق الشمال تتوارث الارض والسلطة السياسية في مناطقها ٠ كما نجد ان العملية نفسها قد نشأت بشكل او باخر في وسط البلاد وفي الجنوب ٠ وقد ترك لنا بيركهارت وآخرون ( ولا سيما فردريك بيك) نبذة عن الاقطاعية في شرقي الاردن والقرى التي تتبع سيطرتهم ٠ وغالبا ما يشكل كبار الملاك الذين يملكون نفوذا عشائريا في مناطقهم مجالس ادارة برئاسة حاكم عثماني (٥٩) ٠

ولا تقتصر مصادر ريع الاقطاعي على حصته من انتاج الفلاح عينا ( وهي توازي الثلثين كما يصف بيركهارت ) وانما تكمن ايضا في نظام التحصيل الضريبي العثماني الذي يتيح هامشا واسعا من اقتطاع الناتج عن طريق الاحتيال او الجبر ، ولا سيما عن طريق الالتزام ٠ الى جانب النموذج الاقطاعي الشرقي يتواجد دوما النموذج البضاعي الصغير والقائم على الملكية الصغيرة ٠ وكان المنتجون القرويون في حالة متردية جدا في اغلب الاوقات ٠

ويتحدد التركيب الاجتماعي في القرى ذات التقاليد الزراعية الراسخة بوجود اسرة اقطاعية ذات نفوذ عشيري او قبلي قديم ، وهي غالبا ما لا تكتفي بالمعايير المادية للنفوذ القائم على الثروة ، كعدد الفدادين والحيوانات التي تملكها ، بل تحرص على تمايز اصولها القبلية ، وتدعي انتماءها الى احفاد قبائل عربية والى احفاد صحابة النبي محمد (٦٠) ٠

ويندرج في عداد الفئة المحيطة بالقمة الاقطاعية رجال الدين والقضاء وكبار

---

( ٥٨ ) ابرز الاسر والعشائر التي اخذت تتكون اقطاعيا في شمال البلاد : الفريحات في جبل عجلون ، العبيدات في الكفارات ، الشريدة في الكورة ، النصيرات في بنو عبيد، العزام في الوسطية ، الروسان في السرو، البطانية في بنو جهمة ، الزعبية في الرمثا ، راجع فردريك بيك ، ص ١٦٥ ٠

وفي البلقاء وغرب البلاد كان شيوخ العدوان يتحولون الى اقطاعيين ٠ شيوخ الفايز من بني صخر ، شقوا الطريق نفسه ، كذلك شيوخ المجالي والعشائر النافذة في الكرك وقراها ٠٠٠ الخ ٠

( ٥٩ ) عام ١٨٩٢ قام مجلس ادارة متصرفية الكرك من الشيوخ النافذين في الكرك ٠ برئاسة المتصرف العثماني ٠

( ٦٠ ) راجع فردريك بيك ، الجزء الثاني ، الخاص بقبائل شرقي الاردن ٠

الموظفين والتجار ، وهم غالبا ليسوا من اهل البلاد • في حين يشكل قاعدة الهرم الاجتماعي للريف ، الفلاحون اساسا والحرفيون واصحاب الدكاكين الصغيرة ، في البلدات والقرى الكبيرة ، اما باقي القرى فغالبا ما تخلوا من هذه الحرف ، حيث تقوم الصناعات المنزلية وتلبى الحاجات ذاتيا •

يلعب الانتماء القبيلي والعشيري دورا هاما في تشكيل نظام التراتب الاجتماعي والسمعة الاجتماعية ، حيث تنقسم القرية الى حارات او احياء تسكنها الاسر المنتمية الى عشيرة واحدة •وهكذا هناك احياء بعدد العشائرالمتواجدة في القرية الواحدة (٦١) ، ولا حاجة للتأكيد على ان التراتب والتمايز على اساس عشيري يطمس في مجال الوعي عملية ادراك التمايز الاجتماعي النامي في الريف ، وتلعب المعايير والقيم القديمة دورا في بث العزاء لدى الفلاحين الفقراء على وضعهم ،اما الزعماء الاقطاعيون فغالبا ما يطمسون هذا التمايز بتوجيه الانظار الى التناقضات الخارجية ، كالتناقضات العشيرية بين القرى وداخل القرية الواحدة ، والى خطر الغزو البدوي ، او الى الدولة المركزية •

يعطي الوضع عشية الحرب الاولى صورة اجمالية لريف شرقي الاردن قوامها تعزز تبلور الاقطاعية ذات بقايا الزعامة القبلية في الشمال والوسط والجنوب ، واتجاه الارستقراطية القبلية ( زعامات القبائل الرعوية ) للتحول الى اقطاعيين ملاكين للاراضي • ومن اكبر القبائل التي قطعت شوطا في هذا المجال ، العدوان التي امتلك شيوخها اراض شاسعة في وادي الاردن (٦٢) •

## ٢ ـ التركيب الاجتماعي اللازم للنموذج الاقتصادي المشاعي ـ الرعوي :ـ

يتسم التركيب الاجتماعي لهذا النموذج بالبساطة المتناهية ، فهو مبدئيا يمكن حصره في وجود قمة الارستقراطية قبيلة او عشيرة وقاعدة القبيلة نفسها ، وتتكون هذه القمة من الاسر الاكثر نفوذا في العشيرة او القبيلة والتي تحظى

---

( ٦١ ) راجع على المحافظة : «تاريخ الاردن المعاصر» (عمان ، ١٩٧٣) ، الباب الثالث : الحياة الاقتصادية والاجتماعية في عهد الامارة •

( ٦٢ ) في الواقع كفت العدوان عن اتسامها بالطابع البدوي المترحل منذ فترة طويلة تعود الى الربع الاخير من القرن الماضي • واخذت صفة الاستقرار في الارض والتحضر• واتجه شيوخها وجهة التطور الاقطاعي • « ان شيوخ العدوان اكتسبوا مساحات واسعة من الاراضي الخصبة في وادي الاردن وهضاب البلقاء واستخدموا الفلاحين والمرابعين للعمل في اقطاعاتهم الواسعة ، ان نظامهم الاقطاعي الذي اسسوه هناك ما زال باقيا حتى يومنا هذا» •• راجع الياهو ابشتاين ، مصدر مذكور آنفا •

بتعاقب أو توارث القيادة السياسية والعسكرية للقبيلة ، وحيث تتحكم في هـذا التعاقب جملة من الشروط : علاقات الدم ( القرابة ) ، نبل المحتـد والملكيـة الشخصية ، والشروط الاخرى التي لا بد منها في المجتمع القبلي للزعامة، كالخبرة والحكمة وفن القيادة السياسية والعسكرية ، اي السمات المبنية على الكفاءة ٠

هكذا نجد في التركيب القبلي الملازم لهذا النموذج قمة ارستقراطية قبليـة وقاعدة قبلية ، اي سائر الافراد العاديين ، اي ان التمايز الاجتماعي او التراتب الرئيسي ينحصر مبدئيا في انفراز القمة القبلية القائـدة ، شيوخ العشيرة او القبيلة ، واساس هذا الانفراز هو تحول هذه القيادة الى حكر اجتماعي لاسرة او بضع اسر ، اي تحول القيادة الاجتماعية الى وظيفة ثابتة ، الى احتراف يبـرر الحصول على فائض ما ، ويبرر وجود قطعان خاصة بالشيوخ كملكية خاصـة ، عن قطعان بقية القبيلة او العشيرة ٠ نجد ايضا لدى هذه الفئة في القمة ملكيـة خاصة مبكرة للارض حيث يبدأ الشيوخ بالاستحواذ على الارض وزراعتهـا واستخدام الفلاحين كمحاصصين قبل ان تتحول القبيلة باسرها الى زراعـة الارض ولو جزئيا ، هذه الحقيقة مشهودة لدى العديد من القبائل في مراحـل مختلفة ٠

لكن في الحقبة التي نحن بصددها ، كانت القبيلة الرئيسية التي تمثل هـذا الوضع هي بني صخر التي ما زالت قبيلة رعوية فيما يمتلك شيوخهـا الارض ويستثمرونها بشكل اقطاعي او شبه اقطاعي ( محاصصة مع الفلاحين ) (٦٣ )٠

لا يقتصر التركيب الاجتماعي لدى القبيلة الرعوية على هذا التمايز ما بين قمة ارستقراطية قبلية وقاعدة رعوية مشاعية ، بل يوجد تراتب متعدد المستويات داخل القبيلة نفسها ، بيد ان شكل ومستوى هذا التراتب يتعلق بالوضع الملموس لكـل قبيلة او عشيرة ، لذا لا نستطيع ان نكرس تراتبا نموذجيا ثابتا بل نشير فقط الى التمايز القائم على الوظائف الاجتماعية ــ الاقتصادية والعسكرية ٠ فمثلا نجـد ضمن القبائل الرعوية مستوى معين من تقسيم العمل يكرس بدوره تمايـزا بيـن فئات العمل في الانتاج « الوضيع » ، وما بين الانتاج « المحترم » وهناك تقسيـم متعلق بالافراد المقاتلين والاخرين المعنيين بالانتاج السلمي (٦٤) ٠

---

( ٦٣ ) مترك بنو صخر الفلاحين المنتزعي الملكية في اراضيهم ، لكنهم جمعوا منهم بانتظام الاتاوات ، فيما استمروا ــ اي بني صخر ــ في حياة التجوال في الصحراء ، يرعون الابل والاغنام ، متنقلين من مرعى الى اخر (٠٠٠) ان اول شيخ لبني صخر كان مهتما بالزراعة هو الشيخ سطام بن فايز ٠٠٠ (الذي) اشرف شخصيا على ادارة اراضيه في ام العمد الى الشمال الشرقي من مادبا ٠٠٠، راجع الياهو ابشتاين ، المصدر نفسـه ٠

( ٦٤ ) راجع على المحافظة ، مصدر سابق ، المدخل ٠

هناك ايضا تراتب معين اخر فيما بين القبائل الرعوية عموما ، ما بين رعاة الابل ورعاة الاغنام ، ورعاة الماعز ورعاة البقر (٦٥) ، ان التراتب الاجتماعي بين هذه القبائل له اساس اقتصادي معتمد على نوع الحيوان الذي تعتاش القبيلة على رعايته ، يحدد كفاءتها وقدرتها على الحركة ، وبالتالي على القتال هجوما او دفاعا عن النفس ، الامر الذي يقرر قابلية سيطرتها على الاخرين او خضوعها للاخرين ، كما يحدد هذا التقسيم درجة استقرارها ومقدرتها على الغزو ورد الغزو • ان هذا النمط من التراتب يساعد على فهم المكانة التي حظيت بها بني صخر عند بداية تأسيس الاردن كقبيلة كبيرة من رعاة الابل ذات بأس وسطوة عسكرية غاشمة قادرة على فرض سيطرتها على القبائل الاخرى ، في حين انها بمعيار التقدم الاجتماعي والاقتصادي التاريخي كانت في اخرقائمةالقبائل المحلية، فلا تقارن مثلا بالعدوان التي سبقتها بمراحل طويلة في التحضر الاقتصادي والاجتماعي •

٣ ـ التركيب الاجتماعي الملازم للنموذج المشاعي الرعوي الزراعي ، اي المرتبط بالتنقل المحدود والزراعة المحدودة :ـ

وهذا النموذج يشكل درجة تطور اعلى من وجهة نظرانتقال البدو الى الاقتصاد الزراعي والى الاستقرار ، والذي يعني قدرة اكبر في السيطرة على الطبيعة وينضوي ضمن هذا النموذج اقتصاد بضعة قبائل انتقلت في فترات مختلفة الى الاستقرار التدريجي والى الحد من التنقل الواسع ، وتاريخيا نجد عملية الانتقال هذه قد تمت باشكال مختلفة وبفضل اسباب مختلفة فمثلا انتقلت قبائل عجرمة ، عباد ، بني حسن ، الى الاستقرار في الارض لاسباب اضطرارية كالانكسار في معركة وفقدانها ديارها ومراعيها واحيانا مواشيها وابلها ••• الخ (٦٦) ، اما قبائل مثل العدوان ، وفيما بعد بني صخر ، الحويطات ، فقد استقرت في الارض في ظروف سلمية ونتيجة لتطورات موضوعية ـ طبيعية اذا جاز التعبير (٦٧) •

---

( ٦٥ ) المصدر نفسه •

( ٦٦ ) ابشتاين ، المصدر نفسه •

( ٦٧ ) تحول شيوخ بني صخر فيما بعد الى اشباه اقطاعيين وملاكين كبار للاراضي، وكانوا بعد الحرب الاولى يملكون ٤٢٦ر٠٠٠ دونم من الاراضي القابلة للزراعة (راجع ابشتاين ، المصدر نفسه) •

اما الحويطات التي اختلف موقفها من الزراعة دائما عن المواقف المتوقعة من بقية القبائل بانهم لم يظهروا اي دراية في الزراعة واستخدموا كل الاراضي الخصبة التي في حدودهم • ان اهتمامهم ازداد كثيرا منذ حوالي ١٧٠ سنة ، عندما غنموا سهل الشراة من قبيلة النعيمات • وفي هذا السهل كما في المناطق التي اتصلت بالحويطات من قبل ، اسسوا اقتصادا مختلطا : رعاية الاغنام والماعز وقليل من الجمال بالاضافة الى زراعة الارض، ، راجع ابشتاين ، المصدر نفسه •

في هذا النموذج نلاحظ تحولات اقتصادية متنوعة جدا تبعا للظروف العامة المحيطة بعملية الاستقرار هذه ، نجد مثلا القبائل التي زرعت الارض حبوبا باساليب غالبا ما تكون بدائية في اشهر معينة من السنة ثم عاودت الانتقال مع قطعانها في الاشهر الباقية بحثا عن الدفء والمراعي والمياه ، ثم عادت لتحصد محاصيلها ، كما نجد ان انتقال بعض القبائل الزراعية كان عبر انتقال فئتها العليا ، شيوخها ، نحو استثمار الارض اعتمادا ، لا على القبيلة وانما على الفلاحين او البدو والآيلين الى الزراعة مع استمرار باقي القبيلة في ممارسة طابعها الرعوي الصرف ، وانتقال القبيلة تدريجيا وفي آخر المطاف نحو الزراعة، اثر مرحلة مديدة نسبيا · العدوان مثال على ذلك وكذلك بني صخر ، ان قبيلة بني صخر لم تنتقل الى الزراعة الا تدريجيا واكثر من ذلك ارتبط استقرار زعيمها واهتمامه بالزراعة بانقسام القبيلة الى بطنين وبالانشقاق على الزعامة نفسها (٦٨)·

مهدت عملية استقرار البدو في الارض نصفيا او كليا لانفراز الفئة العليا عن باقي القبيلة وتحويلها الى زعامة شبه اقطاعية مالكة للارض وان ظلت لفترة طويلة محافظة على اسس الزعامة القبلية ، لكن سرعان ما كان هذا الانتقال نحو زراعة الارض يبذر بذور التفكك في النظام المشاعي وفي الملكية المشاعية ، هذا التفكك الذي يستمر طويلا حتى يفرز نفسه على صعيد الوعي الايديولوجي والبناء الفوقي عامة ، في مستوى جديد من العلاقات والنظرات والاعتقادات · يطرح هذا النموذج مستوى اعلى جديد من تقسيم العمل بين الرعي والزراعة ثم بين الزراعة والاعمال المرتبطة بها ، حيث تظهر اعمال حرفية مجاورة ·

لكن الاستقرار في الارض لا يعني دائما افتقار القبيلة لقدرتها العسكرية القتالية، بشكل يجعلها معنية بمواصلة حياتها الجديدة في ظروف سلمية تامة، اذ ان ضيق المساحة قياسا بحاجات السكان وازمة الاقتصاد البدوي نفسه ، اي عدم قدرته دائما على تجديد انتاجه البسيط بفعل الجفاف وانحباس الامطار ، يجعل الصراع من اجل الارض والمياه ، اي الغزو ورد الغزو عملية دائمة ، لذا فان القبيلة التي تستقر نصفيا ، ثم كليا في الارض ، مدعوة دوما للحفاظ عليها في وجه الغزو المحتمل في اي وقت ،وغالبا اثر كارثة طبيعية · عدا عن ان تدن تنامي المصالح الخاصة لزعماء القبائل يستثير فيهم الغزو سواء كانوا رعويين صرف او نصف زراعيين ، هذا ما يبرزه مثلا الوضع في جنوب البلاد ( الكرك ) والمناطق

---

( ٦٨ ) راجع فردريك بيك ، ص ٢١٩ ·

المحاذية لسكة الحديد الحجازي غربا ، اي المناطــق التي شهدت الاستقـــرار النصفي (٦٩) ٠

لذلك لا يتحتم دائما ان يرتبط الاستقرار النصفي للقبائل البدوية اي انغماسهـا في الزراعة بتطور صاعد ، فهذه النماذج الانتقالية مهددة دائما وليس نـــادرا بانتكاسات نحو الوراء ٠ وقد شهد تاريخ القبائل الحديث عمليات الاستقـــرار الصاعدة وعمليات الارتداد نحو البداوة الصرفة والمثـــال الكلاسيكي هـــو الحويطات ٠ اي ان هذا النموذج هو الذي يعكس مرحلة تطور غنية في التواءاتها، حيث الانتقال منها نحو مرحلة الاستقرار الزراعي الكامل يمر عبر شروط متفاوتة تبعا للزمان والمكان ، وشروط داخلية وخارجية متداخلة ومترابطة بقوة (٧٠) ٠

يفسح النموذج نصف المشاعي ونصف الزراعي المجال نصفيا لاتساع مـــدى التبادل البضاعي البسيط مع الجوار حيث يكثر الارتباط مـــع السوق المحلي ولا سيما الاسواق الاسبوعية مع الجوار حيث يكثر الارتباط الفائض فيها ، وهنـا يبرز حيز اوسع للتبادل الذي يتسم بطابعه العرضي والمحكوم بشـروط الانتـاج المشاعي نفسه ، اي وجود فائض من جهة ووجود حاجة للمبادلة ، ان المبادلـــة في النموذج المذكور متزايدة اكثر مما في النموذج المشاعـــي الرعوي الصـرف ( بسبب الاستقرار من جهة ، وبسبب تطور نمط الانتاج وتنـــوع الحاجـــات الاجتماعية ) ٠

ان درجة اعلى من تطور هذا النموذج اي تحول الفئة العليا من القبيلة الـــى ملاكين عقاريين للارض يفسح امام مبادلات متطورة اكثر وهي تقترب من شكـل المبادلة ذات النمط الاقطاعي ويزداد ارتباط هذا النموذج بالتجـــارة ولذلـــك يصبح ارتباط زعماء القبيلة التي تنضوي ضمن هذا النموذج بالتجارة وبالاسواق البعيدة نسبيا وبعواصم الاقاليم قويا ، وحيث تصدر المنتجـــات الحيوانيـــة والزراعية وتستورد السلع الاستهلاكية والترفيه اكثر مما في اي نموذج سابق ٠

---

( ٦٩ ) راجع عودة القسوس بصدد تنامي مطامع عشائر الكرك النافذة لانتزاع حصص العشائر الاصغر من الارض ٠

كما ان القبائل ذات الزراعة البدائية في وادي الاردن (الاغوار) كانت معرضة دائما لتهديد ومنافسة القبائل الاكبر ٠ راجع مسح وادي الاردن ، مصدر سابق ٠

( ٧٠ ) بمعنى ان نجاح هذا الاستقرار والاتجاه نحو الزراعة كنمط رئيسي ، كان يعتمد على الوضع الامني وعلى قوة القبائل الرعوية المحيطة وعلى قدرة القبائل المتجهـــة نحو الزراعة على الصمود في وجه الغزو ٠٠٠الخ ٠

ينبغي القول ان التركيب الاجتماعي لهذا النموذج يشكل درجة اعلى من التعقيد بالمقارنة مع التركيب الاجتماعي للنموذج المشاعي الرعوي كما تنطوي دراسته على صعوبات متعلقة بطبيعته الانتقالية • ونظرا لتفاوت المجموعات الاجتماعية ( وهي غالبا قبائل وعشائر آيلة نحو الزراعة ) في درجة تحولها من نمط الانتاج الرعوي الى اخر زراعي • ونحن سنحاول مضطرين لصياغة تركيب اجتماعي نموذجي قياسي على الحالات الغالبية في هذا النموذج الاقتصادي •

نجد هذا النموذج غالبا في المناطق المحاذية للصحراء اي الى الغرب من خط الحديد الحجازي حيث جرت عملية الاستيطان في الاردن منذ ضعفت فرص الاستمرار في الاقتصاد الرعوي المتنقل ، بعيد اقامة الخط الحديدي الحجازي وبعيد قيام السلطات العثمانية بتعزيز اجراءات الامن في اواخر القرن الماضي ومطلع القرن الحالي ، كما نجد ان استقرار المجموعات الرعوية قد جرى في المناطق المجاورة في وسط البلاد وفي شمالها وفي جنوبها ، هذا الاستقرار الزراعي النصفي يشمل غالبا العشائر التي ترعى المواشي من غير الابل اي رعاية الحيوانات التي لا تحتاج الى تنقل واسع وتحتاج الى حماية طبيعية لها ، واذا كانت هذه الحاجات تدفع العديد من العشائر الرعوية الى اللجوء الى الزراعة البدائية لبعض الشهور منذ زمن قديم فلقد ظهرت حاجات اكثر رسوخا دفعت نحو جعل الزراعة مهنة ثانية للعديد من العشائر بسبب ظروف موضوعية قوية ، كاستتباب السيطرة العثمانية اكثر فاكثر في البلاد وضعف القدرة على منافسة القبائل الاخرى على المراعي البعيدة ، وضعف فرص الغزو عموما بسبب مناعة الريف اكثر فاكثر وبسبب تعزز سيطرة العثمانيين ، وقدرتهم على قمع الغزو آنذاك بسهولة اكبر (٧١) •

ادى الاستقرار في الارض وزراعتها ولو بضعة اشهر في السنة الى زيادة انفصال وتمايز القمة القبلية عن باقي القبيلة من حيث الملكية الخاصة ، فغالبا ما كانت لشيوخ مجموعات العشيرة والقبيلة فرص اكبر للعناية بالارض وزراعتها • ان شيوخ العشائر المستقرة نصفيا في الارض قد آلوا اكثر فاكثر الى اكتساب سمات ملاك الارض الاقطاعيين ، او شبه الاقطاعيين • لكن سماته

---

( ٧١ ) في الربع الاخير من القرن الماضي زادت هيبة السلطات العثمانية في البلاد • ويضرب فردريك بيك مثلا على ذلك ان قبيلة بني صخر لم تجسر على القيام بثورة عام ١٨٧٧ عندما قام متصرف حوران بسجن زعيمها فندي الفايز واعدام ابنه لانه حاول تخليص والده ، ويشير الى انه مع حلول عام ١٨٨٢ تمكنت الحكومة في السلط من تحصيل الضرائب من القبائل البدوية الضاربة في الجنوب منها وحتى تخوم الكرك • المصدر نفسه ص ١٨٢ •

كزعيم قبلي لقبيلة او لعشيرة ما زالت قائمة ، ان عنايتـــه بزراعـــة الارض واستخدام الفلاحين تبرزه عن باقي القبيلة التي ما زالت زراعتها بدائية جـــدا، ويكون شيوخ القبائل والعشائر الآيلة نحو الاستقرار قد شرعوا ابكـر بكثير فـي استثمار الارض زراعيا اعتمادا على الفلاحين،لا على اعضاءالقبيلة او العشيرة ٠

في تركيب هذا النموذج نجد تمايزا اساسيا بين القمة الآيلة نحو الزعامـــة الاقطاعية او شبه الاقطاعية للارض ، وبين القبيلة او العشيرة التي ما زالـــت علاقاتها وملكيتها للارض والمواشي مشاعية كما نجد تراتبا اجتماعيا له علاقـــة بانقسام القبيلة او العشيرة الى اقسام متمايزة فيما بينها على اساس مدى قرابـة او بعد هذا القسم او ذاك عنالزراعة وعلى مدى احتفاظه بسماته البدويـة ٠ ان الاقسام التي انخرطت في الزراعة ابكر هي عادة اقل «شأنا » ٠ وفي هذا النموذج نجد ان الحاجة الى اظهار القدرة القتالية وصد الغزو ميزة هامة ، فالجماعـات التي تأخذ بالاستقرار في الارض تكون مغرية لجذب الغزاة ، ومن ثم فان القادرين على صد الغزاة واحيانا على تنظيم الغزو ضد الغير يتمتعوا بمكانـة اجتماعيـة ارفع ، اما الذين انصرفوا كليا او الى حد كبير للزراعة فانهم يصبحـوا اقـــل شأنا من الاقسام الاخرى من القبيلة ٠

لنلاحظ ان العشائر التي آلت الى الزراعـة شيئا فشيئا في هذه المرحلة هـي في العرف الرعوي ( البدوي ) اقل شأنا من العشائر المحافظة على طابعهـــا المترحل البدوي الصرف ، ان اتجاهها نحو الزراعـة يمت الى افتقارها القـدرة على مواصلة طابعها الرعوي الصرف ٠ نتحدث ها هنا عن العشائر التي استقرت اضطراريا ، وليس عـن القبائل والعشائر التي آلت الى الزراعة وهي في قمـة سطوتها البدوية ، وبعـد استحواذها على اراض واسعـة كالعدوان منذ نصف قرن ( من هـذه المرحلة ) ، او كبني صخر فيما بعـد ٠ هناك تراتب اخـر في العشيرة الآيلة الى الزراعـة متعلق بتقسيم للعـمل خاص بهذا النموذج الانتقالي فهناك تقسيم مهني اذا جاز التعبير له صلة بالزراعـة والرعـي معـا ، كما هناك تقسيم عمل ارقى بين الرجل والمرأة ، فأولا تظهر فئات حرفية تهتم اكثر فاكثـــر بصنع الادوات بين العشيرة ، وتنشأ في تجمعات ومناطق العشائر والقبائـــل الآيلة نحو الاستقرار الزراعي مواقع ثابتة اكثر أشبه بالقرى البدائية ، التـــي ينتظم فيها السكن عـلى اسس قرابية غالبا ، كما تظهر فيها اشكال اثبت مـــن الحرف المرتبطة بالمشاعـة الرعوية والزراعـة ، كالنسيج والحدادة وصنـــع الادوات الزراعية والبدائية والادوات المنزلية والعصر والطحن والخبز ، عوضا عن تحول التبادل البضاعي من ظاهرة عرضية وموسمية الى تبادل اكثر ديمومة وانتظاما في اسواق اسبوعية وتكثر صلات هذه التجمعات بالتجارة واصحـاب

الدكاكين والتجار المتجولين ، ولا تعـود مبادلة الفائض من الانتاج الرعـوي والزراعـي مشينة ، لكنها تظهر اكثر فاكثـر في اشكال مقنعـة وساذجة ٠

اما العلاقات المشاعـية والملكية المشاعـية فهي تتجه اكثر فاكثر نحو الانحـلال في الجماعات التي تطور استقرارها فيالارض ، وبات الرعـي هو المهنة الثانية للجماعـة ، هنا يبرز فـرز للارض المشاع الى حصص عـلى اساس القرابـة الادنى فالادنى ، اي نحو الشكل القائم للملكية المشاعية في الريف (٧٢) ٠

رأينا من دراستنا للتركيب الاقتصادي لشرقي الاردن في نهاية العهد العثماني وحتى الحرب العالمية الاولى ان البلاد ككل ذات اقتصاديات طبيعية ـ معيشية ، ما قبل رأسمالية ، وانهـا ذات انماط انتاجية متعددة ٠ ففيها النموذجيـن الاقتصاديين المشاعـي الرعـوي ( البدوي ) والمشاعـي الزراعـي ( الريفـي)، والنموذج شبه الاقطاعـي والنموذج البضاعـي البسيط ٠ بالاضافة الى النموذج الانتقالي نصف الرعوي ـ نصف الزراعي المستند غالبا الى طور اعلـى مـن الملكية المشاعـية ٠

ان كون البلاد متعـددة الانماط ، قد اضفى صفة الانقسام والعزلة الاجتماعية على الجماعات الاقتصادية ـ الاجتماعية المرتبطة بهذه الانماط ٠ وفضلا عـن ان اجزاء البلاد المختلفة قد كونت في الغالب « اطرافا » للمراكز المحيطة ( فـي سورية الشمالية وفلسطين ) فان هـذه الاجزاء كانت على صلة اعـمق بالمراكز مما هي بين الاطراف نفسها ٠ اي ليس فقط لـم يوجـد « شرقـي الاردن » كوحدة ادارية سياسية من قبل ـ فهذه حقيقة غير جوهرية ، ولا تقتصـر علـى شرقي الاردن ـ وانما لم تترابط اجزاء ما عـرف بشرقي الاردن مع بعضهـا البعض اقتصاديا حـول مركز اقليمي « داخـلي » ٠ وهذا ما يعـطي معـنى محددا لقولنا ان شرقي الاردن لم تتكـون مـن قبـل كمجتمع ، او كتشكيـل اجتماعـي ـ اقتصادي واحـد ، فيما ان هـذه البقعـة لم يسدها قبيل الحرب الاولى اساس مادي يبرر وحدتها الاجتماعية ، اي عدم وجود اسلوب انتـاج سائد ، فان وجـود وحـدة المجتمع والاقتصاد لم تكن ممكنة ٠ ولذلك فقـد

---

( ٧٢ ) يصف ولبول تقسيم الاراضي ذات الملكية المشاعية في شرقي الاردن على النحو التالي : « في فترات محددة بين سنة وتسع سنوات حسب عادات القرى ، يقتسم الملاكـون الارض فيما بينهم بحسب الحصص التي يمتلكها كل منهم وكل فلاح كان يزرع القطع المعطاة له للمدة التي عينت ، مع العلم بان عليه عند نهاية هذه الفترة ان يترك تلك القطع ويزرع غيرها بعد التقسيم الجديد للارض» ٠ راجع :
G. F. Walpole , «Land Problems in Trans Jordan » , Royal Central Asian Society Journal vol. 35 , Jan , 1948 , P P. 52 - 65 .

وجدت فحسب وحدات او بنى اجتماعية ـ اقتصادية متعددة لكل منها نمطها الاقتصادي الخاص ، اي اسلوب وعلاقات انتاج مختلفة وطبيعة اجتماعية مختلفة • كما كان لكل نموذج او نمط اقتصادي تركيبه الاجتماعي الخاص به والمستقل نسبيا • وتبعا لدرجة تطور النموذج المعين كانت تتحدد سمات فئاته وطبقاته الاجتماعية ، اي درجة نضج هذه الطبقات ومدى تمايزها وتناحرها • كما كانت لكل نموذج تناقضاته الاجتماعية الاصيلة والمتميزة عن التناقضات الاجتماعية في النماذج الاخرى • ويتبين من العرض المقدم آنفا انه ليس صحيحا الزعم القائل ان الطبقات لم تتشكل قبيل نشوء الدولة ـ الادارة المركزية في الاردن ، وانما تشكلت الطبقات بعدها وبسببها (٧٣) •

لقد نشأت الطبقات والفئات الاجتماعية في معظم المناطق الريفية في البلدات الحضرية كما برزت التمايزات الاجتماعية داخل الجماعات ذات الاقتصاد المختلط ( الرعوي ـ الزراعي ) وحتى لدى العديد من القبائل الرعوية قبيل الحرب الاولى • المشكلة ليست فيما اذا تشكلت الطبقات والفئات الاجتماعية في مناطق شرقي الاردن قبيل الحرب الاولى ام لا • فقد تشكلت فعليا في مناطق معينة وبدأت اجنة التمايز الاجتماعي لدى مناطق وجماعات اخرى • بل المشكلة ان الطبقات والفئات الاجتماعية قد تشكلت وتتشكل ، وتمايزت وتتمايز ، لا على مستوى البلاد والمجتمع كطبقات وفئات اجتماعية اقليمية •فذلك لم يكن ممكنا تاريخيا ، لان البلاد والمجتمع لم يظهر اي منهما من قبل كوحدة عضوية واحدة ولم ينشأ الاساس المادي لهذه الوحدة • فمن التعسف الحديث عن تشكل او عدم تشكل طبقي اقليمي في بقعة لم تعرف وحدتها الاقليمية بالمعنى الاقتصادي ـ الاجتماعي • وانما تشكلت الطبقات والفئات الاجتماعية ، او ظاهرة التبرقش الطبقي ، ونعني بذلك وجود مجموعة فئات وطبقات خاصة ، بكل نمط من الانماط الاقتصادية السائدة في مناطقها •

يضاعف من صعوبة تمييز وفرز مختلف الفئات الاجتماعية والطبقية ، ليس فقط وجود جملة من الانماط الاقتصادية ، وانما بشكل رئيسي لان المجموعات الاجتماعية المختلفة بانماطها الطبيعية ما قبل الرأسمالية تشترط وجود روابط اجتماعية تقليدية فيما بينها كروابط الدم والقرابة والانتماء القبلي والعشيري ، وروابط اقل اهمية : دينية ، اقلياتية ، فهذه الروابط غير الطبقية ظلت تحدد العلاقات فيما بين الناس ، بقدر اقل او اكثر مما كانت الروابط الطبقية تحددها • اي انه لا مجال للحديث عن اساس طبقي صرف للعلاقات داخل الجماعات الاجتماعية ـ الاقتصادية المختلفة •

---

( ٧٣ ) نجد هذا الاعتقاد حتى عند كاتب جاد • راجع : جميل هلال ، الضفة الغربية، التركيب الاقتصادي والاجتماعي ، مركز الابحاث بيروت ١٩٧٥ •

تتجلى اهمية تقدير مفعول هذه الروابط والعلاقات التقليدية اولا من خلال ملاحظة ان التغييرات في المجال الاقتصادي (الملكية وعلاقات الانتاج ) وتفسخ الاساس الاقتصادي للروابط القديمة، كالقبيلة والعشيرة ، لا يترتب عليها الا ببطيء شديد تغييرات مناسبة على مستوى البناء الاجتماعي والفوقي • وثانيا في ان التغييرات في علاقات الانتاج وفي نظام الانتاج كانت بطيئة جدا من ناحية وضحلة من ناحية اخرى • فالتغييرات في المجال الاقتصادي لم تظهر على شكل قفزات نوعية ، وانما عبر تطور بطيء ، تدرجي وسطحي التأثير الامر الذي لم يؤدي الى تطور جذري في القوى المنتجة •

لكل ذلك نلاحظ ان الزعامات الاقطاعية ، حتى في اكثر مناطق البلاد تطورا ( المرتفعات الشمالية ) قد التبست بطابع الزعامة القبلية والعشيرية ، ونجد ان القرى ، رغم انها تشكل وحدة اجتماعية ـ اقتصادية ، الا انها تتضمن روابط عشيرية وعائلية تقوم في حارات او احياء القرى •

وبكلمات اخرى ، كانت العلاقات الطبقية والاجتماعية تتشكل من خلال تقاطعها من جهة وتشابكها من جهة ثانية مع العلاقات والروابط التقليدية ما قبل الطبقية • ففي كل منطقة من البلاد تفسخت فيها اشكال المشاعية للملكية والانتاج ، كانت تتجسد وحدة مناطقية اساسها سيادة نمط اقتصادي اكثر تطورا وتتخللها تناقضات تفرضها الروابط ما قبل الطبقية ( عشيرية ، قبلية ••• الخ ) • تشوه وتطمس بدورها الروابط الجديدة بين الناس ، اي الروابط الاجتماعية الحديثة •

### ٣ ـ التطور السياسي لشرقي الاردن ، مقدمات نشوء « الدولة » ( ١٩٠٨ ـ ١٩٢١ ) •

في ظل التركيب الاقتصادي الاجتماعي المتدني التطور ، وفي ظل سيادة العلاقات التقليدية وتشوه التركيب الطبقي ـ الاجتماعي في البلاد ، ومع قلة فرص التعليم والاتصال مع التيارات والحركات القومية التحررية في بقية البلدان، سورية والعراق ومصر ، لم تشهد البلاد نهوضا وطنيا ولم يشارك ابناؤها في النضال السياسي المناهض للسلطة العثمانية •فنحن مثلا لن نجد بين الاعضاء المؤسسين او المشاركين في انشاء الجمعيات السرية المناهضة للعثمانيين ، اي من ابناء شرقي الاردن • كما نجد ان الوعي القومي التحرري لم يتسرب الى البلاد ، وبالاصح لم يتجسد في تعابير ملموسة • وتبرز ثورة الكرك ان الوضع الموضوعي كان يدفع نحو التحرك المناهض للسلطات العثمانية ، لكن لم تتوفر لدى الجماهير ، لا الخبرة الكافية ولا القيادة الكفوءة والمنسجمة في نضالها ضد العسف العثماني •

وعلى الرغم من ان البلاد وبالذات متصرفية الكرك قد تمثلت في مجلس المبعوثان الثاني عام ١٩٠٨ ، في شخص توفيق المجالي « الاردني » الوحيد في هذا المجلس ، ورغم مشاركة مجالس الادارة في الاقضية « الاردنية » في المجلس العمومي لولاية سورية ، حيث مثل البلاد ستة اعضاء في فترته الاولى وثمانية اعضاء في فترته الثانية (٧٤) الا ان هذا التمثيل المحلي لم يبرز قوى جديدة في شخص ممثلي الاقضية او متصرفية الكرك ، بل جاء ليعكس وزن ونفوذ العشائر والاسر النافذة في مناطقها . والواقع ان السلطات العثمانية كانت تقاوم ـ فضلا عن القوى المحلية ـ وصول عناصر غير متنفذة بالمعنى الاقتصادي والاجتماعي السائد (٧٥) .

لقد وجدت حركة الشريف حسين البلاد مهيأة موضوعيا للانتفاض ضد العسف العثماني ، فقطعت ثمار هذا الوضع ابان الحرب العالمية الاولى في تحركها نحو الشمال ، عبر شرقي الاردن . على ان الشعارات القومية والاستقلالية التي رفعتها الاحزاب والتجمعات القومية العربية ومن ثم حركة الشريف حسين لم تكن مؤتلفة مع التكوين الاجتماعي التقليدي ، ولم تستطع ان تخترقه لتفككه او لتضعف من تماسكه . فظلت هذه الشعارات بمثابة مظلة سياسية عائمة للسكان المحليين ، وبمثابة تعابير لغوية غير مفهومة ، ازاء القيم القبلية والاقطاعية وشبه الاقطاعية . لكن التحرك المناهض للعثمانيين اثار حماس الفئات الاجتماعية الدنيا : جماهير الحرفيين والتجار وبشكل رئيسي الفلاحين ، وكذلك المثقفين وسكان البلدات والاقلية المسيحية . فقد كان هم اهالي البلاد التحرر من الضرائب والعسف والسخرة واشكال النهب المختلفة . اما هم الزعامات القبلية والاقطاعية فقد كان استعادة اعتبارها المفقود ، وترسيخ نفوذها التقليدي وقد استنهضت همم هذه الزعامات الوعود والاموال المغدقة من رسل الشريف حسين اكثر مما استنهضتها الشعارات القومية والاستقلالية. ونجد ان العديد من الزعامات المحلية التقليدية لم تستجب الى حركة الشريف حسين ، بل قاتلت الى جانب الاتراك ضدها . فعلى سبيل المثال ، كان الشيخ

---

( ٧٤ ) راجع منيب الماضي وسليمان موسى ، تاريخ الاردن في القرن العشرين ، ص ١٠ . والاقضية التي مثلت في مجلس ادارة ولاية سورية هي : الكرك ، معان ، السلط ، الطفيلة ، عجلون ، جرش .

( ٧٥ ) راجع عودة القسوس حول كيفية انتخاب ممثل الكرك الى مجلس المبعوثان ، حيث لم تقبل السلطات العثمانية تمثيل الكرك بنائب مسيحي ، بعد ان تبين ان الفائز الاول (قدر المجالي) اميا . فاعيدت الانتخابات ففاز توفيق المجالي .

قدر المجالي ( زعـيم الكرك ) وعـدد من شيوخ البلاد عـلى رأس قوة كبيرة من الفرسان التي انحازت الى جانب الاتراك ، في حين ان الشيخ قدر المجالي كان عـام ١٩١٠ عـلى رأس الثـورة التي نشبت في الكرك • غـير ان معـظم هذه الزعـامات ، مع ميـل ميزان القوى لغير صالح الاتراك عـاد لينضم الى قوات فيصل •

بعـد انسحاب الجيش التركي الرابع من عـمان في اواخـر ايلول ١٩١٨ ومع هزيمة العثمانيين في المشرق العربي ، خضع شرقي الاردن الى « ادارة بـلاد العـدو المحتلة » ، واقام فيصل حكومة عربية ضمن ما سمي بالمنطقة الشرقيـة ( سورية الداخلية وشرقي الاردن ) وكانـت هذه الحكـومة تابعة للادارة العسكرية المذكورة • وفي ظل الحكم الفيصلي قسمت سورية الى ثمانية الوية ، شملت ثلاثة منهـا مناطق ما عـرف فيما بعـد بشرقي الاردن : ١ ـ لواء الكرك ومركزه الكرك وتتبعـه اقضية الطفيلة ومعـان والعقبة ونواحي الشوبـك ، العراق ، ذيبان ، وتبوك •

٢ ـ لواء البلقاء ومركزه السلط ويتبعه قضاءا عمان والجيزة وناحية مادبا •

٣ ـ لواء حـوران ومركـزه درعـا وتتبعه اقضيـة ازرع ، المسمية ، بصرى الشام ، عجلون ، وجرش (٧٦) •

لقد شهدت هذه الفترة تطورا نسبيا في مساهمة سكان البلاد فـي الحيـاة السياسية ، وفي ادارة شؤون البلاد • فقد اضطلع عدد من الوجهاء المحليـين وبعض المثقفين ببعض المهام الادارية والقضائية(٧٧)كما شارك عشرة اردنيين في المؤتمر السوري العام ( حزيران ١٩١٩ ) من مجمـوع ٩٣ ممثـلا ، عرفـت مشاركتهم بهذا المؤتمر ، في حين شارك عن فلسطين٢٣ممثلا وعن لبنان والساحل

---

( ٧٦ ) راجع : سليمان موسى : تأسيس الامارة الاردنية (٢١ ـ ١٩٢٥) ، مصدر سابق ، ص ١٢ •

( ٧٧ ) ومن الذين اضطلعوا بمسؤوليات ادارية او اقتصادية في العهد الفيصلي : رفيقان المجالي ، حسين الطراونة ، توفيق المجالي ، عطاالله الطراونة ، عطاالله سحيمات ، يعقوب مدانات ، متري زريقات ، عبد المهدي الشمايله ، زعل المجالي ، محمد علي الكردي ، سالم بن مريحيل ، بسم الخماش ، عمر مطر ، مفلح عوجان ، عبد المجيد مهيار ، يوسف السكر ، شكري شعشاعة ، سليم الخماش ، زكي الخطيب ، عبد القادر التل ••• واخرين •

الغربي ٢٢ ممثلا (٧٨) ٠

على انه خلال فترة الحكم الفيصلي القصيرة، لم يظهر تحولا جديافي حياة البلاد بل لقد شهدت المزيد من الفوضى في ظل هذه الفترة الانتقالية القصيرة ٠ ولم تتمكن حكومة فيصل من احكام سيطرتها المركزية على البلاد وشكت رسائل وتقارير الحكام العسكريين للمناطق من عدم دفع الضرائب ومن انتعاش الغزو وانتعاش الشخصية البدويةعموما ٠ كما ان موقف السكان من التجنيد العسكري الذي فرض لمواجهة تقدم القوات الفرنسية بقيادة الجنرال غورو نحو دمشق كان فاترا ، بل وسلبيا (٧٩) وما من شك ان تدني الوعي الاجتماعي والسياسي انذاك الذي لا يمكن عزله عن تخلف العلاقات الانتاجية، قد اضعف بشكل واضح من استعداد الجماهير للنضال من اجل الاستقلال والتحرر الوطني والوحدة القومية ، هذه الشعارات والاهداف غير المفهومة للجماهير المكبلة بالروابط التقليدية والمحلية الضيقة ٠ فضلا عن ان الزعامة القومية للحركة الوطنية في سورية ، كانت زعامة ارستقراطية تخشى من الاعتماد على الجماهير وتفضل المساومة وعقد الصفقات مع الامبريالية (٨٠) ٠

وحتى في ظروف سقوط حكومة فيصل ، اثر دخول القوات الفرنسية الى سورية في تموز ١٩٢٠ (ومع حدوث فراغ سياسي في البلاد وشرقي الاردن )، فان الجماهير افتقدت الى زعامة محلية قادرة على تجاوز محدودية اطار زعامتها القبلي ـ المناطقي الى اطار البلاد بأسرها ، فالوضع الموضوعي ـ المحلي لم يكن يسمح بظهور مثل هذه الزعامة الوطنية ، بسبب التفكك العام اقتصاديا واجتماعيا ٠

وهذا ما تبرزه فترة ظهور الحكومات المحلية ، والتي سبقت نشوء امارة شرقي الاردن بثمانية اشهر ٠

---

( ٧٨ ) مثل سوريا الوسطى (بما فيها شرقي الاردن) ٤٨ ممثلا ٠ راجع قدري قلعجي : جيل الفداء ، دار الكاتب العربي ـ بيروت ، ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥ ٠

( ٧٩ ) راجع منيب الماضي وسليمان موسى : تاريخ الاردن في القرن العشرين ، ص ٩٠ ٠

( ٨٠ ) لذلك غادر فيصل سورية فورا ، ولم يفكر في مقاومة الاحتلال الفرنسي ٠ فاتجه نحو فلسطين ومنها الى اوروبا ٠

# رسالة من الشرق
# كمبوديا الجديدة

حمد العابدي*

**مقدمة :**

لم يكن الثامن عشر من شهر آذار (مارس) ١٩٧٠ بداية تاريخ النضال الوطني للشعب الكمبودي ، بل كان بداية التحول الكامل نحو الكفاح المسلح في اقصى حدته ، وتاريخ الانفتاح الجماهيري والتفاف الامة بسوادها الاعظم حول خط المنظمة الثورية ، والاستجابة الواسعة لنداء الثورة المسلحة الشاملة من اجل الدفاع عن شرف الوطن وتحقيق تحريره وتطهيره وحياده ٠

ففي ذلك اليوم استولت الامبريالية الامريكية على السلطة الفعلية في البلاد بعد ان تمكن عميلها لون نول (كان قائدا للجيش ورئيسا للوزراء انذاك) من القيام بانقلاب اطاح بنظام الامير نورودوم سيهانوك ، وتنصيب نفسه دكتاتورا سافرا ومنفذا لمشيئة اسياده الامبرياليين ٠

وعلى امتداد الفترة بين ١٨ اذار (مارس) ١٩٧٠ و١٧ نيسان (ابريل) ١٩٧٥ احتل نضال الشعب الكمبودي مكانة بارزة في الاوساط السياسية الدولية ، وكان موضع اعجاب وتقدير وتضامن حركات التحرر العالمية ، وموضع اهتمام ودعم شعوب العالم الثالث ودول عدم الانحياز ، سواء في هيئة الامم المتحدة او في المؤتمرات المختلفة ٠

ان هذا البحث الموجز لا يتعرض لتاريخ النضال الحافل للشعب الكمبودي تفصيلا ، بمقدار ما يتعرض للثورة المسلحة العنيفة التي تمكنت من اقتلاع جذور النفوذ الامبريالي والسيطرة الاجنبية ، والتي توجت في خمس سنوات وشهر نضال الاجيال الكمبودية بالنصر الحاسم ، والتي بانجاز مهماتها التحريرية وضعت المنظمة الثورية الكمبودية كل الشعب الكمبودي على عتبة تاريخ جديد لكمبوديا جديدة ٠

٠٠ لقد كنت في بكين مع مسؤولين كمبوديين يوم وردت انباء تحرير العاصمة بنوم بنه واستسلام بقايا رموز السلطة العميلة مما اتاح لي تصور ملامح المستقبل المشرق ٠

اما المهمات الحقيقية لهذا البحث فهي التقاء الارادة الفلسطينية والتطلعات الفلسطينية

---

* ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في جمهورية الصين الشعبية

مع الارادة الكمبودية والتطلعات الكمبودية التي تمثلت في النضال الحازم ضد الكيانات المصطنعة والامبريالية المساندة لتلك الكيانات ، وقد شهدت ايام الحرب لقاءات التضامن والدعم المعنوي المتبادل بين الثورتين الفلسطينية والكمبودية واستمرت هذه اللقاءات والاتصالات الودية ·· حتى كانت لي من خلالها فرصة القيام بزيارة الى دولة كمبوديا الديمقراطية في الشهر الثاني من عام ١٩٧٦ تلبية لرغبة قائمة مشتركة بيننا ولدعوة الحكومة الكمبودية ··

لقد تركت الزيارة في نفسي انطباعات عميقة وذكريات فريدة لا تنسى تجمعت على مدار اسبوعين متواليين بين العمال والفلاحين واثار الدمار ومواقع المعارك وحفر قذائف الطائرات ·· وشكلت هذه الانطباعات والذكريات باعثا قويا ودافعا ملحا وراء ما اسجله على هذه الصفحات القليلة ·

وان ما اقدمه لا يعود الى مراجع مدونة ، او وقائع في كتب التاريخ او الى ملفات المؤتمرات الدولية ، بل هو وليد ما اوحى به واقع كمبوديا اليوم التي رأيتها ارضا وشعبا وحركة بعد عشرة شهور من تاريخ تسجيل النصر النهائي ·· وكل ما اعتمدت عليه هو الواقع الملموس وبعض الاحاديث مع كوادر المنظمة الثورية الكمبودية والفلاحين والعمال والجنود ·

ومع انني اعتز بان هذا البحث المتواضع هو الاول الذي يقدم من على ارض الواقع ، وفي ضوء مشاهداتي في اكثر من مقاطعة وفي اكثر من موقع عمل ·· مع هذا لا ادعي انه اعطى العنوان الكبير الذي يحمل مدلولاته الواسعة ، فالبلاد في بداية الطريق ، وما من شك في ان كمبوديا الديمقراطية ذات الخط السياسي الثابت ستنتقل عبر الجهود المكثفة والممتازة التي لمست الى مكان القدوة والمثل في اسرة شعوب العالم الثالث ودول عدم الانحياز ، ولهذا فان التطورات الكبيرة ستتجاوز هذا البحث بكثير ·· لقد كان من الممكن بناء تقديرات ادق ورسم صورة موسعة للمستقبل من خلال تحليل الواقع الملموس وما خصنا به القادة الكمبوديون من تطلعاتهم وبرامجهم ، لكن مقتضيات عملي تفرض علي الاحتفاظ بكثير من التحليلات الايجابية والصور المشرقة بعيدا عن صفحات الكتب والمجلات ·

## نبذة تاريخية :

ان اول مكان يهبط فيه الزائر هو مطار بنوم بنه القريب من العاصمة بنوم بنه وهي مدينة حديثة البناء على الضفة الغربية لنهر الميكونغ ، وكذلك تبدو بعض المدن التي اتيحت لي فرصة الوصول اليها ومشاهدتها ، لكن اثار انكور التي تبعد عن مدينة سييم رييب حوالي ستة كيلومترات في اتجاه الغرب تعبر عن حضارة عريقة كانت قائمة على الارض الكمبودية، ويتجلى هذا التعبير في القلاع المنيعة والمعابد والرسومات المنحوتة وفي تناسق قلاع انكوروات الخمسة وهي جميعا تعود الى امبراطورية انكور بين القرنين التاسع والثالث عشر ، وهي اثار عزيزة على الشعب الكمبودي وقد صمد فيها الثوار منذ عام ١٩٧٠ حتى التحرير عام ١٩٧٥ دفاعا عن شرف اجدادهم رغم تعرضها للقصف الجوي الذي تشهد به بقايا مادة النابالم على الممر المتجه الى الغرب من انكوروات وبعض التصدعات ، وقد ظلت اعلام الثورة مرفوعة على القلاع الشامخة تتحدى القصف الامريكي ومدافع العملاء ·

والحقيقة القاسية ان تاريخ هذه البلاد ما زال ينتظر التدوين ، اذ انه حتى الان لم يكتب اي كمبودي شيئا عن تاريخ بلاده ، وكل الوقائع التاريخية المتوفرة هي ابحاث اعدها فرنسيون وانجليز وفيتناميون كل على هواه وبحكم خلفيته وتحليله ٠ وهي بذلك لا تعتبر مصادر يعتمد عليها ٠ وان الجهات المعنية في حكومة كمبوديا الديمقراطية ومنظمتها الثورية تهيء نفسها وتعد العدة لكتابة تاريخ البلاد ٠٠ وقد اوصلها البحث كما علمت الى نتائج ممتازة ، فقد جمعت روايات القرويين ، ومعارف جيدة من وثائق ملموسة في المعابد البوذية بالاضافة الى وثائق قديمة اخرى ٠ ووثائق دقيقة تعود الى القرن السابع ، وكل الدلالات تشير الى ان المجتمع الكمبودي كان موجودا منذ ٢٠٠٠ ( الفي عام ) ومستقرا في هذه البلاد ٠

اما تاريخ القرنين التاسع والعاشر فهو اكثر وضوحا بشواهد انكور ، وتشير كل هذه الدلائل مع تاريخ القرن الحالي الى ان رقعة الارض الكمبودية كانت اكبر مما هي عليه الان ، وكان الاقطاع طابعا مميزا في الشمال والجنوب لعصر انكور ولمملكة تشامبا التي كانت قائمة في فيتنام الوسطى ٠

وقد تعرضت البلاد في القرن التاسع عشر – وكانت انئذ الحروب الاقطاعية في اوجها في كل من لاوس وكمبوديا وفيتنام – الى محاولات الاحتلال من جانب الاقطاع اللاوسي وفي نفس ذلك القرن اقتطعت لاوس جزءا منها ٠

## كمبوديا والاستعمار الفرنسي :

ويزحف الغرب الاوربي باطماعه الاستعمارية ، فتستولي بريطانيا على عدة اقطار في جنوب شرق آسيا ، وتبحث فرنسا الاستعمارية تحت نابليون الثالث عن مستعمرات في هذا الجزء من العالم ايضا ٠٠ فيقع الاختيار على كمبوديا ويجري احتلال جنوب البلاد عام ١٨٦٣ ليصبح منطقة فرنسية اطلق عليها اسم ( كوتشيتشينا ) ويقتطع اللاوسيون كما اسلفت جزءا آخر وتصبح بقية البلاد محمية فرنسية ، واخيرا ضمت فرنسا نهائيا الاراضي الكمبودية التي اسمتها كوتشيتشينا الى فيتنام ، ومن ضمن تلك الاراضي الجزيرة المعروفة باسم فوكواس وهي لا تزال فيتنامية حتى اليوم ، اما الحدود الكمبودية – التايلاندية فقد تم تثبيتها بموجب اتفاقية بين فرنسا وتايلاند بين عامي ١٩٠٤ و ١٩٠٧ ومن الشرق والجنوب اعترفت فيتنام انئذ بالحدود الحالية لكمبوديا ٠

وقد ظل الاستعمار الفرنسي متحكما في مقدرات الشعب الكمبودي اكثر من ثمانين سنة ، وحتى بعد الاستقلال عام ١٩٥٣ بقيت البلاد محكومة بعلاقات شبه اقطاعية ولم تمح آثار الاقطاع والتحكم الاقتصادي والثقافي الفرنسي الا بعد تحرير البلاد وسقوط لون نول عام ١٩٧٥ ٠

ورغم حصول كمبوديا على استقلالها عام ١٩٥٣ ظلت ضمن الاتحاد الفرنسي الى ان اصبحت عضوا في الامم المتحدة عام ١٩٥٥ ٠

## سياسة الحياد الكمبودية بين عامي ١٩٥٥ ـ ١٩٧٠ :

منذ عام ١٩٥٥ كان الحياد والاستقلال والسلام شعارات ورغبات ومكاسب مرجوة يتوق الشعب الكمبودي باسره لتحقيقها والحفاظ عليها ، باستثناء قلة من المترددين · لكن تلك الفترة كانت بداية التدخل الامريكي لوراثة النفوذ الاستعماري الفرنسي الذي كان قد تقهقر واهتز من الجذور نتيجة اوضاع فرنسا الداخلية الاقتصادية والسياسية · وقد سعت الامبريالية الامريكية لفرض سيطرة واسعة على المقدرات الكمبودية ، الى ان استطاعت بالضغط المتواصل ومشورة المترددين في آنواحد انتفرض توقيعاتفاقية معكمبودياعام١٩٥٥ تحت مظلة تقديم مساعدات عسكرية واقتصادية ، ولم تكن تلك الاتفاقية تحالفا ، كما لم تدخل كمبوديا حلف سياتو ، الا ان النوايا الامريكية بدأت تتكشف فقد كانت تهدف من وراء معونتها وضغوطها الى احكام السيطرة على البلاد وتقوية قبضة عملائها الذين بدأت تهيئهم وتضع بين ايديهم الامكانيات للزحف نحو السلطة وسحق القوى الوطنية وتصليب التيار المتعاون مع الامبريالية ·

وبهذا التدخل المقنع اثارت الولايات المتحدة عدة مشاكل في البلاد ·· وكلما ازداد ضغط التدخل الامريكي ازداد الشعب وقواه الوطنية تمسكا ومطالبة بسياسة الحياد وحفظ الاستقلال والسلام ، على الرغم من موقف جون فوستر دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة آنذاك الذي قال : ان الحياد موقف لا اخلاقي · استمر الشعب الكمبودي في دفع المترددين والحكومة ، بنضاله الدؤوب للتمسك بمبدأ الحياد ، وقابل الاميركيون هذا التيار الوطني بالمؤامرات المتتالية ، ولم يؤد ذلك الا الى ازدياد حدة نضال الشعب الذي قاوم مؤامرة الجنرال الخائن دابتشون الانقلابية عام ١٩٥٨ ومؤامرة المخابرات المركزية عام ١٩٥٩ ومحاولات ١٩٦٣ ، وظل الصراع والتوتر في تصاعد الى ان بلغت الامور حد قطع العلاقات الدبلوماسية بين بنوم بنه وواشنطن عام ١٩٦٥ · رحلت السفارة الامريكية من بنوم بنه لتفسح المجال لدور العملاء الذين كانوا قد ركزوا قواهم وشرعوا في تنفيذ مخططات اسيادهم الامبرياليين للوصول الى السلطة ، وقد استطاع اولئك العملاء ان يمارسوا ضغوطا شديدة على الامير نوردوم سيهانوك ارغمته على الموافقة على اجراء ما سمي بالانتخابات الحرة عام ١٩٦٦ · كان النظام السائد قبل ذلك هو التحكم في عملية الترشيح · اما انتخابات ١٩٦٦ التي قادها العملاء تحت ادعاءات الديمقراطية والسيادة الحرة ·· فقد اوصلت الى الجمعية الوطنية عملاء امريكا وربيبها لون نول الذي اصبح رئيسا للوزراء ، وذلك يعود الى تحكمهمفي ادارة وتمويل عملية الانتخاب· وجاءت الحكومة وليدة تلك اللعبة تحمل نوايا التدمير والسجن والمطاردة والتشتيت للقوى الوطنية وحل اي تنظيم يمكن ان يقود نضالا ضدها · واصبح الوطنيون مطاردين ، وقد ابلغ الوطنيون الامير سيهانوك بان عملاء اميركا قد دمروا الحياد والاستقلال وانهم سيتفرغون لتدميره شخصيا بعد ذلك ، فلم يثق الامير بهذا القول الى جانب ان قوة السلطة كانت قد خرجت من يده · وكان العملاء اذكياء ايضا فقد افتعلوا عدة احداث وزوروا عدة تقارير ، لايجاد المبررات للبطش بالوطنيين وكبت الشعب ودق اسفين في وحدة القوى الوطنية · ومن الاحداث المثيرة حادثة ١٩ نيسان في مقاطعة ساملوت حيث قاوم الشعب عمالة الحكومة، فاتهم لون نول شعب المقاطعة بمقاومة الحكومة والتمرد عليها ·

وفي ذلك الوقت ، ركزت دعايات لون نول ، على مسالة تمزيق وحدة القوى الوطنية · فبدأ الترويج لمجموعة من الافكار الانقسامية ، التي تتركز حول وجود تيارين يطالبان

بالحياد : الشيوعيون ، وانصار الحياد الحقيقيين · لكن هذا لم يؤثر على مسيرة النضال، فكانت الصدامات داخل كمبوديا تزداد عنفا على امتداد السنتين اللتين سبقتا انقلاب لون نول عام ١٩٧٠ ·

ولو لم يكن ذلك الصمود الوطني في الصراع الدامي ضد لون نول وعصابته العميلة لسحقت القوى الوطنية وسحق سيهانوك وجرى في كمبوديا ما كان قد جرى في اندونيسيا، لكن قوى الحياد الوطنية ازدادت خبرة وصلابة وتماسكا من خلال نضالها في تلك السنتين · وعلى وجه العموم كان نضال الشعب الكمبودي على مدى ستة عشر عاما مريرا وقاسيا ، ولكن ذلك هيأه لمواجهة الانقلاب اللون نولي ·· اذ كانت القوى الوطنية تضع في حسابها ان انقلابا سيقع في البلاد ، ولما ابلغت قيادتها الثورية الامير سيهانوك بان لون نول يقول علانية بانه سيصبح يوما ما مثل نوين وان هذا يعني انه يدبر انقلابا ضد نظام سيهانوك قام الامير باعتقالهم ولم يأسف لذلك الاجراء القاسي الا بعد ان ذكره بعضهم بتلك الواقعة في بكين بعد الاطاحة بنظام حكمه من قبل لون نول الذي خان الامانة لصالح اسياده الامريكان ·

وفي حديثه عن تلك الفترة اشار ايينغ ساري نائب رئيس مجلس الوزراء : « كنا حينئذ نملك خمسة بنادق فقط ، حتى اصدقاؤنا الفيتناميون لم يتفهموا اهدافنا ودوافعنا النضالية ولم يساعدونا وكان علينا ان نعتمد على انفسنا ، اذ رأينا ان الاعتماد على النفس هو احسن الاساليب ، وذلك اعطانا اروع الدروس التي هدتنا الى طريق النصر والتحرير » ·
ويؤكد القادة الكمبوديون ان مبدأ الاعتماد على النفس الذي اتبعوه لم يكن مستمدا من اية تجربة في الخارج بل موقفا واسلوبا ذاتيين · « لقد تعلمنا انه في احلك الظروف واقصى الصعوبات يمكن المضي بالثورة ، ونحن على قناعة تامة بان الطريق الذي سلكناه كان صحيحا جدا » ·

## حرب الشعب من ١٨ـ٣ـ١٩٧٠ الى ١٧ـ٤ـ١٩٧٥ :

وتمتد هذه المسافة الزمنية بين تاريخ الاطاحة بنظام الامير نوردوم سيهانوك وتولي العميل لون نول وزمرته السلطة في البلاد الى يوم تحرير مدينة بنوم بنه ، وهي تغطي سنوات الحرب الخمس بين الشعب الكمبودي تحت قيادة منظمته الثورية وجبهته المتحدة من جهة وبين عملاء الولايات المتحدة وجنودها وطائراتها ومعداتها التدميرية من جهة اخرى ·

ويمكن تقسيم فترة الخمس سنوات وشهر تلك الى ثلاث فترات زمنية : ـ

الاولى : ـ استمرت من ١٨ ـ ٣ ـ ١٩٧٠ حتى نهاية عام ١٩٧٠ ·

الثانية : ـ من بداية عام ١٩٧١ حتى ١٥ ـ ٨ ـ ١٩٧٣ ·

الثالثة : ـ استمرت من ١٥ ـ ٨ ـ ١٩٧٣ حتى ١٧ ـ ٤ ـ ١٩٧٥ ·



**الفترة الاولى :**

تميزت هذه الفترة المبكرة من تاريخ الحرب المصيرية ، بالقتال ضد العدو بدون قوات

مسلحة كاملة ، اذ انه رغم سخونة السنتين اللتين سبقتا الانقلاب العميل والصدامات التي دارت خلالها ، لم تتشكل لدى الوطنيين وحدات كبيرة او حتى متوسطة ، بل وحدات صغيرة من ١٠ ــ ١٥ مقاتلا ، لكنحدوث الانقلاب هتك ما كان يخفيه الامبرياليون والعملاء ووضع الشعب مباشرة في مواجهة العدوان على سيادة بلاده ، وبدأت قوات الثورة المسلحة تزداد عددا لكنها لم تصل الى مرحلة تشكيل لواء ٠ ان الميزة الرائعة التي مكنت المنظمة الثورية من مواجهة مسؤولياتها بسرعة وبدون اي ارتباك تكمن في وجود قوة سياسية منيعة جدا ، وهذا يعني ان الشعب قد عرف الحقيقة فعرف ان كل ما كان يصدر عن الوطنيين من مقاومة وتحريض ومواجهة صدامية ، كان صوابا ، القناعة التي دفعت بالاغلبية الى تلبية نـــداء الجبهة الوطنية المتحدة والالتحاق بالقوى المقاتلة ، سواء في مجال القوات المتحركة ام في قوات المحافظات ام في القوات الفدائية ٠

بعد الانقلاب استعمل العدو كل حيلة ممكنة لاخفاء نواياه ولونه الحقيقي ، فبدا لـــون نول مناورات سياسية واسعة ، ادعى انه يقيم في البلاد نظاما جمهوريا على انقاضـــــ النظام الملكي ، وان ما يفعله هو تعبير عن رغبة الشعب وان الشعب يتذمر من وجـــود النظام الملكي الذي اطاح به ، كما ادعى ان النظام الملكي كان موضع سخط الخمير الحمر وقد اتبع لون نول حملته الدعائية بالافراج عن المعتقلين ، وتنظيم حملة دعائية واسعة ضد الفيتناميين وذلك في ظل راية وطنية مزيفة رفعها عملاء العدو ٠

ورغم تلك النشاطات الواسعة التي مارسها العميل لون نول وزمرته فان الحيلة لم تنطل على احد ٠٠ واتخذت المنظمة الثورية في اطار الجبهة الوطنية المتحدة من ذلك كله موقفا حازما ولم تخدعها المناورات فالعداء بين الوطنيين من جهة وبينالاستعماريين والامبرياليين والعملاء من جهة اخرى مبدئي والصف الذي كان يقف فيه لون نول معروف ، وقد تمكـن قادة الثورة من تحريك قوة شعبية كبيرة ضد العدو ٠ والثورة ــ كما ذكرت ــ لم تكـــن تملك قوات عسكرية كبيرة ، لكنها كانت تملك قوات سياسية صلبة ، اما العدو فهو ايضا لا يملك قوات مسلحة كبيرة ٠٠ ومنتقدير الموقف حينئذ يمكن القول بلا تردد ، انه لـــو كانت الحرب ضد لون نول وزمرته فقط لتم اسقاطه بسهولة وبأقل قدر من التضحيـــات والدماء ٠ لكن التدخل الامبريالي هو الذي اطال عمر الحرب الى خمس سنوات وشهر ، حافلة في كل يوم من ايامها بالنزيف الدموي والدمار الذي ما زالت تشهد به بقايا المدن المدمرة وجذوع نخيل السكر والجسور المتهدمة ٠

## التدخل الامريكي المباشر :

وتتوالى الاحداث بشكل دراماتيكي متلاحق ، القيادة الثورية بتحليلها الصادق وخطها السياسي الصحيح وخبرتها النضالية السابقة ، كانت مهيأة للمواجهة بلا تردد ، وتمسك بزمام المبادرة ٠ والجديد هو ان الحرب اصبحت سافرة ! اتضحت الجبهات والمواقـــع واسباب الصراع ، فسارت الحرب في منعطف دموي للغاية ولكن في اتجاه الحسم النهائي٠ وسرعان ما تدخلت الولايات المتحدة سافرة بلا خجل ، فاصبحت قوة اساسية في الحـرب العدوانية بشكل علني الى جانب عملائها ، دخل الجنود الاميركيون من الجنوب ومـــن الشمال والشرق ، وشهد يوم الخامس من ايار ــ مايو ١٩٧٠ اكبر عملية نقل جـــوي ، اذ غطت السماء اسراب الطائرات العامودية ( الهيليوكبتر ) الاميركية ، فنقلت كل شيء

حتى الدبابات والطائرات النفاثة المقاتلة و٢٠،٠٠٠ جندي · اما في الشمال الشرقي فقد جرت عملية انزال اميركي لـ ٨٠٠٠ جندي خلال ٢٤ ساعة في محافظتي موندولكيري ،رتناكي ويقول ايينغ ساري ( وكان في ذلك الوقت قائد المقاومة الشعبية في تلك المنطقة ) « لم نكن نملك سلاحا لمقاومة الانزال ، فدببنا اخشابا طويلة من الادغال على شكل حراب وغرسناها في الارض تستقبل المظليين المعتدين ، وكانت الوحدة العسكرية التي لدينا لا تتجاوز الثلاثين فرداً ، مما جعل البعض يصابون بخور في العزيمة اذ قالوا انه اذا لم يساعدنا احد من الخارج فلا طاقة لنا لمواجهة هذا العدوان ولن ننجح في دحره ، فقلنا للمترددين ، انتم وشانكم فاما ان تقاتلوا او ان تنسحبوا ، اما نحن فقد قررنا ان نقاوم المعتدين بانفسنا وبالوسائل المتوفرة لدينا » ·

ورغم عنف التدخل الامريكي ، فقد شجع الثوار ما كان يلقى الغرباء المعتدون من صعوبات بالغة ·· كان الاميركيون في حاجة لانزال كل شيء بالطائرات العامودية ·· الطعام والماء والذخائر والآليات حتى انزال « دوش » من اعلى للاستحمام ، وكانوا في نفس الوقت يواجهون صعوبة المناخ وانتشار البعوض الذي كان يملأ المنطقة· فالى اي وقت يستمر احتمال اجساد الغزاة لقسوة الطبيعة الرافضة لوجودهم ·

الغابات واسعة ، وصعوبات الاعداء كبيرة ، كل ذلك جعل الثوار على يقين من ان الغزاة الامريكيين سيفشلون ولن يستطيعوا البقاء ، وان اقامتهم على الاراضي الكمبودية لن تكون طويلة · قاتلوهم بمجموعات ثلاثية وقنص من عدة اماكن وكلما حانت الفرصة واشغلوهم في كل اللحظات ، ولم يتمكن الجنود الاميركيون من الاقامة اكثر من شهرين عجزوا خلالها عن تدمير قوات جيش التحرير الناشيء ، بل ان فرصة وجود الاعداء الغرباء كانت وقتا رائعا لتنظيم القوات الثورية والكوادر · كونت المنظمة الثورية خلالها نواتها بالاعتماد على النفس ، وحصلت على اسلحة اكثر سمحت لها بمواصلة القتال ، وفي الوقت الذي اعتدى فيه الاميركيون على المناطق الآنفة الذكر اعتدى جنود اميركيون اخرون ومعهم ١٠٠ر٠٠٠ جندي سايغوني من جهة الجنوب الشرقي فاحتلوا جانبي الطريق رقم (٧) ، وبعد الرحيل الاميركي الذي اشرنا اليه بقي الجنود السايغونيين حتى عام ١٩٧١ · وهكذا نستطيع اعتبار الفترة الاولى حسب ما ورد في التقسيم عند بداية البحث، فترة العدوان الاميركي المباشر من جانب القوات الاميركية والسايغونية ، وما دمنا بصدد ذكر دور السايغونيين فانه يبدو ان ذلك الدور السيء قد اقتصر بعد احتلال مواقع كقاعدة نياك لونغ وغيرها على طرق التموين كنهر الميكونغ الذي كانت تعتمد عليه سلطة لون نول في بنوم بنه ، وعلى عمليات كبت وتقتيل المواطنين في كافة المناطق التي احتلوها من الاراضي الكمبودية ، وكثيرا ما كانت تحدث بينهم وبين قوات العميل ،لون‌نول‌صدامات، اثر خلافات حادة تنشأ بين الحين والاخر ، وقد انسحب السايغونيون عام ١٩٧١ بعد ان وجهت اليهم قوات الثورة الكمبودية ضربات عنيفة اضطرتهم الى ذلك ·

وفي تلك الفترة كان لون نول قد تمكن بما توفر له من مساعدات مالية ومعدات حربية امريكية من ان يرفع عدد قواته الى ١٨٠،٠٠٠ جندي ، وظل يحارب الثورة مدعوما بالمساعدات الامريكية والطيران الاميريكي ·

**الفترة الثانية :**

تمتد من عام ١٩٧١ حتى ١٥ ــ ٨ ــ ١٩٧٣ ، وهي فترة الحرب المدارة من قبل لون نول

وزمرته تحت اشراف المستشارين الاميركيين ،منه الجنود ومن الولايات المتحدة المستشارون والاموال ومعدات الحرب ، والمساندة الجوية بالقصف لمواقع الثوار · ومن ابرز العمليات الحربية الكبيرة التي نظمها لون نول واسياده في تلك الفترة عملية تشانلا ٢ على طول الطريق رقم ٧ ولكن تلك العملية التي علق العدو عليها امالا كبيرة فشلت ، وتكبـــدت قوات لون نول خسائر فادحة على اثر الهزيمة التي منيت بها · وفي الوقت ذاته قويــت شوكة الثوار وثقتهم بالنصر ·

## بين العروض والتهديدات الاميركية :

ظهرت في الافق عروض للتفاوض بين الجبهة الوطنية المتحدة وبين العميل لون نول ، وكانت مفاوضات باريس من اجل تسوية في فيتنام مستمرة ، ولم تكن تلك العروض تهـم الشعب الكمبودي وقواته الثورية ، اذ كانت الثورة تحرز انتصارات متتالية ، وتسير فــي خطتها التي كانت ترمي الى تحرير كل ما تبقى من الريف لتحكم الطوق على المدن التــي كانت تتواجد فيها القوات المعادية وخاصة العاصمة بنوم بنه ، لكن ضغوطا مورســـت على الجبهة الوطنية المتحدة من الخارج ·· فكان جواب الثورة هو رفض المفاوضـــات سواء مع لون نول او مع الولايات المتحدة ، والاستمرار في القتال حتى تحرير الوطـــن كاملا ·· وقد قيل حينئذ وفي سياق العروض ان المفاوضات بين كيسنجر وزير خارجيـة الولايات المتحدة وبين الفيتناميين قد نجحت بنسبة ٨٠ ٪ ولم يبق لتوقيع اتفاقية بيـــن الطرفين الا اجتياز ما تبقى من نقاط وهو ٢٠ ٪ · وقد نقل آنذاك عل ىلسان كيسنجر انــه اذا رفض الثوار الكمبوديون المفاوضات واصروا على ذلك ، فان سلاح طيران الولايــات المتحدة سيدمر كمبوديا خلال ٧٢ ساعة · وكان الجواب الثوري الكمبودي على التهديد « اذا فرض التدمير الامريكي على بلادنا ، فاننا لن نتردد في قبول التحدي ، وان لنــا الشرف ان نقاوم العدوان حتى لو لم يبق منا سوى رجل واحد » ·

ومن ذكريات تلك الفترة يروي قائد بارز من قادة المنظمة الثورية « في ١٢ كانون اول ـ ديسمبر ١٩٧٢ قصف سلاح الجو الامبريالي الامريكي مدينة هانوي بكل عنف وقسوة ، وفي نفس الوقت سمعنا التهديدات الامبريالية ·· فماذا كان يمكن ان نفعل ؟ ·· كان علينا ان نقاتل ، كنا نرى في عنف الهجمات الامبريالية وفي القصف الجوي المسعور ما يشيـر الى ضعف موقف الولايات المتحدة ، وكان ذلك الاعتقاد يزيدنا ايمانا بحتمية النصر ، القضية الفيتنامية تخص الفيتناميين يتصرفون حيالها بما يناسب اوضاعهم وواقعهم ، اما كمبوديا فامورها تعنينا نحن الكمبوديين · بعد اتفاقية باريس عانينا كثيرا ، وقــد اعرب اصدقاؤنا الفيتناميون عن عدم امكانية تمرير الاسلحة الينا ·· وبدا النصر بعيـدا لدى كل المراقبين ، حتى الرئيس شو ان لاي قال لي يومها « ان وضعكم قد اصبح في غايــة الصعوبة ، وربما تضطرون لمواصلة حرب عصابات من عشر الى خمس عشـــرة سنــة اخرى » ·

## الايام العصيبة :

في السابع والعشرين من كانون ثاني ـ يناير عام ١٩٧٣ وقعت اتفاقية باريس المتعلقة بالوضع في جنوب فيتنام ، وكان الموضوع يخص الفيتناميين وحدهم ، ولم تعترف القيــادة الثورية الكمبودية ، بتلك الاتفاقية لانه لا علاقة لها بالوضع في كمبوديا ·· ظـــــروف

الفيتناميين وتقديرهم لتلك الظروف جعلهم يوقعون اتفاقية باريس ، اما الكمبوديون فانهم رفضوا مبدأ المفاوضات باصرار ، لقناعتهم بانها ستؤدي الى انقسامات خطيرة في بلادهم وتضيعها كلها من بين ايديهم · فماذا كان بعد ذلك ؟

بتوقيع اتفاقية باريس والتزام فيتنام بها ، اغلق المنفذ الوحيد الذي كان بمثابة شريان حيوي يتلقى منه الثوار الكمبوديون ما ترسله لهم جمهورية الصين الشعبية من مساعدات، واصبحت كمبوديا محاصرة من كل الجهات ، وهو وضع فريد في غاية الخطورة ، نجم عنه عجز في الاسلحة والعتاد استحال تعويضه من الخارج وسقطت بهذا الحصار قيمه اي دعم مادي من اصدقاء الثورة في الخارج ، وفي الوقت ذاته تركزت كل نشاطات سلاح الجو الاميركية بعد نهاية مهمته في فيتنام على كمبوديا · وقد شمل القصف الجوي الاميركي الذي اشتركت فيه طائرات بي ٥٢ ذات الثماني محركات كل جزء في البلاد ، وخاصة حول بنوم بنه وعواصم المحافظات حيث كانت قوات الثورة متشابكة مع القوات العميلة · ورغم وحشية الغارات فقد ظلت قوات جيش التحرير ملتحمة مع مواقع العدو في تداخل قلل من فعالية الطيران ، ولكن ذلك القصف المركز المتواصل على مدى ١٤٥ يوما دمر كل الجسور القائمة على طرق البلاد ، واتلف المزروعات ودمر اغلب العمران في المحافظات ، حتى لنعجب ماذا ابقت الحرب في كمبوديا ؟

وامام الوضع الحرج وانغلاق كل المنافذ رأت قيادة الثورة انه لا بد من مواصلة القتال والا ضاعت قضية الشعب الكمبودي ، وعقدت العزم على التمسك بكل صلابة بخطها الثوري العنيف رغم النقص المخيف في السلاح والتموين والادوية وغير ذلك من ضروريات المعارك والحياة ، وتحدت كل الصعوبات التي في طليعتها الحصار والقصف الجوي المركز · ويقول المهندس كيت شيون ( كان وزيرا في الحكومة المنبثقة عن الجبهة الوطنية المتحدة ) : « لقد بقينا لوحدنا نقاتل في اسوأ الظروف على مدى عامين ١٩٧٣ و ١٩٧٤ وحتى التحرير » ·

وقد هز الوضع القاسي في كمبوديا آنذاك العالم باسره ، وعلى الاخص شعوب العالم الثالث،فانتصرت لشعب كمبوديا المناضل ووقفت الى جانب حقه في وجه الهجمة الامبريالية الشرسة · حتى اتخذ الكونغرس الاميركي قرارا اجبرت بموجبه الادارة الاميركية على التوقف عن قصف الاراضي الكمبودية · والتزمت الادارة الاميركية اخيرا بالقرار التزاما شكليا ، بعد ان عجزت بكل ما مارست من عنف عن تدمير قوات جيش التحرير الكمبودي· كما عجزت عن التاثير ولو جزئيا في القرار الثوري الكمبودي القاضي باستمرار القتال حتى تحقيق كافة الاهداف الوطنية ·· ولم يكن توقف القصف الاميركي المباشر يعني التخلي عن السلطة العميلة برئاسة لون نول ، فقد عملت الادارة الاميركية كل ما في وسعها لدعم موقف لون نول ومده بكل الاسباب التي تساعده على المضي في محاربة الثورة ·· ولكن الحرب دخلت مرحلة جديدة ·

**الفترة الثالثة :**

وتمتد هذه الفترة من ١٥ ــ ٨ ــ ١٩٧٣ حتى ١٧ ــ ٤ ــ ١٩٧٥ وهو يوم تحرير بنوم بنه · وخلالها حاربت القوات العميلة كادوات للامبريالية الامريكية ، وتوزعت فيها الادوار بين السادة الامبرياليين وبين المسودين لون نول وعصابته ·

الولايات المتحدة تولت تقديم كافة اللوازم مثل الطعام والسلاح والمعدات الحربية ، كما تولت تقديم الارشاد اللازم للسلطات العميلة فيما يتعلق بتحركات جيش التحرير ومواقعه ، وذلك بواسطة الطائرات الامريكية التي توقفت عن القصف وابقت على عمليات التحليق اليومية في الاجواء الكمبودية لجمع المعلومات عن الثوار وتوجيه القوات العميلة ٠ واكثر من ذلك ظل القرار امريكيا ، والمستشارون اميركيون حتى اللغة المستعملة في العمليات والاوامر وتسجيل الحوادث والخرائط وتوجيه الحرب وادارتها كانت اللغة الانجليزية ٠

اما لون نول فكان عليه تقديم لحم الجنود ودمهم وايديهم للحرب مستغلا الجهل والبؤس والمجاعة من جهة ليزيد عدد جيشه ، وعمالة وحماقة جنرالاته ذوي الصيت السيء ٠
وكانت تلك الفترة فترة قتال في منتهى العنف والضراوة ، ومع كل الصعوبات المفروضة اخذ الوضع يتطور بسرعة لصالح جيش التحرير ٠٠ كان عام ١٩٧٤ مليئا بالتجارب وليدة الصعوبات والمعارك الطاحنة ٠٠ وفي ليلة الاول من كانون ثاني ـ يناير ـ ١٩٧٥ بدأ الهجوم الكبير ٠ فقد فتح الثوار في ذلك الهجوم العام ثلاث جبهات ٠

الاولى : جبهة نهر الميكونغ ، وكانت في غاية الاهمية ، اذ كان الميكونغ هو المنفذ الوحيد والشريان الرئيسي الذي يربط بنوم بنه بسايغون في جنوب فيتنام وعبره كانت تاتي قوافل الامدادات التموينية والتسليح للقوات العميلة ، وكان قطع هذا الممر الحيوي يعني احكام الحصار على العدو ، ووضعه في اشد المأزق ، وقد صمم الثوار ان يقطعوا طريق الميكونغ في شهر ٠

الثانية : حول مدينة بنوم بنه العاصمة ، وهي ايضا هامة ، لان العاصمة كانت المعقل الرئيسي لادارة العملاء ومقر قيادتهم السياسية والعسكرية ٠

والثالثة : جبهة حول العواصم الاقليمية ( عواصم المحافظات ) ، التي كانت القوات العميلة تسيطر عليها ما عدا عاصمة محافظة واحدة كان قد تم تحريرها مبكرا ، وقد كانت هذه العواصم مقطوعة الاتصال ببعضها البعض ارضا ولا يأتيها التموين والامداد الا بالطائرات ٠ اما الريف وهو يشكل ٩٠ ٪ من الاراضي الكمبودية فقد سيطر عليه الثوار ووطدوا فيه سيادة الفلاحين منذ وقت مبكر ٠

ماذا بعد الهجوم الكبير : بسقوط المواقع التي سلف ذكرها ، سقط اخر امل للامبرياليين وعملائهم ، لكن لون نول لم يستطع الصمود لمواجهة قدره المحتوم على الارض الكمبودية ٠٠٠٠ واوقع العقاب بنفسه ، وطار بها مدفوعة بهلعه وجبنه ، متعلقة بملايين الدولارات التي نهبها من الخزينة ، وانتقل ذليلا ممتهنا الى هونولولو ليموت غريبا تحت وطأة ماساته ٠ لقد بكى لون نول وهو يغادر مطار بنوم بنه متوكئا على عصا لسند جثته التي اثقلتها الهموم وتكاليف التبعية ، وشاهدت دموعه الملايين بواسطة التلستار ، لكنه ليس حزنا على فراق الوطن ، بل ابكته مرارة الهزيمة وتلاشي الاحلام ووصمة العار الابدية ٠٠ رحل الى غير رجعة تاركا حطام السلطة المنهارة لشركائه في العمالة يتداولونها ثم يفرون تباعا بالطائرات العامودية ممسكين بثياب الاميركيات الراحلات ٠

ورمت الولايات المتحدة وعملاؤها في بنوم بنه اخر سهم في الجعبة ، فعرضوا

بواسطة جورج بوش في بكين ( لقد اصبح بوش مديرا لوكالة المخابرات المركزية حاليا ) على رئيس الجبهة الوطنية المتحدة ان يتفاوض للعودة وتسلم السلطة ، لكنه اجاب بلسان الثورة الظافرة : « لا مفاوضات » وليرحل الاميركيين من البلد بسرعة وعلى العملاء ان يستسلموا فورا ،وهكذا تسقط اخر حيلة ، ويرحل السفير الاميركي والمستشارون الاميركيون ، تاركين وراءهم لوحات غرف العمليات العسكرية تروي احداث اخر ايامهم ، ومعهم تفر فلول العملاء المتبقية ممن ارتكبوا جرائم لا تغتفر بحق الشعب ٠

وبرحيل الاميركيين القسري يوم ١٢ ـ ٤ ـ ١٩٧٥ ، تحقق النصر النهائي الذي توجه تحرير مدينة بنوم بنه يوم ١٧ ـ ٤ ـ ١٩٧٥ وعلى جبهة حصار عواصم المحافظات احرزت قوات جيش التحرير وقوات المقاطعات انتصارات سريعة فحررت تلك المدن بسرعة ، وخلال ايام٠ كان اخرها تحرير مناطق الحدود مع تايلاند وقد تم في اربعة ايام وحررت مدينة سييم رييب وهي معقل هام في الشمال الغربي وعلى مسافة ٣١٠ كيلومترات من بنوم بنه في ١٩ ـ ٤ ـ ١٩٧٥ ٠ وقبلها معقل اخر هو مدينة كوينغ توم ٠ وكانت جميع تلك المدن محاصرة ومواقع قتال دائم مع الريف وهي مرتبطة قياديا بمدينة بنوم بنه ، وقد تجمع منها الخبراء الاميركيون بواسطة الطائرات في بنوم بنه وهربوا مع زملائهم وسفيرهم وعملائهم من هناك ٠

وبتحرير كامل التراب الكمبودي ينسدل الستار على اخر مرحلة من مراحل المواجهة العسكرية بين الشعب الكمبودي في جبهته العريضة المتحدة بقيادة المنظمة الثورية ، من جهة وبين الامبرياليين الاميركيين وبقايا مخلفات الاستعمار القديم وطبقة المستغلين من جهة اخرى ٠

ويفتح الانتصار الكامل والحاسم الذي احرزته الثورة الباب على مصراعيه امام التحول الجديد والانتقال الكامل الى نظام اجتماعي واقتصادي وسياسي جديد عبر مرحلة فريدة من نوعها في العالم ٠

## خطة الهزيمة :

بعد رحيل لون نول وعودة باريف الذي رافقه الى جاكارتا وضعت تلك الخطة التخريبية، لتكون سلاحا جديدا في يد العملاء لاجهاض الانتصار الثوري ، وقد بنيت تلك الخطة على اعتبار ان الثوار لن يكونوا مدركين للمصاعب التي تقفز في وجوههم بعد تحقيق النصر ، وعلى ذلك لن يستطيعوا التصرف لمواجهتها ٠ وتتلخص الخطة في النشاطات التالية :

١ ـ خلق حركة سياسية تتظاهر بالحرص على مصلحة الوطن وتدعي الحياد بين الوطنيين والعملاء ، وتحاول شد الانظار اليها كمنقذ ومخلص من ويلات الحرب ٠ اما في جوهرها فهي احتياطي للعملاء ، وجسر ليعبروا منه لممارسة التخريب في المرحلة الجديدة التي تلي سقوطهم ٠

٢ ـ اخفاء كل العملاء الذين ظلوا وراء السفارة الاميركية ووراء لون نول بخلع البزات العسكرية وارتداء الملابس المدنية ، واخفاء الاسلحة في اماكن سرية لتكون في متناول اليد ، والانتشار بين الجماهير في بنوم بنه وغيرها للتحرك في الوقت المناسب ٠

٣ ـ فرز العملاء المختصين في اعمال التخريب لزعزعة الامن وافشال السلطة الثورية الجديدة ، وفعلا مارست تلك الزمر نشاطها مبتدئة بنسف البنك المركزي في بنوم بنه بعد تحريرها بيومين ٠

هذا وقد بنيت الخطة على عاملين اساسيين في تقدير واضعيها :

العامل الاول : مشكلة النقص في الطعام وما يترتب عليه من مجاعات ووفيات وتذمر شامل يخلق معضلات يصعب حلها على السلطة الثورية الجديدة ، وبذلك يعم السخط الجماهيري فيخلق مناخا للحركة السياسية العميلة ذات الحياد المزعوم لتمارس نشاطها التخريبي باسم الانقاذ وتوجيه التيار الساخط في نغم متناسق مع العملاء والاسلحة المتربصة ٠

العامل الثاني : وهو تقدير العملاء المبني على الامل في حدوث انقسامات داخل صفوف الجبهة الوطنية تؤدي الى تفتيتها امام الواقع المرير والوضع المتدهور ٠

وهكذا عملت القوى المهزومة على الافادة من التركة القذرة التي ترتبت على وجودها طيلة السنوات الماضية ، لكن شيئا هاما واساسيا لم تضعه في تقديرها ، وهو الذهنية التي تعمل بها قيادة الثورة وكوادرها في ضوء خط ثوري واضح ٠ نسي العملاء ان الخط الثوري الاستراتيجي والسياسات المرحلية المندرجة فيه مبنية على حسابات دقيقة ومعلومات كاملة عن احوال الشعب والبلاد ٠

## تحرير بنوم بنه والاجراءات الفورية :

في يوم ١٧ ـ ٤ ـ ١٩٧٥ سيطرت قوات جيش التحرير الشعبي على المدينة بعد ان اطبقت عليها من عدة جهات فكانت المدينة في وضع يرثى له ٠٠ الرائحة المنبعثة من جثث الموتى الملقاة في الشوارع والمستشفيات ومن جثث الحيوانات نتيجة الوضع الذي سبق ذكره تملأ الاجواء وفي نفس الوقت اندس العملاء واخفيت الاسلحة لينفذ العدو خطته وفعلا جرت بعض حوادث النسف بعد التحرير مباشرة ، وعلى الفور لجأت قيادة الثورة دون تردد الى تنفيذ خطة « ما بعد النصر » التي كانت قد اعدتها لمواجهة المشاكل الرئيسية الثلاثة : ١ ـ مشكلة الطعام ٠ ٢ ـ مشكلة الامن ٠ ٣ ـ المشكلة الاجتماعية ٠

فحافظت على حياة الناس وباشرت في اخلاء المدينة كليا من السكان بما فيهم الاجانب وقد تم نقل الجميع بدون اي استثناء الى الريف في عملية سريعة بين ٢١ ـ ٢٤ ـ ٤ ـ ١٩٧٥ ٠ ولم يكن امام القيادة اسلم من هذا الاجراء ٠ وكان الريف مهيأ نفسيا وثقافيا لاستقبال سكان المدن ٠

لقد اكتسبت المنظمة الثورية خبرة في هذا المجال عندما تم تحرير عواصم بعض المحافظات وقدر القادة الكمبوديون انه لو لم يتم اجلاء سكان المدينة لنشبت حرب اهلية داخلية أودت بحياة مائة الف نسمة على الاقل ٠ لقد ترتب على اخلاء السكان بعض المشاكل لكن بمقارنة تلك المشاكل مع ما كان سيترتب على بقائهم نجد ان خطوة الاخلاء كانت اجراء رائعا ومدروسا بدقة فائقة ٠

هذا بالنسبة للعاصمة · فما هي مبررات اخلاء المدن الاخرى وخاصة التي تم تحريرها قبل ١٧ ـ ٤ ـ ٧٥ ؟ السبب واضح وهو ان الحرب كانت قد عمت كل انحاء البلاد ومع انتشار الحرب نشطت حركة التجار ورجال الاعمال في استغلال الفلاحين لدرجة ان الفيتناميين الجنوبيين كانوا يجمعون الارز من الفلاحين ويبيعونه الى لون نول، وبالتالي لم يتشجع اولئك الفلاحون للحرب الثورية لوقوعهم تحت تاثير استغلال التجار ورجال الاعمال ، فلجأت القيادة الثورية الى اجراء جذري وحاسم امعت بمقتضاه كل شيء في المناطق المحررة وحتى تقضي على كل انواع الاستغلال وتمنع السوق السوداء اوقفت التعامل بالنقد واعتبرته لاغيا ·

وقد ادت سيطرة الثورة على هذه العملية الى توقف التجار ورجال الاعمال وفرت غالبيتهم الى حيث يمكن ان يمارسوا نشاطهم اللاانساني ·

اجلي السكان الى الريف من كل مدينة كان يتم تحريرها لمنع الاستغلال من جهة ولتجنب مخاطر الغارات الجوية المعادية آنئذ على الاماكن المزدحمة بالسكان ·

كان الكثيرون لا يفهمون اسباب النضال ، وبعد تأميم التجارة عام ١٩٧٢ بقيت السوق السوداء ، فجرت مكافحتها بتنظيم التعاونيات في الريف وبوقف التعامل بالنقد ، ويرجع الفضل لتلك التعاونيات في تسهيل مهمة استقبال النازحين من المدن فيما بعد · وكانت التعاونيات قد اعدت بالتثقيف الثوري المتواصل وخاصة في نهاية اذار ـ مارس ١٩٧٥ عندما اصبحت الثورة على ابواب النصر النهائي ، وذلك لتكون مهياة لاستقبال القادمين من المدن ·

## خبرات من حرب التحرير :

ليس من حقي او في مقدوري ان اعدد الخبرات والدروس التي اكتسبها وتعلمها رواد الثورة الكمبودية قادة وكوادر ، من نضالهم الطويل ومن حرب التحرير التي دارت في بلادهم والتي مثلت اعنف مراحل الصراع بين الوطنيين والعملاء ، لذلك اترك الحديث حول هذا الموضوع لاحد القادة البارزين :

« ان بلادنا صغيرة ، وقد عانى شعبنا كثيرا من جراء تلك الحرب العدوانية الشرسة ، فالاحوال المعيشية كانت سيئة للغاية ، وما زالت تواجهنا صعوبات كثيرة في هذا المجال ، لقد اوصلتنا خبرتنا التي اكتسبناها من نضالنا الطويل الى حقيقة اساسية وهي اننا لو لم نعتمد على انفسنا وقوانا الذاتية لما استطعنا تحقيق النصر وحل المشكلات المستعصية، وهذه هي احدى الخبرات الهامة جدا التي اكتسبناها بالممارسة في الواقع الملموس · بين عامي ١٩٤٧ ، ١٩٥٤ كان هناك نضال ضد الفرنسيين ، قدم خلاله الشعب الكمبودي تضحيات جسيمة ، لكننا استخلصنا منه الدروس والعبر ، فاعتمدنا مبدأ الاعتماد على النفس ·· وفي حرب التحرير تلقينا دعما من الاصدقاء ولا ننكر اهمية ذلك الدعم ، لكن النصر الحاسم تحقق بفضل قوانا الذاتية ، ولن ننسى كيف واجهنا مصاعب العجز في السلاح وفي ذخائر البنادق ، وكيف لجانا الى تخليص احتياجاتنا من ايدي الاعداء رغم الثمن الباهظ الذي دفعناه ·

كنا مصممين على القتال ، وحاجتنا ملحة للقذائف وذخائر البنادق وكان الحصـــول عليها صعبا جدا وتلك الحالة قد تكون اقتصرت على كمبوديا وحدها دون سواهـــا ٠٠ لكننا نذكرها لعلها تكون مهمة لدى بعض الاصدقاء واؤكد انه طيلة سنوات الحرب لـــم يكن بين مقاتلينا غريب واحد او مستشار من الخارج ٠ لقد تعلمنا الحرب بانفسنا مـــن خلال الممارسة العملية ، شاباتنا وشبابنا لم يكونوا على معرفة بقيادة الدبابات ، لكنهـم وضعوا انفسهم في الدبابات التي سقطت في ايدينا وقادوها ، ومن ذلك كله تعلمنا انـــه يجب ان نثق بشعبنا وصممنا على النضال في ضوء امكانياتنا وفي ضوء واقعنا ، وهذه خبرة مفيدة للاقطار غير المتطورة » ٠

ويتضح من حديث القائد الكمبودي بينغ ساري ان المنظمة الثورية التي كانت العمود الفقري للجبهة الوطنية المتحدة ، تعتمد على الشعب وتؤمن بان قوة الجماهير الخلاقـــة معين لا ينضب ، وبالتالي تثق بالشعب وقدرته الدائمة على العطاء ٠ ولن يكون فـــــي مقدور اية قوة ان تهز الكيان الثوري الكمبودي المتلاحم ٠

## ما بعد التحريـــر

في شهر نيسان ١٩٧٥ تحقق النصر النهائي ، وتم تحرير التراب الكمبودي من النفوذ الاجنبي كما تم تحرير الانسان الكمبودي من وطأة التسلط والاستغلال والتمزق ٠

وفي شهر نيسان اسقط الثوار السلطة العميلة ، واقام قادة الثورة وكوادرها السلطة الثورية ٠٠٠ بدأ عهد دولة الفلاحين والعمال والجنود وهم السواد الاعـظم في الشعـب الكمبودي واصحاب المصلحة الحقيقية في النضال الطويل ومنجزاته ٠ وفي نفس الشهـــر انعقد المؤتمر الثالث للجبهة الوطنية المتحدة بين ٢٥ و ٢٧ ـ ٤ ـ ١٩٧٥ ليقـرر اجـراء انتخابات عامة لاختيار نواب الشعب في ٢٠ ـ ٣ ـ ١٩٧٦ ٠

**المهمات الرئيسية :** مع تحقيق التحرير الكامل برزت ثلاث مهمات رئيسية تحتاج الـــى انجاز وهي بمثابة مشكلات كانت تتطلب حلا فوريا بدون ادنى تردد :

الاولى : حل مشكلة الطعام حتى الحصاد القادم ٠

الثانية : تعزيز الدفاع وترسيخ الامن في المحافظات ومناطق الحدود ٠

الثالثة : كيفية تنفيذ وممارسة العمل الانتاجي ٠

وقد جاءت تلك المشكلات بسرعة وقبل الاوان ٠ فقد كانت التقديرات تشيـــر الـــى ان التحرير النهائي لن يتم قبل ايار ١٩٧٥ وذهب المراقبون الاجانب الى الاعتقاد بانه لـــن يتم قبل عام ١٩٧٦ وحتى الامير نوردوم سيهانوك وانكر انه قال قبيل التحرير بايام وكنـت قابلته حينئذ في بكين « اذا استطاع العملاء الصمود في بنوم بنه حتى حلول فصل الامطار الذي يبدأ في نيسان ـ ابريل ١٩٧٥ فان مهمة جيش التحرير الشعبي ستكون صعبـــة وسيمتد القتال حتى حلول فصل الجفاف الذي يبدأ في شهر تشرين ثاني ـ نوفمبر ١٩٧٥ ٠ ( في كمبوديا فصلان فقط فصل الجفاف ويبدأ في شهر تشرين الثاني ٠ وفصل الامطار ويبدأفي

شهر نيسان ) • لكن المثابرة على القتال اختصرت الوقت كثيرا وتجاوزت الحسابات وبرزت المشكلات المذكورة • فكيف تصرفت القيادة الثورية ازاءها ؟

١ ـ من اجل حل المشكلة الاولى وهي مشكلة الطعام حتى الحصاد القادم ، بادرت القيادة الثورية الى اجلاء السكان من المدن الى الارياف ، بعد ان وزعت عليهم كل ما كان موجودا لديها من مواد تموينية ، ورغم استمرار الصعوبات الشديدة حتى تشرين الاول ١٩٧٥ لم تصل الامور الى حد حدوث وفيات ناجمة عن الجوع • وكل الوفيات التي حدثت بين نيسان ١٩٧٥ وتشرين الاول من العام نفسه كانت بين سكان المدينة بسبب الاحوال الريفية التي لم يكونوا معتادين عليها من قبل •

وفي نفس الوقت تم تحريك قوات جيش التحرير الشعبي للانتاج ، اما المحاربون الذين انتهوا لتوهم من عمليات القتال فقد انخرطوا في العمل ضمن الخطة الانتاجية قسم منهم في تأدية مهمات الانتاج الزراعي وقسم توجه لاصلاح الطرق والسكك الحديدية التي كانت قد اتت عليها الحرب ، ومع نهاية عام ١٩٧٥ وبداية عام ١٩٧٦ اصبح لدى حكومة كمبوديا الديمقراطية طعام لكل مواطن ولديها فائض في الارز ( في شباط ـ فبراير ١٩٧٦ كانت الدولة تعرض خمسين الف طن من الارز للبيع ) كما اصبحت الطرق والسكك الحديدية صالحة للنقل بين معظم المحافظات • وعلى اثر الحصاد الوفير اصبح الفلاحون القدامى ( سكان الريف الاصليين ) والفلاحون الجدد ( السكان الذين قدموا من المدن الى الريف ) ، متحمسين للمضي في انتاج المزيد من المحصولات وتطوير الزراعة • وهناك امل كبير بان يرتفع مستوى انتاج الهكتار الواحد من الارض ليصبح ثلاثة اطنان من الارز •

٢ ـ اما الدفاع والامن فقد تعزز بانتشار التعاونيات في انحاء البلاد وعلى المناطق الحدودية ومعروف ان التعاونيات وحدات دفاعية فيما تحدده مهماتها الكثيرة ، بالاضافة الى الوعي واليقظة والروح العالية التي يتحلى بها جيش التحرير المنتج الذي بني وترعرع واكتسب الميزات الرفيعة في وهج المعارك الحامية على مدى خمس سنوات قاسية •

ومن الناحية الامنية اصبح الوضع مستقرا بعد تقويم القاعدة بالتثقيف وممارسة العمل المتواصل بحيث لم يعد في صفوف المواطنين فجوة يندس فيها اي عميل • كما اصبح اجراء الانتخابات في ظل الوضع المستقر اكيدا وفي موعده المحدد •

٣ ـ ولحل المشكلة الثالثة وهي تنفيذ الانتاج ، فقد انخرط الشعب بكامله ودون اي استثناء في عملية الانتاج الزراعي على اعتبار ان الزراعة هي الاساس في الاقتصاد الكمبودي ولها الاولوية لتوفير الطعام من جهة ، والحصول على فائض لمواجهة الطوارىء وللتصدير وبذلك يمكن ضمان وتنمية الاقتصاد • خلال سنوات الحرب كان الثوار في الريف يحاربون العدو ويمارسون الانتاج ويتلقون التثقيف ، والان وبعد التحرير يمارس الشعب كله الانتاج الزراعي بكل ما يترتب عليه من عمليات السيطرة على الماء كشق القنوات وبناء السدود الصغيرة وتشغيل النواعير • ويجري تحقيق العمل والتغلب على المصاعب بكافة الايدي • ان زراعة الارز والخضراوات وصيد الاسماك من الانهار والبرك الصغيرة وتربية الخنازير والجواميس وجمع الوقود وتطوير الصناعة الحرفية تشكل المهمة الرئيسية وتأخذ الاولوية • وفي نفس الوقت يجري اصلاح المصانع وقد اصبح معظمها صالحا للانتاج كمصانع النسيج والخمور والخشب والسجاير •

وفي كل هذه النشاطات تلتحم الجماعات القيادية ، للتعاونيات بالجماهير ، وبذلك نستطيع القول بان الشعب الكمبودي بكل اطفاله ونسائه وشيوخه وكوادره وقادته يمارس الانتاج الجماعي الشامل ويمر من خلال ذلك بعملية صقل طويلة ومضنية ليولد من جديد مجتمعا نقيا تتكافأ فيه الفرص وتنعدم البطالة وتتحدد المقاييس والقيم الانسانية ٠

## المواطنون الكمبوديون في الخارج :

هناك اعداد لا بأس بها من الكمبوديين المقيمين في اقطار اوروبية مثل فرنسا والولايات المتحدة واليابان وتايلاند ، وهذا الاغتراب عائد لاحد الاسباب التالية :

١ ـ الاغتراب المبكر الناجم عن الرغبة في ظروف معيشية خاصة او تلقي العلم في الخارج ، أو الزواج من اجنبيات والاقامة في ديارهن ٠

٢ ـ ممارسة التجارة ، والهروب تعلقا بها من مخاطر الحرب الىاماكن اخرى ٠

٣ ـ الهروب من وجه النصر المحقق والتحرير ، وهي حالة انفردت بها مئات كانت مستغلة ومرتبطة بالنظام العميل والامبرياليين ٠

٤ ـ الهروب بسبب ارتكاب جرائم في حق الشعب خلال سنوات الحرب ٠

وبعد التحرير اخذ الكثيرون يعودون للبلاد ، لكن الحياة في كمبوديا تغيرتتغيرا جذريا، وعلى الاخص من حيث التنظيم الاجتماعي ونظام الحكم ٠ والحكومة ترحب بالعائدين الى وطنهم الذين يودون العيش والعمل كمواطنين ، وهي تقدر ان الذين ارتكبوا جرائم في زمن العميل لون نول لا يريدون التغيير الاجتماعي الجديد ، بل يخافونه فقد هربوا اصلا خوفا من الانتصارات الثورية ٠ وهناك مجموعة من الضباط كان قد ارسلهم لون نول لتلقي العلوم العسكرية في الولايات المتحدة وهم الان يريدون العودة للبلاد وتلقى رغبتهم ترحيبا من جانب المسؤولين ٠ وقد لاحظت خلال سفري من بكين الى بنوم بنه ان غالبية الركاب من الكمبوديين العائدين لبلادهم من فرنسا ، وكانوا جميعا في غاية الشوق والحنين يتزاحمون للاطلال على الميكونغ قبيل هبوط الطائرة في مطار بنوم بنه ٠

## دولة كمبوديا الديمقراطية

وكما كان التحرير ايذانا بفتح صفحة جديدة مشرقة في تاريخ الشعب الكمبودي ، فقد اتى ايضا باسم جديد للدولة يتناسب مع نظامها الثوري ٠ فاصبحت تسمى دولة « كمبوديا الديمقراطية » كما نص على ذلك الدستور ٠ وقد علق الامير نوردوم سيهانوك على استبعاد كلمة « جمهورية » في الوقت الحاضر بقوله : ( قال ذلك في مادبة العشاء التي اقامها لنا في قصر الرئاسة كما اسماه وهو نفس القصر الملكي سابقا ٠ وقد اشار سيهانوك لهذه التسمية الجديدة ايضا ٠ وذلك بحضور كيو سامفان وايينغ ساري ٠ ) « لقد قال العميل لون نول للكمبوديين بانه يصنع لهم جمهورية بانقلابه الذي قام به لصالح الولايات المتحدة ، ولذلك فان الشعب يكره كلمة « جمهورية » لاقترانها بالعميل لون نول ، ولا يطيق سماعها لسنوات طويلة قد تمتد لعشرين سنة ، مع ان نظامنا الجديد في جوهره جمهوري٠» وحول تسمية الخمير التي تطلق على شعب كمبوديا والتي الصقها لون نول في اسم

جمهوريته الباطلة بتسميتها جمهورية الخمير قال سيهانوك : « كلمة خمير تشير الى قومية معينة وفي شعبنا من هم ليسوا من قومية الخمير · وهذه الكلمة تشير الى اسم قومية كما تشير كلمة (هان) في جمهورية الصين الشعبية · ونحن الان لا نستعمل تسمية خمير».

## اقوال في النظرية والحزب الحاكم

اثيرت مع القادة الكمبوديين اسئلة كثيرة ومكررة احيانا ، تعكس حيرة المهتمين بالشؤون الكمبودية ، واهتمامهم للتوصل الى حقيقة مؤكدة وواضحة · وتدور تلك الاسئلة حول هوية النظام ·· هل هو شيوعي ؟ ·· هل هو اشتراكي ؟ ·· وهل هناك حزب حاكم مسلح بنظرية معينة ؟

وقبل أن انقل انطباعي الشخصي اورد مقتطفات سمعتها من القادة الكمبوديين ردا على التساؤلات الآنفة الذكر ، انقلها الان مجردة دون تعليق ·

يقول ايينغ ساري : « لم نكن ننطلق من نظريات ، لقد اتبعنا مشاعرنا ومارسنا النضال عمليا ، ومررنا باشكال عدة من النضال ، فاشكال النضال متعددة ، والظروف مهمة ، وكذلك روح رجال المبادىء وايمانهم القوي بالنضال وبالقضية التي يناضلون من اجلها ، لم نتعلم في مدارس ايديولوجية ، وقد مارسنا النضال في ضوء واقع بلادنا وشعبنا ·· رأينا ان الناس فقراء ، ولا نعتقد ان بؤس الناس وفقرهم ياتيان من السماء، فحاولنا أن نفهم اسباب الفقر والتعاسة ·· شعبنا يعمل بجد وهو ليس شعبا كسولا ·· فلماذا يبقى الناس فقراء ؟ وبعد محاولة فهم السبب من الواقع مباشرة ، اكتشفنا انه يكمن في الاستغلال الاجنبي ، وما حدث في كمبوديا يؤكد هذا الاعتقاد ·· في عام ١٩٤٠ جاء الفرنسيون بقوات كبيرة الى بلادنا ومارسوا استغلالا في غاية البشاعة ، وفي عام ١٩٤٥ نظم اليابانيون انقلابا في البلاد والغوا سيادتها لبضعة اشهر ، وهكذا موجات اجنبية ورجال اعمال ومستغلون اجانب · »

« ان اكتشافنا لاسباب التعاسة دفعنا للنضال ·· ومفهومنا الان في كمبوديا الجديدة قائم على محو كافة انواع الاستغلال ·· التجارة كانت في السابق في ايدي الغرباء ،الفلاح يكدح طوال العام ومع ذلك يظل فقيرا بينما تتمتع طبقة اخرى بانتاجه ، واصحاب رؤوس الاموال كانوا يخربون باموالهم ضمائر الرسميين ويقيمون بجزء منها اعمالا لمصلحة الاجانب ، وكل الاعباء في النهاية انصبت على عواتق الفلاحين الفقراء ·· اما الطبقة المتوسطة فقد كانت بتذبذبها عاملا من عوامل تكريس المصائب التي عانى منها الفلاحون»·

« اننا لا نعالج الامور الا من واقع بلادنا · ولا يهمنا ماذا يسمينا غيرنا في الخارج ( يشير الى تسمية الخمير الحمر التي يطلقونها في الغرب على القادة الحاليين ) ·وسياسة كمبوديا الجديدة هي في حدود دستور دولة « كمبوديا الديمقراطية » · اننا نحترم كل الاصدقاء ، لكننا لسنا تابعين لاحد ولم نستورد افكارنا واساليبنا من الخارج ، ولم نقلد تجارب الغير » ·

ويقول كادر متقدم : « قدمنا الاف الضحايا لتحرير بلادنا وبناء استقلالنا الحديث ،

ونحن لا نتبع احدا ولا نقلد احدا ، بل ننطلق من واقعنا ونحقق سيادة الفلاحين الفقـراء في الريف » ٠

وبالعودة لتاريخ نضال الشعب الكمبودي والاستطلاع والمعرفة الواقعية ، نرى ان تنظيما طليعيا فذا قد بلور خبرته خلال النضال في خط ثوري ثابت ، واحتفظ بوضوح الرؤيـــة والثبات والقدرة على رسم السياسات المرحلية والطارئة التي تطلبها تطور النضال وتعدد اشكاله ، وان هذا التنظيم كان من الوعي والدراية بحيث قفز في وجه الانقلاب الامبريالـي الاميركي والقـوات والدعم الامبريالي منذ اللحظة الاولى ودون اي ارتباك او تـــردد ، وتمكن من تعبئة الجماهير ، وتشكيل الجبهة الوطنية المتحدة التي كان هو عمودهـــا الفقري لتعبئة طاقات الامة وتحقيق وحدتها ٠ ومن الاساليب التي اتبعها ذلك التنظيـــم القائد تحرير الريف اولا مع عدم الاحجام عن تحرير ما امكن من المدن خلال عمليـــة السيطرة على الريف ، وكذلك الاعتماد الكلي على الجماهير واستنهاضها في عمليـــة الاعتماد على النفس بشكلها الشامل ٠ ومنها ايضا حصر السيادة في كل شبر يتم تحريره في الفلاحين والعمال والجنود وهم ابطال التحرير والانتاج ، ثم تكريس هذه السيـــادة فعلا في دستور كمبوديا الديمقراطية واتاحة الفرصة لكل الامة بان تمارس الانتـــاج الزراعي والحرفي لتبدأ بكاملها من نقطة واحدة وترتقي شيئا فشيئا مع بعضها البعضـ وتتكون قياداتها حسب ماثر حقيقية وحسب مقاييس وثيقة الصلة بخدمة الجماهير بكاملها بعيدا عن الذاتية والمصالح الفردية ٠

وقد تجلت صورة البدء بعد التحرير في التحول نحو زراعة الارض حتى اصبح المجتمع كله فلاحين ، ومع أن ممثلي العمال بموجب الدستور هم خمس اعضاء مجلـــس نـــواب الشعب ، نرى ان هؤلاء العمال بدأوا بعد التحرير فلاحين ، وجرى انتقاء العمال حسـب الحاجة من وسط الفلاحين ، وبذلك هم ليسوا مجرد حلفاء للفلاحين بل منهم ، وقـــد كرس الدستور سيادة الفلاحين بأن جعل ثلاثة اخماس اعضاء مجلس نواب الشعب وهـو اعلى سلطة في البلاد من الفلاحين ٠

ومهما تكن هوية هذا النظام ، ومذهبه الايديولوجي يكفي أن نرى انه على هدى خطـــه الثوري ، قد قاد الشعب الكمبودي كله بلا استثناء ، وتوجه به نحو الارض الطيبـــة المعطاء ، يشق فيها القنوات ويقيم السدود ويزرع الارز حتى غدا مشهد التعاونييـــن يغالبون طبيعة الارض واحتياجها للتسوية والري مثار اعجاب كل زائر ٠٠ ان هـــؤلاء الكمبوديين الفقراء يبنون اليوم وطنا وحياة اجتماعية جديدة يبدأونها بأيديهم وفؤوسهـم وبيوتهم الخشبية ٠

تتميز مسيرة الانتاج بكونها تسير بخطى سريعة وواسعة لكن في نسق بديع ومضمـار مرسوم بدقة ، ويوحي ثقافة سياسية واضحة ووعي عميق للصور الثلاث بما يباعد بينهما من زمن وما يميز كلا منها عن الاخرى : صورة الماضي وما اقترنت به من استغلال ومـا تخللها من نضال مرير مليء بالتضحيات ، وصورة الحاضر بصفتها بداية انطلاق المسيرة الظافرة ، وصورة المستقبل بما سيتحقق فيها من عدالة وتكافؤ فرص واسهام في النشاط الانساني الرامي الى رفع شأن شعوب العالم الثالث واسرة دول عدم الانحياز ، ووفـــاء بالالتزام الثوري نحو حركات التحرر في العالم التي ما زالت تقارع الامبريالية والصهيونية والعنصرية والاستغلال ٠

## نظام الدولة في كمبوديا الديمقراطية

لدولة كمبوديا الديمقراطية دستور صغير في حجم اوراقه ومختصر في نصوصه ، يتناول بوضوح المسائل الاساسية التي تقوم عليها الدولة والحياة الاجتماعية وعلى الاخص ما يتعلق بضمان توفر العمل ومشكلة الزواج ( منع تعدد الزوجات والازواج ) ، واتناول هنا بايجاز بعض ملامح النظام بلاد تفصيل ·· هناك سلطات اساسية وهيئات تشكل العمود الفقري لبناء الدولة ، واعلى هذه السلطات هو مجلس نواب الشعب · وكان المؤتمر الثالث للجبهة الوطنية المتحدة المنعقد بين ٢٥الى٢٧-٤-١٩٧٥ قد حدد موعد انتخاب نواب الشعب في العشرين من اذار ١٩٧٦ ·

### مجلس نواب الشعب :

تجري الانتخابات النيابية مرة كل خمس سنوات ، ويتولى المجلس بعد انتخابه من قبل ابناء وبنات الشعب الذين لا يقلون عن سن الثامنة عشرة ، اختيار مجلس الرئاسة ورئيس واعضاء مجلس الوزراء ، كما يختار من بين اعضائه هيئة قيادة ، ويعين الهيئة القضائية العليا · ويتكون مجلس نواب الشعب من مائتين وخمسين عضوا يمثلون الفلاحين والعمال والجنود حسب النسب التالية : مائة وخمسون نائبا من الفلاحين ، خمسون نائبا من العمال ، خمسون نائبا من الجيش ·

### كيفية الانتخابات :

تجري الانتخابات العامة لاختيار ممثلي الشعب حسب النسب المذكورة انفا ، بشكل ديمقراطي وباقل درجات البيروقراطية وذلك عن طريق التعاونيات التي يمثلونها ·

### حق الترشيح لتمثيل الشعب :

الترشيح لعضوية مجلس نواب الشعب ، حق يتمتع به افراد الشعب الكمبودي من ابطال التحرير والانتاج من فلاحين وعمال وجنود والذين سجلوا مآثر في خدمة الشعب ·

**مجلس الرئاسة** : يتم اختياره من قبل مجلس الشعب بطريقة التصويت ، وعمله جماعي، وهو يمثل السياسة الخارجية والداخلية لدولة كمبوديا الديمقراطية ·

**السلطة التنفيذية** ، وهي مجلس الوزراء ، ويجري انتخابه من قبل مجلس نواب الشعب، والوزراء يعملون جميعا مع المواطنين في الارياف ، ومراكز الانتاج ، ويتبع المجلس اسلوبا فريدا في اجتماعاته وتنفيذ قراراته،فقد تخلص اعضاؤه من كل مظاهر البيروقراطية التي لا يخلو منها بلد في العالم ، فقد تخلص من طريقة تكديس الملفات واعطاء التعليمات واصدار القرارات على الورق وبالتالي تخلص من الروتين وحتى من الاجتماعات الدورية· فالوزراء يجتمعون وقتا قصيرا لبحث القضايا الهامة في حدود الاولويات التي يحددها الخط العام ، فتتخذ القرارات حولها ، ومن ثم ينطلقون الى ميدان العمل بقوة القرار وفي حدوده ، ويمارسون العمل مع الجماهير في ضوئه ، وبذلك يكونون قدوة عملية لـي

التنفيذ ، وفي العطاء والاخذ من الجماهير ، ويتم تجنب التأويل والاجتهادات الذاتية التي تسود النظم التقليدية ، نتيجة عزلة القادة عن الجماهير ونتيجة المراسلات والقـــرارات الروتينية التي لا تبنى على معلومات حقيقية · والوزراء الذين التقيت بهم خلال زيارتي لكمبوديا يمارسون عملا ميدانيا تنفيذيا في ساحات الانتاج الحقيقية وبين الكـــوادر والجماهير ، ولا يتواجد في العاصمة من المجلس الا المكلف بالشؤون الخارجية يعـاونه خمسة من الكوادر ، وهو بلا سكرتير ، وله عمل اخر في تنظيم المدينة وقيادة عمال المصانع في ضواحيها وفي امور الامن ·

وتؤدي الاذاعة دورا رائعا واساسيا في ترسيخ الخط العام والخطوط التي تندرج تحته لتعالج مواضيع محددة وعلى الاخص تلك التي تتناول مراحل الانتاج وبذلك تبقى القـوى المنتجة مشدودة الى ادوارها المحددة ·

## نظام التعاونيات

نشأت التعاونيات في الريف الكمبودي خلال حرب التحرير الكمبودية كتجربة رائدة حلت بها الثورة حينئذ المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والانتاجية · وبعد التحرير انتظم الشعب الكمبودي بأسره في تعاونيات كبيرة موزعة على امتداد الريف · والتعاونية هـي الوحدة الاجتماعية في المجتمع الجديد وتمثل شكلا من اشكال الديمقراطية ، وهي في نفس الوقت وحدة اقتصادية ودعائية وتعليمية وثقافية وسياسية ، والهيئة القيادية للتعاونيـــة منها وفي داخلها ، وتختلف عن اللجنة الشعبية في كوريا الديمقراطية ، وعن اللجنـــة الادارية في فيتنام ، وفيها بعض الاختلاف ايضا عن اللجنة الثورية في الكومونات الشعبية الصينية ·

ويؤكد القادة الكمبوديون بانهم لم يقلدوا تجارب اخرى خارج بلادهم ، كما يؤكدون ان انظمة حياتهم الجديدة هي وليدة نضالهم وتجربتهم الخاصة وواقعهم الموضوعي ·

والتعاونية تضم ما يعـــادل ثلاث الى اربع قرى ، وهي اصغر وحدة في التقسيم الاداري الذي سيأتي ذكره فيما بعد ·

### مهمات التعاونية :

١ ) تنظيم الانتاج الزراعي والحرفي ·

٢ ) مهمة النقل ·

٣ ) تنظيم التبادل التجاري المحلي مع التعاونيات الاخرى ومع الدولة وذلك حسب نظام المقايضة ·

٤ ) الرعاية الاجتماعية بكل ما تعنيه ·

٥ ) التربية والتعليم ومهمات التثقيف السياسي ·

٦ ) تمثيل السلطة ·

هذا الى جانب المهمات الاخرى التي تؤكد كون التعاونية لبنة في بناء الوطن الواحـد

والشعب الواحد ، وتكاد التعاونية ان تكون صورة مصغرة لكمبوديا الديمقراطية ·
**جيش التحرير الشعبي** : يتكون جيش التحرير من افراد من ابناء وبنات الشعب الكمبودي وهو ليس جيشا تقليديا كبقية الجيوش المتفرغة للاستهلاك ومهمات الدفاع فقط · بل جيش منتج ، يمارس العمل مع الشعب ، وليس له اي دور خاص يقتصر جهده على ادائه ·
**الوضع الاقتصادي** : ترفع حكومة كمبوديا الديمقراطية شعارا ذا مضمون عملي معززا بالممارسة اليومية وبسرعة الانجاز ، وهو الزراعة اولا ، وهذا ملوس في حياة التعاونيات التي يلتقي فيها الفلاحون القدماء والفلاحون الجدد ·· ففي فترة وجيزة اقيم نظام حواجز ماء المطر لمنع انجراف التربة والطمي ، وشقت قنوات الري ، واستعملت كل الوسائل البدائية والوسائل الاخرى المتوفرة ، واستعمل جهد الانسان والحيوانات في الحفر والنقل وادارة النواعير ، وتحولت البلاد بين عشية وضحاها الى حديقة دائمة الاخضرار والعطاء · وهذا يثبت ان كمبوديا بنظامها الجديد ستحقق رخاء لم تشهده من قبل · فهي مهيأة لتصدير الارز بكميات كبيرة والى اكثر من بلد في المستقبل القريب ، هذا الى جانب زراعة القطن ونخيل السكر والجوز والتبغ ، اما المطاط الذي تشتهر بزراعته البلاد فهو افضل انواع المطاط في العالم وذلك لعدم تعدد الفصول ولعدم حدوث تنوع كبير في درجات الحرارة طيلة العام ·

وفي مجال صيد الاسماك تعتبر كمبوديا من البلدان المصدرة وهي تستغني عن كل الاسماك البحرية في الاستهلاك الداخلي اذ يكفيها داخليا اسماك الميكونغ والانهار الاخرى ، وتصدر الاسماك البحرية للخارج ·

ويقوم النظام الزراعي وهو اساس الاقتصاد على ملكية الدولة والملكية الجماعية ( التعاونيات ) ، ولا مجال اطلاقا للملكية الفردية او تمليك الاجانب ·
وفي الوقت ذاته تسعى الدولة لتطوير صناعاتها ، ولما كانت كمبوديا الجديدة متمسكة بمبدأ الاعتماد على النفس فانها ترفض المعونات الاجنبية بمفهومها الشائع ، رغم حاجتها في الوقت الحاضر ، ولكنها تقبل دعم الاصدقاء لمشروعات التنمية الصناعية ، على شرط ان يكون اسهام هؤلاء الاصدقاء لصالح الشعب الكمبودي ، وان يظل الشعب الكمبودي سيد انتاجه ·

## التجارة :

١ ) التجارة الداخلية : ـ بناء على احتياجات التعاونيات لمواد تتوفر لدى بعضها ولا تتوفر لدى البعض الاخر يجري تبادل المنتوجات الضرورية بينها حسب نظام المقايضة، اذ لا يجري التعامل بالنقد ، لان حكومة كمبوديا الديمقراطية ترى ان سلامة خطتها الاقتصادية والاجتماعية تتطلب عدم التعامل بالنقد على الصعيد الداخلي في الوقت الحاضر ، وبالتالي فانه لا يوجد نقد كمبودي حاليا ، ولا يجري استعمال اية عملة اخرى· وهذه تجربة فريدة في العالم ، ويصعب على الذين لم يتعرفوا على كمبوديا في الوقت الحاضر تصورها · ولكن معرفة ذلك على الطبيعة تبعث على الارتياح البالغ وتجعلنا نتذكر الاضرار المتعددة والافات الاجتماعية التي تترتب على تداول النقد والاهتمام به محليا ، وذلك بما نعقده من مقارنة بين اوضاع المجتمعات الانسانية الاخرى وبين الصورة الفريدة في كمبوديا الديمقراطية ·

والشكل الاخر للتجارة الداخلية هو التبادل بين الدولة والتعاونيات ، فمقابل تزويد

الحكومة التعاونيات بما لا يتوفر لها من تبادلاتها ، تصدر التعاونيات فائض انتاجهـــا للدولة ·

٢ ) التجارة الخارجية : يتجمع لدى الدولة ما يرد اليها من ملكياتها وما يصدر اليهـا من الملكيات الجماعية ( بالمقايضات ) فتقوم بتخزين قسم لمواجهة الطوارىء والكـــوارث الطبيعية ، وتصدر القسم الاخر للخارج مقابل الحصول على مواد يصعب توفيرها داخليـا ومقابل الحصول على العملة الصعبة اللازمة للدولة · وتسعى دولة كمبوديا الديمقراطية الى رفع المستوى المعيشي لسكانها ، مع التمسك بمبدأ الاعتماد على النفس ، ودفن كـــل اساليب ومظاهر الاقتصاد السابق ·

واكرر ما ورد في وقت سابق من أن اهم صادرات كمبوديا في نطاق التجارة الخارجية هي الخشب والمطاط والاسماك البحرية والسجاير والخمور والارز · اما احتياجاتها فهي لـن تتعدى الامور التكنولوجية مستقبلا ، اذ ان الدولة تبذل قصارى جهودها لتحقيق الاكتفاء الذاتي في مختلف المجالات ، وبالتالي فان الصورة الراهنة تشير الى ان الاستيراد سيكون في نطاق ضيق يكاد لا يذكر وهذا ما يقتضيه مبدأ الاعتماد على النفس ·

الوضع الاجتماعي : كما ورد في صفحات سابقة فان التعاونية في الوقت الحاضر هـي الوحدة الاجتماعية وهي في الوقت ذاته وحدة تعليمية وانتاجية ودفاعية وفيها الخدمـات كالصحة والرعاية الاجتماعية وقد شملت التعاونيات كل طبقات المجتمع القديم وصهرتهـم في بوتقة واحدة لهم نفس الفرص ونفس الاوضاع ، وعليهم نفس الواجبات يعملون يـــدا بيد دون اية امتيازات لاحد دون الاخر ، وكانهم ولدوا من جديد ، ولا يظهر حاليا اي تناقض او صراع طبقي او اجتماعي حاد ، ورغم وجود هذه التناقضات كامنة بشكل او باخر ، فانه ليس لها مظهر في الوقت الحاضر ·

والتثقيف والانتاج والممارسة هي اساس التكوين الحياتي الجديد · ولا يوجد في الوقت الحاضر تنظيم للاسرة من حيث تحديد النسل او تحديد سن الزواج ، بل ان الحكومة تحث الشباب والشابات على الزواج لان الشعب الكمبودي لا يتجاوز تعداده السبعة ملايين ، بالاضافة الى ما تسببت فيه الحرب من ضحايا بلغت اكثر من ستمائة الف نسمة ، بينمـــا التقديرات الاقتصادية تشير الى ان القدرة الاستيعابية للبلاد تتطلب وجود خمسة عشـــر مليون نسمة · وفي نفس الوقت منعت الدولة حسب الدستور تعدد الزوجات للرجل وتعدد الازواج للمراة ، وهي حالات كانت رائجة في الماضي والاسرة في العهد الجديد متماسكـة زوجا وزوجة واطفالا ، ولها الوضع المحترم بل المقدس في التعاونية ، وقد علمت ان حالات العبث خارج نطاق الزواج ممنوعة ، لاعتبارها من مظاهر البرجوازية المحاربة في كمبوديا الجديدة ·

اما فيما يتعلق بالبطالة والعمل ، فقد نص الدستور بما معناه ، انه لا يوجد اي كمبودي بلا عمل ، اي انالبطالةمعدومة نهائيا ، حتى الشيوخ ، والمناضلين الذين شوهت الحـرب اطرافهم ، لهم اعمال تتناسب مع السن والقدرة ، وقد نشات روح الاعتزاز بالعمل حتى لا تجد اي جريح او مسن يقبل بان يعتمد في عيشه على عرق الغير · وكذلك رهبان الديانة البوذية الذين كانت تعج بهم« الباجودات» البوذية قد ذهبوا للريف كمواطنين عاديـــــن يعملون في الزراعة بلا تجمعات خاصة او اية امتيازات ، هذا وان الجهد الجماعي والانتاج

الجماعي وما يترتب على ذلك من ارتفاع في مستوى المعيشة يعود على المجموعة وذلك لعدم وجود ملكية فردية ٠

**الفلاحون الجدد :** تكرر استعمال هذه التسمية ، وهي في الحقيقة تطلق على اولئك الذين كانوا يعيشون في المدينة قبل اخلائها وتم الحاقهم بالتعاونيات ، وكان من هؤلاء الموظفون المدنيون والتجار الكبار والصغار واصحاب الحرف والمثقفون ورجال الدين وفقراء المدن ٠٠ ولقد اصبح هؤلاء جميعا فلاحين يعملون في الزراعة والمهن الحرفية المطلوبة لها ، كسائر القرويين والريفيين السابقين ، ويعيشون معهم في نفس التعاونيات والبيوت الخشبية الريفية الجديدة ، وان المرء ليشاهد الابتسامات على كل ثغر عندما يقف بين الفلاحين جميعا ٠

القدامى منهم والجدد ، وهم يناضلون معا لا تمييز بين الواحد والاخر لا في الشكل ولا العمل ، في اية تعاونية ، وعند زراعة الارز او شق القنوات او اقامة السدود او جمع الاعشاب الضارة ، او النقل على العربات التي تجرها الجواميس او قيادة التراكتورات ، او عند التوجه للاجتماعات والعودة صفوفا تحت الرايات الحمراء ٠

٠٠٠ لكنه من الطبيعي ان يكون هناك تذمر لدى بعض الفلاحين الجدد وخاصة بين الذين كانوا رجال اعمال ومستغلين كبار واصحاب امتيازات ، انما لا تبدو اية اشارة في الوقت الحاضر تدل على هذا التذمر ٠ وتبذل حكومة كمبوديا الديمقراطية والشعب الكمبودي جهودا جبارة لرفع المستوى المعيشي في البلاد باقصى ما يمكن من جهد واختصار للزمن ٠

**اعادة تاهيل المدن بالسكان :** لو نظرنا الى المدن الان لوجدناها خالية تقريبا من السكان ، لكن العمل في اعادة بناء المصانع التي تهدمت وتنظيمها وبناء منشآت جديدة في الضواحي لمشاريع مستقبلية جار ليل نهار ٠ ان الصناعات الحرفية الصغيرة وخاصة المتعلقة بالزراعة ستكون منتشرة في الارياف وذلك لتطوير الزراعة من جهة ولاعمار الريف وتأهيله وتجنب التجمع في المدينة على حساب الريف مستقبلا ٠ اما الصناعات المتوسطة والثقيلة فانها في اغلبها ستكون في ضواحي المدينة وهذا للاستفادة من المصانع القائمة اصلا ومن المواصلات البرية والنهرية والبحرية ٠

وقد لاحظت هذه الظاهرة في ضواحي بنوم بنه ، اذ يجري ترميم وتشغيل المصانع القديمة واغلبها قريب من نهر الميكونغ الملاحي ٠ وفي ضوء ترتيب هذه الصناعات سيعاد تأهيل المدينة ، ومن هنا يمكن ان نحكم بان سكان المدينة مستقبلا سيكونون من العمال وسيتركز التأهيل السكاني في الضواحي حيث الاقامة القريبة من المصانع ، ولا داعي لبناء بيوت جديدة للعمال ما دامت البيوت القديمة موجودة بشكل اوفر ٠

ولدى الاستفسار من بعض المسؤولين عن هذا الموضوع اجابوا بان اعادة تأهيل المدن بالسكان مستقبلا تتوقف على عاملين اساسيين ، اولهما حاجة المدينة المبنية على ما فيها من عمل انتاجي يتطلب وجود العمال ، وثانيهما نوعية السكان اذ لا بد ان تتوفر فيهم الى جانب الحاجة لوجودهم في المدينة صفات الوعي السياسي والاخلاق الثورية ٠ وعرفت من مسؤولين اخرين بان سكان العاصمة سيكونون كما يلي :

١ ـ العمال الذين يقيمون في الضواحي لاداء المهمات المذكورة انفا ٠

٢ ـ الافراد الذين يقومون بتأدية الخدمات العامة التي يتطلبها وجود الحكومة وحياة المقيمين في العاصمة من كمبوديين ودبلوماسيين اجانب ٠

٣ ـ البعثات الدبلوماسية الاجنبية التي ستستقبل بتأن بالغ وبالتدريج ٠

اما بقية المدن سواء التي ما زالت فيها بيوت غير مدمرة او التي سيعاد اعمارها بعد الدمار الكلي الذي احدثته الحرب فانها ستقتصر على وجود الفئتين الاولى والثانية٠

ولا شك ان هذا التنظيم الجديد سيساعد كثيرا على تحقيق هدف ازالة الفوارق في المساكن والمعيشة ، كما سيضمن اعمار كل بقعة في البلاد وينفي فيها حصر الرخاء في مناطق محددة والتعاسة في مناطق اخرى ٠ كما سيقتل بالتدريج الرغبة في هجر الريف الى المدن وذلك لان المستوى المعيشي في الموقعين سيكون بنفس المعدل في كافة انحاء كمبوديا ٠

## رسالة الارض المحتلة

# بيرزيت أول جامعة عربيّة في فلسطين

يوم الاحد ١١ – ٧ – ٧٦ ، تم تخريج الفوج الاول من حملة شهادة البكالوريوس في العلوم والاداب من جامعة بيرزيت . يأتي هذا الحدث الهام في ارضنا المحتلة، ليكرس قضية الوجود الفعلي ، لاول جامعة عربية في فلسطين . وليقوم باثبات قدرة سكان الارض المحتلة ،على اكتشاف وسائل واساليب الصمود. فالى جانب الانتفاضات الجماهيرية ، والقتال المنظم في وجه الغزاة الصهاينة ، لا بد من اكتشاف وسائل الصمود الثقافي والفكري والمادي . فجامعة بيرزيت لا تستطيع بامكانياتها الحالية ان تكون اكثر من اشارة على امكانية المؤسسات الجماهيرية الجادة في اكتشاف وسائل الصمود ، وفي تطويرها .

تأسست مدرسة بيرزيت عام ١٩٢٤ على يد المرحومة نبيهة ناصر ، ثم تحولت الى مدرسة ثانوية كاملة عام ١٩٣٠ .وفي عام ١٩٥٣ اضيف الى الكلية الصف الجامعي الاول وتبعه الصف الجامعي الثاني عام ١٩٦١ . وبعد حرب حزيران، وسقوط بقية اجزاء الوطن تحت الاحتلال الصهيوني ، جرى تحويل الكلية الى جامعة كاملة . واستطاعت بذلك ان تشكل احد الردود الوطنية على الاحتلال الصهيوني ، بوصفها مركزا ثقافيا وطنيا من جهة ، واطارا للحد من هجرة الطلبة والاساتذة الى خارج الارض المحتلة . وربما نقطة جذب للعديد من الجامعيين الفلسطينيين والعرب الذين يعملون في الخارج ، ويستطيعون الذهاب الى الارض المحتلة .

### الجامعة الوطنية وتحديات الاحتلال .

جامعة بيرزيت ليست جامعة عربية عادية . لم تنشئها حكومة وطنية ، ولا يدفع نفقاتها جهاز تمويلي ثابت . انها تجربة تحد . فالتغلب على الصعوبات التكوينية تم عبر وعي جدي لضرورة الرد الوطني . فتحولت الجامعة من يد خاصة الى ايدي مجلس امناء فعلي ، يناقش اوضاعها من ضمن مفهوم وطني لدور الجامعة في ظل الاحتلال . اما المشاكل المالية المزمنة فيجري حلها عن طريق التبرعات والهبات . لذلك هي تجربة فريدة . ففي ايامنا ، لم تعد الجامعات الخاصة امرا ممكنا . لذلك كان التحدي الذي استطاعت جامعة بيرزيت ان تواجهه بنجاح ، هو تحد وطني اولا . ففي ظل سياسة الابادة الثقافية التي يمارسها العدو ، لا بد من مواجهات ثقافية . والجامعة الوطنية في فلسطين هي احد اشكال هذه المواجهات . ورغم العسف الصهيوني : اقتحام حرم الجامعة اكثر من مرة . ابعاد رئيس الجامعة د . حنا ناصر . اعتقال الطلبة . منع طلبة الجليل من الالتحاق بالجامعة ، فان التحدي لا يزال مستمرا . والنشاط الثقافي الوطني يجد لنفسه مكانا رغم الاحتلال ، والاغاني الوطنية ترتفع في حفلة التخرج . فشعبنا يعرف كيف يكتشف اساليب الصمود .

تضم جامعة بيرزيت حوالي ٥٥٠ طالبا وطالبة ، يأتون من جميع ارجاء الوطن المحتل ، من الضفة والقطاع والجليل . ( عدد الطلبة القادمين من الجليل هو عدد ضئيل جدا ، لم يكن في السنة الماضية يتجاوز عشرة طلاب ) . ويأتي ٢٠ ٪ من الطلبة من المناطق الفقيرة ـ مناطق القطاع اساسا ـ و ٣٠ ٪ من القرى . و ٥٠ ٪ من المدن الرئيسية . هذا الاستقطاب الكبير نسبيا ، لا يحل مشكلة التعليم العالي في الارض المحتلة لسببين :

الاول هو عدم قدرة الجامعة،بامكانياتها الحالية على استيعاب عدد اكبر من الطلاب .

والثاني . هو مسالة الاقساط نفسها . فالجامعة ، بوصفها جامعة خاصة،مضطرة الى اخذ اقساط من الطلاب . وهذه الاقساط بدورها لا تغطي عمليا سوى ٣٠٪ من نفقات تعليم الطالب . لذلك تلجأ الجامعة الى التبرعات من المؤسسات الاهلية والخاصة في سبيل الاستمرار .

يرافق اتساع اماكن الاستقطاب ( جميع مناطق الارض المحتلة تقريبا ) ، نسبة مرتفعة نسبيا لاقبال الاناث على التحصيل الجامعي . نسبة الاناث هي حوالي ٣٠ ٪ الى مجموع الطلبة .

يأخذ النضال الطلابي في بيرزيت بعده، بوصفه جزءا من النضال الوطني العام في الارض المحتلة . فهناك عشرة طلاب لا يزالون معتقلين ، وهناك المدرس تيسير عاروري الذي لا يزال منذ نيسان ١٩٧٤ رهن الاعتقال الاداري . وهناك عضوان في مجلس الامناء عبد الجواد صالح والفرد طوباسي ، ابعدا الى خارج الارض المحتلة .

هناك جانب اخر من العمل الطلابي يسترعي الاهتمام بشكل خاص . هو العمل خارج الجامعة . فتح اسوار الجامعة امام مهمات اجتماعية ملموسة : فمجلس الطلبة المنتخب يشرف على برنامج العمل التعاوني وهو برنامج بالغ الاهمية . اذ يقوم الطلبة في اطاره باعمال مجانية ، تشتمل على المساهمة في شق الطرق ، ومهمات في مؤسسات عامة كالمستشفيات او العمل مع الفلاحين في مواسم القطاف. كما يساهم الطلبة في مكافحة الامية . فهناك الان مركزان لمكافحة الامية الاول في بيرزيت والثاني في مخيم الجلازون.وهناك مشروع لفتح ستة مراكز جديدة لمكافحة الامية . ينحصر عمل مكافحة الامية الان وسط الاناث ، حيث توجد نسبة مرتفعة جدا من الامية وتصل الى حدود ٦٠ ـ ٧٠ ٪ .

**الثقافة والمسالة الوطنية .**

يعمل في الجامعة الان ٥٦ استاذا . منهم ٢٠ استاذا يحملون شهادة الدكتوراه . ٢٠ ٪ من افراد الهيئة التعليمية اجانب : كندا ، ايرلنده ، انكلتره ، الولايات المتحدة . ومشكلة توسيع الهيئة التعليمية ، هي احدى اعقد مشاكل الجامعة . فسلطات الاحتلال لا تسمح للاساتذة العرب بالدخول . لذلك يجب الاعتماد على المتخصصين من ابناء الارض المحتلة ، او على الاساتذة العرب العاملين في الخارج والذين يحملون جنسيات اجنبية .

لا تزال الجامعة على المستوى الاكاديمي بالغة التواضع . فهي لا تعطي سوى البكالوريوس في الآداب والعلوم الىجانب شهادة التربية . وهي تؤهل لنيل البكالوريوس في اللغة العربية ، اللغة الانكليزية ، علم الاجتماع ، علم الآثار ، التاريخ ، الاقتصاد ، ادارة الاعمال . والرياضيات ، الفيزياء ، الكيمياء ، علم الاحياء .

اي ان الجامعة لا تزال تفتقر الى الكليات التطبيقية : طب ، هندسة ،

زراعة ... الباهظة التكاليف .

نلاحظ في البرنامج الاكاديمي ثلاث مسائل بالغة الاهمية :

١ ـ التشديد على اللغتين العربية والانكليزية . واعطاء الدروس باللغتين . مع تشديد على اللغة الانكليزية التي تشكل لغة جميع المواد العلمية ، وبعض مواد العلوم الانسانية . هنا تطرح مسألة التعريب . وهي مسألة لا يمكن حلها في اطار بيرزيت وحدها . ولكن الوجهة العامة في تعريب التعليم العالي ، تعني محاولة جدية للابداع الثقافي . فلا وجود للابداع العلمي وخاصة في ميدان العلوم الانسانية .

٢ ـ البرامج التي تعالج مسائل مباشرة تتعلق بالوضع الفلسطيني : الآثار ، الفلكلور . المجتمع الرعوي . التاريخ ...

٣ ـ محاولة تطوير البرنامج الاكاديمي في اتجاه البحث العلمي ، عبر مركز الابحاث والتوثيق داخل الجامعة . الذي يحاول جمع جميع الوثائق المتعلقة بالشعب الفلسطيني . كما بدأ يعد مجموعة من الابحاث الميدانية ، التي سينشر بعضها في فترة قريبة : مشاكل التعليم في الارض المحتلة . هجرة المتعلمين من الارض المحتلة . مشاكل الاتصال بين عرب الارض المحتلة سنة ١٩٤٨ وسكان الضفةوالقطاع. الاقتصاد الزراعي في الارض المحتلة ...

الى جانب هذا المجهود الاكاديمي ،هناك مجموعة من النشاطات الثقافية التي تقوم بها الجامعة . مسرحيات . وقصائد ملحنة بطريقة حديثة . الرياضة الايقاعية ، ومجموعة من المحاضرات : الفولكلور الفلسطيني ، العائلات الكبيرة في فلسطين وموقفها من القضية ...

ان النشاط الثقافي الذي تقوم به جامعة بيرزيت ، يحولها اليوم الى مركز رئيسي لنضال شعبنا داخل ارضنا المحتلة . فالجامعة الفلسطينية ، التي كانت اشبه بالحلم ، والتي ووجهت محاولات انشائها بمعارضة واشكالات متعددة ومضايقات مختلفة ، تتحول في بيرزيت الى امكانية فعلية ، والى مشروع ملموس يستقطب حوله هيئة تعليمية مناضلة ، وطلابا يتخرجون ليبقوا فوق ارضهم ، رافضين مغريات الهجرة . يشاركون شعبهم في المواجهة اليومية الحادة .

وعندما اصدرت سلطات الاحتلال قرارا بمنع قبول الطلبة من عرب الجليل والمثلث في الجامعة ، صرح شمعون بيرس ، وزير الدفاع الصهيوني ، بان ذلك القرار صدر « نظرا للتحريض المتطرف المعادي لاسرائيل الذي تمارسه جامعة بيرزيت » .

مجرد محاولة متواضعة ، تشير الى قدرة شعبنا ، على اكتشاف نفسه ، وعلى البقاء في أرضه . لانه لا يصنع مصيره فقط . بل يفتح بنضاله الوطني نوافذ الثورة العربية .

## رأي

# الدلالات السياسية لاغتيال محمود صالح

مساء الثالث من شهر كانون الثاني « يناير » الماضي قام عملاء صهاينة باغتيال المناضل محمود صالح في باريس ، وذلك باطلاق عدة طلقات من مسدس عليه بينما كان يقوم باغلاق باب المكتبة العربية التي يشرف عليها ، والواقعة في الحي اللاتيني ·

وليست هذه المرة الاولى التي يتعرض فيها مناضلون فلسطينيون وعرب الى الاغتيال في باريس على يد عملاء صهاينة· فقد اغتيل خلال السنوات الماضية وفي فترات مختلفة ، المناضلون باسل الكبيسي ومحمود الهمشري ومحمد بوضيا · كذلك فقد تعرضت المكتبة العربية لعدة هجمات من عملاء صهاينة منذ انشائها في العام ١٩٧٤ ، ففي شهر كانون الثاني « يناير » من العام الماضي قام العملاء الصهاينة باحراقها · ولا شك ان استهداف هذه المكتبة التي تقوم بنشر وتوزيع الكتب العربية ، يدل على ما تقوم به من دور سياسي في نشر الوعي بالقضايا العربية بشكل عام والقضية الوطنية الفلسطينية بشكل خاص ·

وحتى الان لم تكشف السلطات الفرنسية شيئا عمن قام بهذه العمليات القذرة ، ولعل هذا ما يثير الكثير من التساؤلات عن موقف ، وربما تواطؤ ، اجهزة معينة في دوائر البوليس الفرنسي مع مرتكبي هذه الاعمال الاجرامية · وما يعزز شكوكا كهذه اقدام بعض المتنفذين في وزارة الداخلية الفرنسية على اعتقال المناضل «ابو داوود»، الذي ذهب الى باريس بعلم وموافقة وزارة الخارجية الفرنسية ، للاشتراك في تشييع جثمان الشهيد محمود صالح ·

واذا كان اغتيال كل هؤلاء المناضلين قد اثار في حينه الكثير من التساؤلات عن ظروف وملابسات اغتيالهم ، فان اغتيال المناضل محمود صالح ، وفي هذا الوقت بالذات ، يثير اكثر من تساؤل ويضع اكثر من علامة استفهام حول حادث الاغتيال ، وحول ملابساته واهدافه السياسية· فالجريمة وقعت في وقت تراجعت فيه كثيرا حرب العمليات الخارجية او « حرب الظل » كما تسميها المصادر الاسرائيلية · ومنذ ثلاث سنوات – تقريبا – بدل المناضلون الفلسطينيون تكتيكاتهم في الساحة الدولية، فبدلا من العمليات العسكرية الخارجية التي كانت تستهدف المراكز والمؤسسات الصهيونية ، كثفوا من دائرة نشاطهم السياسي والاعلامي في العواصم والمدن الاوروبية ، وهو نشاط بدأ يعطي مردودا اكبر بكثير ، واقوى وامتن ، من ذلك المردود الذي نجم عن عمليات العنف الخارجية · فهل اغتيال المناضل محمود صالح كان محاولة لاغتيال هذا النشاط قبل ان يتبلور ودفع النضال الفلسطيني في الساحة الدولية الى دائرة العنف الخارجي مجددا ؟

الذين يعرفون المناضل محمود صالح يقولون عنه انه كان كتلة من النشاط والحيوية ، وانه استطاع خلال اقامته غير القصيرة في باريس اقامة شبكة واسعة من العلاقات مع القوى الديموقراطية والثورية في فرنسا • وكانت المكتبة العربية التي يشرف عليها مركزا لاستقطاب قوى عديدة لصالح القضية الوطنية الفلسطينية والقضايا العربية • ويقول عارفوه ، ايضا ، انه كان بما يمثله من مواقف سياسية جريئة ، محط نقمة الاوساط الصهيونية في فرنسا ، ومحط عدم رضا وعدم ارتياح دوائر عديدة في البوليس الفرنسي ، فهل الاغتيال اذن كان يستهدفه كشخص ام كموقف ام كحالة ؟

نحن لا نشك لحظة ان اغتيال المناضل محمود صالح كان يستهدف هذه الامور مجتمعة ، الشخص والموقف والحالة ،وكان محاولة صهيونية لاستباق وتطويق اية تحركات محتملة قد يقوم بها المناضلون الفلسطينيون في الساحة الدولية •

ابان اشتداد حرب العمليات الخارجية بين المناضلين الفلسطينيين وعملاء المخابرات الصهيونية ، شكلت الحكومة الاسرائيلية فريقا خاصا لملاحقة المناضلين الفلسطينين في الخارج ، وقد انيطت مهمة ادارة هذا الفريق الاجرامي الى اهارون ياريف ، الذي ربط بعلاقة خاصة مع غولدا مائير ، رئيسة الحكومة الاسرائيلية – آنذاك – • ويدل تشكيل فريق كهذا بادارة شخص كان مديرا للاستخبارات العسكرية وبعلاقة خاصة مع اعلى سلطة ، على ما كان لاعمال هذا الفريق من اهمية سياسية وامنية للعدو الاسرائيلي •

لقد نفذ هذا الفريق عددا من العمليات الاجرامية كان ابرزها اغتيال المناضلين الثلاثة في باريس • ويتضح من استعراض الاسماء التي اغتيلت او التي كانت على القائمة ولم تنجح محاولات اغتيالها ، ان هذا الفريق الاجرامي كان يختار ضحاياه اختيارا • كان يختار ويلاحق المناضلين النشطين والفاعلين ، والذين استطاعوا بنشاطهم وقدرتهم ان يوجدوا اطارا واسعا من الاصدقاء والمتضامنين مع القضية • فالشهيد محمود الهمشري ، مثلا ، لم يكن شخصا عاديا ، بل كان معروفا في الاوساط التقدمية الفرنسية ، كان معروفا بقدرته السياسية وبحيويته وباخلاصه للقضية التي نذر نفسه لها • ولذلك كان هدفا كشخص وكموقف وكحالة • وعندما اغتيل الهمشري كان محمود صالح منخيرة من يتابع المهمة • لقد مضى ما يزيد على ثلاث سنوات بين اغتيال الهمشري واغتيال صالح ، فلماذا هذا الاغتيال اذن ؟

الشهيد محمود صالح استهدف كشخص، ليس لانه هدفا سهلا اصطياده ، فمكان اقامته او تواجده معروف حيث يكون دائما في مكتبته التي حولها الى مركز للنشاط ، بل لانه كان هدفا لا بد من اصطياده • فالاغتيال اذن استهدفه كشخص وكموقف• ولكن لماذا جرى اغتياله في هذه الفترة بالذات ، وليس قبل سنة او سنتين مثلا؟ هل كان صعبا اغتياله آنذاك ؟ نشك في ذلك ، فقد كان موجودا دائما في مكتبته منذ ان انشاها في العام ١٩٧٤ ، وتغيب فترة عنها في العام ١٩٧٥ عندما قدم الى الى لبنان للدفاع عن الثورة ضد الهجمات الفاشية التي تعرضت لها ، ورجع الى باريس بعد ان اقدم العملاء الصهاينة على احراق مكتبته •

وهذا ما يجعلنا نشك في ان توقيت

الاغتيال كان محض صدفة ، ويجعلنا نرجح ان التوقيت جاء ضمن حسابات اسرائيلية ومقدمة لنشاط صهيوني في الساحة الدولية خلال الفترة القادمة ٠

الى ما قبل العام ١٩٧٣ كانت عمليات العنف الخارجية هي السمة الغالبة على النشاط الفلسطيني في الساحة الدولية ٠ وقد اثارت هذه العمليات – في حينها – ردود فعل واسعة ، سلبية وايجابية في الاوساط الديموقراطية والثورية في الخارج ،وكانت ردود الفعل السلبية أوضح وابرز من الايجابية ٠ ولقد كنا من الذين انتقدوا هذه العمليات في حينها ، وبينا مخاطرها واثارها السلبية على النضال الوطني الفلسطيني ٠ لقد استغل العدو الصهيوني هذا النمط من النضال الفلسطيني ، واتخذه ستارا ليخفي عملياته الاجرامية ضد الشعب الفلسطيني، وعملياته الاجرامية القذرة ضد المناضلين الفلسطينيين في الخارج ، كما اتخذ منه مرتكزا لدمغ النضال الوطني الفلسطيني بدمغة الارهاب والعنف غير الثوري ٠ونحن وان كنا نخطىء هذا النمط من العمليات فكرا واسلوبا ، فاننا لا نعدم ان بعض العمليات الخارجية كان لها ما يبررها ، وان بعض هذه العمليات نقلت الأحساس بالقضية الوطنية الفلسطينية الى المجتمع الدولي الراكد ، والى الراي العام العالمي الذي كان مشبعا حتى التخمة بالدعاية الصهيونية واضاليلها ٠ ولكن هذا لا يعني باي حال من الاحوال ، انه لو لم تكن هذه العمليات لما استطعنا تحريك مياه المجتمع الدولي الآسنة ، او لما استطعنا اختراق اذان الرأي العام العالمي التي اصمها وسخ الدعاية الصهيونية ٠

لقد فرضت القضية الوطنية الفلسطينية نفسها على المجتمع الدولي واخذت تستقطب اوسع القوى الديموقراطية والثورية في العالم ، ليس بفعل هذه العمليات ، بل بفعل نضالاتها الوطنية ، بفعل نضالات اوسع الجماهير داخل الارض المحتلة وخارجها ٠ بفعل نضالنا التحرري العادل، الذي يفرض نفسه كنضال وطني تحرري ضد الصهيونية والامبريالية والقوى الرجعية ٠ واي تغيب لهذه الحقيقة ستكون محصلته الاكيدة الانجرار وراء اعمال مغامرة والغوص مجددا في البحث عن ابطال فرديين يمتلئون حماسة واندفاعا واخلاصا وحبا للتضحية من اجل القضية، ولكن تضحياتهم لا تاتي بمردود ، وتعيد الثورة التي اصبحت ارادة وواقعا الى الحلم من جديد ٠ لماذا نقول ذلك ؟ نقول ذلك لاننا نرى في اغتيال المناضل محمود صالح في باريس وفي هذا الوقت بالذات محاولة صهيونية لاغتيال ما احرزته نضالاتنا الوطنية من مواقع متقدمة في الاوساط الديموقراطية والثورية في العالم٠

لقد استطعنا بنضالاتنا الوطنية خلال السنوات الماضية وتحديدا بعد العام ١٩٧٣ ان نحرز مواقع متقدمة في اوساط الرأي العام الدولي ،واستطاع الاعلام الفلسطيني الواعي ان يضايق الدعاية الصهيونية وان يحرز تقدما عليها في بعض المجالات على الرغم من كل ما تملكه من وسائل، ونحن لا نشك ان الصهاينة بدأوا يشعرون بضيق وازعاج كبيرين من تحرك مناضلينا السياسي الجريء والنشط في الخارج ، ولا سيما ان هذا التحرك اخذ يستقطب قوى عديدة بعد ان تخلص من « عقدة » العمليات الخارجية خلال السنوات الثلاث الماضية ٠ وهو تخلص اربك ويربك الاوساط الصهيونية والامبريالية في الخارج لانه افقدها احدى اهم مرتكزاتها في الهجوم على النضال الوطني الفلسطيني ، ولهذا فقد جرى اغتيال

محمود صالح لاصابة عدة اهداف في ان واحد : (١) ابعاد عنصر فاعل ونشط من الطريق (٢) خلق حالة من الذعر لدى النشيطين من المناضلين في الخارج ،لجعل حركتهم اضيق واقل نشاطا • ولقد شكلت العاصمة الفرنسية خلال السنتين او الثلاث الماضية احدى اهم مراكز النشاط السياسي الفلسطيني ، واخذت في الآونة الاخيرة تمثل مركز جذب لقوى عديدة ، وهذا ما اثار الاوساط الصهيونية فيها • وليس صدفة ان تتركز الاغتيالات التي نفذها الصهاينة ، في باريس ، وليس صدفة ايضا ان لا يكشف البوليس الفرنسي حتى الان عن اي من مرتكبي هذه العمليات الاجرامية • ولهذا فنحن لا نستبعد ان يقدم العملاء الصهاينة على اعمال اجرامية اخرى في فرنسا تحديدا وخارج فرنسا بشكل عام ، في محاولة منهم لخنق هذه الحالة قبل ان تنمو وتتجذر ، ولا سيما بعد ان ضاقت مجالات الاعلام الفلسطيني اثر النتائج التي اسفرت عنها الحرب الاهلية الوطنية في لبنان ، واعادة التحرك السياسي الفلسطيني في الخارج الى دائرة العنف والعنف المضاد ، لتضييق الخناق على هذا التحرك وعزله عن اطاراته الصديقة والمناصرة له • وكما قلنا ، فقد اتخذ العدو الصهيوني من العنف الخارجي مرتكزا لتشويه نضالاتنا الوطنية وعزلنا عن الرأي العام الدولي •

٣ ) استباق اي توجه نضالي نحو العودة الى العنف الخارجي بتهيئة المجتمع الدولي لشن هجمة واسعة على نهج العمليات الخارجية • نحن لا نشك اطلاقا ان الدوائر الصهيونية تبني حسابات الان على ان ما اسفرت عنه الحرب الاهلية الوطنية في لبنان من نتائج قد يدفع بعض القوى الفلسطينية الى العودة الى العنف الخارجي للخروج من دائرة الحصار الذي تتعرض له الثورة الفلسطينية • ويبدو ان هذه الدوائر تاخذ في حسابها ما اسفر عنه الحصار الذي تعرضت له الثورة الفلسطينية اثر معارك ايلول في الاردن • فبعد ان فقدت الثورة مواقعها العلنية في الاردن ، نما في الاوساط الفلسطينية تيار نهج العنف الخارجي • وعبر هذا النمو عن نفسه بكثافة العمليات الخارجية خلال عامي ١٩٧٢ و ١٩٧٣ • ونحن لا نذيع سرا اذا قلنا ان الحسابات الصهيونية هذه مجرد هراء ، فالمد الذي بلغه النضال الوطني الفلسطيني تخطى اطار العنف الخارجي كوسيلة للخروج من الحصار • اضافة الى ان العنف الخارجي لم يكن وليد الانحسار والتطويق فقط بل كان نهجا خاطئا ، وهو نهج اخذ بالتراجع يوما بعد يوم على ارض الممارسة النضالية •

على ضوء كل ذلك ، فاننا نرى ان اغتيال المناضل محمود صالح ، هو عمل صهيوني استباقي لمواجهة احداث متوقعة، اضافة الى انه عمل يستهدف فتح ملف العمليات الخارجية لمواجهة التحرك السياسي والاعلامي النشط للقوى الوطنية الفلسطينية ومحاولة تطويق هذا التحرك بذكريات العنف الخارجي • وهذا ما تؤكده الملابسات التي رافقت اعتقال واطلاق سراح المناضل « ابو داوود » •

اعتقال المناضل ابو داوود •

سافر الاخ ابو داوود الى باريس ضمن وفد فلسطيني لحضور تشييع جثمان الشهيد محمود صالح • لقد دخل الاخ ابو داوود فرنسا باذن رسمي وبمعرفة وزارة الخارجية الفرنسية • وخلال وجوده في باريس التقى مع مسؤولين في وزارة الخارجية الفرنسية • واعتقل بعد هذا اللقاء ويوم تشييع جثمان الشهيد محمود صالح •

وتشير كل المعلومات المتوفرة ، ان وزير الداخلية الفرنسي هو الذي اصدر امرا باعتقال الاخ ابو داوود دون معرفة لا رئيس الوزراء ولا رئيس الجمهورية ، ولكن بعد ان اثار الاعتقال كل هذه الضجة تنصل وزير الداخلية من معرفته بالامر والقى باللوم على بعض المتنفذين في وزارة الداخلية ·

ونحن نشك ان تكون الجهة التي كانت وراء اعتقال الاخ ابو داوود غير واعية لنتائج ما اقدمت عليه وانها ستضطر الى اطلاق سراحه بعد ايام · وتشير كل المعلومات ان الاعتقال جاء ضمن الحسابات الصهيونية ويخدم المخطط الصهيوني في اعادة فتح ملف العمليات الخارجية · فوزير الداخلية الفرنسي معروف بمواقفه المعلنة من العنف الخارجي وما يسمى بالارهاب الدولي ، ومنذ اشهر وهو يشهر في فرنسا حملة واسعة ضد ما يسميه بالارهاب الدولي · وقد اصدر مؤخرا تعليمات الى الشرطة الفرنسية تعطيها الحق بايقاف اي سيارة مدنية وتفتيشها بحجة مقاومة « النشاط الارهابي » ومنع حدوثه · ولعل هذا ما يفسر لنا ان التحقيقات التي اجرتها الشرطة الفرنسية حتى الان حول جريمة اغتيال المناضل محمود صالح ، لا تتعدى كونها تحقيقات شكلية · اضافة الى ان التحقيق تناول دائرة اصدقاء الشهيد والنشاطات التي كان يقوم بها وليس تحقيقا حول الجهة التي يشك انها ارتكبت الجريمة ·

ولقد اشار بعض الذين هم على اطلاع بحيثيات اعتقال الاخ « ابو داوود » و اطلاق سراحه ، ان الدوائر التي امرت بالاعتقال كانت تستهدف من الاعتقال ، طمس جريمة اغتيال المناضل محمود صالح بافتعال قضية اخرى، وفتح ملف العمليات الخارجية ضد التحرك السياسي الفلسطيني في الخارج · ولهذا فقد بنت الدائرة الفرنسية التي امرت بالاعتقال، ان الحادثة قد تسفر عن امرين: اما ان يسلم الاخ ابو داوود الى المانيا اذا طالبت به ، ليفتح تسليمه الى المانيا ملف حادثة ميونيخ · واما اذا تعذر تسليمه الى المانيا ان تحرج السلطات الفرنسية في اطلاق سراحه ، واذا اطلقت سراحه ، فيظهر وكأنه خضوع للضغط العربي ، وكلا الحالتين تخدمان التحرك الصهيوني ضد النشاط الفلسطيني في الخارج · وقد ذكرت بعض الصحف الفرنسية ان الداخلية الفرنسية تلقت من المانيا برقية يوم اعتقال الاخ « ابو داوود » تشير الى ان وزارة العدل الالمانية سترسل في اليوم التالي طلبا بتسليمها « ابو داوود » · ولكن المانيا لم ترسل هذا الطلب · ولذا فقد كانت فرنسا محرجة في استمرار اعتقاله ، فاطلقت سراحه ·

لقد اثارت الاوساط الصهيونية والحكومة الاسرائيلية زوبعة كبيرة ضد اطلاق سراح الاخ « ابو داوود » وصورت الامر كانه خضوع للضغط العربي · ولا شك ان اطلاق سراح الاخ « ابو داوود » قد افشل الحملة الصهيونية او وضع العصي في عجلاتها · والسؤال الان بعد ان فتحت العمليتان ، جريمة اغتيال المناضل محمود صالح ، وحادثة اعتقال الاخ «ابو داوود» ملف العمليات الخارجية مجددا هو : هل ينجح العدو الصهيوني في اعادة التحرك الفلسطيني في الخارج الى حلقة الدوران في العنف الخارجي ، الى العنف والعنف المضاد ؟ وعلى الرغم من اننا نشك في ذلك فاننا نرى ان الاجابة على سؤال كهذا متروكة لكل القوى الوطنية الفلسطينية حتى تصيغها بشكل ثوري وفاعل ·

## تقرير

# قوات الردع العربية

## (من تشرين الأول الى كانون الثاني ١٩٧٦)

بعد فشل جميع محاولات ايقاف القتال في لبنان ، قامت القوات السورية المتواجدة في البقاع وبعلبك والشمال ، بالتحرك عسكريا في محاولة لحسم النزاع بالقوة ٠

وفي هذه الفترة استغلت «جبهة الكفور» التناقض القائم بين الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية من جهة ودمشق من جهة ثانية ، فكثفت اتصالاتها مع سورية، ولكنها بقيت على موقفها السابق الذي يرفض دخول اي قوات عربية الى المناطق التي تسيطر عليها ، حتى لو كانت هذه القوات سورية ٠ وعلى هذا الاساس كان اي تقدم تقوم به القوات السورية سيتجه بالتاكيد نحو مناطق الحركة الوطنية والمقاومة ٠ وكانت المقاومة والحركة الوطنية ميالتين الى تعريب الازمة ، بينما كانت «جبهة الكفور» تعارض التعريب ، وتفضل استمرار المبادرة السورية ، وتحتفظ بحقها في اللجوء الى التدويل كورقة اخيرة اذا ما اوقف السوريون مبادرتهم ٠ وكانت الاتصالات العربية المكثفة تجري لعقد مؤتمر قمة عربي يؤمن مصالحة المقاومة وسورية ، وتلطيف الاجواء بين دمشق والقاهرة ، ويؤدي الى تضامن عربي يخلق المناخ الملائم لحسم الازمة اللبنانية سياسيا ، وتعبئة القوى والطاقات لمواجهة المرحلة التالية في تسوية ازمة الشرق الاوسط ٠

وضمن هذا الاطار جرت اتصالات عربية رسمية وغير رسمية ، وكثف ممثلو منظمة التحرير في البلدان العربية نشاطاتهم ، ودعت دولة الكويت في ١٥ اب الى عقد مؤتمر قمة ، وبدأ الاستاذ كمال جنبلاط جولته الى بعض العواصم العربية منذ ٢٧ ايلول ٠ وكانت الغاية من كل ذلك تعريب الحل ، طالما ان انفراد القوات السورية بالحل ، واعلان «القوات الانعزالية» عن تحالفها معها ، يثير شكوك المقاومة والحركة الوطنية ، وينذر بوقوع صدام عنيف بين السوريين والحركة الوطنية والمقاومة ، يستغله اليمين اللبناني لمتابعة هجمته وتحقيق مكاسب لا يسمح بها ميزان القوى الذاتي ٠

ولقد زاد الاهتمام العربي بعقد مؤتمر القمة لحل النزاع بعد ان تحول الصراع اللبناني الى صدام مع سورية ، يهدد بالاتساع والتحول الى صراع مسلح عربي، كما انه يضعف سوريا ويضعف بالتالي المعسكر العربي عندما تبدأ مسيرة التسوية السلمية المنتظرة في مطلع العام ١٩٧٧ ، بعد انتهاء الانتخابات الاميركية ،واستلام الادارة الاميركية الجديدة مهماتها ٠وكان وراء الاهتمام العربي ايضا سبب اخر يتمثل في ان الصدام مع سورية يمكن ان يؤدي الى تصفية المقاومة ، الامر الذي يتعارض مع اجماع الامة العربية على دعم منظمة التحرير واعتبارها ممثلا

شرعيا للشعب الفلسطيني ، خاصة وان اليمين اللبناني الذي تصلبت مواقفه منذ حزيران ١٩٧٦ ، واعتقد ان بوسعهشن الهجوم الاستراتيجي العام ، اخذ يعلن عن رغبته في تصفية المقاومة جسديا ، وتحرير لبنان من اخر فلسطيني» ٠

وفي منتصف ايلول اعلن الرئيس انور السادات بان مصر تحضر لعقد مؤتمر قمة سداسي في الرياض للبحث في الازمة اللبنانية ، وانها مستعدة لحضور هذا المؤتمر في اي وقت ، على ان توافق على ذلك الاطراف الاخرى ، وهي السعودية وسوريا والكويت ولبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية ، وان تعلن هذه الاطراف عن استعدادها لحضور هذا المؤتمر ٠وعندما تأخر عقد مؤتمر القمة بسبب الشروط والشروط المعاكسة ، قامت القوات السورية باجتياح المتن الشمالي في ٢٨ ـ ٩ و ٢٩ ـ ٩ ٠ واستغل اليمين اللبناني ذلك لاستثمار فوز الغير والبدء « بمعركة التحرير » ، وارتكب مجزرتي صليما وارصون اللتيندفعتا السوريين الى تحديد نشاط اليمينيين في هذه المنطقة ، ومنع تواجد المسلحين الانعزاليين على ارض المتن الشمالي ٠

وفي ٢٩ ـ ٩ ـ ٧٦ دعا الرئيس السادات الى القمة السداسية العاجلة ، وبات انعقاد هذا المؤتمر متوقفا على الموقف السوري ، بعد ان اعلنت السعودية والكويت والرئيس سركيس ومنظمة التحرير الفلسطينية موافقتها ٠ وذكرت مصادر في القاهرة ان سوريا وضعت شرطين لحضور مؤتمر القمة هما : ضرورة اشتراك الاردن ، وعدم اشتراك عرفات شخصيا ٠ ولكن منظمة التحرير ابلغت الجامعة العربية في ٣٠ـ٩ ان ياسر عرفات سيمثلها في القمة ، وقالت وكالة الصحافة الفرنسية في القاهرة في ٣١ ـ ٩ « ان الشيء الوحيد الذي يحمل دمشق على تغيير موقفها هو ضغط حقيقي من السعودية » ٠ وفي ١٣ ـ ١٠ صرح مصدر سوري رسمي ان عبد الحليم خدام نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية ، سيرأس وفد سوريا اليمؤتمر القمة العربي المقرر انعقاده في القاهرة في ١٨ تشرين الاول ، وان الرئيس حافظ الاسد لن يحضر المؤتمر ٠

وفي ١٤ ـ ١٠ صرح مصدر مسؤول من القاهرة ان الرئيس المصري انور السادات ابلغ الرؤساء والملوك العرب مساء ١٣ ـ ١٠ ان مؤتمر القمة لن يجتمع ، على الاقل على مستوى القمة ، اذا لم يحضره الرئيس السوري حافظ الاسد ، وانالرئيس السادات بعث برسائل الى الملوك والرؤساء العرب تحمل هذا المعنى وقال فيها : انه اذا اناب الرئيس الاسد وزير الخارجية عبد الحليم خدام لحضور القمة العربية فهو لن يحضر المؤتمر ، وسينتدب لحضوره السيد محمود رياض وزير الدولة المصري للشؤون الخارجية ٠

وعندما تعذر التوصل الى حل للمعضلات التي اعترضت عقد المؤتمر ، قام السوريون بمظاهرة قوة جديدة على محور صوفر ـ بحمدون ـ عاليه ، ومحور جزين ـ صيدا ، في منتصف تشرين الاول٠ ووقعت على هذين المحورين صدامات عنيفة ، مما ادى الى تضاؤل امكانات انعقاد مؤتمر القمة العربية في القاهرة وتأجيله الى موعد لاحق ، وقامت ليبيا بسحب رئيس مكتب العلاقات الليبي من دمشق احتجاجا على استمرار العمليات العسكرية ، فكانت ثاني دولة عربية تقف هذا الموقف بعد العراق الذي سحب سفيره من دمشق في حزيران ١٩٧٦ احتجاجا على الصدام السوري الفلسطيني آنذاك ٠ وبرزت امام هذا التصعيد العسكري والسياسي فكرة عقد القمة المصغرة السداسية في الرياض كبديل لها ، وقبل

الفرقاء الاساسيون بالقمة البديلة • ومن المؤكد ان عنف المعارك كان سببا في دفع الدول العربية نحو عقد هذا المؤتمر ، كما اعطى طول هذه المعارك المجال الزمني لانهاء المباحثات وتذليل الصعوبات المتعلقة بعقد المؤتمر •

اما على الصعيد اللبناني فقد اجتمع الرئيس سركيس في ١٣ ـ ١٠ مع الرئيس السابق كميل شمعون والشيخ بيار الجميل بغية اخذ رأي « الجبهة » بالموافقة على حضور رئيس الوزراء رشيد كرامي هذا المؤتمر ، خاصة وان رئيس الوزراء اللبناني قد طلب من الرئيس سركيس المشاركة في تمثيل لبنان في مؤتمر القمة• وجوبه الرئيس سركيس برفض « جبهة الكفور » المطلق لهذا الطلب ، ورفض حتى البحث في هذا الموضوع، مع الاصرار ان يتمثل لبنان برئيس جمهوريته اذا ما قرر المشاركة في المؤتمر •

وعلى اثر الاجتماع طالب الرئيس سلام بضرورة حضور كرامي مؤتمر القمة ، لضرورة وجود رئيس الحكومة مع رئيس الجمهورية في مؤتمر القمة وفي اي اجتماع يعقد على مستوى الرؤساء ، لان هذا الحضور يعزز الوحدة الوطنية ويحقق فكرة المشاركة • وفي ١٥ ـ ١٠ اعلن رئيس « المجلس السياسي المركزي للاحزاب والقوى التقدمية » كمال جنبلاط بان الحركة الوطنية تحبذ انهاء القتال • ولكن المشكلة ليست في اتفاق القاهرة ولا بين المقاومة والسلطة انما هي بين المقاومة والمؤامرة التي تريد ابعاد المقاومة عن الجنوب • وقال ان الصراع في الاصل لبناني ـ لبناني ، وان الاحزاب والقوى التقدمية موجودة في لبنان منذ عشرات السنين قبل وجود المقاومة ،وان الانعزاليين هم الذين حولوا الصراع الى حرب اهلية• وجرى في هذه الفترة تحرك اسلامي واسع لمواجهة تطورات الوضع • وعقد « التجمع الاسلامي » في ١٥ ـ ١٠ اجتماعا دعا فيه لتنفيذ مقررات جامعة الدول العربية المتخذة في حزيران ، واعلن انه فوجيء « بالتوغل السوري » وفي اليوم نفسه عاد الوفد الكتائبي من دمشق بعد زيارة دامت ثلاثة ايام وجرى خلالها بحث الوضع العسكري المستجد بعد معركتي جزين والجبل ، وتركزت المحادثات على مسالتين اساسيتين هما : التنسيق بين « القوات الانعزالية » و « القوات السورية » في التحركات العسكرية خصوصا في الجنوب، ومتابعة ما يجري في عاليه ، والبحث في الوسائل السياسية والعسكرية لتامين عودة الامن الى المنطقة • وقال مصدر كتائبي ان الجانب السوري اكد بان المبادرة السورية بشقيها العسكري والسياسي مستمرة الى النهاية •

**المؤتمر السداسي يحول « قوات الامن » الى « قوات ردع »**

بدأ مؤتمر القمة السداسية اعماله في الرياض بتاريخ ١٦ تشرين الاول ١٩٧٦ في ظل وقف القتال مع سوريا ، رغم استمرار القتال والقصف والقنص على جميع المحاور بين المقاومة والحركة الوطنية من جهة و « القوات الانعزالية » من جهة ثانية ، وخاصة في الجنوب ، حيث استغل الجيب الانعزالي انشغال المقاومة والقوات المشتركة » في الجبهات الاخرى ، واحتل ثكنة مرجعيون في ١٨ ـ ١٠ وهو اليوم الاخير للمؤتمر •

وحضر المؤتمر كل من الملك خالد عاهل السعودية والشيخ صباح سالم الصباح امير دولة الكويت ، والرئيس المصري انور السادات والرئيس السوري حافظ الاسد والرئيس اللبناني الياس سركيس ( دون ان يكون معه رئيس الوزراء الذي تعذر عليه

السفر لاسباب امنية ) والسيد ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وانتهى في ١٨ ـ ١٠ ـ ٧٦ بمصالحة الرئيسين السادات والاسد ، ومصالحة قيادة المقاومة مع سوريا ·ونص البيان الصادر عن المؤتمر على النقاط التالية : ١ ـ تدعيم التضامن العربي ، ٢ ـ ضمان عربي لسيادة لبنان ووحدته واستقلاله ، ٣ ـ تنفيذ اتفاق القاهرة وملاحقه بضمان عربي ، ٤ ـ تحويل «قوات الامن العربية » الى « قوات ردع عربية » تضم ٣٠ الف جندي ،ووضعها تحت تصرف الرئيس سركيس مباشرة ، ٥ ـ انشاء لجنة رباعية تضم ممثلين عن السعودية ومصر والكويت وسوريا تتولى التنسيق مع الرئيس اللبناني لتنفيذ المقررات في مهلة ٩٠ يوما ·

وقرر المؤتمر وقف القتال نهائيا في كل الاراضي اللبنانية ابتداء من الساعة ٦,٠٠ من يوم ٢١ ـ ١٠ ـ ٧٦ ، وعودة لبنان الى ما كان عليه قبل ١٣ نيسان ١٩٧٥ ، وتضمن الملحق بالبيان جدولا زمنيا ينص على انسحاب جميع المسلحين وازالة كل المظاهر المسلحة في جبل لبنان في الايام الخمسة التي تلي وقف اطلاق النار، وكذلك في الجنوب · اما في بيروت وضواحيها فقد حددت لذلك مهلة ٧ ايام، وللشمال ١٠ ايام ، على ان تلي ذلك اعادة فتح كل الطرق ، واعادة المؤسسات العامة الى الحكومة اللبنانية ، والمساهمة في اعادة تعمير لبنان · واتفق على عرض المقررات على القمة الموسعة التي تقرر عقدها في ٢٥ ـ ١٠ ـ ٧٦ في القاهرة · كما نص الملحق في احد بنوده على نقاط مراقبة من قوات الردع العربية بعد انشاء مناطق عازلة في المناطق المتوترة لتثبيت وقف اطلاق النار ·

وكان اهم ما يميز « قوات الردع العربية » هو انها اصبحت مكلفة بفرض وقف القتال ، حتى ولو اقتضى ذلك استخدام القوة ،بدلا من الاكتفاء بالاشراف على وقف القتال عندما يتفق عليه الطرفان· وكان حجم القوة كافيا عمليا لفرض ايقاف القتال ، خاصة وان من المنتظر ان ينضم اليها جزء من القوات السورية الموجودة في لبنان ، والمسلحة باحدث الاسلحة والمعدات الحربية·ونظرا لان قرارات مؤتمر القمة لم تعين قائدا لقوات الردع ، فقد كان من الطبيعي ان يستلم اللواء محمد حسن غنيم قائد « قوات الامن العربية » القيادة ريثما يتم تعيين قائد جديد · ولكن اللواء غنيم ورئيس اركانه سافرا في ١٩ـ ١٠ الى القاهرة بناء على دعوة عاجلة من الامين العام لجامعة الدول العربية ، واستلم القيادة بالوكالة العميد نور الدين مبارك ·

واستغل المتحاربون مهلة اليومين الباقيين على وقف القتال فصعدوا عمليات القصف والقنص على جميع الجبهات ، واحتل الانعزاليون بلدة مرجعيون في ٢٠ ـ١٠ وبدأت الاستفزازات في قرية العيشية الامر الذي دفع «القوات المشتركة» والمقاومة وجيش لبنان العربي الى احتلالها في ٢١ ـ ١٠ ·

وفي ٢١ ـ ١٠ تم وضع مراقبة سرية في لبنان من ضباط سعوديين لتحديد مصادر الخرق والسهر على تنفيذ قرار وقف اطلاق النار · واشرف الملحق العسكري السعودي الفريق علي الشاعر على ذلك · كما تم وضع نقاط مراقبة في ٢٢ ـ ١٠ على خطوط التماس في العاصمة والضواحي، بغية تسجيل المخالفات وابلاغها الى الامانة العسكرية لجامعة الدول العربية والى القصر الجمهوري لمراجعة الاطراف المخالفة ·

بيد أن وجود هذه النقاط لم يوقف اطلاق النار حتى بعد ٢١ ـ ١٠ ، واستمر القتال وتبادل القذائف ، واتسع حتى وصل الى الجنوب وشمل مدينة الخيام · واستمر التوتر في بنت جبيل ومحيطها · وفي ٢٣ ـ ١٠ غادر الفريق على الشاعر بيروت الى القاهرة عنطريق دمشق لاجراء مشاورات تستهدف التعجيل في استقدام « قوات الردع » خوفا على وقف القتال من الانهيار ، وخاصة في الجنوب · وفي هذه الاثناء كانت الاتصالات تتم لتشكيل « قوات الردع العربية » · وكانت القوات الوحيدة المتوفرة في لبنان هي « قوات الامن العربية » ( السعودية ـ الليبية ـ السودانية » ، والقوات السورية الموجودة في لبنان من قبل · وكان الراي السائد بان القوات السورية ستشارك في « قوات الردع » بنسبة الثلث او النصف على ابعد تقدير · لذا اتجهت المقاومة والحركة الوطنية نحو مطالبة الدول العربية المعنية بالتعجيل في ارسال المزيد من القوات لموازنة التواجد السوري ·

ولاقى تشكيل « قوات الردع » معضلة عملية · فلقد رفضت مصر بشكل قاطع ارسال اية قوات ، ووافقت فقط على ارسال معدات واسلحة اذا لزم الامر · وكانت المقاومة والحركة الوطنية تتحفظان ازاء اشتراك قوات اردنية ، كما كانت « جبهة الكفور » تتحفظ ازاء اشتراك القوات العراقية والليبية والجزائرية ، وتتهم العراق وليبيا بالمشاركة في الحرب اللبنانية · ولقد طالب جنبلاط بعدم التوقف عند اعتراض المتحفظين على اشتراك دولة عربية معينة بحجة انها طرف في حرب لبنان ، واعتبر هذه الحجة لاغية بدليل ان سوريا كانت طرفا رئيسيا في القتال ومع ذلك فقد طلبت ان تشكل اكثرية راجحة في « قوات الردع » ، وان شكوى « جبهة الكفور » سابقا من اشتراك ليبيا في « قوات الامن العربية » بحجة انها منحازة مع المقاومة والحركة الوطنية لا تستند الى اي اساس ، وقد ثبت بطلانها بعد الممارسة والتاكد من حياد هذه القوات، لذا لا بد من اشتراك عربي واسع في « قوات الردع » لتتوازن مع قوة سوريا لئلا تفقد القوات الوجه العربي ·

ورغم جميع المحاولات لتجاوز التحفظات حول مشاركة عدد من الدول العربية في « قوات الردع » فقد بات من الواضح ان ارسال القوات سيبقى محصورا في المغرب ، وتونس ، والكويت،ودول الخليج، واليمن ، والسعودية ، والسودان ، ومعظمها دول لا تملك قوات عسكرية ضخمة مؤهلة للحركة بسرعة الى لبنان ، الامر الذي ادى الى تضييق مجالات ارسال القوات الى حد بعيد ، وجعل سوريا الدولة الاولى المؤهلة لارسال قوات الى لبنان ·

**مؤتمر القمة العربي الثامن :**

على اثر القمة السداسية اجتمع وزراء الخارجية العرب في القاهرة بتاريخ ٢٠ ـ ١٠ ـ ٧٦ ، وفي غياب وزيري خارجية ليبيا والعراق · واوصوا بعقد مؤتمر قمة عربي موسع في القاهرة لدراسة مقررات مؤتمر القمة السداسي في الرياض ·وفي ٢٥ ـ ١٠ ـ ٧٦ بدأ مؤتمر القمة جلساته، وحضره ملوك ورؤساء السعودية ومصر وسوريا والاردن والكويت وقطر والامارات العربية واليمن الشمالي واليمن الجنوبي والسودان وموريتانيا والصومال والبحرين ولبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية ، ومثل العراق وزير الخارجية ، والمغرب وزير الدولة للشؤون الخارجية ، والجزائر وزير الاعلام الجزائري ، وليبيا الرائد عبد المنعم الهوني عضو مجلس قيادة الثورة في ليبيا ·

ولقد درس المؤتمر عدة مسائل اهمها : الوضع في لبنان وضرورة الحفاظ على سيادته واستقلاله ، وتضامن الشعبين اللبناني والفلسطيني ، ودرس ايضا الوضع في الجنوب اللبناني والاعتداءات الاسرائيلية المتصاعدة على الاراضي اللبنانية ، واصرار الدولة الصهيونية على ممارسة سياستها العدوانية التوسعية في الاراضي العربية • وعلى اثر ذلك قرر المجتمعون المصادقة على قرارات مؤتمر القمة العربي السداسي في الرياض ، واكدوا التزامهم بالعمل على توفير الضمانات اللازمة لتثبيت وقف اطلاق النار ، وانهاء الاقتتال بجميع صوره ، وعودة الحياة الطبيعية الى لبنان وتعزيز « قوات الامن العربية » ودعمها لتصبح « قوة ردع » تعمل تحت امرة رئيس الجمهورية اللبنانية شخصيا ، كما اكدوا على ضرورة تنفيذ اتفاق القاهرة وملاحقه• ولقد وافق المؤتمر ايضا على تاليف لجنة تضم ممثلين عن المملكة العربية السعودية وجمهورية مصر العربية والجمهورية السورية ودولة الكويت ، تقوم بالتنسيق مع الرئيس سركيس فيما يتعلق بتنفيذ اتفاق القاهرة ، وتكون مدتها ٩٠ يوما ، واكد من جديد ان منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد لشعب فلسطين ، وان على جميع الدول العربية الاعضاء في جامعة الدول العربية دعم المنظمة وعدم التدخل في شؤونها ، في الوقت الذي اكدت فيه منظمة التحرير سياستها بعدم التدخل في الشؤون الداخلية لاي بلد عربي •

وقرر المؤتمر ان تساهم الدول العربية، كل حسب امكاناتها ، في اعادة تعمير لبنان ، والاضرار التي حلت بالشعبين اللبناني والفلسطيني ، والمبادرة العاجلة بتقديم العون لهما ، وانشاء صندوق خاص للانفاق على متطلبات « قوات الردع » ، ومساهمة الدول الاعضاء في الصندوق بنسبة مئوية تحددها كل دولة حسب طاقاتها ، ، وان يشرف رئيس الجمهورية اللبنانية على الصندوق ، ويضع بالتشاور مع الامانة العامة لجامعة الدول العربية والدول المساهمة بنسبة عشرة في المئة على الاقل ، نظاما عاما للصندوق ، يوضح طريقة الانفاق منه وتصفيته عند انتهاء مدته ، وان يعمل بالنظام الذي سارت عليه « قوات الامن العربية » الى ان يتم وضع نظام جديد • وحددت مدة الصندوق بفترة ستة اشهر قابلة للتجديد بقرار من مجلس الجامعة الذي ينعقد بطلب من رئيس الجمهورية اللبنانية •

ولقد تقرر ان تساهم السعودية بنسبة ٢٠ في المئة من نفقات « قوات الردع » وكذلك الكويت ، وان تكون مساهمة الامارات العربية بنسبة ١٥ في المئة ، وقطر ١٠ في المئة •

وكان ابرز ما سجل في اليوم الاخير للمؤتمر مساعي رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية من اجل حمل مصر والكويت على المشاركة ، ولو رمزيا ، في « قوات الردع » ، لايجاد توازن على الساحة اللبنانية ، الامر الذي يطمئن الحركة الوطنية اللبنانية التي كانت علاقاتها مع سوريا تمر في مرحلة حساسة• ولقد رغبت المقاومة في ان تشترك مصر بقوة رمزية توضع في اماكن محدودة ( المطار ، المرفا ، طريق الشام ••• الخ ) لتعطي الطرف الوطني نوعا من الاطمئنان• وكانت منظمة التحرير قد عملت من قبل على اطالة اجتماعات وزراء الخارجية العرب الذي سبق قمة القاهرة ، وساهم في اطالة الاجتماعات رئيس الدورة الحبيب الشطي وزير خارجية تونس ، الا ان المساعي الفلسطينية لم تكلل بالنجاح •

ولعل اهم ما توصلت اليه قمة القاهرة، هو وضع حد للخلافات العربية التي كانت تغذي الحرب في لبنان ، وتثبيت وقف اطلاق النار · ولكن المجتمعين لم يذكروا في بيانهم شيئا عن الجنوب ، ولم يتخذوا اي قرار بالنسبة الى الوجود العسكري السوري ، وعودة المهجرين ( لبنانيين وفلسطينيين ) الى مناطقهم ، وطريقة تطبيق اتفاق القاهرة ، ونسبة اشتراك كل دولة عربية في « قوات الردع»· ويبدو ان السبب الكامن وراء ذلك هو رغبة الملوك والرؤساء في تقديم الخطوط العريضة للحل ، وتحميل الرئيس سركيس مسؤولية حل الامور التفصيلية باسم الشرعية ، واستنادا الى « قوات الردع » الموضوعة تحت تصرفه ·

واخذ اتفاق القاهرة بموجب قرارات القمة ، صفة الضمان العربي لتنفيذه ، وتشكلت لهذه الغاية لجنة ضمت : الفريق اول علي الشاعر سفير السعودية ، واحمد لطفي متولي سفير مصر ، والعقيد محمد الخولي ممثل الجمهورية العربية السورية ، وعبد الحميد البعيجان سفير الكويت · وكان اخطر ما يواجه هذه اللجنة التصلب الاسرائيلي ازاء عودة المقاومة الى الجنوب ( تطبيقا لاتفاق القاهرة ) ، ومعارضة القيادات اليمينية لتطبيق اتفاق القاهرة الذي تعتبره لاغيا بفعل الحرب وتطوراتها ، ومطالبتها بمنع عودة الفلسطينيين ، حتى كلاجئين ، الى مخيمات تل الزعتر وجسر الباشا وضبيه·

ومن الجدير بالذكر ان رئيس الحكومة رشيد كرامي رافق الرئيس سركيس الى القاهرة هذه المرة ( على اساس المشاركة)· وكان من المفروض ان يطرح رئيس الحكومة مسالة نوقشت في الاوساط الاسلامية بعد مؤتمر القمة السداسية ، وهي وضع « قوات الردع» تحت تصرف الرئيس سركيس مباشرة ، وليس تحت تصرف رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة معا · ولقد اعتبرت الاوساط الاسلامية هذا القرار مخالفا لمبدأ المشاركة ومناقضا للاعراف التي سار عليها الحكم في لبنان منذ الاستقلال · ولكن الملوك والرؤساء اقنعوا رئيس الحكومة بضرورة عدم الوقوف عند هذه النقطة في الظروف المضطربة السائدة التي تتطلب مركزية في اتخاذ القرار ، واعربوا عن ثقتهم المطلقة بحياد الرئيس سركيس الذي يمثل البلاد كلها ، ولا يعتبر نفسه ممثلا لطائفة واحدة ·

وربحت سوريا في المؤتمر عدة نقاط ، اذ لم يتخذ المؤتمر قرارا بسحب قواتها من لبنان ، كما لم يحدد بالضبط نسبة اشتراكها في « قوات الردع » ، واعطى وجودها في لبنان شرعية عربية قال عنها مصدر مسؤول في التجمع الاسلامي في ٢٧ ـ ١٠ ـ ١٩٧٦ : « ان الحرج الذي كان يواجه الزعماء المسلمين بالنسبة الى الوجود العسكري السوري في لبنان قد زال بعد مؤتمر القمة نظرا لان الملوك والرؤساء العرب قد سكتوا عنه بعد ما عارضوه قبلا ، واصروا على وضع « قوة الردع » بامرة الرئيس سركيس وحده بدون مشاركة ، وقد تركوا لرئيس الحكومة امر التفاهم في المشاركة العامة في الحكم وفي طريقة تحقيقها مع رئيس الجمهورية»·

## تشكيل قوات الردع ومهامها

في اليوم الاخير لمؤتمر القاهرة ، تحدث الامين العام للجامعة العربية باسم الملوك والرؤساء ، وقال بان « قوات الردع » ستكون بمثابة « قوة امن » في مرحلة اولى ، و « قوة ردع » في مرحلة ثانية ، وان على اي بلد عربي يريد المشاركة في « القوة » التوجه مباشرة الى الرئيس سركيس ·

ولكن عدد الدول المؤهلة لارسال القوات تحدد بشكل واضح عندما شددت مصر على عدم المشاركة في « قوات الردع » ، وحذت حذوها دول المغرب العربي والكويت وقطر واليمن الجنوبية . واستبعدت ليبيا والجزائر والعراق والاردن بسبب التحفظات التي اخذ بها مؤتمر القمة . وعلى هذا الاساس اصبحت الدول المؤهلة لارسال القوات هي : سوريا، والسعودية ، والسودان ، واليمن الشمالي ، ودولة الامارات فقط . ومن المعروف ان عدد القوات المسلحة لهذه الدول هو ( حسب التسلسل المذكور ) : ٢٢٧٠٠٠ ، و ٥١٥٠٠ ، و٥٢٦٠٠ ، و ١٨٨٠٠ رجل . وهذا يعني ان القوة الاساسية في قوات الردع ستكون سورية بالضرورة .

وفي ٢٧ ــ ١٠ ــ ١٩٧٦ ، اشار وزير الاعلام السوري الى موقف سوريا من تشكيل « قوات الردع » ، وذكر ان سوريا مستعدة لتحويل قواتها على الاراضي اللبنانية الى جزء من « قوات الردع » وتشكيل العمود الفقري لهذه القوات .ولقد حصل ما توقعه وزير الاعلام السوري واصبحت « قوات الردع » ، كما سنرى ، تضم اكثرية سورية ، بالاضافة الى وحدات من السعودية والسودان ودولة الامارات واليمن .

ولقد حدد الملوك والرؤساء في مؤتمر الرياض بكل دقة المهمة العملية الملقاة على عاتق هذه القوات وهي تتمثل بما يلي :

١ ــ فرض الالتزام بوقف اطلاق النار والعزل بين القوات المتحاربة .

٢ ــ تطبيق اتفاق القاهرة خلال ٤٥ يوما .

٣ ــ حفظ الامن الداخلي في مختلف المناطق اللبنانية .

٤ ــ ازالة المظاهر المسلحة وفق جدول زمني محدد .

٥ ــ الاشراف على انسحاب المسلحين الى الاماكن التي كانوا فيها قبل بدء الاحداث في ١٣ ــ ٤ ــ ١٩٧٥ .

٦ ــ جمع الاسلحة الثقيلة والعربات المدرعة .

٧ ــ مساعدة السلطات الشرعية اللبنانية على تسلم المؤسسات والمرافق العامة .

٨ ــ اعادة الحياة الطبيعية الى لبنان كما كانت في ١٣ــ٤ــ١٩٧٥ .

٩ ــ فتح الطرق الدولية خلال خمسة ايام وتسيير الدوريات عليها .

وهكذا احيطت قرارات القمة فكرة التقسيم ، ووضع العرب تحت تصرف رئيس الجمهورية قوة قادرة على فرض وقف القتال ومكلفة به ، حتى لو اضطرها ذلك الى استخدام العنف .

## المواقف والتنفيذ :

في يوم ٢٨ ــ ١٠ بدأ تسريع اجراءات تطبيق ما تأخر من بنود اتفاق الرياض ، من سحب قوات ، وازالة المظاهر المسلحة، وفتح الطرق ... الخ . واخذت المقاومة الفلسطينية تسحب قواتها من الجبل بكثافة وتدفعها الى الجنوب تطبيقا للاتفاق المذكور . ولقد وافقت المقاومة والحركة الوطنية على ان تدخل « قوات الردع » المناطق التي تسيطر عليها .

وعندما كانت قوات المقاومة تنسحب من الجبل وتتعاون مع الحركة الوطنية لازالة المظاهر المسلحة في المدن ، عقدت « قيادة القوات الانعزالية » الموحدة في مساء ٢٨ ــ ١٠ اجتماعا في مقر حراس الارز .

اشترك فيه ممثلون عن الكتائب والتنظيم، والاحرار والجيش اللبناني وحراس الارز، والدرك والامن العام ، والمدعي العـــام العسكري • وقرر المجتمعون انشاء مجلس امن قومي ، يتولى مهمة الحفاظ على الامن في المناطق الواقعة تحت سيطرتهم ، ورفض دخول اي قوة عربية الى هذه المناطق • وجاء هذا الرفض على اساس ان المؤتمرات العربية ، وخاصة مؤتمـــري الرياضـــ والقاهرة ، اعتبرت ان هنـــاك فريقيـــن متنازعين في لبنان ، بينما اعتبر المجتمعون ان هناك لبنانيين « وغرباء » معتدين ، ومهمة قوى الامن العربية ينحصر في رد « الغرباء » المحتلين وردعهم عن اللبنانيين المقيمين في بيوتهم • وتطرق المجتمعون الى بحث احياء المخافر ، وتسليح قوى الامن ، وانشاء قوة عسكرية رادعة ، وتسليـــم الحواجز الى السلطات الامنية ، ومنـــع تدخل عناصر الاحزاب والمنظمات المسلحة في الشؤون الامنية الداخلية الا بناء علـى طلب السلطات المختصة • وتوحيد جهـاز الاستقصاء الخاص بتقصي الجرائم ، ولا سيما الجرائم التي تمس سلامة الوطـــن وامن « القوات الانعزاليـة » • وكـــان المجتمعون يتصورون ان « قـوات الردع » ستتحرك على محور واحـــد ، وتقبـــل مشاركتهم في الحفاظ على الامن •

وبرز خلاف جديد مـــع بـــدء تنفيـــذ القرارات ، على « من يبدأ التنفيذ ؟ » ورأى اركان « جبهة الكفور » ان يبـــدأ الفلسطينيون اولا لاظهـار حسن نياتهم ، وبعدها تباشر الجبهة بالتنفيذ • ورفضـت المقاومة والحركة الوطنية تجزئة التنفيذ • واقترحت انسحابات شاملة ومتوازنـــة ، على ان يتم فتح الطرق وتأميـــن سيـــر المرافق العامة دفعة واحدة وبمبادرة كـلا الطرفين ، كي تحل « قوات الردع » محـل المنسحبين •

وازاء هذه المشكلة التنفيذية واستمـرار تبادل النيران ، وضع الرئيس بالتعـاون مع اللواء غنيم خطة عمل تضمن عـــودة الاوضاع الى طبيعتها ضمن جدول زمنـي معين • ولكن الرئيس آثر اعداد المنـــاخ اللازم لتنفيذ الخطة قبل البدء بوضعهـا موضع التطبيق ، حتى يضمن النجاح وعدم الاحتكاك • وكان عليه ان يتريث حتى يتـم تشكيل « قوات الردع » واستكمال الوحدات المشتركة فيها • وبادر الاميـــن العـــام للجامعة العربية في ٣٠ ـ ١٠ بتوجيـــه رسائل الى الحكومات المشتركة في « قوات الردع » طالبا الاسراع في ارسال هـــذه القوات •

وبدا الوضع في مطلع تشرين الثانـــي غامضا • فقرارات القمة لم توقف اطلاق النار ، و « قوات الردع » لا تزال بعيـدة عن لعب دورها كعنصر ضاغطعلى الموقف• وتصلب موقف العراق ازاء مقررات القمة، وسحـــب فـــي ١ ـ ١١ رئيس البعثـة الدبلوماسية العراقية في دمشق ، واذاعت سوريا ان دوريات عسكرية عراقية كثيفـة ظهرت على الحدود العراقية السورية •

وفهم انصار استمرار القتال تمهـــل الرئيس بشكل خاطىء • فتابعوا التراشق بالمدفعية ونصب المتاريس على الطرقات • ولم يعوا جيدا تصريح ممثـل الجامعـــة العربية د • حسن صبري الخولي « بأن قوة الردع ستعمل بشكل عادل وعلى جميع الاراضي اللبنانية ، وانه لن يكون هناك تساهل بالنسبة الى السلام » وان الخطـة الامنية « ستنفذ بالحسنى او بالقوة » • وكانوا يعتقدون ان بالامكـان تسخيـــن الوضع من جديد ،وقضم السلام بالتدريج•

وفي مرحلة اعداد الاجواء الملائمة لعمل قوات الردع ، حاولت المقاومـة والحركة الوطنية اقناع الدول العربية بارسال اكبر عدد ممكنمن القوات •كماحاولت« القوات

الانعزالية » اقناع الرئيس سركيس بعدم ادخال قوات عربية الى مناطقها · وعندما ظهر واضحا أن « قوات الردع » ستدخل كل المناطق بلا استثناء ، وبشكل متوازن وعادل ، تباينت الآراء في « الجبهة الانعزالية » ، فوافقت الكتائب والرئيس السابق فرنجية على الخطة ، وتحفظ الاحرار ، وهدد حراس الارز باللجوء لمنع اية قوة عربية من الدخول الى مناطق « الجبهة اللبنانية » ·

ووقع في ليلة ٣ ـ ٤ تشرين الثاني تصعيد مفاجيء على جميع محاور العاصمة ، ورغم اكتمال وضع الخطة الامنية منذ ٢ ـ ١١ فان « قوات الردع » لم تتدخل ، وبقيت في مواقعها بانتظار تكاملها · وفي الرابع من تشرين الثاني عين الرئيس سركيس العقيد الركن احمد الحاج قائدا « لقوات الردع العربية » ، وبدأ العقيد الحاج اتصالاته النهائية لتحريك هذه القوات · وفي مساء ٧ ـ ١١ ـ ٧٦ وجه الرئيس سركيس رسالة الى اللبنانيين ، عبر محطات الاذاعة والتلفزيون ، تحدث فيها عن طبيعة المهمة الموكولة الى « قوات الردع » المؤلفة من قوات الامن العربية التي دخلت لبنان في حزيران ١٩٧٦ ( ٢٥٠٠ جندي سعودي وليبي وسوداني )، و ١٠٠٠ جندي سعودي اخرين ، و ٥٠٠ جندي من دولة الامارات العربية المتحدة ، و ٥٠٠ جندي من اليمنيين ، و ٦٠٠ جندي سوداني جاؤوا لدعم الوحدة السودانية ، و ٢٠٠٠٠ جندي سوري ·

وفي ٨ ـ ١١ حشدالسوريون في منطقتي عاليه والمتن الشمالي قطعاتهم المخصصة للمشاركة في « قوات الردع » ، وكثفوا حشودهم بين المصنع وسفوح الجبال المطلة على البقاع من الناحية الغربية · ووصل التوتر الى ذروته في ليلة ٨ ـ ٩ تشرين الثاني · وكانت القوة العسكرية العربية تراوح في مكانها بانتظار اشارة البدء · وهنا اعلنت دمشق « بان تأخر قوة الردع لن يحول دون البدء بتنفيذ الخطة الامنية ، حتى لو اضطرت سوريا الى تغطية النقص العسكري الحاصل بسبب هذا التأخر » ·

وفي مساء ٩ـ ١١ ، وبعد تلقي اوامر الرئيس سركيس ، بدأت «قوات الردع» تحركها على محورين : عاليه ـ الحازمية ( على مشارف بيروت ) ، وعينطورة ـ المتين ـ الزعرور ـ ضهور الشوير· وكانت اولى مهماتها : انهاء المظاهر المسلحة ، وفتح الطرق · وطلب قائد « قوات الردع » العقيد الركن احمد الحاج من الجميع تسهيل مهماتها اذ انها ستضطر الى استخدام العنف اذا دعت الضرورة الامنية لذلك · وقابلت « جبهة الكفور » دخول القوات بالاضراب واغلاق المتاجر احتجاجا على الدخول اليها· واخذ الرئيس سركيس على عاتقه توازن تصرفات « قوات الردع»، وطمأن اقطاب جبهة الكفور بانه ليس هناك داع لتخوفهم ، وان القوات ستدخل جميع المناطق بلا استثناء ·

وفي ١٠ ـ ١١ تمركزت القوات في النقاط المحددة لها ، واتمت مهمتها دون اي حوادث تذكر ، ثم استمرت في تدعيم مواقعها خلال يوم ١١ ـ ١١ ، وقد اصبح طريق بيروت ـ دمشق الدولية سالكا بينما وصل عاليه في اليوم نفسه لواء سوري لتعزيز القوات المتقدمة ، وخفت الاشتباكات الى ادنى حد وصلت اليه خلال الاحداث ·

وتلا ذلك توقف استمر حتى بدء المرحلة الثانية في فجر ١٥ ـ ١١ ، حيث تقدمت ،حدات من « قوات الردع » حتى بيت الدين ودير القمر ، بينما تحركت وحدات اخرى على ثلاثة محاور هي : الحازمية ـ برج البراجنة ـ المطار · والحازمية ـ

الشياح ـ عين الرمانة ـ الاسواق التجارية ـ منطقة الفنادق · وضهور الشوير ـ بعبدات ـ برمانا ـ المكلس ـ الاشرفية وانتهى تمركز القوات في النقاط الحساسة من العاصمة في حوالي الساعة العاشرة· دون حوادث تذكر ، سوى تدمير مربض رشاش ثقيل اطلق النار على « قوات الردع » من بناية قتال · وفي اليوم التالي استقبل مطار بيروت اول طائرة تابعة لشركة طيران الشرق الاوسط ·

وبانتهاء المرحلة الثانية من الخطة الامنية اختفت المظاهر المسلحة في منطقة تواجد « قوات الردع » التي بدأت تعزز مواقعها ، وتؤمن حراسة المرافق الهامة · وفي ٢٢ ـ ١١ انتهت المرحلة الثالثة بدخول طرابلس وصيدا · وبدأ الاعداد لتنفيذ بقية قرارات القمة ( جمع السلاح الثقيل، تنفيذ اتفاق القاهرة ، استلام المؤسسات والمرافق العامة اعادة بناء لبنان ···الخ)·

ومن الجدير بالذكر ان الامن ساد المناطق التي دخلتها « قوات الردع » ، وعادت عجلة الحياة الطبيعية فيها الى الدوران بشكل افضل من ذي قبل ، وزال التوتر والمظاهر المسلحة في هذه المناطق رغم استمراره في جنوبي لبنان ، حيث تابع الجيب اليميني تعامله مع اسرائيل ( اقتصاديا وعسكريا ) ، وتعزيز مواقعه الدفاعية استنادا الى الوجود الاسرائيلي غير المرئي ، الامر الذي اقلق الملوك والرؤساء العرب ، ووضع صعوبة جديدة امام تنفيذ قرارات القمة ·

وعندما انتهى العام ١٩٧٦ كان الجنوب يشكل بؤرة غير آمنة تماما ، واستمرت المجابهة غير الساخنة بين قوات الطرفين· ولقد كان بالامكان تصفية هذا الجيب . وخاصة بعد أن حشدت المقاومة والحركة الوطنية قواتها حوله · كما كان بامكان قوات الردع اعادة الامور الى نصابها واغلاق « السياج الحسن » الذي فتحته اسرائيل لتحقق كسبا دعائيا ولتضمن التعامل مع جيرانها وسط بحر العداء الذي يحيط بها · ولكن الموقف الاسرائيلي المتشدد ازاء سيطرة المقاومة على الجنوب او دخول قوات عربية كثيفة اليه ، والاتصالات الدولية الرامية الى تهدئة الموقف الذي يمكن ان يتطور ويصبح شرارة اندلاع حرب عربية ـ اسرائيلية ، واصرار الصهاينة على ان لا يدخل الجنوب سوى وحدات من الجيش اللبناني الذي لم يستكمل بناءه ، فرضت تجميد الاوضاع في الجنوب بانتظار قرار من الرئيس سركيس·

**عصام الجزار**

# اسرائيليات

## -١-
## عن الازمة الحكومية وتقديم الانتخابات

في ١٩٦٩/٩/٥ وفي الساعة ١٧ر٤٠ من مساء يوم الجمعة وقبل حلول يوم السبت بعشرين دقيقة كما هو المفروض ، هبطت اول دفعة من طائرات الفانتوم التي زودتها الولايات المتحدة لاسرائيل ، في احدى القواعد العسكرية . وقد استقبلت الحكومة الاسرائيلية هذه الطائرات ، باحتفال رسمي حضرته رئيسة الحكومة جولدا مئير ووزير الدفاع موشي ديان ووزير الخارجية ابا ايبان ، آنذاك ، وقد مر هذا الحادث دون الاعلان عنه ، ودون ان يثير في حينه اي جدل سواء كان ذلك داخل الحكومة نفسها، او داخل الكنيست، « بسبب المساس بقدسية السبت وتدنيسه» على الرغم من ان الحكومة التي كانت قائمة آنذاك ، كانت حكومة ائتلافية وتضم وزراء عن كتلة « ليكود » المعارضة ،وكتلة المفدال الدينية ·

وفي تاريخ ١٩٧٦/١٢/١٠ وفي الساعة ١٥ر٢٥ من مساء يوم الجمعة وقبل حلول يوم السبت بسبع واربعين دقيقة، هبطت اول دفعة من طائرات الـ ف ١٥ التي تزودها الولايات المتحدة الآن لاسرائيل ، وفي قاعدة عسكرية بالقرب من القاعدة نفسها التي هبطت فيها طائرات الفانتوم · وقد استقبلت هذه الطائرات هي الاخرى « باحتفال رسمي حضره كل من رئيس الحكومة اسحق رابين ورئيس الاركان الجنرال مردخاي غور ، وقائد سلاح الطيران الكولونيل بنيامين بيلد ، بالاضافة الى ٣٠٠٠ مدعو » · ( دافار ١٢-١٢-٧٦ ، ر١٠١٠ ١٤-١٢-٧٦ ) ·

والفارق بين الحدثين ، انه بينما التزم الاعلام الاسرائيلي الرسمي وغير الرسمي ، الصمت ، ودون ان تعقب على ذلك اية كتلة سواءكانت مؤتلفة اومعارضة وسواء كان ذلك من الناحية السياسية او الدينية للمساس بقدسية السبت ، الذي سببه الاستقبال الرسمي الذي اقيم من اجلها حينه ، نرى ان هبوط طائرات الـ ف ١٥ في الحالة الثانية ، وحفل الاستقبال الاستعراضي الذي اقيم من اجلها فيذلك الوقت، نرىان هبوط طائرات الصحف الاسرائيلية الصادرة يوم الاحد في ١٢-١٢-٧٦ ، مصحوبا بالضجة التي اقامتها الاحزاب الدينية بما فيها حزب «المفدال» الائتلافي ، احتجاجا على انتهاك حرمة السبت ، والتي وصلت اوجهابتقديم « الكتلة الدينية التوارتية » مشروع اقتراح لحجب الثقة عن الحكومة في الكنيست ، وهو الاقتراح الثاني عشر منذ تشكيل حكومةرابين قبل ثلاث سنوات·

وكان من الممكن ان يمر الاقتراع على هذا الاقتراح لحجب الثقة عن الحكومة، ككل الاقتراحات السابقة له ، والتي انتهى الحديث عنها بمجرد سقوطها في الكنيست، لولا ذلك التطور الدرامي للاحداث ، بعد ان اعلنت كتلة « المفدال » الائتلافية ،والتي

تشارك في ثلاث مناصب وزارية في حكومة رابين ، عن نيتها الامتناع عن التصويت ضد الاقتراح في الكنيست ، علـى الرغم من التفاهم الذي تم بين كل من رئيـس الحكومة اسحق رابين ويجال الون ، وبين الوزراء المفداليين في الحكومة ، علـى الاكتفاء بالاعتذار الذي صدر عن اسحق رابين في جلسة الحكومة في ٧٦/١٢/١٢٠ الا ان كتلة « المفدال » قررت في اجتماعها الطارىء بعد التصويت الذي جرى داخل الكتلة ، وباكثرية ٩ الى ١ ( وزيـر الداخلية يوسف بورج )، معلنة « نحن لم نبادر بطلب سحب الثقة من الحكومـة ولكن الوضع الذي نشا يحتم علينا الامتناع عـن التصويت » ( ر٠١٠١ ٧٦/١٢/١٣ ) وهذا يعني ان الحكومة ستواجه اقتـراح حجب الثقة ، وهي تفتقد لعشر مـن الاصوات المؤيدة ، مما خلق ازمة وزارية داخل الحكومة ٠

وكانت كتلة « ليكود » قد عقدت اجتماعا طارئا لبحث الموقف المستجد ، يحدوهـا امل كبير باسقاط الحكومة هذه المرة ، بعد اعلان « المفدال » عن موقفه ٠ محاولـة اضافة جوانب رسمية على اقتراح حجب الثقة ، وذلك بهدف تأييد الاقتراح علـى نطاق واسع ، وليس بقضية ذات طابـع ديني محض ٠ كما واصبـح واضحا ان جميع الكتل الصغيرة ستصوت مـع « الجبهة الدينية التوارتية » و « ليكود» مؤيدة سحب الثقة من الحكومة مقابـل « المعراخ » وكتلة الاحرار المستقليـن الائتلافية ، مما سيجعل الفرق بين مؤيديها وبين معارضيها ضئيلا جدا ، لا سيما وان كتلة الاحرار المستقلين ، كانـت قـد لوحت بالانسحاب من الائتلاف ومـن الحكومة قبل اسبوع واحد فقط من بدايـة الازمة ، اذا لـم يستجب « المعـراخ » لطلباتها بشان تعديل قانون التامين الصحي والعمل، واجراء اصلاحات في بنية الحكومة والوزارات ٠

ولذا فقد سارع اسحق رابين مصحوبا بوزير العدل حاييم تسادوك ، للاجتمـاع بوزراء «المفدال» مرة اخرى ، يوسف بورج واسحق رفائيل وزفولون هامر ، في محاولة يائسة من اجل تغيير موقف حزبهم ، الا ان وزيري المفدال اسحق رفائيل وزفولون هامر قالا ان « جميع الايضاحات التي قدمهـا رئيس الحكومة ، من ان حفل الاستقبـال قد انتهى قبل حلول السبت ، واعتذاره امام الحكومة ، قد اقنعتهما بعدم التصويت ضد الحكومة ، ولكنهما يريان ان من واجبهما الامتناع عـــن التصويت على الاقل » ( هاتسوفيـــه ، دافار ٧٦/١٢/١٤ ، ر٠١٠١ ٧٦/١٢/١٥ ) ٠

واصبح واضحا ان « المفدال » ستمتنع عن التصويت وان « ليكود » سوف تعطـى فرصة للتحدث في المناقشة العامة التـي اقرتها لجنة الكنيست ليوم ٧٦/١٢/١٤ ، وتجيير عدم الثقة من قبل المتدينين الـى الناحية الرسمية ، باتهامها الحكومـة « باستغلال التفوق الرسمي . وشـراء الاسلحة ، وفقـدان كرامة الحكومة » ( ر٠١٠١ ٧٦/١٢/١٥ ) ٠

وهكذا ، فان الازمة الوزارية تحولـت من امر ديني يتعلق بانتهاك حرمـة السبت ، الى امر سياسي بحت ، وراحت جميع الكتل المختلفة في الكنيست تجند كل قواها استعدادا للاقتراع على اقتـراح حجب الثقة عن الحكومة ، مما حـدا بالحكومة استدعاء وزير الدفاع شمعـون بيرس من الولايات المتحدة وباقي اعضاء الكنيست في الخارج استعدادا لهذه الهجمة المعارضة الجماعية ٠ وقد علقت صحيفـة يديعوت احرونوت في عددها الصادر يـوم ٧٦/١٢/١٣ انه « اتضح ان الموضوع الذي سيطرح اليوم للتصويت ، ليس تدنيـس السبت ، كما انه ليس سبب الخلاف بين المعارضة والحكومة » ، وربما كان فـي ذلك تلميح للرغبة الاميركية ـ والتي كثـر

الحديث عنها في الصحف الاسرائيلية قبل الازمة الوزارية ـ في تقديم الانتخابات الاسرائيلية للكنيست التاسع ، وصولا الى حكومة بديلة غير حكومة الاقلية ، تكون قادرة على اجراء المفاوضات واتخاذ القرارات عشية انعقاد مؤتمر جنيف للسلام ، دون ان تكون هذه الحكومة اسيرة لمشيئة الاحزاب الصغيرة في الائتلاف ، والتي قد تكون حجر عثرة امام التطورات السياسية الجديدة للولايات المتحدة في الشرق الاوسط . او ربما كان ذلك للاسباب التي طرحتها صحيفة دافار الرسمية ، بأن هذا الاقتراح الذي قدمته كتلة « الجبهة الدينية التوراتية » هو ، بدون شك ، اقتراح مغيظ وان « كل المقصود منه هو احراج المفدال عشية المعركة الانتخابية المرتقبة في الشارع الديني ، ولو كان همها الموضوع نفسه لاكتفت بتوضيح رئيس الحكومة وتعبيره عن اسفه ، اذا ما كان قد تسبب في اي تدنيس للسبت ، ولكن لان همها كان محض سياسي ، فانها سترفع اقتراحها اليوم في اجتماع الكنيست » ( دافار ١٤/١٢/٧٦ ) .

وقد قدم الاقتراح عضو الكنيست لكمان كهانا عن «الجبهة الدينية التوارتية »مدعيا انه قد وصل الى اسرائيل سلاح في الماضي، ووصلت طائرات ولكن « لماذا في هذه المرة جرى تدنيس للسبت ، وجرى المس بكرامة الاشخاص ؟ ولماذا اقيم ذلك الاحتفال الاستعراضي ؟ » ( دافار ، هآرتس ، عل همشمار ، ر١٠١٠ ٢٥/١٢/٧٦ ) واضاف قائلا انه « لا يمكن منح الثقة لحكومة تكون على استعداد لتدنيس حرمة يوم السبت في حفل رسمي ، وتكون على استعداد لتقليل من جذورها من ذلك سلفا ، لا لشيء سوى القيام بعمل استعراضي ، هناك شك كبير ، في وجود ما يبرره ، حتى ولو لم يتضمن الامر تدنيس يوم السبت » ( المصدر نفسه ) .

وبدأ رئيس الحكومة اسحق رابين رده، معلنا ان اقتراح حجب الثقة يرتكز على افتراض خاطىء ، وانه لم يكن ثمة تدنيس لحرمة السبت في استقبال طائرات الـ ف١٥ . وعلى الرغم من ذلك اعرب عن اسفه اذا ما كان الاحتفال قد سبب لاي كان بتدنيس السبت . اما لماذا الاعلان عن امر وصول الطائرات ؟ فقد دافع رابين عن ذلك بقوله « كان ذلك مناسبة ان نقول لشعبنا ولاعدائنا وللعالم كله ، اننا اقوياء ، وعلينا ان نعمق ذلك بشكل واع ، لا ان نزرع الارتباك ونظهر عدم الثقة ، فان ثمة ثقة بقوتنا حين يكون لدينا القوة ولدينا الوسائل » ( دافار ١٥/١٢/٧٦ ) . ثم تطرق رابين الى الاحتفال الرسمي الذي اقيم عام ١٩٦٩ لاستقبال طائرات الفانتوم في ظروف مشابهة في محاولة لاربـاك اعضاء « ليكود » قائلا « وانا اعرف انه في ليكود يوجد اعضاء كنيست الان ،كانوا وزراء في تلك الحكومة ، فاذا كانوا يعتقدون بان سبعا واربعين دقيقة ليست وقتا كافيا بين هبوط الطائرات وحلول السبت ، وان العشرين دقيقة كافية ، فانا استغرب ذلك ! » ( المصدر نفسه ) .

وعلى ذلك رد عضو الكنيست الليكودي يوسف تمير « سيدي الرئيس ، إذا كنت لم تنجح في اقناع زملائك في المفدال ، بان الحق معك ، فكيف ستستطيع اقناع الشعب والكنيست ؟» ( المصدر نفسه ) ، وانهى خطابه بالشعار التقليدي لليكود بان « الحكومة تفتقر الى عمود فقري، وتسودها النزاعات الداخلية ، ولذا فان حزب ليكود، سيحجب ثقته عن الحكومة » ( المصدر نفسه ) .

اما عضو الكنيست المفدالي سيمحا فريدمان، فقد عبر عن اسف حزبه «المفدال» لامتناعه عن التصويت على اقتراح حجب الثقة عن الحكومة وهذا من خلال الاحتجاج « على اهانة يوم السبت التي

نجمت عن الاستقبال الذي جرى لطائرات ف ــ ١٥ الثلاث ، وبسبب الاهانة التي وجهت للعقل الانساني ايضا ، بواسطة من يريد اقناع الآخرين بان العملية كما نظمت ، لها طابع خاص » ٠ ( دافار ، هاتسوفيه ، ر٠١٠٦ ١٥/١٢/٧٦ ) ٠

وهكذا سقط اقتراح « الجبهة الدينية التوارتية » لحجب الثقة عن الحكومة هذه المرة ايضا ، باكثرية ٥٥ صوتا للمعراخ والاحرار المستقليين والاقليات وعضو الكنيست ك٠ هليلفي والوزير المفدالي يوسف بورج ، الذي خرج على قرار حزبه وصوت ضد الاقتراح مع الحكومة ، مقابل ٤٨ صوتا لليكود والجبهة الدينية التوراتية ، وركاح ، والمركز الحر، وداتس ، والاشتراكيين المستقلين وموكيد، وامتناع تسعة من اعضاء كتلة المفدال بينهم الوزيران اسحق رفائيل وزفولون هامر ٠

ورغم ان هذه النتيجة كانت متوقعة تقريبا ، الا ان الاقتراع على اقتراح حجب الثقة هذه المرة ، وضع بعض علامات السؤال بالنسبة لمدى قدرة «المعراخ» على تنفيذ الانضباط الائتلافي، اذ ان التمرد الجماعي لاعضاء كتلة « المفدال » في الكنيست ، بما فيهم الوزيران في الحكومة الائتلافية اسحق رفائيل وزفولون هامر على « المعراخ » بامتناعهم عن التصويت ضد اقتراح حجب الثقة ، قد كشف مدى تعلق مصير الحكومة بهذه الكتلة ، وقد عقب عضو الكنيست المفدالي يهودا بن مئير على نتائج الاقتراع « لقد انقذنا الحكومة ولو اننا صوتنا ضدها لسقطت » ( ر٠١٠٦ ١٧/١٢/٧٦ ) ٠

ثم ماذا كان سيحدث ، لو ان الاحرار المستقلين في الائتلاف ، قد تركوا الحكومة كما هددوا من قبل ؟ فلو اقترع اربعة من كتلة الاحرار المستقلين ضد الحكومة، او حتى اربعة اعضاء من حزب « العمل» نفسه من الذين يعارضون حكومة رابين ، لسقطت ايضا بسبب صوت واحد ٠

والاكثر من ذلك انه اتضح بشكل قاطع ، ان الرغبة في تغيير الحكومة ، ضمت هذه المرة جبهة برلمانية عريضة ، وبغض النظر عن الموضوع المطروح كسبب لاقتراح حجب الثقة ٠ وعلى هذا علقت صحيفة يديعوت احرونوت ، في عددها الصادر يوم ١٥/١٢/٧٦ بان « قضية المراسيم ويوم السبت استخدما كذريعة للتعبير عن خيبة امل الجماهير من هذه الحكومة بالذات ، فان الجميع قد سئموا منها » ٠ وتمضي الصحيفة الى القول انه « طيلة الـ ٢٩ عاما التي انقضت منذ قيام الدولة ، لم يحدث ان اتحدت قوى مختلفة جدا ، ومتعارضة جدا ، في جبهة واحدة ضد قادة الدولة كما يحدث الان » ( يديعوت احرونوت ١٥/١٢/٧٦ ) ٠

اما صحيفة معاريف فقد علقت بقولها « ان الحكومة خرجت من اختبار حجب الثقة باغلبية ضئيلة ، لكنها اكبر مما كان متوقعا » ( معاريف ر٠١٠٦ ١٥/١٢/٧٦ ) ٠ واضافت الصحيفة انه «باستطاعة اعضاء كتلة المفدال في الكنيست الجلوس بهدوء ، والا يتوقعوا اية عقوبة، ردا على انتهاكهم للانضباطية الائتلافية ، وذلك لانه ليس في مقدور رئيس الحكومة، تشكيل ائتلاف آخر » ( المصدر نفسه ) ٠

وكانت الصحيفة تشير بذلك الى امتناع كتلة « المفدال » نفسها حين كانت في حكومة جولدا مئير الائتلافية ، عن الاقتراع ضد اقتراح حجب الثقة الذي رفعته كتلة « اجودات يسرائيل » بالنسبة للبث التلفزيوني في تاريخ ١٩/٥/٦٩دون ان تجرؤ رئيسة الحكومة انذاك جولدا مئير على الرغم من انها كانت اقوى من رابين، على اتخاذ اية اجراءات عقوبية ضد وزراء « المفدال » بحكم قانون الانتقال لعام ١٩٤٩ ، الذي ينظم مسالة الانضباطية

الائتلافية · اذ ينص هذا القانون على ان الوزير الذي يقترع ضد الحكومة او يمتنع عن تأييدها ، هو بحكم المستقيل من منصبه ، اذا ما اخطر الكنيست خلال اسبوعين بذلك ، اي ان الوزيرين المفداليين رفائيل وهامر ، يكونان بحكم المستقيلين من الحكومة ، وفق هذا البند من القانون ، اذا اراد اسحق رابين تطبيقه — ويوافق على ذلك فورا · كما وينص قانون الانتقال ، بالنسبة للكتلة البرلمانية المشاركة في الائتلاف الحكومي ، على ان الاقتراع ضد الحكومة او الامتناع عن الاقتراع هو بحكم انشقاق هذه الكتلة عن الائتلاف ، ووزرائها من الحكومة ، اذا ما قررت الحكومة ذلك خلال اسبوع من يوم الاقتراع شريطة ان تعلن للكنيست عن ذلك خلال اسبوعين ·

والمعنى العملي لتطبيق هذه البنود هو تقديم الانتخابات ، اذ لن يكون للحكومة اكثرية في توازن القوى البرلمانية الذي نجم عن الازمة ، اذا ما انضمت كتلة « المفدال » المقالة للمعارضة ، وهذا معناه ان الحكومة تستطيع الاستمرار في الحكم كحكومة انتقالية ، حتى اجراء الانتخابات قبل موعدها القانوني ·
الا ان اسحق رابين وخلافا لكل التوقعات، تخطى في جراته هذه المرة رئيسة الحكومة السابقة جولدا مئير ، ومضى في اللعبة حتى النهاية ، « وقرر تصفية حساباته مع وزراء المفدال على امتناعهم عن التصويت على اقتراح حجب الثقة الاخيرة في الكنيست ، باقصائهم عن مناصبهم » ( دافار · هارتس ٧٦/١٢/٢٠ ) ·

وقد دعا اسحق رابين وزراء «المعراخ» الى عقد جلسة طارئة في ٧٦/١٢/١٩ ، وبحضور رئيس الوكالة اليهودية يوسف الموجي ورئيس الائتلاف بالنيابة عيدي يافي واطلعهم على نيته تطبيق اجراءات ضد وزراء « المفدال » واخراجهم من الحكومة ، حيث دعى وزراء المفدال بعد ذلك واطلعهم على عزمه ، وفي الساعة الحادية عشرة من نفس اليوم ، اجتمعت الحكومة ، وافتتح رابين الجلسة باعلانه عن الوضع الذي نجم عقب امتناع وزراء « المفدال » عن التصويت في الاقتراع الذي تم على اقتراح حجب الثقة عن الحكومة في الكنيست يوم ٧٦/١٢/١٤ ، مقترحا على الحكومة تطبيق قانون الانتقال لعام ١٩٤٩ المذكور ، والذي ينص على ان « حكم اعضاء الحكومة الذين امتنعوا عن التصويت كحكم المستقيلين من الحكومة» (دافار ، هارتس ٧٦/١٢/٢٠) ·
واوضح رابين ان هذا القرار قد جاء «من خلال الوعي ، ان ليس لحكومة اسرائيل ان تتنازل عن تطبيق القانون وعن كرامتها حتى ولو اثقل هذا الامر على وضعها البرلماني » ( المصدر نفسه ) ·

وفي نهاية كلامه اقترح اسحق رابين على الحكومة مشروع قرار شكلي مفاده ان « حكم وزراء المفدال ، كحكم المستقيلين من الحكومة اثر خرق المسؤولية الائتلافية » ( المصدر نفسه ) ، حيث اقر بالاجماع وهكذا كف وزير الداخلية يوسف بورج ووزير الاديان اسحق رفائيل ، ووزير الشؤون الاجتماعية زفولون هامر ، عن اشغال مناصبهم كوزراء في الحكومة ·

وقد رد الوزير زفولون هامر الذي صعقته المفاجاة على هذا القرار بقوله : « ··· لقد كان باستطاعتنا ان نصوت مع اقتراح حجب الثقة ونسقط الحكومة ، ولكننا لم نفعل ذلك لانه لم يكن لدينا اية نوايا جانبية ، ولكن حزب العمل قرر ان يخطو هذه الخطوة — على ما يبدو — لاسباب تخصه » ، ( دافار ٧٦/١٢/٢٠) ·
واضاف يقول « ان من يظن ان الحكومة ستستطيع الاستمرار بتمثيل احادي فانه مخطيء ، اذ يستحيل عليها ان تمثل الشعب في هذه الفترة ، وفي هذه البلاد، في وضعها غير المتوازن من الناحية السياسية والامنية » ( المصدر نفسه )·

اما وزير الداخلية المقال يوسف بورج، فلم يتردد هذه المرة في مهاجمة رئيس الحكومة بشدة من على منبر الكنيست : « ليس لدي شك في ان قرار الحكومة ، لم يتخذ بسبب الرغبة في تقوية الانضباط الائتلافي ، فاية حكومة بقيت بدوننا ؟ وكم هو الوقت الذي ستستمر فيه في الحكم ؟ وكم هو الوقت الذي ستبقى فيه متمتعةبثقة الكنيست والشعب ؟ » ( ر١٠٠٦ ،هاتسوفيه ٧٦/١٢/٢٠ ) . واضاف يوسف بورج « وانا اقول ان رئيس الحكومة لجأ الى خطوته هذه ، ليس من موقع القوة ، بل من موقع الضعف ، ومن شدة الضعف عانه يهرب الى الامام ، نحو الانتخابات المبكرة . انه يهرب الى الانتخابات المبكرة على جناح اقتراح وقرار شبه درامي ، وكانه يمكن بهذه الوسيلة ، ان يجعل الجمهور ينسى ولو للحظة ، صورة حزبه الذي تنهشه الخلافات الداخلية ، اضافة الى المسؤولية عن تفجر الوضع في مالية الدولة ، وتدهور علاقات العمل ، وتدهور العلاقات مع الهستدروت. ان هروبرئيس الحكومة لن يحل له اية مشكلة ولن يعفيه من المسؤولية الثقيلة ، في حين ان الشعب بحاجة الى الاستقرار ، فانه يتسبب في هزة اخرى ، وفي حين ان الحكومة بحاجة الى توسيع قاعدتها ، فانه يشكل حكومة تستند الى قاعدة اضيق .. هذه هي مسؤولية تاريخية اخذها على عاتقه ولن يستطيع التهرب منها » ( المصدر نفسه ) .

وعلى صعيد الاحزاب بشكل عام ، فقد كانت المفاجأة كاملة من خطوة رئيس الحكومة اسحق رابين ، باستثناء الاحزاب المشاركة في الائتلاف ، والتي علمت بخطوته هذه سلفا ، وكان يبدو ان معظم الاحزاب راضية عن امكانية تقديم الانتخابات . على الرغم من ان هذه الاوساط رأت في خطوة رابين ضربة موجهة لها ، وقطع طريق على اتمام تنظيم نفسها والاعداد للمعركة الانتخابية .

اما حزب « ليكود » فقد سارع الى الاعلان عن نية حزبه تقديم اقتراح للكنيست بحجب الثقة عن الحكومة ، بحجة انها لا تتمتع سوى بتاييد اقلية من اعضاء الكنيست ، وقد علق مناحيم بيجن علىذلك بقوله : « ان المعارضة لا تستطيع تمكين حكومة اقلية من الاستمرار في العمل وكأن شيئا لم يحدث ، ان ما حدث خطير جدا ، فالحكومة لا تحظى سوى بتاييد اقلية من اعضاء الكنيست ، وواجبنا ان نثبت ذلك. وانا اعتقد انه يتحتم على رابين – وبدون اقتراحنا – ان يتوجه الى رئيس الدولة ، بعد بيانه في الكنيست غدا ، ليقدم له استقالة الحكومة ، واذا لم يفعل ذلك فواجبنا هو ان نبرهن على ان هذه الحكومة لا تحظى بتاييد الاغلبية ، وان عليها ان تستقيل » ( ر١٠٠٦ ٧٦/١٢/٢٠ ).

ومن بين الصحف التي علقت على خطوة رابين هذه ، كانت صحيفة معاريف التي كتبت في عددها الصادر يوم ٧٦/١٢/٢٠ ان « عرض العضلاتالمفاجىء من جانب رئيس الحكومة ، اثار العديد من الاسئلة ، والسؤال الاول : من اين جاءت هذه الشجاعة المفاجئة وعاصفة التصلب لدى قيادة حزب العمل ، التي لم تظهر في العامين الماضيين قدرا كافيامن المسؤولية الرسمية ؟ والسؤال الثاني : ماذا سيحدث في المستقبل ؟ » ثم تمضي الصحيفة معبرة عن اعتقادها بان اسحق رابين درس بالطبع « انعكاسات خطوته على موقفه الشخصي في جماعةحزبه وعلى اعداد اللوائح السياسية الجديدة » وان الموضوع خطير ومصيري لان الامر وقع «في ذروة ازمة اقتصادية واجتماعية ، وعشية اختبارات سياسية صعبة جدا في المجال الدولي » ( معاريف ٧٦/١٢/٢٠) .

اما يديعوت احرونوت فعلقت تقول « انه مهما كانت الحسابات السياسية ،فان المسالة هي ما اذا كانت حكومة اقلية تستطيع القيام باعبائها من الناحية

الادبية ، وسط ظروف مخينة ، قد يتقرر فيها مستقبل البلاد والدولة » وتعتقد الصحيفة ايضا ، بأن السلطة في اسرائيل « على ابواب ضغوط قوية من الخارج ، وعلى ابواب هاوية في الداخل، وعلى هذا فان الانتخابات المبكرة هي المخرج الافضل» ( يديعوت احرونوت ٧٦/١٢/٢٠ ) .

وهكذا فقد اصبح واضحا ان اسحق رابين قرر التعجيل في موعد اجراء الانتخابات للكنيست ، وقد اعلن عن ذلك امام حزبه ، بعد ان اجرى مشاوراتمكثفة مع ستة من وزراء حكومته ، اربعة منهم من حزبه وهم ، يجال الون وحاييم تسادوك ، ويسرائيل جليلي ويهوشاع رابينوفتش ، وكذلك مع وزيري الاحرار المستقلين ، ووجد رابين نفسه امام خيارين فقط ، اما ان يقدم استقالة حكومته قبل التصويت علىاقتراح حجب الثقة الذي تقدمت به كتلة ليكود . او ان يؤجل الاستقالة الى ما بعد الاقتراع اذا ما ضمن اسقاط الاقتراح ، الا انرابين اختار الخيار الاول ، بعد ان فشلت الحكومة في الاتصالات التي اجرتها مع عضوة الكنيست شولاميت الوني ، وباقي الكتل الصغيرة لاقناعها بتأييد الحكومة في الكنيست او الامتناع عن التصويت على الاقل ، فسارع رابين الى عقد جلسة حكومية طارئة في مبنى الكنيست ، واطلع الوزراء على نيته الذهاب الىرئيس الدولة في نهاية الجلسة لتقديم استقالته . وفي نفس الجلسة اطلع وزيرا الاحرار المستقلين كول وهاوزنر الحكومة على نيتهما تقديم استقالتيهما من الحكومة، بل وقدما استقالتيهما فعلا الى رئيس الحكومة مما زاد في تعقيد الازمة ، الا ان المستشار القانوني للحكومة بروفيسور ٠٦ براق ، عبر عن رأيه بأن الوزيرين ليسا محكم المستقيلين لان خطوات الاستقالة لم تكتمل طبقا للقانون ، وهكذا ، فان استقالة وزيري الاحرار المستقلين خلقت سابقة قانونية تثير الاهتمام ، اذ ينص القانون على ان الوزير الذي يقدماستقالته عليه .

١ – ان يطلع الحكومة على نيته .

٢ – ان يقدم كتاب استقالته لرئيس الحكومة .

٣ – يجب ان تمر ٤٨ ساعة من اللحظة التي قدم فيها استقالته ، خلال هذه الـ ٤٨ ساعة يستطيع ان يتراجع عن استقالته ، فاذا لم يرجع بها ، يكون مستقيلا بحكم القانون .

الا ان اسحق رابين لم يمنحهما هذه الفرصة ، وسارع بعد انتهاء الجلسة الى رئيس الدولة افرايم كتسير ، حيث قدم استقالته ، والحكومة تحولت بفعل القانون الى حكومة انتقالية .

وقد جاء في البيان الذي قدمه اسحق رابين للكنيست يعلن فيه استقالته و ... لقد قدمت استقالتي لسيادة الرئيس ، بعد ان اطلعت الحكومة على نيتي بذلك . وهذه هي الاسباب الاساسية لاتخاذي هذه الخطوة : في جلسة الحكومة يوم الاحد قدمت اقتراحا للحكومة ، ان تطبق القانون على وزراء المفدال وكتلتها في الكنيست ، وكنت اعلم عندما رفعت هذا الاقتراح ،ان الحكومة ستبقى حكومة اقلية تستند على ٥٧ عضو كنيست فقط . ولانني لم انو ، ولا انوي ان اكون رئيس حكومة اقلية حتى يوم الانتخابات المعين في القانون ، كان يترتب علي ان اعمل على تقديمالانتخابات وحل الكنيست . وقد قبل اقتراحي بالنسبة لذلك في مركز الحزب هذا المساء ، وفي التجمع المبامي بشكل جماعي ، ثم تقدمت بتوصية لمراكز الاحزاب كي تقر هذا الموقف . ولهذه الاسباب اثرت ان استقيل من منصبي الآن ، كي اتمكن من الاستمرار في نفس الطريق ، والوصول الى تشريع قانون لحل الكنيست ، وتقديم الانتخابات.

وبناء عليه تتحول هذه الحكومة الآن ،الى حكومة انتقالية ، وأمل ان تستمر حتى تشريع قانون حل الكنيست وتقديم الانتخابات » ( دافار ٧٦/١٢/٢١ ) ٠

ومن الجدير بالذكر ، ان صحيفة دافار الصادرة في ٧٦/١٢/٢١ ، والتي اوردت نبأ استقالة رئيس الحكومة في عنوانها الرئيسي ، قد نشرت نبأ خاصا لمراسلها في واشنطن ناحوم برناع ، تحت الخبر الرئيسي مباشرة ، ويفيد النبأ ، بان الاتحاد السوفييتي اعرب في اتصالاته السرية مع موظفين امريكيين في الاشهر الاخيرة عن قلقه البالغ من موعد الانتخابات المتأخرة في اسرائيل ، وسأل اذا ما كان بالامكان تقديمها ، كي يزيد ذلك من امكانية اجراء مفاوضات تسوية عملية عام ١٩٧٧ ، وان الادارة الاميركية قدنقلت هذا القلق للحكومة الاسرائيلية ٠ ويفيد النبأ ان السوفييت يتوجسون خيفة ، من ان يكرس عام ١٩٧٧ بكامله ، لحسابات ترتبط في معركة الانتخابات المقبلة في اسرائيل ٠

وفي عددها الصادر في ٧٦/١٢/٢٢ ، نقلت الصحيفة عن رئيس رابطة جماعة الاساتذة من اجل السلام في الشرق الاوسط بروفيسور يوسف روتشلد ،والذي وصفته الصحيفة بانه صديق حميم لوزير الخارجية القادم سيروس فانس ولمستشار الرئيس كارتر للشؤون الامنية بيجنسكي قوله « ان خطوة رئيس الحكومة اسحق رابين في حله للحكومة ، وتقديمالانتخابات سوف تصلح الانطباع المغلوط في الولايات المتحدة من ان هذه الحكومة ( حكومة رابين ) ، تفتقد القدرة على القرار » كما ونقلت عنه قوله « ان تقديم الانتخابات سيقرب من فرص السلام في المنطقة ، ومع ذلك فان هذه الاستقالة ستعرقل الى حد ما، رغبة ادارة الرئيس كارتر في تعجيل الخطوات في هذه المنطقة ، والآن لا بد وان يضطر للانتظار حتى تتشكل حكومة جديدة في البلاد قبل ان تتجدد المساعي » ( دافار ٧٦/١٢/٢٢ ) ٠

اما صحيفة هآرتس الصادرة في ٧٦/١٢/٢٠ ، فقد اوردت هي الاخرى نبأ خاصا لها من واشنطن مفاده ، ان اوساطا اميركية تتنبأ في ان تقديم الانتخابات في اسرائيل، سوف يسبب تغييرات حاسمة في برنامج العمل المنتظر ، للمفاوضات على تسوية في الشرق الاوسط للسنه المقبلة (١٩٧٧ ) ٠ وتضيف الصحيفة ان هذه الاوساط قد عقبت باستغراب كامل على خطوة اسحق رابين ، ويعتقدون ان ثمة تحضيرات تجري الآن لمواجهةاحتمال مفاوضات مبلورة وملزمة ،على اتفاقيات انهاء حالة الحرب مع مصر وسوريا في شهور الصيف ٠

كما واورد النبأ عن موظفين مسؤولين في الادارة الاميركية ، انهم قد عقبوا على التغييرات في الحكومة ، بانها خطوة ايجابية في اتجاه السلام ، وان الخبراء في شؤون الشرق الاوسطفي الادارة الاميركية قد ايدوا تقديم الانتخابات في اسرائيل ، لان وزراء المفدال كانوا يشكلون حجر عثرة ، امام التطورات السياسية الجديدة للولايات المتحدة ٠

وسواء كانت الجرأة التي اتسم بها رابين في معالجته للازمة الوزارية والتي انتهت باخراج « المفدال » من الائتلاف واقالة وزرائهمن الحكومة ومن ثم باستقالة الحكومة نفسها سعيا وراء تشريع لحل الكنيست وتقديم الانتخابات ، قد هبطت عليه مع الطائرات الاميركية النفاثة تمشيا مع العرف في هبوطها دائما عشية الانتخابات في اسرائيل ، ام كانت جرأة اليائس في قفزه نحو الهاوية ، نتيجة للتدهور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي الذي تعيشه اسرائيل الآن ، فقد تركت الباب مفتوحا امام احتمالات تغيير ، قد تكون كبيرة ، في القيادة الاسرائيلية ، لمواجهة التطورات المستجدة في النزاع الشرق اوسطي ٠

**توفيق فياض**

ـ ٢ ـ

## المفاوضات السرية بدلا من مؤتمر جنيف

تناولت الصحافة الاسرائيلية خلال الفترة الاخيرة موضوع عقد مؤتمر جنيف، وقد كان واضحا من خلال التصريحات الرسمية الاسرائيلية ، ان اسرائيل لا تريد عقد مؤتمر جنيف وانها تريد اسلوب الاتصالات السرية الثنائية ، كما كان واضحا ان المسؤولين الاسرائيليين لا يريدون اشتراك وفد من م · ت · ف في المفاوضات ، وانهم يريدون فقط اشراك بعض الشخصيات من المناطق المحتلة ضمن الوفد الاردني ·

### مؤتمر جنيف والحل السلمي

حذر وزير الدفاع الاسرائيلي شمعون بيرس في خطاب القاه امام مؤتمر الرؤساء اليهود ، من أن عقد مؤتمر جنيف يمكن ان ينتهي بتأزيم النزاع في الشرق الاوسط · وخلال جلسة مغلقة لهذا المؤتمر قال بيرس : « يجب على اسرائيل القول انها ستذهب الى مؤتمر جنيف ،وبصورة خاصة يجب ان تقول ذلك لاصدقائها الاميركيين ، ولكن يجب عليها ان تكون مدركة للخطر ، انه بدلا من تسوية النزاع فانه سيتم تأزيمه ، لانه سيتم دعوة كافة الاطراف الى جنيف ، وستطرح فيه كافة القضايا المختلف عليها · ومع هذا ، فانه نظرا لان جنيف يعتبر رمزا ، فانني اؤيد الذهاب الى هناك » ( دان مرغليث ، هآرتس ٩ ـ ١ ـ ١٩٧٧ ) · وقد لمح بيرس ، في نفس اللقاء الى انه يعتقد بان التسوية لن تتم في جنيف وانما باتصالات اخرى ·

وكان بيرس قد ذكر قبل ذلك انه يعتقد بان مؤتمر جنيف سيعقد فقط في النصف الثاني من عام ١٩٧٧ · وانه يريد اسلوب الدبلوماسية السرية ، بدلا من اجراء مفاوضات في اطار مؤتمر السلام · وهو يعتقد بانه من غير الممكن التوصل الى اتفاقية في السنة القادمة ، وانه يجب في البداية اجراء مفاوضات حول تسوية جزئية مع سوريا ، وبعد ذلك مع مصر واخيرا مع الاردن ( دافار ١٤ ـ ١٢ ـ ١٩٧٦ ) · كما عبر بيرس اثناء لقائه مع وزير الخارجية الاميركية الجديد سايروس فانس ، عن شكوكه بالنسبة لامكانية النجاح العملي لمؤتمر جنيف · وقال « انه يفضل الدبلوماسية السرية حسب اسلوب المراحل التي بدايتها المفاوضات بين اسرائيل وسوريا » ( هآرتس ١٥ ـ ١٢ ـ ١٩٧٦ ) ·

وكان واضحا عدم رغبة اسرائيل في عقد مؤتمر جنيف ، عندما حاول رئيس الحكومة ، يتسحاق رابين ، طرح بديل لمؤتمر جنيف ، وذلك بعقد مؤتمر على غرار « هلسنكي » للشرق الاوسط · وقد طرح هذا الاقتراح في الكلمة التي القاها امام مؤتمر الانترناسيونال الاشتراكي · وقد قصد بهذا الاقتراح كما شرحه رابين نفسه ، بان الاعتماد على صيغة مؤتمر هلسنكي ، لم يكن مريحا للعرب من عدة نواحي : ففي هلسنكي اشتركت دول فقط، وفي ذلك رد على السؤال لماذا يجب عدم اشراك م · ت · ف ، وفي هلسنكي لم تبحث المشاكل الاقليمية ، كما انه لم يتم في هلسنكي الحديث عن العودة الى الخطوط التي كانت قبل الحرب العالمية الثانية ، وتم كذلك في هلسنكي على ان تغيير الخطوط ليس امرا ملغيا ( عال همشمار ١٦ ـ ١٢ ـ ١٩٧٦ ) · وقد علق

يعقوب ريفتين على ذلك بقوله : بالنسبة لمبدأ اشتراك الدول فقط ، لا تزال هناك شعوب لم تحظ بعد بالسيادة السياسية، وهل من المحظور تامين مكانة تمثيلية لها ، من اجل تمكينها من النضال السياسي من اجل حريتها ؟ الم تكن هذه حالتنا قبل مدة ليست ببعيدة · وبالنسبة لاشراك م · ت · ف : لماذا يجب ان نخلق في العالم الانطباع باننا نغلق كافة الطرق نحو النضال السياسي امام الحركة الوطنية الفلسطينية ، واننا نترك امامها فقط الطريق نحو الحرب المباشرة ؟ حيث انه من المفروض انه يوجد داخل الحركة الفلسطينية نفسها نقاش حاد ، حول الاشتراك او عدم الاشتراك في مؤتمر جنيف · (نفس المصدر) ·

وعلق تسفي شيلواح ، حول اقتراح عقد مؤتمر هلسنكي للشرق الاوسط ، واقتراح اسرائيل في الجمعية العمومية التابعة للامم المتحدة ، بعقد مؤتمر جنيف بدون م · ت · ف بقوله « ان اقتراح رابين عقد مؤتمر على غرار هلسنكي افضل بكثير من « مبادرة جنيف » · واشار الى ان تلك المبادرة ، لا يرجى منها اية نتائج عملية ، « وانها جاءت قبل كل شيء بسبب ضغوط يسارية على الحكومة ·فمن اجل ان يبرز حزب مبام ، موقفه امام يساريه الذين يضغطون عليه للانسحاب من المعراخ ، فقد طالب الحكومة في كافة المناسبات بمبادرات سلمية » ( يديعوت احرونوت ١٣ ـ ١٢ ـ ١٩٧٦ ) ·

## من يخاف من جنيف ؟

كتب المعلق الاسرائيلي دانيال بلوخ ،في صحيفة دافار الصادرة يوم ١٧ ـ ١٢ ـ ١٩٧٦ مقالا بعنوان « من يخاف من جنيف » ، اوضح فيه ملابسات الوضع السياسي في المنطقة ، ولمح فيه الى ان اسرائيل تخاف من عقد مؤتمر جنيف ، وفيما يلي اهم النقاط التي وردت في هذا المقال · يقول بلوخ ان السياسة الاسرائيلية تعتمد على موديلات · فقبل عدة اشهر سيطر موديل التسويات لانهاء حالة الحرب ، وان من تحدث عن مؤتمر جنيف او حول التسوية اشاملة فقد اعتبر كافرا · وقد عاد موديل جنيف والتسوية الشاملة في هذه الايام · ويرى بلوخ ، ان هناك عقبة رئيسية تقف في طريق عقد مؤتمر جنيف ـ مسالة التمثيل الفلسطيني· وانه طالما لم تعترف م · ت · ف بوجود اسرائيل وانها لم تقبل قرارات ٢٤٢ و ٣٣٨ فاننا ( اسرائيل ) نقف على ارضية صلبة ومؤيدين من قبل الولايات المتحدة · وحتى هذه الساعة لم تغير م · ت · ف النغمة ، ولكن المسالة ليست مستحيلة · ويتضح ، حسب رأي الكاتب ، « ان قسما من الزعامة العربية قد خطا بعض الخطوات نحو الاعتراف باسرائيل ، وان « لاءات » الخرطوم ليست قائمة الان · كما انه يمكن ان يحصل نفس الشيء لمقررات مؤتمر الرباط واتخاذ قرار بتمثيل مشترك للاردن ول · م · ت · ف · « واحيانا » هناك انطباع بان السياسة الاسرائيلية ليست مستعدة لاستقبال مثل هذه التطورات ، لاننا لم نعرف كيفية الرد على حملة السادات السياسية » ·

هذا ويرى الكاتب ، في عقد مؤتمر جنيف ، سواء كان لاسباب تكتيكية او لاسباب داخلية ، قيمة اعلامية وتربوية · وان مجرد الحديث عن هذا الاجراء ومجرد الترتيب له ، سيكون اقترابا من امكانية اجراء تسويات سياسية · « ومن المهم جدا ، ان يتم الامر بالذات من خلال مبادرة اسرائيلية ، دون ان نكون مضغوطين ، ومن خلال استقبال الادارة الجديدة في واشنطن في جو سياسي مريح بالنسبة لاسرائيل » ·

ويتوقع بلوخ ، ان نشاطا سياسيا كبيرا سيبدأ في شباط او اذار · « ولكن ربما ان مبادىء سياسة كارتر لن تكون مختلفة كثيرا عن الادارة السابقة ، ولكن لن

يعودوا الى اسلوب كيسنجر ، سواء في مجال الشكل الدبلوماسي ام في الوعود من تحت الطاولة · ويجب عدم التوقع، ان يكون مفهوم حدود السلام النهائية لدى الادارة الجديدة ، مختلفا عن مفهوم روجرز او راسك · ولكن السؤال هو فقط اذا كانت الادارة الاميركية ، ستهتم، في التوصل الى تسوية سياسية حقيقية مقابل الانسحاب الاسرائيلي وهل سيواصلون الاهتمام بالحفاظ على ميزان القوى في الشرق الاوسط وقوة اسرائيل العسكرية » ( المصدر نفسه ) ·

ومن جهة اخرى ، كتب معلق اخر ، مقالا تحت عنوان « الخوف من السلام »، علق فيه على رد رابين على حملة السادات وعلى رد هرتسوغ المندوب الاسرائيلي في الامم المتحدة على المندوب الاردني هناك ، قائلا ، « انما هي بمثابة رفض مبادرة السلام العربية » · ويرى دانيال عميت ( دافار ٥ ـ ١٢ ـ ٧٦ ) ، انه يسود خلال السنوات الاخيرة في المعركة السياسية في الشرق الاوسط عدة حقائق استراتيجية، التي بدونها يحكم على اي تخطيط للمدى البعيد بالفشل :

● يجب أن تكون التسوية شاملة · وان اي جانب من النزاع ، يبقى معلقا سيعرض للخطر كافة الاتفاقيات التي يتم التوقيع عليها ، والاخطر من ذلك : فهو يزعزع الثقة المهمة جدا لتحقيق اية اتفاقية ·

● ان اطار المحادثات حول التسوية في الشرق الاوسط هو مؤتمر جنيف ، الذي تجري فيه مفاوضات مباشرة بين كافة اطراف النزاع · ان احد الدروس الهامة للمأساة اللبنانية هو ان الاشتراك الكامل لكافة الدول العربية ، يمكن ان يؤدي الى نتائج ايجابية · وان استعمال وسائل الدعاية منذ الخمسينات ، حول الاستعداد لمقابلات مباشرة مع هذا الزعيم العربي او ذاك ، ليست الا محاولة لاحباط المفاوضات ·

● ان اية تسوية تتم ستكون بناء على قرار مجلس الامن ٢٤٢ ، الذي يؤكد عدم السيطرة على الاراضي عن طريق الحرب·

● والمهم جدا ، هو انه لن تتم هناك تسوية دون الاشتراك الفعال والمستقل لممثلي الشعب الفلسطيني ـ م · ت · ف· هذا ايضا هو احد الدروس الرئيسية من الحرب الاهلية في لبنان ، التي اثبتت ان المحاولة المتواصلة والعنيفة ، لمصادرة تمثيل الشعب الفلسطيني من ايدي قيادته التي حصلت على اعتراف كبير في السنوات الاخيرة قد باءت بالفشل ·

ويعلق الكاتب على الرفض الاسرائيلي التفاوض مع م · ت · ف قائلا : « ان رفض التفاوض مع م · ت · ف الذي ينبع منه الشلل الذي يصيب الزعامة الاسرائيلية مقابل مبادرة السلام العربية الاخيرة ، غريب جدا · واذا كنا نعترف بالحقائق الثلاث الاولى التي ذكرناها ، فان الرابعة هي في صالح امن اسرائيل، وعلى القيادة الاسرائيلية المسؤولة ان تطلب توقيع م · ت · ف على كل اتفاقية تحصل عليها » · وطالب باشتراك الفلسطينيين وقال « لن يتم هناك اتفاق بدونهم ، وان اية دولة عربية لن تجرأ على توقيع اية اتفاقية دون اشراكهم · وان قيادة م · ت · ف الحالية هي التي ستوقع على كافة بنود الاتفاق ، والا فلن يتم التوصل الى اتفاق · لانه يوجد لهذه الزعامة تأييد جماهيري واسع منذ ان اصبحت م · ت · ف اسما مرادفا « للوطنية الفلسطينية » وان اشتراك م · ت · ف في مؤتمر جنيف هو اعتراف واقعي باسرائيل · وان من كرر صيغ اكل الدهر عليها وشرب ، هو مندوبنا حاييم هرتسوغ · واذا كان هذا هو رد الفعل ، فان احتمالات اسرائيل بالحصول على السلام ، عندما يتدفق على

بابها ضعيفة » ( المصدر نفسه ) ٠

## اشراك م٠ ت٠ ف والتسوية مع الاردن

لا يزال الموقف الاسرائيلي الرسمي متصلبا سواء ازاء اشتراك م ٠ ت ٠ ف بالمفاوضات في جنيف ام ازاء اجراء مفاوضات معها ٠ فقد اشار رابين في جلسة الحكومة ، الى انه لم يطرأ اي تغيير على الموقف الاسرائيلي بالنسبة للموضوع الفلسطيني ، الذي يرتكز على اربعة مبادىء كما وردت في ( دافار ١٣ ـ ١٢ ـ ١٩٧٦ ) ٠

- يجب ان يكون حل المشكلة الفلسطينية مرتبطا بالاتفاقية مع الاردن ٠

- تعارض اسرائيل مبدئيا دولة ثالثة بينها وبين الاردن ٠

- خلال المفاوضات مع الاردنلن تعارض اسرائيل اشراك ممثلي السكان في الضفة في المحادثات ٠

- ترفض اسرائيل اية مفاوضات مع « منظمات الارهاب » ٠

وكان رابين قد اوضح في مناسبة اخرى ، « انه يجب الفصل بين حل المسالة الفلسطينية وبين استعداد اسرائيل للتفاوض مع الهيئة المسماة م٠ت٠ف،وانه يجب البحث عن حل للمسالة الفلسطينية في اطار اتفاقية بين الاردن واسرائيل» ( هارتس ١٤ ـ ١٢ ـ ٧٦ ) ٠

ومن جهة اخرى اوضحت اسرائيل للولايات المتحدة بانها تعارض تشكيل وفد عربي واحد لمؤتمر جنيف اذا ما اشتركت م ٠ ت ٠ ف في هذا الوفد ٠ وردا على التوضيحات التي اجرتها وزارة الخارجية الاميركية في اعقاب معلومات عن موافقة م٠ت٠ف٠ الاشتراك في وفد عربي موحد ، « اعلنت اسرائيل انها ستعارض اي تمثيل ل م ٠ ت ف في المؤتمر وانها ستوافق فقط على اشتراك شخصيات من الضفة في الوفد الاردني » ( ناحوم برناع ، دافار ١٠ ـ ١٢ ـ ٧٦ )٠

هذا وقد اجرت صحيفة دافار ،(٣١ ـ ١٢ ـ ٧٦ ) ، مقابلة صحفية مع موشي دايان ،وزير الدفاع السابق ، حيث تطرقت فيه الى مؤتمر جنيف واشتراك الفلسطينيين، ، وقد سئل ، لقد قلت منذ مدة ان الروس ، سيوافقون على الذهاب الى مؤتمر جنيف دون اشراك م ٠ ت ٠ف، فعلى ماذا بنيت هذا الافتراض ؟ فقال : « بنيت هذا الافتراض على ثلاثة امور ، اولا ، وافق الروس على ذلك قبل سنتين، وبصورة عامة فان سياستهم ثابتة ٠ وان مطلبهم باشراك م ٠ ت ٠ ف الان انما هو موقف تكتيكي ، ورد فعل على ان الاتفاقيات السابقة قد تمت بوساطة الولايات المتحدة ، وليس في اطار جنيف الذي تشترك فيه كلا الدولتين ٠ ثانيا ، ان الصيغ السوفياتية الان بالنسبة لجنيف ليست متطرفة ٠ فهم مستعدون حسب الصحف لجلسة افتتاحية دون م٠ت٠ف٠ وبعد هذا للجان عمل مختلفة ٠ وثالثا ، وهو السبب الرئيسي ـ لا اعتقد بان الاتحاد السوفياتي يريد الان حربا اخرى في الشرق الاوسط ، لانه خسر هيبة ونفوذا كبيرين نتيجة للحرب الاخيرة ٠ وهم حسب رأيي ، يريدون تدعيم نفوذهم ومركزهم في الشرق الاوسط بطرق سياسية ، وان احدى الطرق هي مؤتمر جنيفباشتراكهم، ولهذا سيكونون مستعدين للتوصل الى اتفاق حول تركيب المؤتمر وخاصة لاحياء هذه المؤسسة » ٠ وسئل حول فكرة ارسال وفد عربي موحد الى جنيف باشتراك م ٠ ت ٠ ف فيه فاجاب: « يجب ان تشترك في المؤتمر فقط الدول ـ اسرائيل وسوريا ومصر والاردن ورؤساء المؤتمر الولايات المتحدة وروسيا وهناك مهمة معينة للامم المتحدة ٠ واذا ارادت الدول العربية ان تضم داخلها

فلسطين ايضا ، فهم يستطيعون فعل ذلك، واذا ارادت كافة الدول العربية ان تجري بينها مناقشات مشتركة فهذا شأنها » ٠

اما بالنسبة للحل مع الاردن ، فيؤيد رئيس الحكومة رابين ، الحل الوسط الاقليمي في الضفة الغربية ، من خلال الافتراض أن نهر الاردن سيبقى الحدود الامنية ٠ وقد تحدث حول هذا الموضوع امام اللجنة الفرعية للجنة التحضيرية للشؤون السياسية التابعة لحزب العمل ٠ ومما قاله رابين ايضا : « يجب حل المشكلة الفلسطينية في شرق الاردن وليس عن طريق اقامة دولة ثالثة ٠ واشار الى انه لن يعارض ان يكون هناك ممثلون من الضفة الغربية في المفاوضات التي ستجري في مؤتمر جنيف ٠ وانه يجب التمييز بصورة واضحة جدا بين المفاوضات مع مصر وسوريا والاردن ، فبالنسبة لمصر ، المشكلة الرئيسية بالنسبة الينا هي ، الشريط الاقليمي مع شرم الشيخ ٠ وبالنسبة لسوريا يجب ان يكون واضحا اننا لن ننزل من الجولان حتى في اطار اتفاقية السلام ، ولكن لا يعني ذلك بالذات الحدود الحالية » ( دافار ٢ ـ ١ ـ ١٩٧٧ ) ، وفسر رابين في تلك الجلسة ماهية السلام بالنسبة لاسرائيل فقال : « حدود مفتوحة ، مرور حر للاشخاص وللبضائع وعلاقات دبلوماسية » ٠

هذا وذكرت دافار ٩ـ١٢ـ٧٦، ان خبراء الشرق الاوسط في وزارةالخارجيةالاميركية قد اعدوا سلسلة من الوثائق للادارة الجديدة ، التي تؤكد ضرورة حل مشكلة اشتراك م٠ت٠ف٠ في المفاوضات للتسوية في الشرق الاوسط ٠ وقالت الصحيفة ان «هناك قسما من «خبراء الشؤون العربية» في وزارة الخارجية يعتقدون بأن م٠ت٠ف مستعدة لان تندمج في حملة السلام المصرية» ٠ وكان كيسنجر ، وزير الخارجية الاميركية السابق ، قد حاول اقناع وزير الخارجية الاميركية الجديد ، فانس ، بالامتناع عن السعي الى اجراء تسوية شاملة في الشرق الاوسط٠ ويرىكيسنجر، حسب ما أورده ناحوم برناع (دافار ١٩ـ١٢ـ٧٦) ان تجري في المرحلة الاولى اتصالات مع الاطراف ، يتم خلالها الوصول الى اتفاق لاشراك رمزي للفلسطينيين في المحادثات ٠ ومن ثم تجري المحادثات استعدادا لعقد اتفاقية انهاء حالة الحرب مع سوريا ومصر مع احتمال مفتوح للتفاوض مع الاردن في موعد متأخر جدا ٠ ويعتقد كيسنجر ، بناء على اتصالات مسبقة مع جهات اسرائيلية ، أن اسرائيل ستوافق على اشتراك مستشارين فلسطينيين في الوفود السياسية العربية للمحادثات ٠ وان اسرائيل لن تعارض في ان يكون ممثلو م٠ت٠ف٠ بين هؤلاء المستشارين ٠ كما يعتقد كيسنجر ، بناء على معلومات مخابراتية ، وصلت الى مصادر اميركية ، ان هناك امكانية لاقناع سوريا ومصر بالموافقة على التسوية ، التي تتجاوز تطلعات م٠ت٠ف بالتمثيل المباشر في المحادثات ٠ ويعتقد الاسرائيليون ان تأييد السادات لاقامة دولة فلسطينية في المناطق ما هو الا تكتيكي فقط ، ويمكن اقناعه بسحب هذا التأييد ٠ ويعتقد كيسنجر ايضا انه عشية المحادثات مع سوريا حول تسوية انهاء حالة الحرب ، توضحاسرائيل بصورة سرية ، انها ستكون مستعدة للانسحاب من عدد من المستوطنات في هضبة الجولان ٠

ومن جهة اخرى ، يعتقد يغئال الون ، وزير الخارجية الاسرائيلية « ان الطريق الوحيد لتصفية م٠ت٠ف كزعيمة للفلسطينيين ، هو منح الاردن نقطة ارتكاز في الضفة الغربية ٠ وانه طالما اننا غير مستعدين لحل وسط اقليمي مع حسين ، فانه لا يوجد لديه اي سلاح ضد م٠ت٠ف٠ وفي اللحظة التي سنكون فيها مستعدين لحل وسط حتى ولو كان جزئيا ٠٠٠ فاننا

سنخلق لدى حسين ولدى الزعامة المعتدلة في الضفة ، مصلحة للحلول مكان م٠ت٠ف وقد امن الون في عام ١٩٦٧ بعد حرب الايام الستة بمسالة الادارة الذاتية في الضفة كوسيلة ناجعة ضد م٠ت٠ف٠ وهو يشك الان اذا كان هذا الاسلوب ممكنا ، وان القدرة على محاربة قوة م٠ت٠ف٠ تمر عن طريق حسين» (دانيال بلوخ دافار ٢١ـ١ـ٧٧) ٠

هذا ولا يؤمن الون بفكرة الاتحاد الفيدرالي بين اسرائيل والضفة الغربية ، لانه حسب تقديره لا يوجد فرق كبير بين اتحاد فيدرالي وبين دولة ثنائية القومية ٠ «لا يوجد طريق اخر للتسوية ، سوى اقامة دولة اردنية ، ذات اقليمين، يرتبط بعضهما ببعض كدولة واحد ٠ ويعتقد ان هناك دلائل في العالم العربي تقترب من هذا الراي ، واليوم تسمع اصوات حول العلاقة بين الدولة الاردنية والدولة الفلسطينية ٠٠» (المصدر نفسه) ٠

هذا وقد هاجم احد كبار المحررين في جريد هارتس ، التلويح دائما بمشروع الون واعتبر ان النتيجة الحتمية لذلك ، ستؤدي الى اقامة دولة فلسطينية ٠ فقد قال «بولس» : اننا اذا لم نتوقف عن تقديم «مشروع الون» على انه يحتوي على اعلى حد من التنازلات التي يمكن ان نكون مستعيدين لها، فان هناك خوفا كبيرا ، من اننا لا نستطيع في نهاية الامر ، الحيلولة دون اقامة «دولة ثالثة» بيننا وبين الاردن ٠ وان هذه الدولة لن تكون «مجردة» ٠ اذ لا يوجد اية قوة تستطيع ان تشرنق الوعي الوطني لسكانها ، وان تقبل بمثل هذا الالتزام على نفسها ٠ وحتى اذا اضطرت الى القبول بذلك ، فاننا في هذه الحالة ، لن نكون واثقين ومتاكدين ، من انها لن تتحول الى قاعدة للعمليات الارهابية ضدنا ، حيث انه لن يكون هناك جيش نظامي يستطيع ان يضرب منظمات المخربين ( هارتس ٢١ـ١ـ٧٧ ) ٠

ولكن اكثر ما يخيف الاسرائيليين من اقامة الدولة الفلسطينية ، حسب رأي «بولس» ، ويعتبره الخطر الرئيسي ، هو ان هذه الدولة سترى من واجبها ولا تستطيع التنكر لذلك ، «المطالبة بضم مناطق اسرائيلية (داخل الخط الاخضر) المزدحمة بالسكان العرب ٠ وكان باستطاعة الملك عبدالله التنازل عن وادي عاره ، حتى بالرغم من ان الجيش الاسرائيلي لم يحتله في الحرب ٠ ولكن الدولة العربية ــ الفلسطينية لن تستطيع التنازل عن دعاية تحررية وحدوية تجاه عرب اسرائيل ٠ وان مجرد قيامها هو بمثابة تحدي لسلامة امن اسرائيل» ٠ وانتقد «بولس» الدعاية الاسرائيلية ، ضد العائلة الهاشمية ، مؤكدا انها في نهاية الامر «الجهة العربية ذات الوزن ، المستعدة للقبول بنا ويحقنا في الوجود في المنطقة» ٠ وانتقد ايضا المناداة بتحويل الاردن الى دولة فلسطينية والقول بأن غالبيتها من الفلسطينيين فقال : «ان من يشير الى الحقيقة بأن غالبية سكان شرق الاردن هم فلسطينيون ، انما يستخدم فقط الحيلة الكلامية ، وانه ليس من مهمات الصهيونية التاريخية اسقاط نظام البدو في عمان ٠ وان مسالة الحكم الاسرائيلي على مليون عربي الذين لا يريدون هذا الحكم ، لا نستطيع حلها عن طريق الصاق الشارة الفلسطينية على المملكة الهاشمية ، وان كل من يعتقد بان حكما «فلسطينيا» في عمان سيقبل بالحكم العسكري الاسرائيلي في كافة المناطق المحتفظ بها بايدينا منذ ١٩٦٧ انما يرعى الاوهام» (المصدر نفسه)٠

## « حملة السلام العربية » ٠

علقت الاوساط الاسرائيلية على مبادرة السادات الاخيرة ، ووصفتها بانها حملة تكتيكية ، وانها فقط تعبر عن المشاكل الداخلية التي تسود العالم العربي وبالذات مصر ٠ ولكن هذه الاوساط لم تخف قلقها من المكاسب الاعلامية التي يمكن ان تحققها هذه الحملة ٠ ومن هنا جاء رد رابين ،

ورد هرتسوغ في الجمعية العمومية ٠

يعتقد احد كبار المعلقين الاسرائيليين ، ان الحملة الديبلوماسية او «حملة السلام» من قبل السادات وبعض المتحدثين العرب، «ليست الا دليلا على الارتباك والضائقة الصعبة التي زجت اليها الدول العربية في هذه المرحلة من حربها ضد اسرائيل ٠ فقد تسلق العرب على الشجرة العليا لمقررات مؤتمر الرباط منذ حوالي سنتين والان يحاولون النزول عنها ولكنهم لا يعرفون كيفية فعل ذلك ٠ وكما حدث قبل ذلك فقد تسلق العرب على الشجرة العليا للاءات الخرطوم من اجل النزول عنها ايضا ٠ وان الضائقة العربية هي وليدة الطريق المسدود الذي وصلت اليه السياسة العربية في مؤتمر الرباط ٠ لان النتيجة العملية لمقررات الرباط كانت منع الاردن من التفاوض مع اسرائيل ، فقد حرروا بذلك اسرائيل من الضغط الدولي الفعلي للانسحاب من الضفة وادخلوا العالم العربي الى انسحاق داخلي صعب كانت نتيجته الحتمية ، الحرب في لبنان » (حفاي ايشد دافار ٥-١-٧٧) ٠

ويضيف الكاتب قائلا : «يبدو ان السادات والاسد قد فهما الان ان قرارات مؤتمر الرباط كانت خطأ قاتلا من وجهة نظر عربية ، وربما ان هناك اوساطا معينة في م٠ت٠ف٠ بدأت تشك بفائدة الطلب غير المتزن لالغاء وجود دولة اسرائيل ، وان حملة السادات للسلام يمكن ان تعتبر كاظهار للصحو من غباء مقررات الرباط ٠٠٠ وربما ان كافة هذه الاطراف العربية المختلفة بدأت تفكر الان ، من ان مكاسب م٠ت٠ف٠ في المجال الدعائي العربي والدولي كانت مكاسب مزعومة ، وانها عمليا حررت اسرائيل من اي ضغط حقيقي في الموضوع الاردني والفلسطيني طيلة اكثر من عامين» ٠

ويعزو الكاتب انجاز التحول والتراجع في السياسة العربية ، الى السياسة الاسرائيلية والاميركية المتشددة بعدم التفاوض مع م٠ت٠ف وانه كلما استمرت اسرائيل بهذه السياسة ، فانه سيزداد الصحو العربيوالدولي بالنسبة ل٠م٠ت٠ف ولمواقفها ٠ ولهذا يجب الاستمرار بهذه السياسة الى أن تنقلب العجلة الى الوراء بدورة كاملة والى ان يتم الغاء الحظر العربي على الاردن للتفاوض مع اسرائيل ٠٠٠ ولكن قبل كل شيء يجب ازالة عقبة م٠ت٠ف٠ ومقررات الرباط وتمكين الاردن من التفاوض مع اسرائيل في اطار جنيف او خارجه ، على مستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة٠٠٠ وان التصريحات المختلفة من قبل السادات والاسد وحتى السوفيات وربما ايضا المحادثات بين مندوبين عن م٠ت٠ف٠ وبين الياف وبيلد ، يمكن اعتبارها بداية لقضم مقررات الرباط ، وان ذلك بداية انجاز للسياسة الاسرائيلية والاميركية ٠ وانه ينبغي على اسرائيل ان تستمر في رفض اقامة دولة فلسطينية ثالثة بينها وبين الاردن بصورة مطلقة ، وكذلك الاستمرار بالمعارضة الشديدة لاي شكل من التفاوض مع م٠ت٠ف٠ او مندوبيها ٠ وعلى اسرائيل ان تستمر بالاقتراح الحالي بالتفاوض مع وفد اردني، يضم تمثيلا فلسطينيا ، حول اتفاق يشمل ايضا حلا للمشكلة الفلسطينية (المصدر نفسه) ٠ ويخلص حفاي ايشد ، الى القول انه ليس من المستبعد ان تكون حملة السادات الدبلوماسية موجهة الى الداخل وليس فقط الى الخارج ٠ وفي نفس الوقت يحاول السادات ان يدق اسفينا بينالولايات المتحدة وبين اسرائيل ، وربما لاختبار رد الفعلي العربي الداخلي بالنسبة لسياسة متزنة اكثر تجاه اسرائيل ٠

وتحدث معلق اخر حول حملة السلام هذه ، وعن احتمال قيام الولايات المتحدة بتقيم مشروع للسلام ، فذكر ان العرب يتقدمون بمشاريعهم السلمية هذه ، لانهم

يعرفون جيدا أن مشروع السلام الاميركي، لا يختلف كثيرا عن مشروعهم من الناحية الاقليمية ·

ويقول ماتي غولان ، اي معنى ذلك · «ان واشنطن سواء كانت في عهد نيكسون او فورد او كارتر ، فانها تؤيد انسحابا اسرائيليا كاملا من المناطق التي احتلت في حرب الايام الستة · ما عدا ـ وهنا الفجوة مع الموقف العربي ـ اجراء تعديلات على الحدود · ولكن اية تعديلات على الحدود ؟ صغيرة وغير جوهرية، وهنا الفجوة مع الموقف الاسرائيلي الذي يتحدث عن تعديلات جوهرية على الحدود · واذا ما تفحصنا الفجوتين ، فسنصل الى نتيجة ان الفجوة بين الولايات المتحدة وبين الدول العربية اصغر بكثير مما هي عليه بين واشنطن والقدس» (هآرتس ٣١ـ١٢ـ٧٦) ·

ولهذا يسعى السادات ، حسب ماتي غولان ، من وراء رسم خريطة اميركية الى تحقيق ظاهرتين ايجابيتين بالنسبة له : الخلاف الكبير وربما الانشقاق بين اسرائيل والولايات المتحدة وامكانية ان يثبت للعالم بأن الفرق بينه وبين الولايات المتحدة يتمثل فقط بعدة كيلومترات « مقيتة » · ولكن الرد الاميركي ـ الاسرائيلي على ذلك، هو ان الولايات المتحدة معنية ليس فقط بتقديم خريطة وانما بمشروع سلام · وهنا يمكن نقل النقاش حول المناطق الى النقاش حول ماهية السلام · وفي مثل هذه الحالة سيصعب على العرب ان يوضحوا لماذا يرفضون عقد اتفاقية سلام حقيقي ·

## مشروع لتوطين اللاجئين الفلسطينيين

في اطار البحث عن حلول لانهاء مشكلة اللاجئين الفلسطينيين تقدم رعنان فايتس، رئيس قسم الاستيطان في الوكالة اليهودية، بمشروع الى حزب العمل ، لتسوية مشكلة اللاجئين داخل المناطق المحتلة · هذا وقد اورد امنون برزيلاي ، في صحيفة (هآرتس ٢٣ـ١ـ٧٧) ، النقاط الرئيسية التي وردت في هذا المشروع ، والاسباب التي دفعته الى تقديمه ·

يرى فايتس أن الاتجاهات التي تلوح ، هي حسب رأيه ، ذات دلالات خطيرة لليهود وللعرب الذين يعيشون في المنطقة وهذا هو أحد الاسباب للحاجة الملحة الى ايجاد حلول يتعلق بها مستقبل وربما مصير اسرائيل · ويرى أيضا ان العلاقات الرئيسية التي تتطلب حلولا بصورة ملحة هي : العلاقات مع السكان العرب ـ الفلسطينيين ، واستيعاب الهجرة والوضع الاقتصادي· وان هذه المشاكل حسب رأيه، قد تأزمت منذ حرب يوم الغفران وتحت « ثلاثة سيوف تتسلط فوق رؤوسنا » ·

ويعتمد مشروع فايتس ، على دراسات اجرتها الوكالة اليهودية خلال السنوات الاخيرة وكذلك على مادة احصائية تم جمعها في السنوات الاخيرة ايضا · ومن مبادىء مشروعه الرئيسية لوقف التدهور في مسألة المشكلة الفلسطينية، يذكر المشروع ضرورة تقليل الاختلاط السكاني وكذلك انتقال العمال من التجمعات السكانية العربية الى مناطق اسرائيل للحيلولة في المستقبل دون حدوث توترات اجتماعية وطبقية مستمرة على اساس قومي ·

«وهناك مبدأ اخر وهو اعطاء السكان العرب في المناطق المحتلة تعبيرا سياسيا · وبدون مثل هذا التعبير ، لا يمكن ان تكون هناك قاعدة للسلام بيننا وبينهم · والمبدأ الذي يليه ينص على انه في اية تسوية، يجب منح كافة الذين يسكنون في اسرائيل حقوقا مواطنية متساوية ، وحق تقرير المصير للعرب ـ الفلسطينيين حتى يتمكنوا من اقامة حكم واسلوب حياة خاص بهم» ·

ويقترح فايتس في خطته كحل للمشكلة الفلسطينية ، تقسيم اسرائيل والمناطق

المحتلة الى ثمانية الوية · خمسة للسكان اليهود وثلاثة للسكان العرب · والالوية اليهودية هي : صفد ، حيفا ، تل ابيب ، اشدود ، وبئر السبع · والالوية العربية هي : نابلس ، والخليل ، وغزة · وستكون مدينة القدس بموجب المشروع لواء مستقلا بحد ذاته · وسيتشكل في كل لواء «ادارة اللواء» التي تتسلم شؤون الداخل في مجالات التطوير والخدمات · وستتولى الحكومة المركزية بالذات ، شؤون الامن والخارجية والمالية ، وكذلك تتولى تنسيق نشاطات الالوية وتشرف عليها ·

ان اهمية التقسيم الى الوية ، حسب رأي فايتس ، انها « ستمكن من تطوير القرى العربية» · وهناك تحفيز اخر لذلك سيتم ايجاده في العلاقات المالية والاقتصادية المباشرة بين الالوية العربية وبين مصادر المساعدات من الدول المختلفة ومن مؤسسات دولية ، وكذلك البدء بدفع تعويضات للاجئين العرب الذين يسكنون في المناطق المحتلة ·

## علاقات اقتصادية

«ستكون هناك علاقات اقتصادية بين الالوية على اساس انتقال المنتوجات والخدمات في اي حل سياسي · وانه ستكون في هذا الاطار امكانية نقل فائض مياه نهر الليطاني عن طريق المشروع القطري (مشروع تحويل نهر الاردن) ، لتطوير الالوية العربية ـ نابلس والخليل وغزة ـ وكذلك لتطوير قاعدة لاقامة منطقة تجارية حرة في غزة » ·

هذا ويختبر المشروع فكرة الالوية مع كل واحد من الحلول السياسية المقترحة · فاذا تم اتفاق مع الاردن ، فان الالوية الثلاثة ستضم الى المملكة الاردنية · كما ان مشروع التطوير يأخذ في الحسبان شق طريق مباشر بين الخليل وغزة · وان هذا الطريق لن يمر عبر المستوطنات اليهودية، وان ميناء غزة يمكن ان تستعمله المملكة الاردنية ، ما عدا استيراد الاسلحة والعتاد العسكري · وفي حال غياب الاتفاق مع الاردن فانه بالامكان اختيار احد الخيارين السياسيين : اقامة دولة فلسطينية او انشاء اتحاد فيدرالي · وان توحيد الالوية الثلاثة مع كامل الحقوق ، ما عدا اقامة جيش وشراء اسلحة ، معناه حسب رأي فايتس ، دولة فلسطينية ·

## دولة فيدرالية

«ستؤلف الدولة الفيدرالية من ثمانية الوية وستكون القدس عاصمة لها · وستشكل أرض اسرائيل (فلسطين) من الناحية الامنية والعلاقات الخارجية ، وحدة واحدة ، تديرها حكومة مركزية · وان كافة الشؤون الداخلية بما فيها تقديم الخدمات والمبادرةباعمال التطوير، ستكون بايدي ادارة محلية في الالوية · ويقترح المشروع نموذج الكونجرس الاميركي ، الذي بموجبه ينتخب كل لواء عدداً متساوياً من الممثلين الى برلمان الدولة · وسيشكل البرلمان الحكومة المركزية · وستكون الحكومة المركزية مسؤولة عن قضايا الامن والخارجية والعملة والجمارك والتنسيق بين الالوية · وسيتم في كل لواء اختيار مجلس اقليمي وسيشكل هذا المجلس الحكومة المحلية للواء ، وستكون مسؤولة عن علاقات الداخل مثل مشاريع التنمية واستيعاب الهجرة والتعليم والصحة والشؤون الاجتماعية والدين الخ » ·

ويعطي فايتس الافضلية الرئيسية للاتفاق مع الحكومة الاردنية ، هذا الاتفاق الذي يجب السعي اليه ، حتى على حساب القيام ببعض التنازلات ، مثل ضم قطاع غزة الى الاردن ، وتقليل الاستيعاب اليهودي على امتداد نهر الاردن الى الحد الادنى· وان احتمال اقامة دولة فلسطينية افضل بنظر فايتس ، من اقامة دولة فيدرالية ·

حمدان بدر

## ـ ٣ ـ

# الانتخابات واثرها على الوضع الاقتصادي

تتوقف التطورات الاقتصادية المتوقعة في اسرائيل خلال هذه السنة ، الى حد كبير ، على ما اتخذ خلال السنتين الاخيرتين من اجراءات واصلاحات ، في محاولة للحد من تدهور الوضع الاقتصادي وايجاد حل للمشاكل المعقدة التي نجمت بعد حرب ١٩٧٣ ، والتي تمثلت اساسا في العجز المتزايد في ميزان المدفوعات ، وسرعة ازدياد التضخم المالي · وقد اعلن وزير التجارة والصناعة حاييم بارليف ، ان هذه السنة ستكون سنة صعبة للاقتصاد الاسرائيلي، « انها سنة ميزانيات منخفضة ، وضائقة شديدة بالنسبة للتسليف · ويجب ان ندرك هنا ان الميزانية (المقترحة) تتحدث عن تدفيق مبلغ اضافي ( للتداول )بمقدار ٥ر٥ مليار ·رة ، ومحظور التحدث عن مبالغ اكبر ، لان ذلك سيؤدي الى زيادة التضخم ، وخفض فائض العملة الصعبة» (هآرتس ، ٣ـ١٢ـ٧٦ )· ويبرر بارليف مشاكل اسرائيل الاقتصادية بقوله ، انها تعود الى سببين اساسيين ، اولهما المشكلة الاقتصادية العالمية «فالاشخاص يرفضون رؤية ما يجري حولنا في العالم ، ولذلك يتولد انطباع خاطيء ، وكأنه لم تكن هناك سياسة (اقتصادية) واضحة ··· ففي العالم توجد مشكلة بطالة متفاقمة ، الامر الذي لم يحدث له مثيل عندنا · كذلك فان صادرات دول صناعية آخذة في الانخفاض، بينما صادراتنا في ارتفاع ، وميزان مدفوعات معظم الدول في العالم قد ساء ، بينما تحسن عندنا » · ويعتقد بارليف ان حقيقة التحسن في الوضع الاقتصادي الاسرائيلي ، في الوقت الذي يسوء في بعض البلدان الاخرى ، انما يدل على التقدم الاقتصادي في اسرائيل (في مقابلة مع ملحق صحيفة هتسوفيه ، ٣١ـ١٢ـ٧٦) · ثانيا ، ما تتحمله اسرائيل من اعباء امنية تتمثل في ميزانيات الدفاع الضخمة خلال كل سنة ، فاسرائيل تنفق ثلث ميزانيتها تقريبا في كل سنة على الامن ، كذلك فان الجزء الاكبر من المساعدات الخارجية (بالعملة الصعبة) ينفق على مشترياتها من الاسلحة ·

اتخذت اسرائيل خلال السنتين الاخيرتين عدة اجراءات لاصلاح وضعها الاقتصادي، واهمها : الاصلاح في ضريبة الدخل حسب توصيات لجنة بن شاحار ، فرض ضريبة القيمة المضافة ، وتعيين حد اقصى لعلاوة غلاء المعيشة بحيث تصل الى ٧٠٪ فقط ، ثم تمديد ربط السندات الحكومية بقيمة الدولار ، وبالتالي اتباع اسلوب التخفيض التدريجي في قيمة الليرة الاسرائيلية · وتشير الدلائل الى ان المكاسب التي حققتها هذه الاصلاحات والاجراءات تعتبر جزئية، «كذلك فان الهدوء في جبهة الاجور لم يتحقق حتى الان ( والاضرابات العمالية دليل على ذلك) · اما تمديد ربط السندات (بقيمة الدولار) فانه لم يؤد الى خلق ثقة بالحكومة لدى المستثمرين · كذلك لم يتم ايجاد حل حقيقي لمشكلة ديون الحكومة المحلية المتزايدة ··· اما بالنسبة لاسلوب التخفيض التدريجي في قيمة الليرة ، فقد ادى الى تبديد المخاوف من امكانية حدوث تخفيض كبير في العملة ، رغم ان وزارة المالية تعمل في كل مرة على خلق توتر ما بسبب ما تشيعه من امكانية احداث

تخفيض كبير . كذلك فقد اصبح واضحا اليوم ان ضمان ربحية الصادرات (التي تعتبر الهدف الاساسي لسياسة التخفيض التدريجي) لم تتحقق» (ملحق هتسوفيه ، ٣١ـ١٢ـ٧٦) .

لذلك يمكن القول ان كل واحد من هذه الاصلاحات قد ادى الى نتائج جزئية. اما المكسب العام فهو تحقيق تحسن في ميزان المدفوعات خلال السنة الماضية ، ناتج في اساسه عن تاثير السوق العالمية ، ولكن ليس هناك اي تاكيد لاستمرار هذا التحسن خلال هذه السنة .

وبالنسبة للاهداف الاقتصادية خلالهذه السنة ، فقد اعلنتوزارة المالية الاسرائيلية ان هناك ثلاثة اهداف ستعمل على تحقيقها، وهي : اولا وقف التضخم المالي السريع. ثانيا ، اعادة تجديد الانعاش الاقتصادي. ثالثا ، تحسين ميزان المدفوعات .

## التضخم المالي يهرب الاستثمارات الجديدة

ان قضية التضخم المالي السريع هي من اكثر القضايا التي تحظى الان بالاهتمام المتزايد في اسرائيل ، بعدما اتضح خلال السنة الماضية ، ان لها تاثيرا سلبيا على الاصلاحات والاجراءات الاقتصادية، واهمها تلك المتعلقة بزيادة الاستثمارات خاصة الاجنبية . وبحسب رأي المعلق الاقتصادي في صحيفة دافار (١ـ١٢ـ٧٦) ان محاربة التضخم المالي والحد من ارتفاع الاجور يعتبر المهمة الاولى في السنة الحالية ، «وكما يبدو اصبح واضحا الان لوزير المالية ان محاربة التضخم المالي يجب ان تكون على رأس سلم الاولويات في السياسة الاقتصادية ، وذلك بعدما اتضح ان هذا التضخم يهدم كل مكسب ، ويقوض الثبات الاقتصادي والاجتماعي ويحد من الاستثمارات الجديدة ويهرب المستثمرين الاجانب .

ففي نسبة التضخم المالي الحالية ، هناك احتمالات قليلة بأن نجد مستثمرين على استعداد للمخاطرة بتنفيذ استثمارات جديدة . ان عدم توفر هذه الاستثمارات سيعود بالضرر على البرامج المخططة لاعادة تجديد النمو الاقتصادي في سنة ١٩٧٨ ، وذلك بعد حدوث تدهور خطير خلال السنين الاخيرة بسبب توقف هذا النمو . وحسب تقدير بروفيسور افرايم كلايمان (استاذ اقتصاد في الجامعة العبرية) فقد ادى توقف هذا النمو الى خسارة ١٢ مليار ليرة على الاقل ، خلال السنين الثلاثة الاخيرة» . ويتحدث الكاتب في مقال اخر ( دافار ، ٢١ـ١ـ٧٧) عن مشكلة الغلاء فيقول : «ان المعطيات التي نشرت في بداية هذا الاسبوع ، والتي اشارت الى ان معدل ارتفاع الاسعار للمستهلك قد بلغ خلال سنة ١٩٧٦ ، ٣٨٪ ، لم تثر اية دهشة ... ان الجمهور الاسرائيلي لا ينفعل بوجه خاص من نسبة التضخم المالي حتى اذا بلغت ٣٨٪ ، ويصبح هذا الامر وكأنه جزء من واقع حياتنا » . وهنا بعض الامثلة على نسبة ارتفاع اسعار بعض المواد الاستهلاكية الاساسية في اسرائيل: الخبز ـ ٣ر٥٢٪ ، الحليب ومنتجاته ـ ٢ر٤٤٪ ، الزيوت والزبدة ـ ٤ر٥٤٪ ، البيض ٤ر٥١٪ ، لحوم الطيور ـ ٧ر٤٦٪ ، القهوة ـ ٢ر١١١٪ ، لحم البقر ٥ر٤٠٪ .

ويلخص عضو اللجنة المالية في الكنيست ، ابراهام ملميد هذا الوضع بقوله : «ان الدمج بين التضخم المالي السريع وبين توقف النمو الاقتصادي ، يشكلميزانا سلبيا للسياسة الاقتصادية». ويعدد ملميد الوسائل التي ينبغي اتباعها من اجل مكافحة التضخم المالي بقوله : «ان هذا العمل يجب ان يتم بواسطة تقليص الميزانيات ، واتباع سياسة الكبح

في المداخيل والاجور ، وبواسطة السياسة المالية · ان دمج جميع هذه الوسائل يمكن أن يؤدي الى كبح التضخم المالي بمدى كبير ، والى تحقيق الاهداف الاخرى ، وفي الاساس منع زيادة الاستيراد وتشجيع الصادرات · ان استخدام وسيلة واحدة في السياسة المالية ، اي تقليص التسليف ، يمكن ان يؤثر بشكل سلبي على الصادرات · هذا في الوقت الذي يخصص فيه بنك اسرائيل للصادرات المكان الاول في سلم الافضليات» (مقابلة في ملحق هتسوفيه ، ٣١ـ١٢ـ٧٦) ·

## دلائل انكماش في الاقتصاد

لم تحدث اية زيادة في الانتاج القومي في اسرائيل خلال السنتين الاخيرتين، وذلك بعد ان ارتفع في الفترة الواقعة بين ١٩٦٨ حتى ١٩٧٣ بمعدل ١٢٫٥٪ ، وفي سنة ١٩٧٤ بمعدل ٧٪ · «ان عدم النمو الاقتصادي يتطور الان الى وضع يمكن وصفه ببداية انكماش · وهذا القول غير واضح بكل ما يتعلق بمدى عمق هذا الانكماش ، ولكن جميع المعطيات تشير الى اننا حقيقة نواجه انكماشا معينا · كذلك ليس واضحا كيف سيتطور هذا الانكماش : هل سيكون شديدا وخطيرا ، ام ان ما يحدث ليس سوى تراجع معين لا يؤدي الى اية ازمة خطيرة» (يتسحاق دوتيش ـ ملحق هتسوفيه، ٣١ـ١٢ـ٧٦)· ويفسر عضو الكنيست ملميد (المصدر السابق) سبب عدم النمو في الانتاج القومي بقوله ، ان هذا الامر كان مخططا له ، «فبعد حرب يوم الغفران اتفق على الحاجة الى خفض معين في النشاط الاقتصادي · لقد كان الاقتصاد ساخنا بشكل غير مقبول · كانت هناك صعوبات معينة في ميزان المدفوعات · وقد بدأ وضع فائض العملة الصعبة يؤشر «بالضوء الاحمر»·كان يجب خفض النشاط الاقتصادي ، وذلك بهدف تغيير البنية · وكان التغيير المطلوب هو تحويل انتاج المصانع الى التصدير بدلا من الاستهلاك المحلي ، وكان المطلوب تشجيع القطاع الانتاجي من خلال تقليص قطاع الخدمات» ويضيف ملميد مفسرا هذه الخطوة ، ان خفض النشاط لم يكن هدفا وانما وسيلة لفترة انتقالية · «ففي نهاية الامر تلزم ظروفنا الخاصة نموا اقتصاديا سريعا ، اذ اننا ملزمون بتمويل نفقات امن كبيرة ومتزايدة ··· الامر الذي يمنع تحويل موارد (كبيرة) الى اهداف اجتماعية ضرورية · وكان واضحا ايضا ان الدولة التي تضطر الى استيعاب هجرة ، لا تستطيع تجميد ( النشاط الاقتصادي ) داخلها لفترة طويلة بل لفترة انتقالية محدودة ـ وذلك قبيل نمو مجدد على اساس افضل» · وحسب رأي ملميد ان النتائج التي كانت مرجوة من وراء خفض النشاط الاقتصادي لم تتحقق حتى الان ، « لم يتحقق تغيير في بنية الاقتصاد · لم يحدث تحويل جدي لانتاج المصانع من الاستهلاك المحلي الى الصادرات · كذلك لم يرتفع الانتاج الاقتصادي اضف الى ذلك : ارتفعت نسبة البطالة غير المنظورة ـ الامر الذي يمكن معرفته من خلال الحقيقة بان الانتاج لم يرتفع ، بينما لم ينخفض عدد العاملين · والاسوأ من ذلك ، ان عدد العاملين في فرع الخدمات قد زاد على حساب عمال الانتاج · وهذا يدل على اننا لم نحقق اية مكاسب في مجال لتحسين البنية الاقتصادية · لذلك ، اقول أننا خسرنا وقتا ثمينا ، لاننا رفعنا الدين الخارجي ، بالاضافة الى زيادة الدين بالعملة المحلية كل هذا بمثابة خطأ لا يمكن اصلاحه» (المصدر نفسه) ·

وتشير الاحصاءات الرسمية الى ان عدد العاطلين عن العمل قد بلغ في شهر ايلول ، ١٩٧٦ ، ٤٧ الفا ، وتشير الارقام

غير الرسمية الى أن هذا العدد قد ارتفع في نهاية هذه السنة الى ٥٠ الفا · اما التوقع في سنة ١٩٧٧ ، فهو ان عدد العاطلين عن العمل سيصل الى ٧٠ الفا· ويعتبر فرع البناء ، من اكثر الفروع التي تضررت نتيجة خفض النشاط الاقتصادي حيث انخفضت نسبة النشاط داخله في السنة الماضية بـ ٥٠٪ تقريبا، الامر الذي ادى الى انخفاض عدد عمال هذا الفرع بعشرة الاف تقريبا · وتبشر التوقعات الرسمية بانخفاض عددهمبعشرة الاف اخرى خلال سنة ١٩٧٧ · وفي حديث مع مدير عام وزارة المالية ، عميرام سيفان (المصدر السابق) ، اعلن ان عدد العاطلين عن العمل ، يجب الا يتجاوز الـ ٥٠ ـ ٦٠ الفا خلال سنة ١٩٧٧ · «ان الهدف الاساسي ، هو ··· تأمين فرص عمل اكثر في فروع الانتاج ··· ومن اجل ذلك ، استخدمنا وسائل كثيرة ومتنوعة : التخفيض الزاحف ، التسليف لتمويل الصادرات ، الحوافز التدريجية ، تقليصالطلبات المحلية وتحويل المساعدات للمصدرين وللعمال في فروع التصدير ايضا · ان هذه الوسائل مجتمعة بدأت تعطي ثمارها · فقد انتقل نمو عشرة الاف شخص من الانتاج للاستهلاك المحلي الى الانتاج للصادرات · وارتفعت الصادرات باكثر من ٢٠٪ · ان سرعة الزيادة هذه تعني مضاعفة الصادرات خلال ثلاث سنوات» ·

ان زيادة الصادرات هي الوسيلة الرئيسية في سياسة اسرائيل الاقتصادية، لحل مشكلة العجز في ميزان المدفوعات · ويبدو ان جميع الاجراءات تقريبا ، ابتداءا من تحويل العمال الى فروع الانتاج ، وانتهاءا بالتخفيض التدريجي للعملة ، تصب في هذا الاتجاه · وقد ادت هذه الاجراءات مجتمعة الى خفض العجز بنحو ٨٠٠ مليون دولار خلال السنة الماضية ، الامر الذي يعتبر مكسبا كبيرا لسياسة اسرائيل الاقتصادية · وتجدر الاشارة هنا الى ان هذا العجز كان قد بلغ في بداية سنة ١٩٧٦ ، ٣ر٩ مليار دولار · الا ان التوقعات لهذه السنة ، لا تبدو متفائلة جدا بالنسبة لامكانية استمرار هذا التحسن خلال هذه السنة ، وهذا ما يؤكده معظم الخبراء الاقتصاديين في اسرائيل ·

## توقعات غير مشجعة لسنة ١٩٧٧

لقد اصبح واضحا الان في اسرائيل ، ان الازمة الحكومية ، والانتخابات للكنيست سيكون لهما تاثير سيء على الوضع الاقتصادي ، وذلك للاسباب التالية : اولا ، لا تستطيع الحكومة بوضعها الحالي ممارسة صلاحيات كاملة فيما يتعلق بالاجراءات الاقتصادية التي اتبعتها خلال السنين الماضية ، وذلك خوفا من ان يؤدي الى زعزعة كفة ثقة الجمهور بقادتها ، خاصة وانهم يطمحون الى الاستمرارفي سلطتهم بعد الانتخابات· ثانيا ، لا يستطيع الكنيست المصادقة على قوانين واجراءات اقتصادية جديدة ، قبل موعد الانتخابات ، خاصة تلك المتعلقة بالميزانية المقترحة لعام ١٩٧٧ وما يتبعها من اجراءات على غرار تجميد الاسعار والدخل · ثالثا ، عدم الاستعداد الذي ظهر لدى الهستدروت وارباب العمل ، للمصادقة على اية اتفاقات جديدة مع الحكومة الحالية ، تتعلق بالاجور والدخل وتحديد ارتفاع الاسعار ، الامر الذي سيجعل المفاوضات الجارية بين هذه الاطراف عديمة الفائدة ، الامر الذي سيؤدي الى استمرار اشتعال جبهة المطالب العمالية ، وما يرافقها من اضرابات وتعطيل للمرافىء الحيوية ·

وهناك من يقول ، ان النصف الاول من سنة ١٩٧٧ سيكون عديم الفائدة مننناحية اقتصادية ، حيث لن تتحقق خلاله اية

اصلاحات مجدية • «وسيكون لفتــــرة الانتخابات هذه تأثير قوي على النشــاط الاقتصادي ، من عدة اتجاهات : اولا ، ستقوم ادارة الانتخابات في اسرائيـــل بانفاق بعض المبالغ المحددة من اجـــل اجراء الانتخابات • ثانيا ، ستنفق اجهزة الاحزاب مبالغ مختلفة ، سواء مـــــن الاعتمادات الرسمية او خارجها • ثالثا، ستحول الحكومة اموالا من اجل منـــع الانخفاض في العمالة في الاماكن التـــي يسود بها الخوف من البطالة» (يتسحاق دوتيش ـ ملحق هتسوفيه، ٣١ـ١٢ـ٧٦)• اذن ستتميز سنة الانتخابات بتحويل مبالغ مالية ضخمة الى الاقتصاد ، بحيث تؤدي الى ارتفاع كبير في معدل الاستهـــلاك الفردي ، الامر الذي يهدد بنسف جميـــع المكاسب التي حققتها الحكومة الاسرائيلية خلال السنين الاخيرة في هذا المجال • «والافتراض الحالي هو ان وزارة المالية تستطيع الان ان تتصرف وفق سياستهـــا الحالية مع الامتناع عن اتخاذ مبادرات جديدة • ولكن بعد تشكيل الحكومــــة الجديدة ، تستطيع وزارة المالية اتبـــاع خطوات اقتصادية قوية يفرضها الوضع الاقتصادي ، من اجل تحقيق الاهـــداف المتمثلـــة في خفض العجـــز في ميزان المدفوعات ، وتعديل سرعة ارتفاع الاسعار واعادة تجديد النمو الاقتصادي • ومـــن الواضح لاصحاب هذا الراي في وزارة المالية ، ان الظروف غير مؤاتية لاجـــراء تخفيض كبير في العملة او فرض ضرائب غير مباشرة جديدة ، وذلك بواسطـــة رفع نسبة ضريبة القيمة المضافة • لذلك ، فالاقتراح القائم هو السعي من اجـــل تحقيق اتفاق مع الهستدروت واربـــاب العمل ، على اساس خطة مقلصة ، الهدف الاساسي منها الحد من سرعة التضخـــم المالي ، وبحيث لا تتجاوز مدة ســريان مفعول هذا الاتفاق ستة اشهر ، اي بعد الانتخابات للكنيست» (دافيـــد ليفكين ـ دافار ، ٢٤ـ١٢ـ٧٦) • وبالفعل فقـــد اعلن بتاريخ ٢١ـ١ـ٧٧ ان اتفاقا مبدئيـا حول تجميد الاجور والاسعـار والاربـاح والضرائب لفترة محدودة لا تتعدى بضعة اشهر قد تم بين الحكومة والهستدروت ، وان جهودا تبذل الان من اجل كســب موافقة ارباب العمل ايضا • ( هارتس ، دافار ، ٢١ـ١ـ٧٧) •

ورغم الانتخابات ستضطر وزارة المالية ايضا الى اتخاذ قرارات بشأن موضوعين هامين • الموضوع الاول يتعلق باسعــار البنزين • «فقد اوضح وزير المالية ان قرار مؤتمر اوبيك حول رفع اسعار النفط بنسبة ١٠٪ ، سيزيد نفقات الحكومـــة الاسرائيلية بـ ٧٠٠ مليون ليرة في السنة تقريبا ••• وفي المباحثات التي جـرت حتى الان (بين الحكومة والهستدروت) ، ظهر ان هناك استعدادا لدى وزارة المالية لتأجيل رفع اسعار البنزين حتى شهـر اذار (من هذه السنة) ••• وعلى هــذا الاساس ربما تحملت الحكومة اعباء هذا الغلاء خلال ثلاثة اشهر او اكثر» (دافيد ليفكين ـ دافار ، ٢٤ـ١٢ـ٧٦) •

اما الموضوع الثاني الذي يتطرق اليـه الكاتب فهو مسالة المساعدات الحكومية ، «فاثناء خفض هذه المساعدات فـــي اول شهر تشرين الثاني (من السنة الماضية) اوضحت وزارة المالية ، انه قبيل شهر اذار حتى نيسان ، لن يكون هناك مهرب من تخفيض اخر بها وبالتالي زيادة اسعار الحاجيات الاساسية ••• ولكن ثمة شك اذا كانت الحكومة على استعداد لتخفيض هذه المساعدات في الاشهر القريبة ، وربما اخرت هذا الاجراء حتى بعد الانتخابات» (المصدر نفسه) • لذلك يمكن القول ان فترة الانتخابات ، ستتميز بجمود الوضع الاقتصادي الحالي ، مع محاولة الحفاظ على الاستقرار والهدوء الداخلي ، وذلك حتى انتهاء الانتخابات ، وتشكيل حكومة

جديدة ، حيث يتوقع عندئذ سياسة اقتصادية جديدة ، وربما عودة الى الاجراءات القديمة كاسلوب تخفيض العملة وزيادة الضرائب وما شابه .

## ميزانية مؤقتة لبضعة اشهر

صادقت الحكومة الاسرائيلية بتاريخ ٣٠-١١-١٩٧٦ على مشروع الميزانية للسنة المالية ١٩٧٧-٧٨ ، التي تبدأ في اول شهر نيسان من كل سنة . ويبلغ حجم هذه الميزانية ٥ر١٢٢ مليار ليرة اسرائيلية ، مقابل ٨٧ مليار ليرة في السنة الماضية . كذلك صادقت الحكومة على بعض الاجراءات الاقتصادية الاخرى التي اقترحها وزير المالية ، يهوشواع رابينوفيتش ، وتهدف الى الحد من الغلاء ومحاربة التضخم المالي السريع، وبموجب هذه الاجراءات سينخفض معدل ارتفاع الاسعار للمستهلك خلال هذه السنة بنسبة ٨٪ ، حيث ستتراوح نسبة ارتفاع الاسعار بين ٢٣ - ٢٥ / مقابل ٣٨ ٪ خلال سنة ١٩٧٦ . وبموجب هذه الاجراءات ايضا ، يتوقع ارتفاع الاجور خلال سنة ١٩٧٧ بنسبة ٣٦٪ ، بينما سيرتفع الاجر الصافي (بعد حسم الضرائب) بنسبة ٣٪ تقريبا (هآرتس ، دافار ، ١-١٢-٧٦) .

ونتيجة لهذه الاجراءات يتوقع ازدياد الاستهلاك الفردي ، بينما سيؤدي انخفاض معدل الاسعار الى تحديد حجم التخفيضات التدريجية في قيمة الليرة الاسرائيلية ، وهي السياسة المتبعة منذ منتصف سنة ١٩٧٥ ، وبموجبها يتم تخفيض الليرة الاسرائيلية بنسبة لا تفوق الاثنين بالمئة خلال فترات زمنية متقاربة لا تقل عن الشهر ، وذلك من اجل احداث ملاءمة جارية في قيمة الليرة الاسرائيلية مقابل العملات الاخرى ، خاصة الدولار ، وذلك لتشجيع الصادرات ، وبالتالي كسب المزيد من العملة الصعبة . وبموجب سياسة التخفيض التدريجي هذه في قيمة الليرة ، اصبح الدولار يعادل ٩٤ر٨ ليرة اسرائيلية ، وذلك بعد التخفيض الاخير ، الذي اقرته الحكومة الاسرائيلية فيتاريخ ١٦-١-٧٧ بقيمة ٩ر١٪ .

واعلن وزير المالية رابينوفيتش بعد اقرار مشروع الميزانية من قبل الحكومة. ان هذا المشروع يعتبر نقطة تحول بالنسبة الى معالجة مشاكل التضخم الماليالسريع، حيث يشمل على اقتطاع ملياري ليرة من ميزانيات الخدمات في مختلف الوزارات واقتطاع مبلغ ٥ر٤ مليار ليرة في بند نفقات الحكومة . وعلق حاكم بنك اسرائيل ، ارنون جافين على ذلك بقوله ، ان هذا القرار الذي يعتمد على كبح جدي لنفقات الحكومة وتقليص لميزانيتها يعتبر تحولا في امكانية ايجاد حل لاحدى المشاكل الاساسية فيالاقتصاد الاسرائيلي وهي مشكلة التضخم المالي . «انه دلالة على جهد قوي لخفض سرعة التضخم المالي ، وبشكل لا يؤدي الى افساد التحسن الذي طرأ على ميزان المدفوعات. واذا نفذ هذا القرار سيتوفر احتمال افضل لتحسين ميزان المدفوعات في سنة ١٩٧٧ - ٧٨ ايضا» (المصدر نفسه) .

كذلك اعلن مدير قسم البحث في بنك اسرائيل دكتور تسفي زوسمان ان هناك تشابها بين مشروع الميزانية الذي اقرته الحكومة وبين التوصيات التي قدمها خبراء بنك اسرائيل في هذا المجال . واضاف زوسمان قائلا : «ان التقدير الذي تبلور من الدراسات التي اجراها قسم البحث حول الميزانية المقترحة ، هو ان التضخم المالي يزداد نتيجة النفقات ، التي تعتبر الضرائب غير المباشرة احدى مركباتها الهامة . لذلك ثمة مبرر لخفض الغلاء بواسطة خفض هذه الضرائب ، ورفع اسعار الخدمات الحكومية ، كما تقترح وزارة المالية الان» (هآرتس ، ٣-

[illegible]
من جهة اخرى [illegible] مشروع الميزانية بعض [illegible] من جانب الهيئات الاقتصادية في اسرائيل . فقد ساد الهستدروت جو من الاستياء بسبب عدم اطلاع ممثليها على بنود مشروع الميزانية قبل اقرارها من قبل الحكومة (دافار ، ١ـ١٢ـ٧٦) . الا ان هذا الامر لم يؤثر على المباحثات الجارية بين ممثلي الهستدروت وارباب العمل والحكومة من اجل الوصول الى اتفاق شامل حول علاقات العمل خلال الفترة المقبلة .

كذلك اعلن رئيس اتحاد الصناعيين ابراهام شفيط عن معارضته لحجم الميزانية المقترحة ، وبدلا من ذلك اقترح مبلغ ١٠٧ مليار ليرة اسرائيلية ، معتمدا على نسبة التضخم المالي المتوقعة خلال هذه السنة وهي ٢٣٪ . « ان المبلغ الاعتباطي الذي اقترحته الحكومة كمخرج ليس سوى تمثيل لجميع مطالب الوزارات الحكومية ... بينما لم تنفذ الحكومة اية خطوة حقيقية من اجل خفض نفقاتها ». وحسب قوله فانه يرفض الميزانية المقترحة لانها لا تعكس سياسة واضحة واجابة صحيحة على المشاكل الاساسية ، وهي محاربة التضخم المالي ، الهوة في ميزان المدفوعات وخلق اساس للانتعاش الاقتصادي . ( هارتس ، ٣ـ١٢ـ٧٦ ) .

لقد اصبح واضحا ومؤكدا الان ان مشروع الميزانية هذا لن يقر بكامله في الكنيست ، وانما تستقر المداولات بين اروقة الكنيست على اقرار ميزانيةمقلصة لاربعة اشهر فقط ، ريثما يستقر الوضع السياسي وتتشكل حكومة جديدة ، ويبدو ان هذا الامر يلقى الان موافقة جميع الاطراف في الكنيست . (ر٠١٠١٠ ، ٣١ـ١ـ ٧٧) .

ويعلق الكاتب الاقتصادي لصحيفة دافار على هذه المسالة بقوله : «انني ادرك المشكلة الخطيرة التي تواجه الحكومة الان ، وهي انها لن تجد في تاريخ ٣١ـ٣ـ ٧٧ الاكثرية الساحقة في الكنيست لاقرار مشروع ميزانيتها لهذه السنة ، وبدلا من ذلك سيكون لزاما عليها التعاون مع احزاب اخرى من اجل ايجاد طريق يمكنها من العمل بصورة قانونية بكل ما يتعلق بنفقاتها المالية خلال الاشهر الاولى من السنة المالية ١٩٧٧ ـ ٧٨ . ان المخرج البسيط لهذه المشكلة هو التوصل الى اتفاق حول المصادقة على ميزانية جزئية لثلاثة او اربعة اشهر ... وهكذا يمكن مواصلة النشاط الاقتصادي خلال هذه الفترة .. » (يعكون ارنون ـ دافار ، ٢٨ـ١٢ـ٧٦) .

ويضيف ارنون قائلا ، ان مشروع الميزانية يجب ان يقدم الى الكنيست للبحث به حسب الاصول المتبعة . «ينبغي التصرف بمشروع الميزانية وكانه ليس هناك ازمة حكومية ولا حكومة اقلية . هناك اهمية كبرى ، خاصة اثناء فترة الانتخابات ، لمعرفة الاسلوب الذي يقترحه الحزب الحاكم لادارة شؤوننا في السنة المقبلة ، وما تقترحه الاحزاب ـ الموجودة اليوم في طرف المعارضة ـ حول التغيير في الميزانية ، في حال وصولها الى الحكم. ومن خلال طريقة رد الاحزاب على ميزانية الدولة ، يمكن معرفة المواقف التي ستتخذها ازاء جميع القضايا الاقتصادية ومعظم القضايا الاجتماعية ، وربما ... طريقة تفكيرها في المواضيع السياسية والامنية ... يجب عدم اعفاء ممثلي الحزب الحاكم ، ولا حتى ممثلي الاحزاب المعارضة ، من واجب شرح مواقفهم للشعب ، واسلوب تخطيطهم في السنة المقبلة» (المصدر نفسه) .

لذلك فان الميزانية المقترحة والاجراءات التي دعت اليها الحكومة ، ستعتبر جزءا من برامج الاحزاب الانتخابية ، حيث ستظهر في المستقبل القريب وجهات نظر مختلفة وربما متناقضة حول مواضيع اقتصادية واجتماعية ستكون ذا تاثير كبير على نتائج الانتخابات .

حنه شاهين

# Palestine Affairs

Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center; *Editor*, Dr. Anis Sayegh; *Annual Subscription* (airmail): Lebanon and Syria L L 50, other Arab countries L L 60 or equivalent, Africa and Europe L L 80, elsewhere L L 100; *Annual Subscription* (surface mail): Countries outside the Arab World L L 50. *Address:* P.O.Box 1691, Beirut, Lebanon; Tel. 351260; Cables: MARABHATH.

السعر ١/٢ ٣ ل.ل. في لبنان
٤ ل.س. في سوريا
٤٥٠ فلسا في الكويت والعراق
٨ دراهم في دولة الامارات العربية
١/٢ ٤ ل.ل. في سائر الاقطار العربية
٣٥٠ درهما في ج.ع.ل

